المركز القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة

من صبا حتى نيما

مائة وخمسون عامًا من تاريخ الأدب الفارسى

تأليف: يحيى آرين بور

ترجمة: إيمان محمد إبراهيم عرفة
محمد السباعى محمد السباعى
أشرف محمد عبد الوهاب

مراجعة وتقديم: السباعى محمد السباعى

1340

من صبا حتى نيما

مائة وخمسون عامًا من تاريخ الأدب الفارسي

المركز القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد: ١٣٤٠
- من صبا حتى نيما
  مائة وخمسون عامًا من تاريخ الأدب الفارسى
- يحيى آرين بور
- نخبة
- الطبعة الأولى ٢٠٠٩

هذه ترجمة كتاب :

از صبا تا نيما

تاريخ ١٥٠ سال ادب فارسى
يحيى آرين پور

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ – ٢٧٣٥٤٥٢٦ – فاكس : ٢٧٣٥٤٥٥٤
EL- Gabalaya st., Opera House, El Gezira, Cairo
e.mail:egyptcouncil@yahoo.com Tel.: 2735424 – 2735426 Fax: 27354554

من صبا حتى نيما

مائة وخمسون عامًا من تاريخ الأدب الفارسى

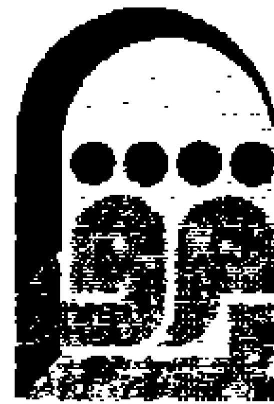
تأليـــــف : يحيى آرين بور

ترجمـــــة : إيمـــان محمد إبراهيم عرفـة

محمد السباعى محمد السباعى

أشرف محـمد عبــد الوهاب

مراجعة وتقديم: الســباعى محمد الســباعى



٢٠٠٩

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

بور، يحيى آرين
من صبا حتى نيما: مائة وخمسون عامًا من تاريخ الأدب الفارسى
تأليف: يحيى آرين بور، ترجمة: إيمان محمد إبراهيم عرفة، محمد السباعى محمد السباعى، أشرف محمد عبد الوهاب، مراجعة وتقديم: السباعى محمد السباعى
ط١، القاهرة: المركز القومى للترجمة، ٢٠٠٩
٧٣٢ص، ٢٤سم
١ - الأدب الفارسى – تاريخ ونقد
(أ) عرفة، إيمان محمد إبراهيم (مترجمة)
(ب) السباعى، محمد السباعى محمد (مترجم مشارك)
(جـ) عبد الوهاب، أشرف محمد (مترجم مشارك)
(د) السباعى، السباعى محمد (مراجع ومقدم)
(هـ) العنوان ٨٩١,٥٥٠٩

رقم الإيداع: ١٣٩٢٥ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولى: I.S.B.N – 978 - 977- 479 - 461- 6
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

المحتويات

تقديم

هذه ترجمة "للمجلد الأول من كتاب " ار صبا تا نيما" أى من صبا إلى نيما الذى ألفه الكاتب "يحيى آرين بور، فى مجلدين يتناولان تـــاريخ الأدب الفارسى خلال مائة وخمسين عامًا. ثم أكمل الكاتب هذا العمل بمجلد ثالـــث تحت " عنوان از نيما تا روزكارما". أى من نيما حتى عـــصرنا الحاضـــر. وهذه المجلدات الثلاثة هى أبرز أعمال المؤلف التى توصلت إليهـــا، فـــضلاً عن ترجمة كتاب "ناصر خسرو وإسماعيليان" أى ناصر خسرو والإسماعيلية الذى ألفه المستشرق الروسى " يرتلس " .

أما المؤلف "يحيى آرين بور" فهو كاتب ومحقق إيرانى بارز وشـــاعر اتخذ لنفسه لقب (دانش) أى "العلم" تخلصًا له كما هى العادة عنـــد الـــشعراء الفرس والترك ثم أصحاب اللغة الأوردية فيما بعد. يصل نسبه من ناحية أبيه إلى الأمير القاجارى البارز عباس ميرزا وينتمى من ناحية أمه إلى الحكـــيم والفيلسوف الإيرانى نصير الدين الطوسى المعروف لمنزلته الفكريـــة باســـم خواجه نصير الدين الطوسى. ولا نعلم على وجه اليقين متى ولد وفى أى يوم وفى أى شهر وفى أى عام كما صرح بنفسه فى كتاب يسمى "امـــروز" وأن اتفقت المصادر والمراجع على أنه ولد فى تبريز فى عام ١٢٨٦هـــ وتوفى فى الرابع من شهر أبان ١٣٨٤ هـــ . بدأ تعليمه الابتدائى فى مسقط رأســـه

مدينة "تبريز" فى مدرسة تسمى "تمـدن" ودرس فـى المرحلـة المتوسـطة والثانوية فى المدرسة الثانوية الوحيدة بالمدينة وكان مديرها "إسماعيل أميـر خيزى"، وكان من بين رفاقه فى تلك المدرسة دكتـور رعـدى آذر خـشى والدكتور على أصغر حريرى ومحمد حسين شهريار وغيرهم.

وكان من أساتذته : أبو القاسم فيوضات تقـى رفعـت وسـيد أحمـد كسروى، وكما ذكر ذلك فى حديث أجرته معه مجلة "تماش" حول ميرزا تقى خان رفعت وذوقه الشعرى قال: "إن كل ما لديه من بضاعة فى هذا المجال الأدبى إنما هو بفضل غرس هؤلاء الأساتذة، وأشار إلى فضل تقى رفعت فى المجلد الثانى من كتابه "از صبا تانيما" وكيف أنه أضاء له السبيل للوقـوف على العلوم والمعارف الحديثة والأدب العالمى.

ثم صرف النظر عن قرض الشعر نتيجة للقيود الكثيرة التـى كانـت موجودة آنذاك ونشر بعض القطع والترجمات الشعرية فى مجلتى : "سخن " و "يغما" وحين كان فى الصف السادس الثانوى فى منتصف عام ١٢٩٨هـ الموافق ١٩١٩-١٩٢٠م أصدر ستة أعداد من مجلة "الأدب" فـى تبريـز وحين تخرج من المدرسة ترك رئاسة تحريرهـا فأصـدر الأعـداد الـستة الأخرى منها مدير المدرسة المرحوم إسماعيل أمير خيزى ، وخدم بعد ذلك فى وزارة المالية لمدة ثلاثين عامًا. أما كتابه الذى بين يـدينا الآن ترجمـة للمجلد الأول منه وهو "أز صبا تا نيما.. فهو أشهر ما كتب".

ثانيا : يقول إنه منذ شهر شهربور ١٣٢٠هـ (أغـسطس / سـبتمبر ١٩٤١م) وما تلاه بدأت معركة بين سدنة القدر انى المحافظين ورواد الشعر

الحديث المجددين، وقرض أشخاص أشعاره وألف آخرون مؤلفات عديدة خرجت عن نطاق المعقول فى الاختلاف ووصلت إلى مرحلة الانحراف عن كتابات السابقين وأفكارهم .

"فاشتدت به الرغبة فى المطالعة والتحقيق فى مراحل تطور النظم والنثر الفارسى فى العصور المتأخرة واطلعت وقرأت بشغف كشوف ونهم كتب التذاكر والدواوين والروايات والقصص والمسرحيات والمقالات والمجلات الأدبية والكثير من الكتب والرسائل التى ألفت حول الأدب الفارسى المعاصر سواء فى داخل إيران أو فى خارجها، وتعرفت على الأساليب الأدبية المختلفة وآراء المؤيدين والمعاصرين من كل فرقة. وقمت خلال السنوات من ١٣٣٩ش إلى ١٣٤٤ ش[1] /١٩٦١ إلى ١٩٦٦م حسبما أتيح لى وقت الفراغ وسنحت لى الفرصة، بتدوين مثل هذه التحقيقات وفقًا لذوقى ورؤيتى كما ستلاحظون ذلك.

(هـ . ش : هجرى شمسى)

(١) تقويم فارسى مرتبط بدورة الشمس ، وتبدأ السنة الشمسية فى ٢١ من مارس حسب التقويم الميلادى وهو الذى يسمى بـ "النيروز" (الفيروز" – بدأ العمل به بناءً على أمر من رضا شاه الكبير شاهنشاه إيران عام ١٣١٤ هـ بتغيير التاريخ الهجرى القمرى إلى هجرى شمسى، أما هـ ق أى هجرة قمرى فهو التقويم الهجرى المعمول به فى العالم الإسلامى – ويبدأ من تاريخ هجرة الرسول (ص) ، وهو مرتبط بدورة القمر حول الأرض – وعلى هذا فإن ١/١/١ هجرى قمرى = ١/٤/٢٤ هجرى شمسي الموافق ٦٢٢/٧/١٥م.

كانت خطة العمل فى تنظيم مذكراتى أن أشير بإيجاز فى البداية لموضوع الأدب الإيرانى فى العصر الصفوى ومرحلة الضعف التى تلت تلك الفترة بعد سقوط تلك الأسرة ثم اتجهت – بمزيد من التفصيل حين تحدثت عن الشعراء والكتاب فى بلاط الأسرة القاجارية – إلى دراسة أعمق للتطورات الأدبية الفارسية منذ عصر المطالبة بالحرية وإرهاصات الثورة الدستورية وحركة المشروطية، رابطًا ذلك بذكر الوقائع والأحداث الرئيسية لتاريخ المشروطية.

ويستطرد قائلاً : صرفت النظر فى هذا الكتاب عن شرح أحوال الشعراء وأعمالهم ، الذين اقتصر دورهم على تقليد القدماء أو المعاصرين لهم ولم يكن لهم تأثير فى مسيرة الأدب الفارسى. وتناولت فقط الشعراء الكتاب الذين أثرت أعمالهم – إلى حد ما – فى المحيطين الأدبى والاجتماعى لعصرهم والعصور التالية.

وبعد، فهذا الكتاب لا هو من قبيل كتب تذكرة الشعراء، ولا من قبيل منتخبات الآثار، ولا شيء من قبيل كتب "تاريخ الأدب" بالمعنى الخاص للكلمة، وإنما هو تحقيق أدبى لحقبة تاريخية من عصر الإحياء (العودة الأدبية) حتى بداية الشعر الحديث (من صبا إلى نيما) وهى الفترة التى امتدت مائة وخمسين عامًا كما ذكرت آنفًا. وتكفى أهمية اجتماعية وأدبية غير عادية نظرًا لقربها من عصرنا وكذلك بسبب الوقائع الغريبة التى حدثت فيها والتى ستؤثر دون شك بشكل كبير فى الأحداث الأدبية التالية. وهذه محاولة غير مسبوقة لكنها لا تخلو من النواقص والعيوب. وتحقيقًا للغاية من هذا الكتاب

فقد بحثت فى أعمال وأحوال كل شاعر من الشعراء وفترة إبداعه الغنى بمنتهى الدقة والتأنى والمثابرة، ولم أتجاهل تمييز الغث والثمين من أقوال المؤلفين أصحاب الرأى فى حدود إمكانياتى وقدراتى ومعلوماتى وعندما لا أستطيع التأكد من صحة أحوال القول كنت على الأقل امتنع عن تأييده".

وقد اجتهد المؤلف قدر الإمكان أن يخرج عملاً كاملاً مبرءًا من العيوب لكن الكمال لله وحده. خاصة وأن الكتاب قد جمعت مادته تدريجيًا وفى فترات مختلفة، هذا فى حد ذاته يجعله عرضة للنواقص والعيوب، كما أن هذا التوقف ثم العودة للكتابة تجعل معلومات الكاتب متفاوتة. وقد أشار المؤلف إلى أهم المصادر والمراجع التى اعتمد عليها ذاكرًا إياها فى متن الكتاب وحواشيه. ولم يلجأ إلى أسلوب منمق فى الكتابة فقد كان هدفه عرض الموضوع بالصورة الصحيحة التى يراها.

ثالثا : أما فريق الترجمة الذى تحمل عبء ترجمة هذا المجلد والذى يليه فكانوا على قدر المسؤولية الملقاة على عاتقهم رغم صعوبة حملها – وقد تكون هذا الفريق ممن أثق فى قدرتهم على الفهم والترجمة وهم: الدكتورة إيمان محمد عرفة الأستاذ المساعد للغة الفارسية وآدابها بكلية الآداب – جامعة القاهرة، والدكتور محمد السباعى محمد السباعى مدرس اللغة الفارسية وآدابها بكلية الآداب بجامعة حلوان، ثم الأستاذ أشرف محمد عبد الوهاب مترجم اللغة الفارسية بمركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة، وقد بذلوا جهدًا كبيرًا واعترضت سبيلهم بعض الصعاب حاولوا التغلب عليها وقد تم لهم ذلك فى نهاية الأمر.

وكان نصيب كل منهم فى الترجمة على النحو التالى :

١ – أشرف محمد عبد الوهاب من ص ١ إلى ص ٤٤ ، ومن ص ٧٩ إلى ص ١٤٤.

٢ – محمد السباعى محمد من ص ٤٤ إلى ص ٧٧ ، ومن ص ١٤٥ إلى ص ٢٢٠ .

٣ – إيمان محمد عرفة من ص ٢٢١ إلى ص ٤٢٢ .

هى تجربة ناجحة بالنسبة إليهم، كفيلة أن تكون هذه المجموعـــة نـــواة لجماعة من المترجمين المجيدين. فلهم منى كل الشكر والتقدير..

والله الموفق

السباعى محمد السباعى

٢٠٠٨/٧/١٤

مقدمة الجزء الأول

"إذا تجاوزنا الشعراء والفنانين السابقين بسبب نقص الوثائق والمستندات، نصل إلى فترة الفن والأدب المعاصر والتى نتعرف فيها على أشكال التحول والتجدد بشكل أو بآخر ونقف على حياة رواد هذا التحول، وهنا كان لابد من تطبيق أسس النقد الفنى، والحكم على هؤلاء حكمًا دقيقًا وموضوعيًا.

وأكبر خدمة يمكن تقديمها فى هذا المجال هى تدوين تاريخ الفن والأدب الذى يعد مقدمة لنقد فنى عظيم، وقد نظر كل محبى الفن والأدب بعين الترقب والانتظار إلى هذه البداية المشرقة حتى يشمروا عن سواعدهم ويسدوا هذا النقص"(١).

لقد اشتدت لدىَّ الرغبة فى المطالعة والتحقيق فى مراحل تطور النظم والنثر الفارسيين فى العصور الأخيرة منذ شهريور ١٣٢٠هـ ش [أغسطس وسبتمبر ١٩٤١م] حيث اشتعل الصراع بين المحافظين والمجددين، وكتب بعض الأشخاص أشعارًا وأعمالاً اختلفت أحيانًا – لدرجة "الانحراف" – عن كتابات السابقين وأشعارهم، وبناءً على هذا فقد طالعت بمنتهى الشغف كتب التذاكر والدواوين والروايات والقصص والمسرحيات والمقالات والمجلات

---

(١) د. محسن هشترودى " دانش وهنر" طهران، ١٣٤٠ هـ ش [١/١٩٦٢م].

الأدبية والكثير من الكتب والرسائل التى كانت قد كتبت حول الأدب الفارسى المعاصر سواء فى إيران أو خارج الحدود، وتعرفت على الأساليب الأدبية المختلفة وآراء المؤيدين والمعارضين من كل فرقة وطائفة، وقمت خلال السنوات من ١٣٣٩ إلى ١٣٤٤ هـ ش [١٩٦١ إلى ١٩٦٦] حسبما أتيح لى الفراغ وأتيحت لى الفرصة، بتدوين كل هذه التحقيقات وفقًا لذوقى وبالشكل الذى ستلاحظونه. وكانت خطة العمل فى تنظيم مذكراتى أن أشير بإيجاز فى البداية لوضع الأدب الإيرانى فى العصر الصفوى ومرحلة الضعف بعد انتهاء أمر هذه الأسرة. ثم أشرح بتفصيل أكثر نسبيًا وضع شعراء وكتّاب بلاط الملوك القاجاريين، وبعد ذلك أبحث فى مراحل تطور الأدب الفارسى منذ بداية حركة المطالبة بالحرية إلى ما بعد ذلك مع ذكر أهم الوقائع والأحداث التاريخية.

وفى هذا الكتاب صرفت النظر عن شرح أحوال وأعمال الشعراء الذين لم يفعلوا شيئًا سوى تقليد القدامى أو المعاصرين لهم، ولم يؤثروا كثيرًا فى مسيرة تكامل الأدب – وللأسف عددهم يفوق بكثير ما يمكن تصوره – وتناولت فقط ذكر أحوال الأشخاص وآثارهم الذين أثرت أعمالهم إلى حد ما فى المحيطين الأدبى والاجتماعى لعصرهم والعصور التالية، أو كما يقال إنهم قد أحدثوا تغييرًا ملموسًا نسبيًا ووضعوه على أول الطريق، ولم أحاول قط، كما هى العادة، أن أجمع فى هذه الأوراق أحسن الأعمال وأن أتجاهل نقاط ضعف كل كاتب وشاعر، وإنما قصدت بصفة خاصة أن أعرض نماذج عديدة لكل شاعر؛ حتى يتسنى للقراء أن يعرفوا جيدًا المنهج والأسلوب الفنى لكبار شعراء وكتّاب هذه الفترة.

وهذا الكتاب لا هو "تذكرة شعراء" ولا "منتخبات أعمال" ولا شىء من

قبيل "تاريخ الأدب" بالمعنى الخاص للكلمة وإنما هو تحقيق أدبى لحقبة تاريخية معينة منذ العودة الأدبية وحتى بدايات الشعر الحديث (من صبا إلى نيما) وهى الحقبة التى امتدت لأكثر من قرن ونصف، وتلقى أهمية اجتماعية وأدبية غير عادية نظرًا لقربها من عصرنا وكذلك بسبب الوقائع الغريبة التى حدثت فيها والتى ستؤثر بشكل كبير أيضًا فى الأحداث الأدبية التالية، وتعتبر هذه المحاولة التى قمت بها غير مسبوقة تقريبًا وهى بدون شك لا تخلو من النواقص مثل أى عمل غير مسبوق. وتحقيقًا للغاية فقد بحثت فى أعمال وأحوال كل شاعر من الشعراء وفترة إبداعه الفنى بمنتهى الدقة والتأنى والمثابرة، ولم أتجاهل تمييز الغث والثمين من أقوال المؤلفين أصحاب الرأى فى حدود إمكانياتى وقدراتى ومعلوماتى، وعندما لا أستطيع التأكد من صحة أحد الأقوال كنت على الأقل امتنع عن تأييده، فقد لمست حجم المسئولية الملقاة على عاتقى وآمنت بصحة الطريق الذى قد اخترته لنفسى. ومن هنا فإنه لم يظهر منى أبدًا أى اعتراض غير جائز أو تأييد فى غير محله لشخص أو لعمل أو لرأى، ومع هذا فإننى أكرر أن كتابى لا هو كامل ولا خالٍ من العيوب، خاصة وأن موضوعاته قد جمعت تدريجيًا وعلى فترات متباعدة وخلال سنوات ممتدة وكذلك قمت بتغيير أسلوب العمل وطريقته أكثر من مرة بمرور الزمان وبالتالى فقد كانت معلوماتى الخاصة متفاوتة وليست بدرجة واحدة فى جميع المواضع وكانت المصادر والوثائق فى بعض الأقسام كثيرة وفى الأقسام الأخرى قليلة أو بعيدة المنال، وهو ما جعل موضوعات الكتاب وطريقة تنظيمه لا تسير على وتيرة واحدة فى كافة المواضع.

وعلى كل حال فإننى قد مهدت الطريق فى هذا المجال وأتمنى أن يكون هذا الكتاب مقدمة وتمهيدًا لعمل الأشخاص الذين سيرغبون فيما بعد فى اتخاذ خطوات أكثر قوة وثباتًا فى موضوع نقد الأدب الإيرانى المعاصر

وتحليله الذى ما زال بكرًا ولم تمتد إليه يد.

وقد امتنعت تمامًا فى هذه المجموعة عن إيراد كلمات التعظيم والتفخيم مثل السيد وحضرة جناب للأحياء، والمرحوم والمغفور له للأموات. وفى ذكر تواريخ الأحداث باليوم والشهر والسنة مثل الميلاد والوفاة وغيرها والتى اختلفت الأقوال بشدة بشأنها ولم يكن هناك لها دليل قاطع، نقلت القول الذى وجدته أقوى وأصح دون أن أبحث وأدلل على قبول ذلك القول ورفض الأقوال الأخرى.

وقد أشرت، قدر استطاعتى، إلى أهم المصادر والمراجع فى المتن والحواشى، وقدمت توضيحًا كافيًا لكل موضوع وأبرزت أقوال الآخرين كالمعتاد وأضفت أيضًا قائمة بأسماء المصادر وتقويمًا للأحداث تقليدًا للأسلوب الشائع الذى يتبعه محققو العصر، وأتمنى أن تسهم كل هذه الحواشى والملحقات، التى ضاعفت من حجم الكتاب، فى تيسير أمر المطالعة على القراء.

وأنا لم أتبع أسلوبًا خاصًا فى الكتابة ولم أستخدم الدقة المتناهية فى اختيار الكلمات والتركيبات الإنشائية، فقد كان الغرض هو عرض الموضوع وهو ما أخذته فى الاعتبار دائمًا.

وهناك مجموعة من الأساتذة وعلماء الإيرانيات المشهورين أدين لهم بفضل توجيهى إلى المصادر الأجنبية ومساعدتى فى جمع الموضوعات مثل المرحوم البروفسور الدكتور جان ريبكا من تشيكوسلوفاكيا، والمرحوم بازيل نيكيتين من فرنسا، والدكتور ف. ماخالسكى من بولندا، ومن الواجب علىَّ

تقديم خالص الشكر والمحبة لهم جميعًا، كما تجشم الأستاذ أحمد سميعى عناء مراجعة الكتاب.

وقام الأستاذ محمد جلبن بكل همة ونشاط خلال فترة قصيرة بتجهيز الأدوات والوثائق اللازمة لإعداد صور هذا الكتاب التى كانت نادرة جدًا فى بعض الأحيان، ولهذا السبب فإننى أقدم له خالص الشكر والامتنان.

وأخيرًا فإننى لم أطلب من فضلاء العصر، كما هى العادة، أن يكتبوا تمهيدًا أو مقدمة على كتابى لكى يغطوا عيوبه ونقاط ضعفه بغلاف من المدح والتقريظ، فهذا هو عملى بكل عيوبه ومميزاته.

يحيى آرين بور

طهران – مهرماه ١٣٥٠هـ

[سبتمبر – أكتوبر ١٩٧١م]

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الكتاب الحالى الذى هو، على حد قول مؤلفه والذى صنف فى مقدمته على الطبعة الاولى، ليس تذكرة شعراء ولا منتخبات أعمال ولا شيء من قبيل تاريخ الأدب بالمعنى الخاص للكلمة وإنما هو تحقيق أدبى لحقبة تاريخية تمتد مائة وخمسين عامًا منذ العودة الأدبية وحتى بدايات الشعر الحديث من صبا إلى نيما، فقد تم تأليفه بطريقة علمية متميزة بعيدًا عن الأغراض الشخصية من حيث البحث فيما يسمى بالتاريخ والنقد الأدبى، وقد أدت هذه القيمة العلمية والبحثية للكتاب إلى طبعه ونشره ونفاذه خمس مرات منذ اسفند ١٣٥٠هـ ش إلى منتصف عام ١٣٥٧هـ ش [فبراير ومارس ١٩٧٢م إلى سبتمبر وأكتوبر ١٩٧٨] ودفعت الكثير من الأساتذة وأصحاب الرأى فى المسائل التاريخية والأدبية لأن يتحدثوا عنه ويعبروا عن رأيهم بشأنه كبريات دور نشر الدولة. والآن وبالنظر إلى ندرة البحث فى اللغة والأدب الفارسى منذ سنوات بالرغم من حاجة الطلاب والجامعيين والباحثين المتزايدة، فإنه سيعاد طبع الكتاب بدون تغيير أو حذف وكما كتبه المؤلف المحترم بالضبط وطبعه مرارًا، وسيكون فى متناول أيدى القراء الأعزاء كدليل على الاحترام وحرية القلم وحرية التعبير عن المعتقدات العلمية، واستنادًا إلى الآية القرآنية الشريفة "فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه"، لكن سيكون من حق الناشر وبصفة خاصة القراء أن ينتقدوا بعض موضوعاته أو أسلوب البحث فيه، أو أن يروا عدم أهمية كافة أبعاد حياة الشخصيات التى قد تم تعريفها فى الكتاب وبالتالى لا يقبلونها، ولهذا

السبب فإن حق النقد الموضوعى لموضوعات الكتاب مكفول للناشر والقراء، ويأمل الناشر فى أن يختار نقدًا علميًا تحقيقيًا واحدًا من بين تلك التى سينشرها العلماء والباحثون فى النشريات العلمية والأدبية بالدولة ويضيفها إلى مقدمة الكتاب فى طبعاته التالية حتى يهيئ المجال بهذه الطريقة لإجراء بحث وحوار مفيد وبنَّاء حول موضوعات الكتاب.

بمنه وكرمه والله ولى التوفيق والإرشاد

دار نشر : زوار

القسم الأول : العودة

لمحة تاريخية

فترة عصيبة فى تاريخ إيران :

انقرضت الأسرة الصفوية التى كانت قد تأسست عام ٩٠٧هـ بقوة سيف الشاه إسماعيل، بعد حكم دام مائتى وأربعين عامًا.

وقد قام نادر الابن المغمور لأحد أفراد قبيلة افشار تركية الأصل بتطهير الدولة من المتمردين الداخليين والمعتدين الأجانب فى أقل من خمسة عشر عامًا واعتلى عرش السلطنة الإيرانية رسميًا فى عام ١١٤٨هـ ق، وقد قتل هذا الرجل العظيم، الذى كان قد أعطى روحًا جديدة للدولة الإيرانية بفتوحاته الباهرة، على يد كبار القادة الإيرانيين فى عام ١١٦٠ هـ ق بعد أن أصيب بالغرور والجنون والقسوة، وتعرضت دولة إيران مرة ثانية للفوضى والاضطرابات.

وقد حكم كريم خان رئيس الطائفة الزندية – وهى إحدى القبائل الكردية الإيرانية– إيران باسم طفل فى التاسعة من عمره، ويحتمل أن يكون ابن أخت الشاه السلطان حسين الصفوى وذلك بعد معارك ومذابح كثيرة، وقد استطاع إقرار الأمن فى الدولة لمدة قصيرة، وتعتبر فترة حكم خلفاء كريم خان

من أسوأ عصور التاريخ الإيرانى ومن الفترات المؤلمة والعصيبة لدرجة أنه من الظلم أن تُسجل فى التاريخ[1]. وبعد معارك ومذابح كثيرة تمكن أغا محمد خان القاجارى خلال فترة وجيزة بالقوة والعزيمة والاجتهاد فى العمل على إنهاء حالة الاضطرابات والقلاقل الشديدة التى حدثت فى فترة ما بعد انقراض الدولة الصفوية، والتى كانت أهم سماتها تغيير الحكام بصورة سريعة ومتتالية وكانت فى الحقيقة فترة تحول مؤقتة بين عصرين عظيمين فى التاريخ الإيرانى، وقد أدخل أغا محمد خان القاجارى كافة الأراضى الإيرانية تحت لواء حكومة واحدة. وقد قُتل مؤسس الأسرة القاجارية فى عام ١٢١١هـ ق بيد أتباعه فى معسكر مدينة شوشى القفقازية واعتلى عرش السلطنة الإيرانية ابن أخيه بابا خان الذى سُمى باسم جده فتحعلى شاه.

الهزائم الإيرانية أمام روسيا : انشغل فتحعلى شاه دائمًا بالقضايا الداخلية والخارجية خلال فترة ملكه التى استمرت سبعة وثلاثين عامًا وذلك نتيجة لحروب عمه والمذابح التى قام بها والخصومات الشديدة التى كان قد خلقها. وقام الروس الذين أخذوا يتقدمون تدريجيًا فيما وراء حدود شمال إيران، بانتزاع گرجستان (جورجيا) من إيران فى بداية الأمر ثم تطلعوا بعد ذلك إلى سائر إمارات القفقاز، فما كان من إيران، التى رفضت انضمام جورجيا لروسيا، إلا أن قامت بالاستعداد للحرب، وكانت تأمل فى أن تهب إنجلترا لمساعدتها فى الحرب ضد روسيا، واشتعلت الحرب الروسية الإيرانية عام ١٢١٩هـ ق.

---

(١) من رسالة القنصل الفرنسى فى البصرة إلى مديرى الشركة الهندية المؤرخة فى مارس ١٧٨٩م (نقلاً عن تاريخ زنديه، ج١، تأليف الدكتور هادى هدايتى، طهران ١٣٣٤ش [٥-١٩٥٦م].

لكن سرعان ما شعر الملك القاجارى بعجزه وضعفه أمام خصمه القوى، فتوجه مضطرًا إلى نابليون الذى كانت شهرة فتوحاته قد وصلت إلى مسامعه، على أمل الحصول على المساعدة، فقام الإمبراطور الفرنسى الذى كان يطمح فى الوصول إلى الهند عن طريق إيران، بإرسال بعض السفراء إلى إيران وتم التوقيع فى نهاية الأمر على معاهدة بين فرنسا والحكومة الإيرانية، تعهد نابليون بموجبها بأن يبذل كل جهده فى إجبار الروس على مغادرة جورجيا والأراضى الإيرانية وتقديم الأسلحة والمهمات التى تحتاجها إيران، وأن يقوم كبار القادة الفرنسيين بتجهيز وإمداد الجيش الإيرانى بأحدث الأساليب، وتعريف الجنود الإيرانيين بفنون الحرب والقتال(١).

ونتيجة لهذه المعاهدة أرسل إلى إيران الوفد العسكرى الفرنسى برئاسة الجنرال جاردان(٢)، لكن بينما كان جاردان ورفاقه ما زالوا فى الطريق تصالح نابليون مع روسيا(٣)، وأصبحت التعهدات التى كان قد أخذها على نفسه بشأن إيران كأن لم تكن.

ولم يكن صلح نابليون مع روسيا قد قضى تمامًا على الآمال الإيرانية فى المساعدة الفرنسية فقد ظلت إيران تنتظر قيام نابليون بتنفيذ المهام التى كان قد تعهد بها، وضمان الحكم الإيرانى فى القفقاز. إلا أن نابليون لم يفعل سوى أنه أمر مبعوثه بالتوسط لعقد الصلح إذا كان البلاط الإيرانى ينشده، وقد قام وفد جاردان العسكرى بإجراء بعض الإصلاحات فى الجيش الإيرانى وتعليم الجنود الإيرانيين فنون الحرب. لكن لم تفلح جهوده فى الصلح بين الحكومتين.

---

(١) معاهدة فينكنشتاين **Finkenstein** ٢٥ صفر ١٢٢٢هـ ق.

(٢) وصل وفد جاردان العسكرى طهران فى ١٢ رمضان سنة ١٢٢٢هـ ق.

(٣) اتفاقية تيلسيت **Tilsit** ٢٦ ربيع الثانى ١٢٢٢هـ ق.

وفى هذه الأثناء وصل إلى إيران الوفد العسكرى الإنجليزى حاملاً معه الهدايا القيمة وأعلن أنه سينفذ ما عجز عن تنفيذه الفرنسيون، لكن كان هدف الإنجليز الحقيقى هو طرد الفرنسيين من إيران وإشعال نار الحرب مع روسيا، وفى عام ١٢٢٤هـ ق عقدت الحكومة الإنجليزية معاهدة مع إيران كان هدفها منع بسط النفوذ الروسى وحماية الممتلكات الإنجليزية فى الهند[١]، وقد تعهدت الحكومة الإنجليزية بموجب هذه المعاهدة بأن تقدم لإيران المساعدة العسكرية لمحاربة روسيا، لكن لم يقدم الإنجليز الذين كانوا قد حلوا محل الفرنسيين، أية مساعدة لإيران وبعد تسعة أعوام من الحروب غير المجدية لم يخرج من يد إيران جورجيا فحسب بل ثمانى ولايات أخرى أيضًا، وسُلب منها كذلك حق الملاحة فى المياه الساحلية لبحر الخزر (قزوين) [٢]، واندلعت الحرب بين إيران وروسيا مرة أخرى، بعد خمسة عشر عامًا بسبب الخلافات الحدودية.

وامتنع الإنجليز مرة ثانية عن تقديم المساعدة وقاموا بالوساطة بين الحكومتين، وقد هُزمت إيران فى هذه الحرب أيضًا وانفصلت عنها إيروان ونخجوان وبقية أراضى ما وراء نهر ارس، كما أنها تحملت أعباء خسائر ونفقات الحرب الثقيلة، وقد ساعدت هذه الحروب والهزائم فى بسط النفوذ الروسى فى إيران وتقويته وتثبيت حق الامتيازات الأجنبية للرعايا الروس ثم الأجانب الآخرين بعد ذلك[٣].

---

(١) المعاهدة المجملة ١٢ مارس ١٨٠٩ م (المحرم ١٢٢٤هـ ق) وبعدها المعاهدة المفصلة ١٤ مارس ١٨١٢م (صفر ١٢٢٧هـ ق).

(٢) معاهدة گلستان شوال ١٢٢٨هـ ق.

(٣) معاهدة تركمانچاى ، شعبان ١٢٤٣هـ ق.

توفى عباس ميرزا نائب السلطنة بخراسان فى عام ١٢٤٩هـ ق، ولحق به أبوه فتحعلى شاه بأصفهان فى العام التالى. وكان محمد شاه ابن عباس ميرزا الذى حكم دولة إيران أربعة عشر عامًا من عام ١٢٥٠هـ ق إلى عام ١٢٦٤هـ ق ، كان رجلاً زاهد الطبع جمع بين التدين والورع من ناحية والشدة والقسوة من ناحية أخرى.

ففى بداية أمره وأول أيام سلطنته بمجرد أن استراح من الصراع مع المطالبين بالتاج والعرش بفضل سعى ميرزا أبى القاسم قائممقام واجتهاده، تخلص من ذلك الرجل المدبر وسلم زمام الأمور إلى معلمه ومرشده حاجى ميرزا آقاسى الذى "لم يكن كفوًا لمنصب الصدر الأعظم فى إيران(١)" وفى عهد سلطنة هذا الملك القصيرة ظهرت الآثار السلبية لمعاهدتى گلستان وتركمن چاى والعواقب الوخيمة للحروب الإيرانية الروسية المدمرة، واشتد التنافس بين الأجانب بحثًا عن السلطة والنفوذ فى إيران وعمت الفتنة والفوضى كل أنحاء الدولة بسبب عدم كفاءة حاجى ميرزا وأنانيته فقد كان هو الحاكم الحقيقى لإيران طيلة فترة سلطنة محمد شاه، وزادت النفقات على الإيرادات وتجاوز ظلم الحكام وتعديهم وفساد الجهاز الإدارى الحد وانفرط عقد النظام والانضباط من كل جانب.

وقد زحف محمد شاه إلى خراسان عام ١٢٥٣هـ ق راجيًا مساندة الروس وحاصر مدينة هراة لكن فشل هذا الزحف نتيجة عراقيل المسئولين البريطانيين، وانسحب الملك الإيرانى بعد تسعة شهور من الحصار نتيجة سياسة الحكومة الإنجليزية العدائية وعاد إلى العاصمة فى العام التالى وانفصلت أفغانستان عن الكيان الإيرانى وفقًا لرغبة الإنجليز. وانقضت بقية فترة سلطنة محمد شاه فى إخماد الفتن والثورات التى كانت تشتعل فى كل

(١) ميرزا على خان أمين الدولة، خاطرات سياسى ، ص ١١.

ركن من أركان الدولة بيد العملاء الداخليين وتحريض السياسة الخارجية[١] حتى توفى فى خريف عام ١٢٦٤هـ ق متأثرًا بمرض النقرس والحمى، وقد سلم التاج والعرش الإيرانى لابنه ذى السبعة عشر عامًا.

نقل الحضارة الأوربية : فى مطلع القرن الثالث عشر الهجرى (سنة ١٧٨٩م) أى بعد وفاة كريم خان الزندى وبداية أمر آغا محمد خان القاجارى بعدة سنوات حدثت الثورة الفرنسية فى أوربا وأعقبتها أحداث مذهلة مثل ظهور نابليون وحروبه المتتالية وحركة الشعوب وتقدم فن الحرب وظهور الأسلحة والمعدات الحديثة وأمثال ذلك، وظهرت حكومات كبيرة وقوية فى العالم أسست الحكومات الوطنية فى الدول الأوربية وعلى الرغم من ذلك لم يهتز الشعب والبلاط الإيرانى لهذه الأحداث والتحولات، ليس هذا فحسب بل لم تدرك إيران حقيقة تلك الثورات، وظلت دولة إيران باقية على حالها ومنهج حياتها القديم لفترة طويلة[٢].

لكن مع هذا مهدت الحرب مع روسيا والتنقلات العسكرية والرغبة الشديدة لدى عباس ميرزا الابن الكفؤ لفتحعلى شاه فى نقل ونشر الفنون والصناعات الأوربية الحديثة - الطريق لدخول الحضارة الغربية إلى إيران.

وقد أثرت سياسة الدول الأوربية التى كانت وليدة مصالحها الاقتصادية، فى الأوضاع الاجتماعية الإيرانية، فضلاً عن أن البعثات السياسية والعسكرية، والخطوات التى تمت لإصلاح الجيش الإيرانى وإقامة

---

(١) كان منها ثورة آقاخان قائد الإسماعيلية (١٢٥٦هـ ق)، وثورة سيد على محمد الباب (١٢٦٠هـ ق) وفتنة محمد حسن خان ابن الهيارخان آصف الدولة (سنة ١٢٦٣هـ ق).

(٢) خطاب تقى زاده فى نادى "المهرجان" "تاريخ أوايل انقلاب مشروطيت ايران" ١٣٣٧ش.

العلاقات الدائمة مع أوربا- أدت إلى غرس بذرة الأفكار الجديدة فى الأراضى الإيرانية.

وقد بدأت حركة التجديد من آذربايجان التى تعد متاخمة لروسيا وتركيا العثمانية والأقرب إلى أوربا، وصارت تبريز مركزًا مهمًا للأنشطة العسكرية والسياسية الإيرانية، وشيئًا فشيئًا أرسل الطلاب إلى إنجلترا لدراسة العلوم والعمال إلى روسيا لتعلم الصناعات، وتأسست مصانع لتصنيع المدافع والبارود والنسيج، وعلت الهمم لإنشاء المصانع وتأليف الكتب وتأسيس الصحف.

ومن الأشخاص الذين أدركوا ضروريات العصر واحتياجاته أكثر من الآخرين ميرزا عيسى قائممقام، الذى قلده ابنه الكفؤ ميرزا أبو القاسم قائممقام فى إصلاح وضع المجتمع، وبعدهما قام ميرزا تقى خان الفراهانى، أمير كبير، بسلسلة من الإصلاحات الأساسية.

إلا أن هذه الإصلاحات والإنجازات كانت بطيئة جدا وتدريجية، وقد واجهت على الروام الصعوبات الكثيرة والعراقيل المختلفة، وفقد جميع من قاموا بهذه الإصلاحات والأفكار الجديدة أرواحهم فى هذا السبيل.

الباب الأول

الأدب الإيرانى فى النصف الأول من القرن الثالث عشر

الفصل الأول – الشعراء

مقدمة :

أشعار العصر الصفوى : توفى نور الدين عبد الرحمن الجامى شاعر القرن التاسع القدير فى عام ٨٩٨ هـ ق ، وبوفاته انتهى العصر الذهبى للشعر الكلاسيكى الإيرانى والذى كان قد بدأ بالرودكى.

ولم يظهر فى عصر الملوك الصفويين شاعر مبدع عظيم يستطيع أن يحقق شهرة ومكانة كبيرة فى تاريخ الأدب الإيرانى من حيث صحة البيان وجزالة المضمون. أما السبب فى هذا الفقر الشعرى وندرة الشعراء الكبار فيجب البحث عنه فى السياسة العامة للملوك الصفويين؛ لأن الأسرة الصفوية على ما يبدو كانت توجه جل اهتمامها لنشر المذهب الشيعى وقلما كانت تهتم بالشعر والأدب، وإذا كان هناك ثمة شعر منظوم فإنه كان فى مدح الأولياء وذكر كرامات الأئمة الأطهار وحادثة شهداء كربلاء بدلاً من المدح والغزل، وذلك وفقًا، لسياسات تلك الأسرة وبناءً على خصومتها الشديدة للقوة

المعنوية الهائلة التى كانت تتمتع بها الدولة العثمانية الممثلة للمذهب السنى[١].

يقول إسكندر بيك التركمانى فى شرح حال الشاه طهماسب الصفوى : فى بداية الأمر وجه حضرة الخاقان كل اهتمامه لأحوال هذه الطبقة[٢] .. وفى آخر أيام حياته كان يبالغ بشدة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، لذا عدَّ هذه الطبقة الرفيعة مستهترة وبلا وازع دينى ولم يعدهم من الصالحين وزمرة الأتقياء، ولم يعتنِ كثيرًا بأحوالهم ولم يكن يسمح بنظم القطعة ولا القصيدة، وكان مولانا محتشم الكاشانى قد نظم قصيدة جميلة فى مدح ذلك الملك وقصيدة أخرى فى مدح عفيفة العصر الأميرة بريخان خانم وأرسلها من كاشان، فعرضت عن طريق هذه الأميرة فقال حضرة الملك : "أنا لا أرضى أن يلوث الشعراء لسانهم بمدحى والثناء علىَّ، فلينظموا القصائد فى شأن صاحب الولاية والأئمة المعصومين عليهم السلام، وينتظرون الجائزة من الأرواح المقدسة للسادات أولاً ثم منا بعد ذلك؛ لأنهم بفكرهم الدقيق يرتبون المعانى السامية والاستعارات المبتكرة فى عقد البلاغة وينسبونها للملوك حيث إن المضمون ليس فى موضعه فى الغالب "أحسن الشعر أكذبه"

---

(١) من أفضل شعراء المراثى يجب ذكر محتشم الكاشانى (متوفى سـنة ٩٩٦ هـ ق) والذى أوصل هذا الفن إلى درجة الكمال، والترجيعات بند الاثنى عشرة التى نظمها مشهورة ، وقد استمر هذا الأسلوب فى نظم المراثى لفترات بعـده، وقـام شـعراء كثيرون حتى وقت قريب من عصرنا هذا بنظم الأشعار الجميلة والمؤثرة جدًا فـى رثاء حضرة سيد الشهداء وأصحابه مثل الصباحى وصبا ووصال وسروش وقـاآنى وحجة الإسلام نير التبريزى وسائر الشعراء الشيعة.

(٢) المقصود الشعراء.

أما إذا نسبوها للسادات المقدسين فإن شأنهم العالى سيرتقى أكثر مما هو متوقع"، وبصفة عامة فإن مولانا لم يحصل على جائزة الشعر من صاحب العظمة والجلالة(١).

ولم يكن هذا الأسلوب فى التفكير منحصرًا فى شخص الشاه طهماسب وحده ، ولم يهتم ملوك الأسرة الصفوية الآخرون سوى بنشر العلوم الدينية من علم الكلام والفقه والحديث وذكر مناقب آل بيت الرسالة وحادثة شهداء كربلاء، والذى كان نتيجة طبيعية لسياستهم ووسيلة أيضًا من أجل تقدم هذه السياسة.

الأسلوب الهندى: ونتيجة لذلك فقد خرج الشعر من محيط البلاط وسقط فى يد العامة وابتعد شعراء الغزل والمثنويات عن إيران، واتجهوا إلى بلاط السلاطين العثمانيين وفى الغالب إلى بلاط الملوك الجورجانيين فى الهند(٢)، وبناءً على تشجيع هؤلاء الملوك رسخ فى الشعر الفارسى "الأسلوب الهندى" الذى كان عبارة عن إيراد المضامين المبتكرة القصيرة و"بيان المعانى الكثيرة فى الكلمات القليلة(٣)".

---

(١) عالم آراى عباسى، ج١، طهران، ١٣١٤.

(٢) الملوك التيموريون فى الهند مثل أكبر شاه وجها نـگير كانوا يجيدون الفارسية وكانت لديهم قريحة شعرية انتقادية، ويقدم أبو الفضل فى "آيين اكبرى" قائمة بأسماء شعراء بلاط أكبر شاه ويذكر واحدًا وخمسين شخصًا كانوا مقربين إلى البلاط ويقول : أولئك الذين لم يحظوا بسعادة المثول بين يدى الملك ومدحوه من مناطق العالم النائية كانوا كثيرين جدًا (شبلى النعمانى، شعر العجم، ترجمة فخر داعى، ج٣ – طهران، ١٣٣٤ش (٥-١٩٥٦م).

(٣) المصدر السابق.

إلا أن هذا الأسلوب الشعرى الذى كان قد ظهر فى الأراضى غير الإيرانية ونشأ ونما فى ظروف غير ملائمة، قد ضعف وتدهور يومًا بعد يوم ووصل التدقيق فى إيجاد المضامين الجديدة والاستعانة بالاستعارة والمجاز والصور الخيالية والأفكار الدقيقة البعيدة عن الذهن إلى حالة يرثى لها لدرجة أن أقوال وأشعار الشعراء قد خلت من الرقة والذوق(١).

ويتسابق شعراء هذا الأسلوب فى البحث عن المضامين الجديدة وغير المعروفة، وبعضهم يبالغ فى هذا الأمر إلى حد الابتذال بحيث أصبح من غير الممكن العثور فى أشعارهم على فكرة مبتكرة أو بديعة(٢).

وعلى حد قول ملك الشعراء بهار :

الأفكار ضعيفة والخيالات غريبة

والشعر غزير المعنى ولكنه ليس جذابًا

ويفتقر إلى الفصاحة

وكان كل شاعر يحمل همَّ المضمون

فتزداد معاناته،

ولهذا السبب أصبح الأسلوب الهندى مبتذلاً

---

(١) وجدت نماذج لهذا الأسلوب فى البداية فى بعض أشعار حافظ الشيرازى ونزارى الشيرازى والشعراء الآخرين، لكن هذه الأعمال ليست على درجة من الدقة التى تتغلب بها على المعنى.

(٢) يقول صائب التبريزى أكبر شعراء هذا العصر :

يسعى الرفاق للألفاظ الجديدة ويبحث صائب عن المعنى الغريب

وكان السعى خلف المضامين الجديدة يصل بالأمر إلى درجة أن شوكت البخارى أحد شعراء هذا العصر، والذى نال شهرة كبيرة فى حياته خاصة بين العثمانيين، يقول فى بيان حاله :

تمهّل فى النظر إلى ترابى بعين الطمع أيها الطائر الملكى

لئـــــلا يحـــترق شـــمـــع العظـــام مـــن ريـــح أهـــدابك

ويقول شاعر آخر من شعراء هذا العصر :

من كثرة ما تدرب على الكتابة فى المدرسة نحل

جســـــــمـــه وصـــــار كـــالورقـــة المسطـــرة

ولأن ساق النرجس تشبه القلم المجوف وتستمد عبرها الماء من الأرض، والشخص الذى يعانى من ألم الأسنان يجب أن يشرب الماء بالماصة فقد أتى محمد طاهر غنى الكشميرى بمثل هذا المضمون العجيب فى تشبيه عين المعشوق ومنافسة النرجس لها وتلقيها صفعة من يد رياح الصبا :

تكلمت النرجس عن عينك فصفعتها رياح الصبا على فمها

وهى تشكو الآن من ألم الأسنان وتشرب الماء بقلم البوص

وعندما يرى الشاعر نفسه أنهم قد عدوا عين المحبوبة ناعسة وكل من يذهب إلى الحانة يعود سعيدًا ومسرورًا، يستنتج الآتى :

عندما خرج مرود الكحل من عين الأحبة قال

سيروا إلى الحانة لكى تزيلوا غبـــار الخاطر

ويصنع شوكت البخارى الذى مر ذكره من ظل هدب عين النملة الفرشاه ويعطيها ليد الرسام لكى يرسم بها فم المحبوبة الدقيق :

من ظل هدب عين النملة صنع الرسام الفرشاه

وأخـــذ يرســم بهـــا فمــك الدقــيق

ويقيس أيضًا فى موضع آخر شحوب لونه بسرعة حامل الرسالة :

من شدة الضعف لا أقوى على شكر الرسول

فإن لونى يصير شاحبًا عند حمــل الرسالة

وشاعر آخر من شعراء هذا الأسلوب يسقى سيف المعشوق الخمر فيسقط قتلاه سكارى فى كل جانب :

لقد سقط قتلاك سكارى فى كل جانب

فهــل سقــــوا سيفــك خمـــرًا

وننقل عدة نماذج أخرى لأبيات فردية غزيرة المعنى لشعراء هذا العصر :

إن ديار العدم ذات جو صحى بديع

سكانها كلهم قد ناموا بثوب واحد

كليم الكاشانى

عنــدمـــا كـــانوا يصــفون شــراب أنوار التجلى

صارت رواسبه شعاعًا للقمر وخلاصته شحمة أذنك

بيدل الدهلوى

إذا ظهــر فتـــق حــذائى فـــإن هــذا ليــس عــيبًا

فإنه (أى الحذاء) يضحك على سيرى وتجوالى بلا فائدة

كليم الكاشانى

إن الدجال يعرف ذلك الجحر الذى تنبعث منه رائحة الثعبان

وأنا أعرف رائحة ذؤابتك إذا نقعتها فى المسك الخالص

شيداى الهندى

من ثورة الفلك يهتز ماء وجهى

ككأس ممتلئة تحملها يد مرتعشة

بيدل الدهلوى

إن اللقمة تسقط من الفم عندما لا تُقتسم مع أحد

فانظر ذات يوم إلى الجير الذى يتساقط من جذور الأسنان

واعظ

عليك أن تحل مشكلتك بنفسك فإن حلاَّلى المشاكل عاجزون

فالظفر لا يستطيع أن يخلع عقلة واحدة من الأصبع

مشرب

وحتى أن الشعراء الكبار والمشهورين فى هذا العصر مثل هاتفى الجامى، وأهلى الشيرازى، وهلالى الاسترابادى، وزلالى الخوانسارى، قد وصلوا بالتلاعب بالألفاظ والعبارات أيضًا إلى أقصى درجة وأفرطوا فى استخدام الرموز والإشارات الدقيقة.

ويعد مثنوى "سحر حلال" للشاعر أهلى أحد عجائب فن الشعر الإيرانى وطلاسمه ويمكن قراءة هذا المثنوى بوزنين وكل بيت منه له قافيتان. أما حافظ هذا العصر فهو محمد على صائب التبريزى (توفى سنة ١٠٨٨هـ ق)

والذى ترك ديوانًا ضخمًا من الغزليات والرباعيات، وفى وسط هذه الغزليات التى تعد تقليدًا وتكرارًا لأشعار أساتذة الغزل السابقين، يمكن فى بعض الأحيان اكتشاف مفردات متميزة ذات إشارات ورموز فنية، وهى فى الواقع نوع من النقش النفيس والبديع فهى جميلة وفاخرة مثل السجادة والخاتم الإيرانى، وقد جرت هذه الأبيات على ألسنة العامة كالأمثال الشعبية(١).

إلا أن صائب ومجموعة أخرى من الشعراء مثل فيضى الدكنى الذى نظم ديوان أشعار، وترجم أعمالاً أدبية عديدة من الهندية إلى الفارسية (توفى سنة ١٠٠٤ هـ ق) وعرفى الشيرازى والذى نظم أشعارًا كثيرة ومثنويات بأسلوب الأساتذة القدامى (توفى سنة ٩٩٩ هـ ق) وكذلك عدة أشخاص آخرين ممن كانوا قد رحلوا من إيران إلى الهند وعاشوا فى بلاط السلاطين المغول فى الهند، لا يمكن اعتبارهم من الشعراء الذين تربوا فى إيران نفسها.

وشعراء هذا العصر كثيرون والأشعار التى بقيت عنهم لا حصر لها وكأن مرض نظم الشعر قد استشرى فى هذا العصر ، فكل شخص – سواء فى إيران أو تركيا العثمانية أو الهند – يعرف قدرًا من الفارسية وصاحب قدر قليل من الموهبة الشعرية كان يحاول إعداد دفتر أو ديوان شعر باسمه.

يقال إن شاعرًا يدعى غواصى اليزدى كان ينظم فى اليوم الواحد خمسمائة بيت من الشعر، وكان عمله فى فترة عمره الطويل والذى امتد تسعين عامًا هو نظم الشعر، وقد ادّعى قبل موته بأربعين سنة ما يلى :

---

(١) كانت الفطرة الإيرانية الشعرية قد أدركت جيدًا أن كثرة أشعار صائب ليست فى صالحه حيث إنهم اختاروا أبياتًا من ديوان غزلياته باسم "گلچين صائب تبريزى" و"منتخبات أشعار صائب" و "صائب سخن مى گويد" و"زبده أشعار صائب" وقاموا بطباعتها.

ما هو معدود حتى الآن من شعرى   ألف وتســـعمائة وخمســون كتابًا

وقد نظم هذا الشاعر غزير الإنتاج الشعرى كتب روضة الشهداء ، وقصــص الأنبيــاء ، وتاريــخ الطــبرى ، وكليــلة ودمنــة ، والذخيرة الخوارزمشاهية، ولكن لا يوجد حتى بيت واحد من كل أشعاره يستحق الذكر.

وكما يروى سام ميرزا فقد كان هناك شاعر يدعى سيماى المشهدى، كان ماهرًا جدًا فى فن "التلقين" الذى راج فى العصر الصفوى لدرجة أنه كان ينظم فى كل ساعة ألف بيت سخيف وبلا معنى(١).

والخلاصة أن سوق الشعر فى هذا العصر قد تعرضت لحالة من الكساد الشديد لدرجة أن زلالى الخوانسارى يصف سير جواده بهذه العبارات :

إن ظله فى الصحراء وهو يقفز   كالغراب الذى فقــد عشــه

أما "وشانى" أحد الشعراء الآخرين لهذا العصر فقد حصل من الشاه عباس الكبير على مقدار وزنه ذهبًا مكافأة له على نظم أحد الأبيات فى مدح أمير المؤمنين علىّ مع أن هذا البيت ليس له أية قيمة من الناحية الفنية، وهذا البيت هو :

لو يسحب العــدو أو الحبيب الخنجر

فإن هذا بسبب حاجب محبوبه المقوس(٢)

---

(١) تربيت، دانشمندان آذربايجان، ص ٨٥. ي

(٢) يمكن مقارنته بأشعار شعراء بلاط السلطان محمــود الغزنــوى والــسلطان ســنجر السلجوقى والذين كانوا يحصلون على الجوائز من ممدوحيهم.

فترة الأفول :

فى أثناء الفترة شديدة الاضطراب التى أعقبت أفول نجم الدولة الصفوية وحتى اعتلاء فتحعلى شاه عرش السلطنة لم يكن هناك بالقطع أى مجال لنمو وتطور الأدب، ولم ينطق أى شاعر بالشعر فى هذه الفترة لدرجة أنه يجب اعتبار هذا العصر أفقر عصور الأدب الإيرانى.

ولم يهتم نادر شاه بالشعر ولا بالشعراء وكذلك لم يهتم به الشعراء[١] وليس معلومًا إذا كان كريم خان قد أعطى جائزة شعرية لأحد[٢]، لكن على الرغم من ذلك كان عصر كريم خان أكثر ملاءمة لمثل هذه الأنشطة الأدبية والفنية، وأن الخان الزندى كان قد أخمد الفتنة والثورة التى كانت قد اشتعلت فى إيران عقب مقتل نادر، حيث كان كل ركن من أركان الدولة قد سقط فى يد أحد المتمردين الأقوياء، وبذلك حقق الهدوء النسبى للشعب.

كان هذا هو حال الشعر الفارسى فى القرن العاشر وحتى القرن الثانى عشر الهجرى.

رواد النهضة الأدبية :

فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر – آخر عهد الأفشاريين وقبل أن يجمع فتحعلى شاه الشعراء، فى بلاطه الرائع بقليل – أدرك الملل ذهن الناس من الأسلوب المتكلف لعصر المغول والتيموريين وعيوب الأسلوب

---

(١) مقالات ملك الشعراء بهار حول العودة الأدبية، مجلة أرمغان، السنة الثالثة عشر، بين صفحات ٤٤٣–٧٤٨.

(٢) المرجع نفسه.

الهندى من تنسيق العبارات وحشوها بالصنعة البديعية والتكلف فى الألفاظ، وبدأت نهضة كبيرة نسبيًا فى الشعر الفارسى.

مدينة أصفهان : رغم أنها تعرضت للدمار الشديد إبان الفتوحات الأفغانية وتشتت شمل أهلها، ومع أن كريم خان الزندى، كما قلنا، لم يكن محبًا للشعر أو راعيًا للشعراء، ولم يكن هو نفسه يقيم فى أصفهان، ورغم غياب المقومات السياسية والاجتماعية لظهور مثل هذه النهضة فى هذه المدينة – فقد أصبحت مركزًا للنهضة الحديثة، وقام اثنان أو ثلاثة من أصحاب الذوق والقريحة بالإعراض فجأة عن الأسلوب الهندى الشائع وقلدوا طريقة الأساتذة وأسلوبهم هؤلاء الأساتذة عاشوا قبل خمسة أو ستة قرون، وهيأوا المجال لظهور شعراء أفضل منهم.

وكان أشهر رواد هذه النهضة الأدبية سيد محمد شعلة الأصفهانى (توفى سنة ١١٦٠ هـ ق) وميرزا محمد نصير الأصفهانى (توفى سنة ١١٩٢هـ ق) صاحب المثنوى المعروف "پير وجوان" ، وكان أشهرهم وأهمهم مير سيد على مشتاق أحد السادات الحسينية بأصفهان (توفى سنة ١١٧١ هـ ق) والذى تمتع بذوق وقريحة عالية فى نظم الغزل، وقد سعى فى تأسيس النهضة الحديثة أكثر من الجميع وقاد الآخرين لمحاكاة وتقليد أسلوب الأساتذة القدامى.

ونظرًا لتوجيهاته وتشجيعه فقد تجمعت حوله مجموعة من الشعراء الشبان الذين كان معظمهم من أهل أصفهان. ويجب أن نذكر منهم آقا محمد خياط عاشق الأصفهانى (توفى سنة ١١٨١هـ ق) ، وآقا محمد تقى صهباى القمى (توفى سنة ١١٩١ هـ ق) ، ولطفعلى بيك آذر بيگدلى شاملو (توفى

سنة ١١٩٥هـ ق) ، وسيد هاتف الأصفهانى (توفى سنة ١١٩٨ هـ ق)، وحاجى سليمان صباحى بيدگلى الكاشانى (توفى سنة ١٢٠٦ هـ ق)

وقد كان هؤلاء أول المجددين لأسلوب القدامى وكان مشاهير شعراء عصر فتحعلى شاه فى الغالب تلاميذهم وربائبهم.

وقد ظهر فى وسط دائرة نفوذ هذه الطبقة أشخاص آخرون كانوا يعارضونهم ويعتبرونهم منحرفين وفاسدى الذوق، وكانوا يتعرضون لهم بالطعن والذم.

ويكتب الصباحى لصديقه ومساعده رفيق الأصفهانى فى الشكوى من هذه الجماعة المعارضة وتعظيم الأساتذة القدامى :

لـــى شكــــــــوى مــن أبنـــــاء العصــــر

وأنت تعرفها فهى للحق أمر واقع فى هذه البلاد

إنهم لم يبحثوا عن الطريق وثبتوا على الطريق فى الإرشاد

لم يقتفـوا أثر الحقيقـة وجلسـوا فى دائـرة التحقـيـق

أوصلوا صرخة الفضيلة إلى عنان السماء وهم لا يعرفون

السهـيـل مـن السهـــا والصـهيـل مـن النهـيـق

يطعنون فى "الخـضر" وهم ضـالـون فى وسـط الوادى

يضحكون على "نوح" وهم غـارقـون فى وسـط البحـر

يطلقـــون لـســان الـــذم والطـعـــن فـــى العظـمــاء

والذين كانت أشعارهم هى طليعة الشعر وفى منزلة زهرة الشقائق

أكـــثــر مـــن ستمـــائة رقـــــدوا فــــى التـــــراب

وتـــــراب قبـــورهم يغـــير منـــه المســك الخالص

لا أحد من أهــل الـــدنيا ينكـــر بلاغتهـــم

سواء كان وضيعًا أو شريفًا، عبدًا أو حرًا

وعالم مثلك شاهد على صدق دعواهم يستحق أن

يسمع التصديق عـــلى هـــذا مـــن الروح الأمين

لا يـــذكـــــر هــــــــــذه الطـــبـــقـــة إلا بالخيـــر

مَـــنْ يطـــــابق بيـــــن اللفـــــظ والمعنـــــى

عندما يعجز الشخص عن فهم أسلوبهم وطريقتهم

فإنه يفكر لنفســـه فى مخـــرج مـــن المـــضيق

فيلصق بالشاعر القديم تهمة الهذيان

وينســـب للشعـــــــر القـــــــــديم التلفـــيق

لقد كانت طريقتنا هـــى اقتفـــاء أثـــر الأســـاتـــذة

والسائر خلف هداة الطريق لا تصل إليه الطعنات

جمعية نشاط : وصل ميرزا عبد الوهاب نشاط رئيس شرطة أصفهان إلى حكومة تلك المدينة فى عهد سلطنة آغا محمد خان، وقد التفت حوله جماعة من الشعراء، وكانت هذه الجماعة بصيرة بالأمور الأدبية، وأساليب الشعر المختلفة أكثر من الجماعة الأولى، لكن انفرط عقد جمعية أصفهان

وتفرق أعضاؤها بعد أن قام فتحعلى شاه باستدعاء نشاط إلى طهران.

شعر البلاط : باستقرار حكم الأسرة القاجارية استطاعت الدولة الإيرانية أن تتنفس الصعداء، وعلى الرغم من أن أسلوب حكم هذه الأسرة لم يختلف كثيرًا عن أسلوب العصر السابق فى العنف والحرب والقتل فإنه، على كل حال، قلما تعرض أفراد الشعب لبعضهم بعضًا بالإيذاء بل واستراحوا إلى حد ما، من عمليات السلب والقتل والنهب التى كان يقوم بها المتمردون والخارجون على القانون والذين كانوا قد ظهروا وأشاعوا الفوضى فى كل ركن من أركان الدولة حتى استقرت هذه الأسرة.

وقد أسهم استتباب الأمن نسبيًا واستقرار الحكومة الموحدة أيضًا فى إحياء العادات والمراسم القديمة من جديد، ولم يجد آغا محمد خان مؤسس الأسرة القاجارية فرصة بالطبع لتشجيع الشعراء بسبب انشغاله بالحروب والانتصارات، إلا أن ابن أخيه وخليفته فتحعلى شاه قام بإعداد بلاط فخم فى طهران وقرر أن يعيد حياة بلاطات العصور القديمة بما فيها من عظمة وجلال، وأن يجعل بلاطه مثل بلاط السلطان محمود الغزنوى والسلطان سنجر السلجوقى، وقد كان رجلاً قبليًا لا يعرف شيئا عن العالم، وكان شغوفًا باللهو والمرح والنساء وراغبًا فى كثرة الأولاد، وبرغم هذا كله فقد كان لديه قدر من التعليم والثقافة – فهو الرجل الذى عرف تاريخ إيران وكان يقرأ الشاهنامه ولم يكن هو نفسه بلا نصيب من الشعر فقد بقيت عنه غزليات كثيرة بتخلص "الخاقان".

وعلاوة على الشاه نفسه الذى كان يلاطف الشعراء كثيرًا ويمنحهم الجوائز القيمة، كان هناك أفراد من علية القوم مثل قائممقام الفراهانى كانوا هم أنفسهم كتّابا ومن أهل الفضل والكمال، وكانوا يقومون بتشجيع الشعراء

والكتّاب ويعلمّون الأمراء القاجاريين الشعر والأدب والخط منذ طفولتهم، ويعتبرون رعاية الشعراء بالنسبة إليهم نوعًا من التميز والشهرة، فقد كانوا يتسابقون فى هذا الأمر، ويمنحون الشعراء الجوائز والهبات الثمينة(١).

وعلى هذا النحو تجمع مئات الأفراد من شعراء الغزل والقصيدة من كل صوب حول الملك الشاعر والناقد، وكان على رأسهم جميعًا ملك الشعراء بهار وذلك أملاً فى التقرب إلى مركز السلطة ونيل الجوائز والهبات والحصول على لقب "أفضل الشعراء" ونيل لقب ملك الشعراء، وأسسوا مجمعًا أدبيًا باسم "مجمع الخاقان" ونظموا الشعر فى مدح اليد الكريمة للممدوح العظيم وولى عهده الشاب الوطنى عباس ميرزا نائب السلطنة والأمراء الآخرين والقادة والوزراء ورجال الدولة، وقد ظهر من بين هؤلاء عدد من الشعراء المجيدين ذوى الموهبة والقريحة مثال صبا ونشاط ومجمر.

العودة : وكان هدف هذه الجماعة هو تحرير الشعر الفارسى من الخراب والفقر اللذين حاقا به فى العصر الصفوى والفترة المضطربة التى تلته، إلا أنهم لم يجدوا طريقًا للوصول إلى هدفهم غير العودة إلى الأسلوب القديم فى النظم واتباع طريق الأساتذة العظام أمثال الفردوسى والعنصرى والفرخى ومنوچهرى وحافظ وسعدى وهو الطريق نفسه الذى كان قد سلكه من قبلهم الشاعر مشتاق ورفاقه.

وقد كانت العودة لأسلوب القدماء عودة كاملة بلا قيد أو شرط، وعلى حد قول نيما "عودة من أمام العجز إلى ناحية الأساليب القديمة المختلفة(٢)"

---

(١) مثلما أعطى لفتحعلى خان صبا أربعين ألف مثقال ذهب مكافأة له على نظم "شاهنشاهنامه" وأقرض معتمد الدولة نشاط أربعين ألف تومان من خزانة الدولة.

(٢) نيما، أرزش احساسات، صفحات ٥٠ ، ٥١.

فكان شعراء هذا العصر يحاولون إحياء أشعار السابقين بشكل كامل وبلا أى نقص وحاولوا نظم أعمال تتساوى مع أشعار عظماء العهد القديم، فأخذ ملك الشعراء فتحعلى خان صبا ينظم الشعر الملحمى والحربى على نسق الشاهنامة وبنفس الوزن والترتيب، وأخذ سروش ومجمر يقلدان قصائد الفرخى والمعزى الجميلة، وأخذ أشخاص مثل معتمد الدولة نشاط يؤلفون غزليات فى سلاسة وجمال أشعار حافظ، وأخذ كل منهم يعلن عن مهارته وكفاءته في تخصصه لدرجة أن أشعارهم لم تختلف عن الأعمال التى نظمت قبل خمسة أو ستة قرون من حيث مراعاة المسائل الفنية الدقيقة، وعلى هذا النحو عاد عصر السعديين والخاقانيين إلى الحياة مرة أخرى فى شعر بلاط فتحعلى شاه وخلفائه مع فارق يتمثل فى أن الأساتذة القدامى كانوا يهتمون بمعانى ومضامين أشعارهم وأقوالهم أكثر من تقيدهم بالوزن والقافية والبلاغة، فى حين أن شعراء عصر العودة كانوا يحاكون أشعار العصور السابقة أو يقومون بما يعرف بالتتبع أو الاقتفاء دون أن يكون لديهم مثل هذا الفكر والإحساس بفنهم، وأفضل ما يقال عنهم إنهم كانوا صناعًا مهرة أفذاذًا؛ فقد كانوا يصبون مجموعة من الألفاظ والعبارات البراقة اللامعة وفقًا لرغبة وتوصية زبائنها فى القوالب التى كان نموذجها قد وضع تحت أيديهم من قبل، ثم يسلمونها لصاحب العمل.

وأحيانًا كان الممدوح رفيع الشأن يبدأ غزلاً أو قصيدة ثم يأخذ الشعراء نفس هذا المطلع ويتبعوه بالعبارات التى يحبها هو(١)، أو كانوا هم أنفسهم

---

(١) مثلاً كان الشاه قد نظم مصراع "الكأس فى يد الساقى سافر الرأس" فى وصف إحدى حسناوات جناح الحريم التى ثملت من الخمر وأمسكت كأسًا فى يدها، فأكمله مجمـــر أرتجاليًا وقال "سهيل فى شعاع الشمس" [سهيل هو اسم نجم نادر الظهور].

يختارون قصيدة أو غزلاً للأساتذة ويقيمون مسابقة حولها ؛ بمعنى أنهم يحاولون فقط بنفس وزن وقافية هذه القصيدة أو الغزل أن ينظموا أى شيء يمكن أن يتساوى مع العمل الأصلى من حديث المتانة والانسجام[١]. فأخذ ملك الشعراء صبا – ينظم قصيدة فى وصف مجلس شراب الخاقان والأمراء متتبعًا شعر الأنورى:

عندما هبط هذا الطائر العملاق ذو الجناح الذهبى عند الفجر

مـــــن السمـــــاء وأظــلنـــى بظلـــــه المبــــــارك

طفــت أغنــــى متفـــائلا إذ إن جنــــاح هــذا الطائــر

ليــس لـــــه معــنــــــى فــى الدنيـــا إلا التـــاج ..

ويقوم مجمر بنسخها بعبارات أخرى وفقًا لذوقه.

عندما ظهر هلال صفر فى سقف القبة الخضراء

كان بالفعل كخط ذهبى فوق الكــرة الــزرقـاء

كان يظهر على تلك الدنيا الأزرق هذا كهنــدى جــالس فــوق الــرماد...

---

(١) للأسف لم تمح بعد بدعة المحاكاة و"اختبار القريحة" وقد شملت الآن أيـضًا شــعراء المحافل، والكثير من هذه الأشعار النضرة ذات التشبيهات والاسـتعارات الجميلـة والوزن واللحن الجذاب والتى تنشد فى المجالس والمحافل الأدبية بحمـاس ومتعـة كبيرة، تعتبر فى الغالب فقيرة جدًا من ناحية المضمون لدرجة أنها عند ترجمتها إلى أية لغة أخرى تفقد تمامًا لطفها وجاذبيتها التى كانت عليهـا فـى اللغـة الفارسـية والشخص الذى يعرف رموز وأسرار الفن الشعرى الإيرانى هو فقط الذى يـستطيع أن يفهم قصد الشاعر.

ويقوم ملك شعراء البلاط بتتبع شعر الأنورى مرة ثانية :

لتكن السماء أرضك أيها المــلك ولتكن يد القدرة فـــى ساعــدك

ليكن النجم الجامح والفلك العنيد هــادئين ومروضين تحت سرجك

وعلى الفور يقوم مجمر بنظم نظيره :

ليكن المُلك والدين ملازمين لك أيها الملك

ليكـــن كـــلاهمـــا جليسيـــك إلى الأبـــد

وينظم صبا الأحجية فى وصف "الرمح" :

ما ذلك الثعبـــان الذى يمر على صـــدر عـــدوه

خيزرانى الجسم وحديدى الذيل وفولاذى الرأس

أحيانا ذيله حربة على وسط الثور وأحيانًا رأسه منغرز فى كبد الأسد

ويصنع مجمر أحجية أخرى بعنوان نامه "الرسالة" بنفس البحر والقافية والرديف:

مـــــا ذلك البـــرعـــم الـــذى لا يتفتـــح مـــع ريـــاح السحـــر؟

البرعم الذى ما من أحد يسمع الأسرار التى يفشيها لرياح الصبا !

لا منة من رشحـــة سحـــابه أو رشحـــة مطـــر

فسحابه ومطره من تنهيدة القلب ودموع العين !

ويحاكى نشاط شعراء الغزل القدامى :

هؤلاء الحسـان اللائى هـن بلاء قلـب أهـل النظـر

هن أعداء الروح والقلب وهن أفضل من القلب والروح

أو

سلّمنا قلـوبنـا بأيدينـا للعـشـق فإلى أين سيأخذها وماذا سيفعل بها

أو :

إن بشرى الإحسان تصـل إلى أذنى فى السر

فأى بشائر تلك التى تعطينى الإلهام من الغيب

أو :

لا ضير إذا لم تكن عندى الثروة ولا زاد الطريق

فأنا ذلك الشحاذ الذى يعقـد آمـاله عـلى الملك

ويتفق معه أيضًا مجمر :

لو أنهم مع كل هذا الحسن واللطـف بشر

فهم إذن من سلالة أخرى ومن بلاد أخرى

لو كنت أنت صاحب الشهد وصاحب اللدغات

فالآخرون على حق، فأنا معك لا أدرى بنفسى

تارة يأخذونى إلى الحلم والخيال وتارة يوقظوننى

حبذا خـصم الصبـاح، حـبذا الصديق الملازم

ذؤابة الحبيب فى يدى وعينى على القمر

فأنا أحذر من النهار المضىء بالليل المظلم

ويتتبع نشاط طريق الأنورى "

أطلب من الشمــس هــلال القمــر الجديــد أيها الملك

فانظر إلى حاجب المحبوبة واطلب الشراب من الساقى

ومن خلفه أيضًا سحاب :

اطلب من الخمــر إكسيــر الشبــاب أيها الملك

واطلــب من الســاقى السرعة من أجل طول العمر

وقد استمر نظم الشعر بهذا الشكل، وينظم قاآنى القصيدة، مقلدًا شعر الفرخى الجميل :

صعدت من البحر سحابة عند الصباح فى السماء المظلمة

تــنــتــج وتــصــب وتــنــثـــر الجـــواهـــر

وسروش تقليدًا لقاآنى أيضًا :

ظهـــرت مــــن طــرفى السمـــاء ســحــابتــان صــائحتــان

وفجأة اصطدمت كل منهما بالأخرى فعلت الضوضاء من الناحيتين

نظرًا لأن العمل الفنى قد قام على أساس المحاكاة والتقليد فإنه لم تعد هناك أية فرصة للإبداع والابتكار أو أى مجال لأصالة الفكر والإحساس الحر

للشاعر، وقلما يلحظ فى ثنايا هذه الأشعار التى كانت تنظم بهذا الشكل أوضاع العصر والأحداث الوطنية والاجتماعية، فكانت هناك فواصل وفجوات بين أشعار الشعراء والحياة نفسها، ولم يكن يُشار إلى آلام العصر وصعوباته ومشكلاته أو القلاقل والاضطرابات التى كانت قد عمت أرجاء الدولة والبلاط نتيجة الحروب والفتن والهزائم المتتالية والسياسات الوصولية التى اتبعتها الدول المجاورة أو فقر الشعب وذله وعجزه والذى كانت هذه الأشعار قد نظمت بلغته وفى محيطه، أما البلاط الإيرانى فقد كان فى واد آخر بعيدًا ومنفصلاً، فقد غرق فى نوم عميق مع الشاه والأعيان والرؤساء مثل الدولة المسحورة فى الأساطير وأصبح غافلاً تمامًا عن الاضطرابات والإخفاقات والمظالم وكل ما يحدث فى العالم الخارجى بوجه عام، أو كما يقول الشاعر الروسى "كانت طهران تضطجع على سرير الراحة أمام النافورات الجميلة وتتعس منتشية بالنرجيلة فى جو مليء بالدخان"(١)، وفى تلك الحالة من النعاس والسُكر أخذ شاعر البلاط يمدح هؤلاء الملوك الغارقين فى النعمة والغافلين عن عالم الوجود بالأعمال التى لم يفعلوها وبالصفات التى لم تكن فيهم وذلك ضمن مدائحه الممتلئة بالمبالغة ، وقد كان المادح والممدوح كلاهما سعيدين ومسرورين مع أنهما كانا يعلمان مدى ابتذال هذا النوع من الشعر.

وبصفة عامة "فقد كانت حركة العودة انقلابًا قام به الشعراء لإسقاط

---

(١) من قطعة "المناظرة" تأليف ليرمونتوف التى أنشدها فى هذا الوقت (سنة ١٨٤١م) وقارن عبرها بين الشرق والغرب.

السلطة الاحتكارية لنمط الأسلوب الهندى الذى ضاق به الجميع، ومحاولة إيجاد ملوك للطوائف فى الشعر والأدب مع فارق أنه لم تظهر أية شخصية ألمع من الشخصيات السابقة، فكان من السهل ظهور حفنة من المدعين والمزيفين من أمثال : سعدى المزيف وسنائى المزيف ومنوچهرى المزيف وغيرهم"(١).

وكانت مضامين أشعار هؤلاء المزيفين تنحصر بوجه عام فى المدح والثناء ووصف الصيد والشراب وحفلات السرور والطرب مع بعض الغزل والتشبيب أو تصوير الطبيعة والزمان كالربيع والخريف والليل والنهار أو التصوف والعرفان أو الشكوى من الزمان والتأسف على العمر الضائع، مع نوع من الاضطراب والحسرة والخوف والحزن والتشاؤم من كل شيء، وندرة أسباب الراحة، والسعادة التى لم تدرك ولم توصف بعد بشكل جيد أو الدوران حول الأشياء المبهمة التى لم تتخذ شكلاً معيناً أو ثابتًا إلا بعد ظهور الثورة الدستورية والأفكار التحررية وجرت بعد ذلك على لسان الشعراء والكتَّاب. وما تقدم يكفى لمعرفة أسلوب ومنهج الشعراء وسمات وخصائص الفن الشعرى لهذا العصر ولا حاجة لنا بذكر أحوال وأشعار المجموعة الكبيرة جدًا من شعراء الدرجة الثانية والثالثة المحترفين الذين كانوا يتطفلون على موائد الآخرين ولا يستحقون إمعان النظر، وكذلك الأمراء والقادة وأعيان البلاط والذين أنشدوا الشعر من باب التفنن والاستعراض أو التقرب

---

(١) مهدى إخوان ثالث (م.اميد) "نيما مردى بودمردمستان " [كان نيما رجلاً اجتماعيًا] مجلة انديشه وهنر، العدد التاسع، فروردين ١٣٣٩ش [مارس/ ابريل ١٩٦٠م].

إلى الممدوح والحصول على الجاه والمكانة(١)، ومن بين هذه المجموعة سنقوم، على حسب ذوقنا وأسلوبنا وبقدر ما يتسع هذا الكتاب، بذكر عدد من شعراء الدرجة الأولى فقط ممن تحظى أشعارهم بالأهمية والذاتية إلى حد ما.

١ـ صبــا

يعد فتحعلى خان الكاشانى والمتخلص بصبا أشهر شعراء بلاط فتحعلى شاه وهو ابن آقــا محمد (ابن الأمير فاضل بيــگ بن الأمير شريف بيــگ بن الأمير غياث بيــگ) من أسرة كاشانية عريقة، وقد خدم معظم أفراد هذه الأسرة فى المناصب الحكومية، وكان جده الأعلى فى الأصل دنبليًا(٢) وقد

---

(١) ذكر الأمير محمود ميرزا بن فتحعلى شاه مجموعة كبيرة من شعراء عــصره فــى تذكرة (سفينة المحمود) على النحو التالى : الملك والأمــراء ١٥، كبــار القــادة ٤، الوزراء والعلماء ٤، شعراء العراق ٢١٨، شعراء فارس ٣٣، شعراء خراسان ٣٤، شعراء مازندران وجيلان ٣٢، شعراء أذربايجان ١٧، والمجمــوع ٣٥٧ شخــصًا والذين إذا أضفنا إليهم بنات الشاه وسيدات جناح الحريم اللائى كن ينشدن الأشــعار فى بعض الأحيان، والشعراء المغمورين الذين كانوا يعيشون فى أرجاء الدولة، ولم يعرفهم المؤلف أو تجاهلهم، فإن عددهم سيصل إلى ما لا نهاية.

(٢) حكم الأمراء الدنبليون فترات فى آذربايجان فى حدود خوى ومراغه، وقد كانوا تارة مستقلين وتارة تابعين للملوك الزنديين والقاجاريين، وقد أورد محمد بن يعقوب فــى المعجم أن الدنبليين قبيلة من أكراد مناطق الموصل خرج منها حمد بن نصر، والفقيه الشافعى وعلى ابن أبى بكر بن سليمان ومحدث الدنبلى، وقد جاء فى تاريخ أبو الفدا أنهم كانوا من جنود السلطان صلاح الدين يوسف الأيوبى، ويقول شرفخان: يــصل نسب هذه الطائفة إلى أمير من أمراء الشام يدعى عيسى، وقد جاءوا فى العــصور السابقة من تلك البلاد إلى إيران وتنسب هذه الطائفة ليحيى البرمكى (نادر ميــرزا، تاريخ وجغرافياى تبريز، وملك الشعراء بهار، مقدمة على "گلشن صبا" طبعة كوهى كرمانى، طهران، ١٣١٣ش [٤-١٩٣٥م].

رحل من هناك إلى العراق فى آخر عهد سلطنة كريم خان الزندى وأقام فى مدينة كاشان، وقد ولد فتحعلى خان فى كاشان وكبر فيها(١)، واشتهر فى شبابه باسم آقافتحعلى(٢)، وكان من تلامذة الحاج سليمان بيك صباحى بيدكلى.

كان فتحعلى خان فى البداية من مداحى البطل الزندى لطفعلى خان، وطبقًا لما هو معلوم فقد كان له ديوان فى مدح هذا الأمير القوى الشجاع وقد مزقه عقب حادثة قتل أخيه خوفًا على روحه. وظل فترة مطاردًا شريدًا ومغضوبًا عليه من قبل الجماعة الغالبة بسبب هذا الديوان حتى تقرّب إلى باباخان (فتحعلى شاه فيما بعد) فى الأيام التى لُقب فيها بملك العالم، ووصل إلى حكومة فارس من جانب آغا محمد خان، فقام باباخان والذى كان هو نفسه شاعرًا ومتعلما ورجلاً لطيفًا بدون شك، قام هو الآخر بتربيته ورعايته.

ومن مدائح صبا بشأن لطفعلى خان قصيدة مفصلة أنشدها عقب مقتل أبيه جعفر خان وجلوس صيد مرادخان بدلاً منه، ودعا فيها لطفعلى خان للتحرك من بوشهر والقدوم إلى شيراز من أجل إقصاء الأعداء عن السلطنة. وفيما يلى عدة أبيات من تلك القصيدة التى نظمها بأسلوب ووزن قصيدة الأنورى(٣).

---

(١) تاريخ ولادته ليس معلومًا بالضبط وبالاستدلال الذى قدمه ملك الشعراء بهـار (فـى مقدمته على كتاب گلشن صبا/ ربما يكون قد ولد فى عام ١١٧٩هـ ق.

(٢) ميرزا حسن زنوزى المتخلص بفانى مؤلف "رياض الجنة" يذكره فى كافة المواضـع باسم آقا فتحعلى التبريزى.

(٣) مطلع قصيدة الأنورى هو :

إذا مررت على سمرقند يا رياح السحر فاحملى إلى الخاقان رسالة أهل خراسان

اتجه يا رسول الشمال إلى ناحـية ميناء بوشهر

عند الملك العظيم ذى الخصال الظاهرة كالشمس

الملك المتربع على عرش المُلك لطفعلى خان الذى

معيـنه هو اللطـف العلـى وحبـيبه الله المتعال

إبـك دمـاً بعـد تقبيـل نسـاء حـرمـه

تضـرع ألمـاً بعـد تعطيـر غبـار قـدمه

وقل له على لسـانى أنا المسكين مشتت البال

قـل له علـى لسانى أنا الحزين مضطرب الحال

يا ملك المـلوك يا حاكم العالم يا حامل راية دارا

يا ملك العالم الشاب يا مالك سيف رستم وسهراب

***

ألا تعلـم مـاذا حـدث ومـاذا يقـع على

رؤوس الخلائق من ظلم الفلك العدوانى الطبع؟

الغـوريـون رفعـوا كلهـم التاج على رؤوسهم

والمحتالون وضعوا كلهم الخلخال المرصع فى أقدامهم.

أخذوا ثروة كل الرؤساء بالسلب والنهب

وأعطـوا الأمـوال لكـل العبـيد بكـبر

وهم يدقـــون الآن طبـــول الحكـــم باســـم

ذلك الـــذى ظل ليلاً ونهارًا نديم الطبال

......

فارحم وتعطف على ذلك الشخص الذى ذاب فى النار

بعـــد أن تـــألمـــت أنـــت مـــن ريـــاح الشـــمــــــال

مادام الشمس والقمر يتعاقبان فى السماء أيها الملك

فــــــلا تخشَ مـــن زوال نـــــور إقبـــالـــك

لابــــــد لـــلابـــن أن يأخـــــذ بثـــــــار أبيـــــه

حبذا لو كان ابنًا مثلك أيها الملك المبارك الخصال

آن الأوان لكـــــــى تستـــنــصـــــر الحـــــظ

آن الأوان لكـــــــى تتــعجـــــــل القـــتـــــال

ذلك الخسيس الذى يرخى قدمه الآن على الإيوان

ذلك الظـــالم الذى يجلـــس الآن علـــى العـــرش

لقد كان له صـــدر يئن كالنــــــاى خـــــوفًا مـــنك

وكــــــان له جســـد يرتعش كالزرزور هلعًا منك

إن أهـــــالى هـــــذه البـــــلاد كلهـــــم فـــداؤك

صغـــيـــرهـــــم وكبيرهم، نساؤهم ورجالهم...

وقد حضر فتحعلى خان إلى طهران فى عام ١٢١١هـ ق وأنشد فى عيد جلوس فتحعلى شاه (١٢١٢هـ ق) قصيدة جميلة أعجبت الملك[١]، فعلا شأنه يومًا بعد يوم حتى لُقب بملك الشعراء وحصل على اسم "الخان" ومنصب حسبة الممالك، وتولى أيضًا حكومة قم وكاشان لعدة سنوات ثم ترك بعد ذلك الحكومة، وظل ملازمًا لركاب الملك، وعين فترة أيضًا حاملاً لمفاتيح عتبة قم المقدسة.

وفى آخر عام ١٢٢٣هـ ق استشرى المرض والجفاف فى قم، فحضر صبا إلى طهران بإذن وفرمان الملك وكُلف من طرفه بمأموريتين إحداهما فى آذربايجان والأخرى فى التركستان، وقد رافق صبا الملك فى عام ١٢٢٨هـ ق عندما قصد آذربايجان للمشاركة فى جبهة الحرب الإيرانية - الروسية، لكنه مرض على بعد عدة فراسخ من زنجان وعاد إلى طهران، وحدث فى هذا السفر أيضًا أنه تلقى الأمر من الملك فى أثناء العودة بنظم كتاب فى بحر المتقارب (بنفس وزن شاهنامه الفردوسى) بعنوان "شاهنشاهنامه" وقد أتمه صبا فى أربعين ألف بيت[٢] فى مدة ثلاث سنوات[٣]، وقد حصل على جائزة قدرها أربعون ألف مثقال ذهبى[٤]. وفى عام ١٢٣٣ هـ ق

---

(١) كان مطلع القصيدة كالتالى :

شمســان بهما تجددت الأرض والزمان واحدة حُملت إلى القصر وواحدة إلى الفلك

(٢)عدد أبيات الشاهنشاهنامه المطبوعة لا يتجاوز ٣٣٠٠٠ بيت .

(٣) فى ثلاثين عامًا هذه الرواية البهلوية أعــدهــا الفــــردوسى شــريكى فطلــبت من الملك العظيم أن أنظمها فقمت بإعداد هذا العمل النفيس فى ثلاثة أعوام.

(٤) يقال إن الملك قد قال له : لقد وعد السلطان محمود الغزنوى الفردوسى ولــم يــف بوعده، ونحن دون أن نعد سننفذ وعد السلطان محمود فيك أنت.

حدثت مجاعة شديدة في خراسان، وكُلف صبا بأمر خراسان كرئيس لهيئة الإغاثة، وقد وصل إلى هناك بعد أن واجه مشقة وصعوبات كثيرة بسبب برودة الشتاء القارسة، وقام بتوزيع الإعانات على المحتاجين ثم عاد إلى طهران.

وبعد هذا السفر ظل صبا في بلاط فتحعلى شاه بصفته الخادم والنديم الخاص و"ملك الشعراء"، إلى أن توفى بطهران سنة ١٢٣٨هـ ق بعد عمر دام ستين أو تسعة وخمسين عامًا، ويكتب جريبا يدوف السفير الروسى فى البلاط الإيرانى بتاريخ ١٤ يوليو ١٨١٩م (١٢٣٤هـ ق) ضمن كتاب رحلاته : "ويعد الشاعر فتحعلى خان البالغ من العمر ستين عامًا رجلاً مؤدبًا ومتواضعًا وبشوشًا ويتكلم بهدوء ويحب القص والسرد، وقد وضع الملك فى فمه حفنة من الماس مكافأة له على إحدى القصائد"(١).

شعر صبا : كان ملك الشعراء صبا متبحرًا فى الأدب الفارسى، وكانت لديه إحاطة كاملة باللغة العربية ولقد أنشد أشعارًا كثيرة من الغزل والمثنوى والرباعى والترجيع بند، لكنه تفوق فى نظم القصيدة وهو فى هذا الفن، مع تقليده للأنورى، له أسلوب ومنهج خاص حيث قام قا آنى وأديب الممالك الفراهانى وكثير من شعراء القرن الثالث عشر بتقليد ذلك الأسلوب بعد ذلك.

ويراعى صبا دقة الصنعة اللفظية والمعنوية بل إنه يستخدم الألفاظ والمصطلحات المهجورة وغير المتجانسة فى قصائده بمهارة كبيرة.

وديوانه من عشرة إلى خمسة عشر ألف بيت، وله بخلاف الشاهنشاهنامه التى سنتحدث عنها على حدة، مثنوى بعنوان خداوند نامه فى

---

(١) جريبايدوف، كليات، لينتجراد ، ١٩٤٥م.

بيان معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم، وحروب وبطولات سيدنا عليّ أمير المؤمنين، ورسالتان منظومتان بعنوان عبرتنامه تقليدًا لتحفة العراقين للخاقانى، و"گلشن صبا" فى نصح ولده[١]، ويعتبر "گلشن صبا" من أفضل أشعار صبا وقد نظمت هذه الأشعار تقليدًا لأسلوب سعدى وهى رصينة وبسيطة وسلسة جدًا.

شاهنشاهنامه : يعتبر مثنوى "شاهنشاهنامه" أعظم مثنوى لصبا، وهو قصة ملحمية بنفس وزن شاهنامه الفردوسى ونمطها ، وهو فى مدح فتحعلى شاه ذكر وقائع سلطنته ومآثر آغا محمد خان وأجدادهما وحروب عباس ميرزا ضد الجنود الروس وفتوحاته، ونصائح وموضوعات أخرى.

وقد أشاد المعاصرون كثيرًا بهذه القصة، حيث أتم الفردوسى الشاهنامه فى ثلاثين عامًا، أما هذا الأستاذ فقد نظم سبعين ألف بيت فى ستة أعوام، لكن "إذا حذفت من السبعين ألف بيت مناقب آل البيت، والألفاظ الصعبة المعقدة التى لا يفهمها إلا الخواص وأهل العلم والأدب واللغة فلن يبقى منها سوى سبعة أبيات تعادل بيتًا واحدًا من أبيات الشاهنامة الثلاثين ألف.." [٢].

ورأى المعاصرين فيه ليس رأيًا فيه مبالغة فحسب، بل إنه رأى ساذج، والشاعر نفسه برغم كل ادعاءاته ومزاعمه ووصفه لنفسه من باب التفاخر بأنه "شريك الفردوسى" و"الشاعر الحديث"، وتحذيره بأنه ينبغى عليهم أن "ينسوا الأشعار القديمة"، إلا أنه كان يعترف دائمًا أو على الأقل فى آخر عمره بالتفوق التام لمكانة الفردوسى.

---

(١) محمد حسين ملك الشعراء، المتخلص بعندليب.

(٢) مجلة يا دگار، السنة الخامسة العددان ١ ، ٢ (نقلاً عن حديقة الشعراء).

يكتب مؤلف حديقة الشعراء :

«.... وقبل وفاته بأربعـــة أيام طلب ذات يوم وأهله وأولاده وأجرى حديثًا عن الشعر، وبعد ذلك قال لأحدهم اقرأ جزءًا من منظومتى "خداوندنامه"، وبعد ذلك قال لآخر : انشد بعض أبيات شاهنشاهنامه فأنشد هو الآخر، ثم قال احضروا شاهنامة الفردوسى أيضًا ولتقرأوا بعضها، فأحضروها وفتحوها وبالصدفة كان هذا البيت هو أول الصفحة :

يصير الجبل الصلب كالبحر السائل إذا سمـــع اســـم افــراســياب

وبمجرد سماعه لهذا البيت تغير حاله وأدرك فى الحال الفارق الشاسع بين أشعاره وأشعار الأستاذ..» (١).

وفى مجال مقارنة "شاهنشاهنامه" برائعة الفردوسى الخالدة، يجب القول قبل أى شىء إن هدف شاعر بلاط فتحعلى شاه كان يكمن فى نظم ملحمة تاريخية ، إلا أن تقليده الأعمى لأسلوب بيان الفردوسى قد أجبره على أن يتغاضى عن مراعاة الحقائق التاريخية، والقصة كلها ممتلئة بالألفاظ القديمة، والتعبيرات والاستعارات كلها مأخوذة من الفردوسى أما شرح الحروب والبطولات فهو انتحال كامل لمعارك أبطال القصص الإيرانية، ويحاكى صبا قالب الفردوسى محاكاة عمياء دون أن يدرك تغير الوضع التاريخى واختلاف العصر، ويعتبر بحث الوقائع الحقيقية، فى هذه القصة بلا فائدة، وجميع الأحداث غارقة وضائعة فى بحر لا نهاية له من المحسنات البديعية، والفردوسى لا يتحدث إلا بحكم الضرورة أما صبا فإنه مشغول بتزيين الكلام، وبصفة عامة فإن عمله (شاهنشاهنامه) ليس إلا منظومة مدح معقدة

---

(١) مجلة يادگار، السنة الخامسة، العددان ١، ٢ (نقلاً عن حديقة الشعراء).

فى شأن فتحعلى شاه وابنه عباس ميرزا، وفى الواقع فإن القصيدة قد أعطت مكانها لمنظومة مدح مفصلة فى قالب المثنوى.

وبالرغم من كل هـذه العـيوب الذى ذكرناها فإن قصـة صبا جديرة بالاهتمام سواء من حيث جمال البيان أو إبراز رأى البلاط الإيرانى وموقفه الرسمي بشأن الجار الشمالى: فالشاعر لا يستصغر العدو ولا يحقر من شأنه فى أى موضع من المواضع، وإنما يعرضه دائمًا فى صورة العدو القوى القدير، وعندما ينتصر الإيرانيون فى نهاية الأمر على مثل هذا الخصم القوى العنيد فإنهم فى الغالب يتباهون ويفتخرون بفتحهم وانتصارهم.

وقد وُصف الجنود الروس وقائدهم بأبيات من هذا القبيل :

عجبًا لقتال الجنود الروس ذوى الشعر الأشعث

عجبـًا للأنين الـذى يصدر من صوت الطبول

إنهم جميعًا فى فعل الشياطين وطبع السحـرة

عـروفهـم وخوذاتهم من النحـاس والحـديد

يمسكون فى أيديهم ثعبانًا ضخمًا من الحديد

فمـه مـفـتـوح كـغـار سـحـيـق

كـل منهـم هائـج كـالذئـب الجـائع

مفـتـرسـون كـالأسـود

بقامة طـــويلة وســـاعـــد ضــــــخـــــم

كلهـــم بوجـــه كثيف الشعر مثل الأسد

وفى القلب "اشبخدر[١]" قـــوى القبضـــة

كالنمـــر المفتـــرس والتمساح الملتوى

كعفريت قامته مـــن النحـــاس والحـــديد

وخوذته من الحديد ورمحه مـــن الحديد

عجبـــًا عندما يقوم بإشعال البـــركـــان

لا يقـــدر عليـــه الفيـــــل الـــهـــائـــج

لـــو يمـــر مـــن فـــوق مـــوج البحـــر

يثيـــر الشـــرر مـــــن قـــــاع البـــحر

إنه فى المعركة التنين ذو النفس الحارق

يحـــــرق العـــالـــم بنَفَســـه الحـــارق

أشعل نارًا كثيفـــة فى روما الجـــميلـــة

أشعل نارًا شـــديدة فيمـــا حـــول روما

---

(١) على ما يبدو تحريف للكلمة الروسية "اينسبكتور" بمعنى المفتش ويُقصد بها الجنـــرال باول ديمتريفيتش سيسيانوف (١٧٥٤-١٨٠٦م) الأمير الجورجى الذى كـــان قائـــدًا للقوات الروسية فى القفقاز، وضم ولايات القفقاز لروسيا، وقد قتل خلف أسوار باكو بيد الإيرانيين.

وجعلــها كشــراب ســاخــن فى كأسه

وكقطعة كــباب من فخــذ الخــنازيــر

على هذا النحو وجد فى الدنيا طعامه

وعلى هــذا النحــو تربــى جســده

إلا أن قائدًا كهذا بكل هذه العدة والعتاد يرتعش أمام العسكريين الإيرانيين الشبان :

وعندما علم "اشبخدر" ذلك الشيطان المقاتل ... بتحــركــه وتخطــيطــه فى "كنجــه"

ارتعــد جســده واحــمــرت شفــاهـــه ... المتحسرة وصار وجهه كالسرو الجبلى

أخذ يعض على شفاهه فى كل لحــظة عضة ... خفيــة ولكــن الســر قــد انكــشــف

أخذ يقول : إن حظ الإمبراطور قد ولىَّ ... فقـــد قــلبــت الــريــاح عــرشــه

لقد قلت مرارًا إن إيران ليست الهند أو الروم ... فلم يحقق أحد النجاح فى تلك الحــدود

لا تذهب إلى تل العقارب بأمــل ورغــبة ... فـــــإنك لــــــن تنجــــــو مــنــه

اصــمــت ولا تــذكــر اســـم إيـــران ... ولا تجعــل الحــظ السعيد يعرض عنك

فــــإن ترابهــــا قــد امتزج بدم الأسود ... ومقــبــرة ملــوكهــا كهــف مظــلم

لا تنصت لهذه الشرذمة الذليلة من المأجورين ... فــإن هــؤلاء كــالحــيوانات المــفترسة

إنهــم خــوفــًا مــن سيــف ملك إيران ... قد اختاروا مكانًا فى الكهوف كالشياطين

لا تظـــن أنهـــم مـــــــن إيـــران ... أو مــن المشــاهــيــر والشجعــان

إنهــم كلهــم كــالشياطيــن الأنجـــاس ... قطــاع طــريق كــالشياطين الأنجاس

لا أحـــــد فى إيــران يعــرف أسمــائهم وأملهــم خــائب وضائع مثل أسمائهم
أحـــدهم ذئب عجــوز يدعى بولكونيك[1]، وهــو قائد الجَيش فى تلك المجموعة
شيطـــــــان عجـــــــوز محـنــــــك لديه دراية كبيرة فى الزحف العسكرى
عنــدما رأى قــائد الــروس خائفًا بشدة وقــد أصفــر لــونه كالســرو الجبلى
وفى الليــل يطيــر النــوم مــن عــينه وأن روحه قــد أصيبت بالفزع الشديد
قــال له : ياقــائد الجيــش الــروســى هــل ضحــك عــليــك الشيطـــان ؟
ماذا حدث لك أيها البرق المــضئ للــدنيا إننـــى أرى فـــى عينيــك ظلمة النهار؟
لقد تقــدمت مــن جبــال البرز إلى الهند وأشعــلت نــار الانتقام فى بحر السند
وفى تلك البلاد أيها الملك المثــير للغبار لا يوجد بها مهراجا ولا چيبال ولا رايا

* * *

بكل هذه العظمــة والفخــامــة والجــلال بكل هذه القوة الجسمانية والقدرة الحربية
وتخـشــى طـفـــــلاً صـغـيـرا[2] لــم يبلــغ أكثــر مــن ظــل المظـلة
لــم يحتــك بالعــالم ولــم ير أى عذاب جســـــده الحــريــرى الــرقــيـــق
تـــربّى علـــى اللـبـــن والسكـــــر طعـــامــه مــن الحلــوى الخــالصة
نشــأ وتــربـــى داخــل الإيــوان الملكى لــم يُهــزم إلا مــن شعــر التركيات

---

(١) كلمة روسية بمعنى قائد الفوج أو العقيد، والتى تصور الشاعر أنها اسم لذلك الشخص.

(٢) المقصود الأمير عباس ميرزا نائب السلطنة.

لـــم ينهكـــه تعـــب الحمـــــى والذبول وفـــى مـــهـــــده صلــــــى الملـــوك

أتظل هكذا بلا طـــعام ولا نوم ولا عقـــل وبجسد مثخن بالجراح وروح مضطربة !

عدة نماذج من أشعار صبا :

قصيدة فى وصف الربيع

حينما اتجهت هذه الزنبقة[1] نحو برج الحمل تلـــونت شفـــاه زهرة الشقائق باللون الأحمر النارى

ومن الأرض الخضراء المائلة للزرقة تلون الغزلان بلون الزمرد وقدمها لون المرجان الأسود

انظـــر الآن إلى قـــوس رســـتـــــم فـــإن له تقـــوس القـــوس الشـــاشى كثير الثنايا

الطبيعة فى جمـــالهـــا كجـــنـــاح الطـــاووس والأرض فى فيضهـــا كجناح الديك البرى

فى يـــوم كهـــذا لا يجـــوز الـــــروضـــــــة حمـــل الهمــــــوم والتفكيـــر فى الرواق

ولقد قفزتُ من مكـــان بمـــــائة فـــرحــــة وعزمت على تقبيل الأرض أمام الملك الحاسم الرأى

وجلست على جواد سريع قاطع للصحـــــراء والذى سرجه الجميل هو إيوان برج السرطان

كـــأن سرجه القمر وغطـــــــاءه السمـــاء وركابه الشمس الجميلة وحزامه المجـــرة

إن كل مملكـــة الـــرى قـــد بدت أمـــام عينى وسبحـــان الله فقد تلونت الأرض بلون السماء

جـــوهـــا مثـــل جـــو التبت فى فصل الربيع وأرضهـــا معرض صور مثل كتاب مانى

---

(١) كناية عن الشمس

مقدمة إحدى القصائد[١].

فى الليل اتجه هذا الطائر العملاق ذو الجناح النارى[٢]   باسط جناحيه نحو الغرب

بسط غراب[٣] جناحيه من ناحية الشرق   وأظل بجناحيه الأرض والسماء

جسده الجميل تغطى بالشعر الأسود   وفى كل تجعيدة من شعره يظهر جناح فضى[٤]

وكأن خازن هندى قد نثر   على هذا الجلد الأخضر غير المدبوغ[٥] الجواهر[٦]

وعندما خرج من هذه الغابة أسد صياد   حاد المخالب وانتقل ناحية الوادى الآخر

صارت للأرض صرة مملوءة بالمسك الخالص   من صرة (نافجة) الغزلان بيض الأقدام

لأتحدث بوضوح إلى أصحابى عن هذا الأمر   فقد كانت ليلة مظلمة وكنت أنا مهمومًا

مصباحى فيها هو عين العقرب   وحجرتى هى فك الثعبان

ورفيقان مخلصان زنجى ورومى   أحدهما على اليمين والآخر على اليسار

فذاك الزنجى عزب الشفاه كان ثملاً جدًا   لدرجة أنه كان يمزق حرير شوشتر الذى يغطى جسده

وذلك الرومى فضى الجسد كانت ساقه كالياسمين   والذى كان يدهن جسده بالكافور والعنبر

---

(١) تقليدًا لقصيدة الأنورى بهذا المطلع :

- حينما كنت تحت مركز السماء المدورة   اختبأ جرم الشمس المنورة

(٢) الطائر النارى، كناية عن الشمس

(٣) الغراب، كناية عن الليل.

(٤) جناح فضى، كناية عن النجمة

(٥) الجلد المدبوغ، كفل الجواد، الجلد المدبوغ المغضن، كناية عن السماء.

(٦) الجوهرة، كناية عن النجمة.

حينمـــا شاهــدا حبـــى لهمـــا فى الخفاء تشـــاجــر هــذان الحبيبـــان بسبب الغيرة

فى البداية تطاول ذلك الزنجى على الرومى وأطلـــق لســـانه فكان فى الحدة كالمشرط

فقـــــال يا كــــذا وكــــذا، كــــم ظـل وجـــهى شاحب اللون بسبب الغيرة منك ؟

أنا التـــزم الصحبـــة فى مكـــان واحــد وأنـــت دائـــم الغمـــز واللمز على كل باب

فتـــألم الـــــرومـــى وتأثــــر بقـــوله وقـــال له أيهـــا الفــاســق المحــتال

إننـــى حـــائر فى كـــل حى بسبب حيلتك إننـــى هـــائم فى كـــل مكان بسبب خداعك

عنــدما تــرى جســدى كجناح الطاووس فــإنـك تقـيدنـــى عـــلى جـــناح الحمامة

أنا مســـافــر فـــى الشـــرق والغــــرب مـــن أجـــل نشـــر مـــدح الملك المظفر...

ومن "خدا وندنامه" فى التوحيد :

باســـم الله مـــصــــــور الأبصـــــــار خـــــالـــق العـــقـــــل، ومصـــور الخلـــق

رب هــذا البــلاط المــزدان بالجــواهر رافـــــع هــــــذا البــلاط العــنــبـــرى

ظهـــــوره محجـــــوب عـــن الخــلائق ولكــن الــرؤيـــة لا تخــفـــى علـــى الله

كـــل ذرة فـــى الشمـــس تدل على وجوده وكل قطرة فى البحر العميق تدل على وجوده

انظــــر إلـــــى البصــيــــر الخـــــالـــق انظــر بعــمــــق إلى الــرؤوف البصــير

فـــلك عيـــن مفتـــوحـــة من خلال عقلك علـــى بـــــلاط خـــــالقـــك العـــظـــيـــم

وفى مدح الكلام :

إن حافظ العالم قد خلق العالم من الكلام فقــد ظهــرت هــذه الخليقة بفضل الكلام

والكــلام أسمــى مـــن أى مخلـــوق   فــالكلام جوهره أحسن من جوهر الخليقة

شهــــرة الرجــل بين النــاس بالكــلام   لا بالعظــام الصلبــة ولا بالجســد الرقيق

مــن زادت قـــدرته عـــلى القـــول   زاد استــحــقــاقــه للشهـــرة والسمعة

إن المتحــدث قــلبـــه لا يهــاب المــوت   فالكلام مطرقة وخوذة حديدية تحميه من الموت

إن لســان المتحــدث مــا هــو إلا خنجر   تــارة يصــب الشهــد وتــارة يبــخ السم

كــل حـــلاوته لهـــؤلاء العـقـــلاء   وكـــل سمــه مــن أجـــل الأغــبيــاء

إن الشخــص المتكلــم لــم ولــن يموت   فالكــلام هــو أســاس الروح وقوة الجسد

والكــلام الطــاهــر لا يمكــث فى التراب   وجســد المتكلــم الطاهر ينطق فى التراب

الكــلام هــو السمــاء وأنا فيها الشمس   أنا نفــس هـــذا المتــكلــم الطــمـــاع

إننى ســأشعـــل الآن مــن الكلام ثورة   فلســانى صــادق تمــامــا كالسيف الحاد

أعطنـــى كــاســـاً مــن الشجــاعـــة   كــى أتمتــع بــرأس كــلامهـــا مباشرة

استــمـــع لقــائل الكـــلام الجــديــد   وانـــس الأقـــوال القـــديمـــــة

ومن گلشن صبا "الكاهن الزردشتى المسن" (١):

سمعــت أن كـــــاهـــنًا زرادشتيــًا مســنًا   فــى تلك اللحظــة التى كان يحتضر فيها

كــان جســده الطــاهر من أشعة الشمس   كــالشمــع فى النــار وكــالسكر فى الماء

---

(١) يمكن مقارنة هذه الحكاية بنظائرها فى بوستان سعدى ومخزن الأســرار للنظــامى و"خانهء سقراط" [بيت سقراط] تأليف عباس شهرى أحد الشعراء المعاصرين.

فقال له أحد الأشخاص : أيها الكهل المعمر   لقد احترق جسدك من أشعة الشمس

فلماذا لم تؤجر لك فى حياتك   منزلاً مؤقتًا لدفع الأذى عنك؟

فتوجع وتأوه وقال : فى هذه الأيام القلائل   لو كانت الراحة فى الظل ما تعب أحد

فالعظماء قد تحرروا من الدنيا   ولم تتعلق بها قلوبهم مثلنا

فلا تتعلق بالدنيا وكأنك واحد من السالكين   ولا تجرى وراء السراب

٢- نشاط

ولد ميرزا عبد الوهاب "نشاط" أحد سادات أصفهان المشهورين بمدينة أصفهان عام ١١٧٥ هـ ق، وحكم جده عبد الوهاب أصفهان، وترك لأولاده أموالاً وثروة كبيرة، وقد حظى نشاط بنشأة طيبة وتعلم اللغتين العربية والتركية علاوة على لغته الأم، وتميز على أقرانه فى حسن الخط، وكان ملمًا بالشعر والأدب الفارسى والعربى وعلوم عصره من العلوم الدينية والرياضية والفلسفة الإلهية والمنطق.

وعندما ظهر على الساحة صار من أشد المؤيدين لمدرسة "العودة الأدبية"، وفى الوقت الذى كانت فيه مدينة أصفهان مركزًا لهذه الحركة وهذه النهضة الشعرية والأدبية فتح أبواب مضيفته لاستقبال الكتاب والعلماء، و"كان مجلسه مجمعًا للشعراء والظرفاء[١]" الذين كانوا يتجمعون هناك مرة واحدة كل أسبوع ويتحدثون بإفاضة، وقد قام هو ورفاقه بإنشاد الشعر بأسلوب القدامى وأحيوا من جديد منهج الأدب الفارسى القديم. وحضر نشاط إلى طهران سنة ١٢١٨هـ ق حيث كان قد مضى من عمره ثلاثة وأربعون

---

(١) رضا قلى خان هدايت، مجمع الفصحاء.

عامًا، ووجد طريقه إلى بلاط فتحعلى شاه، وعين فى منصب الكتابة والإنشاء ولقب بلقب "معتمد الدولة" ثم عين بعد فترة رئيسًا لديوان الرسائل وقد قيل فى شرح أحواله : مع أنه لم يكن محرومًا من أموال الدنيا وكان عنده دخل خاص من أملاكه فى أصفهان إلا أنه نظرًا لكونه رجلاً كريمًا ومضيافًا فقد صرف كل ما معه فى فترة قصيرة بل واقترض مبلغًا كبيرًا من المال حوالى ثلاثين أو أربعين ألف تومان، ولكى يقوم بعض رجال البلاط بتوبيخ وتقريع الشاعر تحدثوا عنه عند الملك فقالوا : "إن الأكابر يأخذون أموال التجار بلا حساب ويأكلونها ظلمًا" إلا أن هذا الكلام كان فى صالح ذلك الرجل العظيم، فرق قلب الملك لحاله وأمر بأن يحضر الدائنون إلى البلاط ويأخذوا دين الشاعر من مال الملك راعى الشعراء، فكانوا يحضرون جماعة جماعة من الصباح إلى المساء ويحصلون على الصرر واللفائف"[١] وبعد أن وصل نشاط إلى رئاسة ديوان الرسائل، رافق الملك فى كل مكان فى السفر والحضر، وكانت معظم الأحكام السلطانية والفرمانات الرسمية ورسائل الملك الخاصة وعقود ووصايا أفراد الأسرة الملكية تكتب وتحرر بخطه وإنشائه، وقد ظل فى هذا المنصب حتى آخر عمره.

وقد سافر نشاط إلى باريس ذات مرة ضمن أحد الوفود نيابة عن الملك، والتقى بنابليون الأول، وفى سنة ١٢٣٣هـ ق كلف بإخماد الفتنة والاضطرابات فى "غوريان" و"باخرز"، وقد تولى بنفسه قيادة القوات ووقع فى الأسر أثناء المعركة، ولكنه أجبر بنياد خان حاكم غوريان وباخرز أثناء أسره على كتابة رسالة إلى شجاع الدولة والى خراسان وطلب منه العفو،

(١) ديباجهء گنجينه، طهران، ١٢٦٦هـ ق.

وعلى هذا النحو هدأت فتنة بنيادخان وعاد نشاط إلى طهران، وفى سنة ١٢٣٧هـ ق كلف مرة أخرى بإخماد فتنة الأفغان وقد أتم هذه المهمة أيضًا بنجاح.

وقد عاش نشاط فى طهران منذ عام ١٢٣٧ هـ ق وحتى آخر عمره، ورافق فى الغالب أهل الطريقة والسلوك حتى توفى بمرض السل وهو فى التاسعة والستين من عمره يوم الاثنين الخامس من ذى الحجة من عام ١٢٤٤ هـ ق (قبل موت ممدوحه بست سنوات) (١)، ويكتب قائممقام فى أحواله : "تذوق الخمر دون أن يشربها، وثمل من الكأس دون أن يلمسها.. خلع ثوب الطهر ذات مرة وألقى دعوى التقوى جانبًا، فلم يعد يحب أو يكره أحدًا ولم يبق فى قلبه الكفر أو التدين... لاشك أن تصرفه كان مستبعدًا فى نظر الخلائق الذين وقعوا فى فخ الأهواء ولم يتخلصوا من قيد الطبائع، وارتاب كل شخص فى أمره ونسب إليه عملاً لم يكن له دخل به ولا يتفق مع عاداته..."

ويقول هو نفسه فى إحدى الرسائل : " يعتبرنى إمام المسلمين كافرًا ورئيس الأطباء مجنونًا، وأنا وسط الجميع معروف بالضعف والعجز، وفى الأعمال موصوف بالإهمال والتخاذل، والمدهش جدًا إننى بفضل اللطف الإلهى – برغم كل هذا – فأنا مقصد الأحباب ومحسود من الأعداء، فالعزة لله جمعيًا. " وفى الرسالة الأخرى يقول : "... لقد تخلصت من أهوائى وقصدت رضا الواحد، وأنا معروف بالموسوية، ولكن ما الموسوى وما العيسوى، وما الأخروى وما الدنيوى؟ لأدين بدين الصدق. أنَّى توجهت ركائبه أرسلت دينى وإيمانى..."

---

(١) ذكر منصف القاجارى الشاعر المعاصر لنشاط تاريخ وفاته كالتالى : "ازقلب جهان نشاط رفته أى "رحل نشاط عن قلب العالم".

وقد طبعت مجموعة أعمال نشاط فى بادئ الأمر سنة ١٢٦٦ هـ ق فى كتاب بعنوان "گنجينه" ثم طبعت بعد ذلك سنة ١٢٨١ هـ ق فى طهران بخط جميل بأمر ناصر الدين شاه.

ويشتمل گنجينه على : ١) المقدمات، والخطب، والأوقاف، والعقود. ٢) المدائح، والوثائق ، والقصائد، والقطع ٣) رسائل وفرمانات فتحعلى شاه. ٤) الرسائل التى كتبها للملك والأمراء. ٥) الأشعار والقطع الأدبية والحكايات الأخلاقية.

نثر نشاط : تعتبر مقدمة ديوان الخاقان (فتحعلى شاه) ومقدمة شاهنشاهنامه لفتحعلى خان صبا بقلم نشاط، وكما قيل فإن نشاط كان يكتب ويحرر رسائل وفرمانات الملك ومكتوبات البلاط والأسرة المالكة بقلمه فى بلاط فتحعلى شاه بحكم طبيعة منصبه، وقد كان خطه وكذلك إنشاؤه فى عصره نموذجًا للكتاب وكانت تتناقله الأيدى.

ولم يكن أسلوب نشاط جديدًا بل كان تقليدًا لأسلوب القدامى المتأخرين و"أسلوبًا وسطًا بين وصاف والشيخ سعدى وكان يشبه أسلوب ميرزا مهديخان فى حذف الأفعال وإيراد الأفعال الوصفية[1]".

وفيما يلى عدة نماذج لكتابة المقامة عند نشاط :

- كان قد خطف النوم من عينى ليلة أمس خيال

رأيت فيه أن صرخة بلبل قد وصلت إلى أذنى من الروضة

(١) ملك الشعراء بهار، سبك شناسى، ج٣، ص ٣٣٢.

- فتـــوقفـــت روحـــــــــى وعجـــــزت يـــدى

ورحـــل الصـــبر عن قلـــبى وطار العقل من رأسى

وفيما يبدو أن أحد الأصدقاء والذى كان يقظًا فى ذلك الوقت بحكم عمله، قد تعجب لهذا الأمر وقال : وهل البلبل يصرخ وهو على غصن الزهرة، ماذا حدث لك؟ أصرت غافلاً لهذا الحد؟ فقلت له اصمت فإن الذى يحمل البلابل على الصياح فى روضة تلك الزهرة هو الواحد : ما من شىء إلا يسبح بحمده، فعشق الزهرة هو الذى يدفع البلابل للصياح.

- فمن الذى شق جيوب الزهرة ؟

- أو من الذى أصاب البلبل بالقلق؟

ولو دوى صوت الفاختة حول السروة الشابة، فما السبب إذن فى اضطراب السرو؟ لو نظرت بعين الحقيقة ولم تسلك طريق الغفلة.

الكـــل يضـــطرب مـــن ذكر اسمه يسألون عن الحبيب ويتحدثون عنه

* * *

لى قلب من الشكوى متحرر وشفاه عن الكلام صامتة

إن شفتى قد انعقدت وتوقفت عن قص ما تعلمته

وأنـــت عنـــــــدك لغـــــة بلا لســـــــــــان

ماذا أقول وأنت تعلم كل ما أقول دون حوار وعما أبحث وأنت تلبى كل ما أبحث عنه دون بحث؛ فالقول عمل اللسان والبحث رغبة الروح، وأنا نفسى لست هذا ولا ذاك.

إننى حيثما كنت فــلا يكــون آخــر ســواك

مــن الشفــاه خــبــر ومــن القــلب أثر

أين الشفــــاه التى تضع قدمًا فى ذلك الكلام

أين الروح التى تجد طريقًا فى ذلك الطلب؟

ولكنهم أطلقوا لسانى حتى أتحدث معك وأعطونى الروح حتى أبحث عنك، فإذا لم أتحدث ظلت الصنعة عاطلة، وإذا لم أبحث ظلت الخلقة باطلة.

فى كل عضو من أعضائى انفعال آخر منك

أتظـــن أننـــى أعـــرف شيئًا عن نفسى

إذا كان للقلب أحيانًا حزن وكدر، أو للسان حديث وفقًا لذلك أو للقلم حكاية عن هذين الاثنين أو شكوى فى رسالة فليس لى ذنب فى ذلك، ولا تزر وازرة وزر أخرى.

* * *

أنا فى حيرة لماذا باعنى السيد بدون مقابل

ألــم يكـــن يــريد شــراء غلام، لماذا !

انظر ماذا حدث لك أيها السيد، كفى لك عارًا أننى عنك راحل، سبحان الله، لماذا حدث هذا؟ كأنه كان حلمًا وسرابًا.

نــمــنـــا واســـــتيقظنا ثانيــة أو سكـــرنا وأفقنــا ثانيـــة

عمومًا هل كان أصل وأساس السيادة هكذا بالضبط ؟

ربما لا تدرى أنت نفسك سر قيدنا   فلا تلــف حــبلك حــول صيــدنا

من الآن فصاعدًا دعنا نستريح لفترة وفق المراد بعيدًا عن مشقة لقاءاتنا المفاجئة ومقالاتنا غير المفيدة حتى نرى ماذا سيفعل الله الذى أوصل حالنا لهذه الدرجة من الحزن والسلام.

شعر نشاط : يعتبر شعر نشاط بسيطًا وسلسلاً بالرغم من وجود بعض العبارات الممتزجة بالعربية واستخدام الصنعة الشعرية والتركيبات الغريبة والمجهولة وتكرار القافية "وهو أستاذ القصيدة والغزل معًا، وقصائده من مدرسة صبا ولكنها أبسط قليلا"[١] ، ولم يترك نشاط قصائد كثيرة، فنظم القصيدة المدحية ليس عمله الأساسى، ومع هذا كلما قام بالمدح والثناء بقصد التقرب إلى الملك أفرط فى هذا الأمر ووصل بالتملق والمداهنة إلى أعلى درجة، مثلما وصف رجلاً مثل فتحعلى شاه لا دراية له بالجندية بعبارة "سماء فى وسط الدرع" و"شمس بجوار المغفر" ومدحه فى أحد مثنوياته بهذه العبارات :

إذا كــانت لفــريــدون شهــرة من الحديد

فأنت من السيف الفولاذى الذى يشق الحديد

إن الأرض حفنة من غبار عتبتك   والسمــاء عــدة حجب على بابك

أى ذات تعــلو علــى ذاتك غيــر ذات الله ؟

إذا كان هذا هو الملك فكيف تكون الألوهية !

حتى وصل إلى :

---

(١) خطب بهار حول العودة الأدبية، مجلة أرمغان، السنة الثالثة عشر، بــين صــفحات ٤٣٣ و٧٤٨.

- إن حـكـيـم گـنـجـه الفـصـيـح

الذى عنده كنز جواهر من المنظومات الخمسة

قــد قال فى وقت ما اعتـذارًا عن التقصير

إننى إذا كنت قد تأخرت فقد جئت سبعًا موفقًا

أما أنت حتى لو عرضـت نفسك على هذا البلاط

وتظاهرت بأنك سبع موفق، فقد كنت ضبعًا فاشلاً

أما أنا فلم أتأخر عن الحضور إلى بلاطـك فقط

بـل وجئـت حـاملاً عشـرات الـذنـوب

ولكنـى لا أعـرف سبعـاً ولا ضبعـاً

وكـل ما أعـرفـه أنـنى كـلب هـذه العتبة

وقد تناول نشاط الغزل فى الغالب من بين أنواع الشعر، وتعد غزلياته الجذابة التى لها طابع فلسفى وعرفانى "أفضل نموذج على غرار أسلوب حافظ[١]"

ومن قصائده [٢]:

أجمـل الأشـياء وأبهـج الكـائنات

من كل ما هو ظاهر وكل مـا هـو باطن

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تقليدًا لقصيدة الأمير معزى، وهذه القصيدة كما رأينـا قـد قلـدها أيـضًا مجمـر الأصفهانى.

من الطيـــور البلبل ومن الأوقات السحر

من الفصول الربيع ومن الأجناس الإنسان

من العهود الشباب ومن المشروبات الخمر

مــن النجــوم الشمس ومن الشهور نيسان

من الأحجار الكريمة قلب الحبيب، ومن أحوال العيش التفكير فى الحبيب

من السيوف الحاجب، ومن الخناجر الأهداب

من الزينة التــاج، ومــن العطــور العنــبــر

مــن الأعضاء العين ومن الفضائل الإحسان

من الأنبياء محمد، ومن المدن المدينة المنورة

ومــن الأشجــار طوبى ومن الجنان رضوان

وقصيدة أخرى [١]:

اطلب أيها المــلك الهــلال الجـــديد مـــن الشمــس

انظر إلى حاجب الحبيب واطلب الخمــر مــن الســاقى

استطلع كل ليلة هلال العيد بالنظر إلى حاجب الحــبيب

وفى وقــت الهــلال اطلب كأسًا من الخمر المتــوهجة

---

(١) محاكاة لقصيدة الأنورى :

– اطلب الخمر أيها الملك وتناول صبوح الفتح والنصر

اطلب النرد والنديم والمطرب والعود والرباب

عندما ينثر الفجر أوراق الورد وتذهب أدراج الــرياح

اطلبهــا تــارة بالمصــحــف وتـــارة بالكتـــاب

إذا استمعـــت بالنهـــار إلى قـــول الــــزاهـد

اطلب الكفــارة بالليــل مــن لحــن الصنج والرباب

لـــو فكـــرت فـــى ســؤال الحســـاب

اطلب مــن الحبيــب كــأس خــمر بــلا حســاب

حين تأخذ جــرعــة مــن ذلك الشـــراب النارى

اعتبــر الخصــم قشة علــى النار ورسمًا على الماء

إلا الأحبـــاء لتكن قلوبهــم راضيــة عــنــك

فــأى قلــب يطلــب غــير رضاك هو طالب للخراب

واطلب السعادة دائمًا من "الصــــــبا" و"السحاب"

روضـــة مجلسك – لتكن دائما مفعمة بـــ "النشاط"

ومن غزلياته :

إن الطـــاعة لا تـــأتى فى الحـــال فيـــجب ارتكـــاب ذنب

يجـــب الوصـــول إلى قلــب الحبـيــب بأية حيلــة

لقــد أصبح إنســـان العـــيــن مــوطــئــا للشحـــاذين

وقصر القلب يستحق أن يكون هــو العــرش الــمــلكى

إن النـــجـــــوم الفلكيــــــة لا تــؤثـــــر فــيــنـــا

أمـــا دوران العيــــون الســوداء فيجــب الحذر مــنه

ولما كانت الشمس مضيئة العالم تختفى عن الأنظار ليلاً

فإنه يجب خلال هذه المرحلة الاعتماد على نور القمـــر

فلـــتسـعـــد وتسيـــر فى الطـــريق يا قـــائد القــافـــلة

ويجــــب أن تمـــــر بجـــــانب طـــــــريق مضـــلل

لا يجب بالضرورة امتلاك كل هذه الأهداب السوداء المصفوفة

ولكن يجب النظر أيضًا إلى صف العشاق الولهانين

يجــب مـــراعاة جـــانب الحبيـــب بنظـــرة واحـــدة

ويجــب هـــدم دولـــة العـــدو بجـــيـــش واحـــــد

إن اســـتـــحـــالـــت مجـــاورة الحـــانة يـــا "نشاط"

فيجـــب السجــــود كـــل صبـــــاح مـــن بعـــيد

* * *

إذا مللـــت مـــن قـــصـــتنا فهناك حكـــاية أخـــرى

وإذا ضـــاق قلبك بنا ذرعـــًا فهنـــاك مجنـــون آخـــر

لى معشوق فى خلوة الروح لا يخفى عن عين الدنيا

ولا سبـــيـــــل إليــــه ســوى القـــلـــب الغــــريب

إذا لـــم يعجـــبك قلبى فضــــع القـــدم علــــى روحى

فـــإن لى فـــى ذلك الجانب منزل آخر أكثر خـــرابًا منه

لماذا أنت مهموم، لماذا أنت مكتئب إذا كنت تحترق وتتعذب

فأنت مجموعة شموع وحولك من كل جانب فراشة أخرى

بكأس واحدة نقضتُ العهود، أخاف أيها الساقى

أن أنقـــض العهـــد بعـــد ذلك بكـــأس أخـــرى

* * *

طفل من كل بيت يتتبعون المجنون فى هذه المدينة

يا رب مـــاذا يفعل قـــلب المجنون فى هذه المدينة

إن القلب لا يرغـــب فى مـــرافـــقتنا، انظـــــروا

فـــــإن المجنـــــون لا يملك البقاء فى هذه المدينة

لو أن الهوس بخصلة شعـــرك يقطع طريق القلوب

فـــإن المشكلة أن يبقى القلب عاقلاً فى هذه المدينة

لماذا نحـــرق الشمـــع فى كـــل تجمع وما الفائدة

فقلب الفراشة لا يحترق فوق الشمع فى هذه المدينة

لـــم يعـــــد أحـــــد يسمـــــع حكـــــايتنا

فإن جنوننا قد أصبح خرافة فى هذه المدينة

إذا ضـــاق المكـــان فى حيـــه، فمـــا العمـــل

نحن غرباء وهناك منزل واحد فى هذه المدينة

إن الســـــــيد ينوى إعمـــــــــار المنزل، بالله

إن المجـــــــنون لا يملك البقاء فى هذه المدينة

لـــم أر زاهـــدًا ولا مـــاجنًا فى هـــذه المـــدينـــــة

فقد أغلقوا باب المسجد وباب الحانة فى هذه المدينة

لا أعرف لماذا يهرب القلب من "نشاط" [السرور]

إن المجنـــون لا يمـــلك البـــقاء فى هذه المدينة

* * *

هؤلاء الحسان اللائى هن بلاء قلب أهل النظر

هن أعداء الروح والقلب وهن أفضل من القلب والروح

لا يمكـــــن إعطـــاء العشـــاق قلـــبًا مهـــمـــومـــًا

وإلا فـــالحســـان أخيـــار وليسوا ظلمة ولا أشرار

طهـــر القلـــب مـــن أية شـــائبـــة وادخل بعد ذلك

فـــإن المقيـــميـــن فى الحـــانة هـــم أهـــل النظـــر

إن القدم فوق رأس العالم والرأس أسفل قدم الحبيب

حتـــى لا تقـــول إن هـــذه الطائفة بلا قدم وبلا رأس

يجب أن يكون الهـم هو شـأنك الـذى فيـه سعـادتك

وإلا فإن السعـادة والهـم همـا شـأن العـالم الفـانى

وجـهـه مـدوّر ومـزين لـيـلاً ونـهـارًا

والعشـاق غـافلـون عـن فتنـة دوران القـمـر

أنا ونسيم السحـر حـائـران هكـذا مـن عبيـرك

أم أن كـل المتيميـن بـك هـائمـون هكـذا؟

لماذا يبحث الخلـق عن سـر وجـودهم يا "نشـاط"

والماء والكأس ليس فى مقدورهما أن يفهما حقيقتهما

٣ – سحاب :

هو ميرزا سيد محمد "سحاب" ابن سيد أحمد هاتف الأصفهانى (فى الأصل من أهل اردوباد بآذربيجان)، من شعراء عصر فتحعلى شاه ومن مادحيه، وكان سحاب ملمًا بالعلوم النظرية الإيرانية القديمة، وكانت لديه معلومات غزيرة فى الطب والنجوم، وقد حظى بمكانة واحترام لائقين عند فتحعلى شاه، ولسحاب أشعار بسيطة وسلسلة وجذابة وديوانه ينتظم حوالى خمسة آلاف بيت، وقد أهدى فتحعلى شاه نسخة منه إلى آوسلى[١] السفير الإنجليزى فى البلاط الإيرانى.

---

(١) Sir Core Oueseley

وعلاوة على نظم الشعر فقد كان متبحرًا أيضًا فى علم الشعر والفنون الأدبية، وقد ألف تذكرة رشحات سحاب باسم فتحعلى شاه ولكنه للأسف لم يتمها وتوفى سنة ١٢٢٢هـ ق. وربما كان سحاب يعلم جيدًا مدى لغو؛ شعر البلاط وعبثه ؛ بمعنى تنسيق عدة ألفاظ ونسج عدد من المصاريع فى مدح الأشخاص، والتى يكون مضمونها فى الغالب لشخص آخر، وتوضح هذه الأبيات جيدًا مدى اشمئزازه وخجله من الشعر :

كيف يصل الشخص إلى كمال النفس بدون حسن العقيدة

وأى كمـــال لمـــن ليـس عنـده حســـن العقـيدة

لا يـوجـد لا شعـــر ولا نظـــم عـلى الإطـــلاق

وأنا أتسـاءل فـى حيـرة عـــلام كـــل هذه الضجة

ألا يســأل أحـد عـقـب تنسيـــق عـدة ألفـــاظ

مـا هـذا التخـريـف أيهـا البلهـاء عـديمو الفضل

فى مقــابل مصـــراع أو اثنيــن يخـــالفــان الحقـيقة

تفكـــرون كـــل هذا التفكـير فى الجاه وتحلمون بالمال ؟

إن الشعــر أصـــله مـــن الخيـــال ونـــوعه من المحال

فمــا كــل هــذا التفكيــر المحـــال مـــن أجــل الخيال؟

من عدة ألفاظ فارغة لم يدع التفوق كــل مـــن يشعـــر بالخجل والحياء

مـــائة نـــوع من هـــذا الكمـــال عنـــد أهــل الرأى والعقل

ماذا تساوى أمام حسن طبع شخص عامى محمود الخصال ؟

لأفــرض أن النظــم هــو بحــر الــدر ومنجــم الجــواهر

فمـــــاذا يســـــاوى أمـــام كـــــلام الله عـــالى الصـــفـــات؟

وله أيضًا هذه الغزليات :

أريــد أن تكــون آهتـــى فـــى فــراقــك مشتعــلة كــالبرق

حتــــــــى أضــــــــئ بهـــــــا نهـــــــارى المظــــــــــلم

لا دلال ولا غمــــز فـــى فـــــرمـــــانه، وكـــــــأنه مـــلك

لا يــســتــطــيــع أن يــمــنــع جيــشــه مــن الانــهيـــار

شكــوته ذنب فـــى حقنـــا وهـــذا الذنب يتحمله القلب المعتذر

فكــــيـــــف سنــطـــلب نحـــــن عـــــذر المــعــتــذر؟

مـــا أكثـــــر مــــا رغـــب فـــى التحـــلــــى بالحــيـــــاء

فكـــان يلقـــى كـــل لحظـــــة نظـــــرة علـــــى نفـســـــه

لا أمـــــان لأميـــــر القـــافلـــــة مــــن أذى الطــــريـــق

طـــالمـــــا أن الــــــدليــــل قـــــد ضـــــل طـــــــريقـــه

بـــرغـــم أن "سحـــاب" قـــد أصبـــح شــــيـــــخًا مســـنًا

فـــإنه يضـــيـــع عمــــــره علـــى قمــــر صغيـــــر السن

* * *

لا مكان لعشـــق الأحـــبـــة إلا القـــلب الخــــرب

لأنــــه كنـــز ومكـــان الكـــنز ما هو إلا الخرابة

لقد كانت الفردوس جميلة ونعمها وفيره ولكــن

لا نعمة كالخمر ولا مكان أفضــل مــن الحانة

لم ير أحد من أهل الدنيا حكيمًا واحدًا فى العالم

فكل من يطلب الدنيا هو بوجه عام ليس حكيمًا

ذؤابته المصيدة وخـــاله الطعــم أما صــــائدى

فلا حاجة له للمصيدة والطعم حتى يصيد القلب

لماذا يكون هذا القلب المفتــون مجنــونًا دائمًا

بـــذؤابتــك مـــع أنـــــه غــيـــر مجــنـــون

لـــن أبـــــــوح أبــــدًا بســــرك للــقــلـــب

فسر عشقك لا ينبغى أن تعرفه أذن أى غريب

تبتُ عن الخمر أيها الــزاهد ومنذ الآن سأنقض

العهــد ولكــن مـــا لــم تكــن فى الكأس خمر

إن قصــــــة ليلـــى والمجـــنـــون يا "سحـــــاب"

بالنسبـــة لحسنـــه وعشـــقـــى ليست إلا أسطورة

* * *

إن سهــمك لا يختــرق جســـدى　　　ربما كان جناحى أقوى من سهمك

والحريق الذى اشتعل فى القلب بسببك ما زال

يمكــن مــشــاهــدته تحـــت رمـــــــادى

وشفاهك العذبة تعاقبنى بأن تضع لى السم فى شرابى المنعش

تارة كأسى تكسر التوبة وتارة توبتى تكسر كأسى

قلت له ما هى صورة ماء الحياة؟ فقال إنه تراب عتبتى

وجواهر عينى هى الدموع أما الشعر

فهو جوهر موهبتى الشعرية الفياضة

وإن لكل جوهرة صدفة يا "سحاب"

والعين والقلب هما صدفتى وجوهرتى

٤ - مجمر :

ولد سيد حسين الطباطبائى الأردستانى المتخلص بمجمر ابن سيد على بقصبة زواره بأصفهان فى آخر القرن الثانى عشر الهجرى[١]، وبعد أن حصل على قسط من التعليم فى بلدته ذهب إلى أصفهان ودرس فيها العلوم الأدبية، وانضم لمجموعة من الشعراء الذين كانوا قد تجمعوا حول نشاط، وظل فترة فى أصفهان ثم ذهب إلى طهران بعد ذلك مع معتمد الدولة نشاط وفى هذه الأثناء كان فتحعلى شاه قد ذهب إلى آذربايجان لظروف الحرب مع روسيا فذهب مجمر إلى آذربايجان بصحبة نشاط وقُدم للملك فى معسكر

(١) تاريخ مولده ليس معلومًا بالضبط، وقد قيل إنه عاش ٢٥ أو ٢٦ سنة، وبرواية أخرى ٣٥ سنة، وبناءً على هذا فإنه قد ولد سنة ١١٩٩/ ١٢٠٠ وبأصح الروايات سنة ١١٩٠ هـ ق.

إيروان وهناك عرضت على مسامع الملك قصائده وغزلياته[١]، وبعد عودة الملك إلى العاصمة (شهر رجب سنة ١٢١٩هـ ق) تربى مجمر فى كنف معتمد الدولة[٢]، ولقب بلقب "مجتهد الشعراء" سنة ١٢٢٢هـ ق، وهو العام الذى توفى فيه مير سيد محمد سحاب ابن هاتف، و "كتب ميرزا عبد الوهاب معتمد الدولة بخطه الشريف فرمان لقبه مجتهد الشعراء"[٣].

وقد ظل مجمر لسنوات نديما لحسنعلى ميرزا بن فتحعلى شاه، وكان يجد من الأب والابن الجوائز والإنعام والملاطفة، و "لو كان قد امتد به العمر لوصل بالتأكيد إلى أعلى الدرجات"[٤]، ولكنه للأسف توفى فى ريعان شبابه سنة ١٢٢٥ هـ ق[٥].

---

(١) منها قصيدة بهذا المطلع :

– عندما ظهر هلال صفر فى سقف القبة الخضراء كان بالفعل كخط ذهبى فوق الكرة الزرقاء .

(٢) ولكن بعد ذلك "دفعته وساوس أصحاب السوء وهواجسه النفسية لمخالفة أستاذه ومربيه والوشاية به، علاوة على أنه ميز نفسه على الأستاذ فى مرتبة الشعر والفضل... فاستاء منه معتمد الدولة ودعا عليه بالهلاك، فأخبره هؤلاء الحاسدون بحال معتمد الدولة فأدرك أنه أخطأ فى حقه فطلب منه السماح ولكنه لم يفلح فى ذلك، وكان سهم دعاء الأستاذ قد أصاب الهدف ولهذا فقد مرض وتوفى " (مجلة يادگار، السنة الخامسة ، العدد ١ و ٢، نقلاً عن كتاب حديقة الشعراء.

(٣) مقدمة ديوان مجمر، طهران، ١٣١٢.

(٤) رضا قلى خان هدايته، مجمع الفصحاء، الطبعة الثانية، طهران، ج٥، صفحة ٩٧١.

(٥) أورد محمد طلعت الأصفهانى تاريخ وفاته بهذا الشكل فى إحدى القطع :

لقد طلب طلعت من العقل تاريخ رحيله   فقال قل "رحل الشاب سيد حسين مجمر"

والأشعار التى نظمها فى أثناء إقامته فى أصفهان ليست موجودة ، إلا أن بعض أصحاب التذاكر الذين التقوا به فى أصفهان قد شهدوا على شهرته وصيته هناك. وقد ترك مجمر قصائد وقطع وتركيب بند وأشعار فى الهزل والهجاء ومثنوى بأسلوب تحفة العراقين للخاقانى وقطع نثرية بأسلوب گلستان الشيخ سعدى، أما ديوانه الذى يشتمل على حوالى ثلاثة آلاف بيت فقد طبع فى طهران سنة ١٣١٢.

ويعد مجمر من شعراء القصائد، وقد مدح الملك وابنه وأعيان الدولة فى أغلب قصائده التى قد نظمها بأسلوب الأنورى والخاقانى والمعزى.

ومن قصائده :

فى أنحـــاء العـــالمين، مـــن الظـــــاهـــر والباطن

أجـــمــــــل الأشيـــــاء التـــى خُلقـــت بفضـــل الله

من العقـــــــول الأول ومـــــن الأرواح القــــدس

من الأعضـــاء العيـــن ومـــن العـــروق الشـــريان

من الـــرســـل جبـــريـــل ومـــن البشـــائر البعثـــة

ومن الأصـــول التـــوحيـــد ومـــن الفضائل الإيمان

من الســـــادة أحمـــــد ومــــن العبيـــد يـــوســـف

من الأوصياء حيدر(سيدناعلى) ومن الأتقياء سليمان

من الخواص الضاحـــك ومن الفصـــول النـــاطـــق

من الأجناس الجـــوهـــر ومـــن الأنـــواع الإنســـان

من السجاجيد المروج الخضراء ومن القطرات الندى

من السحـــــب آذر ومــــــن البحـــــــار عمــــــان

من القبـــلات الكعبـــة ومـــن الأعمـــال الطـــاعـــة

من الأعيـــاد الأضحـــى ومـــن الفـــدى الأضحيـــة

وقصيدة فى التهنئة بعيد الفطر :

الحمـــــــد لله أن تحـــــولت مـــرة أخـــــرى

السجـــادة إلى الكـــأس والتسبيـــح إلى الزنار

فقد رحل هؤلاء الذين فتحوا باب زاوية الشيخ

ورحـــل أولئك الذين أغلقوا باب منزل الخمار

وعـــاد صفـــاء قلب الماجنين شاربى الأقداح

وعاد قفـــل باب التزوير ومفتاح باب الأسرار

فليس فى مجـــال الوعظ إلا الواعظ وهو أيضًا

مثل النقطـــة عديمة الفائدة داخل دائرة الفرجار

كم يستغرق الانتقال من المنزل إلى المسجد بحثًا عن الإيمان؟

عمومًا الأحبة لا يبيعون الهم فى السوق

إن ذرة غبار واحدة من طريق الحبيب بمائة تسبيحة من تسبيحات الزاهد

وحديث واحد من شفاه المحبوب بمائة دفتر من دفاتر الواعظ

وأغنية واحدة من قلب الصنج بمائة آذان للمؤذن

ولحن واحد من أوتار العود بمائة ابتهال مسجع

لــو أن الــزاهــد لم يقــل كــلامًا فــارغــًا فلمــاذا

لا يلقــى قــوله بعــد ثلاثيــن يــومًا ســوى الإنكار !

لقد صمنا ثلاثين يــومًا ولم نر ســوى تعــب القلـــب

وضــعـــف الجســـد واصفـــرار الــوجــه

لـــو كــان للصـــوم روح وجســـد، لكـــان

كالمرحاض المهجور والسيف الذى اعتلاه الصـــدأ

لقد أقبل العيد وولى الصوم فأعطنى الخمر فلم أعــد

أتحمــل الخجــل مــن الخمــار أكثــر مــن ذلــك

لــو أنه لا ينبغـــى رفــع الكــأس علــى الشفــاه

فلماذا يظهر القمر فى السماء على هيئة فم الكــأس ؟

من الآن فصاعدا أنا ولذة العيش التى لا عيش بدونها

من الآن فصاعدا أنا والعمل الذى لا ينبغـــى غيـــره

إن الحفل والمنادمة والغناء كلهـا من لــذة العــيش

والخلــوة والصحبــة والمنــادمــة كلها من الحبيب

وفى أحجية القلم :

أنا سحـــــابة أنثــــر الجـــــواهــر   أنا مثـيــرة غـضــب بحر عمــان

أرأيت الطائر الذى ينثــر العطــــر؟ فأنا ذلك الطـــــائر أنثــــر العطــر

أنا ثعبان ولكنى لست فى طبع الثعبان   يخرج الشهـــد مـــن طـــرف سنتى

أنا ناثــــر السكر كما أننى ناثر العبير   أنا شفة المحبـــوبة وذؤابـــة الأحبة

كــل مــا هــو ســر فى الفـــــلك   خــرج كلــــه مــن جـيـــبـــى

لى فـــى نثــر الدر وصـــب الجواهر   طبـــع الـــوزيـــر ويـــد السلطـــان

و له أيضًا هذا الغزل :

لو كنت أنت صاحب الشهد والآخرون هم أصحاب اللدغات

فـــــأنا معـــــــك إذن لا أدرى بـــنفـــــــسى

فى أى عضو من أعضائك تُطبع القُبلة ؟ إن الفقير لا يعرف

مـــاذا يفعـــل عنـــدما يجلـــس على مائدة السلطان

الكـــل يســـتـــحـــق وصـــالـــك وأنـــا أقـــــلـــهـــم

الكــــــل حيـــــران فــــى جمــــــالك وأنـــا أكـــثرهم

تضرب السيف ولا تعلم كم هو حاد على الآخرين

كــذا الذئــب فى القطيــع لا يعــرف حـــالة الشاه

إذن ماذا يريد هؤلاء القوم من الأرواح الجريحة ؟

إذن عـــم تبحث هذه الجماعة فى القلوب المهمومة؟

أسيـــر فـــى طـــريـــق ولكـــن بآلاف الأمنيـــات

أضـــــــع قـــــــدمًا ولكـــــــن بآلاف الهـــمـــــوم

لقد ذهـــب "مجمـــر" إلى بـــلاط الملك، فقل للفلك

مهما فعلت فإنه سيأتى عندى وبعد ذلك سيكون عندك

* * *

تارة يأخذونى إلى الحلم والخيال وتارة يوقظوننى

حبذا خصم الصباح، حبذا الصديق الملازم !

لا ضير إذا دخـــل الخـــــراب من الســـقـــف والباب

فإن بيت الماجن خراب وبيت الشحاذ بجوارى

أنت لم تمسسك النار كى تعلم كيف أعتصر ألمًا من شدة الحزن

إن السيد سيبيع لى همه فى مقـــابل ملـــك العالم لكن

قـــل لى كيـــف ســـأبيـــع هـــمّى أنا الغلام

كيف لا أشكـــو وأنت لا تعـــــرف مـــاذا حـــدث لنا

ولمـــاذا أصرخ وأنت تعلم ماذا فعلت بنا ؟

إذا كنت أنت لا تقدر على أن تغمض عينك أمام الغير

فكيف أستطيع أنا أن أخفى المنة عن العين

لقد دعانى "مجمر" الليلة إلى حفله وأنا أعلم

أنه سيعطينى النصائح حتى الصباح ولن أصغى إليها

٥- وصال :

ميرزا شفيع الشيرازى المعروف بميرزا كوچك والمتخلص بـ "وصال" يعتبره مؤرخو الأدب الإيرانى هو الآخر واحدًا من أكبر شعراء عهد فتحعلى شاه وابنه محمد شاه. ولد وصال فى عهد سلطنة كريم خان الزندى سنة ١١٩٢ أو ١١٩٣ (وبرواية أخرى سنة ١١٩٧هـ ق) فى أسرة شيرازية محترمة لأب يدعى محمد إسماعيل، ودرس العلوم المتداولة فى عصره عند علماء العصر ومنهم ميرزا أبو القاسم سكوت أحد الصوفية المشهورين، وتعلم كتابة أنواع الخطوط ووجد طريقه إلى مجالس الأنس فى ظل استعداده الأدبى وخطه الحسن وصوته الجميل وتخلص فى أول أشعاره بـ "مهجور" ، وحينما ذهب فتحعلى شاه إلى شيراز لتفقد منطقة فارس سمع عن مكانة وصال وفضائله فطلبه للحضور، فقدم له وصال مصحفًا كان قد كتبه بأنواع الخطوط السبعة واستخدم فى تذهيبه وتجليده قمة الفن والمهارة وأنشد أيضًا قصيدة منها هذه الأبيات :

يا مملكة جمشيد، بفضل الجناح الذى وصل به ملك العجم

امتلكت تاج خسرو ووصل إليك عرش جمشيد

إن روضة السرور قد تجاوزت خطر الخريف

واستقبل يوم الأمل نسمة الصباح

برغم أنك يا فارس قد سعدتى بظل الملك

فلتسعدى أكثر فقد وصل إليك أيضًا ظل الله ...

ويقال إن الملك قد أثنى على وصال لسعيه واجتهاده من أجل بلوغ الكمال، وأعطاه جائزة قدرها ألفا تومان، وخصص له مبلغاً من المال ومساعدة عينية كل عام.

وكان وصال رجلاً حنوناً وزاهدًا وحسن المعشر، وكان له أصدقاء كثيرون من بين أهل التصوف والأدب، وأقام علاقات وطيدة خاصة مع قا آنى، والأوقات التى كان فيها قا آنى فى شيراز قضاها الاثنان معًا فى الغالب.

وقد أصيب بالعمى فى آخر أيام حياته وتوفى بشيراز سنة ١٢٦٢ هـ ق فى عهد سلطنة محمد شاه القاجارى وهو فى التاسعة والستين من عمره.

وقد قام وصال بترجمة "أطواق الذهب" للزمخشرى إلى الفارسية وألف رسائل أيضًا نظمًا ونثرًا فى الفلسفة والكلام والموسيقى والعروض وتفسير الأحاديث، وألف كذلك كتابًا بعنوان "صبح وصال" بنفس أسلوب الجلستان، وقد طبع ديوان وصال فى طهران طباعة حجر فى مجلد كبير قد اشتمل على مدائحه ومراثيه ومثنوياته وغزلياته وأعماله الأخرى.

شعر وصال : يعد وصال أستاذاً فى فنون الشعر، وبرغم تقليده للسابقين فقد حافظ على السمات الأساسية لأفضل نماذج الشعر الكلاسيكى، ونظم مثنوى "بزم وصال" فى بحر المتقارب، وأتم بمنتهى المهارة والكفاءة قصة "شيرين وفرهاد" لوحشى والتى كانت ناقصة، لدرجة أنه من الصعب على أى ناقد دقيق النظر اكتشاف وجه الاختلاف بين بداية القصة ونهايتها، كما أن محاكاته البديعة لغزليات سعدى تتميز كلها بدقة النظر.

ويعتبر وصال شاعر مدح وشاعر قصيدة وبه كل صفات أى شاعر ينتمى للبلاط، وقد مدح فتحعلى شاه ومحمد شاه وشجاع السلطنة وحاكم فارس وعددًا من أعيان فارس، وديوانه كما يقول هو نفسه "مملوء بمدح النجباء" ومع هذا كان قد أدرك مثل سابقه سيد محمد سحاب عدم قيمة شعر البلاط وظل يعانى من الحرفة التى كان قد احترفها :

أما من أحـــد يقــول لى ما هذا الكلام الفارغ

أى قبـــــح فى القــول والفعــل والســلــوك

أية حـــــرفـــــة هــذه التـــى احــتــرفــتها

فعلى عين القلب مشرط وفى قدم العقل شوكة!

هل أصبحت معلمًا للأدب، وعلى هذا أصبحت يائسًا ؟

هل صـــرت بليغـــًا، وعلى هـــذا صـــرت حقيـــرًا؟

برغـــم أن الفن أنقص من قدرك فإنك قد أثريته كثيرًا

فهـــل تليـــق كـــل هـــذه الحقـــارة بفنـــان كبيـــر !

أثـــــريــــــت الفــن علـــى حــســــب المقــــدور

وهـــــو أنقــص مقــدارك أكثــر مــن المقــــدور

مـــاذا وجـــدت مـــن القـــوام حتى تقوسه بهذا الشكل

ومـــاذا رأيت مـــن العين حتى تجعلها مظلمة هكذا؟

ديـــوانك مملـــــــــوء بمـــــدح النجـــبــــاء

ولـــــم يكـــن فى كيســك لا درهـــم ولا دينـــار

ثمـــة جمـــاعـــة قـــد سلكــت هــذا الطريق من قبل

فالفائدة كلها فى هذه الحرفة والنفع كله فى هــذا العمل

لـــم يجلـــس أكفـــأ الأشخـــاص بجـــوار الملك مثلهم

ولـــم يدخـــل أهـــم الأشخاص البلاط مثل هؤلاء القوم

إنك تـــرى بعينـــك كيـــف كســـد ســـوق الأدب حاليًا

فلمـــاذا إذن تهجـــم علـــى الســـوق بكـــل حمـــاس ؟

أما الأفكار والمضامين الجديدة أو الابتكارات اللفظية فلا نجدها فى ديوانه، كل ما هناك هو انعكاس لأشعار كبار الشعراء السابقين بمهارة وأستاذية فحسب، وبرغم ذلك فإن قراءة أشعاره تمنح القارئ متعة فنية كبيرة، وكل بيت من أشعاره يعيد إلى الأذهان بيتًا من أشعار الأساتذة القدامى. وقد زادت شهرته الأدبية كثيرًا بفضل مراثيه المؤثرة التى قد نظمها بأسلوب محتشم الكاشانى نفسه .

ومن قصائده :

إن الجميع أيها الملك من البر والبحر والسمـــاء والنجـــوم

يعتـــرفـــــون ويقـــــــرون بـــأن المـــلك ظـــــالـــــم

ومن بيـــن هـــؤلاء البحـــر الذى يشكـــو من ظـــلم الملك

فيقول : لقد جف مائى بسببه واستويت الآن على الأرض

لقـــد أخـــذ كـــل مـــدخـــراتى ولـــم يقـــل هـــو نفســـه

إن هذه ليست أرضًا حصوية وإنما هى جواهر ومـــرجان

وسكـــت البحـــر ورفـــع الجبـــل رأســـه وقـــال حقًـــا !

فـــإن لى قـــلب يحتـــرق بشـــدة مـــن هـــذا الملك الجواد

إن مـــا رأيتـــــه مـــــن المـــــلك لـــــم يـــــره البحـــر

فكيـــف يتســـاوى المـــرجـــان باليـــاقـــوت الأحمـــــر !

إن الياقوت الأحمر الذى كان محرمًا إلا على تـــاج الملوك

صـــار أكثـــر إذلاةً مـــن الجنـــود عنـــد بلاط الملـــــوك

هـــل رأيـــت ذهبـــى وتلك العـــزة التـــى كـــان عـــليـــها

لقـــد تســـاوى الآن بتـــراب الطـــريـــق بســـبـــب جـــوده

إن الجبـــــل وأحـــجـــاره الآن أمـــــام سخـــاء المـــــلك

وكـــــذلك أمـــــــام حلمـــــــه أقـــــــل مـــــن التبـــن

فـــرفعـــت السمـــاء رأسهـــا وقـــالت : وأنا شكـــوتى أكبر

فـــإن ثلجـــه يتـــــزايـــد بينمـــــا سقفــــه يـــرتفــــع

ونجـــــومـــى التـــى لا حصـــر لهـــا، أمـــام جـــيـــشـــه

لا تظنهـــــا نجـــــومـــاً فجميعـــهـــا محبـــوســـــة

والشمـــس التـــى ظلـــت عيـــــن ومصبــــاح الـــدنيـــا

قـــــد أمتـــــلأ قلبهـــا بالنـــار مـــــــن مجمـــــرة الملك

مـــــا إن قصــــــــد أســــــد رأتــــه السمــــاء

صــار أسـدى كـالثعلـب الهــزيـل مـن شدة الخوف

ونســـرى الجــائـع أرســل إلى صقــر المــلك

أكثــر مــن مــائة شـكـوى علــى جنـــاح الحمــامــة

إن هــذا ليــس ملكــاً إنــه عــدو البحــر والمنــجـم

إن هــذا ليــس ملكــاً إنــه وبــاء السمــاء والنجـــوم..

ومن غزلياته :

اتــفــقـــــت عــيــنـــاك علــــــى قـــتــلــى

فقامت الفتنة وعندما هدأت عربدت كل منهما مع الأخرى

كــل حــاجــب مــن حــاجبـيـك يكفــى لقـــتـــلـى

مــاذا أفعــل مــع هــذين القــوسين اللذين تحالفا معًا ؟

إن الشيــخ محطــم الكــوؤس قـد لقــنـــنـا التــوبــة

وآه من هذه التوبة والكأس اللذين حطم كل منهما الآخر !

إن عقلــــى قـــد تشــتــت مـــــن أمــر الــدنيــا

فقـــد انحلـــت جـــديلــتــه وعقـــــدت أمــرى

إن طائر القلب لمّاح ولكن الفكاك من هذا الفــخ محــال

فــإن ثنيــات ضفيــرته مجــدولة معــاً كــالأنشــوطة

حـــاولـــت أن أشـــد سهـــم عـــشـــقـــــه مـــن قـــلبـــى

فضـــربنـــى بسهـــم آخـــر وربـــط القـــلب واليـــد معـــاً

مـــن الممكـــن جمـــع أى نقيضين معًا بالحيلة يا "وصال"

إلا الـــراحـــة والعـــشـــق فـــإنهمـــــا لا يجتـــمعـــــان

* * *

لقد صـــوّرك الله بـــذلك الشكـــل الذى كان يريده

فكيف لا أشكر الله أيها القمر على أنه قد صورك؟

كـــــل مــــن هــــو قصيـــر النظـــــر يظـــن

أن كـــل هـــذه الفتنـــة مـــن وجهـــك فاتن القلوب

والوجه الجميل يملكه الجميع فلماذا لم يخطف القلـــوب ؟

إن فتنتـــكِ وسلبكِ للقلـــوب مـــن روحـــكِ الجميلـــــة

إذن يـــا مـــن أنتِ الكعبة المقصودة أرينا خدًا واحـــدًا

فـــإن مـــن كـــل ركـــن يقصـــدكِ مـــائتنا مســـــافـــر

إن الغمزة الجريئة والنظرة الفاتنة والأهداب السفـــاحة

كلهــــا مــــن أسلحتـــــكِ المجهـــــــزة لقتـــــلى

لو فقدت روحى أنا العاشق المتيم بسبب لوعة حـــبك

مـــاذا يهمـــكِ أنـــــتِ أيتها المعشــــوقة المحـــبـــوبة

نحــن معــك أطهــار وأصفيــاء القلوب كــالمرآة

فــانظرى مــن مــرآتك حتــى يظهـــر لك ذلك

لا تــذكــر "الــوصــال" ولا تمـــر علـــى باله

فإن الراحة التى نلقاها منكِ ليست هى التى تلقاها منا

* * *

مــن ذا الــذى رآك ولـــم يغـــادره قلبـــه؟

أو من ذا الذى جاء إلى حيّك ولم ترحل عنه نفسه؟

إن يــد السعــى لــن تحقــق المطلوب أيها القلب

وإلا فــإننى قــد حــاولــت كثيــرًا ولــم أنجح

لقــد جئت إلـــى هــذا الحـــى مــن أجــل الآخرين

وإلا فــإن المنعــم لــم يطـــالب الفقيــر بالـــديــن

لا تترك ذيل ثوب الحبيــب بسبــب لـــوم الآخـــرين

فإن الإنسان لا يرحل عن باب الحبيب بسبب الوشاية

بحثت عــن قبلة من شفاهه فأصـــابنى سهــم أهدابه

مــن ذلك الشخــص الذى بحث عن العسل ولم يلدغ

إن عقيــدة عشــاقــك هـــى الــذبــح قـــربانًا لك

وأنا قــربان الغــريــم الذى لم يرتد عن هذه العقيدة

ومن مثنوى "بزم وصال" [حفل وصال] :

كانت الليلة العاشرة من الشهر ولم يكن القمر مكتملاً

وكــأنه رســــم كحــاجــب جميـــلات الفــرنجة

حســنـــــاء فــاتنــة، جمـيلــــة وجـــبذابــة

آفــــــة الهــــــــدوء ووبــــــــاء الصبـــــر

وردتهــا مسكيــة وسنبلهـــا بــائـــع الـــورد

قمـــر يـــرعـــى المســاء، وليــل يحجــب الصباح

فـــى قـــامـــة الصنـــوبـــر وفـــى وجـــه الشـــمس

خـــالان مسلـــوبـــان، وســاحـــرتـــان ناعستـــان

صـــدرهـــــا عيـــن بللـــــورية اللـــون

وداخـــل تـــلك العيـــن قلبهـــا الحجـــرى كالرخام

عنـــدما كـــان كفهـــا المنقـــوش علـــى كأس الخمر

ظهـــرت الشمـــس فـــى الحـــال مـــن وراء الهلال

ربما قد أصبـــح مفتوناً بوجههـــا فقـــيد نـــفســـه بضفيـــرتهــــا...

إن الدنيا ساعة فرح وساعة حزن وكـــل حـــزنهـــا وكل فرحها قليل

لقـــــد كـــــان هنـــاك جبـــــل أكبـــر مـــن جـــبل قـــاف

وكان كل شق مـــن شقـــوقـــه يستـــوعـــب جبـــــل قـــاف

الأرض مـــن تحتـــه مختفيـــة نظـرًا لعظـمـتـه

وكأنهـــا نملـــة حبيســـة فى فـــم بعـــوضـــة

والشمـس ياقـوتة حمـراء تدحـرجـت مـن منجمـه

اعتـرضتهـــا السمــــاء فـــى منتصـــف الطـريق

فـــأمــــرتهـــا بالانشطـــار إلــــى نصـفـيــــن

نصف عن اليمين والآخر عن اليسار والصعود فوق الجبل

مـــن سيفـه لحــــق بـراكبــــى الجيـــاد مـــا

لحـــق بالمنـــاطـــق الجبـلـيـة مـن البـــرق

عجـبًا كـل مـن كـان يلقـى مـنه سـيـف الانتقـام

كـان يتخلـص مـن المغفـر ويتحـرك نحـو السـرج

لقـد أضحـت الأرض سمـــاءً مملـــوءة بالنجـــوم

وأصبـــح كـــل نجـــومهـــا الجـــوزاء...

ومن مثنوى فرهاد وشيرين :

تأهـب المـاهـــر لنحـــت الأعمـــال الفنيـــة

وبضـــربـــات البلطـــة شـــق ذلك الجبـــل

وصنـــع تمثـــال تـــلك الجـميلـــة

فكـــان شـــديد الشبـــه بهـــا والتبـــس عليـه الأمر

فقــــد سحـــــب الخصــــلة العنبـــــريـــة تمـــامـــًا

كمــــــا رآهــــا ذلك القلــــــب الـــــذى تــاه فيهـــــا

وأغلـــــــــق الفــــــــم ومنـــــــــع النـــــــار

التـــى كـــانت تشتعــل بسبب كــلامه الكـــاذب والبــذئ

وجعــل قلـــب التمثال قـــاسيًا وعـــــديـــم الــــرحمة

تمـــــامــًا مثـــــل قلبهــــــا الحجــــــر الصـــــوان

فـــالشفـــاه البـــاسمـــــة تعنــــــى أننــا مقــــــربـــون

والـــــرأس المطــــأطـــــأة تعنــــــــى أننــا أوفيـــاء

نظـــــرة حميمـــــــــة تعنـــــى أننـــــا مــــواســـون

لســــان ناعـــــم يعــــنى أننــــــا مـــدبـــــرون

إن الحسناء الفاتنة قيدته من الرأس إلى القدمين لدرجة أنك

لـــو كنت أنـــت مكـــانه لسلمتهـــا القلــــب فـــى يـــدها

ولمّا فـــــــرغ مــــــن نحــــــت ذلـــــــك التمثــــال

وضـــع رأســـه ناحيـــة قـــدمهـــا بســـبب اضـــطـــرابـــه

وصــــرخ قـــائلاً حقـــــق لـــــى أملـــــى أيهـــــا الصنـــم

انظــــر إلـــــى عــــــدم تحملــــــى وامنحـــنــى الـــراحـــة

إن العشــــق المحتـــــال قـــــد قيـــــد يــــدى لـــدرجـــة

أننــــى أنا نفســـى أصبحـــت وثنيًا وأيضــــًا عـــابدًا للصنم

الفصل الثانى : كتاب النثر

مقدمة :

نظرة إلى الماضى : فى الفترة المظلمة من تاريخ إيران التى تبدأ من أوائل القرن السابع وانقراض الدولة الخوارزمية على يد المغول عام ٦٢٨هـ حتى أوائل القرن العاشر وظهور الشاه إسماعيل الصفوى عام (٩٠٥)، هذه الفترة التى امتدت لما يقرب من ثلاثمائة عام حكم فيها المغول والتيموريون وأخلافهم وبعض الأسر الإيرانية فى أجزاء من إيران، كانت اللغة الفارسية والنثر الفارسى قبل هذه الفترة مكتظين بالكلمات العربية نظرًا لسيطرة العرب، وخلال هذه الفترة دخل إلى اللغة الفارسية عدد كبير من الكلمات والاصطلاحات التركية والمغولية والجغتائية فى الأمور العسكرية والقضائية والاجتماعية والأسماء الخاصة والمصطلحات العامة ، كما دخلت اللغة الفارسية عبارات وتعبيرات من اللغة المغولية. آثار هذه الفترة مليئة بالأنين والشكوى وعدم الاهتمام بالدنيا والحياة الدنيوية، ومشحونة بالأفكار الصوفية والروحانيات الغيبية والغامضة وابتعد النثر الفارسى عن السهولة والبساطة وأثقلته الصنعة اللفظية.

ويُعد أديب شرف الدين عبد الله الشيرازى الملقب بوصاف الحضرة مؤلف كتاب (تجزية الأمصار وتزجية الأعصار) [1] الذى يعرف بكتاب

---

(١) بُدئ تأليف هذا الكتاب فى عام ٦٩٩هـ، وتم تقديم القسم الأول من هذا الكتاب إلى غازان خان عام ٧٠٢هـ، وبقية الكتاب إلى أولجايتو سلطان محمد خدابنده.

(تاريخ وصاف) هو (المفسد الأكبر للغة الفارسية) [1] لم يكن التاريخ فى يـــد هذا الرجل سوى أداة للتكلف والسجع، واعترف بنفسه أنه لم يكن يقصد كتابة التاريخ، بل إظهار الفصاحة والبلاغة، حيث يقول (إن هذا الكتاب عبارة عن مجموعة صنائع وفهرست بدائع وقاعدة للأساليب البلاغية وقانون البراعـــة، وإن الأخبار والأحوال التى هى صلب علم التاريخ تتضح مضامينها ضمناً".

هذا الرجل وضع قاعدة سيئة وبعد ذلك (للأسف تبعه وقلده عدد كبيـــر)[2] مثل شرف الدين اليزدى مؤلف ظفر نامه، وصاين الدين على تركه، ووحيد القزوينى مؤلف تاريخ شاه عباس الثانى الصفوى، وبعد ذلك ميرزا مهد يخان مؤلف كتاب جهانـــگشاى نادرى ودرهء نادره.

فى فترة حكم الدولة الصفوية والسنوات التى تلت انقراض هذه الأسرة المليئة بالاضطرابات حتى أوائل العهد القاجارى، تعرض الـــشعر الفارســـى للأفول والانحطاط فضلاً عن إننا لا نجد أعمالاً نثرية مهمة فى هذه الفترة[3]. كان الملوك الصفويون متعصبين للمذهب الشيعى ولم يهتموا ســـوى بكتـــب الأحاديث والأخبار والفقه والأصول، كذلك لم يكن هنـــاك مجـــال للكتـــاب

---

(١) إدوارد براون : تاريخ آدبيات إيران از آغاز عهد صفويه تازمان حاضر ، ترجمة : رشيد ياسمى ص ٢٨٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٨٨.

(٣) جدير بالذكر أن خوندمير حفيد ميرخوند الذى ولد فى إيران وكان يعيش فى الهند فى بلاط أكبر شاه كتب تكملة لتاريخ جده، كما خلفت الفترة الأخيرة من العصر الصفوى عدة كتب قيمة مثل تاريخ شيخ على حزين والذى لا يزال باقيًا لكن هذا الأثر القيم به تكلف وتصنع ومليء بالأوضاع المؤلمة لهذه الفترة وكان يحكى عن القتل والغـــدر والخيانة.

والفنانين نتيجة للفوضى التى عمت البلاد بعد انقراض الأسرة الصفوية.

ونثر هذه الفترة، التى أعقبت المرحلة الماضية - نثر مليء بالغموض والتكلف والكنايات الثقيلة والملتوية والكلمات العربية الغليظة فانحسرت اللغة الفارسية الأصلية، الأمر الذى كان يتطلب جهدًا كبيرًا لفهم هذا الأسلوب حتى من جانب الكتاب وأصحاب القلم وأدى هذا إلى ظهور كتاب (دره ء نادره) الذى يعد قمة هذا الأسلوب الصعب.

كاتب هذا الكتاب هو ميرزا مهديخان الاسترآبادى كاتب نادرشاه الذى بالغ فى تقليد أسلوب وصاف، بل وزاد على أستاذه فى التركيبات اللفظية الغامضة والكلمات العربية الشاذة، وأورد فى كتابه آيات قرآنية، وتمادى وأفرط فى هذا حتى أضاع الهدف الأصلى من الكتاب من خلال أسلوب المقامة واستعراض الصنعة، حيث إننا إذا حذفنا العبارات الفنية جميعها لن يتبقى لنا سوى عدة صفحات. وديباجة هذا الكتاب هى فقط التى توضح الغرض من تأليف هذا الكتاب، ومع أن كل القراء الأفاضل وأهل الفن اعتادوا كذلك على هذا الأسلوب من الكتابة الغامضة والملتوية إلا أنهم سوف يتعبون ويملون من قراءة هذه الصفحات(١).

وهذا الأسلوب فى الكتابة الذى انتشر فى القرن الحادى عشر والثانى عشر لم يكن مستخدمًا فحسب فى الكتابة التاريخية والمتون الأدبية بل استخدم كذلك فى الرسائل الرسمية والبلاط والأحكام و(القرارات)

---

(١) للتعرف على النثر المشحون بالكلفة لميرزا مهدى خان ارجع إلى الاسترآبادى، ميرزا مهد يخان (كاتب نادر شاه) دره ء نادره، باهتمام جعفر شهيدى، طهران مؤسسة آثارملى سنة ١٣٤٢ش.

والفرمانات، حتى أن الرسائل التى كتبت إلى ملوك أوربا كانت قد كتبت بهذا الأسلوب.

النثر فى عهد الدولة القاجارية

فى عهد الدولة القاجارية كانت الغلبة للشعر، أما النثر فكان فى المرتبة الثانية من حيث الأهمية، وكما رأينا فإن النهضة فى الشعر الفارسى قد ظهرت من أجل العودة إلى أسلوب القدماء، لكن الاهتمام بالكلام المنثور كان قليلاً ، وهذه النهضة والثورة فى النثر لم تكن فقط قد تأخرت بل كانت أيضًا بطيئة جدًا. ونثر هذه الفترة كان غالبًا ما يكتب بنفس العبارات ونفس الأسلوب والطريقة التى كتب بها من قبل وليس له أهمية تُذكر من الناحية الأدبية. وكتاب النثر فى هذا العهد مثل فاضل خان كروسى، وعبد الرزاق بيك دنبلى، وميرزا صادق هماى المروزى كاتب الوقائع فى مجلس فتحعلى شاه، وميرزا جعفر رياض الهمدانى كاتب السفارة الإنجليزية، وميرزا طاهر شعرى كاتب مقدمة كتاب (گنج شايگان)، وميرزا عبد اللطيف مترجم كليلة ودمنة ومؤلف كتاب (برهان جامع درلغت)، وميرزا حيرت مترجم كتاب (تاريخ سرجان ملكم) أحد فضلاء الهند، وميرزا عيسى قائممقام الفراهانى، وميرزا تقى على آبادى صاحب الديوان، وميرزا حبيب الله قا آنى، وميرزا عبد الوهاب معتمد الدولة نشاط، وميرزا رضى التبريزى وآخرين. كانوا مرتبطين بهذا الأسلوب إلى حد ما دون أن يحاولوا الترويج له. واستمر هذا الوضع حتى أواسط فترة حكم ناصر الدين شاه. على الرغم من وجود محاولات إصلاح النثر الفارسى على يد أناس مثل أبى القاسم قائمقام،

وقد استمر هذا الأسلوب متبعًا من قبل كتاب كثيرين ليس فقط فى المكاتبات والرسائل الخاصة بل فى المكاتبات الموجهة لملوك الدول، وتـم اسـتخدام العبارات الطويلة والسجع الأمر الذى كان يثير الضحك، ونرى ذلك أيضًا فى فرمانات الدولة والرسائل الرسمية لهذه الفترة. وكنا نتعجب كيف كان الملوك والوزراء معجبين بهذا النوع من العبارات الجوفاء ويغدقون الأموال علـى هؤلاء الكتاب ويقربونهم إليهم من أجل هذه العبارات التى ليس لها معنـى. ولتوضيح هذا البحث والاطلاع على التطور التدريجى الذى حدث فى النثـر الفارسى سوف نعرض عدة فقرات من المنشورات والقـرارات والرسـائل الرسمية التى صدرت بتواريخ مختلفة وسوف نعرضها حسب ترتيبها الزمنى مع شرح لأحوال عدد من الكتاب المشهورين فى هذه الفترة.

مقدمه قرار نائب السلطنة والذى بموجبه تم تعيين ميرزا محمد رضـا صاحب ديوان الرسائل حاكمًا على ولاية آذربايجان وتفويضه علـى قريـة ميلان التابعة لتبريز والتى كانت إقطاعية لوالده ميرزا رضا[١].

"ذلك الذى رقم بأساليب ديوان (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) [٢] حتى طـرزوا رسائلنا بطراز (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [٣]، ووقعوا فضائلنا بخاتم (وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ) [٤]، فقد أضحت فطرة سجيتنا وجلبت نيتنا مقرونة ببذل الكرم، ونشر النعم، وفـصل الخطـاب، وأفاضـه الصواب، وكفالة المهام، ووكالة الآنام، وكل مختصر لمجمل هو تفضيل لمعانى

(١) صاحب كتاب زينة التواريخ والذى سيرد ذكره فيما بعد.
(٢) نون للقسم – سورة القلم آية ١.
(٣) سورة الأنبياء، آية ١٠٧.
(٤) سورة الفتح، آية ٢٠.

ذاتنا (وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً) [١] وأضحى لكل صاحب تربية تفضيل من الكـرم الكافى (فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُـونَ فَتِيلاً) [٢] ونعم السـابقون (أُوْلَئِـكَ الَّـذِينَ يَـدْعُونَ يَبْتَغُـونَ إِلَـى رَبِّهِـمُ الْوَسِيلَةَ) [٣] من سعاده (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى) [٤] وحضرتنا التـى هى مهبط أنصاف، وصلوا إلى درجة (السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) [٥] (فَأُوْلَئِكَ لَهُـمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى)[٦] والرضوان بعدل أمرنا الذى هو باقتضاء أصل الرضـى ودأب المرضى فى الكتاب (لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ) [٧] ثم (فَلاَ كُفْرَانَ لِـسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ) [٨] وسمعوا بشارة عنايتنا التى هى بشير كرامـة وأفـضال وسمعوا (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَـيْهِمْ فِعْـلَ الْخَيْـرَاتِ) [٩] وكذلك (نَجْزِي مَن شَكَرَ) [١٠] (الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيـرًا) [١١] لأن صاحب المقام العالى ملاذ المجد والنجدة[١٢]"

---

(١) سورة الإسراء، آية ١٢.

(٢) سورة الإسراء، آية ٧١.

(٣) سورة الإسراء، آية ٥٧.

(٤) سورة الأنبياء، آية ١٠١.

(٥) سورة الواقعة، آية ١٠.

(٦) سورة طه، آية ٧٥.

(٧) سورة إبراهيم، آية ٧.

(٨) سورة الأنبياء، آية ٩٤.

(٩) سورة الأنبياء، آية ٧٣.

(١٠) سورة القمر، آية ٣٥.

(١١) سورة الإسراء، آية ٩.

(١٢) نادر ميرزا، تاريخ تبريز ص ٢٦٦.

فى هذه الرسالة أيضًا التى كتبها عبد الوهاب نشاط بناء علـــى أمـــر فتحعلى شاه إلى نابليون إمبراطور فرنسا نجد أن العبـــارات الطـــويلة التى لا محل لها قد همشت الموضوعات السياسية:

"بعد تقديم آيات الشكر والامتنان لله الواحد الأوحد... الملك المكـــرم، كسرى الأعظم، الخديوى الأكرم، الإمبراطور الأعظم، ملك ممالـــك فرنـــسا وإيطاليا، أسعده الله وجعل الدنيا تسير وفق مراده، يا أيها الملك، أيها الموفق، منذ ذلك اليوم الذى انعقدت فيه أواصر الوحدة بين الدولتين، واتحدت غصون التآلف بينهما، وأصبحت بلون واحد وحتى اليوم، وبميامين الحظ السعيد لـــم ينفتل حبل المودة فى يد الألفة، ولم تحد روضة الإخلاص عن مشرب الماء الصافى وخصوصًا فى هذه الأيام فإن صاحب المقام الرفيع ... من حـــضرة فلك القدرة،... والحمد لله فإن الدولتين لم تتركا رسوم المـــودة والإخـــلاص لحظة واحدة، ولم تسلك أية خطوة إلا لتوثيق عُرى الوحدة. والعاملون بالدولة من هذه الناحية إذا نقشوا نقشًا على ألواح الضمير فهى مرآة صافية لصفحات الخواطر، وإذا تحدثوا حديثًا مهمًا فإن ما لهجت به الألسنة لهـــى ترجمـــات كافية.. والمخلصون فى هذه الحضرة نور وفأل سائر وعاكف فمرآة الصداقة صافية ومحطمة لآمال الأعداء.. سفراء وعمال الدولة ... دولة الفلك علامة الإقبال كمثال دائر وواقف وفى أداء الحضرتين فلك ثابت ومستقيم وأحيانًـــا فى عين الاستقامة راجع وأحيانا مقيم. والسلام".

ومن أجل إتمام هذا البحث وإطلاع القراء علـــى التقـــدم والإصـــلاح النسبى والتدريجى الذى حدث فى النثر الفارسى نعرض فيما يلى الرســـالتين اللتين بعث بهما فتحعلى شاه إلى إمبراطور روسيا بعد حادثة قتـــل الـــسفير الروسى فى إيران (جريبايدوف) وكانت الرسالة الأولى فـــى (ربيـــع الأول)

والثانية كانت (فى ذى الحجة عام ١٢٤٥هـ) بعد وصول (كنياز دولجوروكى) السفير الروسى الجديد إلى إيران، والرسالتان كتبهما ميرزا أبو القاسم قائممقام الفراهانى:

«بداية الكتاب بسم الله العليم الخالق الحى القدير الذى لا مثيل له، ولا نظير، والمنزه عن السؤال، العالم العادل، وقاهر كل ظالم، وواضع الثواب والعقاب لكل خير وشر، فبحكمته البالغة يعاقب ويعذب المذنبين ويؤجر ويثيب المحسنين، وتحية عطرة على الأرواح الطاهرة للرسل الصادقين والأئمة الأبرار. وبعد، لا يخفى على الرأى كاشف الحقائق على الملك صاحب المقام العالى المنصف العادل، المتوج صاحب العظمة، ملك البحر والبر، الأخ كريم الأصل مبارك الطالع إمبراطور ممالك روسيا وملحقاتها، صاحب الملك العظيم وراية الفتح والنصر، لا أخفى عليكم أن سفير روسيا قد تعرض للأذى فى حاضرة إيران بحكم القضاء والقدر، والاشتباك بين رجاله والعامة فى المدينة، وحيث إنه صار من الواجب واللازم على المسئولين التابعين لنا تدارك هذه الحادثة، لهذا فى البداية أرسلنا ولدنا العزيز خسرو ميرزا إلى حاضرة الدولة البهية الروسية لتقديم الاعتذار والاحترام. وقد كتبنا ووضحنا بصدق الحقيقة الغائبة لهذه الحادثة وغفلة أمناء هذه الدولة فى آخر الرسالة.

ثانيا : نظرًا لما بين الدولتين الكبيرتين من تضامن ووحدة فإننا اعتبرنا القصاص لهذا السفير فى ذمة دولتنا وكل من كانت تحوم حوله الشبهات من أهالى دار الخلافة وسكانها فى التورط فى هذه الجريمة البشعة بشكل أو بآخر، أنزلنا عليه ما يستحق من قتل أو إقامة الحد أو النفى، كما عزلنا وعاقبنا رئيس الشرطة فى المدينة وعمدة الحى أيضًا على غفلته عن هذه

الواقعة وعدم الانضباط والسيطرة على المدينة والحى قبل وقوع هذه الحادثة. والأهم من كل هذا، الجزاء الذى لحق بصاحب المقام ميرزا مسيح على الرغم من مكانته كمجتهد فى الدين الإسلامى حيث كان يقتدى به زمرة الخواص والعوام، وبسبب تجمهر أهالى المدينة حوله فى أثناء وقوع حادثة مقتل السفير، رأينا أنه من غير اللائق العفو عنه نظرًا للوحدة بين الدولتين ولم نقبل شفاعة الشفعاء ووساطة الوسطاء بشأنه؛ ومن ثم لما كان من الضرورى إطلاع ذلك الأخ حسن السيرة على هذا التقرير فقد قمنا بتحرير رسالة الصداقة هذه ووكلنا ابننا المؤيد الموفق، ولى العهد عباس ميرزا، لإطلاعكم على تفاصيل الأحداث. ونرجو من الله دوام الصداقة والمودة بين الدولتين الخالدتين، واستمرار روابط الصداقة والوحدة بين الطرفين، وأن نقوى هذه العلاقات بتبادل الرسل والرسائل. والعافية فى الختام. تحريرًا فى شهر ربيع الأول عام ١٢٤٥.

الحمد والشكر لله الذى أراح القلوب الحائرة بإرسال الرسل، وإبلاغ الكتب، والرسائل رحمة بالخلق، وجمع الأمور المشتتة، والتحيات والنفحات على أرواح الرسل الصادقين وأمناء حضرة الخالق، الذين رفعوا الوحشة عن عالم الإنس ونقوا الخواطر من الأخطاء. وبعد فإننا نطلع الملك صاحب الجاه قائد الجيش المظفر الأخ المعظم المكرم حسن السير والطبع، صفوة الخالق، درة عقد المودة والصفاء، إمبراطور الممالك الروسية وملحقاتها الذى يتحلى رأيه الصائب بنصرة الخير وقهر الشر، وبحكمه المحكم المتين سيطر على البر والبحر، وحفظ ملكه الواسع الفسيح من كل جانب، ورفع عرشه العالى الرفيع إلى أعنان السماء، أن الرسالة الملكية تدل على الصداقة والرحمة...».

والآن نعرض أيضًا عبارات من الفرمان الذى صدر فيما بعد فى عهد ناصر الدين شاه بشأن حاجى جابرخان نصرة الملك، والد الشيخ خزعل خان :

«عندما تهب نسايم المكارم، وتبدأ روضة أزهار المكارم فى التفتح، فإنها تعطر رؤوس الخلق وتنير خلوة الرجاء، وتغمر روضة آمال العباد بالسحاب الفياض، وتوشح ديباجة إقبال المحبين بالعنايات والإنعامات الملكية، ولاسيما الأشخاص الذين أظهروا علامات الأمانة وحسن الإدارة فى الحضرة السلطانية العليا، وتقربوا بدلائل الصداقة والكفاءة، وبحكم الهمة الملكية الفياضة، حيث إن البحر الزاخر ذا الأمواج المتلاطمة ما هو إلا قطرة من كرمه، والسحاب الوابل ذو الأمواج المتراكمة ما هو إلا رشحة من نعمه، فيجب علينا أن نرفع قدر كل واحد بشمول العناية وإظهار المكرمة...».

مع كل الذى قلناه، يتضح من النماذج التى أوردناها سابقًا والشواهد التى سوف أوردها، والتى تشرح أحوال كتاب النثر الأساسيين فى العصر القاجارى أنه منذ أواخر الدولة الزندية ظهرت بعض الإصلاحات النسبية والبسيطة فى أسلوب الكتابة بالرغم من أن النثر الفارسى قد اتجه ببطئ إلى البساطة والسلاسة وقلّت فيه صنعة والتكلف إلى حد ما. جدير بالذكر أن أمور مثل المدح والثناء ووصف الطبيعة والجمال والعشق قد استخدمت فى الشعر فى هذه الفترة، أما النثر فلم يستغل سوى فى كتابة الرسائل وكتابة التاريخ وكتابة التراجم، لكن منذ النصف الثانى من عهد ناصر الدين شاه ومع ظهور أفكار جديدة مع أوائل النماذج الأدبية النثرية الجديدة انتقل جزء من الأمور التى كانت تهتم بها القصائد والغزليات، إلى النثر وشيئًا فشيئًا اهتم الشعر بالعواطف الداخلية وأمور الحياة.

بعد هذه المقدمة القصيرة نعرض تراجم لأحوال عدد من كتاب هذا العصر مع نماذج من كتاباتهم.

١-عبد الرزاق بيك :

عبد الرزاق بيك دنبلى صاحب كتاب تاريخ المآثر السلطانية ومؤلفات أخرى(١) والذى سيرد ذكره فى الجزء الخاص بالمؤلفين، فى أثناء إقامته فى شيراز كتب كتاب باسم (حدائق الجنان) عن سيرته ، وترجمة لأحوال العلماء والفضلاء المعاصرين له، وقصص عن كريم خان الزندى وأسرته، ثم بعد ذلك قام بعمل تغيرات وإصلاحات فى هذا الكتاب نفسه وأسماه (تجربة الأحرار وتسليه الأبرار) تقليدًا لكتاب (تجزية الأمصار وتزجية الإعصار) تأليف عبدالله بن فضل الله الشيرازى. هذا الكتاب بناء على قول ملك الشعراء بهار يعد من أعظم كتب القرن الثانى عشر الهجرى، وقد كتب بأسلوب يتوسط أسلوب وصاف وأسلوب گلستان الشيخ سعدى، ويتضمن جميع المزايا الفنية القديمة (ونستطيع أن نعده من جملة الآثار التى تتعلق بالنهضة الأدبية والعودة إلى الأسلوب القديم) (٢).

---

(١) حقائق الأنوار، حدائق الأدبا، ، نگارستان دارا، ترجمة عبر تنامه من التركية، جامع خاقانى، روضة الآداب وجنة الألباب (باللغة العربية) ديوان قصائد وغزليات، مثنوى نازونياز، مختارنامه وهى منظومة عن غزوات المختار بن أبى عبيدة الثقفى.

(٢) ملك الشعراء بهار : سبك شناس ج٣، ص ٣٢٠.

نموذج من هذا الكتاب :

" حكى أن، أننى وبعض أهل الوجد قصدنا بيت الله الحرام عن طريق نجد. ومن شدة الشوق للوصول إلى كعبة المشتاقين، كان شـوك أم غـيلان تحت أقدامنا كأنه الورد والياسمين، وكانت شقائق التمنى تنمو فـى ريـاض الخواطر وشوك وادى البطحاء. قال الرفقاء إن فى قبيلة نجد فتاة هى قبلـة أهل الوجد، فهى فى الجمال والكمال كسلمى وليلى، وعندها جيش من الخدم وتأسر القلوب بنظرتها الساحرة التى تشبه المغناطيس.

وأدى ميل دواب ومطايا وجمال الرفاق إلى التأخر عن الوصول إلـى كعبة الكمال وكأن لسان حال السالك مبارك الخصال يقول :

أيهـا المرشـد أيـن بـشاير الكعبـة	إننـا متنـا فـى صـحرائها
أقدام المرشدين من هوى تلك القمريـة فـى الطـين	وأنا مهموم القلب من فراق الأحبـاب
الروح تطيـر بجناحيهـا إلـى الأعلـى	والجسد يضرب مخالبه فـى الأرض
اتجه الأحباب إلـى مقـام تلـك الفاتنـة،	مثـل ذى الرمـة المفتـون والهـائم بالخرقـاء
تمـام الحــج أن تقـف المطـــايا	علـى خـرقـاء واضعـة اللثام[1]

وكان من الصعب علىَّ فراق الأحباب والبقاء بمفردى وإطاعة لأمـر (لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)[2] . فقد اضطررت مجبرًا على موافقة الرفاق واتجهت إلى الطريق فى اللحظة نفسها، وقبل الوصول إلى المقام المنشود أراد أحد الرفاق أن يسبق الجميع إلى رؤية تلك الفتاة ذات رائحة الياسمين، والذى

---

(١) عندما تنام الإبل على أعتاب سراى الخرقاء يكون هذا وقت زيارة بيت الله الحـرام (الخرقاء، هى التى ترفع البرقع عن وجهها) وهو اسم معشوقة الشاعر.

(٢) سورة البقرة ، آية ١٩٥.

كان هو نفسه السبب في الانحراف عن الطريق، ووخزه شيء ما في إصبعه وهو في الطريق. ومن شدة الألم صرخ صرخة وصلت إلى عنان السماء. فقالوا ربما تكون شوكة فإن وخزة الشوكة تؤلم. قال الرفاق برغم أن تلك الفتاة ذات حسن كامل فلديها معرفة أكيدة بعلاج الأوجاع. ومع أن سهم أهدابها لا تفيد معه الجراحات، فإن لعاب شفتيها ترياق للمتألمين. وعلاج داء هذا المستغيث تلك الجميلة الممشوقة. ومع أن غمزاتها شافية، لكن أصابعها المخضبة ليست مرهمًا للقلوب المهمومة.

خرجت يد كالعاج الأبيض من خلف الستار وكأن الشمس والقمر قد شقا الغيوم

ظاهر يدها ناعمة كبطن السنجاب وطرف إصبعها أسود كذيل السنجاب(١)

عندما وصلنا إلى خيام بنت الكرام، وقابلها الرفاق، وقالوا لقد رأينا أكثر مما سمعنا. وبعد الضيافة والملاطفة وعندما عرضوا إصبع الرفيق المجروح على ذات الوجه القمرى، صاحت قائلة : أيها الرفاق لقد عضه الثعبان، ونفث سمه القاتل فى أعضاء بدنه. وليس له علاج فى هذا العالم الآن فقد حان وقت رحيله من الدنيا إلى الدار الموعودة. وفى أثناء حديثها رحل ذلك العاشق الحزين. وفى المكان نفسه دفناه فى التراب بقلب حزين وتندى ثراه بدموعنا.

لا تسأل عن السر؛ لأن لأسرار سالكى الحرم

علامات (كرامات) تظهر من حين إلى حين

---

(١) شعر لكسائى المروزى.

قبلة العشق واحـــدة، وكل من لديـــه شك

في قلبه يكون طفلاً في طريق سالكى الدرب

* * *

إن الظـــاهر يعلـــم الـــسر والعلـــن
والعين فى كل اتجاه فماذا تملك يا إنسان؟

العين التـــى لا تريـــد العمـــى أفـــضل لهـــا
والرأس التى لا يفتتن بها القبر أفضل لها

الأذن التـــى لا تريـــد ســماع الـــصمم أفـــضل لهـــا
والقلـــب بدونـــه النـــار أولـــى بـــه

إنه الوجود المطلق، صـــاحب كـــل الوجـــود
مـــــع وجـــــوده فالكـــــل زائـــــل

لا تتعلـــق بـــأى شـــيء فـــى هـــذه الـــدنيا
ولا تتعلـــق بـــأى شـــيء ســـوى الله"[١]

٢- ميرزا رضى :

من كتاب النثر فى بداية عصر الدولة القاجارية ميرزا رضى منـشئ الممالك، ابن ميرزا شفيع الآذربايجانى. كان ميرزا رضى من أسرة عريقــة صوفية، ولكن هذا الأمر لم يمنع ميرزا رضى ووالده مــن الوصــول إلــى مناصب حكومية مرموقة. كان ميرزا شفيع مسئول الأمور المالية لدى نادر شاه و شغل ميرزا رضى هذا المنصب نفسه بعد وفاة والده فى فتــرة حكــم كريم خان الزندى ثم بعد ذلك فى فترة حكم محمد خان قاجار، وكان يكتــب الكتب والرسائل والفرمانات بالعربية والفارسية والتركية والجغتائية، وعندما حانت فترة حكم فتحعلى شاه حظى ميرزا رضى بمكانة كبيرة واحترام أكثر،

---

(١) حدائق الجنان، ص ٢٩-٣٠ (نقلاً عن ملك الشعراء بهار، المجلد الثالث من كتــاب سبك شناسى).

وأصبح مشهورًا، وكان يضع خنجرًا من الماس ولفافة من الـورق[1]. كـان ميرزا رضى يقرض الشعر بالتركية وأحيانا بالفارسـية والعربيـة وكـان يتخلص بـ (بنده) أى (عبد) باللغة العربية.

ولقد سجل رضا قلى خان هدايت قصيدتين لميـرزا رضـى باللغـة الفارسية فى كتابه مجمع الفصحاء .

توفى ميرزا رضى متأثرًا بمرض السل فى طهران عن عمر ينـاهز الخامسة والستين عام ١٢٢٢ هـ ق، ودفن فى النجف.

ولقد ترجم ميرزا رضى إلى الفارسية وقائع حرب فرنـسا والنمـسا وروسيا (١٨٠٥م) التى كانت قد ترجمت من الأوربية إلى التركيـة ليطلـع عليها فتحعلى شاه. ومن كتاباته أيضًا رسالة (عشق وروح) و(حـسن ودل)، ومن أشهر كتاباته رسالة مفصلة كتبها على لسان فتحعلى شاه إلى نـابليون الأول وطبعت كلها فى "زنبيل" لفرهاد ميرزا معتمد الدولة [2].

وميرزا رضى له كتاب تاريخى باسم (زينة التواريخ) ألفه بناء علـى أمر الملك، ومؤلف هذا الكتاب الأصلى هو ميرزا رضى واشترك معه فـى

---

(١) قيل إنه مُنح هذا الخنجر فى أثناء عزف السلام وقت المساء حيث كان خواص الأتباع قد تأهبوا للعرض، ونظر أحد الحاقدين والحاسدين منهم نظرة سخرية لوضع الخنجر والورق فى حزام الخصر معًا، والتفت المرحوم ميرزا وقال للحاضرين إننى أتعجب من أناس رأيتهم ثلاثين عامًا وكانوا من الجهلة وكانوا يضعون القرطاس والورق فى حزام خصرهم ولم يضحك عليهم أحد والآن عندما وضعت خنجر المحبة فى حـزام خـصرى عن جدارة واستحقاق ضحكوا على . (نادر ميرزا، تاريخ تبريز ، ص ٢٦٥).

(٢) محمد على تربيت، دانشمندان، آذربايجان، ص ٧٠.

كتابته معتمد الدوله نشاط وعبد الرزاق بيــك دنبلــى المــتخلص بــالمفتون وشخص آخر يدعى ميرزا عبد الرحيم اشتهاردى.

٣- فاصل خان :

ميرزا محمــد من طائفة البــايندر التركمـــانية، ولد في الرابع عشر من شهر ذى الحجة عام ١١٩٨هــ. ق في جروس (گروس) . أصبح يتيمًــا وهو فى ســــن الســـادسة عشر من عمره وكبر فى ظروف صعبة. بعد وفـــاة والده بفترة سافر إلى العراق وإلى أمــــاكن أخرى وتعــــلم فــن الخط والإنشاء. ثم عاد إلى طهران والتحق بالبلاط عن طريق فتحعلى خان صبا وأصبح من خاصة الغلمان، وبناء على أوامر الشاه تربى ودرس علــى يد فتحعلى خان صبا، وخــــلال خمــــس سنوات تعلم الكثير مــن علــوم زمانه، وعنـــدما لمس الشاه هذه الفضــــائل لقبــه بــ (فاضــل خــان) وعينه رئيسًا للمنـــــادين فى البـــلاط. وخلال عدة أعوام كان يعمل ضمن الكتاب الخصوصين للشـــاه ورافقه فى سفرياته. ولحسن بيانه كان يحفــظ القصــــائد التى كان ينظمها فتحعلى خان صبا ملك الشعراء وغيــره مــن الشعراء فى مدح الشاه ويرويها مرة أخرى لهذا السبب كان تخلصه الشعرى (راوى).

وفى يوم الجمعة ٢٤ رجب عام ١٢٤٤هــ ق الموافق (٣٠ يناير سنة ١٨٢٩م) وقعت حادثة مقتل السفير الروسى فى طهران جريبا يدوف، وسافر فاضل خان إلى روسيا ضمن الوفد الذى تــرأسه الأمير خسرو ميرزا أحــد

أصغر أبناء عباس ميرزا ولى العهد بعد سبعة أشهر لتقديم اعتـذار للـبلاط الروسى.[١]

والتقى وفد خسرو ميرزا وهو فى طريقه إلى القوقاز بالشاعر الروسى الشهير بوشكين، فقد كان بوشكين ضمن الجيش المتوجه لقتـال العثمـانيين بقيادة الجنرال (باسكوفيش).

وقد شرح بوشكين تفاصيل هذا اللقاء فى كتاب رحلات أرزنه الـروم (سفرنامه ارزروم) :

"كنت على عجلة بغية الوصول إلى تفليس على وجه السرعة ... وكنا ننتظر الأمير الإيرانى[٢]، وعلى مقربة من قرية كازبيـك (قاضـى بيـك؟) صادفنا عدة عربات، وأغلق الطريق نظرًا لأنه كان ضيقًا. وبينمـا كانـت وسائل النقل تمر إلى جوار بعضها بعضًا قال لنا ضابط الحراسة إنه يقـوم بتوديع شاعر البلاط الإيرانى، وبناء على طلبى قدمنى إلى فاضـل خـان. وبمساعدة المترجم أردت أن أقدم تحية شرقية ساخرة، ولكننى شعرت بخجل شديد عندما رد فاضل خان على مبالغتى غير اللائقة بتواضع شـديد وأدب جم، وأعرب عن أمله فى رؤيتى مرة أخرى فى بطرسبورج، وأسفه لقـصر اللقاء. فاضطررت لتغيير أسلوبى الساخر المسهب وتحدثت معه بالعبـارات الأوروبية السائدة.

---

(١) كان رفاق خسرو ميرزا : .. ميرزا محمد خان أمير النظام، ميرزا صالح كاتب الـديوان، ميرزا بابا كبير الأطباء، ميرزا مسعود المستوفى، ميرزا تقى خان الفراهانى كاتـب الديوان لدى قائممقام الذى عرف بعد ذلك بأمير كبير، والصدر الأعظم وهو الوزير الشهير فى عهد ناصر الدين شاه ومن الشخصيات الإيرانية البارزة.

(٢) خسرو ميرزا.

يجب أن تكون تلك الواقعة درسًا وعبره بالنسبة لنا نحن الروس كي ندع السخرية جانبًا، فأنا نفسى لن أصدر حكمًا على أحد لقبعته الجلدية، أو أظافره المخضبة بالحناء". [١]

تولى فاصل خان لفترة شئون الوزارة فى همدان، لكنه عاد إلى طهران نظرًا لاستدانته هناك وضيق الحال، وانضم ثانية إلى كتاب البلاط، وظل فى هذا المنصب لفترة من الوقت فى عهد محمد شاه، إلى أن آثر الاعتزال "وحصل على راتبه من السلطان" وفى النهاية توفى فى طهران عام ١٢٥٣هـ. ق أو ١٢٥٤هـ.ق[٢] نتيجة مرض عضال أصابه لعدة شهور[٣].

---

(١) سفر نامه ارزروم، الفصل الأول.

(٢) ذكر فى لغت نامه دهخدا أنه توفى عام ١٢٤٣هـ ق وهذا التاريخ خطأ بالطبع.

(٣) يقول أى . ك كالوبوف، فى رسالته التى ألفها بالروسية بعنوان (الشاعر ميرزا شفيع) والتى نشرها عام ١٩٣٨ فى باكو، وتحتوى على ملخص بالفرنسية : "كانت تبريز فى ذلك الوقت – الربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادى – مركزًا للمدنية والثقافة الإيرانية، وقد جمع ولى العهد عباس ميرزا حوله الفضلاء والعلماء. وكان من بين الشعراء رجل يسمى ملا فتح الله الذى غير اسمه بعد ذلك وأطلق على نفسه (فاضل خان). وفاضل خان هو نفسه الذى امتدح بوشكين بعد مرور فترة قصيرة امتدح أخلاقه وشيمه فى كتابه "أرزنه الروم". نظم فاضل خان قصيدة تناول فيها وضاعة أكثر أمراء إيران وانتقدهم لأنهم كانوا يتفوهون بكلمات التملق والنفاق فى مجلس الأمير عباس ميرزا كالعبيد بينما استسلموا للروس عندما أحرزوا تقدمًا فى الحرب. وكان هذا الهجاء موجهًا بشكل أساسى إلى ميرزا أبى الحسن خان وزير الخارجية فى ذلك الوقت الذى كان قد قدم نفسه إلى بلاطات أوربا باعتباره سياسى محنك. وقد أثارت قصيدة فاضل خان آراء مختلفة بين الشعراء. فنهضت جماعة

ويعد فاضل خان من أكثر الكتاب بلاغة فى بلاط فتحعلى شاه. ويذكر قائممقام فى منشآته فاضل خان عدة مرات باحترام ويعده شخصًا "قدره مجهول ومثيله معدوم" ويقول عنه "لم ترعينى مثلكم فاضلاً".

وعلاوة على منشآته التى تعد من النماذج الراقية للفصاحة فى ذلك الوقت ألف أيضًا بناء على أمر من فتحعلى شاه تذكرة بعنوان "انجمن خاقان" عن مجلس الخاقان فى ذكر أحوال الشعراء والعلماء فى بلاط الشاه القاجارى.

رساله فاضل خان إلى آقا خان المحلاتى :

«النبوة فى النسب والملكية فى الحسب

أين سليمان كى يضع الخاتم فى الإصبع

حضرة المخدوم الجواد، وصاحب الهمة ذى العدل والإنصاف، الرؤوف عالى النسب ليظل أبد الدهر كعبة الحاجات ومركزًا للأطراف ومحطًا لرحل الأوتاد ومحيطا لركاب الشعراء. فى الكتابة حكاية، وفى التقرير رواية تقدم العبرة، وتثير الحيرة، فأنا متعب وذلك لأن : فى بداية عهد كريم خان الزندى كان العالم كله سوقاً للسكر. فتاة جميلة المنظر، فضية

لتأييد الشاعر وأيدت جماعة أخرى الوزير....' وجاء فى موضع آخر من الكتاب نفسه أن المدارس الإسلامية فتحت فى عهد الجنرال فارنسوف، فى تفليس وكلف الشاعر والعالم فاضل خان القادم مؤخرًا من إيران بإدارة مدرستين. وللأسف لم ترد إشارة إلى هذا الموضوع فى المصادر الإيرانية، وعلى الباحثين أن يقوموا بإجراء أبحاث ودراسة عن الملا فتح الله فاضل خان والقصيدة التى نظمها وتوليه إدارة مدرستين فى تفليس.

الصدر، مغرية، لعوب، فاتنة، قوادة، ساحرة، ماكرة، غادرة، تحنث الوعـد، ترتدى زى الرجال، لها محبان لوطى وزان، مغرية للعالم، فاضحة قدمت من شيراز إلى همدان، وصارت كالنار فى أكوام حصاد الشيوخ والشباب بمعنى:

حاجبها كالقوس، غمزتها كالسهم، كيدها كالفخ

لم تعطـيك فى سبيل الله ؟ .. بغرض الاصطياد

جعلت الزهاد أسرى قديها والعارفين كالذباب علـى السكر وأسـرى الجدائل. جعلت ألف تاجر فاجرًا، ومنحت ألف تاجر مرادهم، باعت للعطار والبزار الزعفران وزهرة البطونية، وجمعت الـذهب والفـضة، وأشـعلت بغمزتها النار فى مخزن كل علاف، ومزقت خيوط التـصحيف لـدى كـل صحاف. وحصلت بقوة جاذبيتها من القطرة على بحر، ومن كل حبة علـى مكيال. الخلاصة خلال خمسين عامًا من البقاء فى البلدة والناحية أخذت مـن الحر والمملوك ومن الحاكم والمحكوم، من الإمام والمـأموم أكياسًـا مليئـة بالمال فى مقابل فرجها، استولت على صرر المال فى مقابل سـرتها حتـى أغلقت الدكاكين وأرهقت الساعين إليها... وبعد أن ابيض شـعرها، واسـود وجهها واصفرت أسنانها، وجف ثديها، وانقطع طمثها، وولت لعنتها صارت مفتونة بالخروج على رأس القافلة، فركبت حمارًا وذهبت للزيـارة وقـدمت تصحبها السلامة وصارت طيبة طاهرة، وأصبحت سيدة كربلائية تقية، والآن اشترت بيتًا إلى جوار المسجد الجامع وشيدت منزلاً من ذلك الـذهب الـذى حصلت عليه من عرق جبينها وكد يمينها، وأحيانًا تصنع الحصير للمـسجد وأحيانًا أخرى تقوم بطهى حساء "عباس على"، وجعلت عدد حبات المـسبحة أكثر من عدد الفجار، ولباد سجادة الصلاة أكبر مساحة من أبسطة الفجـور وتؤدى الصلوات الخمس خلف الإمام، أما النساء فهى تؤمهن. وإذا أعطـت

قرضًا لغريب ما فهى لا تخفض الفائدة عن عشرة أو خمسة عشر، ولا تعطى له درهمًا إلا فى مقابل قيمة عشرة دنانير عن كل دينار. وبالصدفة اقترضت أنا العبد المسكين للضرورة لأمر واجب. فأتت سمسارة وكأنها سمسارة محتالة أو مرابية وقالت توجد سيدة عفيفة طاهرة ثرية تقدم قروضًا، وإذا مرت أربعة شهور على موعد السداد فهى لا تتذمر ولا تطلب فائدة. وشعرت بالرضا نظرًا لأن "الغريق أعمى" وسررت لذلك. فأرسلت رجلاً فى طلب تلك السيدة وبعثت رسالة تفيد أننى أريد مبلغًا من المال. فحضرت على الفور بعد أن ضرب نعلها الأصفر عنان السماء ووضعت النقاب الأسود على وجهها الشاحب الفاجر. تحدثت معها فلاحظت أنها أزالت عنى الحزن بأسلوب لبق وناعم ولطيف. مارست أعمال الاحتيال وأبدت حسرتها وضربت كفًا بكف ولعنت الزمان قائلة : لماذا يحتاج شخص مثلك لمثلى، ولماذا يقترض شاب من عجوز؟! لن أطيل؛ فقد لاطفتنى كثيرًا بأسلوب طيب حتى أننى صرت مترددًا فيما إذا كانت السيدة الكربلائية موجودة ببيتى أم أنها جعلتنى عبدًا لإحسانها ثم أطلقت سراحى. ثم تطرقنا إلى الرهن، فهذا هو الكتاب وتلك هى المحبرة. حملت عباءتى ومصحفى وقلبت كلاً منهما وهزت رأسها وتنهدت. أى أننى صرت شديد الانفعال وشعرت بالخجل. ولكنها أخذت تخفض قيمة كل شىء إلى النصف، وصارت تبالغ فى عيوبه، وتُعرب عن اعتذارها على الفور بسبب المزايدة وتستغفر. فى النهاية عرضتُ على العجوز المسكينة كل شىء من رطب ويابس فى مقابل مبلغ قيمته مائة تومان. أردت أن أوصيها على الحفاظ على تلك الأشياء فقالت : أنا فداك، سأدعها فى حجرة فلان التاجر الذى كان رفيقى فى الماضى وصار الآن من الشهود العدول لدى سيادة القاضى، فهناك ستكون بعيدة عن اللصوص والفئران، كما أنها ستكون بذلك قريبة من المبلغ وقريبة من صاحبها.

وصرت أنا المخدوع الساذج المشهور بالذكاء والفضل على سبيل الخطأ مفتونًا بتلك السيدة الطيبة النجسة الغدارة، وخُدعت بتلك الفاسقة الزاهدة الزانية، وقدمت الرهن وعقدت العقد، وأخذت المال. وذهبت السيدة وبقيت أنا وقرأت آية الكرسى لتحفظها. ولما بقى على الموعد المحدد أربعة شهور، فإذا بساكنة همدان تأتى كل يوم كالإعصار وعلى رأسها عباءتى الجوخ حاملة المصحف الذى كتبته بخطى الياقوتى وتقول لقد احتميت بتلك العباءة من الأمطار وأحضرت هذا المصحف شفيعًا لترد لى مالى !

فأقول لها : أيتها النشالة المحتالة ، أيتها اللصة المحتالة، لو كان هذا هو قصدك كان عليك أن ترتدى عباءة المؤذن وتحضرى ثلاثين من المقرئين. فتغمز بعينها وتذهب. وتأتى فى اليوم التالى وتجلس وتقول مهددة إننى احتفظ بالشارة الخاصة بالوزير الفلانى وبسيف الأمير الفلانى فلا هذا يستطيع ثانية أن يردنى، ولا ذاك يستطيع أن يؤخر لى طلبًا !

الخلاصة، هى تفعل معى ذلك حتى يغمر الماء البناء، وتطيح الرياح بالخيمة، ويصير ذو الفقار خان مع أبى الحسن الجندقى وسهراب خان مع الحاج محمد البسطامى".

شرحت حالى كلى ثقة فى كرم مخدومى لأننى لا أطمع فى السؤال ولا أشك فى عطائك والسلام».

٤- صاحب الديوان :

ولد ميرزا تقى العلى آبادى بن ميرزا زكى مستوفى الممالك لدى آغا محمد خان فى على آباد (شاهى حاليًا). وكان رجلاً فاضلاً محنكًا ومن

الكتاب البلغاء . ولما ضاقت به سبل العيش فى بلده رحل من مازندران إلى طهران، وقدمه فتحعلى خان صبا إلى بلاط فتحعلى شاه، وعمل فى البداية فى منصب الكاتب الخاص عنده. وعُين بعد ثلاث سنوات رئيسًا للدور الملكية. وكان موضع ثقة الشاه ويقوم بحمل وتسليم رسائل الشاه السرية. وعُين فى منصب الوزارة لشئون زنجان لعدة سنوات، وظل بتلك المدينة لعشر سنوات، ثم عاد بأمر الشاه إلى طهران، وعمل فى منصب أمين الرسائل فى البلاط. وعندما توفى ميرزا خانلر المازندرانى منشئ الممالك عام ١٢٤٤هـ.ق بوباء الطاعون. عُين ميرزا تقى فى منصب منشئ الممالك ولقب بعد فترة بلقب "صاحب الديوان" لكنه عُزل بعد أربع سنوات (١٢٤٨هـ.ق) بتهمة كتابة مرسوم ومنح إقطاعية لرجل ما دون علم الشاه، وتولى بعده ميرزا تقى نوائى المازندرانى منصب منشئ الممالك.

وبعد تتويج محمد شاه عام ١٢٥٠ هـ.ق كُلف العلى آبادى فى شوال من ذلك العام باستقبال الأمير محمد قلى ميرزا ملك آرا حاكم مازندران الذى استدعى إلى طهران خشية رفع لواء العصيان. وأدى مهمته على أكمل وجه، ثم كُلف بالذهاب إلى شيراز وهناك تعرف على وصال الشيرازى، وبعد ثلاث سنوات عاد إلى طهران بتصريح من الشاه بسبب مرضه، ولم تمض فترة طويلة حتى أصابته غيبوبة ولازم بيته، فقد شُلت قدمه وأصيب بالعمى إلى أن توفى فى جمادى الآخرة عام ١٢٥٦هـ.ق.

يعد صاحب الديوان من بين كتاب الدرجة الأولى فى بداية الحكومة القاجارية. ويذكره قائممقام بإجلال فى منشآته ويمتدح مهارته فى الإنشاء.

كان الصاحب ينظم الشعر أيضًا ويتخلص بـ "الصاحب" و"صاحب الديوان". وأشعاره مشهورة. وتوجد نسختان من ديوانه في مكتبة مدرسة "سبهسالار" بطهران.

- **نموذج من نثر صاحب الديوان :**

"في عهد الخاقان عفى الله عن أمسه وسقى الله رمسه الذي كان زمانًا للأمن وأمنًا للزمان؛ كُلف أمير أيروان بتسخير بلاد أرمينية والسيطرة على تلك الممالك والبقاء فيها. فأغار عليها بجيش جرار. وتيسر له فتحها وأرسل للسلطان بشرى الفتح. وأغار الجنود فسلبوا الأموال وقيدوا الأسرى وحملوهم للأمير. وكانت بين الأسرى فتاة في غاية الحسن والجمال، كانت كالصنم عند الكفار وكالحور عند المسلمين، قمر الفتيات وأميرة الحور، كان يخفق لها قلب الطفل الصغير، ويهفو خاطر الشيخ الكبير إليها عشقًا في الشباب... وعلى الفور صار الأمير أسيرًا والأسيرة أميرة. وما ذلك على الله بعسير(١).... فأخذها له وترك بقية الغنائم للجند. ووفقًا لحكم سلطان العشق عصى أمر الشاه وترك ذلك المُلك إلى حاكم تلك الديار وعاد إلى أيروان مع الفتاة. فحكم الشاه لا يصمد أمام حُكم الدلال !! فلما أدركت الفتاة بفراستها أنه أسير حبها قالت له لن تنالني لأنني أسيرة هوى شاب من شباب قبيلتي، وأفكر فيه في كل لحظة وفي عهدي معه ووصالي به الذي لا يمكن لسيفك أن يقطعه ولا لتدبيرك أن يمنعه . عصفورك ليس الطائر الذي يستحق ذلك التين... وصيدي ليس إلا صقر صائد العنقاء... لا تخالف رأى السلطان ولا

---

(١) يبدو أن الكلمة محرفة. فنص الآية : "وما ذلك على الله بعزيز" سورة إبراهيم، الآية ٢٠.

تدع مصلحتك. فقال : لا أرغب من الدنيا سوى وجهك... ومع وصالك أعزف عن الجنان .. فإذا أمسكت بطرف جديلتك.. ماذا أفعل ببلاد الأرمن، ولا أريد إيروان... وعاد إلى إيروان وتخير قصرًا عند جانب القلعة التي اشتهرت بأنها من المعاقل الرضية. وخصصه له مستقرًا. كان قصرًا مشيدًا أعلى كتلة حجرية ارتفاعها مائة ذراع وأسفلها نهر يفوق دجلة بغداد ونيل مصر وينحدر ناحية نهر ارس، وكانت الطيور البحرية تحذر التحليق أعلاه. ثم عيّن لها الخادمات والجواسيس لخدمتها بغية استدراجها بالحيلة والدهاء وإيقاعها فى فخه. ولم تكترث الفتاة بذلك الجلال ولم تأبه بتلك الجماعة. واختارت الإقامة فى كشك حتى تخفى الكنز، وفى قلبها ألم مفرط. وكانت أسيرة حبها لدرجة أنها لم تكن تعلم شيئًا عن الدنيا. لم تكن تغادر مكانها رغم حيل وخديعة الخادمات الماكرات. وذات يوم اشتاقت لدخول ذلك القصر ... فذهبت إليه. وبالمصادفة كان ذلك الشاب العاشق قد قطع الصحراء ووصل إلى إيروان بعد فراق دام لفترة طويلة، وسأل عن منزلها . فأخبروه أنها فى قصر أعلى القلعة يقع على قمة جبل من الحجارة يجرى إلى جداره نهر لا يستطيع الطائر الخرافى اجتيازه... وأخذت الفتاة تنظر إلى تلك الصحراء كل يوم فى انتظار ذلك الشاب وتُسمع بكاءها للأسماك والقمر. وقطع الشاب أسير العشق أيضًا صحراء الشوق، وتناسى ما قيل، ووصل إلى إيروان هائمًا. وعلم أن محل إقامتها عند قمة تلك القلعة، فسار فى أثر ذلك النهر كالماء الذى لا يستطيع أن يتوقف للحظة، ولم يرفع رأسه عن الحجر أثناء ركضه. ووصل إلى شاطئ ذلك النهر المرعب فى مقابل تلك القلعة ذات الطريق المسدود ومثل من ينتظر تلبية الدعاء. عقد ناظريه على السماء وخفق قلبه. فإلى أية ناحية يحلق الصقر، ومِنْ أية ناحية يهب نسيم الوصال.

وفجأة وقع ناظر الفتاة المنتظرة على جمال الشاب. فتدحرجت الفتاة كالحمامة من أعلى القلعة على الحجر وقفز الشاب أيضًا من الشاطئ إلى النهر كالطائر البحرى. وحمل شوق العشق الفتى من موج البلاء إلى الساحل والفتاة من ورطة الفناء إلى الحياة، وتعانقا سالمين. وحمل الجواسيس الخبر للأمير، فعض بأسنانه على إصبعه حائرًا. وتراجع عن قصده ومراده من باب الفتوة وحكم المروءة، فأعد قصره الخاص وزينه بزينة فاخرة وسلمه لهما وأكرمهما(١)".

- **حكاية :**

فى أثناء قتال الروس فقد أحد أمراء الأتراك جواده، واضطرب حال فرسانه، والتف حوله الأعداء. وأصبح فى عداد القتلى نتيجة جروح غائرة بعد الكر والفر بشجاعة. فلما رأوه ميتًا تركوه. ونظرًا للأجل الموعود ظل به رمق فى الحياة. نعم... إذا كان الجسد جسدًا روسيًا فالروح روح فردوسية... تظل محفوظة من سهم الروسى وسيفه. وعلم أحد الجنود الذين يحبونه بمقتله. ورغم مقتل صديقه لم يخش قتل الأعداء له، ونهض كالقمر حين يلقى بضوئه على زهرة الكتان(٢) أو كالشعلة حين تصيب أكوام الحصاد وفرَّق ذلك الجمع... وجعل الغدو والرواح عند رأس قتيله مرهمًا لجرحه... يعد ذاك القتيل بقتل قاتله. أخذ يمسح وجهه بوجه القتيل المخضب بالدماء

---

(١) مخزن الإنشاء، ص ٤١٥. ونهضت أدبى إيران : إبراهيم صفائى ، ص ٣٠.

(٢) القمر وزهرة الكتان طرفا نقيض؛ فزهرة الكتان لا تتفتح إلا نهارًا. (المترجم).

عازمًا على غسل الدماء بالدماء. أشعل نار الدواء بالكبريت الأحمـــر علـــى الوجه الساكن... فقال له بأنفاس متقطعة أزح وجهك المشتعل عن جرحـــى فيجب علىَّ أن أتجنب النار، فقال :

انظـــر لدمـــوعى فهـــى تُخمـــد النـــار

فهـــذه الدمـــوع تصلـــح لتلـــك النـــار

لو اشتعلـــت فى وجهـــى نـــار الخلـــيل

ولـــو ســـال مـــن عينىَّ نهـــر النيـــل

ومن بركة قدومه توقف الأخير عن الذهاب إلى العدم، وعاش الأمير لسنوات طويلة، وصار أسيرًا فى قبضة عشق ذلك المقدام.

ليظل ســـاعـــد العشـــق قـــويًا، فمـــن قـــوته

تصلح الكرة الأرضية موضعًا لسجود السلطان

كـــل مـــن صـــار عبـــدًا له فهو ملك للكونين

كـــل مـــن صـــار قتيلاً لـــه فهـــو حـــى خالد

إلا أن أسلوب الكتابة السائد المتسم بتلك الصنعة والكلفة التى تبعث على الملل لم يستطع الصمود أمام اتصال إيران بالعالم الغربى ونفوذ المدنية الحديثة.

لذلك فكر بعض الأشخاص فى تخليص الكتابات الفارســـية مـــن تلـــك الألفاظ والتكلفات والمبهمات والإفراط فى استعراض الصنعة.

وابتعد ميرزا أبو القاسم قائممقام عن الأسلوب القديم إلى حد بعيد، وقدم نثرًا أكثر بساطة وجمالاً . ونظرًا لمنصبه الحكومى الرفيع اتبع الآخرون أيضًا أسلوبه وكانت مراسلاته الكثيرة نموذجًا لجمال العبارة. (١)

٥- قائممقام :

كان ميرزا أبو القاسم الفراهانى ابن سيد الوزراء ميرزا عيسى المعروف بميرزا الكبير من السادات الحسينية من أهل هزارة فراهان التابعة لأراك. ولد عام ١١٩٣هـ.ق، وتربى فى كنف والده العالم وتعلم علوم زمانه. فى بداية شبابه عمل فى الحكومة وبعد فترة كان ينجز أعمال والده فى طهران. ثم بعد ذلك توجه إلى تبريز عند والده الذى كان وزيرًا لأذربايجان ثم عمل لفترة كاتبًا فى ديوان عباس ميرزا ولى العهد ورافقه فى سفرياته الحربية وبعد أن فضل والده الابتعاد تولى هو الأعمال الرئيسية لولى العهد، وأتم ما كان قد بدأه والده ميرزا الكبير حيث تنظيم الجيوش الإيرانية بمساعدة مستشارين فرنسيين وإنجليز ، كما اشترك فى معظم حروب إيران وروسيا. فى عام ١٢٣٧هـ ق توفى والد ميرزا قائممقام، ووقع خلاف بين ابنيه ميرزا أبى القاسم وميرزا موسى على خلافة والدهم، ودعم حاجى ميرزا آقاسى ميرزا موسى إلا أن هذا الدعم لم يأت ثماره، وفى

---

(١) فيقول متفاخرًا فى مقدمة "رسالهء عروضيه" التى كتبها باسم ولى العهد عباس ميرزا "إن العبد الحقير (إشارة إلى نفسه)... غاية بضاعته وقمة استطاعته أن كسر القلم وامتنع عن الكلام، فبفضل الله ويمن التفاته السامى لا يمكن لأى مخلوق أن يسترد منى تلك الوسائل والقوالب المستخدمة فى الدعاء والثناء".

النهاية وبناء على أمر من فتحعلى شاه خلف ميرزا أبو القاسم والده وحصل على جميع الامتيازات التى كان يتمتع بها والده، وحصل علـــى لقـــب ســـيد الوزراء وقائممقام ووصل إلى وزارة نائب السلطنة ولى العهد، ومنـــذ هـــذا التاريخ أصبح هناك خلاف شخصى بين ميرزا قائممقام وميرزا آقاسى.

كان قائممقام رجلا ذكيًّا ومغرورًا، وكان يخالف ولى العهد فى بعـــض الأعمال، وبعد عام من توليه الوزارة ونتيجة لوشاية المغرضين تم عزله من الوزارة بتهمة الصداقة مع الروس، وظل بلا عمل فى تبريز لمـــدة ثـــلاث سنوات.

وفى هذه القصيدة الطويلة جدًا والتى نظمها فى ذلك الوقت كان يـــشكو فيها تآمر أبناء زمانه وسوء حظه :

أيهـــــا الحـــــظ الســـيئ يا قرين روحى

يا من وصـــــالك أضحى أصل حرمـــانى

يا مـــــــــن تـــلازمنـــى ليـــــل نهـــار

معـــــك لم أشـــعر بالسعادة لحظة واحـــدة

يا مـــن خـــــربت بيـــــــدر عـــمـــرى

يا مـــــن خـــربــــت منـــزل الصـــبـــر

بسببك تحـــــول كوكـــب سعــــدى إلـــى نحســـى

و بسببـــــك تحـــول ربحــــــى إلــــى خســــــارة

النجم هو السيف وأنت الجلاد

الزمن هو السجن وأنت السجان

منذ الأزل وأنت رفيقى

أنت رفيق ليلى إلى الأبد

أنت تملك عمرى ليلاً ونهارًا

وأنت ضيفى على مائدة ظلم الدهر

إن ذلك السافل الذى كان يضيفنى

لم يقدم لى سوى حنظل الصبر واليأس والحرمان

يريق الدم إذا أعطانى شربة ماء

ويطلب الروح إذا أعطانى كسرة خبز

لا يعطينى شراب العسل

إلا إذا قطع شريان حياتى بمشرط الألم والغم

يجلس على مائدتى مع البشر الذين يشبهون الكلاب

هذه الكلاب التى تتجمع حول الجيفة

تارة يضربنى بمخالبه

وتارة يعضنى بأسنانه

إلــى متــى يجــب أن يأخــذنى إلى مــائدة الدهر

وأرى ظلــم السفلــة مــن أجــل كســـرتيــن خــبــز

ولكن بعد انقضاء ثلاث سنوات من العزلة والاعتكاف فى البيت عــاد مرة أخرى إلى العمل فى أذربيجان، وعين فى وزارة نائب السلطنة. وكــان ذلك فى عام سنة ١٢٤١هــ، وفى عام ١٢٤٢هــ ق توجه فتحعلى شاه إلى آذربايجان وعقد اجتماعًا حضره رجال الدولة والأعيان وعلماء الدين والقادة وزعماء العشائر؛ ليستشيرهم فى أمر الصلح مع الروس واستمرار الحرب. وكانت أغلبية المجلس ترى استمرار الحرب. ولكن قائممقام كان مخالفًا لهذا الرأى. وقارن بين القوتين (الروسية والإيرانية) من حيث القوة الاقتــصادية والعسكرية، وأشار إلى ضرورة إقرار السلام مع الروس. وجهة النظر هــذه والتى ثبت صحتها للجميع فيما بعد، كانت فى ذلك الوقــت دافعًــا لهمهمــة أعضاء المجلس واتهامه من قبل بعضهم بأنه يقيم علاقات خفية مع الروس ومن ثم تمَّ عزله من العمل مرة أخرى وإبعاده إلى خراسان.

واستمرت الحرب بين إيران وروسيا وانتهت بهزيمــة إيــران حتــى وصلت القوات الروسية بقيادة (جراف باسكوفيتش) [1] فى ربيع الثانى عــام ١٢٤٣هــ ق الموافق نوفمبر ١٨٢٧م إلى تبريز واستدعى الشاه قائممقام من

---

(١) جنرال فلدمارشال إيوان فيودورفيتش (١٧٨٢-١٨٥٦) اشترك فــى حــرب عــام ١٨١٢م، وكان قائدًا للقوات الروسية فى حربها ضد إيران فــى عــام (١٨٢٥م - ١٨٢٨م) وأخمد التمرد الذى حدث فى المجر عام ١٨٣٠-١٨٣١م، وكان نائبًا عن إمبراطور روسيا فى بلاد المجر.

خراسان وطيب خاطره، وطلب منه أن يعد اتفاقية للصلح باسم ولى العهد وإرسالها إلى تبريز.

وبذل ميرزا أبو القاسم جهدًا مكثفًا لإقرار الصلح وعقد معاهدة مع الروس تضمن حماية القيصر لأسرة عباس ميرزا وأن يكون الحكم له ولأولاده بالرغم من وجود أخوة له أكبر منه ذوى مكانة، وكتب قائممقام معاهدة (تركمن جاى) بخطه ووقعها بنفسه فى الخامس من شعبان عام ١٢٤٣هـ ق الموافق ٢١ فبراير عام ١٨٢٨م، وحمل قائممقام نسخة من المعاهدة وعاد بها إلى طهران، وعرض هناك التفاصيل الضرورية وحمل الغرامة البالغة ثلاثة ملايين تومان التى كان لابد من تسديدها لروسيا طبقًا لبنود المعاهدة، وعاد قائممقام مرة أخرى لسابق عمله فى أذربايجان وتولى وزارة ولى العهد فى تبريز.

فى أوائل عام ١٢٤٩هـ ق توجه ولى العهد إلى هراة للقضاء على فتنة المتمردين الأفغان ورافقه أيضًا قائممقام. وأصيب عباس ميرزا بمرض السل ولازم الفراش فى مشهد، وكلف ابنه محمد ميرزا بفتح هراة وفى أثناء محاصرة هراة توفى عباس ميرزا، وعقد قائمقمام الذى لم يكن يرى صلاحًا من هذه الحرب اتفاقية صلح مع يار محمد خان الأفغانى، ووقعها من محمد ميرزا وتوجه إلى مشهد، وبعد فترة عاد إلى طهران مع محمد ميرزا . وصل محمد ميرزا إلى طهران فى شهر صفر عام ١٢٥٠ هـ ق وفى الشهر نفسه أقيم حفل تنصيبه وليًا للعهد خلفًا لوالده وسافر ولى العهد الإيرانى إلى تبريز باعتباره حاكم آذربايجان ورافقه قائممقام بصفته وزيرًا له.

لم يمر وقت طويل وتوفى فتحعلى شاه فى شهر جماد الآخر عام ١٢٥٠ هـ ق فى مدينة أصفهان، ووصل الخبر إلى أذربايجان وتوجه محمد شاه إلى العاصمة. وقام ميرزا قائممقام بثمل عينى جهانگير ميرزا وخسرو ميرزا أخوى الشاه اللذين كانا مسجونين فى قلعة آردبيل وبذلك هيأ أسباب جلوسه على العرش، وفى شهر رجب وفى مدينة تبريز نودى بمحمد شاه فى الخطبة، وتوجه الشاه وبرفقته قائممقام إلى طهران ووصل إلى طهران فى ١٤ من شهر شعبان وأقيمت من جديد مراسم التتويج وأصبح قائممقام رئيسًا للوزراء، وقمع ظل السلطان وفر مانفرما وملك آرا وركن الدولة وسائر أعمام المشاه والمتمردين الآخرين. ورغم هذه الخدمات كلها لم يستمر طويلاً فى الصدارة وذلك نتيجة وشاية الحاسدين ولاسيما مثيرى الفتن من الأجانب مما أدى إلى أن الشاه أساء الظن به، وفى العام الثانى من حكم محمد شاه صدر الأمر بسجن قائممقام فى حديقة نگارستان (مصيف العائلة السلطانية) ثم أعدم بعد عدة أيام (أواخر صفر ١٤٥١هـ.ق) وعلى هذا النحو انتهت حياة واحد من كبار رجالات إيران وواحد من أشهر كتاب النثر فى ذلك الوقت.

كان كتاب التاريخ فى هذا العصر مثل سپهر وفرهاد ميرزا وجهانگير ميرزا وغيرهم يذمون قائممقام ويذمون أعماله كثيرًا وكانوا ينعتونه (بالجبان والقبيح) [١] و(غير المناسب والمحب للدنيا) [٢] وكذلك (المزور وأكل الحرام وسيئ الظن والخائن) [٣].

---

(١) فرهاد ميرزا، منشآت، طبعة بومباى. ص ٣٧.

(٢) نادر ميرزا، تاريخ تبريز، ص ٤٠.

(٣) جهانگيرا ميرزا، تاريخ نو، ص ١٩٨، وصفحات أخرى.

ولم يكن فى استطاعة مؤرخى هذه الفترة كتابة غير هذا؛ فقد كانوا من الأمراء أو من الموالين للبلاط، وكان البعض منهم قد لحق به الأذى على يد قائممقام مثل جهانگيرا ميرزا. لكن من خلال عباراتهم نستطيع بسهولة استنباط أن بلاط هذه الفترة - مع وجود مثل هذا السلطان المتدروش والرجال المنافقين والمتملقين - لم يستطع تحمل تشدد وصرامة رجل مثل قائممقام فاعتزازه بنفسه وغروره أحيانًا وتمرده[1] على كل القرارات التى لم يكن يعتبرها فى مصلحة البلاد قد أثار عليه الجميع كبيرًا وصغيرًا.

كان قائممقام رجلاً فوق العادة ذكى وصاحب فكر وعزيمة ثابتة أى كان (رجل سياسة من الطراز الأول، تهمه مصلحة إيران) [2] واستطاع باطلاعاته وتجاربه التعرف على الأوضاع والأحوال السياسية لجيران إيران جيدًا وقوة نفوذ وسطوة الكاردينال (مازاران برلويبى الرابع عشر) على شاه إيران الشاب. وبالرغم من هذا الوضع كان محالاً أن يحصل على امتيازات من شأنها الضرر بمصلحة إيران، وكان الإنجليز متيقنين من أن ميرزا قائممقام هو المحرك الفعلى، وليس من الممكن أن يحدث تصدع فى الأمور الداخلية لإيران، أما الكتاب الإنجليز الذين كانوا يجوبون إيران فى هذا الوقت مثل

---

(١) يقولون ذات يوم قرر محمد شاه ٣٠٠ تومان سنويًا لحاجى ميرزا آقاسى وعندما وصل القرار لميرزا قائممقام تعجب وقال بهذا المبلغ الذى يعطيه من كدح الفقراء إلى ميرزا آقاسى المجنون أستطيع أن أعين جنودًا لتأمين الحدود، وأيضًا : "عندما أمر الملك الغازى بإعطاء ما يعادل ٢٠ تومان من الذهب إلى بستانى الحديقة، أرسل قائممقام أحد الأشخاص واسترد هذا الذهب وعلى الفور أرسل رسالة إلى الملك مفادها أن كلينا فى خدمة دولة إيران، إلا أنك الخادم الأكبر لدولة إيران ونحن لا نستطيع أن نؤثر أنفسنا بأكثر من مائة ألف تومان" - (ناسخ التواريخ، ج٢).

(٢) فريزر.

(ليوتنان كونولى ودكتور وولف وفريزر) كانوا جميعًا يقدرونه ومع ذلك كانوا يتهمونه بموالاته للروس وتحريض عباس ميرزا نائب السلطنة على عصيان نصائح الإنجليز وإعلان خريطة الاستيلاء على هراة، ولم يكونوا يخفون سوء ظنهم وعدواتهم الشديدة لهذا الرجل الكبير، ولا يخفون كذلك أنه الشخص الوحيد فى ذلك الوقت الذى كان يستطيع إدارة إيران إدارة جيدة.

ولقد قام الأمير فرهاد ميرزا(١) بطباعة مجموعة رسائل ومنشآت قائممقام التى شملت عدة رسائل وخطابات صداقة ومعاهدات ومكاتبات ووثائق أوقاف، وذلك فى طهران عام ١٢٨٠ هـ ق وكتب محمود خان ملك الشعراء مقدمة لها(٢).

نثر قائممقام :

يُعد قائممقام قبل كل شىء رجل سياسة وعمل، وكانت الكتابة أيضًا من ضروريات عمله، فلم تكن من باب التفنن واستعراض فنه. وأغلب كتاباته قد كتبت فى عجلة، ومع هذا فإن كتاباته تتمتع بالذوق وحسن الأسلوب بالفطرة (٣).

---

(١) لا ننسى أن هذا الشخص هو نفسه الذى وصفه بالجبن وسوء العمل، ورغم هذا كله مع طبعه لكتاباته قدم تاج عبوديته لبلاط فضله وكماله.

(٢) بعد ذلك طبع مرتين أخرتين فى عام (١٢٨٢-١٢٩٤هـ ق) فى تبريز وأيضًا ظهرت طبعتان أخريان فى طهران (١٣٣٧ش)

(٣) أطلق معاصرو قائممقام عليه لقب سيد المترسلين وإمام النثر الفارسى، وبالغوا فى عظم منزلته وعلو مكانة قلمه. يقول مؤلف ناسخ التواريخ. عندما اعتقل فى عهد محمد شاه، قال الملك "خذوا قلمه وقرطاسه من يده وإذا أراد أن يكتب لى مطلبه فلا

نثر قائممقام لا يوجد به عبارات متكلفة كثيرًا ولا متصنعة ولا ذات مضامين ملتوية ولا تشبيهات جافة، ولاسيما فى المراسلات الخاصة التى تقترب إلى البساطة وإلى الكلام المتداول بين الناس. ونثر قائممقام يعتمد على الجمل قصيرة التركيب والتى ليس فيها تكرار، وهذا خلاف أثار أسلافه حيث كانت جملهم وعباراتهم طويلة ومليئة بالتكرار والسجع. ويتميز قائممقام بقدرة كبيرة على نظم المزدوج مستفيدًا من الأسجاع الجميلة لسعدى وجلستانه. وابتعد قدر الإمكان عن ذكر الألقاب والأوصاف المرائية، وكان أقل كثيرًا من أقرانه وأسلافه فى الاستشهاد بالأشعار الفارسية والعربية وآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية فى كتاباته والتى كانت سمة لدى الكتاب السابقين، وأحيانًا كان يستخدم كلمات واصطلاحات جديدة ومتداولة، وكانت صعبة جدًا على الكتاب المحافظين، الذين لم يكونوا يهتمون بها.

وفى النهاية فإن رسائله بالنسبة لعادات وتقاليد ذلك العصر جامعة ومركزة، ولاسيما فى الأمور التى لم يكن يرغب فى التصريح بها، فنجدها موجزة وقصيرة ومناسبة مع المقام التى تقال فيه (لكل مقام مقال).

على أى حال فإن أسلوب قائممقام كان محاكاة لأسلوب سعدى وكان جميلاً وسلسًا ومتناسقًا مثله. و الرسالة التالية كتبت عن لسان عباس ميرزا فى أثناء حربه مع الروس إلى ميرزا الكبير قائممقام (عيسى قائممقام) كانت من أولها إلى آخرها مليئة بالألغاز والكنايات وكانت موجهة إلى علماء

تتركوه يفعل ذلك. فإن فى قلمه سحرًا وفى بنانه وبيانه سحرًا وخدعة فإنى إذا رأيت خطه فتنت به وأطلق سراحه) – ناسخ التواريخ ، مجلد قاجاريه، (أحداث) سال سنة ١٢٥١هـ ق.

وطلاب تبريز الذين لم يكونوا على وفاق مع ولى العهد حتى أنهم كانوا مشاركين فى تحريض الروس ورجالات البلاط فى طهران ضده :

«يا إلهى أقول الصدقَ الفتنةُ منك

ولكن من شدة الخوف لا أستطيع الاعتراض

فشفاه وأسنان حسناوات بلاد الخطا

ما كان يجب خلقها بهذا الحسن

فمن جراء شفاههن وأسنانهن

يجب عض اليد والشفاه بالأسنان

ويقول ولى العهد(١) إن السكر والعدس (نوع شبيه بالعدس) وأقداح من عصير الفاكهة وشرابكم طوق أعناق علماء الدين(٢). وإن الجواد العربى لا يأكل شعيرًا كثيرا والجواد القازاقى لو أكل عشرة أمنان مرة واحدة لا يثمل بخلاف الجواد غير الأصيل الذى إذا رأى شعيرًا كثيرًا وأتيح له الدخول فى أماكن الرعى الممنوعة فإن أول عضة وأول ركلة تكون لسايسه الذى يرعاه ويؤدبه.

يا شجرة الورد الجديدة إن شوك ظلمك

أصاب أول ما أصاب قدم البستانى

ومنذ ذلك التاريخ الذى رأى فيه شيخ الإسلام فى مدينة تبريز إن صلاح المسلمين يكمن فى استسلامهم للمغول، فإن علماء تبريز لم يحظوا

---

(١) عباس ميرزا نائب السلطنة.

(٢) أئمة تبريز.

مطلقًا ســـــواء فى عهــد جهــانشـــاه ومظــــــــفر وســـواء فـــى عهــد السلاطين الصفــويين وحتـــى فى عهـــد نادر شــــاه وكريم خـــــــان وأيضًا فى عهـــــد آل دنبلى وعهـــــد أحمد خـــان بـــالاحترام والإعـــزاز والاعتبار والطـــــاعة، مثلما حظـــــوا فى هذا العهـــــد من دولتنا وعنايتنا الذى رفعوا فيه علم الكبرياء إلى أوج الســـــماء. خيرًا تعمل شرًا تلقـــى ! اليوم الذى نقــف فيه أمام الجيش المعتدى وتركنـــا ممتلكاتنـــا دون حمايـــة خارجية معتمدين على أهل تبريز، فإنهم يثيرون الفتن فى عاصمتنا ويغلقون المحلات والسوق ويتجولون فى سيد حمـــزة[1] وبـــــاغ ميـــشه[2] وينـــشر

---

(١) سيد حمزة، هو من السادات والذى يصل نسبه السادس عشر إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام وهذا النسب يصل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد كتب هذا على قصره. ومولده الشريف فى بلده خواف (خاف) وكان السلطان غازان يرغب دائمًـــا أن يكون سيد حمزة فى صحبته لما يضيفه من بهجة، وكان يأخذه معه فـــى أكثـــر سفرياته. توفى سيد حمزة فى سنة ٧١٤هــ ق. وذلك القصر شيده ابنه ميرزا حسين (تاريخ محمد أمين حشرى نقلاً عن نادر ميرزا) وأيضًا سيد حمزة رضى الله عنـــه كان له منزلة كبيرة لدى محمود غازان، ويقولون كان نديمه، ويقال إن كبار رجـــال المغول ضاقوا من تقربه للإيلخان محمود غازان. وأحيانًا لم يكـــن يتحـــدث بخيـــر للسلطان عن القادة المغول. وذات ليلة خرج ممتطيًا جـــواده من الحضرة ووصـــل إلى تلك المنطقة التى يطلقون عليها (سرخواب) (وهو المكان الذى دفن فيه) وكـــان هذا المكان معسكرًا للجيش وانطلق سهم عربى فأرداه قتيلاً ودفنوه فى هذا المكـــان وقد بنى ميرزا أبو طالب الوزير الأذربايجانى بناية فى هذه البقعة إلا أن هذا المبنى قد هدم وتلاشت جدرانه (نادر ميرزا . تاريخ وجغرافياى تبريز).

(٢) باغميشه : ضاحية كبيرة ومتنزه، وهى ممتدة من الشرق إلى ساحل النهر فى ممـــر ضيق، وطقسها ممتاز، ومليئة بالأشجار المثمرة، ومغطاة بالأشجار (نـــادر ميـــرزا تاريخ وجغرافياى تبريز).

مرزفيتش[1] أخبار هذه الفتنة عند ملك الروس ويذيعها صفى خان فى البلاط الملكى وآخرون فى بلاد الروم ويل لأهل تبريز لو كان فتحعلى خان لديه الكفاءة وكان الحكام بشرًا، برغم أن بجانبهم إنسانًا مثل ميرزا مهدى، لما كانت لفتاح غير العليم[2] الجرأة والقدرة على فعل مثل هذه الأمور ؟!

---

(١) سيمون إيفانوفيتش مازارفيتش : طبيب كاثوليكى من أهل فينسيا عمل فى الحكومة الروسية منذ عام ١٨٠٧م، وكلف فى الفترة من ١٨١٨م إلى ١٨٢٨م من جانب الحكومة الروسية بحل الخلافات المتعلقة بين روسيا وإيران وكان يعيش مع أخويه الأصغر منه (اسبيردن، يوسف مازارفيتش) فى تبريز . گريبايدوف الشاعر الروسى المعروف وسفير روسيا الذى قتل فى طهران يعده رجلاً محبًا وعاقلاً وذا همة (الرسالة المؤرخة فى ١٥ ابريل سنة ١٨١٨) أما عباس ميرزا فى مباحثاته مع جريبايدوف فإنه يعده عدوًا وسببًا من أسباب الحرب بين إيران وروسيا (جريبايدوف، تبريز، بتاريخ ٣٠ يونيو سنة ١٨٢٧م من معسكر قرابابا إلى الجنرال باسكوفيتش) وتوفى سيمون إيفانوفيتش عام ١٨٥٢م.

(٢) عندما توفى حاجى ميرزا يوسف، كان عنده ولد يدعى السيد عبد الفتاح. وكان الناس مخلصين كثيرًا لحاجى ميرزا. فالتفوا حول ابنه، ورويدًا وذات يوم ادعوا بهتانًا أنه من السادات وأن له كرامات... وكان شابًا مغرورًا وأحمق. واطلعت عدة مرات على كتابات ميرزا أبو القاسم التى لا مثيل لها والتى كان قد كتبها إلى والده من طرف نائب السلطنة، وكان قد أطلق عليه لقب (فتاح غير العليم). لو كنت أستطيع اتهامه بجرم يعلم الله لأفعل ذلك (نادر ميرزا، تاريخ وجغرافيا تبريز).

فى هذه المرة التى اقترب منها آرستوف انضم إليه، أهل مرند الذين كانوا قد عانوا اضطراب خاطرهم. من بين بلدة تبريز كان السيد فتاح شابًا غرًا وكان ابنًا لحاجى ميرزا يوسف مجتهد. اعتقد بوساوسه النفسية وتخيلاته الشيطانية، أن طاعة الإمبراطور الروسى ستؤدى إلى خضوع الناس له وأن المحراب والمنبر سوف يزدهر مرة أخرى. وبعد ذلك صعد إلى المنبر ودعا الإمبراطور عامة الناس أيضًا إلى طاعته.

وفجأة ثار الناس وعمت الفوضى وأنزلوا حراس البرج والسور، ومن ناحية أخرى=

قيل إنه إذا لم يشبع السادة جيدًا من الحساء والأرز فهذا مقبول، لكن أنت ماذا حدث، ألم تشبع من الزهد الكاذب ونهم الملالى؟ لقد تم كتابة كتاب الجهاد، وثبتت النبوة الخاصة، كفاك لغوًا، وعليك أن تخدم أيضًا المعشوق والخمر ! فلو كنت صرفت عُشر ما قلت عن الجهاد مع أهل السلاح بدلاً من أهل الصلاح لما بقى كافر واحد يحتاج لمجاهد.

على كل حال عليك أن تجعل مائدة الجمعة الخميس وقفًا لأعيان المدينة ورؤساء الأحياء، ونجباء القبائل، والرؤساء العقلاء، وأن تطوى مائدة الحيلة والخداع، وتعرف العملة المزيفة.

العملة الصوفية ليست كلها حقيقية وسليمة

فما أكثر الخرق التى تستحق الحرق

لم تظهر أية فائدة حتى الآن من كل ما قرأناه من هذه الأوراق وسردناه على هذا النسق، بل إن هذا يمكن أن يكون من نتائج صلاتنا وصلاتكم يوم الجمعة وتضرعنا ليلة يوم الجمعة. فلتطووا بعد ذلك البساط القديم، وتفرشوا الجديد، وتخالطوا أهل تلك المدينة، ولتتقربوا إليهم، وتوجهوا الدعوة لهم وتتحدثوا معهم، ولتختاروا من شبابهم الأكفاء وشيوخهم العقلاء من يصلح

=ارتفعت أصوات المدافع الروسية من منطقة (آجى جاى) التى تبعد فرسخين عن تبريز ورفع ميرفتاح علمًا وطلب من الأهالى أن يخرجوا لاستقبال الروس فى يوم الجمعة الثالث من شهر ربيع الثانى من عام ١٢٤٣هـ أحضروا جماعة من الروس إلى قلعة تبريز، فى تلك الأثناء كان نائب السلطنة قاصدًا مدينة تبريز، واستمع إلى هذه القصة وهو على بعد فرسخين من المدينة وأمر قائممقام بالتوجه إلى تبريز فاضطر إلى تنفيذ ذلك واتجه عن طريق سلماس (سپهرناسخ التواريخ ، مجلد قاجاريه).

للخدمة، وأصرف عليهم واحد على ألف مما صرفته علـــى تلــك الطائفــة، ويستحسن أن تصرفوا هذه الجماعة، ولتــكن مثل ســـائر ممالك المحروسة لا أذى ولا ضرار ولا تدخل ولا سيطرة.

إن حضرة جناب ميرزا مهدى فى الحقيقة أحد أمناء دولتنـــا وكـــاتمى أسرار حضـــرتنا ولا دخـــل له بهذه العصابة. وهو من المخلصين لنا تمامًا. [وَمَا يَسْتَوِي البَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ] (١). فلـــو كان يحمل نفس اسمهم، فهو بحمد الله ليس فى رسمهم، فهو فى العلم أغـــزر منهم، وفى الخدمة أوفى منهم. إن مؤانستكم أزاحت مجانستهم، وهو مماثـــل لأمنائنا وكاتمى أسرارنا ومؤانس لعنايتنا ومكارمنا.

برغم أن كليهما من الطباع فإن السعادة أفضل من الحزن

ورغم أنهما من الخشب فإن المنبر أفضل من المشنقة

لو طلبت صحبة أهل الكمال فكن أديبًا مبدعًا فى تلك المدينة مثل جناب حاجى فاضلى وحاجى عبد الرازق بيك(٢) كثير العمل، وقليل الطعام، قـــادرًا على تدبير شئون الحياة بحلوها ومرها. أعوذ بالله أن تكون مثل الشيخ الملا قصير القامة الذى إذا قيل له هل امتلأت؟ قال هل من مزيد. مثـــل حـــصان الأحمال كثير الأكل وقليل العدو، آفته التبن والشعير، ليذهبوا فـــداء لأكـــابر الروم، وباباوات أوربا، فلم يكن عندهم ذلك العلم وتلك الفضيلة التى يـــردوا بها على البابا ولا هذه الغيرة والحمية بحيث يغلقون باب المـــسجد وطريـــق المئذنة مثل أكابر الروم، ويسوقون الناس لمواجهتنا، ويدعونهم إلـــى حفـــظ

---

(١) سورة فاطر ، آية ١٢.

(٢) المقصود عبد الرزاق بيك دنبلى مؤلف المآثر السلطانية .

ملكهم ودينهم، ما شاء الله عندما يفتحون قبضة الشجاعة يشهرون السيف الذى يجب إشهاره اليوم فى وجه الجيش العثمانى يشهرونه فى وجه ميرزا أمين الأصفهانى، ويعتادون على الصيد المنزلى وادعاء الجنون وعلى كل حال، الآن وهم أصحاب الرمح والسيف وبكل هذه الشجاعة والقوة عليهم أن يتحملوا مشقة المجيء وأن يقاتلوا العاصى.

لقد صدر القرار المبارك فى هذا الشأن إجلالاً وتعظيمًا لكم، ولكم القدرة وحرية التصرف فى أى موضع، والسلام على من اتبع الهدى».

وهناك رسالة كتبها لزوجة (جون ماكدونالد) (١) وأخت السير (جون مالكوم)(٢) المعروف وهى أسهل رساله لدينا لقائممقام، وقد حاول الكاتب فيما يبدو أن يكتب الرسالة بأسلوب سهل بسيط قدر المستطاع حتى يستطيع القارئ الذى لديه القليل من المعرفة باللغة الفارسية أن يفهمها جيدًا، وليس لهذه الرسالة تاريخ، لكن يبدو أنها كتبت بعد عام ١٨٢٦م وقبل عام ١٨٣٠م:

"صاحبة الجاه والعظمة وصاحبة العصمة والعفة، الأخت الرحيمة المباركة السيدة الفاضلة، أسأل الله من فضله ورحمته أن تكون السعادة والتوفيق مصاحبة لك أينما كنت، لقد أصابنى الملل والضيق منذ رحيلك لأنك الصديق الحقيقى لى والسفير العظيم للحكومة الإنجليزية الخالدة، قد بقيت وحيدًا أخاف أن أصاب بشدة من آلام الوحدة والابتعاد عنكم وتضيق بى هذه

---

(١) Macdonald ماكدونالد : السفير الإنجليزى فى إيران والذى كان يعيش فى تبريز توفى فى عام ١٨٣٠م.

(٢) Sir John Malcolm السير جون مالكولم رجل سياسة ومؤرخ إنجليزى (١٧٦٩-١٨٣٣م) ألف كتاب تاريخ إيران عام ١٨١٥م، وترجمه إلى الفارسية ميرزا حيرت مدرس اللغة الفارسية فى الهند.

المملكة، والحق إننا لسنا راضين أبدًا عن رحيلك. وسكتنا خوفًا أن يغلب عليك حب الوطن وتتضايقين من إلحاحى عليك بالبقاء. الآن وقد وصلت بحمد الله إلى إنجلترا واسكتلندا موطنك الأصلى ومسكنك المألوف، وتلافيت ما مر بك هنا بقضاء أوقات سعيدة ، فقد كان من الواجب أولاً، أن أعرب عن أسفى وحزنى للفراغ الذى تركتيه فى هذه المملكة (إيران)، ثانيًا، أكتب لك مهنئًا ومباركًا على وصولك إلى ديارك ووطنك . ثالثا، أن أسأل على أحوالك المباركة، ثم أخبرك بثلاثة أمور برغم الاختلاف والفارق الكبير بين تلك الممالك وبلدنا هذا (إيران) وأن كل من يرى بلادكم لا يرغب ولا يميل أبدًا للعيش فى مثل هذه الأماكن، إلا أنه من الممكن على سبيل الصداقة والأخوة والرحمة أن يرضى بسوء العيش هنا. ومعلوم لك أن أهل هذه المملكة (إيران) أنسوا بوجود صاحبة الجاه السفيرة المعظمة، وتعامل معها الملك الأعظم والنواب وولى العهد، ومن الصعب جدًا أن يجدوا إنسانًا طيب القلب مثلك وفى هذه الحالة سيكون من الصعب بقاء السيد المشار إليه (ماكدونالد) فى هذه المملكة (إيران) بدون وجود تلك الأخت الرحيمة؛ لأنه ليس له أهل أو راع غيرك ولا يستطيع أن يصرف نظره عنك.

أتوقع كأخت لى أن ترسلى ردًا سريعًا على هذه الرسالة، وأن تكتبى لى فيها عن أحوالك لكى نطمئن جميعًا على سلامتك. وعليك أن تفكرى جيدًا فى هذا الموضوع المهم الذى كتبته إليك وأن تبلغينى بقرارك ورأيك ، ونرجو أن تتخذى قرارًا يصير مدعاة لسرورنا وسعادتنا جميعًا. لتكن الأيام الباقية المباركة كما ترغبين. والسلام قائممقام الدولة العلية الإيرانية أبو القاسم الحسينى[1]».

---

(١) أصل هذه الرسالة فى المتحف البريطانى فى لندن، إسماعيل دولتشاهى، رسالة غير منشورة لقائممقام، مجلة راهنماى كتاب السنة الخامسة العدد الثانى.

من الرسائل الخاصة لقائممقام:

«كانت قد وصلت المكاتبات المفصلة بصحبة ذو الفقار بيك، بينما كنت أجيب عن عريضة مختصرة. حتى إذا ما وصلت إلى منتصف الصفحة، عندئذ جمح القلم عن الكتابة، ووقع العنان من يدى (لم أستطع السيطرة عليه) فرأيت دون إرادة منى أن أقتبس من العلم الفياض لوقائع نكار، "غراب، والغراب يتمنى أن يمشى مشية طائر الكبك فدفعته إلى الأمام"... مت بداء الصمت خير لك من داء الكلام وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه. (١) ماذا يعنى الصدق؟ أين الحقيقة؟ لماذا الحديث دون مواربة؟ نشرب الخمر فى الخفاء حتى لا يكفروننا. الرجل الذى يتحدث هنا صراحة أكثر ندرة من المرأة التى تسير محجبة منقبة فى بلاد الفرنجة ... إنى لم أستطع معك صبرًا. (٢) لقد جعلت ورقتك مثل أبناء الزمان الذى انقطعت أنفاسهم، إن شاء الله لن يخيب الله رجاءك. ليس كل شخص يستطيع أن يتفوه بفحش الكلام، وإنى باقتضاء الجبن والحذر أميل إلى الكناية والرمز حتى احترز من السعاية والغمز. يا نجى الألطاف، نجنا مما نحذر وما نخاف».

كتب من خراسان إلى ميرزا بزرگ:

"كل شخص بيده كأس

يشرب من الكأس السلطانى خمرًا

---

(١) سورة إبراهيم، آية ٤.

(٢) المقصود (إنك لن تستطيع معى صبرًا) سورة الكهف، آية ٦٧.

لو كان السيد يقول الصدق، فإن ميرزا على خان الذى يحكم مدينة جام[١] يجب عليه أن يحمل رأسًا من اللفت حتى لا يموت من الجوع، فما بالك بحالنا نحن الضيوف فى هذا المكان.

أول أمس فإن مائة مَن من القمح فى سرخس لم تجد مشتريًا، اليوم فى جام فإن مَنًا واحدًا من الشعير لم يجد أيضًا اثنين من المشترين لينحصر قوت الإنسان والحيوان فى الثلج والبرد؟....».

كتب من خراسان إلى وقايع نـگار:

"يا نسيم الصبا لتتلطف علينا بالحديث

فإن الغزال الأرعن الذى منحتنا إياه شارد صوب الجبل والصحراء

إنكم قد مهدتم لنا السبيل إلى خراسان والآن تقولون أن أموال العام المنصرم لم تصل بعد. ولتتلطفوا علينا بمحبتكم مرة أخرى فى مقابل الخمسة الآلاف، أين نحن من هذا؟ الطائر المسكين أى خبر عنده عن الروضة!

مرحبًا أيها العشق الذى فتنا به

أيها الطبيب لكل أمراضنا

أيها الدواء لنخوتنا وناموسنا

يا من أنت لنا كأفلاطون وجالينوس

---

(١) جام مدينة فى خراسان.

أحـداث الـزمان كلهـا عجيبة وهى مصدر للحيرة والدهشة التـى لا حدود لها. فلقد حكم وأفتى ميرزا جعفر ووقع فى الحضرة العلية على أن كل شخص متعب ومتألم لن يبقى فى الموكب المنصور حتـى لا يستـشرى الداء. والحراس الخبراء والعالمون ببلاط الحريم مكلفون ومعنيون بـالإبلاغ عن أى شخص يصاب. سبحان الله! لماذا هم غافلون تمامًا عن حال قلبـى، فهو نفسه مصدر الداء والطاعون، فلتقر بعجزك يا أرسطو ويا أفلاطون!".

رسالة إلى محمود خان دنبلى فى الدفاع عن محمد ميرزا:

"المخدوم المحمود حفظه الله الودود، قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود،[١] يريدون أن يطفئوا نور الله.[٢]

لقـد أتممـت الحـديث مـع الأصدقاء

يا إلهى فلترفع الحجاب عن هذا المعمى

الأميـر الأعظـم، روحى فداه، إذا لم يكن يمتلك ذهبًا وفضة فإننا لا نخشى عليه، فإن يده وقدمه ووجهه طلق ومبسوطة بحمد الله.

وليس بأوسعهم فى الغنى ولكـن معروفه أوسع

ألم يكن لحاتم الطائى سوى كيس خال وهمة عالية ولا شىء آخر؟ يا ولى العهد المرحوم المغفور، ألبسه الله حلل النور، ألم يكن له سوى الاجتهاد وبذلك الجهد الجهيد فى سبيل دين الله والإخلاص والصدق فى أمور الدولة؟ أو لم يورث غير هذين الشيئين فلسًا واحدًا للورثة؟ ومع هذا الوصـف مـن

(١) سورة البروج، آية ٤، ٥.

(٢) سورة التوبة، آية ٣٢.

ضيق العيش وضيق ذات اليد فى كل عام لا محالة، ألم يكن يتصدق ويهب مليونًا أو نصف مليون؟ ألم يكن يسدد واحدًا من هذه الملايين الثمانية (إشارة إلى الملايين الثمانية الغرامة التى وقعت على إيران لروسيا والتى أعطى منها عباس ميرزا ذاته مليونًا) رغم الظروف القاسية.

آه من هذا القوم الذى لا حمية ولا دين له، والذى لا يكف عن الثرثرة، والذى لا يملك ذاكرة. إنهم أعمياء فى الحق مبصرون فى الباطل، جهلة فى العلم علماء فى الشر. كما قال الشاعر:

تميم بطرق اللوم أهدى من القطا

ولو سلكت سبل الهداية ضلت

لو أبصرت بعين الإنصاف إلى ما وصل إليه غرور الأغنياء الذين يدعون الكثرة والتقدم والذين يطعنون فى المفلسين والدراويش يعلم الله أنه غرم لا غنم فليس لدينا مال وليس لدينا فضة فلا نخاف وليس لدينا ذهب يسبب البلاء. دائمًا هم فى هول وأسى وغالبًا فى قسم وأكاذيب.

«وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ» (١)

كأنهم لا يؤمنون بيوم الحساب فهم يحكمون بالغش والتزوير.

أحيانًا يصلون نار جهنم بسبب الخمس والزكاة، ، وأحيانًا يغرقون فى الماء مخافة الهدايا والضرائب، وأحيانًا ينامون فى التراب من فكر الحوادث والآفات، ولاشك أن عاقبة ذلك فى الدار الدنيا ستذهب هباءً".

---

(١) سورة الهمزة، آية ١، ٢.

رقعة أخرى:

"منذ ذلك الوقت الذى انقطع فيه الحضور وانكسرت فيه قنينة الصبر على حجر الفرقة والبعاد، الآن مضى أكثر من عامين ولم يـأت مـن هـذا الطرف بريد وسلام، ولا من هذا الجانب رسول أو رسالة. فطائر الرسـائل عقد جناحه وأغلقت صومعة الوصال بابها.

أنت قلت إنك ستأتى فقلتُ لن تفى

بالعهد والميثاق والمحبة والصداقة

الحمـد لله اطمأننـت، لا سفـر ولا حضـور، لا مشقـة ولا أرق لا اصطدام ولا اضطراب.

مقدر أن يعطى للوردة رائحتها وأن ينفخ الروح فى الطين

ومـن حكمتـه أنـه أعطـى كـل شـىء مـا يناسبـه

يعطيكم السعادة ويمنحنى التعب، نصيبك باقٍ وحاضـر، ونـصيبى غائب، عيوننا على الباب وفى صدركم عين ضاحكة. هناك فرق بـين مـن يكون حبيبه فى القلب وبين من تكون عيناه على الباب فى انتظاره. ما أسعد من تكون معيشته وحياته من حلال، وأن تكون فرحته من القرب والوصال، ليس مثلنا كسيرى القلوب وأسرى السراب نحن صيام بالنهار ومتـضرعون بالليل، شكرًا لله أن ليس لنا حظ نادر ولا نصيب الإسكندر، جمالك ليس من الماء والطين غير أن نسيان ذكرى الأحبة كان ميمونًا للحبيب.

أيهـا السحـــاب أتــذكـــر الطـــائـر الحــزيــن

ذات صــبـــاح فـــى وســـط الـــروضـــة

أمــن الجـــائز أن أكـــون فـــى قيـــد المعـــاناة

وأن تكون أنت حينًا على الخضرة وحينًا على الشجرة

أقاموا هذه الليلة احتفالاً للمخلصين وأعدوا كل سبل اللهو والمــرح، الكأس قلبى والنواح طربى، والشراب دمعى، والشواء كبدى! فإذا كان لــك رغبة فى مثل هذا الاحتفال، وإن كنت عازمًا على مشاهدة نزهــة العــشاق، فلتمر بصومعتى دون تكلف، ولتنظر بعين العون بشهداء حبك ولتكن عونــا للمحتاجين بسم الله إذا كنت صديقًا لنا".

شعر قائممقام:

قائممقام شأنه شأن غالبية رجال وعظماء إيران كــانوا يقرضــون الشعر من آن إلى آخر، وكان يتخلص بــ (ثنائى) ولكنه لم يكــن شــاعرًا، ونحن لم نعرفه كشاعر. وأشعاره أغلبها قصائد ومــدائح وبعــض القطــع والمثنويات، ويبلغ مجموعها حوالى ثلاثة آلاف بيت تقريبًا، وقــد جمعــت وطبعت على يد وحيد دستكردى. وله أيضًا مثنوى باسم جلايرنامه كتبه باسم غلامه كتعبير عن حسن طويته وقد مدح فيه محمد ميرزا الذى عرف فيمــا بعد باسم محمد شاه، وهذا المثنوى هو نفسه الذى ألف جلال الممالك إيــرج ميرزا كتابه المعروف عارف نامه[١] تقليدًا له.

---

(١) جلايرنامه قائممقام هى قدوتى فى هذا الحديث (عارفنامه).

وتتضح أهمية أشعار قائممقام فى أن أشعاره بخلاف معاصريه التى لم تتضمن أية إشارة لأحداث عصرهم، فأشار فى بعض أشعاره إلى الأحداث والوقائع الجارية. ومن بينها قصيدة نظمها بعد هزيمة المجاهدين الإيـــرانيين فى أذربايجان وكانت سببًا فى هزيمة وانكسار ولى العهد، وفيها ينوح ويشكو من جهل مواطنيه، **فيقول:**

آه مــن هــؤلاء القــوم الذين لا حميــة لــهم ولا ديــن

كُــرد الــرى وأتــراك خمســة ولــور قــزويــن

ســواء كــان العــدو والحقــود عــاجــزًا ومسكينًا

وكــان العــاجـــز والمسكيــن عــدوًا حــقــودًا

يتقاطرون على الخيار والقرع عندما يلتفت رستم

ويســرعـــون خــلف الخيــل كــالذئــاب

وعبر فى هذه القصيدة كذلك عن ضيقه من هزيمة إيران وانتــصار الروس عليها قال:

إنـــه الــزمــن حينــًا يهــب العــزة وحيــنــًا المــذلــة

إنـــه فلك لاعــب لـــه ألاعيــب كثيــرة على هذه الشاكلة

إذا تــرفــق فــإنه يكـــون غــالبًا بلا سبــب ومبــاغتًا

إذا تشــدد فــإنه يكــون غــالبًا غير موائم وغير مستقيم

فــإنه مثل المنــافقيــن يلصــق بنفسه تهمة الإسلام أحيانًا

وحينًا يتخــذ جــانب الكفــار مثل الــرهبان والقســاوسة

ينظر أحياناً إلى العقيد وإلى النقيب وإلى صاحب المنصب

وأحيـانًا إلـى العـقـيـد والعمـيد وإلـى القـائـد

بريـد أحيانًا جيشاً على مـراد الذئـب آكـل الجيفـة

وأحيانًا يطلـب دولـة يحكمهـا سيـاسـى محـنـك

أحيانًا يقود جيشاً سفاكًا للدماء من بطرسبورج إلى تبـريز

وأحيـانًا يرسـل جيشاً جـرارًا من خراسان إلى تفليـس

وقد قرض الشعر التالى معاتبًا اللهيار خان آصف الدولـة ومـذكرًا بفراره من ميدان المعركة إبان الحرب الإيرانية الروسية الثانية:

أهـرب حيـن يكـون الـوقـت وقـت الهروب

وول وجهك صوب الروح فإن الروح عزيزة جدًا

يا خـائن عيـش وملـح المـلك وولـى العهـد

هـل مقـابـل نعمـة الملك وولى العهد الهرب؟

ينـدفـع للصـلـح ويفـر مـن الحـرب

فليس هو رجـل حرب، بل امرأة عاهرة وضعيفة

يقـول إنـى غـلام فـى المـمـلكـة

إنـه والله ليـس غـلامـاً، بـل جـاريـة

عـاد بمـائة مـذلـة وعـار، والآن

عـاد ثانيـة للنـهـب والطـمـع

حـــــاشــــــا أن يفــــل الحــــديــد والفـــــولاذ

بقطعـــة مـــن الخشـــب ليســت قــوية ولا حـــادة

٦ - وقايع نـگار:

كان ميرزا محمد صادق المروزى، الملقب بوقايع نكار مـــن أهـــل شاهجهان ومن نجبائها، جاء إلى مشهد بصحبة الحاج محمد حسين خان بـــن بيرامعلى خان قاجار المروزى الملقب بـــ فخر الدولة، وفى هذه المدينة بـــدأ فى تحصيل العلوم. وبعد مقتل بيرامعلى خان عز الدين لوى قاجار على يـــد بكجان الأوزبكى واضطراب الأمور فى خراسان اتجه من سواحل عمان إلى زيارة النجف الأشرف، ثم أقام فى كاشان بعد عودته، واتصل بواحـــد مـــن أهالى قم. وبدأ قرض الشعر وهو فى ضيافة حاجى سليمان خـــان صـــباحى الكاشانى (متوفى عام ١٢٠٦ هـــ.ق) ثم توجه بعد ذلك إلى طهران وســـلك طريقه إلى بلاط فتحعلى شاه حيث عمل كاتبًا فى البداية فى بلاطه ثم شـــغل فى عام ١٢١٥هـــ.ق منصب كاتب الوقايع، وكلف بكتابـــة تـــاريخ الدولـــة القاجارية وألفه فى مجلدين، أتم المجلد الأول فى عام ١٢٢٥هـــ.ق وأســـماه تاريخ جهان آرا أى [تاريخ زينة الدنيا] وعرضه على الملك القاجارى حيث منحه لقب رئيس دفتر السلطنة، وبعد ذلك التاريخ تقلد مناصب عدة وكلـــف بمأموريات مختلفة من قبل كل من الشاه وعباس ميرزا نائب الـــسلطنة فـــى خراسان وأذربايجان حتى وفاته فى عام ١٢٥٠هـــ.ق.

كتب المروزى كتابين آخرين باسم قواعد الملوك وشيم عباسى كمـــا أمر بجمع أشعار شعراء البلاط التى قرضوها فى وصف ومدح الملك منـــذ

جلوسه حتى السنة السابعة من حكم فتحعلى شاه، وأطلق الشاه نفسه على هذه المجموعة التى أتمها فى سنة ١٢٢٣ هـ.ق اسم (زينة المدايح)، وجرت مكاتبات بين المروزى وقائممقام "تتميز بقدر من التجديد الإنشائى ولكنها لا تسمو لأسلوب قائممقام "(١) فكان قائممقام يمتدح إنشاءه وكتب فى كتابه إليه [إنه مثال فى بدائع الأفكار...إلى درجة لم يصل إليها أى مخلوق] (٢) ويقول مرة أخرى عن قول نائب السلطنة:

"إن ألفاظ وعبارات وقايع نكار مثل الماء الزلال الصافى الذى لا يحجب ما وراءه، والمضامين والمعانى واضحة وحاضرة دون حجاب أو غطاء مثل الماء والشمس، ليس مثل أشرار المدينة ونوائب الدهر المصابين بمرض الجدرى الذين يشبهون المسجونين والمخدرين، يتحدثون عن العفاف ويأملون الزفاف.... ويخفون رؤوسًا صلعاء، ووجوهًا قذرة ملوثة، ويتحدثون عن جدائل هفهافة مثل السوسن والسنبل الذى تميله ريح الصبا والشمال". (٣)

وكما قلنا فإن وقايع نكار قد قرض الشعر أيضًا واتخذ لنفسه تخلصًا بـ (هما) وله قصائد على غرار أسلوب القدماء فى مدح الخاقان، وعباس

---

(١) ملك الشعراء بهار، سبك شناسى، جـ ٣، الطبعة الثانية، طهران ١٣٣٧ش.

(٢) منشآت قائممقام، طهران ١٣٣٧ ش، ص٢١.

(٣) أرسل فتحعلى شاه وقايع نكار مع مازارفيتش إلى تفليس للتباحث مع باير ملوف حول گوگجاى وقبان. ووصل تفليس فى ربيع الثانى ١٢٤١ هـ.ق (نوفمبر ١٨٢٥م) وحين توفى إلكسندر الأول قيصر روسيا فإن هذه المباحثات لم تصل إلى نتيجة، وعاد وقايع نكار إلى طهران فى رمضان ١٢٤١هـ.ق (مارس ١٨٢٦م).

ميرزا نائب السلطنة، وميرزا محمد تقى صاحب الديوان، وكبـار رجـالات الدولة الآخرين، أشار فى بعضها إلى أحداث وقعت آنذاك مثل فتح ترشـيز وأمير آباد وخبوشان على يد عباس ميرزا وغير ذلك.

وكمثال على ذلك نذكر بعض أبيات من قصيدة نظمها فى أثناء سفره وتوقفه فى تفليس مقتفيًا فيها أسلوب الخاقانى ومخاطبًا فيها عباس ميرزا نائب السلطنة يشجعه فيها على فتح القفقاز:

لقـد حبسـنى الفـلك فـى تفليـس

فيا حسرة على هذا الظلم وأسفاه على هذا العدوان

لقـد أخـرجـونـى مـن التـربة الطـاهـرة

التـى نعـم بهـا الأطهار مثل الروح فى الجسد

لقـد أحضـر الـزمـان، الشـريـد

وجعلـه أنيسـاً للـروس ومـؤنسًا بالمسيحـى

إلا سيـف ولـى العهـد الحـارق للأعـداء

ألا تـدبيـر الشـاه المحنـك الشـاب

يمنحنـى الخـلاص مـن هـذا المسكـن الشؤم

ويحـررنـى مـن هـذا السكـن القذر

أيهـا الإلـه العـادل امنـح الخـلاص

مـن هـذا السيـف الـلامـع كـالبـرق

امــح غبـــار الكفـــر عـــن طـــريـــق الـــدين

واكشـــف غطـــاء الشـــرك عـــن وجه الشرع

هـــاجـــت وماجت نزعات العدو بحدود إيران

فـــلتـــضـــرم نـــاره فـــى قـــــدر الهـــيـــام

وسكـــــن بمـــــاء السـيـــف غـــلـــيـــانـــه

حتى يعلم أن هذا الهوس ساذج ولا أساس له

الباب الثانى

الأدب الإيرانى فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر

الفصل الأول – الشعراء

مقدمة:

واصل شعر البلاط الذى كان قد وصل إلى حد الكمال فى عهد سلطنة فتحعلى شاه، تقدمه وازدهاره فى عهد خلفائه، كذلك واستكمل المسيرة شعراء لا حصر لهم بنفس الأسلوب حتى منتصف عهد سلطنة ناصر الـدين شـاه، وكان أشهرهم شهاب الأصفهانى وفروغى البسطامى وقا آنـى الـشيرازى ويغماى الجندقى وسروش السدهى الأصفهانى وشيبانى الكاشانى ومحمـود خان ملك الشعراء، ومنذ منتصف القرن الثالث عشر فقط ظهر تحول بسيط فى بنية الشعر الفارسى(١).

١ – شهاب:

يعد ميرزا نصر الله "شهاب" الأصفهانى من كبـار شـعراء هـذا العصر، وقد حضر إلى طهران سنة ١٢٥٤ هـ.ق، وحظى بعناية الـوزير الإيرانى حاجى ميرزا آقاسى ولقب بتاج الشعراء، وظل يتردد على طهران

---

(١) من شعراء الدرجة الثانية فى عهد محمد شاه، وناصر الدين شاه ميرزا مهدى فروغ، وفرخى الأصفهانى، وميرزا رضا قلى سلطانى، وكلهـر الكرمانـشاهى، وهمـاى الشيرازى، وميرزا محمد تقى سـپهر، وعبد العلى احتشام الملك، الذى يعتبر مـن أسرة السلطنة، وعدد من أبناء وصال.

من حين لآخر ليعرض مدائحه وقصائده على الوزير ثم يعود إلى موطنــه، وبعد أن اعتلى ناصر الدين شاه عرش السلطنة وصل شهاب إلـــى حــضرة الملك وقدم التهنئة، وكلف بنظم عدة مجالس فى مراثى ومأتم حضرة ســيد الشهداء، وقد نظم شهاب أشعارًا كثيرة من القصيدة والقطعة والمثنوى.

وبرغم أنه قد جاء فى حديقة الشعراء أن طغرل ابن شــقيق شـــهاب قــد تخلص من أشعاره وأخذ ينشد قصائده باسمه محرفًا إياها(١)، إلا أننى لا أصدق هذا الادعاء لأن ديوان شهاب موجود(٢). وقد توفى شهاب سنة ١٢٩١ هــ.ق.

فى وصف الربيع:

إن نسيم فروردين(•) قد استضاء كضياء عظمة ملك العالم

وأشـــــرقـــت أيـــام شـــاربـــى الخـمـــــر

فهيــا يــا ربيعـــــى يا ضاحــك الوجه فقد أقبل النوروز

هيــا انعش أرواح الأصــدقاء بتلك الخمر الصافية المعتقة

وحمــلت الشــمــس الحلــــة الــذهبيــة فـــى بيــت الشــرف

وتـــــوارت الشـــجـــــرة تحــــت الخلعــــة الــــزمــرديــة

وصعــد مــلك الــورد فــوق العــرش بتاجه الأصفر الكهرمانى

فهيــا أعطنـــى الكأس الفضية فقد اصطف الصفصاف والياسمين

---

(١) مجلة يادگـــار، السنة الخامسة، العددان ١ و ٢ (نقلاً عن حديقة الشعراء).

(٢) فى مكتبة مدرسة ســپـــهالار بطهران تحت رقم ٢٥٧.

(•) فروردين شهر هجرى شمسى يقابل مارس وإبريل (المترجم).

لقـــد تحطـــم قلــب الشتــاء مـــن جيــش شــهــر آذار[1]

فكـــسَّرى أيتهـــــا الشــمـــس الــــذؤابتيـــن الملتـــويـــتيـــن

فمن نسيم الرياح صارت الروضة كلها تفوح بعبير مسك الصين

ومـــن قطـــرات السحـــاب صـــارت الصحراء كلها لؤلؤ عدن

إن النـــسيـــم قـــــد عقـــــــد السنبـــل وجعلـــه مثـــل ذؤابتك

وظهـــرت الخضـــرة بجـــوار النهـــر مثـــل حـــاجبك اللطيف

واكتست الروضة بألوان الزهور وتعطرت برائحة اليـــاسمـــين

فأعطنى أيتها الشمس الملونة بلون الورد خمرًا برائحة الياسمين

والسحاب مثل رسامى الصين يرسم فى الصحراء الشـــاسعـــة

لــــوحـــــة جمـــيلـــة وبـــديعـــــة فـــى كــــل لحـــظـــة

أشـــرب الخمـــر الـــورديـــة فـــإنه مـــن نسيـــــم الـــربيـــع

الأرض مخضـــرة والصحــــــارى بهـــيـــجـــــة وسعـــيـــدة

إن العيـــــد السعيـــــد قـــد دق طبـــول البهجـــــة والإقبـــال

وقطـــرة المطـــر النـــوروزيـــة قـــــد أنعشـــــت العـــالـــم

ونسيـــم الفصـــل الجـــديـــد قـــد زيَّن عـــرائـــس الـــروضة

فجـــــــدد عهـــــــدى أيهـــــا الفتـــــــى بالخـــمـــــــر

---

(١) الشهر السادس من الشهور السريانية، أول شهور الربيع.

لقـــد ابتهـــج الـــوادى فـــأســـرع الخطـــى بالكـــأس الكبيرة

وانظـــر إلى تلك الـــزهـــور المتنـــوعة المتحررة من القيود

إن حلقـــات الـــريحـــان ملتـــوية ومعقدة مثل الذؤابة السوداء

وزهـــرة النســـرين متـــدحرجـــة فـــوق أختها كشحمة أذنك

فأصبح الوادى متعدد الخطوط والألوان كجناح الديوك البرية

وصـــارت الـــروضة كثيرة النقوش والنقط كجناح الطاووس

إن الـــدم ينـــزف مـــن الشـــراب على لحـــن نـــاى البلبـــل

يا مـــن حـــاجبك كجنـــاح الببغاء وخصلتك كجناح الغراب

ويهـــب النسيـــم فـــى الـــروضـــة كنفـــخـــة جبـــريـــل

فتـــصـــيـــر البـــرعمـــة حبلـــى كـــابـــنـــة عمـــران

ويشـــرب الـــلبـــن مـــع عيـــسى مـــن ثـــدى واحـــد

الســـوســـن الأبيـــض الـــذى يتكـــلـــم فـــى المهـــد

ويصيـــر الشيـــخ فـــى عنفـــوان الشبـــاب بفضـــل

نغمة طائر القمرى التى هى أحسن من نغمة العود والرباب

والبلبـــل يـــزن القـــافيـــة مـــع "شهـــاب" فـــى الـــروضـــة

وينشـــد الشعـــر فـــى ذكـــرى مجـــلس فخـــر الـــزمـــان..

نوروزيه (العيدية) :

أقبـــل عـيـــد النـــوروز بكـــوكـب السـعـد

بكـــوكـب السعـــد أقـبـل عيـــد النـــوروز

وتســـاوت دورة اللـيـــل والنـهـــار

وانتقلت الشمس إلى بيت الشرف، وأنت أيها القمر مضئ الليل

آن الأوان لكى تترك خلوة الليل وتتحـرك إلـى الـروضـة

فإن المـروج الخضـراء تشبـه خطـك الممـزوج بالمسك

والســرو المـائلة علـى شـط النهـر تشبـه قـوامـك

وشقـائـق النعمـان مثـل وجهـك الجميـل مـزين القلوب

والسنبـل مثـل ذؤابتـك التـى تفـوح بـرائحـة اليـاسمين

فتمـايل وتبختـر فـإن الـروضة قد ابتهجت بالورد والريحان

والبـرعـم ضحـك كمـا تضحكـيـن أيتهـا الشمـس

وبكـى سحـاب الـربيـع كـمـا تـبـكـى عيـنـاى

والصبـا قـد نثـر المسـك التتـارى مثـل طـرتـك

إنـه العيـد فهيـا أشعـل العـود القـمـارى (•)

(•) نسبة إلى "قمار" وهى مدينة فى الهند (المترجم).

وصب في الكأس خمرًا كالنار الحارقة

يامن عشقك تسبب لي في فضيحة

لقد تغيرت الأيام ودار الزمان دورته

وصارت الصحراء جميلة ومزينة كجنة إرم

فتبختر واشرب الكأس واسترح في الروضة

من أول فروردين حتى آخر نيسان

إن صفوف النبات المتراصة في الوادى

كأنها جيوش ملك إيران المدرعة

فانهضي أيتها الختنية التركية حاملة القوس المدرع

وجهزي ركابي بعشبة دم سياوش

حتى أقود جواد الطرب مثل رستم دستان

وقام آذار بغارة ليلية على جيش كانون

فغرقت الأرض بالدماء من غارته الليلية

وأقبل العيد مثل علم كاوه(*) المبارك

وصعد البلبل على عرش الورد مثل فريدون(**)

وهرب الغراب الأسود من الروضة مثل الضحاك

(*) كاوه اسم الحداد المشهور الذى رفع لواء الثورة على الضحاك الظالم (المترجم).

(**) فريدون ملك من العهد الأسطورى حارب الضحاك وانتصر عليه (المترجم).

والشمس بوجهها المضئ في منزل بهرام(***)

قد جلست وأقبلت الصبا ومعها فن سنمار

وأفسدت الروضة منظر قصر خورنق الجميل

فتعال إلى الخمر الصافية المعتقة التي تشبه العقيق اليمنى

يا من أحرق وجهك قلب شقائق النعمان

وطائر الحق هذا معلق بقدم واحدة

من أول الليل وحتى الصباح وهو يصيح كمنصور الحلاج أنا الحق

أعطني يا ذات الشفاه الياقوتية الخمر الصافية المعتقة

من الخط الأزرق(١) بقلب خالص

مادامت الكأس الذهبية الكبيرة في يد النرجس الفتان

لقد أقبل العيد بالمجد السليماني جميلاً وطيبًا ومبتهجًا

وصارت الدنيا مثل الجنة الموعودة

ووضع نسيم الصبا في طريقه العود على النار

وكأن داود كان يغني المزامير

(***) المقصود ببهرام كوكب المريخ (المترجم).

(١) الخط الرابع من خطوط جام جم وجام باده السعة (فرهنگ معين) جام جم: هي كأس خرافية كانت لجمشيد أو لسليمان أو للإسكندر كلما نظر فيها مالكها رأى ما يجري في العالم (المترجم).

وتحــول الطيــر جميـــل الألحـــان كلـــه إلــــى مطـــربين

ورفـــــع شهـــــر فــــروورديـــــن رايـــــة الإقبـــــال

ووضـــــع فـــى إصبعـــه خــــاتـــم العظمــــة والإجــــلال

وعــــــاد دى وبهـــمــــــن واصـــطـــفــــا إلــــى الخـــلف

واشتعلــت نـــار زرادشـــت مـــن زهـــــرة نســيــم الصبـــا

وأخـــــذ البلبـــل يغنـــى فـــى الــروضـــة مـــن كتاب "الزنــد"

وانظــر إلــى عقــد الجـــواهـــر هذا الذى صنعه الندى للجـــو

وتـــلك الكـــأس العقيـــقـيـــة التـــى فــى يــد الشقــائـــق

فيا صاحب الخط الأخضر والوجه الوردى والطرة الصفصافيـــة

لقـــد آن الأوان لأن تكـــون الخمر فى الرأس والكأس فى اليـــد

فــــامــــرح وارقـــص وتمــــايــل كـــالســـــــــرو

لقـــد صـــار الـــوادى جميـــلاً مثـــل وجهـــك أيتهـــا الحسناء

فمـــن الأفضـــل أن تكونى فى الروضة كالغزال حديث المشـــى

فتبخـــتـــرى كـــالقطـــا واستنـــشقـــــى الـــورد والسنبـــل

كـــــى ينظـــم طــــائـــــر الـــروضـــة القــــافيـــــة

فـــالمـــدّاح فـــى بـــلاط المـــلك هـــــو "شهـــاب"...

٢- فروغى:

ولد ميرزا عباس بن آقاموسى البسطامى (الشخص الذى قطـــع آغـــا محمد خان القاجـــارى إحدى أذنيه بتهمة الوشاية والنميمة) بالعتبات فى عام ١٢١٣ هـــ.ق، ولم يكن قد تجاوز السادسة عشرة من عمره عندما مات والـــده، وظل فقيرًا وبلا عائل فحضر مع أمه إلى إيران وسافر إلى مازندران عنـــد عمه دوستعلى خان وأقام فى سارى.

ولم يكن ميرزا عباس متعلمًا فكافح بشدة حتى تعلم القراءة والكتابـــة ، وقضى معظم أوقاته فى قراءة دواوين كبار شعراء الغزل مثل سعدى وحافظ حتى نظم هو الآخر غزليات بنفسه نتيجة اطلاعه وخبرته، وتخلـــص باســـم "مسكين"، أما دو ستعلى خان الذى كان خازن الملك عندما قصد العودة مـــن مازندران أخذ معه أيضًا ابن أخيه إلى طهران وعرفه على فتحعلـــى شـــاه، وعرض مسكين غزلاً كان قد نظمه فى مدح الملك فلقى الإعجاب، وقد قصد مشهد بناءً على فرمان الملك للخدمة عند شجاع السلطنة والى خراسان، فـــأكرم شجاع السلطنة مقدمه وأعطاه منصب الكتابة، وبعد فترة قام مسكين بتغييـــر تخلصه إلى "فروغى" على اسم الأمير فروغ الدولة أحد أبناء شجاع السلطنة.

وبمجرد أن دخل قا آنى فى خدمة شجاع السلطنة بخراسان تعرف عليه فروغى وبعد الإقامة عدة سنوات فى مشهد انتقل الاثنان معًا إلـــى كرمـــان بصحبة شجاع السلطنة حتى عام ١٢٤٩ هـــ.ق، ثم قدم شجاع السلطنة إلـــى طهران فحضر معه أيضًا فروغى.

وقد عاش فروغى فى طهران حتى آخر سلطنة فتحعلى شاه وفترة بعد ذلك فى عهد محمد شاه، وحضر عدة مرات مجلس محمد شاه فـــرأى منـــه

الملاطفة والتدليل وذهب بعد فترة إلى العتبات.

وبعد عودته من العراق تغير حاله بسبب استغراقه فى أحوال ومؤلفات الصوفية مثل بايزيد البسطامى ومنصور الحلاج، وابتعد عن الناس وقضى حياته فى الزهد والاعتزال.

فوصلت حكاية عزله وشرود فروغى وغزلياته الصوفية إلى مسامع ناصر الدين شاه فطلبه ولاطفه وصار مغرمًا به لدرجة أنه كلما كان ينظم غزلاً كان ينشده عليه ويكمله فروغى.

وفيما يلى إحدى غزليات ناصر الدين شاه التى أتمها فروغى:

إن الحبيب لا ينبغى أن يشكو من حبيبه

والرجل لا يجب أن يكون ملولاً

لماذا يكون عاشق المعشوق بعشرة قلوب؟

إن عاشق المعشوق من الأحسن أن يكون بقلب واحد

إن رؤية وجهك الحسن لا تطيب مع الشكوى

فرؤية وجهك تطيب بدون الشكوى

فأضاف إليها فروغى:

إن السيد قد اشترانى ليلة أمس بلا مقابل وأخاف

أن يندم ويتراجع عن هذه الصفقة

وسالك طريق العشق يجب أن يسعى وراء هدفه

ولـــو فـــى قــدمه مــائة ألــف بشــرة جــدرى

إن الــذى قـــام بـتـضـفـيـر طـرة ليـلـى

أراد أن يكــون المجنــون هــو أسيــر الضــفـيرة

لا تسـرع الخـطى يـا دليـل الطـريـق خشيـة

أن يكــون هنــاك عــاشـق متعــب وسـط القافلة

لقــد أضــفــت غــزلاً بديعًا لأبيــات الملك الثلاثة

حتــى يتصــدر غـــزلـــى أية مـــراسـلــة

مـــاذا أضيــف يا فروغى إلى غزل الملك الموزون

بحــيث يصبــح غــزلى جــديـر بالجــائــزة؟(١)

وظل فروغى يعيش هكذا متصوفًا وبعيدًا عن الناس وكان يذهب عنــد الملك مرة واحدة كل شهر ويعرض عليه غزلياته الجديدة حتى تــوفى فــى الخامس والعشرين من المحرم سنة ١٢٧٤ هــ.ق. بعد مرض شديد ألمَّ بـــه وهو فى الستين من عمره.

وقد كان فروغى، كما قيل، رجلاً زاهدًا وورعًا، ويقال إن الناس قــد شككوا فى صحة عقيدته، حيث قال ميرزا إبراهيم النيـسابورى المــتخلص بمشترى وأحد الذين عارضوه وهجوه، فى قطعة أنشدها فى وصف الــصيد بعد وفاة فروغى:

---

(١) وردت فى ديوان فروغى عدة غزليات أخرى مطلعها لناصر الــدين شــاه والبــاقى لفروغى.

يتحـــدث النـــاس كثيـــرًا فـــى أمـــر عـــقيـــدتـــه

وأنا لا أعلم إن كان مات على الكفر أم على الإسلام

وفى مجال تمجيده قال جلال الدين ميرزا والذى كان هو نفسه أيضًا من أهل الشعر:

"أول مرة تشرف فيها بالمثول بين يدى سلطان العصر ناصـــر الـــدين شاه، خلد الله ملكه، لقى اللوم والعتاب لأنه ادّعى الربوبية، فخلص نفسه بـــل ونال الإنعام والإحسان بهذه المقولة الطريفة : لقد هرولت سبعين عامًا حتى وصلت الآن إلى ظل الله (أى الملك) فمتى سأصل إلى الله، فكيـــف لـــى أن أدعى أنا نفسى الربوبية؟"(١)

يُقال إن فروغى كان له عشرون ألف بيت من الشعر، وقد ادعى جلال الدين ميرزا أنه اختار خمسة آلاف بيت له وطبعها مرفقة بديوان قـــا آنـــى ولكن لم يطبع فى آخر ديوان قا آنى أكثر من ثلاثة آلاف بيت لفروغى. (٢)

وقد برع بالدرجة الأولى فى نظم الغزل، وهو يقلد سعدى فى غزلياته، وليس فى شعره إبداع كثير، ومضامينه الشعرية هى نفسها التى قد تكـــررت مرارًا فى الغزل الفارسى سواء قبله أو بعده، إلا أن السلاسة وأسلوب البيان والآلام والأحزان الصوفية التى فى أشعاره قد منحته مكانـــة فـــى الـــشعر وتسببت فى شهرته، وقد راجت بعض غزلياته واشتهرت جدًا بسبب جمـــال اللحن وفصاحة البيان برغم أن مضمونها ليس جديدًا.

---

(١) رهـــى معـــيرى، مقدمة على غـــزليات فروغى البـــسطامى، طهـــران، ١٣٣٦ ش (٧- ١٩٥٨ م)، نقلاً عن جامع ديوان فروغى.

(٢) الطبعة الجديدة لغزليات فروغى البسطامى، بسعى منصور مشفق، طهـــران ١٣٣٦ وتشمل ثلاثة آلاف وخمسمائة بيت.

وفيما يلى بعض غزلياته:

إذن فـــإن لهـــذه التنهيـــــدة المحـــــــــرقة آثار
ولهـــذه الليـــلة المظـــلمـــة أسحـــــار مضـــيئة
لا تغفلين عن حال القلب المحترق بنار العشــــق
فـــإن لـــه شـــرارات فـــى مـــوقـــد الصـــــدر
إن الشكوى تصدر من كل جذور شَعْرِى كالنـــــاى
بأمـــل أن يكـــــون فــــى فمـــــك السكــــــــر
أنـــت تنظـــريـــن فـــى المـــــرآة – ولا تـــــدرين
أن المـــــرآة هـــى التـــى تنظـــــر إلى وجهـــــك
من يستحق سهم ذلك الحاجب الذى يشبه القوس التركى؟
إنـــــه ذلك الـــــذى له دروع علـــى صـــدره الممـــزق
أنـــت المحـــبب لـــدى قلـــوب أصحـــــاب النـــظر
وإلا فـــإن أم الدهـــر لها أبناء فى كـــل ركـــن وزاويـــة
لقـــــد أظلـــم نهـــار "فـــروغـــى" فى طريق عشق القمر
فـــــــــالأقمــــــار مختبــــأة فـــــى ثنـــيـــة الطــــــرة
إن القلب قد غرق فـــى التفكيـــر فى تلك الخصلة المعقودة
فاستبشـــر العقـــلاء أن المجنـــون قـــد سقـــط فى الأغلال

* * *

ألا أيهـــا السيـــد إلى متـــى تمنعنى من عشق الخمر؟

ماذا يفعل العبـــــد الـــــذى سقــط فـــى يد القـــدر !

أمسكــت بطــرف ثـــوبه مـــــن أجــل الشكــوى

عندما سكت اللسان عن الكلام وامتنـــع عـــن النطـــق

وقلــتُ لأكتــب شـــرحـــاً عـــن مســـألة العـــــشـــق

فسقطت الرسالة من يدى وكذا عجز القلم عن الكتـــابة

إن المحبوب قد جاء لكى يـــرحـــم قلبـــى الخـــــرب

ولكـــن فى وقـــت لا تفيــــد قـــلبـــــى الـــرحمـــــة

لا ذكـــــر لإشـــراقـــة الشـــمس زينـــة العالـــم وكأن

الحجاب قد سقط عن ذلك الحسن المستولى على العالم

إن الحـــورية قد توارت عـــن عيون الناس خجلاً منك

والقمـــر سقـــط من فـــوق سطـــح الفلـــك حقدًا عليك

لقـــد انفصـــل القلـــب عـــن جديلتك وانضـــم للحاجب

وســقـــــط أميــــــر قيـــــد عشــقـــــك بالسيــــف

إنـــك كثيــــرًا مـــــا تجـــــاهــــلت أنيـــن القـــلـــب،

إذن فإن القلب قد توقف عن الأنين وكذا الأنين عجز عن التأثير

فقال إننى سأقتل تلك الجريئة فى أسرع وقت يا "فروغى" ولم يقتلها

فكيف أتصرف وقد تأخر مثل هذا الأمر !؟

* * *

المحبوب وفقًا للمرام والكأس فى اليد والقنينة على الكتف

سأخـــرج ثمـــلاً مـــن بـــاب الشيـــخ بـــائــــع الخـــمـــر

أتريد أن تصل مراد القلب، اطبع قبلة على شفاهه الياقوتية

أتـــريـــد ألا تـــذق طعـــم الهـــم اشـــرب كـــأس الخـــمـــر

نحــــن وحـــــى العـــشـــق وروح متـــخـــنـــة بالجـــراح

نحـــن وحفـــل الشـــــوق وفـــــم مملـــــوء بالصـــيـــاح

أتعـــلـــــم ممـــــن يـــشـــكـــــو البلـــبـــل المجـــــــذوب؟

إنــــه يشكــــــو مــــــن ذلك الـــذى أسكـــت فــــم البـــرعم

كيـــف أسمــــع نصيحـــة الشخـــــص الــــــذى بشـــفـــتيـــه

هـــــاتيـــن ســـلـــب منـــى الأذنيـــــن المســـتمـــعـــتـــيـــن

لـــو أن عنـــدك عيـــن الجود من منبع الدفء هذه (الشمس)

فـــاعتصـــر ألمًا أيهـــا القـــلب وتوقدى أيتهـــا العين الدامعة

إننـــى عـــاشـــق لجمـــــالك بمـــــائـــة ألـــــف عيــــن

وعـــــابـــــــد لخطـــــابـــــك بمـــــائـــة ألـــــف أذن

لا يصــل أحــد إلى مــراده مــن ذلك الفــم بــدون جهد
فــاجتهـد أنــت بالخــلاص يا "فــروغى" بقدر الإمكــان

* * *

متى رحلت عن القلب حتى أتمناك   متى غبت عن العين حتى أبحث عنك
إنك لم تغب لكى أطلب حضــورك   إنك لـــم تخــتـف حتــى أجــدك
لقد ظهرت بمــائة ألــف منظــر   لكــى أشــاهــدك بمــائة ألــف عين
انظــر أعــلاك فى مرآة عينــى   حتــى أطلعــك علــى العالم العلوى
ليتك تمر متبخترًا فى الحــرم والــدير   حتــى أجعلك قبلة المسلم والمــسيحــى
أريــد أن أنــزع النقــاب ذات ليلة مــن على وجهــك
وأجــعــلك شــمــس الكعبــة وقــمــر الكـــنــيســة
لو تقع فى يدىَّ هاتان الجديلتان اللتان على هيئة الصليب
أضـــع فـــى قـــدمـــك آلاف الســـلاســـل
لــو أُعطيــت شجــرتى طــوبى والسدر يــوم القيامة
جعلتهمــــا معــــاً فداءً لقــامتــك الممشـــوقــة
يصــيــــر أمــــرى جميــلاً فــى بــلاط العــشــق
إذا مـــا نظـــــرت إلـــى وجــهـــك الجمــيــل
لقد أصبحت فضيحتى فى كل مكان فى العالم بسبب فتنة العشق
وأخـــــاف أن أفضــحـــــك لا قــــــدر الله

* * *

عانقنى ليلة أمس ذلك القمر النخشبى(•)

ليت الصباح ما طلع فى هذه الليلة

واحتضنتنى حسناء قمرية الوجه من شدة الحب

كالقمر فى وسط برج العقرب

إن العشق قد أخذنى إلى ذلك المكان

حيث لا دوران للفلك ولا ضياء للكواكب

كلما زاد هوى الكعبة المقصودة

طاب سعى الراكب وحركة المركبة

مادام كرم الساقى موجودًا والخمر باقية

فاقض وطرك فى كل لحظة وامسك الكأس الممتلئة

لا تتحدث عن التقرب إلى حضرة الحبيب

لأن العبيد المقربين صامتون

إن قلب خسرو قد تحطم وكذا رأس فرهاد

من دلال شيرين حادة الطبع حلوة الشفاه

إن الذى عنده خبر عن أمر العشق

(•) نسبة إلى نخشب وهى مدينة فى التركستان (المترجم).

لا شـــــأن لــــــه بـــــأية مـلــــة أو ديــــن

إن الشعر المجعــد المعــنبــر قد جعل نهارى مظلمًا

والعنبــر الأشهــب قـــد جــدد جــروحــى وآلامى

إننــــى لــــم أقــصــــــد أبـــدًا قـــراءة الأوراد

فالحــبـيب لــــم يصبــح عــوفــًا بقـــول يا رب

الحـــــسناوات يطلبــــن الـــذهب يا فـــروغــى

فقــد جـــرب حــاجــب المــلك هـــذا الــدعــاء

٣- سروش:

ولد ميرزا محمد على بن قنبر على السدهى الأصفهانى سـنة ١٢٢٨ هــ.ق، وقد عشق الشعر منذ طفولته وتعلق به تعلقًا شديدًا، وأتم دراسته فى أصفهان، وقرر أن يختبر قريحته فى ساحة الأدب، فاقتحم المجــال بإنــشاد القصائد فى مدح الحكام والأعيان المحليين مثل سائر شــعراء عصره، لكنه لم ينجح فى هذا الأمر ولم يلق عناية الممدوحين فقرر السفر وتجربة موهبته الأدبية فى مكان آخر.

وكان عمره تسعة وعشرين عامًا عندما غادر أصفهان، وعاش فترة فى قم وكاشان وقد ذهب فى آخر الأمر إلى تبريز بعد ثلاث سنوات وأقام هناك، وقد حالفه التوفيق فى هذه المدينة حيث هبّ لمساعدته الأميران القاجــاريان قهرمان ميرزا ومحسن ميرزا حتى وصل إلى ولى العهد، وأعجب ولى العهد بالقصائد الرنانة المشحونة بالمبالغة والتى كان يقدمها فى الأعيــاد فأكرمــه

بمنحه الجوائز والعطايا، وعاش عدة سنوات فى مدينة تبريز فى رغد وهناء، وعندما توفى محمد شاه سنة ١٢٦٤ هـ.ق حضر سروش إلى طهران فى رفقة ركاب ناصر الدين شاه. وأصبح من خدام البلاط الخصوصيين ونال من الملك جوائز عديدة، وصار من أهل الجاه والمال، وبعد وفاة قا آنى أصبح هو شاعر البلاط الأول، وحصل من الملك على اسم "الخان" ولقب "شمس الشعراء" وعاش، سنوات بصفته شاعر البلاط الرسمى حتى توفى بطهران سنة ١٢٨٥ هـ.ق وهو فى السابعة والخمسين من عمره.

أما مؤلفات سروش فهى عبارة عن قصائد ومنظومات الفتح ومثنويات (اردیبهشت نامه، ساقى نامه، الهى نامه) وكتاب بعنوان شمس المناقب[١] يحتوى على قصائد فى مدح الرسول الكريم وآل البيت وستين قطعة فى الرثاء وكذلك مثنوى بعنوان "روضة الأنوار" فى ذكر واقعة كربلاء وديوان بعنوان "زينة المدايح" ولكن لم يجمع ديوانه الكامل ولم يطبع، حتى طُبع ونشر مؤخرًا سنة ٣٩- ١٣٤٠ فى مجلدين بالحواشى ومعجم الألفاظ مع مقدمة لجلال الدين همائى بسعى واهتمام الدكتور محمد جعفر محجوب.

شعر سروش: يعد سروش من أتباع المدرسة القديمة، وقصائده تقليد ماهر ومتقن لقصائد الأنورى والأمير المعزى والفرخى السيستانى، فهو يحاول أن يستخدم فى أشعاره مضامين وتشبيهات أكثر أصالة وجرأة، وهذه الرغبة تقوده فى الغالب إلى التكلف المفرط وأحيانًا إلى الابتذال، لكنه بوجه عام قادر على بيان فكره وتوضيحه بمهارة واقتدار، والأبيات الأول من قصائده جميلة وقيمة جدًا وهى فى منتهى الشاعرية والأستاذية برغم وجود

---

(١) بخط ميرزا آقا كمره أى وبسعى إبراهيم مشترى الطوسى، طهران، ١٣٠٠.

التصنع والتكلف بكثرة، والأبيات التالية التى قد أخذت من قصيدة له فى تتبع قصيدة الفرخى[١]، تعتبر أفضل نماذج فنه الشعرى:

ظهرت من طرفــى السمـــاء سحــابتان صـــائحــتــان

وفجأة اصطدمت كل منهما بالأخرى وحدثت الضوضاء من الناحيتين

ولمّا اشتبكتا معًا عــلا صــوت المعــركــة مــن الجــانبين

وهجمت كل منهما على الأخرى وكأنها معركة حربية

ألا أيتها السحــابة المســـرعــة الصــائــحة بــلا سبب

لماذا تصيحين وليس هناك عداوة فهل أنت مجذوبة!؟

إن الشمس ذات الوجه المضئ تغيب وتتوارى بسبب غبارك المظلم

كالفارس الحائر المشتت بسبب غبار المعركة

وقد أشار سروش فى أشعاره إلى وقائع العــصر، و منهــا قــصيدته المشهورة جدًا فى مدح ناصر الدين شاه وقتل خان خيوه (خوارزمشاه):

إن تاج خوارزمشاه الذى يعانق السماء السابعة

قد انتقل برأس صاحبه إلى ملكنا صاحب الإيوان المبارك

كان قد زحف من أجل السعى والاجتهاد بجيش

عدد جنوده أكثر من أوراق الشجر وحصى الصحراء

---

(١) مطلع قصيدة الفرخى هو:

صعدت سحابة زرقاء من فوق البحر الأزرق　　　مشتتة كحال العشاق وهائمة كطبع المتيمين

فهـاجـمـه جيـش خـسـرو فـوق التـل

وكـان السـيـف المسلـول كـالبـرق اللامـع

فـافتـدى نفسـه بالـتاج والحـزام والثوب

لكـى ينـجـو مـن السـيـف الهـنـدى

فـقـتـلـوه وهـزمـوا جـيـشـه

وانتصـر جيـش الشـاهنشـاه الإيـرانى المظـفـر

فلا تجد شجرة سرخس واحدة فى كل أنحاء سرخس

غير ملطخـة بـدمـائهـم كشـقـائق النعـمـان

وفى أثناء تركيب جهاز التلغراف الإيرانى، قام أيضًا بتوضيح انطباعه عن ذلك الاختراع العظيم على النحو التالى:

الشكـر لله أن يسّـر الأمـر علـى العشـاق

بفضـل ذلك الاختـراع المبـارك الذى انتشر فى العالم

فقد أصبح العاشق على اتصال بالمعشوق فى السؤال والجواب

بـلا رسـول أو رسـالـة ولـو كـانت المسـافـة ألف فـرسخ

إن الأمـور قـد تيـسـرت فـى عـهـد المـلك

فـالثنـاء علـى عـهـد المـلك السعـيـد

وهـذه الخـدمة المبـاركـة قـد قدمها اعتضاد السلطنة

فحصـل علـى وسـام الشـرف مـن مـلك ملـوك الـدنيا

أما هذه القصيدة فقد أنشدها أيضًا فى حفل أقيم فى متنزه الجلستان فـــى يوم الخميس السابع من ربيع الأول سنة ١٢٧٣ هـــــ.ق بمناســبة انتــصار الجيش الإيرانى على الأفغان وفتح هراة.

إن هراة هى المدينة التى فتحهــــــا الملك والنجمة

هى الرفيق فهات الخمر أيتها النجمة الغيورة بهذه البشرى

فـــــالزمان يدور دورته ويحـــــمل كـــل عـــام

بشـــــــرى فتــــــح عظــــــــيم للمــــــلك

فبشِّـــره هـــــذا العــــــــام بفــتـــــح هـــــراة

مثلمــــا بشَّـــره العـــــام الماضــــى برأس خوارزمشاه

كل أسبوع رسول النصر وكـــل شهر بشـــرى الفتح

وكـــأن عصــــر المــلك هـــــو بـــــاب الفــتـــوح

بالأمس جــــاءت رســــالة فتــح هراة عند الملك

وفــى الغـــــد سيصــــل إليــه خبــر فتــح قنــدهار

لقد كان الاستيلاء على مدينة هراة ماهو إلا أسطورة

فحــطـــم المــــلك السعيـــد هـــذه الأسطــــورة

وفيما يلى نموذجان آخران لقصائد سروش:

ما إن رفعت عــروس فصـــل الربيع الحجاب عن وجههــا

حتــى قــام النسيــم بتـــزيينهـــا وتجميلهـــا وكأنه ما شطتها

والنـــدى على السنبل وكـــأن شعــــر حـــوريــــات الجنة

قــد تحلــى باللــؤلؤ والجــواهر علـــى باب جنة رضوان

والبستانى فـــى الـــروضة كـــأنه أذاب المسك طوال الليل

ومســح بيــده الغــارقة فـــى المسك على غصن الزعتر

ومــن كثــرة النقــوش المتنــوعة فى الحديقة والبستان

شطـــــب السحـــــاب الآذارى[*] على حـــرفة آزر[**]

وخـــرجت شقـــائق النعمـــان مـــن الحجـــاب الأخـــضـــر

وغطـــت شتلة الـــورد الأحمـــر وجهها بالنقاب الفيروزى

ورســم الصبــا صـــورة الحــسنــاوات الجــمـــيــــلات

فصنـــع الوجـــه مـــن ورق الشقـــائق والعين من النرجس

ما أسعد ذلك العاشق الذى شرب كأس الخمر مع المعشوق

وفى الصبـــــاح فــرش متـــــاعـــه تحــت أغصـــان الـــورد

والبــلبــل يغــنــــى فـــــى الحـــــديقـــــة مجــانــــاً

فلا يجب على المغنى أن يرفع بعد الآن يد التمنع والدلال

إنه ينبغى الآن عزف البربط، يجب الآن الجهر بالعشق

يجـــب الآن حمـــل الكـــأس فـــى البســـتان مع الحسان

يجب الآن سمـــاع المطـــرب واستنشـــاق عبيـــر الربيع

(*) الآذارى نسبة إلى شهر آذار (مارس) (المترجم).

(**) آزر أبو سيدنا إبراهيم (المترجم).

وشـــرب الخمـــر فى ذكـــرى حكـــم الملك السعـــيـــد...

* * *

عنـــــدمـــا غـــــرَّد الطـــــائر فـــى وقـــــت الصــــــباح

أحضـــــــرت لــــى شمـــس الحســـــان كـــأس الخـــمـــر

وقـــالـــت لـــى انهـــض فقـــد حـــان وقـــت الصـــبـــاح

وأخـــاف أن يصيبك الخمـــــار الآن بـــــوجـــع الـــرأس

وهى تعلـــم أن خمـــارى لا يجلـــس مـــن أجل قدح واحد

فـــنهـــضـــت وأحضـــــرت بســـرعـــة قـــــدحًا آخـــــر

وزيَّنـــت مجـــلســـى اليـــوم من جديد كما زينته بالأمس

وأحضـــــــرت النُقـــــل والنبيذ والمطـــــرب والمغـــنـــى

تارة لحن البربط وتارة الأغنية، مرة القُبلة ومرة الرشفة

وجعلـــت مـــن حـــولـــى جيشًا مـــن السعـــادة والســـرور

ولمّا قضيـــت النهـــار فى متعـــة حتـــى وقـــــت الليـــل

قـــامـــت مـــــرة أخـــــرى بإعـــداد بســـاط أكثـــر جـــدة

ودخـــل الخـــادم مـــن البـــاب وأحضـــر الشمع والشراب

وأحضرت الخادمة من بعده البخور مع المجمرة

وعندما مضى جزءان من الليل قامت من أجل النوم

بإعـــداد فــــراش مـــــن الحـــرير الخــــالص

وفكـت قـــلادتهــا الثمــيــنـــة وبعـــد ذلــك

وضعــت يـــدى حـــول عنقهــا كــالقـــلادة

ودخلــت إلـــى المخـــدع وهـــى مـــزينة وسعيدة

بعـــد أن خلعــت ثــوبهــا مـــن جسدها كالوردة

ونمنا سكــارى كــل منــا فـــى حضـــن الآخـــر

إلـــى حـــد أن الجســـدين قـــد حقــدا عــلينا

أنا لا أمـــل ســـاعـــة مـــن البـــقاء إلى جوارها

فكيـــف أمـــل مـــن رفقـــة فـــاتـــنـــة مـــثلهـــا

لقـــد هجـــرتـــنى محبـــوبتى وخرجت من منزلى

لقـــد اشتـــاقـــت للقـــاء الأمـــير مـــربى الغلمان

الأميـــر المحســـن الـــذى ببـــركـــة قدوم الملك

سلَـــم بهــــــــرام لمـــــــروض أشقــــر...

وهذا غزل أيضًا لسروش:

لا تضفـــرى شعـــرك واتـــركيه مســـترسلاً

ارفعـــى الـــذؤابة العنـــبريـــة فـــإنها هكذا طويلة

لا تغطى الوجه الرقيق كله بالخصلة الغارقة فى المسك

اتـــركـــى فـــرقـــاً بـــين الليـــل والنـــهـــار

قفـــى فـــى طـــريـــق الصبـــا واطلقـــى الـــذؤابـــة

لتكـــن النافجـــة علـــى استحياء منك بعد أن تُفتح

إن نسيـم الصـــبا هذه لا تقــوس قامة سرو البستان

لأن الكـــل أمـام قـــامتك يكـــون فـــى صـــلاة

لقــد اعتــرف الصنــوبــر لعـــاشــق قـــوامــك

بأنـــه بــك يكون مرفوع الرأس بين الحديقة والبستان

أنا واحتمـــال البـــعـــــد عـــن وجـــهــك حـــاشـــا لله

إن النفس الذى يدخل ويخرج بدونك هو النفس المجازى

أنـــت لا تحتـــاجيـــن للحســـن ولكن "سروش" المسكين

يحتـــاج إليـــك ليـــلاً ونهـــارًا مـــن بـــين الحســـــان

ترجمة أشعار ألف ليلة وليلة:

من أبرز وأقيم أعمال سروش تضمين حكايات ألف ليلة وليلة الجذابـــة والتى قام بترجمتها ميرزا عبد اللطيف الطسوجى، وتزيينها بالشعر الفارسى، وتوضيح ذلك أن الأمير الفاضل بهمن ميرزا حاكم أذربايجان والابن الرابع لعباس ميرزا نائب السلطنة والأخ الشقيق لمحمد شاه القاجـــارى قد طلب من اثنيـــن مـــن فضلاء عصره ترجمة ألف ليلة وليلة من العربية إلى الفارسية نثرًا أو شعرًا، وكان أحدهما هو الملا عبد اللطيف الطسوجى والـــد مظفـــر الملك، والذى نقل نص ألف ليلة وليلة النثرى إلى النثـــر الفارســـى البليـــغ الفصيح، وكان الثانى هو سروش والذى كلف بترجمـــة الأشـــعار العربيـــة

الموجودة فى ألف ليلة وليلة، وقد أتم هذه المهمة على أكمل وجه بمعنى أنه اختار بدلاً من أشعار الكتاب العربية أفضل وأشهر نماذج الشعر الفارسى لكبار الأساتذة وفى الغالب من غزليات سعدى وحافظ وفقًا لسياق الكلام، وأدرجها ضمن الحكايات بمهارة خاصة، وبما أن ألف ليلة وليلة تتضمن أشعارًا تشير إلى واقعة خاصة ومن المستحيل إيجاد ما يعادلها من الأشعار الفارسية، فقد نظم سروش بنفسه أشعارًا بالفارسية ووضعها مكان هذه الأشعار، وعلى هذا النحو أصبحت هذه الترجمة الفارسية الموجودة لألف ليلة وليلة كنزًا نفيسًا ومملوءًا بأفضل وأفصح وأجمل الأشعار الفارسية، وتعد الأشعار الفارسية لألف ليلة وليلة المكتوبة بالفارسية أفصح وأبلغ بكثير من أصل الأشعار العربية لهذا الكتاب والتى تعد فى الغالب سخيفة وعامية(١).

وفيما يلى على سبيل المثال بعض الأشعار الفارسية لألف ليلة وليلة والتى قد كتبها سروش بنفسه:

فى حكاية على نور الدين والجارية أنيس الجليس والتى يتقابل فيها الخليفة هارون الرشيد وهو بثوب الصيادين مع نور الدين:

„ قال على ابن الخاقان للخليفة الذى كان يرتدى زى الصيادين: أرى أنك قد طربت من هذه الجارية ومن عزفها على العود، فقال الخليفة: نعم، فقال على نور الدين: لو أعجبتك أهدتها إليك، وشيمة أصحاب الكرم ألا يندموا على عطاياهم، فوقف على ابن الخاقان وأعطى الجارية للخليفة الذى كان فى هيئة صياد، وقال له : اقبل منى الهدية، فنظرت إليه أنيس الجليس وقالت: يا سيدى:

---

(١) وفيات المعاصرين من مذكرات الأستاذ العلامة محمد القزوينى، مجلة يادگار ،السنة الخامسة، العدد ٢٠١.

إن البعد عن حضنك لا يقدر عليه المتمرسون

والفــــراق أيضــاً صـــعب عـــلى المبـــتدئين

فقال على عندما سمع هذا:

ليكـــن الـــمـــوت جليســـــــى فـــى هجـــــرك

ولتكـــن عينـــى قصيرة النظر فلا ترى إلى كمى

لو تنفست وفقًا لهوى القلب نفسًا واحدًا بدونك

فـــلــيــكـــن يـــــا رب نفســــى الأخـــيـــر!

وعندما سمع الخليفة حديثهما شق عليه شدة افتراقهما فالتفت لعلى نور الدين، وقال: هل ارتكبت خيانة أم فى ذمتك غرامة، ولهذا السبب هربت، فقـــال على نور الدين: هل أتحدث شعرًا أم نثرًا أيها الصياد؟ فقال الخليفة: النثر هو الكلام العادى والشعر هو لضم اللؤلؤ، فأنشد نور الدين هذه الأبيات:

كـــان لـــى صـــديق حنـــون بمـــدينـــة البصـــــرة

كان بالنسبة لى الروح فى الجسد والبصر فى العين

اشتـــرى مـــــن أجـــــل إسعـــــادى جـــــاريــــة

جميلـــة الـــوجـــه ومنيـــرة المجلـــس ومطـــربـــة

مـــن لـــون وجههـــا امتـــلأ بيتـــى بأوراق الـــورد

ومـــــن عبير شعــــــرها امتلأت حجــــرتى بالعنبر

ومـــات والـــدى وأنفقـــت فــــى سبـيلهـا
كـل مـا كـان قـد تـركـه لى من الذهب والفضة
فقـــالت لـــى جـاريتـى: اذهــب وبعنـى
لأنها وجدت أن يدى قد أصبحت فارغة من الذهب
فأمسكـت بيـد الحسـناء وذهبـت إلـى السوق
لكـى أبيـع روحـى، فهـى لمـن يـدفـع الثمن
فـظـهــر لهـــا ألـــف مشـتـــرٍ
فقد كانت ذات وجه كـوجه كوكب الزهرة المضيئة
وفى تـلك الأثنـاء نهـض شيـخ وضـيع الأصل
وعـدَّ الفضـة وأخـذ تلك الحسنـاء بيضاء الجسد
فلمَّـا رأيـت محبـوبتـى وقـد ذهبـت مع غيرى
كـأنهـم أشعـلـوا الـنـار فـى جـسـدى
فتشبثتُ بهـا بكلتـا يـدى مـن شـدة الـغـيـرة
حيـث إن العشـق والغيـرة قـد امتزجا معًا
وطـــرحـتُ الشيـخ وضيـع الأصل على الأرض
وأخـــذت منـه تلـك الحسـناء حـوريـة الجسد
ولمـا ذهبـت إلى البـيت وأنـا أفكـر فى العـدو
حـضـر غـلام والـدى ولـه اسم حسن وهو سنجر

ماذا قال؟ قال إن ذلك الشيخ الحاقد

قد ذهب الآن إلى الأمير وشكى له منك

وأمير المدينة أمر أيضاً بحبسك

فاحزم أمتعتك وارحل من هنا فلا موضع للبقاء

فخرجنا من البصرة عند صلاة العشاء

أنا وجاريتى فى مواجهة مئات الأخطار

وهذه الجارية الفاتنة الجذابة

التى أحافظ عليها مثل روحى

قد أهديتها لك الآن أيها الصياد

فأية هدية أغلى من الروح!

وفى حكاية الحلاق يمدح الأستاذ حلاقه بهذا الشكل ضمن الجزء الذى قد ورد فى الليلة التاسعة العشرين:

جميع الصنائع مثل العقود ... وهذا المزين در السلوك
فيعلو على كل ذى حكمة ... وتحت يديه رؤوس الملوك

وترجمه سروش على النحو التالى:

هذه هى صنعة الملوك التى فى يدى ... حتى لا تظن أننى أخجل منها
إننى أسحب الموس على مفرق العظماء ... وتحت يدى رؤوس الملوك

وفى حكاية الليالى من الليلة ٣٣٧ إلى الليلة ٣٣٩ تحدث لهارون الرشيد واقعة مع إحدى الجوارى فيتم إحضار الشاعر أبى نواس، الذى كان رهينة فى إحدى الخمارات عند الخليفة فيأمر بأن ينظم الشاعر شعرًا تكون فيه عبارة "يا أمين الله ما هذا الخبر؟" فينشد أبو نواس ما يلى:

طال ليلى بالعوادى وسهر ... فانضنى جسمى وأكثرت الفكر
قمت أمشى فى محلى تارة ... ثم طورًا فى مقاصير الحجر
فرأت عيناى شخصًا أسود ... وهو بيضا قد تغطت بالشعر
يالها من بدر تم زاهر ... كقضيب البان يغشاه الخفر
فشربت الكأس منها جرعة ... ثم أقبلت وقبلت الأثر
فاستقامت وهى فى غشيتها ... تنثنى كالغصن فى وقت المطر
ثم قامت وهى لى قائلة ... " يا أمين الله ما هذا الخبر؟"
قلت: ضيف طارق فى حكيم ... يرتجى المأوى إلى وقت السحر
فأجابت بسرور: سيدى، ... أكرم الضيف بسمعى وبصرى

وقد ترجم سروش هذه القطعة بنفس الوزن والقافية كالتالى:

فى ليلة أمس مر جزء كبير من الليل ... والفكر قد سلب النوم من عينى
قمت أتجول حول البيت وأنا مضطرب الحال ... ومررت على باب كل حجرة
فسرت وفى أثناء سيرى ... وقع نظرى على شخص أسود
وقد كانت حورية بيضاء الجسم ... ولكن شعرها الطويل قد غطاها كلها
طلعتها غطت على قمر السماء ... وقامتها غطت على سرو كاشمر
فشربت جرعة من كأسها ... فأخذ عشقها عقلى

فتقدمت بعد ذلك رويـدًا رويـدًا وقبلت تلك الشفايف التى مثل الـسكر
فقالت لى وهى تتمايـل وتتثنـى يا أمين الله مـا هـذا الخبـر؟
فقلت لها ضيف جاء فى وقت الـسحر حتى يـأوى هنـا لهـذه الليلـة
فقالت: مرحبًا بك، أخدمُ الـضيف بالقلـب والـروح والبـصر[1]

٤- قا آنى:

مثلما كان وصال من أفضل شعراء بلاط فتحعلى شاه، فقـد ظهـر شاعر قصيدة آخر فى عهد محمد شاه وخليفته ناصر الدين شاه، ولقى شـهرة كبيـرة فى حياته القصيرة التى استمرت سبعة وأربعين عامًا وهو قا آنى.

وقـد ولـد ميـرزا حبيب الله الشيرازى المتخلص بقا آنى بشيراز فى التاسع والعشـرين مـن شعبان سنة ١٢٢٣ هـ.ق، وكان أبوه ميـرزا محمد على گلشن فى الأصل من طائفة زنجنه، وقد ولد بشيراز ونشأ فيهـا أيضًا، وكان گلشن ينظم الشعر هو الآخر وكان معروفًا بنظم القوافى.[2]

وقد ذهب قا آنى إلى المدرسة وهو فى سن السابعة، وكان عمره أحـد عشر عامًا عندما فقد والده[3] وابتلى بالفقر والحاجة، حيث يقول الشاعر فى

---

(١) لرؤية نماذج أخرى يمكن الرجوع إلى نص ترجمة ألف ليلة وليلة، والمقالة الـشيقة التى كتبها الدكتور محمد جعفر محجوب (مجلة سخن الدورة ١١ العدد الأول).

(٢) نقلت أشعار لـگلشن فى تذاكر العصر القاجارى مثل دلـگشاو فارسنامه ومجمع الفصحاء.

(٣) كنت فى الحادية عشرة من عمرى عندما دخلت شوكة فى قدم أبى گلـشن، وبينمـا كانت الشوكة لا تزال فى قدمه فاضت روحه (پريشان) - رحل والدى گلشن إلى جنة رضوان وأنا فى الحادية عشرة من عمرى (ى. أ.برتلس "ترجمة حال قا آنى بقلمـه" تقرير أكاديمية العلوم السوفيتية، ١٩٢٧، ص ١٣).

ترجمة أحواله والتى كتبها بنفسه: "لم أمتلك من نعيم الدنيا سوى الحصيرة ورغيف الخبز، وقد دفعنى فقرى واحتياجى لأن أعول نفسى بنفسى وأن أسلك أى طريق.

فرأيت أمامى طريق الأسلاف العظام، فذهبت بدون تحريض أو تشجيع من أحد إلى مدرسة بابله[١] وهى إحدى مدارس شيراز وأخذت حجرة وانشغلت بالدرس والتدريب، ونظرًا لأننى كنت أملك موهبة شعرية فقد مدحت حاكم فارس[٢] بقصيدة أو قصيدتين فأمر لى براتب قليل يسد رمقى فقنعت به، وبذلت قصارى جهدى فى دراسة العلوم وعكفت على هذا الأمر لدرجة أننى تقدمت على أقرانى خلال عامين وهو ما أدهش الجميع، ومع أن منظرى كان قبيحًا فإننى صرت جميلاً فى نظر الجميع".[٣]

وقد أمضى قا آنى عدة سنوات أيضًا فى دراسة الرياضيات والعلوم الإسلامية بأصفهان، وعاد بعد ذلك إلى شيراز وقام بتدريس العروض وشرح ديوان الخاقانى والأنورى حتى حضر الأمير حسنعلى ميرزا شجاع السلطنة بن فتحعلى شاه إلى شيراز عام ١٢٣٩ هـ.ق فبادر برعايته وقدَّم له أنواع العطف والملاطفة.

وفى آخر هذا العام عُين الأمير حسنعلى ميرزا حاكمًا لخراسان من طرف أبيه واصطحب معه قا آنى فانشغل الشاعر فى مشهد بدراسة

---

(١) باهليه هو أحد أحياء شيراز والذى يسمى بابله، والمدرسة التى تقع فى هذا الحى وتسمى باسمه هى مدفن لعدد من أولياء الله ومنهم منذر بن منذر بن قيس.

(٢) حسينعلى ميرزا الحاكم.

(٣) ترجمة حال قا آنى بقلمه، تقرير أكاديمية العلوم السوفيتية، ١٩٢٧.

الرياضيات والحساب تحت رعاية وحماية ذلك الأمير وحوّل تخلصه بنـــاءً على رغبته من "حبيب" الذى اشتهر به حتى ذلك الوقت إلى "قا آنى" [(١)].

وفى خراسان أصبح قا آنى أكثر ميلاً للشعر، وعندما ظهرت انفراجة فى أزمته أو على حد قوله "كان الحظ قد حالفه وانتفخ كيسه وكثرت أموالـــه وتحول ذهبه وفضته من القطمير إلى القنطار ودراهمه ودنانيره من الآحـــاد إلى الألوف"[(٢)]، أنفق مبالغ كبيرة فى جمع دواوين الأساتذة القدامى، فجمـــع الكثير من الكتب الأدبية وغير الأدبية وانشغل بالتعليم والتعلم.

وعلى هذا النحو عاش الشاعر فترة فى خدمـــة ومنادمـــة حـــسنعلى ميرزا حاكم خراسان إلى أن فوضت حكومة كرمان ويزد لهذا الأمير عـــام ١٢٤٢ هـــ.ق، فسافر إلى مقر حكمه بالجيش الخراسانى نفسه الـــذى كـــان ملازمًا له، وعلى ما يبدو فقد سافر معه أيضًا قا آنى إلـــى يـــزد وكرمـــان، ولكننا لا نعلم بالضبط متى خرج من هناك وفى أى عام "سافر إلـــى رشـــت وجيلان ومازندران وأذربايجان ودرس كافة العلوم التى راجت هناك" [(٣)].

ويبدو أن قا آنى قام بهذه الأسفار سنة ١٢٤٦ هـــ.ق حيث تحـــرك شجاع السلطنة من كرمان وهجم على يزد بدون إذن الحكومة فأرسله الأمير عباس ميرزا إلى طهران تحت الحراسة المشددة بناءً على فرمـــان الملـــك، وبالتالى فقد قاآنى راعيه وعائله ولذلك قام بهذه الأسفار، وقُدِّم إلـــى بـــلاط

---

(١) على اسم اوكتاى قا آن ابن الأمير حسنعلى ميرزا.

(٢) ترجمة حال قا آنى بقلمه.

(٣) ترجمة حال قا آنى بقلمه.

فتحعلى شاه فى هذه الأثناء أيضًا وحصل على الجائزة والراتب ولقب بلقب مجتهد الشعراء.

وبالرغم من ذلك نرى قا آنى مرة ثانية فى مدينة مشهد سنة ١٢٤٨ حيث قام الأمير عباس ميرزا نائب السلطنة بقمع تركمان سالور وفتح قلعة سرخس، وفى شتاء ذلك العام "من شدة المجاعة كان كل متدين يترك الدين بحثًا عن الدينار وسعيًا وراء الزاد الحلال والركن المناسب للحال" (١).

وقد حضر قا آنى إلى طهران سنة ١٢٥١ هـ.ق عندما جلس محمد شاه على العرش، وانضم لحلقة شعراء البلاط وحصل من الملك على لقب "حسَّان العجم"(٢) وفى سنة ١٢٥٤ هـ.ق عندما تحرك محمد شاه فتح غوريان وقندهار كان قا آنى ملازمًا للركاب، لكن عندما وصل موكب الملك إلى بسطام مرض وعاد إلى طهران بإذن الملك، وعقب عودة الملك من حرب أفغانستان نظم قصيدة مفصلة تحدث فيها عن شجاعة الإيرانيين وانتصارهم وحسن سلوك محمد شاه مع الأسرى الأفغان وعراقيل السيد مكنيل السفير الإنجليزى واحتلال السواحل الإيرانية الجنوبية من قبل السفن الحربية الإنجليزية والتهديد بإعلان الحرب (٣).

وفى سنة ١٢٥٦ هـ.ق تزوج قا آنى فى طهران وهو فى سن الرابعة والثلاثين ولكن "رفيقته تحولت إلى أفعى" فألقاها الشاعر من نظره

---

(١) پريشان، بتصحيح إسماعيل شرف، شيراز، ص ٧٥.

(٢)على اسم حسان بن ثابت شاعر العرب ومداح الرسول (ص.ع).

(٣) بهذا المطلع:

لماذا تبالغ فى الحديث عن الملوك القدامى   تحدث مرة عن شوكة ملك العالم

واختار" زوجة أخرى" ولكن الزوجة الجديدة لم تحبه أيضًا ولم تخلص لـــه، وفى آخر الأمر حولّت هاتان "الزوجتان الوضيعتان" حياة هذا الشاعر الهائم الباحث عن السعادة إلى جحيم [١].

وقد عاد إلى شيراز فيما يبدو سنة ١٢٥٩ هـــ.ق بقـصد الإقامـة الدائمة، والتقى من جديد بالأصدقاء القدامى بعد سنوات الغربة الطويلة وعاد بعد فترة إلى طهران، ثم عاد إلى شيراز مرة ثانية، وفى هذه الأسـفار قـام أهل بلدته بإكرام مقدمه فى أول الأمر فشعر بالراحة التامة خاصة فى عهـد حكم صاحب الاختيار.[٢](•).

ولكن رويدًا رويدًا قامت جماعة من أدباء شيراز بإيذائـه، وانتقـل صاحب الاختيار أيضًا من فارس إلى منطقة أخرى، وقام خليفته معتمد الدولة (منوتشهر) خان الكرجى، والذى لم يكن له حظ من الشعر والأدب، بالمماطلة فى دفع راتبه حتى ضاق بهذه الحياة عديمة الفائـدة، فقـدم إلـى طهـران مضطرب الحال عام ١٢٦٢ هـــ.ق (عام وفاة ميـرزا شـفيع وصـال)[٣]، وتعرَّف بعد فترة على الأمير العالم والمحب للأدب عليقلى ميرزا اعتـضاد السلطنة وزير العلوم، وحظى بهباته وعطاياه، وعن طريقه تعرَّف على مهد

---

(١) شرح قا آنى هذه الحادثة فى الرسالة التى كتبها للملك، وطلب منه المساعدة المالية.

(٢) كما يقول:

الخمر منعشة وجذابة حبذا فى وقـت الربيـع ... حبذا فى الصباح وحبذا إذا كانت من يـد المحبوبـة

حبذا فى الروضة وحبذا تحت شـجرة الصفـصاف ... حبذا فى شيراز فى عهد صاحب الاختيـار.....

(•) صاحب اختيار: هو لقب اشتهر فى عهد الملوك القاجاريين (المترجم).

(٣) أنشد قصيدة فى الشكوى من حياته فى ذلك الوقت، والتى يقول مطلعها:

لو وضعوا على رأسى التاج الذهب منذ الآن ... فى بلاط الأمير لن ترانى شخصًا آخر

عليا أم ناصر الدين شاه، ووجد طريقه بعد ذلك إلى الملك نفسه والذى كان قد جلس على العرش حديثًا وكان يعرفه منذ أن كان وليًا للعهد، فصار الشاعر الرسمى للبلاط، ومنذ ذلك الحين أقام فى طهران بصفة دائمة وأحضر أيضًا أسرته إلى هناك وقام بتربية ولده ميرزا محمد حسن.

وفى سنة ١٢٧٠ هـ.ق أُصيب الشاعر بمرض الاضطراب العقلى والهذيان، وتوفى يوم الأربعاء فى الخامس من شعبان من العام نفسه.

طبع ديوان قا آنى مرات فى طهران وتبريز والهند، ففى أول الأمر طبع منتخب لأشعاره فى الهند أثناء حياته، وبعدها صارت أشعاره تطبع بصورة أشمل مرة واحدة كل عدة سنوات فى المناطق الإيرانية والهندية المختلفة، وأضيفت إليها الأشعار التى كانت قد تبعثرت هنا وهناك فى أيدى الناس، وأول طبعة صحيحة ومنقحة لديوان قا آنى صدرت فى طهران سنة ١٢٧٤ هـ.ق بعد وفاته بأربعة أعوام، وكان المسئول عن الطبعة جلال الدولة أحد الأمراء القاجاريين والذى كان هو نفسه يتمتع بالموهبة الشعرية، وكان يجيد نظم الغزل ويتخلص باسم "جلال" وعلى حد قوله كانت تربطه بقا آنى "رابطة علمية وأدبية أقوى من القرابة وصلة النسب"، وهذا الأمير "جمع بنات أفكار الشاعر التى كانت متفرقة ومشتتة كبنات النعش ورتبها كنجم الثريا... وقام فى حدود علمه بتزيين تصحيفات وتحريفات الكتاب ... وترجم الألفاظ التى كانت بعيدة عن أذهان العامة، فى هامش الكتاب للتيسير"[(١)]، وطبعها بخط ميرزا محمد رضا كلهر، أحد أكبر أساتذة الخط فى ذلك الوقت"[(٢)].

---

(١) ديوان قا آنى ، طبعة كلهر، خاتمة الكتاب.

(٢) وبعد ذلك فى سنة ١٣٠٢ طبع ميرزا محمود الخوانسارى نسخة أخرى منه وضم

وتعد هـذه النسخة هى أتم نسخة لديوان قا آنى وبها حوالى مـن ٢١ إلى ٢٢ ألف بيت وهناك بالطبع كم كبير من أشعاره لم يجمع [١].

شعر قا آنى:

يقول ملك الشعراء بهار حول قا آنى وشعره: "منذ أن أصبح من أتباع مدرسة صبا، واستسلم للسمات السائدة فى ذلك العصر فى هذا المجال، بـدأ فى تتبع أسلوب القدامى وقلّد أغلب الأساتذة السابقين وفى النهاية اختار أسلوبًا خاصًا اشتهر منذ ذلك الحين بأسلوب قا آنى، وقد أسس لنفسه بوجـه عـام مدرسة حيث أخذ يقلده فى الشعر حتى فترة متأخرة شعراء طهران والولايات الإيرانية[٢]، ولكن الحقيقة أن قا آنى لم يكن أبدًا صاحب أسلوب خـاص أو مدرسة مستقلة فى الشعر غير أنه يتميز عن معاصريه بـسلاسة وعذوبـة البيان وهو ما يعد أمرًا طبيعيًا فى هذا الفن، وعلى حد قول مؤلـف "شـعر

لبدايتها "پريشان" لقا آنى وحدائق السحر لرشيد الدين الوطواط، والطبعات المتكـررة التى تمت بعد ذلك تعتمد أيضًا على هاتين النسختين ولكن لا تقاس إحـداها بهـاتين النسختين (خاصة نسخة كلهر المخطوطة) من حيث فخامة الطبعة وصـحة الـنص، وآخر طبعة لديوان قا آنى صدرت فى طهران فى آبان ١٣٣٦ ش [أكتوبر ونـوفمبر سنة ١٩٥٧م] بتصحيح ومقدمة الدكتور محمد جعفر محبوب وهى مزودة بالفهـارس التى أُضيفت لآخر الكتاب.

(١) يقول ميرزا طاهر كاتب المقدمة فى شرح أحوال قا آنى "من بين أكثر من مائة ألف بيت من قصائد الحكيم وغزلياته ورباعياته ومقطعاته يوجد الثلثان والباقى مفقود" وإن صح هذا الكلام يكون قد فقد ما يقرب من أربعين ألف بيت آخر من أشعاره.

(٢) خطاب ملك الشعراء بهار، مجلة أرمغان، السنة ١٤، العدد الأول.

العجم" شعره ليس شعرًا جديدًا بل إنه ربما أعاد للأذهان حلمًا منسيًا عمـــره سبعمائة عام"[١].

وقد تحدث كتّاب التراجم فيما يتعلق بقا آنى عن حضور ذهنه وسلاسة طبعه وعرضوا شواهد على أنه كان ينشد معظم أشعاره بالبديهة والارتجال، أو وهو ثمل وسعيد، أو على الأقل وهو غير مهيـأ، وبـدون أن يـصقلها ويصلحها ويدقق فيها التدقيق الكافى وينقيها من العيوب، ودون أن يعرضها كذلك على نقاد الشعر[٢]، وكانت ثمرة هذه الارتجاليات تلك القصائد الفخمـة الرنانة التى اتضح أن معظمها "كلام فارغ"[٣].

وهذه القصائد الفخمة الرنانة التى نظمت فى مدح محمد شـاه وابنـه ناصر الدين شاه وأكابر ذلك العصر وتشكل ديوانه الضخم لا تـستحق مـن الناحية الأدبية بحثًا طويلاً ولكن لأبياتها الأولى طابع فنى خاص، فالمنـاظر

---

(١) شبلى النعمانى، شعر العجم، ترجمة فخر الداعى: المجلد الثالـث، طهـران، ١٣٣٤ ش[٥- ١٩٥٦م].

(٢) يروى دولت آبادى على لسان ميرزا إبراهيم ساغر الأصفهانى (توفى سـنة ١٣٠٢ هـ.ق) أنهم كانوا ذاهبين بصحبة قا آنى صباح عيد النوروز إلـى منـزل سـلطان العلماء وإمام جمعة أصفهان، وقا آنى "عندما خرج من المنزل قال ربما يكون مـن المناسب أن ننشد أيضًا شعرًا، والآن ليس معى شىء جاهز فهل تحفظ أنت قـصيدة، فقلت نعم للأنورى، فقال: قل قوافيها واحدة واحدة، فأخذت أقول القافية، وكـان هـو يفكر قليلاً ويقول: قل، فكنت أقول القافية الأخرى، حتى وصلنا إلى المسجد الجـامع القريب من منزل الممدوح فجلس أمام باب المسجد وكتب كل القصيدة وأخذها معـه وأنشدها فى المجلس العام..." (دولت آبادى، قا آنى الشيرازى، مجلة آينـده، الـسنة الأولى، العدد السابع).

(٣) المعجم فى معايير أشعار العجم.

البديعة والغريبة التى قد اقتبست من الحياة مباشرة يقوم فى الغالب بتصويرها وتلوينها بقلم بارع، وتبدأ كلها تقريبًا بالتغزلات الجميلة والمناظر الخلابة الملونة فى وصف الربيع والخريف والليل والنهار والخمر والحسناء والسفر ومشقته أو حضور السفير ووصول الرسالة، وهى ترتبط دائمًا بمدح الممدوح.

والتغزل والتشبيب أى وصف المحبوب ومناظر الطبيعة المختلفة هى مضامين قد أوردها مئات الشعراء الفرس فى صدر قصائدهم ومدائحهم قبل قا آنى وبعده وأفاضوا فى الحديث عن كل باب من أبوابها، إلا أن هذا التغزل والوصف فى شعر قا آنى يبدو فى الغالب بديعًا ولطيفًا ومبتكرًا إلى حد ما، ويعتبر تنسيقه للكلام بصفة خاصة تنسيق ساحر وجذاب للغاية لدرجة أن القارئ فى أثناء قراءة قصائده ينسى كل أسلافه، وكأن قا آنى هو أول من استخدم هذا الأسلوب الجميل والملون وهذه التعبيرات الجريئة الحادة.

ولغة قا آنى غنية وبليغة، ولديه سيطرة غير عادية على الألفاظ، ويختار الكلمات الجزلة المفخمة، ويبدى قدرة ومهارة فائقة فى وضع كل كلمة فى موضعها، ولا يصل أى شاعر فارسى إلى مرتبته فى انتقاء الكلمات واستخدامها.

لكن بالرغم من هذه القدرة على البيان والمهارة فى الوصف والتشبيه وتصوير المناظر فإن أغلب قصائده فقيرة ولا قيمة لها من حيث المضمون.

"وقا آنى عنده أشعار كثيرة فيها الغث والثمين، فعنده الأشعار الجيدة وعنده أيضًا الأشعار الركيكة جدًا"(١) بل ويوجد فى شعره أيضًا أخطاء فى العروض والنحو والتشبيهات الفاترة والتافهة، وأحيانًا تصل ثرثرة الشاعر

(١) خطاب ملك الشعراء بهار، مجلة أرمغان، السنة الرابعة عشر، العدد الأول.

لدرجة أنه حتى دبيب الكلمات وفخامتها لا يستطيع أيضًا أن يخفى هذا العيب والنقص، "وبصفة عامة يطغى اللفظ فى شعر قا آنى على المعنى، والخيالات السطحية على الخيالات العميقة، والصور العالية"(١)، فكان "الفارس الأوحد فى ميدان الألفاظ"(٢).

وقا آنى ليس شاعر قصيدة دائمًا، حيث إن فنه الأساسى يتمثل فى إعداد المسمطات السلسة والجميلة، فهو يصب فى قالب مسمطات منوتشهرى المضامين الجذابة التى تعد فى الغالب جديدة ولم تسمعها الأذن، ويمكن لهذه المسمطات مع التغزلات التى قد أدرجها فى مقدمة قصائده أن تخلد اسمه إلى حد ما. (٣)

إلا أن غزليات قا آنى التى اقتدى فى نظمها بغزليات سعدى أكثر من أى شئ آخر بل وضمنها بعض مصاريع الشيخ لا تصل إلى مرتبة أشعاره الأخرى، ويُقال إن قا آنى نفسه كان يعلم هذه النقطة وقد ألقى غزلياته فى النار فى ليلة شتوية باردة، ففى الليلة التى أنشد فيها المطرب غزلية لسعدى شعر قا آنى الذى كان ثملاً من الخمر الصافية، بالتدنى والحقارة أمام كلام سعدى البليغ.

ومجموعة الغزليات هذه التى قد بقيت عنه، وطُبعت فى آخر ديوان قصائده، لا تعطيه أية ميزة. وقا آنى يعرف جيدًا قيمة الذهب والفضة

---

(١) خطاب ملك الشعراء بهار، مجلة أرمغان، السنة الرابعة عشر، العدد الأول.

(٢) مجلة آينده، السنة الأولى، العدد السابع.

(٣) م. ا. به آذين، انتقاد بر ديوان حكيم قا آنى شيرازى [نقد لديوان الحكيم قا آنى الشيرازى]، مجلة صدف، العدد الرابع، دى ١٣٣٦ ش [ديسمبر ١٩٥٧/ يناير ١٩٥٨م].

ويصفهما كالتالى فى إحدى القصائد:

إننى لا أعلم أيتها الفضة بإقبال وبركة من ولدت؟

فإن من عطفك يعادى الولد أمه

بدون ذكرك لا يتجه الزاهد إلى المحراب

بدون عطفك لايضع الواعظ قدمه على المنبر

الجرئ الذى لا ينظر إلى تاج الملوك من الكبر

يسجد أمامك ويضع رأسه على التراب

وللحصول على هذا الذهب والفضة يستغرق فى التفكير:

من الأفضل أن أسافر فى طلب الفضة حتى يزين أمرى بالفضة مثل الذهب

ويقوم أيضًا من أجل هذا الذهب والفضة بتسخير قريحته وموهبته الفذة العالية فى خدمة مدح هذا وذاك.

فهو يمدح أى شخص شريفًا أو وضيعًا طمعًا فى الجائزة والإحسان، ولا يبحث فى ممدوحيه عن الفضيلة وعلو الهمة، ولا قيمة عنده ولا وزن للشعب الإيرانى وآلامه، فالأحداث والوقائع التاريخية المهمة جدًا مثل الزحف العسكرى عديم الفائدة الذى قام به محمد شاه نحو هراة، ومحاولة اغتيال ناصر الدين شاه على يد ثلاثة من البابيين وهى الوقائع التى كان من الممكن لإحداها أن تغير مصير الدولة، هى بالنسبة له مثلها مثل حفل ختان عباس ميرزا ابن محمد شاه، فرصة له ووسيلة للتقرب إلى البلاط والبحث عن المصلحة والمنفعة الشخصية.

وقد كان هذا كما يقولون أحد وجهى العملة، أما الوجه الآخر فإننا نرى فى أشعار قا آنى أحيانًا الهجاء اللاذع السام والذى قد نظم بنفس القدرة والمهارة التى استخدمت فى المدائح، وللأسف فقد نظمت هذه الهجائيات البلاطية فى صورة هجوم واعتراض على الأشخاص ولهجتها مخجلة وفاضحة جدًا لدرجة أنها تصل بفنه الشعرى إلى حد الابتذال، ففى القصيدة المعروفة والمنتهية أبياتها بالرديف "بر" والتى شن فيها الشاعر الحرب على السوزنى، والأشعار التى تشرح قصة زوجة رجل يدعى إسماعيل، والأبيات التى نظمت حول نظام العلماء، تصل أشعار قا آنى إلى قمة الهزل والهجاء، وتقذف لغة الشاعر الجريئة كل ما لا يجب قوله أو سماعه.

وقا آنى لا يتورع أساسًا عن استعمال الألفاظ الغليظة وأحيانًا الركيكة جدًا سواء فى التشبيب والتغزل أو فى الهزل والهجاء، فهو يعرض على الملأ الأحداث التى تتنافى مع العفة والأخلاق، ومجالس شرب الخمر والعربدة والزنا، كما أن الموضوعات الجنسية تظهر فى شعره غالبًا فى صورة تتنافى مع الفطرة والطبيعة، وقا آنى لا تحكمه حدود فى التفاخر وكذلك فى المدح والذم، فهو فى مدح أقبح وأرذل رجال البلاط بل وخدامهم؛ إذ يستخدم الصفات التى لم يتصفوا بها أبدًا، بالرغم من كل هذا الغلو فى التملق فإنه لا يثبت أيضًا على وفائه لممدوحيه وأولياء نعمته؛ بمعنى أنه ينسى سوابق نعمتهم عليه بعد أن يعزلوا من منصب الرئاسة والسلطة، ويصف الشخص الذى كان قد وصفه مثلاً بأنه "قلب العالم" و" روح العالم" و "الإنسان الكامل" و"سيد الدارين" و " ظل الله" و "حامل فيض الخالق إلى المخلوق" (١)، يصفه

---

(١) كل هذه الصفات قد أوردها بشأن حاجى ميرزا آقاسى وعندما عزل من الحكومة وحل محله ميرزا تقى خان أمير كبير وصفه بالظالم الشقى ووصف أمير كبير بالعادل التقى، وأيضًا عندما أصبح أميرًا، كبيرًا مغضوبًا عليه وعُزل وتولى الوزارة

بمنتهى القسوة بأنه "الظالم الشقى" (•).

وكان قا آنى يجيد اللغتين العربية والتركية علاوة على لغته الأم، ويعد أول شاعر فارسى يعرف اللغة الفرنسية، يقول كاتب أحواله حول معرفته باللغة الفرنسية: "أجاد هذه اللغة بصورة كبيرة فى فترة قصيرة لدرجة أنه فى أثناء التحدث بها لولا أن زال اللبس والاشتباه بتمييز الشكل والثياب لما عرف أحد إن كان المتحدث پارسى أم باريسى" (١).

"لاشك أن قا آنى كان يجيد اللغة الفرنسية لأنه بعد أن غضب عليه المرحوم ميرزا تقى خان أمير كبير وقطع عنه الراتب الذى كان يحصل عليه فى مقابل الشعر، توسط له اعتضاد السلطنة عند الأمير، وطلب منه أن يعيد صرف الراتب له مرة أخرى، فقال الأمير: أى فن آخر عند قا آنى غير الشعر، ولمَّا أخبره بأنه يعرف قدرًا من الفرنسية سلّمه الأمير كتابًا فى الزراعة لترجمته من الفرنسية، فأخذ ذلك الشاعر يترجم من هذا الكتاب جزءًا كل أسبوع من الفرنسية إلى الفارسية ويرسله للأمير عن طريق اعتضاد السلطنة وينال فى مقابل ذلك أجرًا فى حدود خمسة تومانات فى ذلك الوقت"(٢). ويروى على لسان محمد على فروغى أن بعض هذه الأجزاء

ميرزا آقا خان نورى ابتهج ووصفه بأنه "العدو المحلى" و "الشيطان سيئ الجبلة" ووصف الوزير الجديد بأنه "آصف ابن برخيا".

(•) آصف ابن برخيا هو اسم وزير سليمان ويضرب به المثل فى حسن الوزارة (المترجم).

(١) ميرزا طاهر كاتب الديباجة، گنج شايگان، طهران ١٢٧٢.

(٢) عدة موضوعات حول قا آنى، مجلة يادگار، السنة الثالثة، العدد الثالث، آبان ١٣٢٥ ش [أكتوبر ونوفمبر ١٩٤٦م].

المترجمة قد ظلت حتى هذه الأيام الأخيرة عند حاجى ميرزا عبد الغفار نجم الدولة.

لكن كانت هناك مبالغة فى مسألة معرفته باللغة الفرنسية، فقا آنى لم يسافر إلى أوروبا ولم يدرس هذه اللغة الدراسة المنهجية ولم يتتبعها التتبع الكافى، وذلك القدر الذى كان يعرفه من اللغة الفرنسية قد تعلمه، كما يقول هو نفسه[١]، بعد عام ١٢٥١ هـ.ق فى جهاز الأمراء القاجاريين الذين كان عندهم معلمون لتعلم اللغات الأجنبية، وكانوا يخالطون القساوسة والأطباء والمعلمين الأجانب، أو تعلمه مثلاً عند ريشارخان معلم الفرنسية لأولاد محمد شاه.

وخلال فترة الثلاث سنوات التى قضاها قا آنى فى شيراز من عام ١٢٥٩ إلى عام ١٢٦٢ هـ. ولم ينشغل فيها بأى شىء، يقول بنفسه أيضًا[٢]، "انشغلت ثلاثة أو أربعة شهور بتعلم اللغة الإنجليزية"، وقد أحرز تقدمًا إلى حد ما فى هذه اللغة.

وربما كان قاآنى يستطيع بإجادته البسيطة للغة الفرنسية وتقريبًا الإنجليزية أن يغير طريقة تفكيره، وأن يصبح بفضل ذلك العقل الزاخر والقدرة على البيان مصدر خدمات جليلة للشعب الإيرانى، ولكنه للأسف لم يستخدم هذه الوسيلة، وعلى عكس أسلافه قلما يستخدم قا آنى فى شعره المعانى والمضامين الفلسفية والصوفية العميقة، فهو يتعامل فى الغالب مع

---

(١) ترجمة حال قا آنى بقلمه، برتلس، ص ١٣.

(٢) ترجمة حال قا آنى بقلمه، برتلس، ص ١٣.

الطبيعة والحياة نفسها، فمثلاً يعرض فى قطعة هزلية قصيرة حوارًا بين شيخ وطفل. والطريف فى هذه القطعة أن كليهما ألثغ. وأمثلة هذه الإبداعات عند الشعراء الإيرانيين القدامى ليست كثيرة، ويجب اعتبار قا آنى مجددًا إلى حد ما فى هذا الأسلوب، ولكن مثل هذا النوع من أشعاره نادر جدًا[1].

وقد أشير أيضًا فى أشعار قا آنى إلى الوقائع والأحداث التاريخية لذلك العصر أكثر من الشعراء الآخرين المعاصرين له، مثل زحف محمد شاه العسكرى إلى هراة، وعزل ميرزا تقى خان الصدر الأعظم وقتله، ومحاولة اغتيال ناصر الدين شاه الفاشلة على يد أتباع "الباب"، واحتفالات السوق، وإقامة الزينات، وقتل البابيين قتلاً جماعيًا، وغيرها من الوقائع، وعلى الرغم من ذلك يجب القول بأن قا آنى يعيش من كافة الوجوه وبصورة كاملة فى نفس هذا العالم القديم وبالأفكار القديمة و "أقوال قا آنى، باستثناء حديثه عن الساق والأرداف والخمر والأمرد، وما يمكن أن تحدثه من تأثير خاص، كلام ميت عن عصر وعالم منصرمين".[2]

پريشان "المضطرب":

أفسدت الركاكة وكشف المستور فى بيان الموضوعات، مؤلفه النثرى كتاب پريشان والذى هو تقليد بدائى لكتاب جلستان سعدى، وقللت كثيرًا من قيمته وأهميته.

---

(١) ى.ا. برتلس، تاريخ مختصر أدبيات، لنينغراد، ١٩٢٨، ص ٩٤.

(٢) م.ا. به آذين، نقد ديوان الحكيم قا آنى الشيرازى، مجلة صدف، العدد الرابع، دى ١٣٣٦ش [ديسمبر ١٩٥٧/ يناير ١٩٥٨م].

أما كتاب پريشان والذى قد تم تأليفه بناءً على رغبة "أحـد الأكـابر" وباسم محمد شاه القاجارى وتم الانتهاء منه فى العشرين من رجـب سـنة ١٢٥٢ هـ.ق[١]، فهو عبارة عن ١٢١ حكاية كبيرة وصغيرة متنوعة وعلى حد قول المؤلف نفسه "خليط من الجد والهزل ومزيج من النظم والنثر"، وهو ينتهى بفصل فى نصيحة أبناء الملوك، واللهجة العامة للكتـاب هـى لهجـة تعليمية، وكان هدف الكاتب أن يخرج بنتائج أخلاقية من كل هذه الحكايـات إلا أن الموضوعات التى جاءت فى هذا الكتاب لا تخرج من تحـت محـك التجربة النقدية الصحيحة ولا تؤخذ منها النتيجة الأخلاقية، ليس هذا فحـسب بل إن كثيرًا من حكايات هذه المجموعة تعتبر حكايات فاضحة جدًا وعديمـة الحياء – مثل حكاية الأديب الذى كان فريدًا فى علـم المـساحة، والمـرأة السحاقية، والشيخ المحتضر، وزواج الزاهد، واللوطى والشرطى، وذلك الذى نام فى مجلس اليقظين، والكردى والسبزوارى، والأطفال لاعبـو المقـلاع، وابن رئيس شرطة شيراز، وكتاب فرج المرأة، والمجوسـى الـذى أسـلم، ورفيق المرأة الأجنبية وغير ذلك، وحتى الحكايات الأخرى التى كُتبت بشكل مؤدب إلى حد ما تعتبر موضوعات ساقطة ومبتذلة قيلت وكتبت قبله مرات بعبارات أفصح وأبلغ.

وفيما يلى بعض القطع من كتاب پريشان:

« دخل من الباب ذات يوم أحد العظماء والذى يعد من أصل سيف الـشهامة وجوهر منجم الكرامة

---

(١) عشرون يومًا مضت من شهر رجب وألف ومائتان واثنان وخمسون عامًـا – كـان عمرى أقل من اثنين أو ثلاثة وثلاثين عامًا ولكنى كنت متعبًا جدًا (پريشان، خاتمـة الكتاب).

ذلك الذى ما دام اسمه لا يندرج فى الحديث من شدة العظمة

فلابد من إخفائه داخل حجاب الروح

أو ما دام اسمه الشهير هو الكنز وهو كنز الكنوز

فمن الواجب إخفاء الكنز عن الخلق

ونظرًا لسوابق الألفة والملاطفة بيننا فقد فتح درج الفم وبدأ فــى نثــر الجواهر فقال: لماذا جلست هكذا أيها الحبيب فى زاوية الرواق فى هذا الشتاء وأغلقت طريق الذهاب والإياب أمام الأصدقاء، ماذا دهاك فأنت بلبل حديقــة العلم وقمرى روضة البصيرة، فتحججت وقلت: إن البلبل لا يتكلم ما لم يطلع الورد، والقمرى لا يئن مالم ينمو السرو، فتبسم وأشار إلى وجهه وقامته، أى ها أنا ذا وجهى متورد وقامتى ممشوقة كالسرو، أليس لك نظــر، لا وقــت للحجج والأعذار.

الآن وقد تبختر سرو الروضة وخرج الورد من الطين فأطلق

الصرخة كالقمرى وغرد كالبلبل

غرّد وأنشد فإن الزرزور يهمس فى أذن كأس الصهباء

بالكلام ويخبرها بأنين الغلغل

ولمّا رأيت هذه العذوبة فى القول نهضت واحتضنته من حلاوة الروح وقلت:

من هذه العذوبة فى القول إذن لا عجب

أن تطــرب الأرض وترقــص الســـماء

عندما يحمل الكمال علامة قبولك

يصبح كذات العقل مبرأ من العيب والنقص

وبينما كنا نتناجى قليلاً ونتجاذب أطراف الحديث فى كل شىء، إذا به يذكر، جلستان سعدى عليه الرحمة والذى كل ورقة من أوراقه تعادل ألف دفتر مكتوب بالنثر.

إنه الجلستان الذى كل ورقة من أوراق زهرته

الآلاف من رياض الخـلد عـبيد لـــه

أرواح أهـــل المعـــنى إلـــى القـــيامة

حـــية برائحـــتها واهـــبة الـــروح

فأمسك بكمى وهو يقول هل من الممكن للسيد أن يهم ويكتب كتابًا نظمًا ونثرًا على هـذا النمط، فاضطربت وقلت له استغفر مما قلت أيها الحبيـب؛ لأن ما عندى ليس بالدرجة التى تجعلنى أتحـدى شخـصًا كهـذا وأتحـدث بأسلوبه، فليس كل متكلم فصيحًا وليس كل معالج هو المسيح، ومـا علاقـة سحبان بباقل والجاهل بالعاقل، ليس كل نجـم بـرجيس ولا كـل مظلـوم جرجيس، ليس كل راعى الكليم ولا كل معمارى إبراهيم، ليس كـل أسـود عنبر ولا كل غلام قنبر، ليس كل مر عقارًا ولا كل سيف ذو الفقار...

وباختصار عندما اضطربت وقلت له ذلك اشتعلت ناره

كل من تحـلى بحـسن العقيدة لايصمت عن الاعتذار عن المنكر

وقد كان من الطبيعى ألا يسمع خـــسرو عـــيب شـــيرين

فتحملت مضطرًا، وقلت:

قطعًا العصفور ليس كالصقر الملكى ولكن لا مفر للعصفور من الطيران

إن اختلاف البعر والمسك واضح   بينهما ولكن لا غنى عن البعر

ولكن بحكمة "المأمور معذور" صنعت خليطًا من الجد والهزل ومزيجًا من الشعر والنثر، وسميت تلك المجموعة پريشان (المضطرب) بالنظر إلى حالى لأن كل من اضطرب حاله اضطرب مقاله».

حكاية: إننى أتذكر ذلك العام الذى وقع فيه زلزال شديد هز أرجاء شيراز لدرجة أن قصور الأثرياء قد أصبحت أكثر دمارًا من حظ الفضلاء، ووجوه المجاورين أكثر غبرة من شعر المسافرين، وصار كل سقف عتبة وكل عتبة سماء.

أظلمت الدنيا واشتد الغبار   فأحاط بها كهالة من الدخان

وصار الجو زمهريرًا وانطلقت من كل جانب

تنهيدة باردة من الكبد المحترق

ومن تصاريف القدر أنهم بعد أسبوع، حيث تشققت أرض العمارات، عثروا على مكيال شراب تحت الطين سليمًا كعهد العشاق وإيمان الصادقين.

لك الله وحده الذى يحفظ المكيال   تحت التراب سليمًا كعهد أهل العشق

حتى لو ذهبت إلى فك الأسد أيها القلب ما دمت صادقًا

فإن قسمك لسالكى الطريقة هو الذى سيحفظك

وقد سمعت فى ذلك الأسبوع أيضًا أن أحد الظرفاء أخذ هذا المكيال إلى منزل المحتسب وقال له أيها الظالم إن مكيال الشراب الذى يحفظه الله سليم تحت التراب، لا يصح كسره...

حكاية: سئل أحد الزاهدين: أتعلم فيم راحة الدنيا، قـال فـى شـيئين، أولهما الزاد الذى يجنب حلقى العناء، والثانى هو الزاوية التى تغنينى عـن سؤال الناس، فقيل له: ولو خيرت بين الاثنين فأيهما تختـار، قـال اختـار الزاوية وأترك الزاد؛ لأن تحمل مشقة الجوع خير لى من منّة الناس.

عدة نماذج من أنواع شعر قا آنى:

مقدمة قصيدة فى وصف السحاب[1]:

صعدت من البحر سحابة عند الصباح فى السماء المظلمة

تنتج وتصب وتنخل وتنثر الجواهر

جـاحظة كعين الشيـطان، سوداء كـوجه الزنـوج

كأنها كلها عمامة هندية على الرأس تجلب الهوس

مظلـمة كالليل الغـاسق ومهمومة كقـلب العاشق

دامعة كـعين وامـق وملونة كـوجه عـذرا(•)

---

(١) قام الشاعر فى هذه القصيدة التى اعتبرت إحدى روائعه، بتتبـع قـصيدة الفرخـى المعروفة ومطلعها (صعدت سحابة زرقاء من فوق البحر الأزرق، مـشتتة كـرأى العشاق وهائمة كطبع المتيمين)، وعندما نمر على صحة البيان وسلاسته غير العادية وفخامة الألفاظ ووقعها، ونوازن بين هاتين القصيدتين من حيث المعنى والمـضمون والماهية الفنية نجد أن شعر قا آنى يحتل مرتبة أدنى بكثيـر مـن شـعر الأسـتاذ السيستانى.

(•) وامق وعذرا اثنان من العشاق (المترجم).

جسدها مدهــون بالقــار وقلبها ممــزوج باللبن

ظاهرها مملوء بالكحل المطحون وباطنها مملوء بالدر اللامع

بقلب كالروضة وجسد نحيف، تارة باكية وتارة ضاحكة

من تأثير نشوى الخمر أثناء مجلس طرب الماجنين

تسير فى الجو كهالة من الدخان، وكشيطان ثمل ومضطرب

تتراكم مثل قطعات الدر الخاص

من قبح جريمتها اختفت الشمس المشعة

فهى كملك مصر فى السجن وكقمر السماء فى الظلماء

أو كالوجه المضئ المتاورى فى ظلمة بئر بيــچــين(•)

أو كبهمن شريف الأصل وهو فى فم الأفاعى

إن بثور الحمى قد ظهرت على شفاه البرعم ووجه الشقائق

ناحية الروضة والصحراء من شدة المطر وكثرة الندى

من فيضها تتفتح الوردة وتتعطر طرة السنبل

ويغرد البلبل على غصن الوردة الحمراء

إن وجنة الوردة مجروحة وحاجب الريحان مزين

من كثرة الدر المنثور فى الحديقة من الندى الأبيض

بسببها صارت الأرض المملوءة بالشوك جنة الربيع فجأة

(•) قصة بيــچــين ومنيــچــه من قصص شاهنامة الفردوسى (المترجم).

وبسببها غارت نقوش ورسومات الأرض من الشقائق الحمراء

تصرخ من السماء فى كل لحظة فتغطى جسم الأرض

بكسوة الحرير من السنبل، وبخلعة الديباج من الندى

نثرت الندى على الروضة، والشقائق على جبل دماوند

يئن من أعماق قلبه كما تئن نجمة السعد لفراق السماء

قصيدة فى الشكوى من أهل فارس:

إلى متى يا حصانى الجامح يا جوادى السريع

تظل ملازمًا للإصطبل، اخرج وتبختر

لماذا تأكل تبن السفلة أيها الحصان الجامح

لماذا تحمل أحمال الحمر أيها الجواد السريع

إن ماءك لم يكن أبدًا من منهل السفلة

وتبنك لم يكن أبدًا من أصطبل اللئام

فى عشرة شهور أدمنت الطاس والكأس

وأكلت ونمت فى الطوالة على الدوام

أعطيك التبن والشعير كل ليلة بامتنان

وأغسل عنقك وذيلك كل يوم

يا من كثيرًا ما قمت بسقايتك وتمريضك

إننى لم أضع السرج على ظهرك بقسوة ولم أشد وثاق لجامك

أحضر لك الماء تارة من البئر وتارة من النهر

وأشترى لك التبن تارة بالنقد وتارة بالدين

لم أرفع السوط يومًا على مؤخرتك

ولم أشد الحبل حول عنقك

أعطيتك التبن فى ميعاده والماء والعلف فى وقته

لم أغفل عنك لحظة واحدة فى الصباح والمساء

ولو أشرح حقوقى عليك واحدًا واحدًا

سيتصبب عرق خجلك من المسام فى الحال

جوادى العربى الأصيل، أين الحمية

اشتهر مرة واحدة بالحمية مثل العرب

أين ذهبت حميتك العربية التى كنت تشتهر بها قبل ذلك؟

ارفع رأسك من الاصطبل كالسيف من الغمد

انهض يا من أنت أسود الوجه أكثر من رخش جواد رستم

وافقأ بحافرك إنسان عين الأعداء

أيها الجواد، لو حولت حقوقى إلى عقوق

أخاف أن ينتقم منك الزمان

إنه زمن المساعدة أيها الجواد ووقت الإعانة

فاخرج وتبختر لحظة واحدة وحرام أن تتسبب فى ألمى

فإنه من قدم الجواد تهتز الأرض

ومن حدوته القوية يُثقب الرخام

أطلق الصرخة حتى يموت الثعبان فى الشق

ارفع الصهيل حتى يصاب الأسد بالهلع فى الغابة

انثر الغبار بذيلك فى عين أسد السماء(•)

وبحافرك مزق جسد ثور الأرض واجعله عظامًا

صل أيها الجواد السلام الحار من فارس إلى ملك الرى

سأجعل ركابك ذهبيًا وسرجك فضيًا

سأصنع ركابك من حلقة النجوم

وأُحضر لجامك من مجموعة المجرة

سأجعل مسمارك النجمة وحدوتك الهلال

سأصنع سرجك من الذهب وجلاجلك من الفضة

سأنسج عقالك من لحية البلهاء

وكذا سأصنع حزامك من شارب العوام

أنت تأتى تحت فخذى كالجبل تحت السحاب

وأنا أجلس عليك كجلوس سام على سمند(•)

(•) المقصود الشمس.

(•) سام: أحد الأبطال الإيرانيين القدامى/ سيمند – حصان مائل للصفرة (المترجم).

سأرحل عن فارس من أجل كسب الجاه

سأُحرّم على نفسى الراحة لحين حصول المرام

سألف وجه النجمة فى سن السهم

وكذا سأربط عنق الزمان فى سهم القوس

إن الإقبال والحظ والعز والجاه يتزاحمون

من حولى بكل قوة من الجهات الأربع

يحتار من حركتى فى الجو طائر العقاب

وتغير من رحمتى فى الأرض الهوام

أسخر من الدهر كما يسخر الماجن من الفقيه

أهجم على الموت كما يهجم الصقر على الحمام

ألعن فارس لأنها بسبب سكانها

لم تحصل على النعمة ولم تصل إلى المرام....

قصيدة فى وصف الصبح وطلوع الشمس(١)

نصبت الشمس الخيمة المنسوجة بخيوط الذهب فى السماء الزرقاء

وتدلّت من السماء الزرقاء حبال ذهبية كثيرة

وبسط الصبح الأبيض جناحيه من بعد الليل الأسود

---

(١) يُقال إن هذه القصيدة التى نظمت بمناسبة عيد ميلاد على أمير المؤمنين، وكانت آخر أشعاره.

وبسط الصبح الأبيض جناحيه من بعد الليل الأسود

كالصقر الملكي الفضى فى عقب الغراب الأسود

لا عيب إذا صار شعر الليل المعنبر بلون الكافور

فإن صبح النهار يأتى شيخاً من بعد ليل الشباب

وكأن بنات الهوى القمريات قد خرجن من الماخور

أو كسيف ذهبى خرج من الغمد الأسود

أو لا، كأنه من أجل صيد فراخ البلشون

خرج من عش الفلك عقاب ذهبى

أو أن الفلك أخفى فى صندوق الياقوت الأصفر باستخدام السحر

آلاف الأحجار من اللؤلؤ الشفاف

أو لا، كأنه عنكبوت ذهبى نسج مائتى خيط من خيوطه الدائرية

الذهبية على مائة ذبابة فضية فى القبة الزرقاء

أو تمساح أصفر الجسم والذى بسبب حركته

اضطربت آلاف الأسماك الفضية

أو كزورق ذهبى بسبب اصطدامه تختفى

فقاعات فضية كثيرة فى بحر زئبقى

فأعطنا أيها القمر فضى اللقاء الشراب فى السفينة

فى صبح كهذا، فى ذكرى سفينة الحب الذهبية

غزل:

لى محبوب ماجن ومهزار، جرئ وساحر، طيب وحسن الطبع

طرته عبير، جسده حرير، وجهه الربيع وطلعته الجنة

كأن مصور الروح لكى يرسم وجهه وشفاهه بصورة صحيحة من البداية

غسل قطعة الياقوت بماء الحياة ثم أذابها فى محلول السكر

لقد سلب منى ذلك الفتى فى قمار العشق العقل والدين والجسد والروح والرأس

والحكمة والصبر والتحمل، والمال والفضة والذهب، وعلى حد قـول أهـل اللواط حصل ما حصل

قبل أن تظهر الذقن على وجهه كان ذلك الفتى حاد الطبع جدًا

والآن وقد نبت الشعر من وجهه، إذن ما هو مصيرى من ذلك الشعر؟

عندما ظهرت ذقنه تجمد خاطره حيث أصبح صفاء حسنه مضاعفًا.

لقد سلب وجهه عبير الحديقة والورود، والبرعم يحترق ويتألم من شفاهه

لقد كان شعر رأسى أسود بلون القار، فصار عند فراقه أبيض بلون اللبن

أصابنى المشيب فى عز شبابى ومضى الدهر وولّى الزمان

أطلب من الله، من العالم بأسره، قدر مساحة قفص فى الأرض ولحظة عمر واحدة

حتى أشرب فيه وفقًا لهوى القلب بدون خصم شرير ومحبوب قبيح

وأستمتع بجو الربيع ونشوى الخمر الحمراء تارة على شط النهر وتارة فوق التل

لحظة تحت السرو ولحظة أمام الورد ولحظة فى ساحة الحديقة ولحظة حول

الزرع

عندما أدرك الإنسان الفرق بين المظهر والجوهر لا يرى غيرالحبيب أينمـا نظر

وحيثما ذهب فإن المُلك مُلكه سواء فى الحرم أو فى الكنيسة

- **مسمط:**

مرة ثانيـة ظهـرت فـوق الجبـل رايـــة ســحاب الربيـــع
فانهـــار ســيل مـــن الأحجــار من فــوق المرتفعــات الجبليـة
ومـــــرة ثانيـــة صـــاحت الطيــور مـــن كــل جانــب
الفاختـــة وأبـــو الملــــيح الصلــصل والقطـــا والبلبـــل
الببغـــاء والطـــاووس والـــبط الحــسون والقبـــرة والـــزرزور

....

وكــــــأن البنفـــــسج رســـــول ارديبهـــــشت
فهو يفوق جميـع الزهـور كثـرة ويلتـــف حـــول الحديقـــة
ومـــن عبيـــره صـــار النهـــر روضــــة مـــن الجنـــة
كــــأن الله قـــد كتـــب بالطيـــب علـــى وجهـــه
يا أيتها الوردة يا ذات العبير المـسكى احملى البشرى من الربيع الجديد

....

مرة ثانية امتلأت عـين النـرجس بالنعـــاس فـــى الحديقـــة
مرة ثانية امـتلأت طـرة الـسنبل بالـــضياء فـــى المـــرج
مرة ثانية صـار المـاء المتجمـد الفـــضى مثـــل الزئبـــق
وهـــبَّ نـــسيم الربيـــع فأصــيب بـــالهلع والفـــزع

منتـــــصف الليـــــل الغافـــــل ففـــــر مـــــن البـــــستان

....

رويـــــدًا رويـــــدًا، يزحـــــف النـــــسيم أســـــفل الزهـــــور

فـــــيمص ذقـــــن هـــــذه ويتـــــذوق وجنـــــة تلـــــك

ويـــــشد ضـــــفيرة هـــــذه ويعـــــض عنـــــق تلـــــك

تـــارة يتبختـــر فـــى الرْوضـــة وتـــارة يهـــب علـــى الياســـمين

تـــارة علـــى فـــرع الـــشجرة وتـــارة علـــى حافـــة النهـــر

....

– ودخلت الشقائق الحديقة بوجه مشتعل

– وقد صنع خيَّاط الحياة من أجلها عباءة حمراء

– ارتدت العباءة الحمراء فأحرقت مكانًا أو اثنين أو ثلاثة

– أو كأنها تعلمت العشق من العشاق

– فأصبح لها قلب غارق فى الدم وكبد محترق...

....

– والنرجس الصغير وضع على رأسه ثانية ذلك الطست الفضى

– وفوق الطست الفضى وضع طاسًا من الذهب

– وفى وسط الطاس الذهبى رفع الجناح الذهبى

– وعلى جناحه الذهبى وضع الندى حبات اللؤلؤ

– لكى يصبح ذلك الذهب الصلب نديًا من جواهره

....

- وعندما ظهرت الحُمرة   فى جسد الصفصاف الأحمر
- أصيب الأرغوان بالهلع عليه   وخفق قلبه
- والنامية مثل الطبيب وضعت يدها عليه لقياس النبض
- ثم ضغطت بقوة على ساعده فخرج الدم من عرق يده
- وترك ساعده تذكارًا من الدم فى عدة أماكن

....

- وزهرة الفل كجارية صينية فى وسط الحديقة
- بيضاء وجميلة وبديعة مثل أختها الياسمين
- نجمتان صغيرتان اقترنتا
- أو عقد الثريا الذى انفصل عن الشمس
- وظهر فى منتصف الليل وكأنه عقد الياسمين الذى ينثر على العروسين

....

- والدائرة الحمراء التى تحيط بالوردة لماذا صارت ذات أسنان؟
- ولماذا تغطى جسدها الملائكى هذا بالثوب الحريرى؟
- ولماذ حريرها عديم النظير و أملس هكذا؟
- ولماذ جسدها من عند المنتصف   ذهب مُكلَّس؟
- ولماذا قامت بتكليس كل هذا الذهب الخالص؟

....

- والبلابل زوج زوج يتحركون إلى أعلى وإلى أسفل

- وطيور الصلصل فوج فوج يستمتعون معًا

- وأعطى الخلق ظهورهم للهم وتعلقوا فى النعم

- وأشهروا فى وجه الألم سيف الإيذاء والقهر

- وشربوا معًا كأس الخمر برفقة الدف والرباب والعود

....

- والبلبل على غصن الوردة يغنى ويغرد

- وأغنيته تجلو الصدأ من صفحة القلب

- ويمدح بمنتهى الجمال حسناء الروضة

- فهذا ليس خطأى فإنه يمدح مثلى

- وعلى زهرة تاج الكرم ثمرة غصن الشرف ....

٥- يغما:

يتميز شعر هذا الشاعر المعاصر لقا آنى وفروغى بمذاق آخر ولد ميرزا رحيم يغما ابن حاجى إبراهيم قلى عام ١١٩٦ هـ.ق فى ولاية إيرانية فقيرة جدًا وقليلة السكان بقرية "خور بيابانك" التابعة لمنطقة جندق، وقد قضى فترة طفولته فى شقاء وعناء شديدين، فقد عمل وهو فى السادسة

أو السابعة من عمره، حيث كان يرعى الجمال خارج القرية حتى يدبر نفقات معيشة أسرته. يُقال إن يغما خرج ذات يوم بقطيعه إلى الصحراء فمر عليه الأمير إسماعيل خان كبير عرب العامرية والذى كان من كبار الملاك وحاكم تلك المنطقة، فنادى على يغما وسأله بعض الأسئلة فأجابه يغما، فأعجب الأمير بأدبه وجوابه الحاضر، فأخذه عنده وتبنّاه، وقرر أن يربيه ويرعاه وخلال عدة سنوات تعلم يغما القراءة والكتابة والمراسم وأنواع المهارات المطلوبة من الفروسية والرماية، وأصبح واحدًا من رسل أبيه بالتبنى، وسرعان ما لاحظ الأمير استعداد هذا الشاب وتفوقه غير العادى فى الكتابة فجعله كاتبه الخاص، وفى هذه الأثناء بدأ يغما فى نظم الأشعار لأول مرة بتخلصه "مجنون".

وفى عام ١٢١٦ هـ.ق توترت العلاقة بين إسماعيل خان والحكومة فأرسلت الحكومة الجيش لمهاجمته، وهُزم إسماعيل خان فى الحرب وفر إلى خراسان وسقطت أملاكه فى يد الفاتحين، وقد عُين لإدارة أمور جندق رجل يدعى جعفر سلطان من طرف القائد ذى الفقار خان حاكم سمنان ودامغان، فرأى جعفر سلطان أنه من الضرورى وجود شاب متعلم وكفء مثل يغما فى جيشه، فحث الكاتب الشاب على الانخراط فى الجندية والعسكرية، ولكن لم يقبل يغما هذا الظلم الفاحش وعُين كاتبًا للقائد نفسه وبتأييد منه، وقد ظل عنده فى هذا المنصب ست سنوات وعلا شأنه ولكن أصبحت هذه المكانة سببًا فى نكبته وتعاسته، فقد حقد عليه زملاؤه فى العمل ووشوا به عند القائد الذى كان رجلاً حاد الطبع وبذىء اللسان حتى غضب عليه القائد وضربه بالعصا وألقاه فى سجن مظلم، وأرسل بعض رجاله إلى جندق لمصادرة أملاكه وقمع

أقاربه. (١)

وبعد خروج الشاعر من السجن قام بتغيير اسمه إلى "أبى الحسن" وتخلصه إلى "يغما"، ولبس الخرقة الصوفية، وظل سنوات "شريدًا وهائمًا فى ربوع إيران. بسبب ظلم القائد وأخذ كل فترة يظهر فى مكان آخر ثم يختفى وهو شديد التعب والاضطراب" (٢).

وفى هذه الأثناء سافر أيضًا إلى بغداد وكربلاء حتى ظهرت فى آخر الأمر براعته وافتضح أمر الحاقد"(٣)، أما القائد "فقد ترك الطبع الشيطانى وعاد تدريجيًا إلى الطبع الإنسانى"(٤)، وعزف مع الشاعر "لحن الصلح والتعارف وسر الحب والتآلف أكثر مما يليق، ولم يعد يصغى لأحد مهما قال"(٥)، وعاد يغما إلى مسقط رأسه، ولمَّا كانت الإقامة فى جندق تذكّر الأيام الماضية والظلم الذى كان قد وقع عليه وعلى أسرته، إذ كان أمرًا شاقًا عليه، ولا عجب فى أنه توجه إلى طهران عبر طريق يزد بعد ستة شهور(٦)، وتقابل

---

(١) كان الظلم الذى وقع على يغما من ذى الفقار خان فوق طاقة البشر بل وأدى إلى حيرة الناس ودهشتهم، على الرغم من أنهم كانوا يعيشون فى عصر كله ظلم وتجاوزات، مثلما يقول فاضل خان فى رسالته لآقا خان المحلاتى "إنها -يقصد المرأة الدائنة- تفعل معى كما يفعل الماء بالأساس المطموس والرياح بالخيمة المندرسة وذو الفقار خان بأبى الحسن الجندقى وسهراب خان بحاجى محمد البسطامى".

(٢) كليات يغما، ص ٦٢.

(٣) كليات يغما، ص ٦٢.

(٤) كليات يغما، ص ٦٢.

(٥) كليات يغما، ص ٦٢.

(٦) بعد ١٤ سنة حيث قدم القائد ذو الفقار خان من سمنان إلى طهران أذن للشاعر بالدخول بدون وساطة أحبابه ومساعدة أصدقائه، وقابله بشفاه مفتوحة ووجه طليق=

بالصدفة مع الحاج ميرزا آقاسى الوزير الإيرانى القدير، ذلك الوزير الذى كان شديد التعلق بالتصوف على الرغم من كل مشاغله الدنيوية وكان يعد نفسه من الصوفية أصفياء العقيدة.

وسرعان ما أصبح مريدًا له، وعلا نجم إقبال يغما من جديد، وما لبث أن صار من ذوى المكانة والاحترام والشهرة والجاه بفضل سلطة ونفوذ ذلك الوزير (١٢٥٠- ١٢٦٤ هـ.ق)، لكنه لم يستفد من هذه السلطة ذلك أو النفوذ، والحسنة الوحيدة التى فاز بها من تلميذه رفيع الشأن كانت هى وزارة حكومة كاشان.

وفى أثناء إقامته فى كاشان حدثت واقعة فضائحية، وقد نظم يغما هذه الواقعة فى منظومة بعنوان "خلاصة الافتضاح" وأثبت موهبته فى الهجاء، فحاولت الأسرة التى كانت قد تعرضت للإهانة والتحقير الانتقام من الشاعر بكافة الطرق والوسائل فسلكت طريق الرشوة والافتراء، واتهمه إمام جمعة كاشان بشرب الخمر وإهمال أحكام الشريعة ووصفه فى صلاة الجماعة بالفاسق والمرتد، ومن ناحية أخرى فقد هبت جماعة لمناصرته حيث بذل الحاج ملا أحمد نراقى العالم الدينى المشهور والمسئول الأول عن الفتوى، جهدًا كبيرًا فى هذا السبيل، ولكى يدفع يغما التهمة عن نفسه تظاهر بالتوبة ولبس خرقة الزهد.

وهاتان الغزليتان هما نتاج هذه الفترة:

- إذا لم أصب الخمر فى الكأس وقت الربيع، فماذا كنت فاعلاً؟ إذا لم أرطب

=وأجلسه بجانبه و "مدرب الصقور الذى لم يكن يمشى منذ بدء الخليقة إلى آخر الحياة إلا بالسب والشتم ولم يكن يتحدث عنه إلا بالذم واللعن" سأل الله تعالى الراحة والعفو للشاعر (كليات يغما، ص ٦٢).

رأسى بالكأس، فماذا كنت فاعلاً؟

- الجو بديع والخمر فى الكأس وأنا سأمت التفكير العقلانى، فإذا لم يكن عندى عمل آخر، فماذا كنت فاعلاً؟

إلى أن قال:

- نجوت من شيخ المدينة بحيلة الإسلام فإذا لم أسالم هذا الكافر، فماذا كنت فاعلاً؟...............

- أى خمر تجرعتها من زجاجة الدهر   تلك التى لم تدمى ولم تنهمر من أهدابى على وجهى

- إلى متى أتحمل الذل من أمير الحانة لم تعد لى القدرة على التحمل، فلست مخلوقًا من الحديد أو النحاس!؟

- الآن لا يفتح شيخ الحانة الباب فى وجهى لا يهم، فلم يغلق أحد باب المسجد فى وجهى

- أزيل بتراب الخانقاه غبار الكفر من الجسم وأمحو بماء الصومعة غبار الشرك من الوجه

- إن إمام المدينة الذى بحكم الشريعة لم يكن يسمح لى بدخول الحى قبل هذا بسبب الفضيحة

- يجلس الآن بجانبى من شدة الحب ويصب الخمر ويزيل غبار الحانة من على وجهى بكم الخرقة

لكن لم يأت كل هذا بفائدة، ولم يعد يغما يستطيع البقاء فى كاشان فاضطر لترك بيته وأهله مرة ثانية، وقام بالسفر والتجوال وعاش فترة فى

هراة وعاد فى آخر الأمر إلى وطنه وهو فى الثمانين من عمره، وفى يـوم الثلاثاء السادس عشر من ربيع الثانى من عام ١٢٧٦ هـ.ق تـوفى بقريـة خور، ودفن فى القرية نفسها بالقرب من قبر سيد داود.

لم يهتم يغما بجمع وترتيب كتاباته وأشعاره، فلم يكن يؤمن بهذا الأمر حتى تعرّف عليه شخص يدعى الحاج محمد إسـماعيل(١)، وارتـبط معـه بصداقة حيث قام هذا الشخص بجمع مؤلفات يغما التى على حد قوله " كانت كعقد منفرط وكيس نقود كثير الثقوب، وأعاد ترتيبها وتنسيقها بعـد سـعى وجهد كبير"، وبعد موته أخذ ابنه الكبير ميرزا عبد الباقى الطبيب كل هـذا وطبعه طباعة حجر فى مجلد كبير بالقطع الرحلى فى طهران عـام ١٢٨٣ هـ بسعى واهتمام اعتضاد السلطنة وزير العلوم والصناعة (٢).

والحاج محمد إسماعيل هذا الذى "كان من عامة أهـالى دار الخلافـة وكان سليم الفطرة وحسن الطبع ولكنه كان بلا نصيب أو حظ مـن فنـون البحث والعلم"(٣) كانت لديه رغبة شديدة فى جمع أعمال يغما المتفرقة، وكلما رأى أو سمع فى أى مكان أو من أى شخص شعرًا أو نثـرًا يعتقـد بذوقـه واجتهاده أنه ليغما، كان يجمعه وينسخه فى أحد الدفاتر، وقد ظـل سـنوات يخفى تلك المجموعة عن الناس.

يقول سلطان محمد ميرزا سيف الدولة المتخلص بسلطان، الابـن الرابـع والأربعين لفتحعلى شاه والذى كان أميرًا فاضلاً وعالمًا وله مؤلفـات شـعرية

---

(١) جد الدكتور خليل خان أعلم الدولة الثقفى.

(٢) الطبعة الثانية، بمباى، ١٣٠٢ هجرية، والطبعة الثالثة، طهران، أوفست، ١٣٣٩ ش [٦٠- ١٩٦١م].

(٣) مقدمة ديوان "سلطان"، نسخة "آستان قدس رضوى".

ونثرية بالعربية والفارسية، وظل يجالس ويصاحب يغما في طهران لمدة عشرين عامًا عقب جلوس محمد شاه على العرش،[1] يقول فى المقدمة التى كتبها لديوانه سنة ١٢٩٢ هـ.ق: "سمعت مرارًا بأُذنى يغما و هو يقول إن هذا الصديق العامى– أى الحاج محمد إسماعيل– سيلقى بى إلى عالم الفضائح وسوء السمعة، فإنه يأخذ بعض أشعار وكتابات الناس ويضعها باسمى فى الدفتر والديوان وكلما أجزمت وأقسمت له أنها ليست لى، وقلت له أخرجها من الدفتر ولا تفضحنى وتسئ إلى سمعتى لا يصدقنى ويصمم أكثر على تسجيلها"

ويقول يغما نفسه فى الرسالة التى كتبها لأحد أقاربه (الملا محمد حسن الأصفهانى) وطُبعت بالصدفة ضمن كتاباته "...إننى إذا قمت فى أى وقت وفى أية سنة وفى أى شهر بإعداد رسالة بناءً على طلب شخص ما أو وفقًا لرغبتى وتكون هذه الرسالة تلأ من الدُر اللامع.. يأخذها هذا وذاك بهوس ويمزقونها من الأمام والخلف، وفى الأيام التالية تصير قطعًا صغيرة وتقع فى أيدى الأطفال الأشقياء فيصنعون منها الطائرة الورقية أو تتحول إلى

---

(١) يقول سلطان فى مثنوى سيف الرسائل:

الأستاذ الجليل الذى لا يفكر إلا فى العلم — الغريب عن عوالمه الكثيرة
يغما الذى هو شمس البشر — وبه تستقيم كل أمور البشر
فقير ، غنى شحاذ، سلطان — فى كسوة الفقر، نفس الإيمان
فمه وشفاهه عن اللغو مغلقان — وروحه وقلبه من الخلاف متحرران
من أول العشرين إلى ما بعد الأربعين — مستريح من الغير وفارغ من النفس
فى السنة والشهر واليوم والأسبوع كنا معًا — رفاق السعادة والحزن
ليعلم أبناء العالم من الأعداء والأصدقاء — أن كل ما أعلمه هو عنه

ورقة قديمة يقوم بائعو الأدوية بلف الدواء فيها.. إن صديقى القديم، الحاج محمد إسماعيل الطهرانى، قام من باب الحب والإخلاص وليس من باب الأحقاد وهتك الأسرار بعد أن مضى على عمرى أربع سنوات بعد السبعين، قام بإعداد دفتر ووضع فيه كل أعماله الثمينة وغير الثمينة، وأعمال الآخرين أيضًا الغث منها والثمين وصنع من كل هذا كتابًا ضخمًا ووضع اسمى على كل ما رآه فى أى مكان وكل ما سمعه من أى شخص دون أن يلقى نظرة واحدة أو يتحقق من صدق وكذب هذا العمل وذلك بعد أن يحصل عليه بالمال أو بالتضرع أو بالقسوة، ثم يضيفه إلى أعمال الأربع سنوات، ولقد قمت مرارًا فى السر والعلن بترتيب الأوراق وأرسلت الاحتياجات من الذهب والفضة عسى أن أسترد صحيفة الفضائح هذه وأخلص نفسى من النار المحرقة فى الحياة والممات ومن سباب ولعنات كل شريف ووضيع، ولكننى لم أجد إلا آذانًا صماء وعقول جامدة...". (١)

وبعد وفاة يغما، وبينما كان الحاج هذا لا يزال على قيد الحياة "كلما أرادت فئة من الناس أن تأخذ نسخة من ذلك الشعر والنثر لتقوم بإصلاحه وتصحيحه وطبعه، رفض ذلك"(٢)، والعجيب أنه بعد وفاته قام ابنه ميرزا عبد الباقى والذى "كان صاحب فضل وعلم ومن أدباء دار الخلافة المعروفين وعلمائها الأساسيين" (٣) بطبع هذه المجموعة التى كانت "ميراثًا مغلوطًا وبأقوال الغير مخلوطة"(٤) باسم يغما كما قلنا.

---

(١) كليات ، ص ٨٨.

(٢) مقدمة ديوان سلطان.

(٣) مقدمة ديوان سلطان.

(٤) مقدمة ديوان سلطان.

وبعد أن طبع الديوان ونشر تبين أن تسعة وسبعين بيتًا غزليًّا كان للأمير سيف الدولة المتخلص بسلطان تحت عنوان "الغزليات الجديدة" وقطعتين أو ثلاثة للملا محمد حسن بهرام السمنانى، وبعض منظومات ورسائل ميرزا إسماعيل هنر ابن يغما، والقطعة التى كتبها الأمير سيف الدولة وهنر معًا قد سجلت كلها فى ذلك الديوان باسم يغما. (١)

نثر يغما:

مؤلفات يغما النثرية عبارة عن هذه المجموعة من رسائله العديدة التى كتبها لأبنائه الكثيرين (ميرزا إسماعيل هنر وميرزا محمد على خطر وميرزا أحمد صفائى وميرزا إبراهيم دستان) وبعض الأمراء والعلماء وعدد من أهله وأصدقائه، وهذه الرسائل التى احتلت ثلث ديوانه، على الرغم من أنها مزيفة ومكررة، وللأسف غير مؤرخة فضلاً عن أنها - كما ذكر - ممزوجة بكتابات الآخرين، فإنها مصدر مهم ونفيس للقراءة والبحث فى أحوال المؤلف، ويذكر يغما فى هذه الرسائل شخصيات كثيرة منها شخصيات معروفة، فهو يذكر بالخير الأميرين سيف الدولة وبهاء الدولة والحاج محمد إسماعيل صديقه القديم وجامع ديوانه، ويسمى قا آنى "صاحب الكلام والعالم القديم" (٢) وفاضل خان جروسى "السيد الرحيم"(٣) ويصف نفسه بأنه بالنسبة له "المملوك المخلص"(٤).

---

(١) يمكن الرجوع إلى مقالة أحمد گلچين معانى (مجلة يغما، السنة السابعة عشر، العدد العاشر).

(٢) كليات ص ١١١.

(٣) كليات، ص١١٥.

(٤) كليات، ص١١٥.

لم يكن يغما يحب اللغة العربية وقد كتب الكثير من رسائله بالفارسية "الخالصة"، بحيث إنه استخدم الألفاظ الفارسية المهجورة بدلاً من الكلمات العربية الشائعة، وقد يكون السبب فى هذا الأمر أنه لم يتعمق فى الدراسة ولم يكن يعرف قواعد اللغة والأدب العربيين بالشكل الكافى، مثلما يقول هو نفسه فى رسالة لأحد الأصدقاء "وللأسف فإننى لا أعرف العربية، وفضيلة الجهلاء بيع الوقاحة"(١)، إلا أن عدم تبحره فى اللغة العربية وآدابها قد دفعه لتعلم اللغة الوطنية الفارسية على الوجه الأكمل، وبالتالى فإنه لم يكتف بالتحقيق والتتبع فى دواوين أساتذة الشعر فحسب بل إنه قرأ المعجم الكبير "برهان قاطع" بدقة وتريث شديدين، بل وكتب عليه أيضًا تتمة فيما يبدو.

وقد اعتقد يغما، نتيجة هذه القراءات أن الإيرانيين بإمكانهم الاستغناء عن الألفاظ العربية، ومع هذا فإنه لا يمكن القول إن يغما قد نقى لغته النثرية تمامًا من الألفاظ العربية، بل إنه بخلاف الرسائل "البسيطة" أو الكتابات "الفارسية الخالصة" التى تجنب فيها استعمال الكلمات العربية بصورة متعمدة، عنده رسائل أخرى أيضًا كتبها باللغة الأدبية الدارجة فى عصره بل والممزوجة فى بعض الأحيان بالألفاظ العربية الغليظة، أما دعوته لتنقية اللغة فهى محصورة فى أنه قلل من استعمال الألفاظ العربية بقدر الإمكان.

وعلى ما يبدو فإنه قد ظهرت فى عهد يغما نهضة فى مجال الكتابة الفارسية، فقد كتب فى رسالة لابنه ميرزا أحمد صفائى "وهذا الأسلوب كما يرى العلماء والفضلاء أسلوب حديث ومبتكر، وضع أساسه عدد كبير من

---

(١) كليات، ص٩٣.

كتّاب قزوين والرى وفصحاء أصفهان والجى(*)، وقد ثبتوا بشدة على هـذا الأسلوب وبه كتبوا القصص العميقة ورفعوا القصور العريقة، ليتـك أيـضًا تسلك ذلك الطريق وتحمل على ظهرك ذلك الحمل والهم على سبيل التجربة وتجعل القلم فى إصبعك، وأنا أعتقد أنك فى رسالتك الثالثة، أو الرابعـة قـد تقتفى أثر مجموعة الزملاء والفصحاء من كتّاب الفارسية".(١)

وفى موضع آخر يرشد الكتّاب الذين يتدربون علـى هـذا "الأسـلوب الجديد حديث الظهور"، على النحو التالى: "احذر فى أثناء الكتابة وكن منتبه الفكر والعقل وافتح أذنيك وعينيك بشدة، حتى لا ينفصل ما يجب اتصاله، ولا يتصل ما ينبغى انفصاله، فإن عين القراء مفتوحة بشدة على هذا الأسـلوب الجديد، وهى تعرف المبتدئين قليلى العمل وترى الأشياء الدقيقة والغائبة عن العين الجامدة والقلب المتحجر، وإذا لم تقتصر فى أثناء الكتابة المرور على هذا الأسلوب فإن بداية ونهاية الفقرات ذات الحجم والعدد المناسبين سـوف تتداخل حتمًا، وسيصعب على القارئ والسامع كليهما الاستمتاع بجمال جوهر الكلام وفصاحته، وبذلك ستفتح أبواب النقد والتطاول على مصاريعها من كل صوب وحدب وتطلق الألسنة فى ذم الكاتب، وعندئذ سينتقد النص كل من لا يعرف شيئًا عن الأدب، أما إذا انتبهت وأعملت العقل واستمعت لنـصيحتى المخلصة.. احترم رأى هذا المبارك المذهب واحترس من صديقك الجاهـل وعدوك المتربص بك....". (٢)

(*) جى اسم أصفهان قديمًا واسم قرية فيها (المترجم).

(١) كليات، ص٥٦.

(٢) كليات، ص٤٩.

شعر يغما:

يعد يغما شاعرًا غزير الشعر، أما الأشعار التى قد بقت عنه فهى عبارة عن مجموعتين من الغزليات القديمة والجديدة [1]، وخمس منظومات هزلية قصيرة وكم كبير من المراثى والقطع والترجيعات والرباعيات.

ويمكن تقسيم هذه الأشعار من حيث المضمون إلى ثلاث مجموعات:

١- الغزليات التقليدية البليغة المقبولة نسبيًا والتى نظمت بأسلوب القدامى، وهى تثبت مدى قدرة الشاعر وموهبته العالية فى فن الشعر.

٢- الهزليات التى تعد أكثر أعماله أهمية على الإطلاق وترجع إليها شهرته فى الحقيقة، وهى: "سردارية" التى نظمها لتسلية القائد ذى الفقار خان، وهى غزليات وضعت بجوار بعضها البعض بدون رابطة خاصة وتبدأ كلها بالسباب والشتائم المبتذلة القبيحة وتنتهى بمدح القائد، "قصابية" و"أحمدا" واللتان لا تختلفان عن "سردارية" فى الشكل والمضمون، ومثنوى "خلاصة الافتضاح" الذى مر ذكره، ومثنوى "صكوك الدليل" والذى نظمه فى هجاء قارئ الروضة سيد قنبر وسماه "رستم السادة" والكثير من القطع والترجيعات والرباعيات فى الهجاء والهزل.

---

(١) كما أشير فإن هذه الغزليات التسعة والسبعين التى دخلت ديوان يغما بعنوان الغزليات الجديدة كانت للأمير سيف الدولة المتخلص بسلطان، وقد كتب ميرزا عبد الباقى فى هامش ٨٦ من الكتاب أن يغما تخلص فى بعض أشعاره باسم سلطان، لكن العجيب هنا أنه قد غيّر تخلص سلطان إلى يغما فى كل الأشعار ما عدا فى غزل أو اثنين كانت كلمة سلطان جزءًا من الغزل ولا يمكن تغييرها.

وأشعار يغما الهزلية لا تختلف عن غزلياته فى الصنعة الشعرية، وأهم خصائصها الفضائح الصارخة والشتائم العلنية والتى توجد فى كل سطر من سطورها، وهزليات يغما لا تستحق الشرح والترجمة إلى اللغات الأخرى وهذه الأشعار مملوءة من أولها إلى آخرها بالفحش والألفاظ السوقية القبيحة والخارجة عن حدود الأدب، واللازمة التى استخدمها الشاعر فى كلامه هى كلمة الديوث والتى نعت بها نفسه أيضًا، ويعد هذا ألطف وصف سوقى استخدمه فى غزلياته، حيث يرى يغما أن العالم كله بأرضه وسمائه، بسره وعلنه، بشرقه وغربه هو "سوق الدياثة"، وفى نظره أن كل ما يُرى من بعيد أو قريب باستثناء "الأرواح المكرمة" عبارة عن دياثة أوجدها أنجاس، ويتعجب يغما حتى من "يوم الحشر والبعث" قائلاً: أى بلاط أو ديوان يقيمه الله لهذا "الديوث الأحمق"!

ولكن لا يجب أن ننسى أن هذا الاشمئزاز والنفور وهذه البذاءة والفحش هى نتاج فساد وتلوث البيئة التى كان يعيش فيها الشاعر، صحيح أن يغما يفكر فى الانتقام الشخصى فى أغلب المواضع وينضم من هذه الناحية إلى شعراء هجاء المدرسة القديمة ولكن لم يعلن أى شاعر هجَّاء حتى عهد يغما عيوب ومفاسد عصره بهذه القسوة مثله.

وقد كان شعراء اللهو والمجون الإيرانيين كحافظ وأمثاله، كان حزنهم دائمًا فى القلب وشكواهم على الشفاه من الأشخاص الذين يظهرون فى المحراب وعلى المنبر، أما سب يغما للمرائين والمتظاهرين بالتدين فله لون وشكل آخر، فتطاوله بوقاحة على الشيخ والصوفى والواعظ وكذلك مسئولى عصره ليس سبًا بسيطًا بل هو هجوم على الحالة المتدهورة واضمحلال البلاد وعلى جميع الأشخاص الذين كانوا سببًا فى هذا الأمر أو ساهموا فيه،

ويهتم يغما بالأحداث والوقائع التى تسببت فى معاناته واضطرابه ولكنه غير مستعد لمحاربة عوامل الفساد واقتلاع جذورها، فيغما الذى يعد نتاج بيئته وربيب العادات القديمة ليس لديه الأفق الواسع الذى يجعله يدرك حقيقة الأمور، وكل ما فى الأمر أنه غاضب من الجميع ونافر من كل الناس فتدوى صرخته فى كل جنبات الدولة وتصل إلى أذن سائر الإيرانيين الصالحين الداعيين إلى الإصلاح.

٣- الأشعار التى تمتلئ باليأس والتشاؤم التى تعد امتدادًا أو رد فعل طبيعى لحالة الغليان والفوران التى كانت عليها أحاسيسه وانفعالاته النفسية.

فالعصر الذى كان يعيش فيه يغما كان مازال بعيدًا عن التحولات المستقبلية، ولم تكن الظروف تسمح بأن يجرب فنه الأصلى الذى كان عبارة عن الهزل والهجاء والنقد فى الأمور الاجتماعية، ومن ثم فإنه يعود إلى اليأس والتشاؤم المطلق ويميل إلى الأفكار الصوفية التى كان ينفر منها كلها ويتوب ويرجع عن الفحش والبذاءة أو على حد قوله عن ذلك "الكلام الفارغ".

وهذا الجزء من أشعاره ليس فيه ذلك الغضب والغليان السابق، والإهانة والاحتقار ليست بتلك الشدة والحدة التى كانت عليها، ولكن بصفة عامة يلاحظ أيضًا فى كل هذه الأشعار الألم والتعب والاضطراب، ووسط هذا الحزن والإحباط المميت ينشد الشاعر أبياتًا من هذا القبيل:

- سافرت أنا يغما والحظ والسعادة والغم معًا من العدم إلى مملكة الوجود

-ولمّا وصلنا نحن المسافرون الجدد إلى منتصف الطريق

نام الحظ وسلكت السعادة طريقها وبقيت أنا والغم

وكأن الحياة فى نظره قد فقدت تمامًا قيمتها وأهميتها، ولم يعد عنده أى أمل، ولم يعد بمقدوره التعايش مع المحيط الخارجى.

وقد نظم جزءًا من هذه الأشعار بلهجة وأسلوب عرفانى، وتقترب أغلب أشعار هذا الجزء من أفضل نماذج الشعر الكلاسيكى.

٤- **مراثى يغما:** والتى قد نظم جزءًا منها للألحان الإيقاعية، والشاعر نفسه يسميها "نواح الضرب على الصدور أو الضرب بالأحجار" وهى ذات مكانة خاصة فى ديوانه، ويستعمل فيها شكلاً جديدًا نسبيًا والذى يسمى فى الأدب الفارسى "المستزاد"حيث إنه أوجد نوعًا جديدًا من المراثى يشبه الأناشيد الوطنية، فالأناشيد الثورية بعد عام ١٣٢٤ هـ.ق والكم الكبير من الأشعار الفكاهية التى نراها فى صحف عصر الحكومة الدستورية هى بالشكل نفسه الذى أوجده يغما.

وكما رأينا فإن قا آنى ينتسب للعصر الماضى سواء من حيث الشكل والقالب أو من ناحية مضمون الأشعار، أما يغما فربما يمكن انتسابه للعصر الحديث، وهو لم يحدث تغييرًا مهمًا أو أمرًا جديدًا فى شكل وقالب الشعر ويعتمد فى كافة المواضع على منهج وأسلوب الأساتذة القدامى، وبالرغم من ذلك فإن أعماله قد ظهر فيها انحراف كامل عن طريق القدامى من حيث المضمون، ويعد يغما بالنسبة لعصره رجلاً مستنيرًا فهو لا يختنق فى محيطه مثل قا آنى وليس مجرد متفرج مستسلم ومنقاد للأحداث، وإنما يعترض على الحياة الموجودة بمنتهى العنف والشدة ويواجه كل ما يراه قبيحًا ونجسًا وسيئًا بوابل من الشتائم والبذاءات، ويعد يغما رائد شعراء السخرية السياسية، وكما ظهر بسرعة فقد اختفى أيضًا بسرعة، ولو كان قد جاء بعد قرن من هذا العصر ربما احتل الزعامة والريادة بين كتّاب عهد الثورة الإيرانية.

والآن نقدم نماذج من رسائله ثم من أنواع أشعاره بعد ذلك.

من الرسالة التى كتبها لابنه اسماعيل المتخلص بهنر:

.... إن هؤلاء الأبناء هم تذكار لأولئك الآباء الذين قتلوا مائة وأربعة وعشرين ألف نبى، وسفكوا دماء خلفائهم الذين هم بحر العفو وسفينة النجاة، اعلم أنك إذا لم تنثر بذرة الشمام اللطيفة كل عام وتزرعها فى أرض جديدة وبكر فإنها ستفقد وجودها تدريجيًا ويُدفن جوهرها فى الحضيض، ولأن الأجناس الخمسة التى كانت ثمرة زواج سبعة آباء وإنجاب أربع أمهات [1] لم تتغير بذرتها منذ آلاف آلاف السنين، ولا يأتى الماء إلا من ظهر الرجل وقُبُل المرأة، فإن الأمل والطمع فى تحسن هذه البذرة هو مثل غرس زهرة الشقائق فى أرض بور مالحة، ولو فتحت عقل ولب هذه الأبقار المروضة والحمر ذوى الآذان والحوافر والذين يطلق عليهم من باب قلب الأمور "البشر" لن تجد غير مجموعات الشياطين المخادعين للناس وقطعان من الكلاب آكلة لحوم البشر.

لا توجد إنسانية على ظهر الأرض فلابد من خلق عالم جديد وإنسانية جديدة

إن جوهر الإنسانية هو النظر، والعلم وهو العدل والإدراك والطبع والأخلاق، وهو الأسلوب والطريقة، وكظم الغيظ، وهو التسامح والسكينة والهدوء، وهو العفو والعطاء مع المرؤوسين، وهو مواساة المكلومين والتحرر من كل الناس وعدم التعلق إلا بالله وحده وأمثال ذلك، ومهما اجتهدت وبحثت فلن تجد أكثر من واحد فى المائة، هذا إن وجدته وسمعته،

---

(١) أراد أن يأتى بالأعداد أربعة وخمسة وسبعة جنبًا إلى جنب والتى تتعلق بـ "العنصر" و" الحس" و "الجسم".

فأنت لن تجد سوى حفنة من محترفى الغدر ونقض العهد من أصحاب الوجوه البشرية والطباع الشيطانية... أصحاب الخيال الضعيف والبأس الشديد، هم فى الظاهر أغنياء وفى الباطن متسولون، أكثرهم بخلاء وجشعون وفى النهاية سموا أنفسهم بشرًا بالرغم من أنهم فى شكل وأخلاق الذئاب وطباع القطط واحتيال ابن آوى ومكر الثعلب، ويلبسون قناع الصداقة وهم أعداء.

ذلك يجـــذب قميص هذا وهـــذا يشـــد سروال ذلك

وكأن حدود العالم قد أصبحت مدينة الكلاب؛ أليس كذلك؟

حضرة القائد، إن اليد التى قد رأيتها والأيادى التى تعرفها هى مفتـاح هذا السر وعازف هذه الآلة، وأنت لا تحتاج إلى تقرير جديـد أو مكتـوب حديث؛ لأن الأمور هكذا وأهل الزمان اعتادوا على ذلك، فلا تشغل بالك بما هم عليه واخرج من هذه الدائرة التى تستأصل جذور الاسم والسمعة وتحطم أصول العظمة والثقافة، واتخذ وجهة وقاعدة أخرى، واشكر الله على أنهم لم يغيروك ولم يجعلوا منك إنسانًا آخر فارغًا بحيلتهم ومكرهم، وانس أى قـبح تراه وعندما تسمع أى سوء التزم الصمت واصبر.

ولا تجادل، وابذل العطاء ولا تطلب شيئًا، وكن إنسانًا، وانظـر إلـى الوحوش، واصنع معروفًا، وتحمَّل السوء، وافرش الموائد، وانتصر، وتحمل الغارة الليلية، ولاتصغ للسباب، وقل قولاً طيبًا، وانظر إلى الذنب، وفكر فى العفو.

عش بحيث تكتـب لك النـــجاة إذا ما مت

ولا تعش بحيث يستريحون منك إذا مت... [1]"

---

(١) كليات، ص ١٧.

ومن الرسالة التى كتبها لابنه ميرزا محمد على خطر:

" .... أحمد، بالرغم من أننا لا نتدخل وأفواهنا مغلقة تمامًا فإن هـذه السفينة لن ترسو على الرصيف، وهذه الجذور القديمة لن تخرج ورقًا ولـن تثمر فاكهة، وينبغى على رخش (حصان رستم) أن ينتشل جثمـان رسـتم، وأتمنى أن يقفز الآن ويتحرر من قيد التسيب والإهمال، ويقطع حبل الخمول والنفور، وأن يعمل بطريقة الحكماء، وينظم الحياة برجولة، وأقـسم بـروح السيد بأن كل هذا مزاح، فلابد من بذل الجهد والعرق، ولابد من طهى الخبز ولابد أن تأكل من صنع يدك وتطعم الآخرين أيضًا، فكل قرش أسود يحرسه أسد أحمر، وكل حبة قمح مدفونة تحت تل من التـراب، يمـوت والأعـداء يأكلونها أفضل من أن يعيش ويمد يده للصديق حتى يعطيه.

حكاية : كان أحد العلماء الصالحين يعظ الناس بأن كل مـن ينفـق قرشًا واحدًا فى سبيل الله سيرد إليه عشرة فى الدنيا ومائة فى الآخرة، وكان هناك فقير بسيط فى شدة الاحتياج، ولكى يحصل على أى شىء انضم لقافلة المتسولين وجلس عدة أيام يطلب من الناس وينتظر أن يجزلوا له العطـاء، لكن لم يفتح أمامه أى باب ولم تفتح أية نافذة لإعطائه شىء، فأجبره الجـوع الشديد على الخروج من الحارة والإسراع إلى السوق فأخذ يـركض يمينـًا ويسارًا ويطير إلى أعلى وإلى أسفل فرأى ثريًا كان حزامه الذهبى قد وقـع منه فى بئر ممتلئ بالمياه الراكدة وهو يصرخ ويقول على قارعة الطريـق: أى شخص سيأتينى بحزامى سوف أكافئه بسخاء، فقفز هذا المسكين فى البئر وغاص فى المياه وكانت المياه راكدة وعفنة فتأذى منها بشدة، لكنه أمـسك بالحزام فى النهاية وخرج من البئر متسخًا ومتعبًا، وذهب بالحزام إلى صـاحبه فى القصر، ورأى صاحب الحزام الذى وعد بمكافأة، فقال له لقد تعبت كثيرا

وملأتنى القاذورات والأوساخ لأحضر لك ما تريده ولكن هذا العمل سوف يقتلنى!

أربعون عامًا قضيناها فى بئر قاذورات الحياة وتحملنا صعوبات كثيرة حتى يمُن الله سبحانه وتعالى علينا بلقمة عيش أو كسرة خبز، وقد زاد رزقه ونعمته فتركنا لكم وعاءً (إرثًا) دون أن نضع منه شيئًا فى أفواهنا وتركناه على المائدة بالحب ودون أن ننتظر الشكر فامتلأت البطون وهدأت غيلان النفوس حتى ظهرت بوادر الجحود والنكران وبدلاً من أن تحمدوا وتشكروا وتعضوا على هذا الوعاء بالنواجز مزقتم بعضكم البعض كالقطط المفترسة والكلاب النجسة، فأين الكرامة والعفة وأين الاستعلاء والاستغناء، إنكم لو عوقبتم على هذا الفعل، لا أعلم بأية طريقة ونظام ستسير الدنيا، وكيف ستمضى حياة جفنة جاحدة مجنونة!

وأوصل سلامى لقرة العين ملاباشى وقل له : إننى أنا وأباك قد ضيَّعنا كل ما نملك وسبقناك أنت وأحمد بأميال فى هذا الأمر ولم نجد سوى التشرد والذلة وهمَّ القلب والحقارة والجوع والعطش والخجل من العدو والحبيب والجلوس أمام بيوت الناس، ومد اليد بخجل إلى موائد الغرباء ومثل هذه الأشياء، ونتمنى أن تتجنب أنت نفسك هذا الأمر وتجنب أحمد أيضًا، وإذا عاند ورفض الارتداد عن هذا الأمر فابتعد عنه واتركه وحيدًا، وإذا فكرت فى غير هذا فسوف اعتبر أن التقصير من ناحيتك ولن انظر إليك ما حييت إلا بعين الاستياء والضيق، ولن استقبلك حتى لو أصبحت شيخ الطريقة أو السالك العالم....". (١)

---

(١) كليات، ص ١٨، الحاشية.

ومن رسالة يشكو فيها من جرأة ووقاحة تلميذه:

" .... بالرغم من كل هذه المساعي من جانب الأب وانفطار الأم ورغبتي بالتأكيد، فإنه طالما أن الله لم يقدر الأمر فمهما وضعنا القلم على لسانه وأكلناه الكتاب في فمه لا نرى أثر العلم في كيانه ولا حسن البصيرة في روحه وقلبه، فأفق تعليمه وتحصيله ضيق ولسان القدرة عنده ثقيل وقدم الاستطاعة عرجاء، والحمد لله أن حليلة الإمارة وزينتها هما الفراسة والعلم الذى هو رأس مال الأصل العريق، فلا تكن مضيعًا للجواهر ولو تحليت يومًا بالعلم فلن تكون أقل حظًا من الجاهل[1]".

وقد كتب لأحد الأصدقاء:

" ...إن مكسب كلا الاثنين فى هذه الصفقة وجوهر المتعة والسعادة فى هذا البحر، ابذر الحبة واحصد المحصول، ابذر حفنة واحصد بيدرًا، إن البخل هو أساس الخراب فلا تمشى فى هذا الطريق ولا تلق بنفسك فى ورطة كبيرة من أجل منفعة قليلة، إن الإنسان هو ربيب اللبن الصافى وهو فى الأمور ينقاد لأهوائه الفاسدة، وأنت إذا لجأت إلى الظفر الصلب لحل هذه العقدة فسوف يتخذ القضاء والقدر هما أيضًا طريقًا آخر وسيضيع من جيب هذين الأخوين ستمائة تومان....[2]

...كن راضيًا بما قسم الله لك، واحفظ سرك عن الغريب والقريب والطيب والشرير، وما تسمعه من هذا أو ذاك كأنك لم تسمعه، وعفف لسانك عن ذم العدو و الحبيب، وحاول دائمًا أن تصلح أقوالك، وأفعالك، واشكر ربك

---

(١) المصدر نفسه، ص ١١٢، الحاشية.

(٢) كليات ، ص١١٣.

واحمده على نعمته ورزقه، وبعد أن تكون عبدًا لله وتقبل أوامره اجعله فوق كل شيء، واحفظ لسانك في كل زمان ومكان، وإذا سمعت من أحد ذمًا فــلا تحزن، وفي أثناء الكلام اصمت قبل أن يُقال لك كفي، ولا تتكلم مع الصادقين إلا بالصدق، واسكت عن الكلام الفارغ، وجالس دائمًا من هم أفضل منــك، وتكلم مع الجميع من باب العلم والفراسة، ولا تنس الله عز وجــل فـــي أي مسلك تسلكه، واسع بكل قوة وجهد في سبيل إرضائه لأن من يعزه الله ويحبه لا يذله الله أبدًا، أما من يذله الله فلن يستطيع أي مخلوق أن يعزه أبدًا، وســر هكذا دائمًا بشكل جميل(١)".

وفيما يلي قطعتان غزليتان من الشعر ليغما:

عابد الشمس

- انظر حتى لا تُسكب الخمر عنــــدما تعطني إياها

في يدي فداء عينك أيها الســـــــاقي، انتبـــه فأنا ثمل

- إنني سأعقد مصــالحة كاملة مع أتقياء خمر الكوثر

بشرط ألا يأخـــذوا مـــن يـــدي هـــــذه الكاس

- إنني لكي تظـــــــل كأسي ســليمة دون أن تتكسر

نقضت التـــوبة ألف مرة بقصـــد الخير والتصدق

- وكما أســـــجد أمام جمـــــالك بلا خجـــــل

انتقل إلى العالم المضيء الذي أكون فيه عابدًا للشـــمس

---

(١) كليات، ص ١٣٠، الحاشية.

- إن أنشوطة خصلة إحدى الحسناوات قد قيدت عنقى

بشعرة وجذبتـــــها بشـــــدة فحطمت مئات القيود

- لا الشيخ يمنحنى التوبة ولا الخـمار يعطينى الخمر

من كثرة ما تبت ومــن كثرة مـــا نقضت التوبـــة

- وفى النــــهاية بسبب البكاء فى السعى خلف خصلته

جلســـــت فى وســـــط بحرين من الدماء الجارية

- وعنــــــدما قســـــــتُ يوم الـــقيامة بقـامتـه

جلــس وقال إن القيــــامة بقدر القــامة التى أنا عليها

- إن جنـــة وجهـــــــك قد حُرمــت على "يغمـا"

عنــــــدما تعلق قلــــبى بحبة خــــــالك الخادعة

شيخ المدينة

- إذا لم أصب الخمر فى الكأس وقت الربيع، فماذا كنت فاعلاً؟

إذا لم أرطـــب رأسى بالكأس، فمـــــاذا كنت فـــــاعلاً؟

- الجو بديع والخمر فى الكأس وأنـــا مللت التفكير العـــقلانى

فإذا لم يكن عـــندى عمـــــل آخر، فمـــــاذا كنت فاعلاً؟

- شاهدت المنظر ما عدا الخمر برغم أن رائحة السرور قد انبعثت منها

وإذا لم اقـــــنع بهــــــــذا الجـــــو، فماذا كنت فاعلاً؟

- لماذا يقولون إنك حشرت نفسك فى الخرقة الصـــوفية الضيقة

إننى كنت أكتـــسى بالزهد، إذا لم أفعـــل هذا فماذا كنت فاعلاً؟

- يلومـونني: لمـــاذا ابتعـــدت عن أهـــدابـــه

إذا لم أفر من أمـــام جيـــش كامل فمـــاذا كنت فاعلاً؟

- عندما أعطـــونى الخـــاتم السـلطانى لمملكة الجنون

إذا لم أترك التـــاج وأرحـــل فمـــاذا كنت فاعلاً؟

- إذا لم أعـــاقب الدنيا بالدمـــوع فبم كنت سأعاقبها؟

إذا لم أحتـــال على النـــجم بالتنهـيدة فماذا كنت فاعلاً؟

- نجـــوت من شـــيخ المـــدينة بحيـــلة الإســـلام

فإذا لم أســـالم هذا الكافر، فمـــاذا كنت فاعـــلاً؟

- لقد فتح "يغما" من دير الراهب (المجوسى) ما كان يجب فتحه من الحرم

إن لم أكن أنظر إلى هذا الباب بعين الأمل، فماذا كنت فاعلاً؟

هزليات يغما:

وفى المثنوى الهزلى "صكوك الدليل" يقوم الشاعر بعـد أن يحمـد الله وينعت الرسول ويمدح حضرة الأمير ويعرب عن أمله فى الانـضمام إلـى خدّام هؤلاء العظام فى ساحة النشور والوصول معهم إلى الفردوس الأعلى، يقوم فى البداية بوصف الجنة التى قد رسمها العـوام فـى أذهـانهم بهـذه العبارات:

- ما الجنة؟ ليست يا صاحب العمل الصالح هى تلك الجنة

التى تجـــــرى فيهـــــا أنهار اللـــــــبن والعسل

- ونهـــــــر من المـــــــــاء الطـــــــــهور

ممتلئ من أولــــــه إلى آخره بالحــــــــور العين

- ومنــــــــافق شـــــــــرير فى كل ركـــــن

قد احتضن حســــــناء جميــــــلة القــــــــوام

- وغوغاء الصالحين الحمقى من كل جانب كتزاحم الذباب على العسل

- لقد طوى الفقراء سجاجيد الصلاة فاشرب من الخمور المتنوعة

- وهذه الحفنة من اللصوص فى كل محفل تمتلئ بطونهم بألوان نعم الفردوس

- واحد غارق حتى أذنيه فى العسل كحمار حمَّال غارق فى الوحل

- وواحد منشغل بالغناء وواحد بالسماع واحد يشرب وواحد يضاجع

- وواحد يرفع ثوبه مثل اللصــــــوص

ويبحث عن ثمار الفاكهة فوق أغصان الشجر

- وواحد يسقط ثملاً على حافة الكوثر فقد خارت قواه وفقد توازنه....

وبعد ذلك يصف الجنة التى يعرفها ويتمناها لنفسه على النحو التالى:

- إن تلك الجنة التى تخلو من هؤلاء القوم

ليــــس فيهــــا إلا نــــور طلعــة الحبيب

- أرضها منزهة عن دنس الغريم وجوها معطر بخلق الحبيب

- لا يظهر فى محفلها إلا الشمع ولا يطرق أحد بابها إلا الحاجب

- لو تتبختر فيها طول العمر لا ترى فيها أثرًا للغريب

- أقل حاجب على بابها هو الأدب وأدنى خادم فى خيمتها هو العقل

- الكل مصطف ومنتبه إلى الخف لأن سلطان القلب قد استقر فى الصدارة

- الخمر الصافية تملأ الكأس من كأس التوحيد والسقاة دائمًا سكارى التوحيد

- الكل ثمل من خمر المحبوبة الياقوتية الكل فانٍ فى نفسه ومتحد مع الحبيب

- فارزقنى يا إلهى الثمر فى ذلك المحفل وامنحنى الطريق إلى خلوة الحبيب...

وهذه القطعة تعيد أيضًا إلى الأذهان بعض أشعار ايرج:

- رأيت فى المنام شهيد كربلاء والدموع تفيض من عينيه

- فقلت له: من شدة حزننا عليك يا من أنت إلى يوم الحشر

كل عين من شدة البكاء عليك تفجر عينًا من الماء

- فإننا نقطر عليك الكواكب فلماذا عينك أنت تزرف النجوم؟

- هل ابن زياد يقاتلك مرة ثانية؟ أم أن شمر الشرير يحاربك؟

فقال: لا ، أنا لا أشكو من الأعداء فقد قامت القيامة ضدى بسبب الأحباب

- خاصة الحُمير الذى فى التكايا فإنه يحدث جلبة وضوضاء فى كل صباح ومساء

- ويقفز من منبر إلى منبر بغرض فضح آل المصطفى

- إننى أبكى وأشكو من وراء آل البيت   كشخص يحاول الهرب من الغارة

- تارة فى الكوفة وتارة فى الشام   تارة بالمدينة وتارة بالحجاز

- حيناً يقول زين العابدين غلام   وحيناً يقول فاطمة جارية

- فى كراهيته لنا كأنك تظن   أنها معركة الروس والإنجليز

- صوته الجهورى من حنجرته الشؤم   حاد وقاطع كخنجر شمر....

- فقلت : أنا فداؤك، أى أحمق ارتكب فى حقك كل هذا الظلم؟

- وهذه البغي من أى ظهر؟   هذه المرأة المفتضحة من أى مخنث؟

- من أى وطن مولودها؟   ما هو شغلها وما هو اسمها؟

- فأخرج تنهيدة حزينة وقال   آه، هو الملا حسن الحمصانى

أبى احترق

- سمعت أن حريقاً هائلاً قد شب فى بيت لص

حتى أن قلبى احترق بنار الحسرة

- ذهبت لاستفسر منه عن الواقعة   فبكى بحرقة قائلاً لقد احترق بيتى من أوله إلى آخره

- وقال: آه لقد كان فيه السجاد والنحاس والأوانى والذهب والفضة

فاحترق مع كل متاعى الآخر من الغالى والرخيص

- وقد تطاير الشرر منه وانتقل الحريق إلى مهجعى

فاحترق منديلى وردائى وخرقتى ونطاق خصرى

- وهذا كله أمره هين لأنه من تلك الشعلة الطائشة

احترق فخذى وقدم زوجتى ويد ابنى

- ما عدا عينى ورأسى اللذين خرجا سالمين

وقد احترقت كل أنواع الأطعمة المخزونة من الجاف والطرى

- ثم انتقلت تلك الشعلة من المنزل إلى الطوالة

واحترق لجام وجوال وغطاء وسرج حمارى

- فقلت له: طالما أن الأمر كذلك، لا تشق على نفسك بالإسهاب

فك زر الياقة وقل احترق أبى!

....

- الحاج والسيد والأستاذ ثلاثة أصناف عجيبة

فقد كان كل صنف من هذه الأصناف الثلاثة يحدث ضجة فى كل مملكة

- حرس الله حدود سمنان ببركة أنك أنت السيد وأنت الحاج وأنت أيضًا الاستاذ

ومن مراثيه:

(١) يجف الساحل من نهر فرات ابنى أكبر

صغيرى أكبر

ازرف السيول يا منبع عينى المبللة

صغيرى أكبر

إن كسوة عمرك حتى هذه القبلة الفيروزية (السماء)

قد ازدادت احمرارًا من الدماء

إن الدنيا قد صنعت نقابى الأسود لتلقى العزاء

صغيرى أكبر

لا يمكن نسيان حرقتى عليك إلى الأبد

أيها الابن شريف الأصل

يا ليت أمى لم تلدنى من الأزل

صغيرى أكبر

(٢) إذا لم أصرخ من الدنيا الظالمة فماذا أفعل

ماذا أفعل إذا لم أصرخ

إذا لم أشكُ من دوران الكواكب فماذا أفعل

ماذا أفعل إذا لم أشكُ

إذا لم أحمل همَّ عباس المبتلى فماذا أحمل

ماذا أفعل إذا لم أحمل همّه

إذا لم أبكِ على مصيبة أكبر فماذا أفعل

ماذا افعل إذا لم أبكِ

إذا لم أتحمل عذاب بؤس القاسم فماذا أتحمل

ماذا أتحمل إذا لم أتحمل هذا

إذا لم أتذكر حرمان أصغر فماذا أفعل

ماذا أفعل إذا لم أتذكر هذا

(٣) إن البشر لم يقيموا العزاء كما ينبغى لهذه المصيبة فمتى أصبح من الجائز لك أن تتقلب أيها الفلك

ليس الأركان الأربعة ولا الجهات الستة وإنما الفلك هو دار العزاء

فمتى أصبح من الجائز لك أن تتقلب أيها الفلك

إن صرخة الجن والملائكة فى مأتم فخر الأمم

منذ القدم إلى آخر ليل العدم

من الثرى إلى الثريا ومن الثريا إلى الثرى

فمتى أصبح من الجائز لك أن تتقلب أيها الفلك

(٤) إنه أسبوع العداوة وشهر الشر وسنة الفساد وقرن الاحتيال

فالدماء تستباح والأموال تهدر

إنه ليل الغم ونهار الظلم ومساء الألم وصباح المأتم

فالدماء تستباح والأموال تهدر

الفتنة يقظة والأمان نائم والخصم متأهب للعداوة

والغزاة متربصون

إن القانون بلا شرطى والمائدة منهوبة والحكم مسلوب

فالدماء تستباح والأموال تهدر

لو أن ابن الزهراء لا يوافق هوى ابن مروان

فانظر وتعجب، من دوران الزمان

انظر إلى هذا وذاك فهذا ذليل وذاك عزيز

فانظر وتعجب من دوران الزمان

عند آل مروان السيف فى الكف وفى آل يس التضحية بالروح

وإذا أمعنت النظر فى هذا وذاك

ستجد إنكار الحق وإثبات الباطل فانظر إلى الكفر وانظر إلى الإيمان

فانظر وتعجب من دوران الزمان(١)

إن قلب زينب صار داميًا فى صدرها من شدة الخوف عليك

آه على قلب زينب

ماذا كسبت زينب سوى الدموع الحارقة

آه على قلب زينب

وقد نظم هذا النواح أيضًا بالعامية الدارجة الجميلة والمؤثرة جدًا:

- إن قلبى قد ملَّ الحياة بشدة ليتنى أموت بأسرع ما يمكن فقد تأخر الوقت
- فقلب المرأة بيت الألم والمأتم وجسد الرجل دليل على السيف والسهم

---

(١) كما سنرى فيما بعد فقد استخدم شعراء عصر الحكومة الدستورية شكل مراثى يغما كثيرًا لتوصيل أفكارهم، والقطعة الأخيرة بصفة خاصة تشبه كثيرًا أشعار أشرف مدير "نسيم شمال" والتى هى بهذا المطلع:

- انظر أيها الملك الشاب على الأسود المحاربين، تأمَّل عالمًا آخر....

- الابن مخضب بالدماء والابنة فى مأتم   الأخ مقتول والأخت أسيرة

- فى سقف فم الأمهات قطعة من الكبد الدامى   وفى حلق الأطفال اللبن المخلوط بالدم

- الأسرى بدلاً من الدموع والصراخ الشرر فى عيونهم والنار فى قلوبهم

- وتدوى صرخة هؤلاء الذين جفت حلوقهم   من الأرض المظلمة إلى السماء العالية

- ....

- كيف أصبر وعندى هذا المأتم ؟!   كيف يداوى المرهم مثل هذا الجرح؟!

- هؤلاء الذين سفكوا دمك   يا رب لا ترفع من قدرهم!

....

- الدنيا عدو والأرض صلبة والسماء بعيدة   ليمت عدوك يا غريب كربلاء!

٦- محمود خان ملك الشعراء:

محمود خان ابن محمد حسين خان عندليب وحفيد فتحعلى خان ملك الشعراء صبا، أصله من كاشان ولكن انتقل أجداده فى عهد الزنديين من أذربايجان إلى العراق، وقد ولد محمود خان بطهران عام ١٢٢٨ هـ.ق ودرس علوم عصره عند عمه العالم محمد قاسم خان فروغ، وفى آخر سلطنة محمد شاه القاجارى نظم قصيدة فى مدح حاجى ميرزا آقاسى وعُرف عنده وعُين مساعدًا لوى اللهقلى خان الإيلخانى حاكم بروجرد ولرستان والذى كان ابن بنت فتحعلى شاه وابن زوجة حاجى ميرزا آقاسى. وكان اللهقلى خان رجلاً مغرورًا وفاسقًا وحاد الطبع لكن كانت له يد

معطاءة، وكان يشترى الخيل والأسلحة فى بروجرد ويجمع حولـه رؤسـاء اللوار، ولم يكن يهتم كثيرًا بقرارات الحكومة المركزية.

فلم يتفق معه محمود خان فى هذه المهمة ومنـع النـاس مـن دفـع الضرائب وقدَّم للوزير تقارير غير معلوم إن كانت صحيحة أم كاذبـة عـن طريق ميرزا محمد تقى سـپـهر الذى ارتبط معه بصلة القرابة وادّعى أنه يفكر فى المطالبة بالمُلك، فكتبت الأميرة عزت نسا خانم أم الإيلخانى لابنهـا أن يتوخى الحذر فى عمله، فقرر الإيلخانى إيذاء محمود خان، فهرب محمود من بروجرد فى منتصف الليل ووصل إلى طهران بعد فترة من التحصن فى قم(١).

وما لبث أن توفى محمد شاه وهبَّت جماعة للاعتراض علـى حـاجى ميرزا آقاسى وظل محمود خان لفترة بعيدًا عن العمل، وفى عهد ناصر الدين شاه وجد محمود خان طريقه مرة ثانية إلى البلاط وحصل على لقـب ملـك الشعراء والذى حصل عليه أيضًا أبوه وجده، ولقى اهتمام واحترام ملك إيران

---

(١) حضر الإيلخانى إلى طهران أيضًا، لكن أمر الملك بمنعه من دخول العاصمة فتحرك أحد خدّام الخلوة من طهران فى السادس والعشرين مـن ربيـع الأول سـنة ١٢٦٢ هـ.ق وأعاده إلى قم عندما كان قد وصل إلى حوض السلطان وبعد عدة أيام نفى من هناك إلى أرض العراق، وظل الإيلخانى يعيش فى العتبات سبعة وعشرين عامًا حتى عاد إلى إيران بفضل وساطة حاجى ميرزا حسين خان مشير الدولـة سـنة ١٢٨٨ هـ.ق حيث كانت السلطة فى إيران فى يد ناصر الدين شاه، وظل حتى عام ١٢٩٨ هـ.ق يحكم قزوين وهمدان والولايات الخمسة وفى عام ١٢٩٥ هـ.ق وعندما كان ناصر الدين شاه مسافرًا إلى أوروبا لأول مرة لازم ركابه حتى توفى فـى الـسادس والعشرين من شعبان سنة ١٣٠٩ هـ.ق.

الشاب وميرزا آقا خان نورى رئيس الوزراء والوزراء والأمراء، وقد وجد فراغًا فى هذه المرحلة من العمر فانشغل بالقراءة والتدريب على الرسم والنحت والحفر على الخشب وكتابة أنواع الخطوط، وقد برع فى كل هذه الفنون، وتوجد لوحاته الآن بمتحف قصر جلستان الملكى بتوقيع "حارس العتبة محمود".

وقد توفى محمود خان بطهران سنة ١٣١١ هـ.ق (قبل مقتل ناصر الدين شاه بعامين).

وديوانه الذى طبع بطهران سنة ١٣٣٩ ش (١٩٦٠- ١٩٦١م) ونُشر كملحق بمجلة أرمغان فى سنتها الثالثة والعشرين، ويرى الناشر أنه "الديوان الكامل والجامع" للشاعر، ويضم ٥٨ قصيدة وعدة أشعار متفرقة غير مكتملة، و ١٤ مرثية تحاكى مراثى محتشم الكاشانى الاثنى عشر، وتبلغ جميعها ٢٦٠٠ بيت والتى ربما قد انتقاها الشاعر نفسه فى آخر عمره وهذا الكم القليل من الشعر الذى قد بقى عنه سلس ومقبول.

ويعد محمود خان شاعر قصيدة، ومعظم قصائده فى مدح ناصر الدين شاه وأعيان بلاطه، وهو يقلد أساتذة الشعر الفارسى كالعنصرى والفرخى ومنوتشهرى ومع ذلك فإن له أسلوبًا خاصًا يميزه عن كثير من شعراء العصر القاجارى.

يقول فى وصف الطبيعة فى شهر أرديبهشت [إبريل ومايو]:

- حين يغرد القمرى وقت السحر

تعالى معى لحظة إلى الحديقة أيتها الحبيبة

- فإننى سأذهب فجر الغد صوب الحديقة حيث سيفتح الورد الأحمر فمه ضاحكا

- ويتلون أحد جوانب المرج باللون الأزرق من البنفسج حديث الظهور

والجانب الآخر باللون الأبيض من الياسمين المتفتح

-ويئن الرعد ومن ذلك الأنين تنمو النباتات ويبكى السحاب ومن ذلك البكاء تضحك الروضة

- ولو أنكِ مررتى فى أثناء الطريق على الشقائق البرية سترين شمعًا مضيئًا فوق الشمعدان الأخضر

- وحافة كل نهر قد امتلأت بالشقائق والبردقوش فهيا أيتها المحبوبة انصبى الخيمة على حافة النهر

- وتشبثى بتلابيب السعادة، وفى أوان الورد شدى ثوبك من يد هموم الدنيا وأحزانها

- صبى الخمر فى الكأس إن لم يكن لك شغل آخر وإن كان لك شغل آخر فدعيه أيضًا جانبًا

- إن الغم هو ثمرة فاكهة مُرَّة فلا تأكلينها أبدًا واقتلعى تلك الشجرة التى تجلب الغم من جذورها

- واحذرى من الليل الحامل لأنه لا أحد يعلم ماذا سيولد من هذا الحمل...

- أقبل الربيع الجديد بالبهجة والجمال ووجه مشرق من شدة النضارة والشباب

-وفوق رأسه مظلة ملونة بألوان قوس قزح وتحت قدمه سجادة من المروج الخضراء

- والحسان كلهن قد ربطن الأحزمة فى خدمته والمكان كله من أوله إلى آخره جميل وطيب الرائحة

- إن ثوب الوادى هو الآن الحرير الشوشترى وحلة الجبل هى الآن النسيج الصنعائى

- مثل أمراء الجيش قارعى الطبول من فوق قمة الجبل تقوم السحب بإعداد وتنظيم الجيش كل يوم

- والطيور تنتقل فى كل لحظة من حديقة إلى أخرى ربما هم مطربون فى كل مكان وزمان

....

- إن أشجار الصفصاف ترقص وطيور الفاختة تغنى

- وأشجار التوت فى وقت نسيم السحر تنثر الثمار على رؤوسنا

- وبنفس طريقة رياح الشمال تجرى السحب فى كل ناحية كالفيل الهائج

- وأشجار السرو سعيدة ومسرورة تستعيد شبابها من بعد السبعين

- وقيل إن رؤوس شجرة القرع فى الحديقة تثقل على جسدها وكاهلها

- وزهور النرجس تغمز بعينها فى العلن وزهور السنبل تتمايل إغراء فى السر

- عسى أن تستمتع بالورد البلابل حلوة اللسان

– ونقوش ورسومات البستان تجعل   الحديقة أجمل من رسومات مانى

– فإنها بلؤلؤها وفيروزها وياقوتها وجواهرها   تثير غيرة العرش الملكى

....

– ظهرت السحب فوق الجبل وهى تصرخ   فتدحرجت المياه كاللؤلؤ مــن فوق البرز

– وأقبل نسيم الصبا ومر فى البستان   فاستمدت خصلة السنبل الثنيات مــن ذلك النسيم

– والسحب الندية فوق البستان فى الليلة الماضية رشت ماء الــورد فــوق الزهور فى وقت السحر..

– والفقاقيع فوق الغدير من سقوط المطر   كالآف الكؤوس البللورية المقلوبة

– وحسان الفجر ذهبن صوب البستان   مسرعات من أجل رؤية وجه الورد

– إنه لوقت ممتع فلا يمكن للعاشق الهائم أن يُقيد الآن فى المنزل بالأحبال

– من هذه الفصول والأبواب التى يتضمنها كتاب الزمــان   اختــر فــصل الطرب من الأبواب

– من أيام العمر لا يحتسب إلا يوم البهجة وقد أخذنا الحساب من الدنيا

– لا تغتم لهذه الثورات التى تحدث فى العالم فإن المملكة فى أمان من هــذه الثورات...

....

- إن البساتين قد امتلأت كلها بالورد والسنبل فتعالى أيتها الحسناء إلى الحديقة ودعى كل شئونك

- فقد أقبلت قافلة الروم والصين على باب المدينة وألقت الأحمال على الجبل والوادى من كافة الجوانب

- وهبت الرياح من مدينة التتار ففكت الأحزمة وفى داخل الأحمال أطنان من المسك

- وظهر من حدود الصين إلى الروم قوس أزرق وأحمر وبنفسجى فوق المناطق الجبلية

- ورفع السحاب السيف وهجمت الرياح وجعلوا قمة البرز ساحة نزال

- وألقت رياح الصبا حجابًا على رأس كل تل

وجهه من الزبرجد وظهره من الزمرد

- وأحد جوانب الحديقة أصفر من زهرة الخيرى والحلبة

والجانب الآخر أحمر اللون من وجه زهرة الرمان

- لم يمر علىَّ ربيع قط بهذا الشكل الجديد فقد رأيت الربيع مرارًا طيلة عمرى

- فقد قصَّت رياح الصبا على قوام الوردة مقطعًا من الحرير ليس له مثيل فى كل الأسواق

- وهبَّ نسيم فروردين العليل وقت السحر وملأ المزامير فى حلق الطيور

- وطائر الفاختة يتعلم القافية من الأستاذ وفى الصباح يقوم باستذكار الدرس

- والورد الأحمر يشعرك بأن حسان فرخار(•) فى كل مكان فى الحديقة

أما رائحة السنبل فكأن جميلات التتار فى كل جانب من الروضة

- والسحاب يلقى على البساتين سجادة من الإستبرق

فيا ليــــت ملك المـــــلوك يتوجه إلى البســاتين

٧- قرة العين:

ولدت زرين تاج "ذات التاج الذهبى" أو فاطمة المكنية بأم سلمة والملقبة بالزكية والطاهرة وقرة العين ابنة الحاج المــلا محمــد صــالح البرغــانى القزوينى أحد علماء الحديث المعروفين بقزوين عام ١٢٣٣ هــ.ق، ودرست مقدمات العلوم مع أختها مرضية على يد أبيها ثم قامت بعد ذلك بدراسة الفقه والأصول والكلام والأدب العربى، وقد قــرأت الطــاهرة مؤلفــات الــشيخ الإحسائى وسيد الرشتى، واعتنقت العقيدة الشيخية وقد اتصلت بسيد الرشتى وراسلته وكان سيد يسميها فى رسائله قرة العين.

أما قراءة الطاهرة فى الآثار والمعتقدات الشيخية، فقد غيَّرت مجــرى حياتها تمامًا لدرجة أنها سلَّمت ابنيها وابنتها الذين أنجبتهم من ابــن عمهــا، سلمتهم لزوجها وذهبت إلى كربلاء بقصد رؤية سيد الرشتى، لكــن عنــدما وصلت إلى هناك كان سيد الرشتى قد توفى، وأقامت قرة العين التــى كــان عمرها آنذاك تسعة وعشرين عامًا فى منزله وقامت بتعليم وإفادة الطلاب من وراء الحجاب، وبعد أن ظهر الباب فى شــيراز راسلته قــرة العــين عــن

(•) فرخار: اسم مدينة مشهورة بحسن نسائها (المترجم).

طريق الملا حسين بشرويه (باب الباب) ودخلت فى عداد الأصحاب الأوائل للباب ونالت منه لقب الطاهرة وجهرت بالدعوة.

وبعد عودة أصحاب الباب إلى كربلاء ظلت قرة العين مشغولة هكـذا فى مساعدتهم وفى البحث والاستدلال والتدريس حتى هجمت جماعة علـى منزل سيد الرشتى الذى كانت تقيم فيه فاضطرت للسفر إلى بغداد، وعنـدما قامت بالدعوة والتبليغ هناك أيضًا تم احتجازها فى أول الأمر فى منزل الشيخ محمود الآلوسى مفتى بغداد بناءً على أوامر والى بغداد، وأرسلت إلى إيران بعد ذلك مع الرفاق فى مطلع عام ١٢٦٣ هـ.ق بأمر السلطان العثمانى، وقد قامت بالدعوة فى كل أرجاء قزوين وظلت لفترة هناك حتـى جـاءت إلـى طهران بعد مقتل عمها ووالد زوجها الحاج الملا محمد تقى على يـد أتبـاع الباب (١٢٦٤ هـ.ق)، ورحلت مع الأصحاب الآخرين إلى صحراء "بدشت" على بعد سبعة كيلو مترات من "شاهرود" وظهرت فى الاجتماع الذى كان قد أُقيم هناك أمام الحاضرين بدون حجاب وتحدثت لأتباع الباب وأحدثت ضجة وذهبت من هناك إلى طهران، وعادت فيما يبدو إلى قزوين حتى أُحـضرت من قزوين إلى طهران عقب مقتل الباب وحبست فى حديقة محمـود خـان رئيس مدينة طهران فى طابق علوى ليس له سلالم، وظلت هناك حتى قُتلت فى الحديقة الملكية (المقر الحالى للبنك الوطنى) بأمر الملك ووزيره ميـرزا آقا خان نورى بعد فترة قصيرة من حادثة إطلاق النار على ناصـر الـدين شاه[١]، أى فى أول أيام ذى القعدة سنة ١٢٦٨ هـ.ق حيث لـم تكـن قـد تجاوزت السادسة والثلاثين من عمرها.

---

(١) يوم الأحد ٢٨ شوال سنة ١٢٦٨ هـ.ق.

وكانت قرة العين امرأة صاحبة قلم وشاعرة وخطيبة وكانت ملمة بالأدب والفقه وأصول الكلام والتفسير.

يقول الآلوسى مفتى بغداد الذى مر ذكره فى ترجمة أحوالها: "لقد رأيت فى هذه المرأة فضلاً وكمالاً لم أره فى كثير من الرجال فقد كانت صاحبة عقل ورزانة وعفة وحياء شديد".

ويمدحها كذلك ميرزا مهد يخان زعيم الدولة فى كتاب "مفتاح الأبواب" عندما يصل إلى اسم قرة العين.

ولقد كانت قرة العين أول امرأة فى إيران تظهر أمام الرجال بلا حجاب وتقوم بالبحث والمجادلة مع العلماء والرجال خلافًا لتقاليد وأعراف العصر.

وقد فُقدت فيما يبدو أعمال قرة العين الشعرية والنثرية، وما بقى من كتاباتها متفرقات مثل المناجاة والرسائل، وهى إما بخطها أو بنسخ الآخرين، وطُبع بعضه فى كتاب "ظهور الحق" و كتب فى الغالب بالعربية وكتب جزء منه بالعبارات الرمزية والمصطلحات الخاصة، وهناك أيضًا أشعار تنسب لها وأسلوبها شبيه بأسلوب الباب، وهذه الأشعار تمتلئ بالعبارات والمصطلحات الدينية والمتأثرة بشدة بأعمال المتقدمين مثل مولانا جلال الدين والجامى.

وهذه الغزليات قد بقيت عنها:

– جذبات شوقك أجمت بسلاسل الغم والبلاء

كل العشاق مكسورى القلب الذين يقدمون الروح فى سبيل كلمة نعم

– لو أن ذلك المحبوب يحاول قتلى ظلمًا

لقد استقام بسيفه ولقد رضيت بما رضى

- ليس فى كل الختن نافجة فى رائحة خصلته المعطرة بالطيب

ليس فى كل الختا كافر مثل عينه الفاتنة

- يا من أنت غافل عن الخمر والحسناء وتحاول قتل العابد والزاهد

ماذا أفعل أنا وهناك كافر وجاحد فى صفاء قلوب الأصفياء

- أنت والمُلك والجاه السكندرى، أنا والمذهب والمسلك الصوفى

إن كان ذلك طيبًا فأنت تستحق وإن كان هذا سيئًا فأنا أستحق[١]

....

- إننى مولع بالبلاء فى عشقك أيتها الحسناء كيف تتغيرين وأنا معتاد على الغم فى عشقك

- وضعتى الحجاب على الوجه وثنيتى الخصلة وتحررتى من كل الخلق وأنا معزول عن الجميع

- أنت اللبن، أنت السكر، أنت الفرع، أنت الثمر أنت الشمس، أنت القمر، وأنا الذرَّة، أنا الهباء

- أنت النخل، أنت الرطُب، أنت المحبوبة حلوة الشفاه

---

(١) الغزل الآخر المنسوب للطاهرة بهذا المطلع:

- لمعات وجهك أشرقت بشعاع طلعتك اعتلا لماذا لا تسأل ألست بربكم؟ اسأل لنقول بلى بلى بالتأكيد ليس لها وإنما للملا محمد باقر صحبت لارى المتوفى سنة ١٢٥١ هـق شاعر هذا القرن صاحب الموهبة العالية الذى طبع ديوانه بعنوان "تاج الدواوين" فى بمباى سنة ١٣١٢ هـق أول الأمر ثم مرتين بعد ذلك فى شيراز وطهران.

أنت السيد المؤدب، وأنا العبد عديم الحياء

- أنت الكعبة، أنت الصنم أنت الدير، أنت الحرم أنت المعشوق المبجل وأنا العاشق المسكين

- إن الحسناء الجريئة الفاتنة قالت لى تعال نحوى وتحرر من الكبر ومن الرياء فأنا رمز الكبرياء

- أنا أيتها الطاهرة تراب قدمك، أنا ثمل خمر لقاءك منتظر عطاءك، ومعترف بخطئى

....

- لو يقع نظرى عليك ويكون الوجه فى الوجه سأشرح همى بسببك نقطة نقطة وشعرة شعرة

- إننى من أجل رؤية وجهك طرت كنسيم الصبا من زقاق إلى زقاق ومن باب إلى باب ومن بيت إلى بيت ومن حى إلى حى

- على جانبى فمك الصغير وجنتاك العنبريتان برعم على برعم ووردة على وردة وزنبقة على زنبقة ورائحة على رائحة

- إن دم قلبى بسبب فراقك يجرى من عيناى دجلة بدجلة ويم بيم وعين بعين ونهر بنهر

- إن القلب الحزين قد نسج حبك على قماش الروح فتلة فتلة وخيطًا خيطًا وسدى ولحمة لحمة

- إن "الطاهرة" قد تجولت فى قلبها ولم تبحث إلا عنك

صفحة صفحة، وطية طية، وغلاف غلاف، وطبقة طبقة

٨- الشيبانى:

"يعد أبو نصر فتح الله خان الشيبانى من العقلاء الواقعيين، ويمكن القول بأنه يمثل مذهب التشاؤم، وتنتج حالته النفسية هذه من جو التشاؤم الذى يسود البيئة الأوروبية، ففى أشعاره نلاحظ لهجة الاحتجاج والاعتزال نوعًا ما والتى تنفذ إلى القلب، وسبب هذه اللهجة هو الحظ العاثر والحياة التعيسة للشاعر نفسه"(١).

وقد ولد الشيبانى لأسرة كاشانية، معروفة عام ١٢٤١ هـ.ق وكان جده الأمير محمد حسين خان حاكم نظنز وكاشان وجوشقان وقم فى عهد سلطنة آغا محمد خان، وقد حارب التركمان أكثر من مرة وانتصر عليهم وظل يعيش فى الحكومة القاجارية معززًا مكرمًا، وقد انضمت أيضًا إلى منطقة نفوذه حكومة أصفهان بعد أن قبض على محمد حسين خان كبير عرب العامرية والذى كان قد تمرد على الحكومة، فى صحراء شهراب ونواحى جندق وأحضره عند الملك.

وكان أبناء محمد حسين خان هم أيضًا من ذوى المكانة والشأن الرفيع، وقد وصلوا إلى أعلى المناصب الحكومية فى عهد فتحعلى شاه.

---

(١) هرمان اته، تاريخ أدبيات فارسى، ترجمة: دكتور رضا زاده شفق، طهران، ١٣٣٧ ش [١٩٥٩م].

وكان محمد كاظم خان أبو فتح الله خان وزيرًا للمالية فى سلطنة محمد شاه، وفى حكومة شعاع السلطنة عين نائبًا له فى كاشان وهمدان.

كما التحق فتح الله خان نفسه فى فترة شبابه بخدمة محمد شـــاه ومنادمـــة ناصر الدين ميرزا ولى العهد، وقد مدح فى قـــصائده الأب والابـــن والأمـــراء الآخرين، فمثلاً قال فى قصيدة كان قد نظمها فى مدح ولى العهد فى ذلك الوقت:

- إن الربيع والعيد قد ظهر وتفتحا كلاهما معًا أحـــدهما زاحـــف بـــالجيش والآخر رافع العلم

إلى أن قال:

- أيها السيد إننى سأتحدث بعد الآن بوضوح ماذا يجب القول، كلامًا كثيـــرًا كله غامض وغير مفهوم؟

- إنك ستصبح فى الدنيا ملكًا عظيمًا وسيصير الملوك والعظمـــاء خـــدمًا وعبيدًا لك

- إن الملك الذى سيفوق جميع الملوك قدرًا سيكون هو أنت من بين البشر

وعندما جلس ناصر الدين شاه على عـــرش المملكـــة الإيرانيـــة قـــام الحاقدون والحاسدون بإخراج الشيبانى من حضرة السلطنة وفى السنة الثالثة من عهد ناصر الدين شاه (١٢٦٧ هـــ.ق) حيث كان الشيبانى فى همدان أراد أن يعرض حاله ويقص حكايته عسى أن تشفع له سوابق خدمته، فنظم قصيدة جميلة بالوزن نفسه وقال فيها:

- إن ذقنك قد رسمت على الياسمين بالمسك فظهر وجهك واسوَّد نهـــارى فى وقت واحد

– وبسبب هذا السواد الذى ظهر من وجنتك قسى علينا الزمان وظلمنا أنا وأنت

– فسبب لك الخجل وسط حسان المدينة وأصابنى بالحزن والندم وسط عشاق الزمان

إلى أن قال:

– إننى أمدحك أيها السيد، والعقل يغنى فى أذنى بصوت الناى

– قائلاً: كرر الآن ما قلته قبل ثلاث سنوات من باب الفأل الحسن فى مدح ملك العجم

– ألا تعلم ماذا قلت؟ عندما أنشدت قائلاً "إن الربيع والعيد قد ظهرا وتفتحا كلاهما معًا"

– وقلت: "سأتحدث بعد الآن بوضوح ماذا يجب القول كلامًا كثيرًا كله غامض وغير مفهوم؟

– إنك ستصبح فى الدنيا ملكًا عظيمًا وسيصير الملوك والعظماء خدمًا وعبيدًا لك"

– انظر الآن فإن كل توقعات عبدك شاء الله أن تُقضى وتتحقق

– فإنه سيجلسك فى المكان الذى كان قد توقعه عبدك

ثم يجلسك فى مكان أعلى أيضًا أيها الملك

– فإن الأمر الذى يتوقعه عبدك أيها السيد يتحقق سريعًا لدرجة أنه يتحقق منذ الوهلة الأولى

- ولكنه لم يتوقع لنفسه أى مكروه فلماذا تقذفه الدنيا فـى دوامـة الحـزن والحسرة؟

ولكنهم لم يسمحوا فيما يبدو بوصول أشعاره هذه وشكاويه الأخرى إلى مسامع الملك، فاضطر الشيبانى لتحمل مشقة وعناء السفر، فأخذ يعـدو فـى مرتفعات ومنخفضات العالم، وواجه الصعوبات والويلات، وتعرض للعنـف والقسوة والكلام البذىء، وزار البقاع المقدسة بقدم العجـز، ونـال الفـيض والبركة من شرف صحبة كبار الشيوخ والزهاد والأولياء حتى وصـل فـى آخر الأمر إلى خراسان.

وقد شرح الشاعر هذه الأسفار والتنقلات فى القصيدة التى قـام عقـب عودته من بلخ بتقديمها لناصر الدين شاه عن طريق الأمير حسام الـسلطنة على النحو التالى:

- عندما تخلى عنى الحظ وابتعدت عن عرش السلطان

طفت لفترة أسعى إلى كل بلد وأنا حائر

- توقفت عامًا أو اثنين فى همدان ثم ذهبت ناحية نهر دجلة، ومـن عـين رودبار

- قضيت فى النجف ثمانية أربعينات للحسين وأضاف إليها الزمـان سـبعة بدموع العين ونار القلب

- ومن هناك قذف بى القضاء والقدر إلى كرمان وأراد

أن يجعلنى كالدودة ويغزل نفسه حولى

- وظل بى المقام فى حضرة ماهان(•) لمدة شهر حتى تعرضتُ لضغوط كثيرة من عالم الطريقة

- فانتقلت من هناك إلى هيرمند ومنها أيضًا قادتنى الدنيا إلى ناحية أصفهان

- ومن أصفهان إلى كاشان وفى بيوتها الصغيرة كان الورد أمام العين والشوك الجارح فى القلب

- حتى ساقت الدنيا فرسى مرة ثانية إلى فارس القلب مطحون من الحزن وروحى عليلة وقلبى جريح

- ثم نقلتنى من فارس إلى خراسان وصبت فى صحتى كأسًا مملوءة بالخمر الأحمر الزنبقى[١]....

وفى عام ١٢٧٢ هـ.ق حيث كان الأمير سلطان مراد ميرزا حسام السلطنة عم ناصر الدين شاه قد زحف بالجيش للاستيلاء على هراة، كان الشيبانى فى معسكر "تربت جام" عند پاشا خان مظفر الدولة بالخرقة

(•) ماهان: اسم قصبة فى مدينة كرمان (المترجم).

(١) بقية قصيدة الشيبانى كالتالى:

فحضر حسام السلطنة من الرى إلى طوس ... بالجيش صوب هراة مثلما ذهب إلى طوس
وزحف فرآنى أنا العبد بثياب رثة فى "جام" ... فى التربة المباركة الخاصة بالشيخ الجليل
فاستقبلنى من باب كرمه وعظمته وأنا ... أزداد عجزًا وفقرًا فى كل ساعة
ففتح غوريان وكتبت أنا رسائل الفتح ... وكانت كلها كالدر النفيس
وحاصر هراة من بعد ذلك ... وأظهرت أنا الولاء الشديد فى أثناء تلك الحصار
فذلك وقت استمالة قلوب الرجال لخدمته ... وذاك وقت حث القادة على القتال
فذاك وقت اقتحام هراة ... والعودة إلى حضرته فى فرح وسرور
حتى انتزعن الزمان بقسوة من هناك ... وكذلك بى إلى بلخ ويا لها من قسوة

والكشكول، وقد كتب رسائل الفتح بعد محاصرة غوريان والاستيلاء عليها (رجب ١٢٧٢ هـ.ق) وعندما رأى حسام السلطنة كفاءته فى العمل وأعجب بكتاباته جعله كاتب رسائله السرية، وقد أرسله أيضًا عدة مرات إلى مدينة هراة عند عيسى خان فأجرى الشيبانى مع عيسى خان المحادثات والمفاوضات، وأعطاه الآمال حتى رقق قلبه وشجعه على الحضور عند حسام السلطنة، واستطاع أيضًا بمخالطته لأهالى هراة الناطقين بالفارسية ومراودته لهم أن يشجعهم على الخدمة والطاعة حتى فتحت مدينة هراة خلال شهرى صفر وربيع الأول سنة ١٢٧٣ هـ.ق، وفى أثناء إقامة المعسكر الإيرانى فى هراة تحرك سلطان أحمد خان بن محمد أعظم خان وابن شقيق الأمير دوستمحمد خان والى أفغانستان كلها، من كابل وحضر عند حسام السلطنة، ووجد عن طريق ابنه شاهنواز خان الأنس والألفة عند أبى نصر الشيبانى، وقد أحسن الشيبانى إلى الأب والابن وبشرهما من باب الفراسة بحكومة هراة، فتحرك سلطان أحمد خان مع ابنه من هراة وقدم إلى طهران مستصوبًا رأى أبى نصر فلقى عطف وعناية ملك إيران، وبينما كان معسكر حسام السلطنة مازال فى هراة عاد هو إلى هراة ومعه منشور الولاية وبعد استقراره سافر الشيبانى إلى ناحية بلخ وطخارستان بقصد زيارة المزار الشريف لحضرة شاهمردان(•)(سيدنا علىّ) ومشاهدة الولايات الشرقية، لكن بعد عودته وجه له هذا الأب وابنه الإهانات بعكس ما تقتضيه المروءة والشهامة ودون مراعاة الصداقة القديمة وذلك بتحريض من رئيس الوزراء الإيرانى ميرزا آقا خان نورى، وبعثوا بعض الرسائل المزورة إلى مسئولى الحكومة الإيرانية وألصقوا به التهم الزور ومنها أنهم أرسلوا الشعر الذى كان قد نظمه الشيبانى

(•) شاهمردان (ملك الرجال): لقب أطلقه الشيعة الناطقون بالفارسية على سيدنا علىّ (المترجم).

تعبيرًا عن ضيقه فى أثناء توقفه فى بلخ باميان إلى طهـران عنـد رئـيس الوزراء وبه بعض التحريف من باب الوشاية وإفساد العلاقة .

وكان هذا الشعر كالتالى:

- اعزف على الناس أيها المطرب حتى نشرب الخمر على أنين الناى

ونشـمل، ثم نكتشـف كلا العـالمين

- لو أغلق علينا سادة الرى طريق الرى سنفتح طريـق تنهيـدة القلـب ونضرم النار فى الرى

- متى كان لنا هوى فى عرش الرى؟ فإننا فى هذا الزمان نشرب الخمر فى بلخ بامى[١] فى ذكرى الملك

- إن ملك الرى يحمل لنا فى قلبه كل الحب والوفاء ورئيس وزراء الـرى يحمل لنا العداء، وسوف نشعل فيه النار

- سنشعل النار فى الرى وفى رئيس وزرائها ولكن لا ينبغى إخبار أحد متى سنفعل ذلك!

- سنشعل النار فى ذلك البيدر إن شاء الله ويعلم الله أيضًا أننا سنشعلها فـى مرداد[•] أو فى دى[٢][•]

---

(١) المقصود بلخ باميان.

(•) مرداد: يوليو وأغسطس (المترجم).

(٢) صح هذا التوقع وقصر الملك يد ميرزا آقا خان نورى عن العمل، وظل يعيش فتـرة فى قم وكاشان ويزد وأصفهان ولم يأخذ من كل هذا الذهب والمال إلا الوزر والوبال، وقد قال الشيبانى فى هذا الأمر:

وعلى كل حال فقد اتهموه بصداقته للإنجليز فى أثناء سفره إلى هراة، مع أن الإنجليز كانوا يعتبرون وجوده منذ بداية دخوله أرض أفغانستان فى خدمة حسام السلطنة، سببًا فى تقدم العمل وفتوحات الجيوش الإيرانية بل وظنوا أنه جاسوس الحكومة الإيرانية، بعد أن ذهب إلى بلخ، ففهم الشيبانى نفسه أن هذا "كان بسبب تآمر رئيس الوزراء الإيرانى وفساد رأيه حيث إنه وشى بأبى نصر وألصق به التهم الزور بالرغم من صداقته القديمة لأجداد أبى نصر وأسلافه، وكذلك بسبب خلافه مع فرخ خان الغفارى أمين الدولة – الذى سافر إلى أوربا ليعمل سفيرًا، وقد نجح هناك مخيبًا ظنه، وأدى أعمالاً عظيمة فى بلاط ملوك أوروبا، وكانت هذه الكفاءة والخدمات ترفع من قدره عند الشاهنشاه الإيرانى وتزيد من حقد رئيس الوزراء– بسبب هذا الخلاف أخذ يبحث كيفية إلصاق أية تهمة به، وبما أنه كان يعد أبا نصر قريبه المقرب ووجد أن أبا نصر قد حقق فى مهمة أفغانستان تلك المهمة الخطيرة والحساسة، شهرة عظيمة وتقدمًا كبيرًا، فقد أراد رئيس الوزراء أن يقنع الشاهنشاه بأن أبا نصر يعيش فى تلك الممالك بناءً على رغبته وبإرشاد أمين

– أتذكر متى عزفنا هذا اللحن الحزين فى بلخ بامى؟ عندما شربنا الخمر الكأس تلو الآخر فى ذكرى الملك

– إذا كان طريق الرى قد أُغلق أمامنا فإننا بحمد الله فتحنا طريق تنهيدة القلب وأضرمنا النار فى الرى

– كنت قد قلت إن ملك الرى يحمل لنا كل الحب والوفاء ورئيس وزراء الرى يحمل لنا العداء، فأشعلنا فيه النار

– ولقد وعدنا بتنفيذ ذلك فى مرداد أو فى دى وإذا أمعنت النظر تجد أن الوعد المردادى قد تحقق وأننا أشعلنا النار فى شهر دى...

(•) دى: ديسمبر ويناير (المترجم).

الدولة وأنه يتذرع بهذا السفر والتجوال لكي يراود مسئولي الحكومة الإنجليزية ويراسلهم، فأصدر فرمانًا وأرسله إلى مشهد:

نظرًا لأن فتح الله خان قد ربط نفسه بالحكومة الإنجليزية فاقبضوا عليه وأرسلوه إلى طهران، فقال الإنجليز الذين سمعوا بذلك: لو أن لديكم مشكلة معه بحجة تبعيته وصداقته لنا، فمن نواقض المعاهدة أن تقوموا بإيذائه وإهانته، وبما أنه قد تبين للجميع بعد فترة أنه لم تكن لنا علاقة به ولم تكن له أية مراسلة معنا، وأنه من رعاياكم أنتم، فاتهموه بأية تهمة أخرى وافعلوا ما تريدون..." (١)

وعلى كل حال بعد أن أخلى المعسكر الإيراني هراة وتحرك حسام السلطنة قائد قوات الجيش نحو خراسان تحرك الشيباني الذي امتلأ قلبه بالمرارة من سلوك وحركات ومراسلات رئيس الوزراء الإيراني، ولم يكن يستطيع أن يخطو خطوة واحدة نحو إيران، تحرك، كما قلنا، نحو بلخ، ويقول الشاعر في هذا الشأن:

– لقد أرسل لي صديقي ليلة أمس في وقت السحر قائلاً إن موكب أمير العجم قد استعد للسفر

– فهل ستذهب مع الجيش عند الملك أم ستبقى هنا مع جميلتك قمرية الوجه؟

– فأجبته إنني لن أبقى هنا وسأذهب ولكن ليس خلف الأمير ولا في إثر الجيش

---

(١) درج درر ، طهران، ١٣٠٠ ص ٧٠.

– فإن جيش الملك سيتجه إلى طوس أوالعراق وأنا أنوى أن أتجه إلى المملكة الأخرى

– لماذا يجب الذهاب إلى المكان الذى يتساوى فيه الطائر الملكى والبوم ، ومن ثم الشعور بالحزن واللوعة دائمًا؟!

ويتضح من أشعار الشيبانى هذه ومن مذكراته الأخرى أنه لم يكن يفكر إطلاقًا فى العودة إلى إيران، فيكتب هو نفسه: "بسبب عداوة مسئولى الحكومة وخصومتهم لى وضيقى وشكوتى من زملائى وأصحابى الذين كانوا فى حضرة السلطنة والذين لم يذكرونى أبدًا بعد طردى وإخراجى، ولم يراعوا حق الصداقة والأخوة، فإننى منذ بداية وصولى إلى هراة كرهت إيران والشعب الإيرانى وكرهت بشدة العودة إلى تلك المملكة حتى أننى كلما فكرت وجدت الاتجاهات الثلاثة المتجهة إلى إيران مغلقة ومسدودة بجدار حديدى ونارى، والاتجاه المؤدى إلى أرض المشرق مفتوحًا، ولذلك فقد سافرت إلى بلخ وعند العودة عشت فى هراة ظنًا منى بأنه يمكن اختيار زاوية العزلة والوحدة فى تلك المملكة فى ثوب الفقر والزهد..."[1] ومع ذلك فإن وساطة الإنجليز أو حب الوالدين قد جذبه نحو إيران فقدم من هراة إلى خراسان ومنها إلى طهران، لكن نظرًا لأن مسئولى الحكومة قد ظلوا على حقدهم وعداوتهم له ورفضهم لبقائه فى طهران فإنه لم يمكث هناك طويلاً، وذهب إلى كاشان عند والديه وخلال أربعة وعشرين عامًا أنفق فى صحراء بادرود نطنز بعض المبالغ وتحمل المشقة والعناء، وفى تلك الصحراء التى "كانت مسكن الغيلان ومكمن الأرانب ومأوى الثعالب" أعد جنة باسم "عشق آباد"

---

(١) درج درر ، ص١٧١ وعدة مواضع أخرى.

وبنى فيها المدرسة والميدان والعمارة، وهناك اختار العزلة والوحدة[1].

وذات مرة قام الأمير المحب للشعر سلطان مراد ميرزا حسام السلطنة والذى كان يعرف صفات الشيبانى وفضائله أكثر من كل عظماء العصر ورأى منه مواهب وخدمات فى فتح غوريان وهراة ولاحظ فيه التواضع الشديد عندما دخل مزارعه ومنازله فى أثناء أسفاره إلى فارس وأصفهان، قام هذا الأمير فى عام ١٢٩٩هـ.ق عندما كان مسافرًا إلى ولاية خراسان وسيستان بدعوته إلى موكبه وسلمه زمام أمور مدينة مشهد؛ فقام بضبط شئون تلك المنطقة التى كانت مضطربة وغارقة فى الفتن نتيجة المجاعة والغلاء السارى وسوء تصرف الولاة، ومع ذلك فإنه استقال من ذلك المنصب بعد فترة وعاد إلى عزلته، وقد ذكر هذه المهمة كالتالى فى إحدى القصائد:

– كيف يمكن لشخص اقترب عمره من الستين أن يسعد بالشغل والعمل؟

– لقد أعطانى الملك وأنا فى الخامسة والأربعين العمل فى طوس وكان كمصباح العظمة والإجلال

– والله يعلم وذلك الشخص النائم فى طوس أن قلبى ذاق ألوانًا من الضيق والتعب من ذلك العمل

– وكأن شيئًا كان يهمس فى أذنى ويقول لى دائمًا انظر ماذا رأى طوس من

---

(١) كان أبو نصر يتباهى بأملاكه المعمورة هذه وينظم الأشعار فى وصفها، فمثلاً قال:

سافرت وتجولت فى كل مكان ... ولم أر مكانًا مثل جنتى عشق آباد

كانت صحراء ومنطقة مملوءة بالأشواك ولكننى ... زرعت فى كل شوكة منها زهرة بمائة لون

طوس وزال من زابلستان!

- حاول بسرعة أن تعود إلى البيت فإن ركن الفقر أحسن من الكنز وأفضل من مال الرمال

إلا أن هذه العزلة والراحة لم تدم طويلاً فقد ثارت عليه جماعة من أشرار بنى خالد بتحريض المفسدين وهدموا عشق آباد ودمروها؛ فحضر الشيبانى إلى طهران للشكوى والتظلم ووصل إلى رئيس الوزراء ميرزا على أصغر خان أمين السلطان والأعيان الإيرانيين الآخرين مثل ميرزا على خان أمين الدولة وميرزا يوسف خان مستوفى الممالك وحكيم الملك ومظفر الدين ميرزا ولى العهد، وقام بتأليف الكتب بأسمائهم وذكر أسمائهم جميعًا بالمدح والإشادة، وكان الكل فيما يبدو يتفق معه ويشاطره الأحزان، فمرت عرائضه وقصائده على نظر الملك وسمح له هو نفسه بالحضور والمقابلة وقد لقى العناية والعطف وصدر فرمان التحقيق فى تظلمه ورفع الظلم عنه ومع ذلك فإنه لم يخرج "من هذه المساعى والتضرعات إلا بحزن القلب واضطراب الخاطر وهتك الحرمة وانكسار العزة"، فقد راحت العدالة الاجتماعية فى سبات عميق، و"القوم الذين اقتصرت عليهم إدارة شئون المُلك، وكانت يدهم مطلقة فى حل وعقد الأمور، كانوا مشغولين بأنفسهم وكارهين لحديث أهل العلم ونافرين من مصاحبة أهل الفضل"(١).

ولم تستطع الشكوى والصرخة التى ظلت تنطلق من حلق الشيبانى، أن توقظ المسئولين الإيرانيين

- لم يتحقق فتح ولا ظفر من "الفتح والظفر" لم أضع فى جيبى جوهرًا من

---

(١) درج درر، ص ١٧٥.

"كنز الجواهر

- ليس لي رغبة ولا هوى في "كامرانية" لم أحصل على شيء في الرى من "درج اللآلئ"

وهاتان القصيدتان هما أيضًا تذكار لهذه الفترة:

- إن الدنيا قد سحقتني بطاحونة الألم والتعب كنت عزيزًا فأذلتني سريعًا

- لم أر فائدة من المدينة ولا من الصاحب ولا من البيت لم أجد نفعًا من بلاط الملك

- لم يعطني العلم أي جيش أو راية لم يكسني الشعر بالسرابيل[1] أو الشعار[2]

- وسقطت في هذه الصحراء وقلت إنني سأستريح من الهم ولا شأن لي بالناس

- خاصة أنه لم يكن هناك على الأقل أي قيل وقال فالسماء هي سقف بيتي والجبل هو الجدار

- وفي اعتقادي أنه لولا أن شملني ملك العالم بعدله وحفظني من شرور الدنيا

- لكنت أرى الآن أحقر لئام الدنيا وهو يوخزني في جنبي بالشوكة الجارحة

....

(١) سرابيل جمع سربال وهو القميص أو الثوب.

(٢) شعار: الثوب الداخلي.

- لماذا يعادينى الزمان هكذا؟ إن الحزن يسقط من السماء كالمطر والمحن تنمو من الأرض

- مَنْ أنا نفسى، وماذا أملك حتى يعادينى هذا الفلك اللص

ويجلس ويتربص بى ليلاً ونهارًا؟

- إن قلبى كان أسير الحزن بعيدًا عن العاصمة وهنا فى العاصمة القلب أسير الحزن أيضًا

- لا الملك يسألنى ولا أمراؤه ولا رؤساء الحكومة ولا حماة الدين

- لماذا هذا الشيخ الذى انسلخ تمامًا من الدنيا لماذا مزقت الكلاب فروته بهذا الشكل!؟

- ذلك الذى انصرف عن الناس لماذا لا يتركه الناس فى حاله!؟

- وهذه الأمور لا يذكرها أحد للملك وإلا فإن الملك

هو الدهاك(١) مثير فتنة فريدون ابن آتبين....

وعاد الشيبانى إلى مقره وتنازل عن ملكية عشق آباد التى كان قد أنفق فى بنائها عشرين ألف تومان من الذهب وعشرين سنة من عمره وسلّمها للمدَّعين (كلاب بنى خالد على حد قوله) وفوّض أمره إلى الله القادر المنتقم.

وكان من نتيجة كل هذه الشدة والمرارة فى الحياة أن يأس الشاعر تمامًا من العدالة الإنسانية، وداس على الدنيا بمالها ونعيمها، وعاش ما تبقى من حياته منبوذًا ومهجورًا وساخطًا.

---

(١) الدهاك هو نفسه الضحاك.

وفى آخر أيامه بنى فى طهران منزلاً وخانقاه فـــى الجانـــب الغربـــى للمدينة قرب بوابة قزوين وخصص هناك مكانًا لمدفنه، وقد قرأ علـــى أجـــد أصدقائه هاتين الرباعيتين فى اليوم الذى كان ينشئ فيه ذلك البناء والقبر:

–وضعت هذا القبر أمام عينى لكى أتعظ منه وآخذ العبرة من الراحلين

– فمن كل هذا القصر والنعيم والمال فى الدنيا هذا فقط لى والباقى للآخرين

– يا من أنت ممشوق القوام ومتورد الوجه وسوف تأتى وتضع قدمك على هذا القبر

– احذر من الذى ينام تحت قدمك فله شأن مع قدمك وشفتك كلاهما

وما لبث أن توفى ليلة الاثنين، العشرين من رجب سنة ١٣٠٨ هـــ.ق بعـــد عمر دام سبعة وستين عامًا، ودفن فى هذا القبر نفسه.

ومن مؤلفات الشيبانى سيرته الذاتية بعنوان مقالات أبو نصر الشيبانى ومجموعة كبيرة من الأشعار من القصائد والغزليات والقطـــع والرباعيـــات والتى قد جُمعت فى مجموعات بعنوان "درج درر"، "فتح وظفر"[١]، "گـــنج گـــهر"،[٢] "مسعود نامه"،[٣] "تنـــگ شكر"، "زبدة الآثار"، "شرف الملـــوك"، "كامرانية"،[٤] "يوسفيه"،[٥] "خطاب فرخ"، "فواكه السحر"، "جواهر مخزون"، لآلى مكنون، نصائح منظومة، وقد طبعت منتخبات منها فى اسطنبول عـــام

(١) فى مدح مظفر الدين ميرزا ولى العهد.

(٢) كلاهما فى مدح السلطان مسعود ميرزا ظل السلطان.

(٣)كلاهما فى مدح السلطان مسعود ميرزا ظل السلطان.

(٤) فى مدح كامران ميرزا نائب السلطنة.

(٥) فى مدح ميرزا يوسف خان مستوفى الممالك.

٨- ١٣٠٩ بأمر ميرزا رضا معين الوزارة القنصل الإيرانى بتفليس (الأمير أرفع الدولة بعد ذلك) مع مقدمة لإسماعيل نصيرى القراچــه داغى، وعلـــى حد قول القراچــه داغى فقد قام بجمع هذه المنتخبات الشيبانى نفسه بناءً على طلب ميرزا رضا خان وأرسلها إلى تفليس فى آخر سنة ١٣٠٧ هـــ.ق(١).

ويعد الشيبانى من شعراء القرن الثالث عشر الفصحاء والبلغاء، ويتميز بموهبة عالية وفذة، وهو ينظم الشعر كأحد شــعراء الأســلوب الخراســانى المجيدين، والقصائد الكثيرة التى نظمها الشيبانى فى مراحل عمره المختلفــة فى مدح الملك والأمراء ورجال الدولة، لا تتميز فى نوعهــا علـــى أعمـــال الشعراء الآخرين إلا فى الصحة والمتانة والإحكام الشديد، أما الأشعار التى نظمها بلهجة النصح والوعظ أو فى موضع التباهى والافتخار والتـــى تـــدل على شدة يأسه وتشاؤمه من أوضاع الدولة وفساد حياة البلاط وحقارتها فإنها غير مسبوقة فى أدب ذلك العصر، ويلاحظ فيها التأثير المباشر للعلاقة مـــع أوروبا ويلاحظ فى هذه الأشعار التشاؤم والواقعية المفرطة التى راجت فـــى الأدب الأوروبى خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر، وعلى الـــرغم من أن التشاؤم ليس بصناعة مستوردة من الخارج بل كان عمر الخيام يدعو له فى القرن الثانى عشر، فإن أشعار الشيبانى ليس لها ذلك الطابع الخيـــالى الذى يتيمز به الخيام وأتباعه"(٢).

---

(١) الأمير أرفع الدولة دانش كان يعرف الشيبانى ويراسله وعلى حد قوله ألقاه الـــشيبانى فى طريق الشعر، وقد نظم الشيبانى قصيدة فى وصف تفليس ومدح أرفع الدولة يقول مطلعها:

إن علم الدنيا يخرج من تبريز وحسنها يخرج من بـــلاد الكـــرج   حبذا المدينة التى فيها الحسن والعلم توأمان

(٢)Levy. Persian Literature, London, 1923, p. 99 .

ونتقل هذه الأبيات من غزله:

- الروضة مضطربة والسرو والصنوبر مضطربان

الملك مضطرب والعرش والتاج مضطربان

- لعنة الله على العناد الذى قد أصبحت شئون بلاط الملك مضطربة بسببه

- يا حسرة على الملك الذى اضطرب من الداخل والخارج

الدخل مبعثر والخراج مضطرب

- إن الملك لا يرى أى حلم آمن لأن فراشه مبعثر واللحاف غير مرتب

- والراعى لا يرى أية فائدة من شحم وصوف أى قطيع اضطرب إنتاجه

- لابد وحتمًا من طبيب ماهر للملكة التى اضطربت حالتها الصحية

وقد كانت نبوءة الشيبانى فى محلها وبالفعل ما لبث أن سقط "التاج والعرش القاجارى المضطرب" ولم يكن أحد حتى عهد الشيبانى يصغى لمثل هذا الكلام فى إيران والظاهر أنه لم يكن من الممكن أن يطبع إلا خارج الدولة.

والشيبانى، مثل يغما أيضًا، لم يكن يرى طريقًا لخلاص بلاده الخربة المضطربة من ظلم واستبداد الحكام الطغاة، ولهذا السبب فإن أغلب أشعاره كئيبة ومؤلمة وتمتلئ كلها بالنفور والسخط والتشاؤم.

وهذه القصيدة التى على نفس نمط قصيدة" انظر إلى صراخ هذا الغرب وحسرته" لمنوتشهرى، تعد أفضل نماذج مثل هذا النوع من أشعار الشيبانى:

- آه من هذه الدنيا وطبعها القبيح فإن كل أرضها وأعمدتها من المحن والمصائب

- لا أحد يرى فائدة من كعبتها ولا يجد منفعة من كنيستها

- لا تأمل الاستقامة من هذه الدنيا فإنها قد جُبلت على الاعوجاج

- لقد أشعلت النار فى مزرعة عمرها فلم ينعم أحد بزرعها حتى الآن

- فهلا لا تحزن أبدًا عندما يمضى كل حزنها وفرحها وحسنها وقبحها

- لا تحمل همًا فى قلبك من نارها ولا تفرح أبدًا بجنتها

- البس كل ما أحضرته عندك من الحرير والصوف فإنه من صنع يدها

- وإذا كان هناك ثمة حزن فى قلبك فاذهب ودعه مراعاة لخاطر ملكها حسن الطبع

وواضح أن البيت الأخير لا يتفق مع الأبيات السابقة وفيما يبدو أنه قد أضيف إليها حتى يمكن عرض القصيدة على الملك.

وكما رأينا فقد سلك يغما فى آخر الأمر من شدة اليأس طريق التصوف والعرفان، لكن الشيبانى لم يذهب هو الآخر إلى هذا الطريق، فزهد الشيبانى ولبسه للخرقة وشروده من نوع آخر، فمع كل هذا التدين لا تسليه الحياة الأخروية، ولا يرى فائدة أو منفعة من الكعبة والكنيسة، فهو ليس منقبضًا من النار ولا سعيدًا بالجنة وكأن سقف وأعمدة قصر الأفكار السابقة قد انهارت ولم يوضع أساس جديد بعد فوق أنقاضها.

وتعرض أشعار الشيبانى أعظم كـوارث الـروح البـشرية المكتئبـة المتألمة، وندرك جيدًا من قراءتها كيف كان وضـع الفـضلاء والأحـرار الإيرانيين على أعتاب التحولات الاجتماعية الجديدة.

والشيبانى ويغما كلاهما متمردان ومعترضان، ولكن قطع كل منهمـا طريقه الخاص ورفع صرخة احتجاجه بلهجة خاصة، والملفـت للنظـر أن صرخة الرفض والاستنكار هذه فى مثل هذا المحيط المظلم المخيـف، فـى الجرأة والصراحة، ليست أقل من لهجة الاحتجاج التى انطلقت مثلاً من حلق ملك الشعراء بهار فى عصر اليقظة والحرية.

وفيما يلى نماذج من أنواع شعر الشيبانى:

الخريف:

- من أزال هذه النقوش والرسومات من الأراضى الجبلية

حتى صارت هذه الاراضى الجبلية الآن كالفضة غير المنقوشة

....

- لقد هجمت رياح مهر[1] وشنت غارة

على تلك الأحجبة والأقنعة الزرقاء والحمراء

- وصارت كل جوانب البستان بلا لون أو رائحة

وتطهرت كل مزارع شقائق النعمان من الشقائق

---

(١) مهر: يقابل سبتمبر وأكتوبر (المترجم).

- وطيور القطا الجبلية خوفًا من الثلج والرياح اختبأت في الكهوف والمغارات المظلمة

- انظر إلى رياح الخريف كيف أزالت من البستان

تلك النقوش الجميلة والرسومات البديعة

- من الصعب ألا يشعل القلب النار في العالم في تلك اللحظة

التي تسقط فيها ورود الحديقة وأزهار الربيع المتفتحة هذه

- وتذهب في مهب رياح الخريف هي وتلك الأساور الذهبية وتلك الأقراط!

- انظر إلى ذلك الريحان كيف ارتعد خوفًا من الرياح كطرة الحسناوات المسكية

- وتهيأت طيور الحديقة للرحيل سربًا سربًا

حتى هجمت رياح مهر كالفرسان من كل جانب

- ولم يقطع الطريق إلى الحديقة سوى الغراب

حتى امتلأت جميع الممرات بالثلوج

....

- اليوم يجب إشعال البخور في البرهمي فإن الأبخرة

قد خرجت من السحاب من كل جانب

العدل:

- إن عادل السماء الذى أنعم على الإنسان بنعمة العدل

قد منحه العدل لكى يتحرر أهل الأرض من الظلم

- فإذا لم ينشر عادل الأرض العدل بين الناس

فإن عادل السماء سوف يسلب منه نعمة العدل

- فإنه قد أعطاك العدل لكى تنشره أنت   فإن لم تنشره فإنه سينزعه منك

- استمع اليوم لصرخة المظلوم حتى   لا تضطر للصـــراخ فى الغــد

- انشر العدل واعدل فإن العادل الأول   قد بعث هذه الكوكبة من الأنبياء بالعدل

- كـــل مـــا بناه الأنبياء فى الدنيا   أساسه وأعمدته من ماء وطين العدل

- وإذا كانت البلاد قد عمرت فإنها قد عمرت

بالعدل لأنه كيف تُعمَّر الدنيا بدون ماء العدل؟

- وإن كان لابد أن تتعظ من الظلم والعدل

فانهض وتوجه إلى بابل والمدائن وبغداد

- وانظر إلى قصور الملوك الراحلين العظيمة

منها ما كان من القرميد الخام ومنها ما كان من الفولاذ

- فما كان بناؤه بالعدل ظل قائمًا   وما بُنى بالظلم سقط وتهدَّم كله!....

....

- لو أنهم لم يأذنوا لى بدخول بلاط الملك لو لم يكن لى مشترى فـــى هــذا المُلك

- لو أن هؤلاء الذين هم عند الملك أعزاء كالورد

يريدوننى جميعًا أكثر إذلالاً من الشوكة

- لو أن الله يريد ألا يكون لى عمل سوى البكاء ليلاً ونهارًا فى حضرته

- فأنا والتسليم والرضا حتى أرى ماذا ستفعل يد القدر؟

هل ستأخذنى إلى البلاط أم إلى المشنقة؟

....

- لقد سأمت هذه الحياة ما أحلى الموت وراحة الخلود!

- إن العاقل هو من رافق الحُمر فى الإصطبل

قل للروح اشتر الموت ما استطعت

- هل يليق أن تقف فترة على كل باب كالكلب الحارس

فلربما تأخذ ذات يوم عظمة؟

- يجب عليك أن تتبع الرجال الأسود ولا تلهث خلف الحراسة كالكلاب

- اعتد على خبز الشعير وخط الحدود فإن

مثل هذه الحراسة لا تساوى حبة شعير واحدة

....

- ماذا ستقول لى، أتقول إن اللسان ليس معبرًا؟

أو أن القلب والكبد والساعد ليسوا أقوياء؟

- أتقول إنه لا فن ولا فضل ولا علم ولا حماسة

لا قلم ولا سيف، ولا موهبة مزينة للعالم؟

- لقد صار معلومًا من دجلة إلى شاطئ ميرمند

أن حظ الرجل الفنان ليس عاليًا

- إننى راحل الآن إلى العراق ولن أقول إلا أن حدود كرمان

بحر وليست واديًا أو صحراء

-"إننى ذهبت إلى البحر وغطست فيه فلم أجد اللؤلؤ

وهذا ذنب حظى وليس ذنب البحر!"

....

- إننى كثيرًا ما وضعت يدى على السيف وسحبته ولم ينافسنى أحد فى القتال

- وفى لهو الصيد أبحث عن صيد الأسد الذكر

كما يبحث الأسد الذكر عن صيد الغزال

- لو يشقوا جنبى فى المعركة سيخرج من جنبى مائة رجل مقاتل

- لكن لا فائدة من وراء شجاعتى فأنا والإقبال فى طريقين مختلفين

- لا غنى عن الإقبال والحظ، فما فائدة الفضل والموهبة

إما يكون الحظ أو أكون كلى عيوب

- أكثر من مائة أسد فى درعى ولكن

ما دام الحظ غائبًا فأنا فى نظر الناس مفتضح

....

- إن الملك هو عين مياه عذبة وسائغة

فوق قمة جبل عتيد وضخم مثل الوند

- والطريق إلى هذا الجبل وعر ومحفوف بالمخاطر

وينام حول العين عدد من الأسود

- والرجل العاقل لا يذهب بقدمه إلى مثل هذا الجبل وتلك العين

ولا يحوم حولهما قدر المستطاع

- إننى أرى غابة جميلة وفى كل ركن من أركانها

الأسود نائمة والثعالب فى كر وفر

- وأسد عجوز يحرك ذيله من حين لآخر

ولكن لا أحد يهتم بحركته هذه

- ما أصعب اليوم الذى يظهر فيه طائر فى أى مكان فى هذه الغابة

فإن هذه الثعالب المفترسة تختطفه وتمزقه وتلتهمه!.....

الفصل الثانى : كتَّاب النثر

١- بدايع نـــگار

هو ميرزا محمد ابراهيم نواب الطهرانى ابن آقا محمد مهدى نـــواب والذى أدرك عصرى محمد شاه وناصر الدين شاه، وكـــان مـــن الأعيـــان والكتّاب الحكوميين، وقد قضى فترة ككاتب بمكتب وزارة الخارجية، وتوفى بطهران فى منتصف ربيع الأول سنة ١٢٩٩ هـــ.ق ويعتبـــر نـــواب مـــن مؤرخى وكُتَّاب العصر القاجـــارى المشهورين ومؤلـــف حادثـــة كـــربلاء المعروفة بـــ "فيض الدموع" وكتاب فى التاريخ بعنوان "عقد اللآلى".

ومن أفضل كتاباته ترجمة رسالة أمير المؤمنين سيدنا علـــى لمالـــك الأشتر النخعى التى طُبعت فى طهران بمقدمة جميلة فى أول كتاب مخـــزن الإنشاء بخط ميرزا رضا كلهر أستاذ الخط الكبير لذلك العصر.

وقد ترك نواب رسالة أخـــرى بعنـــوان" عبـــرة للنـــاظرين وعبـــرة للحاضرين"[١] والتى كُتبت بمنتهى المهارة والجمال، وقد صور فيها بـــشكل جيد وقائع عام الجفاف ١٢٨٨ هـــ.ق ونتائجها التى انتهت باعتلاء ميـــرزا حسين خان مشير الدولة الســـپهسالار كرسى الوزارة، وانتقد بشدة أعمـــال وأفعال هذا الشخص.

---

(١) النسخة الأصلية بخط ميرزا كلهر متعلقة بحسين نواب.

ونعرض فيما يلي جزءًا من مقدمة ترجمة رسالة سيدنا علي وفقرات من الرسالة الأخيرة التي توضح هي الأخرى وضع الشعب المؤسف وطريقة عمل وتفكير الشاه ورجال المملكة في ذلك العصر، وتبين أسلوب إنشاء الكاتب وطريقة تفكيره:

مع أن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام لم تطل فترة خلافته على الرغم من كل هذه الرفعة ومكارم الأخلاق، وسرعان ما اضطرب العالم من حوله وبدأت السماء في معاندته، وخاصمه كل أصحابه وأتباعه الذين كانوا يظنون أنفسهم جنود الله سبحانه، ونال في النهاية درجة الشهادة الرفيعة على يد هؤلاء الأنجاس الظلمة والجاحدين الغدارين، وفاز بلقاء الحق سبحانه وتعالى ومشاهدة الأبرار، إلا أن الأذكياء يعلمون أن الدنيا مهما طالت فإنها زائلة، ولن يخلّد فيها أحد ولابد أن يتجرع الجميع كأس المنية، ولكن من كانت سمعته طيبة في الدنيا ويذكر اسمه بالخير وتُرسل إليه التحيات ويجد الثناء من الناس من الممكن أن يكون دائم الوجود بلا شك ويمكن تسميته بصاحب الذكرى الخالدة، واليوم وبعد مرور ما يزيد على ألف ومائة وبضع وثلاثين عامًا مازال عظماء كل ملة وعقلاء كل أمة يمدحون هذا العظيم وينعتونه بالشريف ويضربون به المثل في الحشمة والوقار، فالبعض يسميه الإمام والبعض الآخر يعتبره الإله، وهذه المكانة يمكن أن تكون نتيجة ذاته المقدسة وثوبه الطاهر وخُلقه الكريم وطبعه الرحيم وصفاته الربانية.

فقرات من رسالة عبرة للناظرين: (١)

وهكذا لم يمض يوم أو يومان حتى أمروا بعزله وإقالته، فذهب إلـــى بيته الخاص برضا واشتياق ووُزعت مهام بلاط السلطنة على عدد من أولياء النعمة وأصحاب الدولة فألقت هذه الجماعة تدبير معاش الخلق وتهيئة راحة القوم وراء ظهورهم فى مثل هذا الغلاء الهائل والـــبلاء النـــازل وتفرغـــوا للاشتباك فيما بينهم وأطلق كل منهم على الآخر لسان الطعن والتوبيخ ونظر كل منهم لمكانة وجاه الآخر بعين الطمع... ولهذا السبب انفرط عقد العمـــل والنظام وبشؤم خلافاتهم أيضًا لم تسقط السماء مطر الفضل علـــى الأرض، وسرعان ما تطايرت شرارة البلاء وعلت نيران القحط والغـــلاء وصـــدرت صرخة الاستغاثة من الرجال والنساء، ووصلت صيحة "الخبز، الخبز" إلـــى عنان السماء واضطرب عامة الناس وحدثت فتنة عظيمة.

وفى النهاية ونتيجة التقدير الإلهى سبحانه والفراسة الملكية التى لم تكن سوى إكسير الرؤية وكأس الإبداع، ومشورة أرباب الدولة الملهمـــين الـــذين يتعلقون فى حبائل الوهم سُلمت الوزارة لقاعدة الشرك وأصل النفاق وبديهـــة الشر وطليعة الضلال سليل الخزى وأبو الفضائح والقبائح مشير الدولة ميرزا حسين خان القزوينى، خذله الله تعالى، ووضع زمام مهام الملك فى يده.

ففتح خزانة الدولة فى الحال وسلب منها مبالغ كبيرة، وقد تعاون معه الناس الأغنياء والسادة الأثرياء طوعًا أو كرهًا، وتقبل الأمر فقـــراء الحـــى ومشردو الأطراف... وكان الصدر الأجل نفسه يقف مرتين فـــى الأســـبوع بنفسه وحيدًا فريدًا فى ميدان فسيح وساحة واسعة، وكان عجائز وأرامل القوم

---

(١) نقلاً عن سياستـــگران دورۀ قاجار تأليف خان ملك ساسانى.

يصطفون أمام منصته وهم طليقو الوجه وشعث الشعر وينتظرون مقدمه غير المبارك، فكانوا يتزاحمون فيما بينهم ويتصارعون ويفتك كل منهم بـالآخر، وكان البعض تطأهم الأقدام أحياناً ويلقون مصرعهم ... وقد أمر ببناء البيوت والمنازل للمشردين والمساكين، وأنشأ لجنة خاصة لكى تتعهد بأحوال هؤلاء المساكين من اليهود والمجوس والروم والروس وسماها "لجنة الإغاثة"، وفرض على أثرياء البلاد ورجال البلاط أكثر من خمسين ألف دينار فضة وذهب وطعام وثياب لسد نفقات هؤلاء واحتياجاتهم من الثياب، وقد بالغ كثيرًا فى المطالبة بخفض الأسعار وزيادة الغلال وتوفير الحبوب. وكتب تقارير حول هذا المعنى وأُرسلت النشرات إلى أطراف الممالك ودار الحديث فيها عن الظلم والشائعات، كما قام بشرح إفاضاته ومبراته الباطلة.... وفى تصورى أن هذا كله ما كان يجب أن يحدث فى ظل عنفوان الحكم والسعادة بمنصب الوزارة، ففى وقت كهذا عمَّ الفقر الشديد كل أنحاء البلاد وأضحى أثرياء الدولة فى الحضيض، فإن وضع مائدة العطاء وفتح يد السخاء وتوجيه الدعوة العامة لعالم الفقر وإيفاد المخبرين السريين إلى أطراف العالم وإلى الأقطار والأمصار وإرسال النشرات والإعلانات، سيؤدى حتمًا إلى تزاحم وفود الأطراف وتجمع طوائف الخلق وتعطل أعمال وأشغال الولايات وفساد حال الصناعات والزراعات...

وهكذا لمَّا علم فقراء الأطراف وأهل البادية والقرويون بالجود الشائع والبر المستفيض وسمعوا قليلاً عن رخص الغلال وكثرة الحبوب فى هذه الحدود، تركوا بيوتهم وأمتعتهم وتوجهوا إلى بيت الخلافة، وما أكثر النفوس الدنيئة التى ظهرت فى ثوب الفقراء على الرغم من ثرائها وعدم حاجتها وانضمت إلى هؤلاء، وقد زاد من سوء الأوضاع دخول فصل الشتاء فقد

كان شتاءً قارصًا وبردًا شديدًا تجمدت فيه العظام واحتبست فيه الأنفاس وسقطت الثلوج الكثيفة والأمطار الغزيرة وطُمست معالم الطرق وأغلقت طرق ذهاب وإياب القوافل وقد هلك غالبية المساكين والشحاذين فى الطرق الأصلية والفرعية نتيجة شدة البرد وقوة الرياح..... وأكل الناس بعضهم البعض فكانوا يتغذون على لحوم الأموات وجيفة الحيوانات، ووصل الأمر لدرجة أن حوالى مائة نفس محترمة قد هلكت فى دار الخلافة ودفنت تحت التراب وظلت مدفونة فى الخرابات دون أن يغسّلها أو يقوم بتجهيزيها وتكفينها أحد...

وقد ظلت هذه الواقعة العظمى والكارثة الكبرى تلقى بظلالها على كل شعب إيران لفترة طويلة حتى أقبلت طليعة فصل الربيع عام ١٢٨٩ وهبّ النسيم النيروزى ورفع السحاب الآذارى الحجاب وبسطت يد فروردين البساط الزمردى (الأخضر) على الأرض، وتفتح وجه الطبيعة، ومسح نسيم الربيع المسك التتارى والعود القمارى على حافة الأنهار والجداول واستقام السرو الممشوق وانحنى له الصفصاف الولهان احترامًا له، وعرضت الزهور المتنوعة الجمال الأخاذ وغردت الطيور أعذب الألحان فوق الفروع والأغصان على نغمات الناى والبربط والعود، فقد أقبل عصر أعز وربيع مجلل، والحمد والشكر لله فقد ولّى عهد تلك المحنة وتجمعت الخواطر المشتتة وعادت القلوب المنخلعة إلى مكانها مرة ثانية!...

لكن حتى الآن لم تُذكر النقطة المطلوبة ولم يتضح الشاهد من الموضوع. نعم إنهم لم يعطوا لأحد حرية الاختيار، ولم يغلبوا أحدًا على مراده وإذا نظرت إلى ما يسير وفقًا لمراده فى الظاهر فإنك لن تجد أحدًا فى الحقيقة...

ولمَّا هدأ قليلاً هذا الغلاء المهلك والوباء المميت، ظهرت في جميع القرى والبلدان بل في كل الممالك الإيرانية الأعراض المختلفة والأمراض المتنوعة بحكم "لكل قحط وباء"... ولم يكن هناك منزل إلا وفيه بكاء ونواح، ولا بيت إلا وخرجت منه حكاية غريبة.. ولمَّا خمدت قليلاً زلازل الجفاف ونوازل المحن وهدأت حدة ذلك الوباء الشنيع والبلاء المريع، اعتبر كل هذا الفيض والفضل والكرم الذى تفضل به الحق جل وعلا بسعة رحمته ومزيد كرامته على عباده المذنبين المفسدين، اعتبرها بفضل نماء عهد وزارته وبركة عصر صدارته، ورأى جواد الفلك الحرون طوع أمره، فعقد الاجتماعات وتصاحب على عدد من خواص الحضرة وبطائن السلطنة ووجهاء العسكر وخدعهم بالأقاويل الكاذبة والعهود الزائفة، وبادر أيضًا بقطع أرزاق العسكر ورواتب الخدم وأموال الطوائف ومنع رواتب وأجور موظفى الدولة وخادمى الحضرة بشكل أو بآخر، ولم يقنع بهذا ، فكل من مات – وما أكثرهم– لم يُصرف له كفن أو معاش وألغى أجره وراتبه، وقال: "كل من مات مات معه راتبه!؟ ولم يفكر قط فى أن هذا الشخص من الممكن أن يكون تاركًا خلفه مجموعة من العجائز والأرامل، أو يكون له أطفال صغار وأولاد عاجزون يحتاجون إلى راتبه لسد احتياجات العيش، ومادام هذا الشخص قد مات وأهله مساكين وعاجزون فإن حاجتهم وحل مشكلتهم بالتأكيد فى ذمة الحكومة، وكان يجب على زعيم الدولة وعظيم المملكة أن يوفر لأولاد وأحفاد خادمى الدولة وعاملى الحضرة مزيد العناية وجزيل الرعاية ويفوض من يهتم بشئونهم ويتابع أحوالهم...

ومن هنا انصرفت قلوب عامة الناس عن هذا الملك ولم يعد رجال الحكومة يثقون فى سلطانه وسقطت حشمة تاج وعرش هذا الملك من الأنظار

ونفر الجميع من مسألة الخدمة والدعوى لتأييد السلطنة، وخافوا على حياتهم ومماتهم، إذن فماذا ينتظر من هذا الرأى الباطل وماذا يُرجى من سوء العشرة!....

... وكان يقيم حفلاً يستمر أربع ليالٍ فى كل شهر ويُسمى ذلك الحفل "السواريه"، وكان يُدعى إلى ذلك الحفل طبقات الشعب من المسلم والمشرك، وكان حفلاً أبهة، فالوسائد مبسوطة والمناضد مرصوصة، وكان يتعين على الحاضرين فى هذا التجمع أن يتصرفوا على الطريقة الأوروبية فى الدخول والخروج والقيام والقعود، وكان يجب الجلوس بدون غطاء رأس، وكان لابد من الحذاء البوت، وكل الحاضرين فى هذا الحفل أحرار تمامًا فى طريقة الجلوس أو النوم أو النهوض وهم آمنون من اعتداء أىّ شخص آخر وأحرار فى شرب الخمر ولعب القمار، وقد سمعتُ أن ملك العالم كان قد ذم القمار ولا أظنه صادقًا إذ لو كان صادقًا لكان من الأولى أن يذم شرب الخمر بل إن مثل هذا الحفل يستحق الذم أكثر من الخمر والقمار....

وهو ما زال فى عنفوان عصره وبداية أيام قدرته وسلطته، والله وحده يعلم ماذا سيصيب الخلق فى عهده من مظاهر الخلل وماذا سيعانى الدين والدولة من عوامل الزلل!

وبعد، فقد تم فى هذه الرسالة توضيح بعض صلاحياته القبيحة وتدابيره العقيمة.. ويعلم الله أنه مازال هناك الكثير من مساوئ ومفاسد هذا الشؤم القذر والذى باسم الحسين وبطبع يزيد وأنه لم يُذكر عنه إلا قليل من كثير وحفنة من جوال.

٢- مجد الملك:

هو الحاج ميرزا محمد خان سينكى الملقب بمجد الملك ابن أخت ميرزا آقا اعتماد الدولة نورى رئيس وزراء إيران، ووالد ميرزا على خان أمين الدولة، كان فى بداية سلطنة ناصر الدين شاه مساعد والدة محمد شاه وقد سافر معها إلى الحج ثم ترقى بعد ذلك فى الوظائف الحكومية المختلفة وتولى الوزارة.

وعمل فى عام ١٢٦٨ هـ.ق سفيرًا لحاجى طرخان ثم النائب الأول لوزارة الخارجية عام ١٢٦٩ هـ.ق ولُقب بسكرتير الشئون الخارجية، وفى عام ١٢٧٥ هـ.ق أوفد إلى الأراضى العثمانية لتسوية الاتفاقيات التى أُبرمت بين الحكومتين الإيرانية والعثمانية وقام ضمنًا بتنظيم شئون الرعايا الإيرانيين فى العراق، وفى عام ١٢٧٩ هـ.ق عُين وزيرًا للأشغال والأوقاف وتم استدعائه إلى طهران فى عام ١٢٨٢ هـ.ق، وفى عام ١٢٧٤ هـ.ق عندما توجه ناصر الدين شاه إلى خراسان كان ضمن مرافقيه، وفى عام ١٢٨٦ هـ.ق عُين مديرًا للعتبة الرضوية المقدسة ولقب بمجد الملك ثم فوضت إليه شئون التجارة بالممالك المحروسة فى عام ١٢٨٨ هـ.ق، واختير فى العام نفسه كأحد وزراء دار الشورى، وفى عام ١٢٩٠ هـ.ق عُين مرة أخرى وزيرًا للأشغال والأوقاف وظل فى هذا المنصب حتى توفى (١١ ذى الحجة سنة ١٢٩٨ هـ.ق)[١].

ويعد سينكى من كتَّاب وخطاطى العصر القاجارى، ومن أعماله كتاب "كشف الغرايب" أو كما هو مشهور "الرسالة المجدية".

---

(١) ولد فيما يبدو سنة ١٢٢٤ هـ.ق لأنه عند موته كان فى الرابعة والسبعين.

وقد كُتبت هذه الرسالة على حد قول المؤلف نفسه[1] سنة ١٢٨٧ هـ.ق وتوجد منها نسخ عديدة فى أيدى الناس [2]، ونثرها سلس وعذب وهى مهمة جدًا من الناحية التاريخية لتعريف العصر الذى كُتبت فيه، وقد ذكرت فى هذا الكتاب إشارات عديدة للوزراء ورجال البلاط فى ذلك الوقت.

- وفيما يلى ملخص للرسالة المجدية:

لقد أوقع عدد من الصيادين المتوحشين صائدى الملوك قلب الملك[3] فى شباك إرادتهم ورأيهم وتحكموا فيه لدرجة أنهم لم يسمحوا له بأن يتفرغ دقيقة واحدة لقطع الصحراء والجبال وقتل الحيوانات المسبحة، فهم يتوقعون أن شؤم هذا العمل الذى سيؤدى حتمًا إلى قطع النسل وتقصير العمر وسوء الحظ، سيظهر أثره جيدًا. شعر:

- إن قاطع الشجر قصير العمر ونصب شبكة الصيد يؤدى إلى الفقر

ولو بالفرض وصل إلى تراب القدم المبارك خبران فى وقت واحد بالصدفة أحدهما إعداد أدوات وأسلحة الصيد والآخر الحصول على امتياز كبير فإنه بناءً على استشارة هؤلاء الصيادين، العناية تكون للخبر الأول ولا تكون للثانى.

---

(١) ص ٦٦ من طبعة طهران، شهر يور ١٣٢١ ش [أغسطس وسبتمبر ١٩٤٢م].

(٢) نسخة لشته نشاء جيلان، بخط درويش يوسف، بتاريخ الخميس ١٥ محرم ١٣٢٠، ونسخة بخط على بن عبد الرسول بتاريخ السبت ٢٧ رجب ١٣١٧ ، وهذا الكتاب طبعه الأستاذ سعيد نفيسى سنة ١٣٢١ ش [٢- ١٩٤٣].

(٣) المقصود ناصر الدين شاه.

وعيوب الأعمال التى تتعارض مع مصلحة المُلك وذوق الجمهور، تغيب عن عين الملك بكتمان وإغماض هؤلاء الأشخاص، والأحداث ذات الأضرار البديهية تحدث نتيجة الإطراء عليها من باب ارتكاب الخطأ والاستسهال.

لقد جعلوا الملك ينفر من مركز السلطنة ومقر حل وعقد أمور الدولة لدرجة الشوق والحماس عند تحرك الموكب المبارك والبطء والتكاسل عند العودة، ربما أن هؤلاء الصيادين هم ولصوص الأموال الإيرانية الذين يرغبون فى إفلاس الدولة، لديهم رغبة داخلية أو عهد فيما بينهم بأنهم كلما وجدوا أن استراحة الملك فى مركز السلطنة قد طالت يحركوه بأستاذية إلى "دوشان تپه" شاء أم لم يشأ لصيد الغزلان كى تبدو أمور السلطنة والمُلك كالأرنب النائم الذى تفككت حظيرته...

ويجلس الحاكم العام[1] على الكرسى بالقبعة الليلية والفرو ويصرخ من بعيد:

أيها الشعب، ماذا تريدون منى؟ فإنكم لن تروا منى شيئًا سوى الأخذ السهل، والكبر الأجوف والاستغناء المزيف والاستعلاء الزائف، فإن لى مال من المرحوم والدى عند الشعب وسأجمعه تحت مسمى القرض الحسن[2] وأتحمل العناء، وفى هذه الأثناء يترقب الطريق ويرهف السمع علّه يريح خاطره الأنانى بسماع خبر مرض أحد أكابر الحكومة ممن لا ولد لهم ولا

---

(١) الصدر الأعظم رئيس الوزراء ميرزا يوسف مستوفى الممالك الأشتيانى.

(٢) كان أبو السيد يدعى حسن (ميرزا حسن، مستوفى ممالك عصر فتحعلى شاه).

وريث فيحصل على مبلغ من المال من أجر ورواتب ذلك المرحوم الذى لـــم يتأكد خبر موته بعد.

وحول كرسيه وقفت جماعة من المتملقين معسولى الكلام والبلطجيـــة حارقى العالم المعروفين بالوصولية مثل حاجى ســـعد الدولـــة[١] وأمثالـــه: وينسبون فوائد فقه طهماسب ميرزا مؤيد الدولة[٢]، وفتح فرهـــاد ميـــرزا، وفسق فيروز ميرزا والذين يعدون أعلام الحكومة الأفذاذ، لحُسن كفاءة أكفـــأ الكفاة، وهناك جماعة أيضًا من الكتبة المدربين قد جمعت حواســـها وســـنت أقلامها للحصول على رسوم لتحرير الأوامر بمنح المناصب وزيادة الرواتب ومنح النياشين والخلع فى مقابل خراب أذربايجان وكل كردســـتان وتـــشتيت الجيش الإيرانى، وتأخذ الرسوم وتحصل على أموالها فى كل قضية ســـواء كانت هذه القضية تنفع الدولة أو تضرها، ويغضب الملك على الرغم من كل هذا الصبر والتحمل ويظل حائرًا إذ كان هناك شخص ما قدَّم خدمات مـــاذا يجب العمل معه وأية عطية حكومية يجب منحها له؟ وعلى الرغم من هـــذا الغضب والتحير يضطر للسير خلف رأى الحاكم العام وأتباعه.

وكما سمعنا فإن اهتمام الملك موجه إلى رعاية الشعب والإقلاع عـــن الرذائل ونشر مبادئ البشرية والإنسانية والإعراض عن الأسباب التى تؤدى إلى البطالة وتضييع الوقت فيما ليس له منفعة إيجابية، فمثلاً يـــأمر بتقليـــل مراسم تهنئة الشعب للملك التى كانت على حد قول العوام من مظاهر عظمة

---

(١) اسم حاجى سعد الدولة كان هو قنبر على خان، وقنبرك بمعنى الجلوس فـــى حلقـــة (فرهنـــگ معين).

(٢) طهماسب ميرزا كتب كتابًا فى الفقه عُرف بالفقه المؤيدى.

سلطنة العجم، ويلغى مراسم الوقوف الطويلة هذه التى تسبب الحيرة وتؤدى إلى البطالة الصارخة.

أما هذا الشخص فبالرغم من سابقة الزهد والتواضع والتجول والتجرد واعتزال الدنيا فإنه يصر على إقامة مراسم هذه التهنئة العامة والسلام والقيام بلا قعود بصفة مستمرة فى حضرته وفى وقت أطول من وقت تهنئة الملك، وظهور هذه الأحوال ليس له تفسير إلا اعتراضه على ذوق ورغبة الملك مثلما ظهر هذا الاعتراض منه أيضًا فى إلغاء الألقاب.....

أما طبقات الشعب الإيرانى فإنها فى هذه الظروف السيئة التى تنبعث فيها رائحة الفقر والعجز من الرئاسة العامة، قد سقطت فى دوامة التفكير واتبعت كل طبقة عقيدة معينة...

وعجز كفاة الدين وهداة الحق واليقين، ونواب الأئمة والعلماء الأعلام الذين كان قيامهم على طريق الأنبياء وقوامهم لحماية الملة الغراء، عجزوا عن أداء الواجبات وإضاءة السراج وعرض المنهاج وأوجدوا وظيفة جديدة لعهدهم وفقًا لظروف العصر، وهم يعلمون كذلك أنهم إذا قالوا خيرًا لرفع الظلم والبدع الجديدة التى ستطول أضرارها الأمة والحكومة الإيرانية، وستجبر الناس على اختيار التوصيات والأوصياء على أموالهم وأولادهم، فإن القادر ذا الجلال سيعجز عن مساعدتهم. والأعذار التى ستبدو فى أعمالهم العلمية لن تقبل أى منها من قبل أهل التحقيق، وربما نستطيع أن نقول إن عوامل الكراهية والحسد ونار هاتين الصفتين المحرقة مازالت مشتعلة ومتوهجة بين أفراد هذه الطائفة وأنه قد حدث تفسخ فى معنى "إنما المؤمنون إخوة" بحيث يصل الإخوة فى الدين إلى هذه الدرجة من التنافر والشقاق..............................

أما الأحكام الوطنية والحكومية فقد فقدت قيمتها وما من حكم يكون فى يد أحد إلا وناسخه يكون فى يد المدَّعى (مصراع) وهذه المسألة تسرى على كؤوس الخمر الصباحية الثلاثة.

وهذا الخلاف هو نفسه سبب انقسام العلماء، فجعلهم فى ثلاث مراتب: المرتبة الأولى، منعتهم مقتضيات العلم والحلم والوقار أو حفظ الضياع والعقار من كافة الأمور، فألسنتهم داخل حلوقهم وذو الفقار على[1] فى الغمد (مصراع) أسد الشريعة فحسب ولا يهجم على أحد! وإذا لجأ مظلوم إلى مرجعيتهم وأراد حلاً فوريًا لمشكلته، بما أنهم يرون ثمرات وجودهم فى غاية الخطأ فإنهم يواسون المتظلم بالطبع بقدوم حضرة صاحب الأمر عليه السلام، وفوائد المرتبة الأولى هى بالفعل الخدع التى يستخدمها السيد الجمارانى[2] والملا الجهرمى فى المعاملات الشرعية للشعب (شعر):

– وكم من يد قبّلتها عن ضرورة وكان منائى قطعها لو أمكن[3]

والمرتبة الثانية كانت تمنعها بعض دواعى الاحتياط فقد خافوا من إضعاف لجام العوام خشية أن تحدث فتنة يعجزوا عن إخمادها، ولكنهم لا يمتنعون عن تشجيع العوام بسبب شدائد الظلم والبدع وأسباب شكوى وسخط جميع الناس، أما المرتبة الثالثة فقد قطعوا المنحنى التصاعدى بالقوة الجسمانية لا بروح العلم (شعر) :

– وعند الشيخ كُتب من أبيه مسطَّرة ولكن ما قرأها

(١) إشارة إلى حاجى ملا على كنى.
(٢) إشارة إلى السيد محمد باقر .
(٣) (پرتو أصفهانى).

وكل واحد سيطر على منبر ومحراب ويقوم بالمرافعة الشرعية دون إجازة فى العلم، والكتّاب والمحررون يجرون فى ركابهم ويكتبون كل ما يحكمون به وهم مستعدون لتنفيذ كل ما يريده المريدون، ومن كل مكان يعلو صوت كالسيل الذى يسقط من السحاب، فيسرعوا مع جيش الأصحاب ويطلقون صيحة وادينه واملتاه، والأحكام التى تصدر من المرتبة الثالثة تكون أكثر نفاذًا من أحكام المرتبتين الأولى والثانية لأنهم فى تنفيذ الحكم متضامنون دائمًا، أما أوباش البلد ورجال المدينة فإنهم ينوحون ويضربون الصدور حول هذا الطبل والعلم وهذه الملحمة وما ينتظره الأوباش والبلطجية من علماء هذه المرتبة لا ينتظرونه من علماء المرتبتين الأولى والثانية.

أما مذهب الشيخية الذى يعد من مستحدثات التشييع فقد أصبح فى هذه الأوقات علة مزمنة استشرت فى جسد إيران كله حكومة وشعبًا فمرضت قوى الأمة واعتلت صحة الدولة.

وانشغل زعماء الشعب ورؤساء الحكومة عن علاج هذه الآفة لكثرة مشاغلهم، الأمر الذى أدى إلى تحول ولاية عهد الدولة الإيرانية إلى شيخى مقتدر فى ظل التشجيع الداخلى والخارجى من جانب أقاربه لأمه والذين صاروا ذوا بأس وسيدفعه التعصب لهذا المذهب إلى فعل يخرج عن طاقة الحكومة والشعب، والحقيقة أنه من العار الشديد للحكومة أن تعين ولى عهد يرفضه الشعب.

إن ما يجرى فى إيران فى الوقت الحالى من عادات قد جعل طبائع وقلوب شعوب الأمم والدول الأجنبية تنفر من الأمة الإسلامية، فقد اعتقدوا أن الظلم والتعدى والزجر والتعذيب وإزهاق الأرواح وقمع الجماعة بذنب الفرد وإسقاط الناس من المكانة العالية إلى الحضيض وفضح العام والخاص وسلب

كافة الحقوق الشعبية والحكومية بالرشوة والهبة من أجل المصالح الشخصية، اعتقدوا أنها من مبادئ الأمة الإسلامية وعرَّفوا هذه الدولة حكومة وشعبًا بأنها دولة سفاحة ومتوحشة.

والحكم الإيرانى لا هو يشبه الشريعة الإسلامية ولا هو قريب من قانون ونظام الأمم والدول الأخرى.

ويجب أن نقول إنه حكم مختلط ومكون من عادات الفرس والأتراك والتتار والمغول والأفغان والروم وأنه عالم منفصل تحيط به الفوضى الشديدة، فكل عدة قرون يسيطر على إيران أحد ملوك هؤلاء الأقوام وترسخ فى إيران العادات المذمومة والمكروهة لكل قوم، وفى هذا العصر تطبق كل هذه العادات بشكل كامل، ولو يقول مطبقو هذه العادات: إن ظروفنا الحالية لا تقتضى إجراء هذه العادات التى تعد بالتأكيد أحسن القوانين ويمكن تداولها فى جميع العصور.

أما النعامات الإيرانية التى عادت من بطرسبورج ومن سائر الدول الأجنبية وتحملت الدولة الآلاف من أجل تعليمهم وتربيتهم فإن معلوماتهم قد انحصرت فى شيئين من العلوم الدبلوماسية وسائر العلوم التى كانوا مكلفين بدراستها وتعلمها وهما الاستخفاف بالشعب وتخطئة الحكومة، ففى بداية وصولهم لم يثبتوا على اتجاه معين إذ أنهم قد جاءوا من أوروبا فقاموا بالترفع عن عوامل السلب والطمع والبخل والحسد لدرجة أن كل الشعب وحتى الملك على الرغم من حسن الطبع والفراسة ظنوا خطأً أن الجو فى أوروبا يخرج العجائب من الماء وربما العيش هناك فى حد ذاته يعلِّم الكثير ويقلب الماهية.

وتارة تعبر هذه البراعم حديثة الظهور عن دهشتها من حظها بخطب التأسف والتحسر وتتساءل لماذا عادت بهذه السرعة من الولايات المنظمة إلى الممالك غير المنظمة؟ وتارة تتعجب من أحوال الملك وتتساءل إلى متى سيظل غافلاً عن تهيئة عوامل التنوير؟ ويستمر هذا التأسف والتعجب ما لم يعهد إليهم بأى أمر من أمور المُلك، وبمجرد أن صاروا من المسئولين يتصورون وهم فى غاية الثقة من أن قبح أعمالهم سيتوارى لفترة ببركة التجول فى بلاد أوروبا وأنه لا أحد ينوى كشف تزويرهم بهذه السرعة، يقومون بنشر الفساد والانحلال الأخلاقى، ويبالغون بشدة فى إهمال حقوق الناس وإشاعة مظاهر الانحلال الدينى، والتخلى عن الغيرة والمروءة وابتكار الأمور الضارة، ويتحلون بالطمع الشديد، ويقومون بتملق وممازحة الرؤساء والكبراء، ومسايرة طلباتهم، والتصديق على أفعالهم وأقوالهم، لدرجة أن الملك يندم على تكليفهم ويظل حائرًا بأى قانون يتعامل معهم.

– السمكة تشبه الثعبان وليس هناك

سمكة ولا ثعبان ماذا تفعل أيها المنافق، كن ثعبانًا أو حتى سمكة!

ومن أسباب نفور الملك وعدم راحته وهو يفكر فى تهيئة عوامل التربية والرعاية ظهور هؤلاء الشبان المشعوذين، فأقوالهم جميعًا قد بدت فى نظر الشاهنشاه بلا معنى، وليس مستبعد أن يقرر زيارة تلك البلاد بنفسه فى وقت ما عله يختار من حصيلته الفكرية المباركة ما يحقق الفائدة العامة للمملكة.

ومن بين الأسلحة المسلطة على رقاب الشعب الإيرانى والتى سُلِّمت لأيدى زبانية الظلم والتعدى ولا بد لهم من إشهارها، سيفان تربيا على السم

وطعامهما الأرواح: الأول هو اتهام أغنياء الولايات بإشاعة الفتنة والفساد والتصيير فيما يتعلق بالضرائب، والثانى هو اتهام الشعب باتباع الباب.

أما المرحوم اعتماد السلطنة والذى كان جاسوس الأجل ومكنسة الأمل فإنه فى سبيل استكمال صفة الرذيلة هذه قد تحمَّل العناء وشرب الماء الممزوج بالدم وسفك الدماء وهدم البيوت، وفى الغارة التى شنها على كافة البلاد فى بداية الأمر بالغ بشدة فى قطع الأعمار وإهانة العلماء وشق الصدور ونبش القبور وشد الوثاق وضرب الأعناق لدرجة أن الأرض وكأنها قد تحولت إلى بحر من الدماء والتراب قد تحول إلى منجم عقيق، ومادام هذا العمل قد تم تنفيذه على يديه على أكمل وجه فإن أبناء جنسه أى زبانية الظلم يرون إلى يومنا هذا بقاء حكمهم فى تنفيذ هذه العادات والقيام بإعدام خلق الله.

٣- حاجى فرهاد ميرزا:

هو حاجى فرهاد ميرزا معتمد الدولة عم ناصر الدين شاه والابن الخامس عشر لعباس ميرزا نائب السلطنة، ولد فى جمادى الأول سنة ١٢٣٣ هـ.ق، وسافر فى شبابه إلى أذربايجان مع والده ودرس العلوم فى تبريز، ولَمَّا سافر محمد شاه إلى طهران فى عام ١٢٥٠ هـ.ق بقصد الجلوس على العرش طلبه من تبريز ودعاه إلى البلاط واختاره لإدارة أمور خوزستان ولرستان فقام فرهاد ميرزا بتأمين تلك المنطقة وأدخل المتمردين فى طاعته، وقد ظل عامين فى لرستان حتى قصد محمد شاه جرجان فى عام ١٢٥٢ هـ.ق حيث حضر إلى طهران حسب الأوامر ولازم الركاب مع فرقتين من

الجنود وخمسمائة فارس وقدَّم فى ذلك السفر خدمات جليلة وعند عودته من ذلك السفر حيث سافر الشاه إلى خراسان فـــى عــام ١٢٥٤ هــــ قاصــدًا الاستيلاء على هراة، قام بتعيينه نائبًا للسلطنة فى العاصمة ولمَّا أخفق الــشاه فى فتح هراة وعاد إلى طهران، قرأ خطبته المهمة التـــى توضـــح القــضايا السياسية لذلك العصر، قرأها باسمه فى مسجد الشاه مخاطبًا إياه بــــ "نــور العين المكرم الشهير " ، كذلك فى عام ١٢٥٥ هــ.ق حيث توجه الشاه إلــى أصفهان تولى فرهادميرزا إدارة شئون المملكة باعتباره نائب السلطنة.

وفى عام ١٢٥٧ هــ.ق عندما حكم فارس الأميــر فريــدون ميــرزا التلميذ المحبوب لحاجى ميرزا آقاسى، ثار عليه شعب فارس وطردوه، فأراد حاجى ميرزا آقاسى تعيين أقل الأمراء خبرة واليًا على فارس وتكليفه بتأديب شعب فارس حتى تختل الأوضاع نتيجة عدم كفاءته ويخضع الــشعب مــرة ثانية لحكم فريدون ميرزا. وبما أن تاريخ فرهاد ميرزا لم يكن يسمح له بأن يتولى مرة واحدة حكم فارس فقد أصدر قراره الحكيم باســم ناصــر الــدين ميرزا ولى العهد وعين الأمير فرهاد ميرزا نائبًا له، أما هو فقــد أدى هــذه المهمة الخطيرة على أكمل وجه بعكس ما كان متوقعًا ولكنهم أوغروا صدر الشاه عليه فى عام ١٢٥٩ هــ.ق، فقالوا إنه "ألقى حقوق الحكومة الإيرانيــة من على ظهره وتعرَّف فى السر على حكومة أخرى وتحالف معها"[١] لاشك أنهم خلعوه من منصبه كنائب لحاكم فارس وأرسلوا إلى حكم فارس بدلاً منه ميرزا نبى خان أمين الديوان أما هو فقد اضطر "إلــى اللجــوء للحكومــة الإنجليزية، والابتعاد سنوات عن البلاط والعيش فى طالقان بقزوين بناءً على

---

(١) ناسخ التواريخ، جلد قاجاريه، طهران، ١٣٣٧ ش، ص ١٥٠.

حكم الملك"[١] حتى بعد بضع سنوات من النفى، "وقف على قدمه مـن تلـك الكبوة وابتعد عن الحكومة"[٢] وعُين حاكمًا على لرستان وقد قيل إن كل هذا كان بوشاية ميرزا آقا خان الصدر الأعظم وأن فرهاد ميرزا قد أنكـر هـذه الاتهامات فى الرسالة التى كتبها لإمام جمعة طهران.

وعندما قصد ناصر الدين شاه السفر إلى أذربايجان كان فرهاد ميرزا ملازمًا للركاب وعند العودة عين مرة ثانية حاكمًا لخوزستان ولرستان، وفى عام ١٢٧٨ هـ.ق عندما توفى جوانشير معتمد الدولة [الأسد الشاب] أُعطى هذا اللقب لفرهاد ميرزا وعين فى عام ١٢٨٤ هـ.ق حاكمًا لكردستان وهمدان، وهناك قدَّم خدمة عظيمة كانت تتمثل فى فتح أورامان واستئصال شأفة متمرديها حسن سلطان وأخيه.

وقد حكم فرهاد ميرزا كردستان لمدة ست سنوات حتى عـام ١٢٩٠ هـ.ق حيث قصد ناصر الدين شاه السفر إلى أوروبا وكان ميـرزا حـسين خان مشير الدولة ملازمًا لركابه، فقد تم استدعائه إلى طهران، وطبقًا لفرمان ١٤ صفر فوضت نيابة السلطنة لكامران ميرزا وإدارة الأمور بالصلاحيات الكاملة لفرهاد ميرزا، وقد سافر إلى كردستان مرة ثانية عقب عودة الشاه من أوروبا ولكنه عزل من الحكم هذه المرة بتهمة إقامة علاقات سرية مع مظفر الدين ميرزا وتم استدعائه إلى طهران، وبعد عام (١٢٩٢ هـ.ق) سافر إلى مكة، وبعد وصوله إلى طهران وإزالة الخلافات وسوء الظن عين مرة أخرى حاكمًا على فارس فى عام ١٢٩٣ هـ.ق وأقر فيها الأمن والنظام، وفى عام

---

(١) نادر ميرزا، تاريخ وجغرافيا تبريز، نسخة مطبوعة، ص٧٥.

(٢)نادر ميرزا، تاريخ وجغرافيا تبريز، نسخة مطبوعة، ص٧٥ .

١٢٩٨ هـــ.ق تم استدعائه إلى طهران وشارك فى مجلس الوزراء وعـــاش فى راحة ورفاهية حتى آخر عمره، وفى النهاية ابتعد نهائيًــا عــن العمــل وخدمة الحكومة حتى توفى بطهران سنة ١٣٠٥ هـــ.ق. [١]

وأعمال فرهاد ميرزا الأدبية هى "منشآت"[٢] وكم من الأشعار وكتـــاب "هداية السبيل" وهو كتاب رحلات يحكى رحلة حجه، و"زنبيل" الـــذى يُعـــد مجموعة شعرية ونثرية مثل كشكول الشيخ بهائى و "قِمقام ذخار وصمـــصام بتَّار" فى مقتل سيدنا الحسين وكتب عديدة أخرى والتى لم تطبع بعد.

وقد قام فرهاد ميرزا أيضًا بالأعمال شبه العلمية والتى منها "جام جم" فى الجغرافيا.

والذى يعد ترجـــمة لجغرافية "وليم بينـــوك"[٣]، ومعجـــم إنجليـــزى/ فارسى مكون من ألفى كلمة، وترجمة خلاصة الحساب للشيخ بهـــائى مـــن العربية إلى الفارسية تحت اسم كنز الحساب، وكان الأمير فرهـــاد ميـــرزا رجلاً صاحب سيف وقلم وكان له حظ من العلوم المختلفة، ويقول بشأنه نادر ميرزا مؤلف "تاريخ وجغرافياى تبريز": "يا ليت كان للأسرة القاجارية العظيمة

---

(١) محمود خان ملك الشعراء أنشد قائلاً فى القصيدة التى كان قد نظمها فى رثائه:

انتقلت إلى دار الخلد لما مضت من هجرة الرسول   ثلاثمائة وخمسة أعوام من بعد الألف

(٢) طبع فى بومباى فى البداية باهتمام وحواشى ميرزا آقا فرصت الدولة الشيرازى سنة ١٣١٨ هـــ.ق، وبعد ذلك طبع فى طهران عام ١٣٢٧ هـــ.ق مع منـــشآت ميـــرزا مهديخان الاستر آبادى وأمير نظام گروسى..

(٣) William Pinnock: طبُع هذا الكتاب فى عام ١٢٧٢ هـــ.ق فى طهران وقد استفاد منه ميرزا محمد على مدرس الرشتى الـــچـــهاردهى (متوفى سنة ١٣٠٤ هـــــ.ق) فى تطبيق أحكام الفقه مع علم الفلك الحديث.

ألف شخص مثل هذا الأمير العالم الفاضل فقد كان جوهرة ثمينة للأسرة وكان قوة لهذا الدين المجيد"[1].

وفرهاد ميرزا ليست عنده قريحة وموهبة شعرية غير عادية، وأعماله فى مجال الشعر والنظم وإعداد بعض المدائح، محكمة وسلسة بالقدر الكافى ولكنها جافة ومملوءة بالصنعة وخالية من الذوق.

والمهم من وجهة نظرنا أن شخصًا مثل فرهاد ميرزا يحظى بمكانة رفيعة بين الأمراء وداخل جهاز الدولة لا يحتاج لتأمين نفقات معيشته من كسب يده، فقد أدرك جيدًا ضرورة تعميم ونشر العلوم الأوروبية فى إيران، ولهذا السبب ترتبط مؤلفاته بأعمال معلمى دار الفنون الذين سنتحدث عنهم فيما بعد وبعبارة أخرى يمكن اعتبار فرهاد ميرزا حلقة الوصل بين كتّاب البلاط وناشرى الثقافة الحديثة الرسميين فى إيران.

وقد كتب هذه الرسالة من طالقان إلى فريدون ميرزا الحاكم بعد الفتنة البابية فى ربيع الأول سنة ١٢٧٠ هـ.ق واشتكى من الإهانة التى وجهت له، يقول:

.... بحكم حسن النية وصفاء الطوية كنت أعتقد أن حضرة السيد لاقدر الله سيغيث المستجير ويعطيه زلال الرحمة خاصة أخيه المتألم عند فوران شراب الفتن وخفقان سراب المحن، ويسقى تائهى بادية الضلالة الخمر الحلال ويكون للمحروم الركن الأشد وللمظلوم الناب الأحد، ولكن ما تصورناه كان عين الخطأ لأننى كنت أظن أنه حينما يحدث لهذا المخلص أى خطب كبير وأمر خطير فى أى زمان وأوان سيهب حضرة السيد لنجدتى

---

(١) النسخة المطبوعة، ص ٧٦.

ونصرتى ويتمسك بالآية الشريفة[1] "ولا أملك إلا نفسى وأخى" ولكنه خلافًا للاعتقاد وخلفًا للاعتماد تلا قوله "يوم يفر المرء من أخيه" وقـرأ "الأخـلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو"[2] ولم يكن من المقبول أن أرى فى هذه المرحلة الطعن من العدو والحبيب واللعن من الرجل والمرأة.

جُعلت فداء لك، إن الشكوى من طبع النساء والتـضحية مـن شـيم الرجال، وبما أننى لا أضحى فأنا أقوم إذن ببث شكوتى، لو تقول: لمُبَلِّغَـك الواشى أغش وأكذب، لا والله فلا المبلغ كان واشيًا ولا المستمع ناشـئًا؛ لأن التقرير يشهد على الضمير والفعل يدل على الفكر، فالظـاهر هـو عنـوان الباطن ولو لم يكن هناك تقصير لا قدر الله فى الرعاية والاهتمام كنت على الأقل اكتفيت بالعطف والرحمة، فقد تجنبتنى بشدة خاصة أيام الإقامـة فـى شمران حتى أن أحدًا لا يهرب من المجذوم بهذا الشكل ولا يتجنب الطاعون بهذه الدرجة، إن المخلص الذى لم يكن يغفل يومًا واحدًا عن أحوال حـضرة السيد ويهنئه على السلامة فى الحال لماذا لا يتذكره حضرة السيد فـى هـذه المسألة، والآن أيضًا وأنا فى ذلك الوقت ذو قلب غليل وطفل عليل قد نسينى حضرة السيد تمامًا، وأصل المروءة لم يكن هذا وقانون الشهامة ليس هكذا:

كأن لم يكن بين الجحون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وطبقًا لما تبين فيما بعد فإنه فى ذلك الوقت الذى قامت فيه هذه الضجة وشاعت تلك الأقاويل والأباطيل بين الناس لدرجة أن السيد كبير الخدم لـدى الحاكم أخذ يذكرها على الملأ، كان من الواجب على حضرة السيد فى تلـك

---

(١) سورة المائدة، الآية ٢٥.

(٢) سورة عبس، الآية ٣٤، ٣٥.

الأثناء أن يتظلم أمام حضرة الملك ظل الله روحنا فداه، ولو أن مصلحة الخان المرحوم [1] لم تكن تقتضى ذلك كان على الأقل يعاتب رئيسه الساذج ويسأله ما شأنك بذكر هذه الأخبار وبث هذه الأسرار! أو كان ذكر في حضرة ذى الجلال نظام الدولة وقوام الشوكة الصدر الأعظم الأفخم أن سليمان سيئ الأصل[2] يتربص بخسرو (الملك) شريف الأصل، فما دخلي أنا أو حضرة الأستاذ[3] يفسر ذلك بأن للخسوف والكسوف أثر فى العالم وأن لهذين الذيلين وتلك الذؤابة مثل هذه الخطورة فى الدنيا، فما هو دخلى أنا المسكين المستكين! أى مجال للجريمة والاتهام والتقصير والخيانة! أم أن الاستماع يؤدى إلى النفى من البلد والابتعاد عن الأهل والولد، ألم يستمع حضرة السيد إلى الشيخ الجنى[4] الذى يدعى معرفة الغيب؟ أو ألم يشرح الشيخ الجنى ويوضح لعدد كبير من أعيان الدولة وأركان الحضرة؟ ولو كان حكم المنجم والعرَّاف صحيحًا، فلماذا أخطأ الأنورى في قران الكواكب السبعة؟ إذًا من الواضح أن زمام المقادير فى يد مالك الملك وأن التدبير عاجز مع تقديره تعز من تشاء وتذل من تشاء، وكل شىء عنده بمقدار، ومن ثم فلا قيمة لأحكام النجوم ولا قدر لعلم الحروف! والكل يجمع على أنه كان من اللائق لحضرة السيد أن يقوم برفع التهمة ويكرس وقته لإغاثة الملهوف فيصير ممدوح الترك والتاجيك [غير الأتراك وخاصة الإيرانيين] ومحمود

---

(١) ميرزا أحمد خان والذى كان مساعدًا للحاكم.

(٢) حاجى سليمان خان افشار بن يحيى خان الذى آمن بالبابين وبعد أن أطلق النار على ناصر الدين شاه حشوا جسمه بالشمع وطافوا به فى المدينة.

(٣) إشارة إلى حاجى محمد ولى ميرزا.

(٤) الشيخ محمد الجنى.

البعيد والقريب ولا أحد يعترض عليه فى هذه الإغاثة ولا تتجه الظنون نحو المحاباة فى هذه الإعانة، فلا كأس كان سيضيع من خراسان ولا مال كـان سيؤخذ بالقوة والإهانة من إقطاع رستاق ونظنز؛ فقد كان باب الضرر مغلقًا وطريق الخطر مسدودًا، والله يشهد إننى حائر من حظى السـيئ وطـالعى المدبر، فثمرة الإرداة ليست هذه وأثر العناية ليس هكذا، ويـشهد الأجنبـى والمحلى والزنجى والرومى أننى طيلة أربع سنوات لم أتوقف لحظة واحـدة عن الإخلاص لحضرة السيد والسعى فى الخير من أجله ليلاً ونهـارًا سـرًا وجهرًا ولو يرجع بالذاكرة إلى الوراء وينصف سيصدق كلامى هذا، قيـل: الأخ أفضل أم الرفيق؟ فأجيب: الأخ أفضل عنـدما يكـون هـو الرفيـق، والمخلص خلافًا للأدب يعد نفسه الرفيق ولكنه يعد نفسه صديقًا للصديق أيًـا كان، وبعد أن ظهر مثل هذا الجفاء من حضرة السيد وضاعت الأسرار سُلب الإيمان كله وصارت التدابير هباءً والأفكار ضاعت هدرًا، ومضى ما مضى وفات ما فات، وذهبنا إلى العدم نحن الذين كنا أشرارًا:

لتقرعنَّ علىَّ السن من ندم إذا تذكَّرت يومًا بعض أخلاقى

إن جفاء حضرة السيد قد أثر بشدة لدرجة أن السيد العزيز قد علم فى خراسان أنه قد نسينى تمامًا ولم يكلف خاطره بأن يكتب رسالة ترفع عنى الكرب وتزيل عنى الحزن والهم من هذه الآلام المتواترة والهموم المتكاثرة، أو أنه كتبها ولكن لم تقتض مصلحة المُلك فى طهران أن يبعث الرسالة. لقد انعدمت المروءة وضاع الوفاء، ماذا حدث بالضبط؟ ليحفظ الله الوجود السعيد لحضرة جلالة الملك روحنا فداه، لقد امتزجت طينة السلاطين القاجـاريين بالماء الشريف فتجاوزوا زلة العبيد وعثرة الخدم.

ويعفو عن الذنب العظيم تكرمًا ويصفح عن قول الخنا متكبرًا

وأنا الحمد لله تعالى لا صدرت منى خيانة فى حق الدولة ولا جريمة فى حق الشعب ولم أخسر لا فلس فى قمار ولا عرس فى خمار. يقول المنوتشهرى:

لقد حسدنى الحساد وأنا وحيد هكذا

فأنصف المظلومين يا عز أمير المؤمنين

يقول حاسدى لماذا تكون أنت فى بلاط الملك

يا له من بغض علنى، يا له من تزوير حقيقى!

وقال مولى المتقين سلام الله عليه: أستغفرُ الله عنى كل الذنوب والآثام. وعلى الرغم من كل هذه الأحوال فإن عين الأمل مفتوحة وتنتظر البشرى- وكل ما يقع علىَّ أنا به راض وشاكر لئن شكرتم لأزيدنكم- لو أن الملك رفيع الشأن، روحنا فداه، قد أعطى بالفرض "طالقان" لأحد الطلقاء، وهو فى حالة السخط فماذا سيفعل فى حالة الرضا؟

هذه نارك، فكيف كان نورك؟

هذا مأتمك، فكيف كان فرحك؟

- وإنَّ أمير المؤمنين وفعله لكالدهر، لا عار بما فعل الدهر

فيعطوا للمحبين جرعة السم وضربة القهر.

- كان من الأحسن لو ظهر محك التجريب

كى يفتضح كل من كان يضمر الغش

الشكر لله فإننا جميعًا قد كبرنا فى روضة إقبال هذه الدولة وامتدت فروعنا وصارت لنا ثمار، ولو أنهم يقدمون الخدمة من أجل الثمر فهم

محمودون ومشكورون، ولو يقتلعوه من جذوره فهم مغفورون ومعــذورون، لقد تيقنت الآن أن البلاء للولاء لأن عالم السرائر عالم وخبير.

لم أحسد أبدًا على منصب ومال

وقمت بحفظ الناموس ورعايةالقاموس (صاحب السر)

واحترمت نفسى فى السر والعلن، وذلك أيضًا لم تسمح به السماء

- ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن[١]

كان فى الخاطر أن أعرض عدة أبيات من شعر المقنع الكندى مصداقًا لحالى، وهى فى الحقيقة تعبر بشكل جيد:

وإن الذى بينـــى وبين بنـــى أبى وبين بنـــى عـــمى لمـــختلف جـــدًا

فإن ياكلوا لحمى وفرت لحومهم وإن يهدموا مجـــدى بنيت لهم مجدًا

وإن ضيعوا عيبى حفظت عيوبهم وإن هم هووا أعنى هويت لهم رشدًا

وإن زجروا طيرًا بنحس تمر بى زجـــرت لهـــم طيرًا تمر بهم سعدًا

وعمومًا فإن الجو البارد والقلب المهموم فى الليل الطويل بلا أنيس أو جليس يدفع الإنسان لكتابة هذه الترهات، أباطيل أنمقها وأكاذيب ألفقها، إن شاء الله وعين الرضا عن كل عيب كليلة، وإن كنت قد تجرأت فإنك ستعذرنى.

ومتاع هذه الولاية فى هذا الوقت البارد هو البرد ثم البَرَد ليلاً ونهارًا وكل ما فى طهران هو كلام وهنا الثلج، ويوجد أيضًا طائر القطـــا ولكننـــى رجل عمل ولست صيادًا فلا الصقر فى يدى ولا البندقية على كتفـــى، مـــرة

(١) شعر المتنبى.

ثانية الكتاب، والكتاب مرة ثانية حتى نرى ماذا سيكون حاصل هذه المنمقات الأدبية والخزعبلات العربية!...

وكتب فى رسالة لمعاون الملك عندما أُوفد إلى أذربايجان كسفير فـــى رمضان ١٢٨٢ هــ.ق من أجل مراجعة حسابات ميرزا عبد الله خان نائب الوزارة، وأعمال ساعد الملك ميرزا قهرمان المستشار العسكرى:

مقرب الخاقان معاون الملك، هكذا سافرت ســريعًا وبهــدوء دون أن تودعنا، فقد علا شأنك لدرجة أنك نسيت حتى إرسال بطاقة، والحــق معــك فالذى يُكلف بمهمة كهذه ويُسر بنعمة كهذه لن يتذكر أحدًا بالتأكيد.

الإقبال هو أن يحقق القلب منيته دون دماء

وإلا ما كانت كل هذه الجنان بالسعى والعمل

وأنت تجلس الآن فى صدر الإيوان كالبدر المنير وتقرأ أحيانًا إذا جاء نصر الله[١] وتتلو رب اغفر لى وهب لى ملكًا لا ينبغى لأحد من بعــد إنــك أنت الوهاب [٢]، من الذى يتشاجر معك؟ كل من استعمل القوة مــع الــساعد الفولاذى أتعب ساعده الفضى[٣]، ولو كان قهرمان [بطل] الماء والطــين[٤]، وفى الحقيقة كما أن الإياب من أذربايجان مهم فإن الذهاب كــان ضــروريًا بالقدر نفسه خاصة على حصان صاحب البريد، فشاع فى المدينة أن الــبلاء

---

(١) إشارة لميرزا نصر الله.

(٢) سورة ص، الآية ٣٤ كلمة الوهاب إشارة لميرزا عبد الوهاب خان وزيــر خارجيــة أذربايجان.

(٣) إشارة لساعد الملك.

(٤) إشارة لميرزا قهرمان.

الآخر قد حل مثل القضاء الإلهى ونزل فى ذلك المحيط اللامتناهى وأخذ كل شخص يفكر ويخطط كيف يقوم فى تلك الحضرة بتقديم الخدمة وتسليم النعمة والهروب من المسئولية وطلب الألفة وإعداد الضيافة ليلاً والملاطفة نهارًا، والبعض ممن بعد طريقهم يدعونك للطعام، ويسعدونك بالكيس الثمين، وقد سقط قوَّاد الجيش فى الدهشة وحكام الدولة فى الخوف وتساءلوا من السبب فى هذا الأمر ومتى ستنتهى هذه الزيارة! والعملات الذهبية والصرر العديدة تأتى من أطراف المملكة وأكناف الولاية وتُحمل إلى الحضرة وتُسلم بلا منَّة سرًا وجهرًا بلا دليل أو برهان، ولم يعد فى صحن المنزل مكان للشاى والسكر، ولا أعلم هل سيكون لنا نصيب فى واحدة من تلك السجاجيد ذات الأشكال الغريبة، والجمال الأصيلة أم أنها ستكون كلها جزءًا من الصناديق والحقائب المغلقة؟! مصونة من أكف اللامسينا، ومهما يكن فإنك ستعود إن شاء الله مقضى المرام ومكفى المهام، ولو كانت هديتنا حتى العشب فإنها مقبولة منك، إنه وقت السحور، والباقى كثير على شرب الترياك ومدفع الإمساك، فقد تذكرتك وأنهيت هذه الصفحة بالقلم المكسور فاليوم أنت فى عرش القلب فالقدرة لك. اللهم إنى أسألك ببهائك كله. إنه بعد عودتك إن شاء الله تلقى تحقيقاتك فى شئون الملك وتوصياتك الشخصية رضا الملك! وكما يقول المنوتشهرى:

ارع، فليكن العرش العنبرى هو مرعاك! وامرح

فليكن العرش الحديدى هو مفاصلك!

أزعجتك كثيرًا ولكنك تعلم أن ميدان الكلام كان فسيحًا والقلم كان صريحًا، وعليك أن تشكر التعب والنوم فقد سلبا منى الإرادة فاكتفيت بهذا القدر.

ومن (سفر نامـــة مكه) "كتاب السفر إلى مكة"

كتب هذه السطور بعد اشتراكه فى حفل السـمر الذى أُقيم على شرفه فى السفارة الإيرانية بإسطنبول:

....وبعد أمور الاحتيال، بدأ الحفل ورقصت السيدات والرجـال وأدوا خمسة أنواع من الرقصات، وهؤلاء الرجال قد أتعبوا تلك السيدات فكل مـن كان يمد يده كانت السيدة المسكينة تضطر للقيام والرقص معه، وقد اقتربـت من سيدة وقالت بالفرنسية لميرزا جواد خان النائب الأول للسفير: إذا لم تكن فيها إساءة للأدب أريد أن أمد يدى وأرقص مع الأمـــير، فقلـت لميـرزا جــواد، قل لها إنه حجر شديد النتوء وغير أملس ولن يتحرك من مكانه وإن أمسكت يدك الرقيقة هذا الحجر فسوف تتألمين، فضحك بشدة وقالت عـذرًا وذهبت، وسألت ميرزا جواد خان فقال إنها مستشارة سفارة النمـسا وهـى امرأة ذكية جدًا، وفى الحقيقة فهو عالم غريب، فأهل أوروبا لا يستقبحون أن تتزين المرأة بأنواع الحلى فى رقبتها وعلى صدرها وتمسك بيـد الرجـال الأجانب ويمسك كل منهما بخصر الآخر ويقومان بالرقص وتبادل المشاعر فى محفل يضم آلاف البشر، صدق الله العلى العظيم" كل حزب بمـا لـديهم فرحون"(١)، وسوف تنتشر هذه العادات قريبًا بين العثمانيين بل وفى أقـرب وقت، وستصل أيضًا إلى أهل إيران ولكن متأخرة قليلاً، وقد قلنا لمحة حول هذا الأمر وكفى، وكان بين النساء اللائى كن يرقصن امرأة يهودية وابنتهـا وكانت الابنة تلبس سلسلة فضة فى خصرها وكانت تجيد الرقص أكثر مـن نساء أوروبا، فقال لى ناظم أفندى الذى عمل سنوات فى طهران نائبًا للسفير

---

(١) سورة الروم، الآية ٣٢، والمؤمنون، الآية ٥٣.

إنها يهودية هذه التى ترقص، فقلتُ: مع كل هذا التشدد فى الـــدين اليهـــودى ويسمحوا بهذه الأمور المخالفة للشريعة من كشف الرؤوس والصدور فقـــال لقد أصبحوا هم أيضًا الآن متحضرين وستصبح كل البلاد متحضرة قريبًا، لن يبقى من عمرنا شيء ولكن سيعلم القادمون أن ما قد قيل هو الحق، وســـوف تسير النساء فى إيران بل فى كل آسيا فى الأزقة والأسواق بوجه مكشوف.

ولم يبق من الإسلام إلا اسمه ودرس رسمه، وستصبح الصلاة والصوم والحج عمل السفهاء والمجانين.

- الزمن يضحك والسماء تبكى   على طاعتنا وعلى صلاتنا وعلى صيامنا

وسيحتفظون فقط بالعقد والنكاح من باب الشهرة والتظاهر بالـــصلاح والأطفال الذين فرغوا لتوهم من الرضاعة سيتجهون لتعلم اللغـــة الفرنـــسية وستُلغى قراءة القرآن بحيث لو أراد أحد أن يتعلم القرآن فعليه أن يذهب إلى الحجاز و المدينة، ومثل هذا الأمر يظهر فيما يبدو مـــن الآثـــار الـــسماوية والأسباب الأرضية حتى نرى ماذا سيظهر من حجاب الغيب وكيف ستكون مشيئة مالك الملك الحقيقى!... سنة ١٢٩٢ الموافقة لسنة ١٨٧٥م.

٤- حسنعلى خان:

استخدم حسنعلى خان أيضًا فى كتاباته أسلوب قائممقام ومال أكثر منه إلى الأسلوب البسيط فى الكتابة، وحسنعلى خان أمير نظام من قبيلة كبودوند، ولد سنة ١٢٣٦ هـــ.ق فى قصبة بيجار إحدى ملحقات جروس، وقـــد كـــان أجداده كابر عن كابر رؤساء القبيلة وحكـــام ولايـــة جـــروس أو أصـــحاب

مناصب أساسية أخرى. [1]

وقد واصل تعليمه حتى سن الثامنة عشرة وتعلم الفارسية والعربية والتاريخ والأدب بصورة جيدة ووصل إلى مكانة رفيعة فى الإنشاء وحسن الخط. وقطع فى الفترة من سنة ١٢٥٣ إلى سنة ١٢٧٥ هـ.ق مراحل الوظائف الحكومية المختلفة، فقد عمل قائدًا لجيش جروس وكذلك رئيس حرس الديوان وقلعة تبريز وتولى حراسة أمن كرمانشاهان وخراسان وحراسة البيوت والعمارات السلطانية بطهران وشارك فى دفع فتنة محمد حسن خان سالار فى خراسان والقضاء على الثورة البابية فى زنجان ومعركة قلعة هراة.

وفى سنة ١٢٧٥ هـ.ق عُين فى منصب الوزير الإيرانى المفوض فى البلاطين الفرنسى والإنجليزى وسافر إلى أوروبا مع أعضاء السفارة واثنين وأربعين من أولاد الأعيان والذين سافروا إلى باريس ولندن للدراسة، وأقام فى باريس سبع سنوات، وقد تعلم فى هذه المدة اللغة الفرنسية وسافر إلى حكومات لندن وتورينو وبرلين وبروكسل وقام بتوصيل رسائل وهدايا ناصر الدين شاه، وحصل على معلومات عن النظام الإدارى والسياسى ومظاهر الحضارة فى هذه الدول.

---

(١) حكم أبوه محمد صادق خان جروس لمدة تسعة عشر عامًا، وكان جده نجفقلى خان حاكما لآردبيل وأميرًا لأمراء تبريز فى عهد فتحعلى شاه، وكان أحد قواد جيش عباس ميرزا نائب السلطنة فى الحرب الإيرانية الروسية الأولى (١٢٢٤هـ.ق)، وحكم جده الثالث محمد أمين خان كرمان فى عهد كريم خان الزندى، وكان جده الرابع حسنعلى خان حاجب بلاط نادر أما جده الخامس لطفعلى خان فقد كان حاكمًا لقم وخلج•ستان فى عهد الشاه حسين الصفوى.

وفى أواخر عام ١٢٨٢ هـ.ق حضر إلى طهران، وبعد عام واحد عاد مرة ثانية إلى باريس وهو فى المنصب نفسه، لكن ساءت صحته هذه المرة وأحضر إلى طهران فى أواخر عام ١٢٨٣ هـ.ق وصار واحدًا من وزراء دار الشورى.

وفى محرم سنة ١٢٨٨ هـ.ق عين سفيرًا لإيران فى اسطنبول ثم عاد إلى طهران بعد عام واحد وبضعة أشهر فى أواخر سنة ١٢٨٩ هـ.ق وحصل على رتبة أمير التومان [التومان فرقة مكونة من عشرة آلاف جندى] ووزير الطرق.

وقد لازم حسنعلى خان الركاب فى زيارة ناصر الدين شاه الأولى لأوروبا (سنة ١٢٩٠ هـ.ق) وبعد عودته وفى عام ١٢٩٧ هـ.ق كلف بمهمة ساوجبلاغ مكرى (مهاباد الحالية) من أجل دفع فتنة الشيخ عبيد الله وحكم لفترة فى ساوجبلاغ وصاين قلعة وارومية وخوى وجروس وظل يدير هذه الولايات الخمس بلقب الحاكم العسكرى.

وبعد ذلك عُين مساعدًا لولى العهد ورئيسًا للجيش الأذربايجانى وتشرف بلقب أمير نظام وسافر إلى تبريز وظل سبع سنوات فى هذا المنصب، وفى عام ١٣٠٩ هـ.ق حدثت أزمة احتكار التبغ والدخان واحتج الشعب على الحكومة فى تبريز أيضًا مثل كافة المدن الإيرانية، فأصدر الشاه أوامره لأمير نظام تلغرافيا بأن يطلق النار على الثوار، ولمَّا امتنع هو عن هذا الأمر اتُهم بالتحالف مع الثوار واستدعى إلى طهران وظل عاطلاً فى طهران لمدة شهرين حتى عُهد إليه بحكومة كردستان وكرمانشاهان، وبعد ذلك انضمت إلى منطقة حكمه أيضًا هُمدان وملاير ونهاوند وتويسركان.

وبعد قتل ناصر الدين شاه أغلق عليه ميرزا على أصغر خان أمين السلطان طريق الترقى وجعله بعيدًا على هذا النحو عن العاصمة فى حكومة الولايات الغربية نفسها، لكن بعد عزل أمين السلطان قام ميرزا على خان أمين الدولة الذى كان قد تم استدعائه من منصب مساعد حاكم أذربايجان وغين وزيرًا، قام بإرسال أمير نظام مرة أخرى عند محمد على ميرزا ليكون مساعد حاكم أذربايجان بدلاً منه، لكن لم تدم هذه المهمة أكثر من عامين لأن ولى العهد وحاشيته قاموا بإثارة أوباش تبريز ضده، فاستقال من منصبه هذا فى ذى القعدة سنة ١٣١٦ هـ.ق نظرًا لسوء الأوضاع وكبر السن، وحضر إلى طهران عبر طريق القفقاز والتركستان، وفى أوائل عام ١٣١٧ هـ.ق عُين حاكمًا على كرمان وحدث فى هذا السفر أن توفى فى الخامس من رمضان من العام نفسه.

ويعد أمير نظام واحدًا من رجال العصر القاجارى الكبار الأكفاء والذى قدَّم خدمات جليلة طيلة ٦٤ عامًا بمنتهى العفة والصدق والإخلاص والكفاءة وخلال فترة خدمته الطويلة، لم يخش من قول الحقيقة، وحتى الشاه وولى العهد أيضًا كانا يعملان له حساب.

بعد سنوات من موت أمير كبير، يكتب ناصر الدين شاه- الرجل الذى كان هو نفسه من حكم بقتله- لابنه مظفر الدين ميرزا ولى العهد يوصيه على حسنعلى خان "أعلم قدر الخادم الصالح فإننى بعد الأمير أردت نحت إنسان من الخشب فلم أستطع".

ويقول كورزن بشأنه: "إن حسنعلى خان أمير نظام الجروسى الذى شغل لفترة منصب الوزير الإيرانى المفوض فى فرنسا وأقام فترة أيضًا فى لندن يتحدث اللغة الفرنسية بطلاقة وتغلب على أفكاره الأفكار التقدمية

والغربية، وهو شخص قوى الإرادة وذو عزيمة، وفى فترة عمله كمـساعد لحاكم أذربايجان قضى تمامًا على الفوضى الموجودة فـى تلـك الولايـة، والخلاصة إنه أفضل الحكام المديرين الإيرانيين..."[1].

أما فيفريه طبيب ناصر الدين شاه والذى كان برفقته عند عودته مـن رحلته الثالثة إلى أوروبا ورأى حسنعلى خان فى تبريز فـى صـفر ١٣٠٧ هـ، فإنه يكتب فى تعريفه: "أمير نظام رجل مسن فى منتهى الذكاء والخبرة والعقل والكفاءة، ولهذا السبب يحظى بمكانة متميزة عند ولى العهـد وكـان سابقًا السفير الإيرانى المفوض فى باريس وعندما أبلغته بحالتـه وارتفـاع درجة حرارته وأوضحت له عدم مناسبة مكان المعسكر وتحدثت معه عـن الأمور العجيبة التى كنت قد رأيتها فى باريس إلى هنا، قال لى: لا يجب أن تتعجب من هذه الأمور البسيطة، إن شاء الله عندما تبقى فى هذه المملكة مدة أطول سترى عجائب أكثر"[2].

وكان أمير نظام رجلاً عالمًا ومحبًا للعلم وأحـد الكتَّـاب الفـصحاء والبلغاء وأصحاب الذوق وقد كان فنه العظيم فى بساطة الكتابـة، وكتاباتـه تخلو من الخطأ والركاكة والصعوبة وتتميز بالجزالة والسلاسة التى توصلها إلى حد السهل الممتنع[3].

---

(١) كرزن، إيران وموضوع إيران، ج١، ص ٤٣١.

(٢) الدكتور فيفريه، سه سال دردربار ايران [ثلاث سنوات فى البلاط الإيرانى] ترجمة: عباس إقبال، ص ٦٨.

(٣) فى ١٢ شوال سنة ١٣٠٧ هـ.ق يكتب للملا عباس نامى "لم يكن ضروريًا إظهـار الفصاحة ومعرفة العربية وعرض الموضوع بالسجع والقافية، ولو كـان تـم الأداء بدون تعقيد وبعبارات متداولة لكان يكفى هذا".

ومن بين أعمال أمير نظام التى ستظل تذكر باسمه طبع كتاب كليلـة ودمنة، فقد صحح هذا الكتاب بناءً على إشارته الحاج وكيل اعتضاد الممالك ثم طبعه أمير نظام على نفقته بخط ميرزا باقر فخر الكتاب، كذلك قام ميرزا على آقا ثقة الإسلام بناءً على تشجيعه بترجمة رسالة بث الشكوى تأليف محمد بن عبد الجبار العتبى، وقد طبعها بعد وفاته ابنه سالار الملك فى عام ١٣١٨ هـ.ق.

وفيما يلى نماذج من أسلوب إنشاء أمير نظام:

من رسالة الوعظ اليحيوية التى كتبها باسم يحيى خان: (١)

أرى أنه من الصواب أن أكتب لك عدة كلمات للذكرى على سبيل الوعظ حتى إذا ما أراد الله ووصلت إلى مقام الرشد والتمييز تعمل بنصيحة أبيك فتتمتع بعمرك وحياتك، وأول نصيحة لك منى إياك أن تقترب من الجماعة البعيدة عن الله وإياك أن تجالس الأراذل واللئام؛ فإن صحبة هذه الجماعة عاقبتها سيئة وستؤدى إلى فساد الدين والدنيا فى فترة قصيرة ينبغى أن يكون جليسك كى يزيدك عقلاً وديناً، إذن احرص على ألا تقطع طريق العلم إلا مع الأشراف ووجّه همتك دائمًا للأعمال العظيمة والعميقة، وقِّ القلب على ذلك حتى تتطبع على ذلك ولا تميل إلى الدناءة والضعف.

---

(١) هذا الولد ذو الكفاءة والنجابة الذى كان مع جيش جروس فى كرمان توفى هناك سنة ١٢٨٧ هـ.ق متأثرًا بالطاعون، ويكتب أمير نظام فى رسالة لمدير عام العتبة الرضوية بتاريخ ٢٤ جمادى الأولى: "لقد كان مقدَّرًا أن ابنًا تعبت وتألمت سنوات فى تعليمه وتربيته يُصاب بطاعون كرمان وأُبتلى أنا المسكين فى هذه السن المتأخرة بمثل هذه المصيبة التى تهدم أساس هذه الأسرة تمامًا وتطوى بساط المخلص فجأة".

اطلق يد الكرم قدر استطاعتك فإن الفقير الكريم أفضل من الغنى البخيل، وإياك وحذار من البخل والإمساك فإنه يجلب التعاسة والتشتت في الدارين، ويجب ألا تضيع عطائك وإحسانك بإظهار المنَّة، كن حلو اللسان وحسن المقال، وحافظ دائمًا على آداب الكلام فحاول أن توجز وتختصر كى لا يمل المستمع من الإسهاب والتطويل وتشتهر أنت أيضًا بالثرثرة والتخريف، وتجنب استعمال الألفاظ الصعبة والعبارات المهجورة كى لا تصبح موضع سخرية الناس، ومع أن الهزل والفكاهة من خصائص الجهال إلا أن الغالب أن الناس يعتبرون الكلام البسيط مكْروهًا، إذن يجب أن تكون متبحرًا فى الكلام حتى تتحدث فى أى محفل بما يُناسب المقام ويتفق مع الطباع، ويجب عليك أن تبذل الجهد الكافى فى دراسة العلوم الأدبيَة وإذا لم يكن لك نصيب من العلوم فإياك أن تبادر بتقليد استعمال الألفاظ والأمثال العربية فإن استعمال الألفاظ الصعبة من لسان الجهلاء لا يتم بصورة صحيحة وبما أنه لا يتم بصورة صحيحة فإنه سيؤدى إلى السخرية والاستهزاء اجتهد فى حسن الخط فإن الزينة الظاهرة تجد انطباعًا جيدًا لا تتأخر فى الإقدام على العمل بعد ملاحظة جوانب الصلاح والفساد، ولا تؤجل عمل اليوم إلى الغد لو ظهر عدو حيثما تعلم أنه يطلب الصلح لا تبادر بمحاربته ومخاصمته، احرص على فض مجلس الحرب ولو تعلم أنك ستهدم العش، وإذا اضطررت للحرب فلا تؤخر الفعل لحظة واحدة، وعندما تعلم يقينًا أن العدو لم يطأطئ رأس الصلح والصداقة فلا تطرق أنت أيضًا باب الصلح ولا تتأخر فى القضاء عليه؛ فإن التأخير سيجعل العدو يتغلب عليك ويعرفه بخططك وتدابيرك، مثلما هو حال القلعة المتمردة: لو تأخر الاستيلاء عليها بلا داع سيكون من الصعب فتحها وسيصاب الجيش بالإحباط والملل

وتزول الرهبة والخوف من قلب العدو، بالرغم من أنه من الخطأ بوجه عام العمل بدون واسطة وإرشاد وتوجيه العقل إلا انه لا يجب الانصياع للعقل طوال الوقت فى أثناء الحرب؛ لأن قوة العقل تدل الإنسان فى الغالب إلى طريق السلامة، ولمَّا تتغلب قوة العقل تسوق الإنسان إلى الضعف والجبن وعندما تكون ضعيفًا وجبانًا ستعجز بالطبع عن دفع العدو وتلقى الهزيمة حتمًا وتوصم نفسك بعار الفرار، والموت أفضل عند الرجال من الحياة بوصمة العار...

ومن كتابات أمير نظام الأخرى:

جعلت فداء لك، إن شاء الله سيكون وصول صاحب المقام الرفيع مباركًا علينا وسيرفع عنا التعب والهم، إن كل ما أنثره امتنانًا لقدوم صاحب المقام الرفيع يعد قليلاً فما الحال إذن مع هذا الشال المتواضع لقد وقعت حادثة عجيبة فى طريق سكة حديد الشاه عبد العظيم ومادام وضع شعبنا وأهالى مملكتنا هكذا، فلا يجب انتظار حدوث تحسن وتقدم فى الأمور، ففى ظل هذه الأوضاع وانتشار هذه الأخبار فى أية شركة ستمد سككنا الحديدية إلى المناطق الأخرى، وأى مسئول أجنبى سيشارك معنا فى إنشاء الطريق المرصوف من آواجيق[١] إلى قزوين. ٢٦ ربيع الأول ١٣٠٨ .

أخونا العزيز، لقد اعتاد الأمير المرحوم هادى خان على أنه كلما أراد أن يصف شيئًا بأنه جيد كان يقول "إنه عمل روجرز"[٢]، وكلما أراد أن ينسب العلم والفضل لشخص من باب السخرية والاستهزاء كان يقول عليه

---

(١) اسم قرية على الحدود الإيرانية التركية فى مركز ماكو (أذربايجان الغربية).

(٢) Rogers.

"إنه فاضل خان"[1]، والآن أنا لا أعلم ماذا حدث فأخونا فـــى كــشف هــذا الموضوع وحل هذه المشكلة قد ترك فاضل خان الحاضر والموجــود بـــدار السلطنة وسألنى أنا!

لقد ظل القلب سنوات يطلب منا الكأس الجمشيدية

ويلتمس من الغريب ما كان عنده هو نفسه

لا شك أنه فى هذا الموضوع وفى كل ما يتعلق بمثل هذه الأمور عليك الرجوع إلى مولانا ممدوح أكابر الآفاق ومجمع مكارم الأخلاق. إن أحوالى سيئة منذ عدة أيام وقد كتبت هذا الموجز وأنا فى شدة الصداع فــلا تتــرك الجواب بلا جواب ٢٧ ربيع الآخر ١٣٠١ .

وقد كتب لميرزا عباس خان قوام الدولة:

جعلت فداء لك، مرة ثانية رفعت قلمك وهاجمتنى أنا المسكين هجومًـــا شديدًا.

سيدى ومولاى وزير الداخلية ووكيل شئون مملكة أذربايجان أو كمـــا يقول المرحوم مؤيد الدولة عندما كان يناجى أمير العسكر:

– أيها الملك، أيها القمر، أيها المحبوب، أيها المعشوق، أيها الربيع

إننى فى غاية الحيرة ولا أعلم ما اسمك!

فى ذلك الوقت الذى كنت فيه يا ميرزا عباس إنسانًا بسيطًا كنت أنـــا

---

(١) المقصود محمد فاضل خان الجروسى.

مخلصًا ومؤمنًا بحضرة السيد وكنت أراهن على وصــوله إلــى الــوزارة والرئاسة، والآن وحضرة سيادة قوام الدولة وزير الداخلية ووكيل أذربايجان وكاتم أسرار السلطنة وكذا وكذا فإنك لو ادَّعيت الإلوهية سنقول لــك آمنــا وصدَّقنا! فأى أحمق الذى لا يعرف رفعة شــأنكم أو العيــاذ بــالله ينظــر للملازمين العاليين بعين التحقير، فذلك الشخص الذى كان متحيرًا ولم يعرف أيًا منًّا أنا وحضرة ناصر الملك وصاحب المقام الرفيع أعلى فى المرتبة كان شخصًا ساذجًا وغافلاً، فأين أنا وناصر الملك من صاحب المقام الرفيع؟ مــا للتراب ورب الأرباب! أنت الصقر حاد المخالب ونحــن طــائر الــصعوة الضعيف ! والله مكانتك أنت الأعلى ولم يكن هنــاك داعٍ أيــضًا لإرســال اللائحة؛ لأنك أنت كبير مدربى صقور الصيد بلا نقاش، إن حظك العالى قد أصاب قليل الحيلة بالاضطراب والتشتت وإلا كان قد هجم من خراسان وجاء من أجل الوزارة، فهم يكتبون أشياء مضحكة على حركاته وسكناته ويجــب الضحك، وعلى حد قول المرحوم هاديخان نحن الهدف الأساسى لأية حادثة، وإذا كان الخاتم لا يلقى قبول صاحب المقام الرفيع فمن الممكن تغييره ولــم يكن ضروريًا أن يجذبنا تحت الركاب بتلك القوة، فرقعة حضرة السيد التــى كانت لائحة عملى أنا نفسى قد عرضتها على حضرة الجناب العالى وقد فرح بها وضحك خاصة مما كتبه للسيد الفلانى، وكتب مرسومًا يشملكم بالرأفــة والذى سوف يسلمه لكم حاجى محمد خــان، وحــول الاكتــشافات الجديــدة والبحث عن المناجم وإنشاء الطرق التى أُهملت رغم أننا أشرنا إلى أهميتها؛ لو كنتُ قد تقاعصت عنها ما كانت مملكتك أذربايجان بهذا الاستقرار ومــا كانت مدينة تبريز التى كانت وكرًا للمتمردين والأشرار بهذا الأمن أو كمــا

يقول العوام لم يكن الماء يتحرك من النهر، ويعد البحث عن المناجم وإنشاء الطرق والاكتشافات الجديدة من هذه الأشياء أيضًا التى قد قلتها وكتبتها ألف مرة وتم تبادل الاتفاقيات ولكن دون جدوى، إذن ماذا أقول وماذا أكتب! فالاكتشافات الجديدة ستؤدى إلى زيادة النفقات فى حين أننى لكى أعرض النفقات اللازمة يجب أن أضع فى اعتبارى ألف ملحوظة وأن ترتعش يدى، إذن فمن الأفضل ألا تتوقع منى إطلاق العنان وأن تكتفى بأن أمسك بمقدمة السرج لأن الذهاب والوصول إلى المنزل بهدوء وببطء أفضل من الهجوم والانكباب على الوجه وما كنت قد قلته إننى آكل كل أذربايجان ولا أرمى لقمة منها فى فم صاحب المقام الرفيع، فأنا أعلم أنه يجب إغلاق فم صاحب المقام الرفيع، لكن بحق الولاية المطلقة لعلى عليه السلام فإننى قد احترق فمى ولم أشرب الحساء، ولو بالفرض لم يحدث هذا وأنا آكل أذربايجان بالفعل فإن صاحب المقام الرفيع يبتلع كل إيران، فيتركنى آكل كل أذربايجان فأنا أيضًا تلميذ مدرسته، فماذا يريد منى إذًا؟

أيها السيد المعظم، كنت قبل هذا قد رأيت فى الحديث النبوى أن الفقر هو الموت الأكبر، ولم أكن أعرف معناه حتى الآن حيث اتضحت لى العبارة وعُرفت الرواية فى هذين العامين اللذين أمضيتهما فى طهران، ففى هذين العامين كنت فى حضرة هذا الموت وعانيت من سكراته، لكن لم يحن الأجل بعد، والحركة لم تتحول إلى سكون، ومهما سعيت ومهما بُذلت المساعى وتمزقت الأحذية فلم ولن تكون هناك أية فائدة، وكم من قطع وكتابات تمت بصورة جيدة ولكن لم تسقط نقطة زيت فى المصباح ولا جرعة خمر فى الكأس ، فالعمل فى طهران بالرشوة والدلال وأنا لا أملك المال للرشوة، ولا

الجمال للدلال، وو الله المتعال أنا قد استسلمت للموت ولكن الموت يجــافينى ولا يأتى عندى.

من حظ المتشائم أنه يجب عليه أيضًا أن يتحمل دلال الأجل! وإيجــار المنزل وراتب الخادم المجنون من الالتزامات العاجلـــة، فهـــى لا ترضـــى بالقضاء ولا تؤجل اليوم للغد، فلا محيص من هذا وذاك، لقد أصــبح مـــاء الوجه كماء النهر وأضحت الوجوه أكثر صلابة من الحجر وبهذا النظام يجب تحمل الجوع والصبر على الضيق والشدة، إن أفضل صديق لى هــو مـــن يكتب على حجر تربتى هذا الرباعى عندما استريح إن شاء الله مـــن النـــاس والعذاب:

- يا من أنت ميت نتيجة العذاب والبؤس

لقد مت من الهجر فى عز الوُصال

- وذهب إلى التراب عطشان مع كل هذا الماء

ومت من الفقر وأنت أمام الكنز

كنت قد اشتكيت من بلدك إيران وانتقدتها بأسلوب الكناية، والحق مـــع حضرة الجناب العالى، فأنا نفسى أيضًا عندما كنت أرى هذه المملكة الخربة فى المنام فى أثناء توقفى فى اسطنبول، كنت أستيقظ وأنا فى شـــدة الفـــزع والاضطراب وكنت أشكر الله كثيرًا على أنه كان حلمًا، لكنى بعد أن جئـــت إلى إيران تحملت الجوع بحيث كنت أرى رغيف الخبز الحاف مائدة سماوية، وتحملت الأرق لدرجة أن الحجر الصلد كان يبدو فى نظرى خزًا وديباجًـــا، ورأيت الظلم من المسئولين حتى أننى اعتبرت تلقى مائة عصا بدون وجـــه

حق ودفع غرامة قدرها مائة تومان بسبب الذنب، اعتبرته الحكم الـداوودى، ورأيت من العلماء أشياء منها أن فتوى قتل المظلوم هو حكم القرآن ونـص الحديث، وسمعت من الـواعظين والـذاكرين الأكاذيـب فآمنـت بالعنقـاء والإكسير، ولاحظت من التجار الخلاف والنزاع الشديد لدرجة أننى لجـأت إلى مصادقة الشاة والذئب... وحياتك الغالية، عندما تـدخل هـذه المملكـة صاحبة الأربعة آلاف أو الخمسة آلاف سنة ستتهيأ العوامل بحيـث تـصبح غافلاً عن نفسك وتنسى مظاهر المدنية وكأنه ليس هناك تقدم لا فى العالم ولا فى الدولتين المتقدمتين فرنسا وإنجلترا، وستعيش مذهولاً وحائرًا فى الأزقـة الخربة وكأنك أمام سور الشانزلزيه الصينى البالغ ذراعًا بباريس... اكتفـى بهذا القدر فلا يكن عندك أى خوف وما عليك إلا أن تجمع احتياجاتك وتسلك طريق الصحراء الإيرانية، والصعوبة كلها فى ثلاثة أو أربعة شـهور فقـط وستصبح بعد ذلك واحدًا من المسئولين أو واحدًا من العلمـاء والـواعظين والتجار والذاكرين.. يوم الأحد ٢٩ ربيع الأول ١٣١٢.

٥- نادر ميرزا:

كان من المفترض أن نتحدث عن تاريخ تبريز ومؤلفه العالم أبو محمد نادر ميرزا فى الجزء الخاص بالتاريخ والمؤرخين، لكـن نظـرًا لأن هـذا الكتاب يقدِّم معلومات مهمة عن تاريخ وجغرافية مدينة تبريز وكل ما يتعلق بهذه المدينة، علاوة على أنه يحتل مكانة أدبية كبيرة فـى الأدب الفارسـى القاجارى، لذلك رأينا أنه من المناسب أن نتناول ترجمته وكذلك أعماله فـى هذا الجزء.

ونادر ميرزا القاجارى هو أحد علماء ومؤلفى العصر الناصرى، ولد سنة ١٢٤٢ هـ.ق "يوم الجمعة آخر شهر الصيام بعد طلوع الشمس مضيئة العالم بساعة واحدة بمدينة استار آباد [١]، بالقصر الملكى الذى كان قد بناه الخاقان الشهيد محمد شاه[٢] وكان أول مولود لوالديه".

وأبوه بديع الزمان ميرزا صاحب الاختيار، وجده محمد قلى ميرزا ملك آرا [مزين الملك]هو ثانى أولاد فتحعلى شاه القاجارى والذى حكم فى عهد أبيه مازندران واستراباد وصحراء التركمان وكل ما كان على ساحل بحر الخزر (قزوين).

وقد أمضى نادر ميرزا فترة طفولته فى استر آباد وكان فى السابعة من عمره عندما توفى فتحعلى شاه فى أصفهان[٣]، وقد انتقل بديع الزمان ميرزا إلى سارى عند أبيه الأمير ملك آرا وذهب من هناك إلى طهران.

وفى هذه الأثناء اعترض بعض الأمراء القاجاريين الذين سيطروا على حكم الولايات على سلطنة محمد ميرزا، وكان من بنيهم على ميرزا ظل السلطان والذى سمى نفسه عليشاه وضرب العملة باسمه وحكم أربعين يومًا بلقب الملك حتى وصل محمد شاه من تبريز إلى قزوين وحارب جنوده وهُزم ظل السلطان وتم اعتقاله وحبسه هو وأغلب أمراء وأبناء فتحعلى شاه وتعرض بعضهم للسمل. وقد حُبس بديع الزمان ميرزا صاحب الاختيار،

(١) استر آباد، جرجان الحالية.

(٢) آغا محمد خان القاجارى.

(٣) ١٩ جمادى الآخرة ١٢٥٠ هـ.ق.

والد صاحب الترجمة، هو الآخر مع الأمير المتمرد وسبعة آخـــرين[1] مـــن الأمراء فى قلعة رويين (قلعة أردبيل التى كانت تُسمى فيما بعد بقلعة نارين) وقد استمر هذا الحبس حتى عام ١٢٥٤ هـــ.ق أى حوالى أربعة أعوام.

وفى هذه الأثناء حضر نادر ميرزا إلى طهران مع أمه وأخ وأخت له وانشغل بالدراسة إلى أن ذهب إلى تبريز فى عام ١٢٥٧ هـــ.ق مـــع ابنـــى محمد شاه بعد حصوله على إذن محمد شاه لزيارة زوجته التى كـــانوا قـــد أحضروها مع أعمامها من أردبيل إلى تبريز وجعلوها محددة الإقامة، وكان نـــادر ميـــرزا آنـــذاك فى الخـــامسة عشرة من عمره، فظل فـــى تبريـــز وتعلم على يـــد المـــلا مهر على[2] أحـــد أدبـــاء وعـــــلماء تبريـــز وآقـــا

---

(١) كان هؤلاء السبعة أشخاص هم:

- حسينعلى ميرزا شجاع السلطنة الأخ الشقيق لحسينعلى ميرزا حاكم فارس.
- محمد تقى ميرزا حسام السلطنة جد نادر ميرزا من الأم.
- عليقلى ميرزا ركن الدولة.
- أماموردى ميرزا كشيكجى باشى، شقيق ركن الدولة.
- شيخعلى ميرزا، حاكم ملاير وتوسيركان.
- محمود ميرزا، حاكم نهاوند.
- محمد حسين ميرزا حشمت الدولة، وقد ظل هؤلاء التسعة فى قلعة أردبيل حتى هرب ظل السلطان وركن الدولة وكشيكجى باشى ولجئوا إلى روسيا وأحضروا الستة الآخرين إلى تبريز ووضعوهم تحت الحراسة.

(٢) الملا مهر على زنوزى المتخلص بفدوى، ولد فيما يبدو فى خوى سنة ١١٨٢ هـــ.ق وكان يعيش حياة فقيرة فى تبريز فى بداية أمر الملوك القاجاريين وفترة ولاية عهـــد عباس ميرزا نائب السلطنة، وكان ينظم الشعر باللغة الفارسية والعربيـــة والتركيـــة، وأشعاره العربية التى كانت معروفة جدًا وتتردد على الألسنة لم تكن لطيفـــة وشـــعره

ميرزا أحمد مجتهد[1] وولديه ميرزا لطفعلى إمام الجمعة وميـرزا جعفـر، والملا محمود الطسوجى[2]، تعلم الفارسية والعربية وآداب هاتين اللغتين.

ويكتب صاحب الترجمة بقلمه فى تاريخ تبريز: "... وكانـت الحالـة العلمية تتمثل فى أن كتب الأدب فى ذلك العـصر كانـت نـادرة وغالية لأن فن الطباعة الذى لا مثيل له لم يكن قد انتشر بعد فى إيران فهذا العمل كانت تقوم به مطبعة أو اثنتين، وكانت تقتصر على نشر القرآن الكريم وزاد المعاد وكتب الأخبار، وأنا كنت قد سمعت اسم القاموس والصحاح وقد حصلنا على نسخة متهالكة من كتاب كنز اللغة، وإذا ظلت عندى يومًا يأخذها صاحبها شهرًا، على الرغم من ذلك فقد كان شوقى لتعلم الأدب مـن الـشدة بحيث عندما كان ميرزا أحمد يركب مع أولاده ويتحركون معًا من المـسكن كنت ألازم ركابهم لعلى أنتفع بشعر أو مسألة، وكان إمام الجمعة رحمـة الله

الفارسى متوسط، أما أشعاره التركية فهى بمثابة الشعر الحقيقى له ، وكان يمزج فى بعضها أجمل المعانى بأدق الحقائق الفلسفية، وهى تعد من أرق النماذج الأدبية فـى هذا العصر، وفرهاد ميرزا يذكره باسم "زنده بوشى" [الدرويش] أمـا نـادر ميـرزا والذى لحق به فى فترة الشيخوخة وتتلمذ على يديه فقد كان يسميه "أديـب الإنـشاء القديم" وقد توفى الملا مهر على سنة ١٢٦٢ هـ.ق فى تبريز وكان عند وفاته فـى الثمانين من عمره.

(١) ميرزا أحمد المجتهد المشهور فى تبريز وهو الجد الأعلى للأسرة المجتهدية الذى قد وردت ترجمة أحواله هو وأولاده بالتفصيل فى كتاب شهداء الفضيلة وتـاريخ نـادر ميرزا وقد حدثت وفاته فى تبريز سنة ١٢٦٥ هـ.ق .

(٢) المعروف بالملا باشى وهو من أساتذة اللغة والشعر وقد عمل معلمًا لمظفـر الـدين ميرزا ولى العهد ، وتوفى سنة ١٢٩٥ هـ.ق.

عليه قد أعجب بذهنى وذوقى، وقد قال يومًا لوالدى قائد الجند إن هذا الشاب لديه موهبة عظيمة ومن الظلم والحرام أن يتعلم هكذا بدون قاعدة، ينبغى أن يقوم أستاذ مربى بتربيته وتعليمه العلوم الأدبية بقوانينها، فقال قائد الجند: كل من يجد القبول من الطلاب خصصوا له راتبًا وأرسلوه، فقام ذلك العظيم بذكر اسم شاب من أهل طسوج كان يدعى محمود، فحضر وخصصت له خمسة تومانات من أجل معيشته ولم يكن هذا الراتب يُعطى لأى معلم فى ذلك الوقت....".

وعلى هذا النحو استعد لتعلم الأدب عند هذا الشخص الذى "لم يكن فى ذلك العصر معلم عاقل وعالم مثله، وكان يتمتع بذهن صاف وخاطر وقاد" وبعد أن فرغ من الدراسة سافر مع أمه وأخته إلى العراق من أجل زيارة البقاع المقدسة وحضر من هناك إلى طهران وبعد تمديد فرمان والده بخصوص الراتب عاد إلى أذربايجان سنة ١٢٦٤ أو ١٢٦٥ هـ.ق(١). وتعهد بالشئون الحكومية وهو فى سن الخامسة والعشرين وصار من مقربى البلاط فى خدمة مظفر الدين ميرزا ولى العهد، وتولى لعدة سنوات الحكم والإشراف على تحصيل الأموال الحكومية إلى أن جاء عام ١٢٩٨ هـ.ق الذى تولى

---

(١) أقوال صاحب الترجمة فى هذا الموضوع متضاربة والظاهر أنه كان هو نفسه مترددًا فى ذكر التاريخ الصحيح لهذا السفر والعودة إلى طهران: فى أول دولة الشاهنشاه عدنا إلى أذربايجان وكان ذلك فى سنة ١٢٦٤ (تاريخ تبريز، ص ٣٠٣)- فى سنة ١٢٦٥ حيث قمت بزيارة أئمة العراق العربى عليهم السلام، وصلت إلى همدان .... (المصدر نفسه ، ٣٧)- فى سنة ألف ومائتين وستين وبضع سنوات ثم انتقلت من زيارة مشهد أمير المؤمنين والحسين سيد الشهداء وسائر الأئمة عليهم الصلاة والسلام إلى بلاط الخلافة بناءً على فرمان قائد الجند أبى (المصدر نفسه، ١٨٧).

فيه محمد رحيم خان نسقجي باشي [رئيس الجلادين] حكومة آذربايجان والقيادة العسكرية حيث تم اعتقال نادر ميرزا الذى كان مسئولاً عن مخزن الغلة وتحصيل الأموال الحكومية، وقد صودرت أمواله وأملاكه .

وقد ذكر صاحب الترجمة هذه الحادثة المريرة فى عدة مواضع فى كتاب تاريخ تبريز وكتب شرحها أيضًا بالتفصيل بخطه فى ظهر مخطوطة تهذيب إصلاح المنطق(١) ونظرًا لأن هذا الشرح يوضح بقية حياته وكذلك يُعد نموذجًا لأسلوب إنشائه فإننا سنعرض جزءًا منه:

...أنا نادر بن بديع الزمان ميرزا الملقب بصاحب الاختيار، يصل نسبى إلى فتحعلى شاه الجد الأول، وإلى نادر شاه الافشارى الجد الثالث وإلى السلطان حسين الصفوى الجد الخامس(٢)، وقد ظل أبى ثلاثين سنة كاملة حاكمًا على إستر آباد وصحراء القبجاق وأمير أمراء جميع أفراد الحشم التركمان، وقد شاء المولى عز وجل أن استوطن فى تبريز بعد وفاة جدى فتحعلى شاه، وبعد أن تجاوز عمرى الخامسة والعشرين عملت بالوظائف الديوانية وحتى الآن ونحن فى الخامس من ذى الحجة سنة ١٢٩٩ هـ.ق

---

(١) كتاب "إصلاح المنطق" تأليف ابن سكيت (أبو يوسف يعقوب بن إسحق الخوزى الأهوازى)، نديم المتوكل الخليفة العباسى ومعلم أبنائه والمتوفى عام ٢٤٤ هـ.ق والذى قد شرحه الخطيب التبريزى (أبو زكريا يحيى بن على الشيبانى المتوفى عام ٥٠٢ هـ.ق) وسماه "تهذيب إصلاح المنطق".

(٢) وفى موضع آخر: وأبى قائد الجند له أم تدعى شاهزنان بنت شاهرخشاه بن رضا قلى ميرزا بن نادر شاه الملك الإيرانى الشهير القاهر وأمها فاطمة بنت الملك الشهيد السلطان حسين الصفوى الموسوى، وأنا أتباهى بهذا النسب إذ إن نسبى يصل إلى رسول الله (تاريخ تبريز، ص ٢٩٨).

سنة ١٨٨٢ م وعمرى بلغ السابعة والخمسين عملت طيلة السنوات حاكمًا إما بالمشاركة أو بالتبعية وعهد إلىَّ بأكثر الوظائف الديوانية الصعبة، حتى بداية سنة ئيلان ئيل ١٢٩٨ هـ.ق [سنة الحية، السنة السادسة من التقويم التركى الشرقيٍ] حيث إنه لسبب يطول شرحه تولى محمد رحيم خان نسقجى باشى الذى كان قد ترقى بضع سنوات إلى مدارج الاعتبار فى حضرة الملك الحاكم وحصل بدون استحقاق على لقب علاء الدولة ووزارة البلاط ومنصب رئيس الحرس ورتبة رئيس الغلمان وغيرها من المناصب، تولى حكومة أذربايجان وقيادة العسكر، وكنت قد عملت حاكمًا على تبريز ورئيسًا للمخازن، على الرغم من أننى قد علمت لدى وصولى أن هذا الفظ الغليظ لن يكون هو الشخص الذى يمكن التوافق معه، وكنت أعرف أنه لم يكن مؤمنًا بالإسلام ولم يكن يصلى أو يصوم قط، وكانت قسوة قلبه ذائعة الصيت فى الآفاق، ولكن نظرًا لأننى كنت قد تورطت وانزلقت قدمى فى العمل فإننى لم أستطع الاستقالة... كل ما حدث لى، كان هو اللعنة علىَّ والتى ماثلت حادثة كربلاء، مع الفارق[1]، وكل ما كنت قد جمعته فى هذه السبعة وعشرين عامًا من الأموال النقدية والمتاع والأثاث والكتب والأسلحة تعرض للسلب والنهب ولم يكن قد بقى شىء لكفنى لولا أن أخذ بيدى ثمرة رسول الله صلى الله عليه

(١) ويقول فى موضع: واتجهت إلى الوظيفة الحكومية، منذ سن الخامسة والعشرين وقد مارست كل الوظائف الصغيرة والكبيرة وكان الله عز وجُل قد شاء ألا أفعل السيئة قط، فقد أخذت الخراج وساهمت فى بناء المملكة وظلت الرعية سعيدة وراضية وكل هذا ضاع هباءً سنة ١٢٩٩ وعندما قيدونى مثل السفاحين لم يسأل أحد ما ذنب هذا الشيخ، (تاريخ تبريز، ص٧٦).

وسلم الحاج ميرزا كاظم وكيل آذربايجان.. [1] ومن بين أملاكى التى نهبوها مائتا كتاب من الكتب القيمة لم تكن توجد نسخ لها ولأن هذه النسخة[2] كانت سيئة الخط ومن الصعب فهمها فقد بقيت..

واليوم عصر الثلاثاء الثامن من صفر سنة ١٣٠٢ هـ تم بحمد الله مطالعة هذه الأوراق وبفضل الله تعالى وعون أئمة الهدى سلام الله عليهم نظر الأمير السعيد وارث التاج والعرش مظفر الدين ميرزا ولى عهد الدولة الإيرانية إلىّ أنا الغلام المسن بعين الرأفة والرحمة فعلا شأنى أول الأمر بمنصب ولقب كبير الندماء، ثم تشرفت بعد ذلك بالخطابة فى المراسم العامة، وبعد ذلك وفى السابع والعشرين من رمضان المبارك سنة ١٣٠١هـ صرت حاكم المدينة ومراقب السوق وزاد راتبى مائتى تومان أطال الله العظيم عمر هذا الظل لظل الله وزاده حشمة وجلالاً.

حرره نادر. ونادر ميرزا الذى "كان من بين نخبة العصر انتقل إلى رحمة الله فى دار السلطنة تبريز بعد ظهر يوم الأربعاء العاشر من صفر المظفر سنة ١٣٠٣ هـ"[3].

---

(١) الحاج ميرزا كاظم وكيل اعتضاد الممالك (١٢٤٦- ١٣٤١ هـ.ق) ابن ميرزا عبد الوهاب وكيل الطباطبائى أحد علماء وصلحاء تبريز وكان له على الدوام دور بارز فى الأمور الهامة، وكان ابنه الكبير إجلال الممالك من رؤساء الحركة الدستورية التحررية وشارك فى عضوية المجلس عدة دورات.

(٢) مخطوطة كتاب "تهذيب إصلاح المنطق" والتى كانت مع نادر ميرزا، وطبقاً للمعلومات التى يقدمها الحاج حسين آقا النخجوانى فإنها الآن فى مكتبة أخيه الحاج محمد النخجوانى.

(٣) هامش كتاب "تهذيب إصلاح المنطق" ربما بخط الحاج ميرزا كاظم وكيل الرعايا اعتضاد الممالك.

- تاريخ تبريز:

"تاريخ وجغرافية دار السلطنة تبريز" كتاب قام بتأليفه صاحب الترجمة فى آخر أيام حياته بناءً على رغبة حاجى ميرزا كاظم اعتضاد الممالك وردًا للجميل لفضله ومروءته التى كان قد رآها منه فى كبوته عام ١٢٩٩ هـ.ق، وفى هذا الكتاب الذى كتب بمنتهى الدقة والتأنى والتعقل الشديد تم الحديث بالتفصيل عن بناء تبريز والموقع والمكان وعدد السكان وطبيعة الطقس والأحياء والقنوات والمساجد والجوامع والمقابر والمزارات والأبنية والآثار التاريخية لهذه المدينة والأحداث التى شهدتها حتى عام ١٣٠٢ هـ.ق (آخر سنة فى أحداث الكتاب) من الحروب والسيول والزلازل وغيرها والأشخاص الذين حكموها من الطائفة الدنبلية وأمراء قراقوينلو وآق قويونلو والملوك القاجاريين، والأسر الكبيرة ومشاهيرها من القضاة والعلماء والمشايخ والأمراء والأعيان والكتبة والمحاسبين والشعراء الذين خرجوا من هذه المدينة والعادات والآداب ومراسم احتفالاتهم وعزائهم وأنواع الأشجار والفواكه والأطعمة، كما ذكرت فى هذا الكتاب أيضًا فقرات عديدة من فرمانات ومنشورات الملوك السابقين والتى تحتوى بعضها على جوانب تاريخية، وفى نهاية الكتاب يعرض المؤلف موجزًا عن أصله وجنسه وترجمة حاله وتقرير شامل جدًا عن فتنة الشيخ عبيد الله الكردى (١٢٩٧ هـ.ق) وأسبابها وقصة حفر قناة السويس (١٢٨٦ هـ.ق) على يد دليسبس[١] الفرنسى وربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر.

---

(١) فيكنت فردينان دليسبس، السياسى الفرنسى (١٨٠٥- ١٨٩٤م) الذى تولى مهمة حفر قناة السويس وربط البحر الأحمر بالمتوسط سنة ١٨٦٩ م.

وقد راعى الكاتب "ألا يتحدث بشكل مبالغ فيه وألا ينقل من الروايـات مثل سائر الكتّاب إلا إذا كان الراوى من الثقاة المحايدين وألا يـدرج أيـضًا شيئًا لا يصدقه العقل. " وعلى هذا النحو فإن موضوعات الكتاب كلها محققة وموثقة بالأدلة والبراهين القيمة وأغلبها موضوعات شاهدها المؤلف بعينيه أو سمعها من الثقاة وأى موضع فيه شبهة خطأ أوشك فى صحة الأمر امتنع فيه عن التوضيح الكافى وعرض وجهة النظر(١).

ومع أن الكاتب العالم لم يكن ينوى أن يتناول كتابه بالفارسية الخالصة، بل وأدرج فى مواضع كثيرة ألفاظًا وعبارات عربية عديدة بما يتناسب مـع المقام إلا أن الكلمات جاءت سلسة ومترابطة وجميلة وبوجه عـام مطابقـة لقواعد وأصول الكتابة الفارسية الصحيحة.

وقد كانت هناك نسخة مغلوطة وناقصة من هذا الكتاب فى يد ميـرزا هدايت الله لسان الملك سبهر فكتب عليها مقدمة تفيد بأنه قد تلقى الأمر مـن مظفر الدين شاه بأن يتم بقية الكتاب منذ عام ١٣٠٢ هـ.ق فصاعدًا، وحتى عصره "بدون المبالغات الشعرية والصعوبات الإنشائية واسـتعمال الألفـاظ المتنافرة واستخـدام الكلمات المنكرة وإنشـاد الأمثال والأشعار والاستشهاد

---

(١) المصادر التاريخية المشهورة التى قد أشار إليها المؤلف أو أورد موضوعًا بـشأنها هى: نزهة القلوب حمد الله المستوفى، تحفة النظار ابن بطوطة، ناسخ التواريخ مجلد القاجاريين، روضة الصفا ناصرى، أتشكده آذر، سفر نامه ناصر خسرو، سياحتنامه شاردن، تذكره حشرى (سامى الأسامى) ، عمدة المطالب فى الأنساب آل أبو طالب، تاريخ عالى آراى عباسى تاريخ جهانـگـيرى، تاريخ جهان نما (تركـى)، تـاريخ مصطفى سلانيكى (تركى)، تاج التواريخ، شرفنامه البدليسى فـى تـاريخ الأكـراد وغيرهم.

بالآيات والأخبار"، ولكن الحقيقة أنه لم يتدخل قط فـــى تحريـــر الكتـــاب أو إتمامه[١] واكتفى فقط بإضافة هذه المقدمة المتكلفة والمزينة نفسها والتـــى لا يمكن مقارنتها أبدًا بأسلوب تحرير الكتاب، وذكر معـــانى بعـــض الألفـــاظ الصعبة فى الهوامش، وقد طبع هذا الكتاب ابنه لسان السلطنة بعنوان "تاريخ وجغرافى دار السطنة تبريز" أو "جغرافياى مظفرى" فى طهران بتاريخ ١١ رجب سنة ١٣٢٣ هــ.ق.[٢]

وقد كتب نادير ميرزا أيضًا كتابًا بالفارسية فى أنواع الأطعمة والأغذية الإيرانية وطريقة طهى وتجهيز كل منها والمأكولات التى يفـضلها الـشعب الإيرانى، وقد زين العبارات بالآيات والأمثال والأخبار والأشعار[٣]، ومـــن

---

(١) والعجيب أن لسان السلطنة طابع وناشر الكتاب قد نسب كتابته لأبيه، مثلما يقول فـــى خاتمة الكتاب: "كتاب جغرافية دار السلطنة تبريز والمشهور باسم جغرافياى مظفرى تأليف المرحوم الأمير نادر ميرزا وكتابة المرحوم آقا ميرزا هدايت الله لسان الملك، ملك المؤرخين والذى يقوم بطباعته لسان السلطنة ملك المؤرخين..

(٢) وبعد سنوات علم أولاد المؤلف بأمر طبعه فجمعوا كل النسخ المطبوعة والتى كانـــت عند أسرة سبهر وصادروها ولكن توجد النسخة الأصلية للكتاب بخط المؤلـــف عنـــد أسرته وأنا قد رأيتها قبل سنوات وقرأتها أكثر من مرة وفى سنة ١٣١٢ ش، وعندما كان حسين سميعى أديب السلطنة محافظ أذربايجان وكان يتولى رئاسة جمعية تبريز الأدبية، أخذ هذه النسخة من محمد آراسته الأمير المحتشم ابن نادر ميـــرزا وطلـــب أيضًا النسخة التى كانت فى المكتبة الحكومية، وقرر أن يطابق النـــسخ ويـــصححها بمساعدة أعضاء الجمعية وطبعها بالحواشي والتعليقات وبعـــض الـــصور للأمـــاكن والمساجد ورجال ورؤساء الأسر المعروفة التى مر ذكرها فى الكتاب، وللأسف لـــم تنجح هذه الخطوة بسبب تغيير مهمته.

(٣) كان هذا الكتاب حتى فترة سابقة فى أسرة صاحب الترجمة عند الأمير محمد ميـــرزا آراسته وأنا قد رأيته وقرأته.

مؤلفاته الأخرى مجموعة نفيسة فى أمثال العرب[١] وكتاب فى علم النجوم ورسالة فى تشريح أعضاء جسم الإنسان[٢] باللغة العربية ، والتى لا توجد نسخة منها.

وفيما يلى بعض الأجزاء من تاريخ تبريز:

من مقدمة الكتاب:

أيها الصديق، لقد لاطفتنى وكلفتنى بالعمل فى الوقت الذى أدركتنى الشيخوخة وعجزت يدى وعينى عن العمل وأبيض شعرى ويأست من الحياة، إن جرعتنا الأولى قد تذوقناها من الشراب المر لكن تحققت الآن ثمرة أصدق الوعود، ومع هذا فإن الطاعة فريضة على الموالى ولاسيما طاعة ذلك الرجل العظيم الفاضل حفيد عبد مناف، على الرغم من أن العمل الكتابى لم يكن هو حرفة أجدادى ولم تكن أسرتنا تعرف الإنشاء مطلقًا ولم يكن يتحدثون إلا عن السيف الهندى والسيوف اليمنية والجبال والوديان والحقول والصحارى الممهدة، ولكن عندما أمرتنى أنت أيها الشهم بهذا، عادت إلى مكانها الطبيعى تلك البسطة التى كان الله تعالى قد منحنى إياها فى العلم والجسم فى مرحلة الشباب لأن ذلك المولى جده فى الحقيقة هو أمير المؤمنين على عليه السلام وهو لا يرضى ألا يبلغ حفيده أمله، وسوف تهل النفحات والإمدادات فى كل لحظة وأنا سوف أنهى هذا الكتاب بعون الله تعالى كما كنت تريد، ولن أجد أية مشقة فى هذا الأمر الذى تلقيته منك وفى هذا الكلام

---

(١) ذكر محمد على تربيت اسم هذا الكتاب "نوادر نادرى" فى "دانشمندا آذربايجان"أى علماء آذربيجان .

(٢) كانت نستختها عند محمد على تربيت مؤلف "علماء أذربايجان" ولا تزال.

الذى أكتبه ولن أوفيك حقك ولو جزءًا من تلك الشهامة والمروءة التى أظهرتها معى فى كبوتى عام ١٢٩٩ لأن روحى كانت قد ضاعت هدرًا ولكن بفضل الله تعالى عفوت أنت عنى، والآن عقدت العزم ولجأت إلى الله خالق الكلام وطلبت منه أن يحل عقدة لسانى، ونسيت تلك المشقة التى رأيتها فى الحياة وتذكرت هذه الأبيات العربية الثلاثة لابن الألوسى، وأدرجتها هنا:

ومكابر الزفرات موصدة　　يلتد خوف القتل بالشلل

صرف همومك تنتدب هممًا　　بالرمى موقوفًا على ثعل

والليلة الميلاد مفرحة　　تنسى الحوامل أشهر الحبل

.....وا أسفاه فقد رحل ديننا الآن ولم يبق منه سوى الاسم فقط وحتى الاسم سيمحى هو الآخر خلال فترة وجيزة، فأعداء هذه الشريعة قاموا فى أول الأمر بالضحك على جهلائنا فقالوا لهم فيم تفيد اللغة العربية وأية حاجة لهذه اللغة فى العالم، إذن لا ينبغى تضييع العمر الغالى فى تعلم العربية، وبعد ذلك خدعوا جهلاءنا بأن قالوا لهم إن هذا القرآن نفسه ما هو إلا ديوان جمعه محمد من التوراة والإنجيل، وسمعه من الرهبان والأحبار بعد أن سافر إلى الشام، إذن من أين جاء تحريم الخمر وكيف يقال إنها نجسة وهى مفرحة للروح، وأين الجنة، وما هى جهنم؟! إن الرجل العاقل هو الذى لا يبيع النعمة العاجلة بالوعود الآجلة، وهؤلاء كانوا هم أنفسهم الشياطين الذين ضللوا الناس، وكل الكتب التى كانت بين أيدينا وفى بلادنا توجد الآن فى المدن الأوروبية، ولم يكن هناك من ينصح جهلاءنا ويظهر حقيقة هذا الدين ويقول للمدعى – إننا سندع الكلام والأحاديث جانبًا فتأكد من كلامك فهذا قانون قد وضعه محمد بن عبد الله، فأى قانون أفضل من هذا؟ لقد أمر بالعفة

والتدين والصدق ومدح الجود والشجاعة والقناعة والمواساة وأوصى بصلة الرحم والمروءة والحياء والحلم، فقل لي أي منها صفة قبيحة؟ إن الإسلام بهذه الصفات قد تغلب على سلطنة العجم التي دامت أربعة آلاف سنة، وزلزل أرض أفريقيا وأسبانيا وحتى أرض فرنسا تحت سنابك خيول فرسانه، ولكن أمتنا نائمة ولن تستيقظ أبدًا لأن الأعداء قد خططوا لتدمير هذه الشريعة وخرج الأمر من اليد، فأفراد أمتنا الآن قد نسوا الدين الأحمدى فجأة ووضعوا دينين: الدين العلوى والدين العمرى (الشريعة والقانون الوضعى) وأصابوا هذه الأمة العظيمة بالشتت والاضطراب، فأين ذلك الرجل الذى ينبه جميع المسلمين ويقول لهم لاشأن لكم بعلى وعمر، وأيًا كان من يستحق الخلافة منهما فيجب علينا اتباع محمد صاحب هذه الشريعة ورفع رايته وتعلم كلمة الإسلام. وهذا الكلام لا ينتهى وإلى الله المشتكى...

حكاية: كنت فى تبريز سنة ١٢٦٥ هـ، وذات يوم ركبنا أنا ووكلاء الأمير محمد رحيم ميرزا[١] وذهبنا إلى الناحية الأخرى لنهر آجي من أجل النزهة وكان معنا الصقر والنسر، فقد قالوا إن فى تلك الناحية طيور الحبارى وصغار الغزلان، وحدث أننا ابتعدنا نحن الصيادون، ولم يكد يمضى جزء من الليل حتى وصلنا إلى جسر النهر فظهرت أضواء كثيرة من فوق الجسر من ناحية المدينة وعلت أصوات الضوضاء، فقلنا ربما شب حريق وذلك الضوء بسببه وهذه الضوضاء لأنهم تجمعوا لإطفاء الحريق، فانطلقنا بسرعة، فوصل عدد من حرس الأمير، وهنأونا بأن حضرة صاحب الأمر، عليه السلام، قد أتى بمعجزة وأنهم قد أقاموا الزينات والاحتفالات فى المدينة

---

(١) محمد رحيم ميرزا ضياء الدولة، الابن التاسع عشر لعباس ميرزا نائب السلطنة والجد الأكبر لمؤلف هذا الكتاب.

والسوق، فسألنا وماذا كانت هذه المعجزة؟ فقالوا إن جزارًا كان يسحب بقرة لكى يذبحها فأبدت البقرة قوة شديدة وقطعت الحبل وزحفت إلى المسجد والمقام، فتحرك الجزار إلى هناك وحمل حبلاً قويا ووضعه حول رقبة البقرة وسحبها إلى الخارج وأخذ يجرها بصعوبة شديدة، وفجأة سقط ومات... فتحركنا على وجه السرعة، ولما اقتربنا من ميدان صاحب آباد سمعنا صوت طبل وبوق النوبة، ووصلنا إلى السوق فوجدنا الدكاكين كلها مزينة ومقرًا للصلوات وأهل السوق يهنئون بعضهم البعض على أن تبريز صارت المدينة صاحبة الأمر وأُعفيت من الضرائب ومن حكم الحكام، فقد أصبح الحكم من بعد الآن لصاحب المقام، فتوجهنا إلى تلك الناحية فوجدنا المسجد والمقام والمكان كله فى غاية الزينة، والجميلات فوق الأسطح أخذن فى دق الطبول، فسجدنا هناك وانتقلنا إلى الحضرة وكان قد جلس الحاكم حشمت الدولة[١]، كيف كان يستطيع أن يتنفس!، وفى اليوم التالى أيضًا أخذوا يضربون النوبة حتى العشاء وتجمع الناس من كل صوب وحدب فلم يكن هناك موضع لقدم، وكان قد أخذ تلك البقرة السيد مير فتاح[٢] وألقى عليها غطاء من النسيج الكشميرى، وأخذ الأهالى يتدفقون ويقبلون قدم ذلك الحيوان ويخطفون قبعته من أجل التبرك، وأخذ الوجهاء والأكابر ينذرون المصابيح والستائر لتلك البقعة، لدرجة أن السفير الإنجليزى أرسل نجفة بللورية فقام بتعليقها[٣] هناك

---

(١) حمزة ميرزا حشمت الدولة الابن الحادى والعشرين لعباس ميرزا.

(٢) ميرفتاح، ابن ميرزا يوسف المجتهد التبريزى، وهو الشاب الشرير والأنانى نفسه الذى أحضر الجنود الروس إلى تبريز بقيادة الجنرال جورجى يوسيفيتش أريستوف (١٧٦٠- ١٧٦٣م) وقد ذكره قائممقام فى منشآته بعنوان "الفتاح غير العليم".

(٣) قام ميرزا تقى خان أمير كبير باحتجاز كبار ملاكى تبريز ومن بينهم شيخ الإسلام وطلب من القنصل الإنجليزى أن يعتذر لإيران وألا يتدخل بعد ذلك فى ما لا يعنيه،

الخدم والفراشون وأخذ أهالى الأقاليم يتدفقون فوجًا فوجًا مع الدليل من أجل الزيارة، وكل يوم يتحدثون عن معجزة جديدة مثل إبصار الكفيــف الفلانـــى ونطق الأخرس العلانى وشفاء قدم الأعرج الفلانى، وأخذ بعض الأعيان فى نشر هذا الأمر بشدة ولم يكن أحد يستطيع إنكار هذا الأمر لمدة شهر، وكان العامة من الناس كان كل منهم يفعل ويقول ما يشاء، ولم تكن قد بقيت شعرة واحدة على جسم البقرة فقد انتزعوا شعرها كله، وقد رأيت شخصًا من أولاد أعيان تبريز وكان عنده ضعف فى البصر فظل لمدة شهر جالسًا فى إحــدى غرف المسجد عله يشفى، حتى ماتت البقرة قضاءً وقدرًا، فأبعدوها قليلاً عن الديوان وأحدث الناس جلبة وظلوا يتوافدون لفترة طويلة وكان السيد قد أرسل جماعة ذات يوم إلى تلك البقعة فوجدوا الأهالى تعساء تمامًا. وكان هذا فـــى سنة ١٢٦٥هـــ.

كان لدى [التبريزيين] فى العصر السابق طرائف تـستحق المـشاهدة كـــانت إحـــداها لعبة الذئب، والميدان الذى كانوا يقـــومون فيه بهذا الأمر ، لا يزال موجودًا الآن فى مكانه ويسمونه "قورت ميدانى"(١).

فقد كانوا يأخذون الذئاب الذكور وهى فى ســن صــغيرة ويربونهـــا، وكانوا يقيمون صراع الذئاب فى كل حى عدة أيام فى الــسنة، فقــد كـــانوا يحضرون ذئبًا مفترسًا من كل حى وكـــان أنـــصار الــذئبين المتحـــاربين يحضرون مسلحين، وكانت الذئاب تهجم على بعضها البعض وكــل مـــنهم

لم تات معجزة بعد ذلك من بقعة صاحب الأمـــر (فريـــدون آدميـــت، فكـــر آزادى، طهران، ١٣٤٠ ش، ص ٥١).

(١) بمعنى ميدان الذئاب والذى كان يقع فى حى سرخاب.

يضغط على الآخر بفمه المكمم ويحتضنه ويعصر عظامه وكانت الضوضاء تعلو من كلا الجانبين، فتلك الجماعة تقول إن ذئبنا يصارع جيدًا والجماعة الأخرى تمدح ذئبها فيتطور الأمر ويتحول الكلام إلى معركة حامية وأحيانًا كان يسقط مائة شخص ما بين قتيل وجريح وقد وصف الملك العظيم الشاه عباس هذا الأمر بأنه عادة قبيحة.

حكاية:

سمعت أن شيخًا عمره مائة عام قالوا له إن ذئب الحى الفلانى قد مزَّق أمعاء ابنك الشاب، وأن ابنك قد مات، فقال: أخبرونى هل صارع ذئبنا بصورة جيدة أم ذلك الذئب الآخر؟ فقالوا: إن ذئب حيِّنا قد صارع جيدًا، فقال: إن موت الابن هيِّن!

........ومن تهورهم [التبريزيين] أنهم يبدأون الخروج والتجول فى سن الخامسة عشرة، يعلقون فى وسطهم خنجرًا داغستانيًا يُسمى "قمه" ويشدون الحزام على وسطهم بقوة ويربطون آخر زرين من الأزرار البارزة بالسترة، ويلبسون فى أقدامهم الحذاء الذى يشبه الخف الأصفهانى أو الحذاء اليمنى، وهؤلاء هم صبى البقال وصبى العلاف وصبى بائع الفواكه المجففة والذين يذهبون وقت السحر ويبحثون عن الخضروات والعنب والفحم والزبيب أو الزيت واللبن والحطب وعندما يصلون إلى ذلك المكان يتحدثون مع بعضهم البعض بأسلوب فظ فى أمر ملكية الأحمال ويسحبون القمة وكل منهم يريد أن يشتهر بهذه الطريقة، يُقال إن فلان شاب ماهر وعلامة ذلك أنه يترك بعض الشعر على شحمة أذنه ويرتدى قبعة مدببة الطرف ثم يعلوا شأنه ويلتف حوله اثنان أو ثلاثة من العاطلين المتسكعين فيضطر لأن يسرق ويخطف أمتعة الناس فقد كان لابد وحتمًا أن يأكلهم الدهن والحلوى ويأخذهم

إلى مطعم الأرز ويُجلسهم على المقهى، وكثيرًا ما يعجب أولاد التجار بفتوته ويعطونه من مال آبائهم وهو أيضًا يعد نفسه رستم واسفنديار، ولهذه الطائفة شهرة ومكانة فى هذه المدينة، وقد كانت من العصر القديم....

عندما يهل شهر الله تُفتح أبواب المساجد ويظهر فى كل منهـا إمـام وواعظ ويمسك الناس بالمسابح ويذهبون إلى المساجد حتـى اليـوم الرابـع والعشرين: بعد ذلك لا شيء إطلاقًا حتى يصل العام التـالى، وفـى شـهر رمضان تظهر فى السوق القدور الضخمة بلا غطاء والتى تسمى "تيـان" أى القزان وفيها يطهون الرشيدية المصنوعة من دقيق القمح ويُسمى لقمة العزيز وهم يحبونها جدًا ويُرسل إلى العروس ما يليق من هذه الرشيدية، وكل الناس يشترون منها، ولما يحين وقت الظهيرة يعلقون على دكان الرشيدية المناديل الجميلة الملونة التى أعطاها لهم المشترون، وكل رجل لا يحضر الرشـيدية مرة أو مرتين فى هذا الشهر لا يؤدى حقوق الزوجية، وعندما يحضر الرجل هذه الرشيدية إلى البيت تفرح المرأة وتقابله بوجه طلق وتنثر عليها قليلاً من الماء وتهرسها حتى تلين ثم تضيف إليها عصير العنب وترش عليها قليلاً من الزنجبيل المدقوق وتخلطها بعين الجمل المطحون وتصبح عجينة من الحلوى فيأكلونها بنهم وشراهة ويعدونها أفضل ملذات الدنيا، وهـم يـضعونها فـى قصور العظماء بمحلول السكر واللوز والحبهان والزنجبيـل، والمـشترون وأصحاب الذوق من النساء يحتفظون بالرشيدية ويأكلونها بعد رمضان وهذه هى صفة ست البيت الماهرة، وعندما ينتهى رمضان تغلق محلات الرشيدية ولا تفتح إلا فى العام التالى ويتحسر الناس قائلين: متى يصل رمضان حتى نأكل الرشيدية.

٦- الطسوجى:

أثر الأسلوب البسيط فى الكتابة الذى كان قد بدأ من البلاط وعلى يـد كتَّاب وربائب البلاط، أثر تدريجيًا فى المؤلفين والكُتَّـاب الآخـرين. ومـن الأعمال الأدبية المهمة جدًا التى تمت فى آخر سلطنة محمد شاه وبداية حكم ناصر الدين شاه، ترجمة ألف ليلة وليلة العربية إلى الفارسية.

ومترجم هذا الكتاب هو ميرزا عبد اللطيـف أحـد أهـالى طـسوج بأذربايجان وكان يسكن فى تبريز، وقد خرج من إحدى الأسـر المـشهورة بالعلوم الدينية وتعلم الفارسية والعربية والعلوم الدينية، ودخـل فـى زمـرة علماء الدين وأهل المنبر وتعهد بتعليم وتربية الأمير ناصر الدين ميرزا ولى العهد بناءً على أوامر محمد شاه، وحصل على لقب المـلا باشـى [رئـيس معلمى البلاط] مع أنه كان هناك ملا باشى آخر فى تبريز فى ذلك الوقـت، ولما سافر للحج وعاد اشتهر بالحاج ملا باشى. وبعد فترة وفى عـام ١٢٦٤ هـ.ق توفى محمد شاه وحضر ولى العهد إلى طهران مع ميرزا تقى خـان أمير كبير، وقد كان الحاج ملا باشى وولده الحاج ميرزا محسن خان مظفر الملك فى الركاب خلال هذا السفر ولمَّا وصل موكب الشاه إلى قزوين حصل الحاج ملا باشى من أمير كبير على إذن زيارة العتبـات المقدسـة بحجـة الشيخوخة وأودع ولده عند الشاه وسافر هو إلى العتبات وظل معتكفًا سنوات فى النجف وتوفى هناك وقد كانت وفاته بالتأكيد قبل عام ١٢٩٧ هـ.ق[١].

---

(١) محمد جعفر محجوب، ترجمة ألف ليلة وليلة الفارسية (مجلة سخن الدورة ١١، العدد١).

- **ترجمة ألف ليلة وليلة:**

نقل الطسوجى كتاب ألف ليلة وليلة من العربية إلى الفارسية فى عام ١٢٥٩ هـ.ق بناءً على أوامر الأمير بهمنى ميرزا بن عباس ميرزا نائب السلطنة وقام ميرزا سروش شمس الشعراء الأصفهانى بإعداد أشعار فارسية بدلاً من أشعارها العربية[١]، وقد طُبع هذا الكتاب أول مرة طباعة حجرية فى تبريز عام ١٢٦١ هـ.ق بخط ميرزا على الخطاط[٢].

وقد تمت الترجمة فيما يبدو وفقًا للنسخة المطبوعة فى مطبعة بولاق[٣] و "هى تعد من الآثار الفارسية البديعة من حيث فصاحة الكلام وحسن التعبير وسلاسة الألفاظ"[٤]

- مقدمة المترجم على ترجمة ألف ليلة وليلة:

..... من عادة الحكماء أن يتحدثوا تارة فى شكل الأسطورة وتارة على لسان الحيوانات الأليفة وغير الأليفة، والهدف من هذا كله هو الوعظ والحكمة، ولكنهم يستخدمون هذه الحيلة، كى يستميلوا كافة الطباع إلى أقوالهم فيقرأها الناس على سبيل الحكاية ويتعلمونها بسهولة ثم يتفكروا فيها. بعد ذلك تكون عندهم بمثابة خزانة الحكمة النفيسة وكنوز المعرفة الغالية. ... وقد تم سرد ألف ليلة وليلة على هذا المنوال أيضًا وذكرت عدة عجائب عن أحوال السابقين وعدة غرائب كحكايات على لسان الحيوانات، وأُدرجت أشعار بديعة

---

(١) يمكن الرجوع إلى شرح أحوال شمس الشعراء سروش الأصفهانى فى الكتاب نفسه.

(٢) وبعد ذلك طبُع عدة مرات طباعة حجرية ورصاص فى طهران وتبريز وبومباى.

(٣) ألف ليلة وليلة، مطبعة بولاق، مصر، ١٢٥١ هـ.ق (١٨٦٣م).

(٤) خطاب على أصغر حكمت بتاريخ ٢٨ بهمن ١٣٠٨ فى الجمعية الأدبية الإيرانية: وقد طُبع هذا الخطاب مع تعديلات الخطيب نفسه فى مقدمة ألف ليلة وليلة (طهران، ١٣١٥ ش، مطبعة كلاه خاور، المجلد الأول).

وطرائف جميلة حيث إن نوادرها تفيد الندماء وأشعارها تزيد الأدباء بلاغـة ولهذا السبب يرغب الخاص والعام فى قراءتها وسماعها، لكن نظرًا لأن فهم اللغة العربية يقتصر على أهل الفضل والأدب ولم يكن قد قام أحد بترجمـة هذا الكتاب البليغ إلى الفارسية حتى عهد دولة وسلطنة محمد شـاه الغـازى بحيث يتمكن الجميع من الاستفادة منه، لذلك قام شقيق الملك ذو الشأن الرفيع وحاكم كل ممالك أذربايجان بهمن ميرزا أحسن أولاد ولى العهـد المرحـوم عباس ميرزا ابن السلطان فتحعلى شاه.

– الذى يشترك فى الأصل من الناحيتين مع ملك الدنيا

هو أصل المجد ومدلل أهل الفضل

– الأمير العادل عضد الدولة والدين   محمود الخصال وممدوح السيرة

قام باستدعاء العبد الضعيف، عبد اللطيف التبريزى إلى بـلاط مـلاذ الخلائق وأمرنى بنقل هذه النسخة البديعة من العربية إلى الفارسية التى تعـد أحلى اللغات، وطلب من أفصح الشعراء وأبلغ الفصحاء وملك الكلام ميـرزا سروش بأن يكتب بدلاً من الأشعار العربية أشعارًا فارسية من كتب الشعراء بما يتناسب مع المقام وطلب منه كذلك أن ينشد بنفسه أى شعر متعلق بقصة أو مرتبط بحكاية ، فربطنا نحن العبيد حزام الطاعة وشمرنا ساعد الخدمـة راجين أن تتم هذه الخدمة بعون الله وتوفيقه وتلقى قبول بلاط الأمير صاحب العظمة والجاه.

صفحة من ألف ليلة وليلة ترجمة الطسوجى:

روى أنه لم يكن هناك من بين الخلفاء العباسيين خليفة أكثر علمًا مـن المأمون حيث إنه كان متبحرًا فى جميع العلوم وكان يعقد مجلـس منـاظرة العلماء يومين كل أسبوع، وكان الفقهاء والمتكلمون كان كل منهم يجلس على حسب درجته، وكان المأمون قد جلس ذات يوم مع الفقهاء والمتكلمين، فدخل

المجلس رجل غريب يرتدى ثيابًا بيضاء بالية وقديمة وجلس أدنى من جميع الحاضرين، وبدأ الفقهاء فى الكلام وقاموا بحل القضايا والمسائل وكان مـــن عادتهم أنهم كانوا يعرضون المسألة على كل أهل المجلس واحدًا واحدًا وكان كل منهم يذكر طرفة أو نكتة على حسب ذوقه واختياره، وفى ذلــك اليــوم طرحوا مسألة وعرضوها على كل الحاضرين حتى جاء الدور علـــى ذلــك الرجل الغريب، فبدأ ذلك الرجل فى الكلام وكان رده أفضل من رد الفقهـــاء فصدق الخليفة كلامه وأعجب به وأمر بأن يجلس فى مكان أعلى من ذلــك المكان الذى كان قد جلس فيه، إلى أن جلس بالقرب من الخليفة ولما انتهــت المناظرة أحضروا الماء وغسلوا أيديهم وقـــد خــصه الخليفـــة بالملاطفـــة والاهتمام ووعده بالإنعام والإحسان، وبعد ذلك أعدوا مجلس الشراب وطلب الخليفة الندماء، ودار كأس الخمر ووصل إلى ذلك الرجل، فهب من مكانـــه فى الحال وقال: هل يأذن لى الخليفة فى أن أتكلم، قال الخليفة: قل ما تريــد فقال ذلك الرجل: لقد تبين للخليفة أننى كنت اليوم أدنى الناس فـــى المجلــس فرفعنى خليفة الزمان وقربنى منه بسبب قدر من العلم ظهر منى وأجلــسنى فى الدرجة الأعلى والآن يريد أن يفصل بينى وبين هذا القدر الضئيل مـــن العلم حتى أهبط من العزة إلى الذلة ومن الكثرة إلى القلة، حاشا أن يحسدنى خليفة العالم على هذا القدر الضئيل من العلم ولكن الرجــل عنــدما يــشرب الخمر يزول عقله ويقترب الجهل منه ويذهب الأدب عنه ويسقط من نظـــر الناس، وأنا أرجو من الخليفة سديد الرأى ألا يأخذ منى هذه الجوهرة الثمينة.

وعندما سمع الخليفة المأمون هذا الكلام مدحه وأجلسه فـــى مرتبتـــه العالية هذه وزاد فى توقيره وتعظيمه ومنحه مائة ألف درهم وخلعة فـــاخرة، وظل يجلسه بجانبه دائمًا فى مجلس المناظرة.

التتمة

مقدمة

إذا تجاوزنا الحركة الأدبية فى القرن الثالث عشر الهجرى من بداية تشكيل الأسرة القاجارية حتى نهاية عهد ناصر الدين شاه، وما أظهرته من تطور تدريجى ونسبى فى هذه المرحلة من تاريخ الأدب فى إيران فإننا سنتناول أحوال وآثار عظماء النظم والنثر الفارسى. الآن قبل شرح الظواهر الحديثة التى ظهرت منذ أوائل عهد ناصر الدين شاه، مع نفوذ الحضارة والثقافة الغربية فى الأدب الإيرانى التى تتصل بالتاريخ الأدبى لفترة الثورة الدستورية، نعرض باختصار بعض المؤلفات التاريخية والدينية والفلسفية وكتب التذاكر والتراجم التى كتبت فى القرن الثالث عشر الهجرى. ومن هذا القبيل رسائل ومؤلفات مع أنها ليست أدبية صرفة إلا أنها توضح جانبًا من التاريخ الأدبى للقرن الماضى، لا نستطيع إغفاله.

١- كتب التاريخ:

نرى من بين الكتب التاريخية التى كتبت حتى عهد الدولة الصفوية، مؤلفات مثل (تاريخ البيهقى وزين الأخبار الجرديزى وعالم آراى عباس) والتى قصد مؤلفوها كتابة تاريخ وليس إظهار فضل وكمال. أما كتب التاريخ بعد عهد الدولة الصفوية مثل كتاب (دوره‌ء نادره) تأليف ميرزا مهدى خان الاستر آبادى، كاتب نادر شاه، ومع أنه يمكن استخراج معلومات مفيدة من تلك الكتب التاريخية، إلا أنها بصورة عامة مملوءة بأساليب معقدة غير

واضحة وبتعبيرات مبهمة، كما أنها تحفل بمفردات مهجورة وعبارات استعلائية مما قللت إلى حد كبير من أهميتها التاريخية. والعيب الآخر أن كتب التاريخ تلك ينحصر تأريخها على تاريخ السلاطين وأولادهم والأمراء وأنها ليست تأريخاً لتاريخ الأمة والشعب الإيرانى، بل إنها حسبما قال براون تقويم قاس لسفك الدماء والجبايات والاعتداءات التى يمكن بصعوبة الوقوف على موضوع عام قيم منها"(١).

مآثر سلطانى: (المآثر السلطانية)

يبدو أنه أول كتاب ألف فى تاريخ الأسرة القاجارية وهو كتاب جيد من تأليف عبد الرزاق بيك الدنبلى.

عبد الرزاق بيك المتخلص بمفتون من علماء أذربايجان وأدبائها، وهو ابن نجفقلى بيك(٢) بيكلربيكى. حاكم تبريز، ولد فى عام ١١٧٦هـ.ق فى مدينة خوى، وحين كان فى العاشرة من عمره أسر وأخذ رهينة بدلاً من أخيه الأكبر، فضلعلى بيك(٣) وأصبح رهينة فى شيراز عند كريم خان الزندى وحمل إلى شيراز ووضع تحت المراقبة لمدة أربعة عشر عامًا حتى قام على مرادخان بالثورة على صادق خان شقيق كريم خان واستولى على شيراز وأرسل الرهائن الذين كانوا فى آذربايجان إلى أصفهان. وفى الرابع عشر

---

(١) براون: تاريخ أدبيات ايران از آغار عهد صفويه تازمان حاضر: ترجمة رشيد ياسمى ص٣١٥.

(٢) جرح فى قدمه فى زلزال عام ١١٩٣هـ.ق الذى ضرب تبريز وتوفى فى عام ١١٩٩ هـ.ق.

(٣) من تلاميذ رشيد درويش عبد المجيد طلقانى وواحد من أساتذة خط الشكسته توفى فى زلزال تبريز.

من ربيع الأول ١١٩٩هـ.ق توفى على مرادخان ووصل آقا محمد خان القاجارى إلى أصفهان، وأرسل سجناء آذربايجان ، وقد كان عبد الرزاق بيك واحدًا ممن أرسلوا إلى آذربايجان. وهناك استكمل عبد الرزاق بيك اطلاعاته وتأليفاته حتى حصل فى أثناء حكم عباس ميرزا نائب السلطنة على منصب المستوفى والعمل فى الحسابات الديوانية وقام بالحج عام ١٢٤١هـ.ق، وفى عام ١٢٤٣هـ.ق توفى فى مدينة تبريز عن عمر سبعة وستين عامًا.

تاريخ مآثر سلطانى (المآثر السلطانية) (١):

كتاب تاريخ المآثر السلطانية يشتمل على وقائع فترة حكم فتحعلى شاه من تاريخ توليه الحكم حتى عام ١٢٤١ ق. و هذا الكتاب مع أنه كتب بعبارات غامضة إلا أنه مفيد فى التعرف على بدايات الأسرة القاجارية. وكان الكاتب قد أراد وبناء على قوله "أن يدون بدايات أحوال الخاقان الذى لا شبيه له بعد هذا التاريخ فى مجلد آخر ويرسله للطباعة حتى يستفيد منه القراء". لكنه لم يوفق فى تنفيذ ما نوى.

تاريخ نو (التاريخ الحديث):

بعد ذلك استكمل جهانكير ميرزا، الابن الثالث لعباس ميرزا كتاب تاريخ عبد الرزاق دنبلى وأخرج كتاب باسم تاريخ نو والذى يشتمل على الأحداث اعتبارًا من عام ١٢٤٠هـ إلى أوائل عام ١٢٦٧هـ.

كان جهانكير ميرزا رجلاً قويًا وفصيحًا وشجاعًا وفى بداية شبابه كان حاكمًا لخوى وسلماس وقائدًا لجنود هذه المنطقة من قبل والده. وكان

---

(١) هذا الكتاب طبع تحت إشراف ملا محمد باقر التبريزى وطبع بمطابع الرصاص وذلك فى شهر رجب عام ١٢٤١هـ.ق.

حاكمًا لآروميه واشترك فى الحرب ضد المتمـردين الأكـراد والمعتـدين العثمانيين وأيضًا فى المرحلة الثانية من الحرب الإيرانية الروسية وفى نهاية الحرب الإيرانية الروسية كلف بتأمين حدود أردبيل وطالش وسواحل بحـر الخزر وقلعة أردبيل. بعد وفاة فتحعلى شاه وقيام حركة محمد ميـرزا مـن خراسان إلى تبريز واستقطابها لبعض الناس كان أكبرهم ميرزا أبو القاسـم قائممقام، تم القبض على جهانكير ميرزا وأخوانه الثلاثة (خـسرو ميـرزا، أحمد ميرزا، مصطفى قلى ميرزا) فى ربيع الأول عام ١٢٥٠هـ.ق فى جبل (باغميشه) فى تبريز بناء على أوامر الشاه الجديد، وتم سـجنهم فـى قلعـة أردبيل وفى المكان نفسه فى ليلة الخامس عشر من رجب عام ١٢٥٠ هـ.ق تم سمل عينى جهانكير ميرزا وأخيه خسرو ميرزا.

وبعد عام ونصف، كان قائممقام قد قتل، أشفق محمد شاه على هذين الأخين الكفيفين وسمح لهما أن يعيشا أحرارًا فى (تويـسر كـان). وعـاش جهانكير ميرزا خلال عهد محمد شاه فى (تويسر كـان وملايـر) وهنـاك وبالرغم من أنه كان كفيفًا انشغل بتحصيل العلوم وفى هذا الوقت كتب كتاب تاريخ نو. بعد وفاة محمد شاه، استقدم خليفته ناصر الدين شاه عميـه إلـى طهران وأكرمهما وكان هذا فى شوال عام ١٢٦٠هـ.ق وبعد ذلك، ذهب إلى تبريز بنية الحج، وعندما وصل إلى (خوى) مرض واضطر إلى العودة إلى تبريز وتوفى هناك فى عام ١٢٦٩هـ.ق.

تاريخ نو أو تاريخ جهانكيرى حسب قول نادر ميرزا، يعد كما قلنـا تكملة لتاريخ قاجاريه تأليف عبد الرزاق بيك دنبلى، وتاريخ نو يشتمل علـى أحداث ٢٦عامًا وبضعة شهور من حكم الدول القاجارية أى العشر سـنوات الأخيرة من فترة حكم فتحعلى شاه، الأربعة عشر عامًا لحكـم محمـد شـاه

وسنتين إلا قليل من فترة حكم ناصر الدين شاه.

هذا الكتاب أملاه جهانكير ميرزا وليس فيه تميز من حيث الإنشاء وأسلوب الكتابة، بل إن جمله مقطوعة وتعبيراته مهترئة وعامية وأملاه خطأ فى الغالب. لكن من حيث الموضوعات التى تتعلق بالستة والعشرين عامًا والقليل من فترة حكم الأسرة القاجارية فلا غبار عليه، وحتى من هذا الجانب أى فى ذكر الموضوعات رأى التبسيط والتفصيل وأيضًا عباراته سلسة وخالية من التكلف، مما يميزه عن المآثر السلطانية. ونستطيع أن نرى موضوعات فى غاية الأهمية فى هذا الكتاب فيما يتعلق بالحرب الثانية لإيران وروسيا وأحوال حاجى ميرزا آقاسى ومحمد خان أمير نظام وأمراء القاجارين وبداية حال ميرزا تقى خان أمير كبير وظهور الباب وغير ذلك وهى غير متاحة فى أى مصدر آخر(١).

وقد وقعت نسخة من هذا الكتاب مكتوبة بتاريخ تحريرها الأصلى (أى عام ١٢٦٧هـ.ق) فى يد نادر ميرزا، مؤلف كتاب تاريخ تبريز، وتوجد تعليقات بخطه وإمضائه فى حواشى هذه النسخة هى التى هى قدمها ميرزا جعفر سلطان القرائى إلى عباس إقبال وبمقارنتها مع النسختين الأخريين قام إقبال بطباعة الكتاب.

تاريخ جهان آرا:

ألف هذا الكتاب ميرزا صادق وقايع نكار المروزى عن أحداث

---

(١) مقدمة عباس إقبال آشتيانى لكتاب تاريخ نو، طهران شهر مهر عام ١٣٢٧ش.

عشرين عامًا من حكم فتحعلى شاه فى مجلدين، المجلد الأول يـشتمل علـى أحداث عشر سنوات من ١٢١٢ ق إلى ١٢٢١ ق والمجلد الثانى يشتمل على أحداث الأعوام من ١٢٢١ ق إلى ١٢٣٣ هـ.ق، وقد وصل المجلـد الأول من هذا الكتاب إلى الشاه القاجارى فى عام ١٢٢٥هـ.ق.

ناسخ التواريخ:

من كتب التاريخ التى كتبت فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر مجلدات ناسخ التواريخ التى ألفها ميرزا تقى سـپهر.

ميرزا محمد تقى لسان الملك الأول، والمتخلص بسـپهر هـو ابـن ميرزا محمد على من أعيان كاشان. ولد فى كاشان عام ١٢١٦هـ.ق ودرس أيضًا فى هذه المدينة.

يقولون إن سـپهر نظم قصيدة فى مدح ملك الشعراء صبا وعنـدما أدرك ملك الشعراء صبا موهبته أعجب به وزوجه أخته وأرسله مع ابنه إلى كاشان. وظل ميرزا محمد تقى فى كاشان حتى وفاة ملك الشعراء وبعد وفاته أتى إلى طهران مع ابنه محمد حسين خان عندليب. وبعده مدة حدث خـلاف بين ميرزا محمد تقى ومحمد حسين خان عندليب وعاد ميرزا محمد تقى إلى كاشان، والتحق ببلاط الأمير محمود ميرزا حاكم نهاوند وتوابعهـا ونظـم ديوان مديح باسم "محمودة القصايد" وقدمه له فى بداية فصل الربيـع عـام ١٢٤١ هـ.ق (منتصف شعبان).

فى هذا العام نفسه أصبح محمود ميرزا حاكمًـا للرسـتان، وذهـب سـپهر أيضًا معه إلى خرم آباد وظل هناك إلى عام ١٢٤٢هـ.ق بعد ذلـك بعام عاد محمود ميرزا حاكمًا لنهاوند وذهب سـپهر أيضًا معه إلـى نهاونـد

وكان ســپهر حتى عام ١٢٤٥ق فى بلاط محمود ميرزا. لكن فى هذا العـــام نفسه سافر فتحعلى شاه إلى خوزستان ونرى ســپهر فى معية محمــد تقـــى ميرزا حسام السلطنة شقيق محمود ميرزا الذى وصل إلى شوستر فى معيـــة فتحعلى شاه. فى عام ١٢٤٥ق حدث خلاف بين الأخــوين (محمــود ميــرزا ومحمد تقى ميرزا) والذى أدى إلى الحرب بينها وضم الــشاه لرســتان إلـــى كرمانشاهان وعهد بحكمها إلى محمد حسين ميرزا حشمت الدولة وظل محمد تقى ميرزا فى حكومة لرستان وأبقى محمود ميرزا فى خرم آباد تحت الرقابة.

وبوسيلة ما خرج ســپهر من خرم آباد ووصل إلى طهران ويبـــدو أنه منذ ذلك الحين ترك خدمة محمود ميرزا وأقام فى طهران.

وفى عام ١٢٤٨ق كلف فتحعلى شاه يوسف خان ســپهــدار بحـــل الخلاف الذى وقع بين حسام السلطنة وحشمت الدولة ورافقه فى هذه المهمة ســـپهر.

فى عام ١٢٥٠ ق ذهب ســپهر إلى فارس فى معية فتحعلى شـــاه، وحين توفى الشاه فى أصفهان عاد ســـپهر إلى كاشان وبقى فى كاشان طوال فترة النزاع الذى وقع بين مؤيدى السلطنة والمعارضين.

فى عهد محمد شاه، تم استدعاء ســپهر إلى طهــران وأســند إليـــه منصب الاستيفاء. وبعد تولى ناصر الدين شاه، أصبح حاكمًا لكاشان وظـــل هناك حتى عام ١٢٦٧هــ.ق وحين عاد ناصر الدين شاه من رحلتـــه إلـــى أصفهان والعراق أتى إلى طهران فى معية الشاه. وفى بلاط ناصر الدين شاه أضيفت إليه مهمة الإعلان عن قرارات الشاه وفرماناته وفى عام ١٢٧٢ق. حصل على لقب لسان الملك، وبعدها أصبح عضوًا فى مصلحت خانـــه(أى

مجلس البلدية). وفى عام ١٢٩١هـ.ق تولى اعتضاد السلطنة رئاسة إدارة (عقد مجالس التنظيمات فى ولايات المملكة المحروسة) وأصبح سپهر المستوفى الأول وحصل على لقب (الخان المفتخر) إلى أن توفى فى ربيع الآخر عام ١٢٩٧ هـ.ق فى طهران.

وناسخ التواريخ كتاب فى التاريخ العام فى تسعة مجلدات ألفها ميرزا محمد تقى سپهر لسان الملك الأول

بدأ سپهر تأليف الكتاب عام ١٢٥٨هـ.ق بناء على أمر محمد شاه وتشجيع من حاجى ميرزا آقاسى وانتهى من كتابه الكتاب الأول فى مجلدين فى خمس سنوات ١٢٦٣هـ. و فى عهد ناصر الدين شاه بدأ فى تأليف تاريخ القاجاريين وأتمه فى عام ١٢٧٤هـ ونال إعجاب الشاه، وبعد أن انتهى من ذلك بدأ فى تأليف الكتاب الثانى من ناسخ التواريخ وألف منه ستة مجلدات. وعلى هذا النحو فإن كتاب ناسخ التواريخ لميرزا محمد تقى سپهر مع تاريخ القاجاريين يقع فى تسعة مجلدات(١).

---

(١) الكتاب الأول، المجلد الأول، من هبوط آدم حتى ميلاد المسيح، المجلد الثانى، من ميلاد المسيح حتى الهجرة النبوية، الكتاب الثانى. المجلد الأول من الهجرة حتى وفاة الرسول فى السنة الحادية عشر للهجرة، المجلد الثانى تاريخ الخلفاء الراشدين حتى عام ٣٥ للهجرة. المجلد الثالث شرح حال على بن أبى طالب رابع الخلفاء الراشدين (أمير المؤمنين) المجلد الرابع ذكر أحوال السيدة فاطمة الزهراء، المجلد الخامس أحوال الإمام الحسن المجلد السادس، أحوال الإمام الحسين وبقية مجلدات ناسخ التواريخ ألفها عباس قلى خان سپهر الثانى المشير الأفخم ثانى أبناء ميرزا محمد

ولقد عانى سبهر كثيرًا فى كتابه مجلدات ناسخ التواريخ وقال الكونت جوبينو – (فى أوروبا يجب تشكيل هيئة من عدة أشخاص لإتمام مثل هــذا العمل)(١).

تاريخ قاجاريه (تاريخ القاجاريين):

مع أن تاريخ القاجاريين أو تاريخ ناصرى يذكر ضمن مجلدات كتاب ناسخ التواريخ إلا أنه فى الحقيقة تاريخ مستقل فى ثلاث مجلــدات: المجلــد الأول يشتمل على تاريخ تأسيس الأسرة القاجارية وشرح سلطنة آقا محمــد خان وفتحعلى شاه والمجلد الثانى شرح سلطنة محمد شاه، والمجلــد الثالــث شرح العشر سنوات الأولى من حكم ناصر الدين شاه(٢).

وكانت مصادر المؤلف فى تأليف تاريخ القاجاريين عبارة عــن مــا سمعه وما شهده وخواطره الشخصية وبعض الوثائق والكتابــات الرســمية، وفى الواقع يعد هذا العمل تدوينًا للأحداث أكثر منه كتابًا فى التاريخ. ولأنــه كتب بناء على أمر من الشاه والصدر الأعظم فإنه لا يخلو مــن المبالغــات والأفكار التى تحظى برضا المسؤولين والمنافقين وكثير مــن الملاحظــات الشخصية وكان المؤلف مضطرًا فى كثير من المواضع أن يغض الطــرف

نقى سبهر.

(١) كنت كوبينو؛ ثلاث سنوات فى آسيا، ج٢ ترجمة ذبيح الله منصورى، طهران.

(٢) طُبع تاريخ القاجاريين ثلاث مرات فى أعوام ١٢٧٤، ١٣٠٤، ١٣١٥هــ.ق وأخيرًا فى عام ١٣٢٧ش تم طبعه وتصحيحه مع إضافة فهارس وحواشــى تحــت رعايــة جهانكير قائممقامى.

عن شرح بعض الأحداث حتى أنه كان يحرف بعض الوقائع[١]. مع كل هذا فإن المؤلف كان قد أظهر فى مؤلفه الوثائق والمكاتبات التى جمعت فى البلاط من بداية الأسرة القاجارية، لذا يعد الكتاب من أهم مجلدات ناسخ التواريخ بل وأشمل كتب التاريخ عن الأسرة القاجارية. أما من حيث الإنشاء فإن تاريخ القاجاريين ومجلدات ناسخ التواريخ بها تركيبات وكلمات فارسية وعربية وأحياناً استخدم المؤلف كلمات مهجورة وغير مستصاغة وبشكل عام ليس للكتاب قيمة أدبية كبيرة.

روضة الصفا ناصرى (روضة الصفا الناصرية) :

ومن بين كتب التواريخ التى كتبت فى هذه الفترة كتاب روضة الصفا ناصرى، تأليف رضا قلى خان هدايت المعروف بـ (لله باشى)، ومجمل الموضوع أن محمد بن جاوند شاه بلخى المعروف (ميرخواند) [٢] مؤلف تاريخ روضة الصفا، كان قد ألف كتابه فى ستة مجلدات ووصل إلى تاريخ انقراض التيموريين حوالى عام ثمانمائه وسبعين ونيف ثم أضاف رضا قلى خان إلى الستة مجلدات مجلد آخر وهو تاريخ حبيب السير تأليف محمد غياث الدين خواندمير[٣] حفيد ميرخواند لابنته والذى شرح فيه تاريخ

---

(١) يقول كسروى فى مقدمة تاريخ مشروطه: "إن هذا الرجل لم يكن صادقاً فى النصيحة وأنه اتخذ التاريخ أداة للإطراء والنفاق... إن كل شخص يقرأ هذا الكتاب يدرك أن الكاتب كتب أشياء كثيرة كاذبة وفيها قدر كبير من النفاق والتجاوزات" .

(٢) توفى عام ٩٠٣ هـ.ق.

(٣) توفى عام ٩٤١ هـ.ق.

السلطان حسين بايقرا وملوك القره قويونلو والـــ آق قويونلو (عام ٩١٢هـــ وبعد ذلك) وأسماه المجلد السابع. بعد ذلك كتب هو نفـسه ثلاثـة مجلـدات والمجلد الثامن تناول تاريخ الصفويين إلى نهاية عهد نادر شاه والمجلد التاسع والعاشر خصصًا التاريخ الدولة القاجارية وفيه رصد لأحداث سلطنة الأسرة القاجارية حتى أوائل عهد ناصر الدين شاه عام ١٢٧٤ق وأسمى مجموع هذا الكتاب باسم روضة الصفا ناصرى وهذا الكتاب نفسه هو الذى انتقده ميرزا فتحعلى آخوند زاده.

كتب تاريخ أخرى:

لقد تحدثنا عن تاريخ تبريز، تأليف نادر ميرزا الذى يتميـز بطـابع أدبى مهم وخاص. تحدثنا عنه بشكل منفصل بالتفصيل، أما (منتظم ناصرى) فى التاريخ العام بمجلداته الثلاثة وسائر المؤلفات المنسوبة إلى محمد حـسن خان صنيع الدولة (اعتماد السلطنة)، وزير المطبوعات فى عهد ناصر الدين شاه وسوف نتحدث عنها ضمن ترجمة أحواله.

فى نهاية هذه المقال سنتحدث عن كتابين فى التاريخ كتابًا فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى (أواخر سلطنة ناصر الدين شاه وبداية فترة حكم مظفر الدين شاه):

صدر التواريخ: كتاب يشرح أحوال أحد عشر رجـلاً مـن وزراء سلاطين الأسرة القاجارية، والذى ألفه محمد حسين فروغى وغـلام حـسين أديب بناء على توجيه من محمد حسن خـان اعتمـاد الـسلطنة فـى عـام ١٣٠٩هـــ من أجل ميرزا على أصغر خان أمين السلطان. لم يطبـع هـذا

الكتاب حتى الآن وتوجد نسخة من هذا الكتاب في مكتبة كلية الآداب بطهران، وتم نسخ نسخة بناء على أوامر الدكتور قاسم غنى من المخطوطة الخاصة بميرزا محمد خان ذكاء الملك وكانت تحت تصرف الأستاذ عباس إقبال الآشتيانى.

أفضل التواريخ:

تأليف غلام حسين أفضل الملك المستوفى والذى يرجع نسبه إلى كريم خان الزندى(١). ويتناول أحداث عهد مظفر الدين شاه جمع المؤلف وقائع كل عام من سلطنة مظفر الدين شاه وأخبار المملكة فى كتاب بناء على أمر مكتوب من مظفر الدين شاه. المجلد الأول من هذا الكتاب يشرح أحداث العام الأول من سلطنة مظفر الدين شاه، أى عام ١٣١٣هـ والذى أسماه (جلوس مظفرى)، والمجلد الثانى متعلق بعام ١٣١٤هـ وأسماه أفضل التواريخ، والمجلد الثالث خاص بأحداث عام ١٣١٥هـ، وهذا المجلد يبدأ بمراسم عزاء محرم عام ١٣١٥هـ، وموجود فى مكتبة أعزاز الثقفى، ابن الدكتور خليل خان أعلم الدولة، ويوجد هذا الكتاب فى مكتبة مجلس الشورى الإيرانى وفقًا لما صرح به جهانكير قائممقام.

وبصرف النظر عن ذكر كتب تاريخ كثيرة أخرى والتى توضح كل واحدة منها زاوية من أحداث هذه الفترة قلت أو كثرت سيحل اليوم الذى يظهر فيه رجال يستطيعون أن يسجلوا تاريخًا كاملاً وجامعًا لهذه الفترة المليئة بالحوادث من تاريخ إيران وسيتوفر ذلك بقراءة جميع تلك الكتب والمؤلفات التى ألفها السائحون والسياسيون الأجانب ويجمعون المقالات

---

(١) هو ابن مهدى، ابن على، ابن إبراهيم أنور، ابن كريم خان الزندى.

والمذكرات المتفرقة والموجودة فـي النسخ المطبوعـة أو الخطيـة لهـا والموجودة فى المكتبات والبيوت.

٢- كتب التذاكر:

لابد أن يكون قد ذُكر من قبل أن كتب التذاكر الفارسية لا تحتـوى كثيرًا على معلومات عن الحياة الخاصة والأدبيـة للـشعراء والكتـاب وأن شخصية صاحب الترجمة ضاعت وسط عبارات مبهمة ومجاملات زائـدة. ومع هذا كله فإن هذه الكتابات ذاتها إذا قرئت بالتوازى مـع أعمـال أقـلام الشعراء والكتاب أنفسهم فمن الجائز أن تلقى ضوءًا على خصوصيات الحياة الشخصية والفنية لهم.

ويبدو أن أول تذكرة ألفت فى بداية العصر القاجارى كانـت "زينـة المدايح" التى ألفها محمد صادق هما المروزى التى دونت فى عـام ١٢٢٣ق وتضم القصائد التى نظمت فى مدح فتعلى شاه خلال السبع سنوات الأوائـل من حكمه.

والتذكرة الأخرى التى ظهرت فى تلك الفترة هى التذكرة التى ألفهـا فاضل خان كروسى والمتخلص بـ (راوى) والمعروفة باسم (انجمن خاقان). أى (محفل الخاقان) ويرجع ذلك إلى أن فتح عليشاه كان قد أسس جمعية باسم "انجمن خاقان" وقد تكونت من فضلاء ذلك العصر وأدبائه ، كمـا تقـرر أن تؤلف تذكرة كذلك تشرح أحوال علماء وشعراء البلاط. وقد بدأ تـأليف هـذا الكتاب أحمد بيك الكرجى المتخلص بـ (اختر) تلبية وتنفيذًا لأمر الشاه إلا أن عمره قد انقضى قبل أن يتم العمل[1]، وأكمل العمل من بعده أخوه الأكبر محمد

---

(١) النسخة الوحيدة من هذا الكتاب والمؤرخة بتاريخ ١٢٢٧هـ.ق محفوظة فى مكتبة برلين.

باقر بيك الكرجى المتخلص بـ (نشاطى) إلا أنه قد توفى دون أن يتم العمل أيضًا بعد أن عمل فيه فترة، وأتم فاضل خان وكان عضوًا بالجمعية هذا العمل فى أربعة أعوام انتهت بعام ١٢٣٤هـ وكتب نسخ عديدة بخطه الجميل وأرسلوا نسخة إلى كل مدينة "ولكن هذا العمل لم ينل الشهرة المرجوة وبقيت غالبية تلك النسخ فى هذا العصر مكتوبة بخط كتاب الديوان والخطاطين".[١] ثم ألفت بعد ذلك كتب كثيرة أخرى فى القرن الثالث عشر كانت تحوى كل واحدة منها على ترجمة لأحوال وأشعار بعض شعراء ذلك العصر وسنكتفى بذكر أسماء بعضها : تذكرة گلشن محمود[٢] وسفينه المحمود،[٣] نقل مجالس،[٤] تذكرة دل گشا،[٥] نگارستان دارا،[٦] تذكرة السلاطين،[٧] گنج شايگان،[٨] تذكرة محمد شاهى،[٩]

---

(١) رضا قلى خان هدايت، مجمع الفصحاء، الطبعة الثانية ج٤، طهران ١٣٣٩ش.

(٢) تأليف الأمير محمود ميرزا فى شرح حال ومنتخب أشعار ٤٨ من أبناء فتحعلى شاه، ١٢٣٦هـ.ق.

(٣) المؤلف نفسه ويدور حول شعراء زمان فتحعلى شاه ١٢٤٠هـ.ق.

(٤) المؤلف نفسه ويدور حول الشاعرات فى ذلك العصر ١٢٤١هـ.ق.

(٥) تأليف ميرزا على أكبر الشيرازى، المتخلص بـ (بسمل) فى ترجمة شعراء زمان فتحعلى شاه ١٢٣٧هـ.ق.

(٦) تأليف عبد الرزاق بيك مفتون فى تراجم شعراء عصر فتحعلى شاه ١٢٤١هـ.ق.

(٧) تأليف سلطان محمد ميرزا سيف الدولة، ابن فتحعلى شاه، فى شرح شعراء ذلك العصر مع أشعار لفتحعلى شاه ١٢٤٥هـ.ق.

(٨) تأليف ميرزا طاهر شعرى (متوفى فى عام ١٢٧٥هـ.ق) ابن الشيخ زين العابدين الأصفهانى وهو من أحفاد الشيخ زاهد الجيلانى والمجلد الأول لهذا الكتاب الذى كتبه المؤلف باسم ميرزا آقاخان الصدر الأعظم واعتضاد السلطنة، طبع فى طهران عام ١٢٧٢هـ.ق.

(٩) تأليف بهمن ميرزا ابن نائب السلطنة عباس ميرزا ١٢٤٩هـ.ق.

مدايح معتمد الدولة[١]، مصطبة خراب[٢]، تذكرهء قدسيه[٣]، تذكرهء مجديه[٤]، وتذكرهء انجمن ناصرى[٥].

مجمع الفصحاء ورياض العارفين:

من هذه التذاكر التى ذكرناها يجب أن تذكر مؤلفات أمير الشعراء رضا قلى خان هدايت. مجمع الفصحاء أفضل وأشمل التذاكر العامة فلقد جمع المؤلف فى هذه التذكرة أكثر من سبعمائة شاعر من شعراء إيران مع منتخبات لأشعارهم، وقد استفاد فى جمع مادة هذه التذكرة من التذاكر الأخرى. وقد طبع هذا الكتاب عام ١٢٩٥هـ فى مجلدين فى طهران[٦] وأكمل هدايت هذا المؤلف المفيد بكتاب آخر باسم رياض العارفين، فى شرح أحوال المتصوفة والصالحين مع منتخب من أشعارهم وطبع فى طهران عام ١٣٠٥هـ، وأضاف أيضًا رضا قلى خان هدايت إلى الكتاب الثانى من ذيل روضة الصفا (المجلد التاسع) الذى أوصله إلى آخر عهد فتحعلى شاه، عدة صفحات خاصة بذكر أحوال أعيان الدولة والشعراء والعلماء وسائر رجال

---

(١) تأليف آقا محمد مذهب الأصفهانى المتخلص بـ (بهار) ويشتمل على ترجمة أحوال مائة ونيف شاعر من الشعراء الذين مدحوا منوتشهر خان معتمد الدولة (متوفى عام ١٢٦٣هـ.ق) والذى نظم قصائد وقطع وكان من رجال عهد فتحعلى شاه.

(٢) تأليف أحمد هولاكو فى ترجمة شعراء معاصرى فتحعلى شاه فى إيران وخارج إيران، ١٢٥٣هـ.ق.

(٣) تأليف مدايح نكار إبراهيم بن ميرزا مهدى خان بدون تاريخ.

(٤) لنفس هذا المؤلف، طهران ١٣٠٣ هـ.ق.

(٥) لنفس هذا المؤلف، طهران ١٣١٠هـ.ق.

(٦) تم تجديد طبع مجمع الفصحاء مرة ثانية خلال عامى ١٣٣٦، ١٣٤٠ ش فى ستة مجلدات فى طهران.

هذه الفترة العظام ويحوى أيضًا أمورًا تتعلق بحياتهم والتى لم ترد فى مجمع الفصحاء ورياض العارفين.

٣- كتب التراجم:

غير التذاكر التى ذكرناها ولاسيما التراجم التـــى تناولـــت أحـــوال الشعراء والكتاب، ألفت أيضًا فى العصر القاجارى كتـــب عديـــدة تناولـــت بالشرح أحوال وآثار الرجال المعروفين من شعراء وكتاب وعلماء وفلاسفة وخطاطين ووزراء والتى هى فى الواقع نوع من أنواع التذاكر أو قـــاموس للأعلام الإسلامية والإيرانية.

روضات الجنات:

روضات الجنات كتاب مفيد فى أحوال العلماء والسادات، ويـــشتمل على تراجم لـــ ٧٤٢ شخصًا من فضلاء وعلماء الإسلام والشعراء القـــدامى والجدد، ألفه ميرزا محمد باقر بن حـــاجى ميـــرزين العابـــدين الموســـوى الخوانسارى (١٢٢٦- ١٣١٣هـ) وهو أحد أكبر علماء الإمامية وصـــاحب مؤلفات عدة. وقد ألف هذا الكتاب فى النصف الثانى من القرن الثالث عـــشر (١٢٨٦هـ) وطبع فى طهران عام ١٣٠٦ هـ. كُتب روضات الجنات باللغة العربية وهو أحد أفضل كتب التراجم.

قصص العلماء:

كتاب آخر من كتب التراجم هو كتاب قصص العلماء تأليف محمد بن سليمان تنكابنى من فقهاء الأصوليين (١٢٣٥- ١٣٠٢هـ) والذى ألف فـــى ١٢٩٠ هـ، ويحتوى ذكر حوالى ١٥٣ عالمًا من علماء الشيعة من القـــرن الرابع حتى القرن الثالث عشر الهجرى وطبع هذه الكتاب مرات عديدة فـــى طهران ولكن هذا الكتاب لا يرقى إلى كتاب روضات الجنات.

نجوم السماء:

كتاب آخر من الكتب التى كتبت فى هذا المجال هو كتاب نجوم السماء تأليف محمد على آزاد الكشميرى الكنهوى بن محمد صادق والذى ألف فى نفس عام تأليف روضات الجنات أى فى عام ١٢٨٦هـ، ويشتمل على شرح أحوال علماء وفقهاء الشيعة فى القرن الحادى عشر وحتى القرن الثالث عشر الهجرى (العصر الصفوى حتى أواسط العصر القاجارى) طبع المجلد الأول من هذا الكتاب فى عام ١٣٠٣ هـ فى لكنهو.

تذكرة الخطاطين:

هذا الكتاب تأليف ميرزا سنجلاخ فى (متوفى عام ١٢٩٤هـ) والذى طُبع ونُشر فى مجلدين كبيرين بخط جميل وطباعة فاخرة بين عامى (١٢٩١- ١٢٩٦هـ) فى تبريز. وقد أورد المؤلف فى هذا الكتاب أحوال الخطاطين ونماذج من كتاباتهم.

گنج دانش (كنز العلم) :

ألف هذا الكتاب محمد تقى خان بن محمد هادى خان المتحلص بـ حكيم عام ١٣٠٥هـ وهو تذكرة كاملة لأسماء الأماكن والبلاد الإيرانية والأحداث التاريخية والرجال المشهورين وبعض المعلومات المفيدة، ويقع فى ٥٧٤ صفحة. وتكمن أهمية هذا الكتاب فى أن المؤلف ذكر أسماء المراجع والمصادر التى رجع إليها واستفاد منها.

بستان السباحة:

مؤلف هذا الكتاب هو الحاج زين العابدين الشيروانى المعروف بـ (مستعلى شاه) والمتحلص بـ (تمكين) وهو ابن ملا إسكندر من عرفا

ودراويش فرقة نعمة اللهى، وكان الحاج زين العابدين مرشد جماعة من مشاهير هذه الفرقة. وبناء على قوله فإنه قد ولد فى منتصف شعبان عام ١١٩٤هـ فى شماخى من مدن القوقاز، ابتداء من سن السابعة عشر ساح فى إيران ومصر والشام والحجاز والدولة العثمانية والهند وأفغانستان وكشمير وبدخشان وتركستان وما وراء النهر وغير ذلك وعاشر طوائف مختلفة ونقل فى هذا الكتاب مشاهداته وما سمعه وأحداثًا تاريخية متفرقة وروايات وضمن الكتاب أيضًا يدرج شرحًا لأحوال بعض العلماء والعرفاء والفلاسفة والشعراء(١).

وبستان السياحة معجم مرتب ترتيبًا هجائيًا فى التاريخ والجغرافيا والهندسة والفلك وتذكرة الأولياء والعرفاء وشرح أحوال الشعراء والأدباء والفقه وعلم الأصول واللغة والآيات والأخبار والرمل والإكسير وتفسير الأحلام. ويوجد فى هذا الكتاب كثير من الأخطاء والالتباسات والأكاذيب والحقائق كل هذا متداخل مع بعضه، لكن الشخص الذى يتمتع بالفطنة يستطيع أن يحصل منه على معلومات مفيدة. بعد ذلك سافر مؤلف هذا الكتاب إلى بلاد الترك وبلاد التاجيك، وعندما كبر فى السن بدأ فى الانزواء وأتم هذا العمل باسم محمد شاه قاجار فى عام ١٢٤٧ هـ، وبعد ذلك عكف سيد عبد الله مستوفى لمدة عامين فى مقارنة النسخ المتعددة، ومن جملة هذه النسخ النسخة التى كتبت فى عهد محمد شاه لاطلاعه الشخصى، فصححها ونقحها وطبعها فى طهران عام ١٣١٠هـ.ق وللحاج زين العابدين كتابان

---

(١) بعد ذلك أقام فى شيراز، وفى عام ١٢٥٣ توفى وهو فى طريقه إلى مكة.

آخران أيضًا باسم رياض السياحة وحدائق السياحة. كتاب رياض السياحة ألفه المؤلف باسم محمد رضا ميرزا بن فتحعلى شاه، وقد طبع فى أصفهان عام ١٣٣٩هـ بمساعى واهتمام سيد سعيد طباطبائى النائينى. ولكن يقال إن حدائق السياحة لم يطبع حتى الآن.

نامه دانشوران (رسالة العلماء) :

نامه دانشوران معجم أو قاموس كبير ومفصل للأعلام فى شرح أحوال وصفات وآثار مشاهير الإسلام، من سياسيين وعلماء وشعراء وكتاب وفلاسفة وعلماء الإلهيات وغير ذلك، وقد شكلت لجنة من العلماء لإتمام هذا العمل.

بدأت هذه اللجنة عملها فى عام ١٢٩٤هـ طبقًا لأمر الشاه فى ذلك الوقت تحت إشراف الأمير العالم عليقلى ميرزا اعتضاد السلطنة وزير العلوم[١] وفى البداية تم اختيار أربع علماء لتأليف هذا المعجم.

---

(١) عليقلى ميرزا (١٢٣٤- ١٢٩٨هـ.ق) ابن فتحعلى شاه، هو واحد من الأمراء القاجاريين أصحاب الفضل والذوق وصاحب دور كبير فى نشر الكتب والصحف وإدارة دار الفنون وإنشاء خطوط التلغراف وتشجيع العلماء وإرسال الطلاب إلى أوروبا.
بعد وفاة محمد شاه كان ناصر الدين ميرزا وليًا للعهد فى تبريز وكلف عليقلى ميرزا ناظرًا لمهد على والده ولى العهد ناصر الدين ميرزا وظل فى هذا الموقع طوال فترة صدارة أمير كبير وكذلك الجزء الأكبر من صدارة اعتماد الدولة نورى، وخلال هذه الفترة كان مشغولاً بالقراءة ومخالطة أهل الفضل والكمال وجمع مكتبة قيمة بعد ذلك حصل عليها ميرزا حسين خان سبهسالار وجعلها وقفًا لمدرسة سبهسالار.
عين اعتضاد السلطنة فى عام ١٢٧٤هـ.ق رئيسًا لمدرسة دار الفنون ثم كلف

ورد فى مقدمة المجلد الأول من هذا الكتاب ما يلى:

توقيع ملك الملوك ملاذ العالم.... ناصر الدين شاه... على عهده... اعتضاد السلطنة وزيـر العلـوم عليقلـى ميـرزا سـليل ملـك الملـوك المبرور....... فتحعلى شاه القاجارى...... صدر قرار بأن يؤلـف كتـاب جامع ودفتر كامل فى ترجمة أحوال أساتذة العلوم ومشايخ الفنون من علماء الإسلام ومختلف الديانات ويشرح أخبارهم، وأن يذكر اسم كل واحـد مـن فحول الفقهاء وأكابر الحكماء وحذاق الأطباء وأقطاب العارفين والمؤلفين فى كل فن والمتبحرين فى كل صناعة تحت عنوان خاص، وأن يشرح نمـاذج لمؤلفات كل واحد منهم قدر المستطاع من الأصـول المعتبـرة والمـدارك المعتمدة والتى تحوى خلاصة للحالات والنوادر والوقائع ولطائف الحكايـات ومنتخبات الأشعار وشيوخ الأخبار ومشاهير التلاميذ.... ما أن اتضح للأمير العالم (عليقلى ميرزا اعتضاد السلطنة) مضمون ذلك الخطاب الملكى – الذى يُعد عين العقل وباصرة العلم – ... نهض امتثالاً للأمر المقدس أسرع مـن دوران الفلك، وأمر فى البداية بإبلاغ مضمون الأمر الرفيع إلى الولاة وحكام الأقطار وصدرت الأوامر إلى المكلفين فى كل مركز وجمع معلومات مفصلة عن أحوال العلماء فى ذلك المركز من شيوخ وأكابر الأسر... حتـى تُـزين

بمشاغل أخرى شيئًا فشيئًا، ففى عام ١٢٨٣هـ.ق كان وزيـرًا للعلـوم والـصناعة والتجارة ورئيسًا لدار التلغراف والمناجم وتولى رئاسة صحيفة (روزنامهء دولتـى) و(روزنامهء علمى) والمطابع والمصانع وحاكمًا لملاير وتويسركان.

ومن مؤلفاته: "فلك السعادة فى رد أقوال المنجمين وسعد ونحس كواكب"، وترجمـة كتاب الآثار الباقية لأبى الريحان البيرونى، وإكسير التواريخ فى تـاريخ القاجاريـة. وكان ينظم الشعر أحيانًا وكان تخلصه فخرى.

كافة الأخبار والآثار فى هذا الدفتر الشامل بصحة التوثيق عن طريق روايات ونصوص المعمرين وصحة التصديق من خلال فحوى الرسائل وكافة الثقاة... ومن أجل إعداد مقدمات هذا الكتاب الكريم أمر ... باستدعاء جمع غفير من الأفاضل والأعيان على أن يوضع فضل كل واحد منهم وعلمه على المحك... والأمير العالم... من جملة هؤلاء.... تم اختيار أربعة علماء من ذوى المكانة الفنية والمقامات العالية..... وتم تكليفهم بتأليف هذا المعجم المبارك..... على عاتق الأساتذة الأربعة الكرام.

هؤلاء الأربعة الذين تم اختيارهم من قبل عليقلى ميرزا قبلوا كمؤلفين لنامه دانشوران من قبل دار التأليف، وهؤلاء الأربعة هم:

١- شمس العلماء الشيخ محمد مهدى عبد رب أبادى وهو الذى تحمل العبء الأكبر فى هذا العمل فهو الذى كان يرتب ويكتب مواد الكتاب التى يجمعها المؤلفون[١].

الشيخ محمد مهدى شمس العلماء، ابن ملا غلا معلى المعروف بـ حاج آخوند المقيم فى قرية عبد رب آباد من قرى دشتى بقزوين كان كاتبًا ذا اقتدار وصاحب اطلاع واف فى الأدب والحديث وأحوال الرجال. درس الصرف والنحو والمعانى والبيان والفقه والأصول فى قزوين، وبعد ذلك أكمل دراسته فى مدرسة دوستعلى خان نظام الدولة. ومن مؤلفاته كتاب فى شرح أحوال أئمة أهل السنة الأربعة بناء على أمر من ناصر الدين شاه. ويعتقد ميرزا محمد خان قزوينى أنه هو الذى ألف كتاب المآثر والآثار

---

(١) يقول هو نفسه فى مقدمة المجلد الثالث: (فى مقام الجمع والترتيب والتدوين والتبويب، أن هذا الفقير وحده كان الشخص الذى يقوم بهذا).

والثلاث مجلدات من كتاب مطلع الشمس التى نسبت إلى محمد حسن خان اعتماد السلطنة وشمس العلماء علاوة على الفضل والكمال نظم الشعر بالفارسية والعربية وكان تخلصه (ربانى).

ويعتقد ميرزا محمد خان القزوينى أنه توفى فى ٢٤ ذى الحجة ١٣٣١هـ عن عمر يناهز السبعين عامًا[١].

٢- مجد الدين أبو الفضل الساوجى، ابن الحاج ميرزا فضل الله، من طائفة شاملوا، كان طبيبًا وأديبًا، وله اطلاعات وافية فى شرح أحوال الرجال والتراجم، وكما ورد فى مقدمة الكتاب كان بمثابة أستاذ لشمس العلماء.

وكان الحاج ميرزا أبو الفضل مطلعًا على الفلسفة الإلهية والعلوم الطبيعية ولد الحاج ميرزا أبو الفضل فى عام ١٢٥٠ هـ وتوفى فى عام ١٣١٢هـ فى أثناء طباعة المجلد الثانى من الكتاب، واشترك فقط فى تأليف المجلد الأول والمجلد الثانى من كتاب نامه دانشوران.

٣- ملا عبد الوهاب القزوينى المعروف بـ ملا آقا، ابن الحاج عبد العلى عمده قرية كليزور إحدى القرى التابعة لبشاريات قزوين، ووالد الأستاذ العلامة محمد القزوينى، درس فى طهران فى مدرسة دوستعليخان معير الممالك، وتبحر فى العلوم الأدبية وترجمة أحوال العلماء ورجال الإسلام، وهو الذى كتب معظم تراجم أحوال علماء اللغة والصرف والنحو والفقه الذين وردوا فى كتاب نامه دانشوران. توفى ملا آقا فى محرم عام ١٣٠٦هـ.

---

(١) وفيات معاصرين، من مذكرات محمد قزوينى (مجلة يادكار السنة الخامسة، العدد الثالث).

٤- ميرزا حسن خان الطالقانى الذى اشترك فى تأليف المجلد الأول والذى تحمل تصحيح طباعة المجلد الأول. بعد ذلك اعتنق البابية واستبعد من دار التأليف. ولا توجد فى أيدينا معلومات كافية عن حياته[١].

والخطاب الذى وجهه الأمير عليقلى ميرزا فى بداية العمل لمؤلفى الكتاب(فيما يتعلق بتوضيح رموز التصنيف ونكات التأليف) خطاب جيد ومفيد:

فى البداية عليكم بذل الجهد المضنى فى تتبع وتفحص جميع آثار وأخبار حالات الفقهاء والمحدثين والفلاسفة والمنجمين والنحاة واللغوين والأطباء والمفسرين والعرفاء والمقرئين والشعراء والعروضين وغيرهم- ... من بداية الهجرة حتى بداية الدولة القاجارية ...... فمع وجود هذا المجموع المحيط لن يحتاج الإنسان إلى كتب أخرى من كتب الرجال والتراجم.

والشىء الآخر أن شرط الاستمرار فى العمل هو ترك العصبية المذهبية وحمية الطريقة. وعلى هذا يسير على نسق واحد تسجيل العقائد وتفصيل الأقوال وشرح المدائح وتدوين المناقب مهما كانت مخالفة أو

---

(١) بعد ذلك حدثت تغيرات فى لجنة مؤلفى (نامه دانشوران) ومن جملة ذلك أن شخصًا باسم غيات الدين كاشانى تعاون مع شمس العلماء فى تأليف هذا الكتاب وكان شريكًا له فى التأليف اعتبارًا من المجلد الثالث حتى المجلد السابع. واعتبارًا من عام ١٣٠٦هـ.ق كان يعمل فى دار التأليف حاجى ميرزا أبو الفضل الساوجى، والشيخ مهدى شمس العلماء وميرزا محمد صادق حفيد قائممقام (والذى كان يتخلص بأديب الممالك) والشيخ محمد خان القزوينى ابن ملا آقا والذى كان يبلغ من العمر عشر سنوات .

مؤتلفة. وعلى هذا لا يفسر الكلام الوارد فى المصادر حسب الأغراض الرديئة والأهواء الباطلة، واحترس من أن تذكر صناديد الصحابة والتابعين وكبار رجال الدولة والدين وحنفاء الخلفاء الراشدين بكلمات بذيئة وألقاب مهينة، واحترس من أن تحاول الزج بمعتقداتك فى تصحيح عقيدة منتحلى الفرق وعقيدتهم ومتهمى الطوائف وإبطال عقيدتهم.

والشىء الآخر أيضًا عليكم أن تبذلوا كل طاقتكم للحفاظ على سلاسة العبارات وسلامة الكلمات حتى يستفيد من ثمرة هذه الشجرة الطيبة العارف والعام العالم والدانى فتلك الباكورة المباركة لهذا القرن الأبدى، حتى يأخذوا العبر ويجمعوا الفوائد. ولا تظنوا أن الحديث سيخلو من البلاغة عند مراعاة ما سبق أو أنه سيفتقر إلى الفصاحة؛ لأن حسن الكلام فى الحقيقة هو الذى يفهمه الخاصة والعامة ويقبلون عليه. كان عبد الله المأمون يكرر قوله لوزيره الحسن بن سهل متسائلاً: ما البلاغة؟ فقال: ما فهمته العامة ورضيته الخاصة. حقًا، يجب أن يكون ثوب المعانى الجزلة مصانًا من الألفاظ المبتذلة وأن يتجنب استخدام تعبيرات السفلة من الناس التى تخلو من نفائس الكلم والألفاظ. ومن مأثوراته يقول : خير الكلام ما لا يكون عاميًا سوقيًا ولا عربيًا وحشيًا.

والأمر الآخر عليكم فيما يتعلق بأصحاب التراجم أن تستخدموا الترتيب المعجمى للحروف، وعليكم عند ذكر الأسماء والألقاب والكنى الربط بين كل اسم ومدينة وأعلامها، فعن طريق هذين الشرطين يمكن الحصول على ترجمة بأسهل الطرق وأيسر الوجوه. وإذا جرت أعلى أسنة الأقلام عند الحديث عن أحوال شخص ما مصطلحات مصنعة وكلمات مستغلقة وأسماء

بلاد وأعلام متشابهة وعقائد للأمم؛ إذا حدث هـذا علـيكم بالاجتهـاد فـى توضيحها وشرحها.

إذا كان لا مفر من معرفة القصة لفهم لفظ قد ورد تلميحًا أو شـطرة تضمنتها القصص والحكايات، فعليكم للوقوف عليها على سبيل الاسـتطراد حتى يهدأ خاطر القارئ ولا يحتاج الرجوع إلى تذاكر أخرى.....

وإذا كان صاحب العنوان ذا طبع موزون وترنم بأشـعار مطبوعـة فاستشهدوا بنماذج لنتائج أفكاره حتى لا يبقى فنه خافيًا، لكن طبقًـا لقاعـدة تعميم الفيض وإشعاعه النفع عليكم كتابة ترجمة لكل شعر ترجمة لائقة وذلك بغرض حصول المقصود وتحقيق المراد من كل أمر وحتى لا تظل معـانى الأبيات غير مأنوسة أو مطبوعة....

ويجب مراعاة ترتيب السنوات فى أثناء نظم وقـائع كـل شـخص وأخباره على قدر الاستطاعة، وعليكم ألا تستهلوا مثل كثيـر مـن أربـاب الطبقات وأصحاب التذاكر حديثكم بذكر تاريخ الوفاة فى البدايـة ثـم وقـت الميلاد فى النهاية فالعقد المنتظم أجمل من العقد المنفرط.

وبعد الاجتهاد فى الحصول على تاريخ وقوع كل نادرة من القـرائن والأمارات والآثار والعلامات وأن تفصلوا ذكر الأحداث مرتبةً، وبعد الانتهاء من تنفيذ جميع الشروط والقيود التى سبق الإشارة إليها، فإن خلاصة عملكم سوف تقرأ على لسان مدير المجلس حتى إذا كانت الأقلام قد تعثـرت فـى موضع ما أو حدث سهو فى ربط أو ضبط أمر ما سأقوم بنفسى بإصلاحه.

ومع أنه... وحتى الآن قد مضى ألف ومائتى وأربعة وتسعين عامًـا من هجرة الرسول فقد صنفت الكثير من التـصانيف وألفـت العديـد مـن

الرسائل، لكنى أرجو فى ظل الإفاضات والتأييدات الربانية وسعادة الطالع الميمون لجلالة صاحب القران السعيد أرجو أن يتم هذا الكتاب وأن يكون التصنيف كاملاً والتأليف حافلاً بحسن اختيار ويمن انتخاب صاحب الرأى الصائب، ويصدر تحت عنوان "نامة دانشوران ناصرى" وأن يأتى هذا الكتاب ناسخًا لدفاتر الأخرين وخاتم رسائل السابقين....

كانت مؤسسة نامهء دانشوران من عام ١٢٩٤هـ وتحت رياسة الأمير عليقلى ميرزا حتى وفاته عام ١٢٩٨هـ وكانت فى هذه الفترة مشغولة بجمع وترتيب مواد المجلدين الأولين، وتم نشر المجلد الأول بعد ذلك تولى محمد حسن خان اعتماد السلطنة مسئولية الإشراف على مؤسسة نشر هذا الكتاب.

طبع من هذا الكتاب سبع مجلدات: نشر المجلد الأول عام ١٢٩٦هـ، المجلد الثانى نشر فى ربيع أول عام ١٣١٢هـ؛ أما المجلدات الخمس الأخرى فنشرت فى الأعوام ١٣١٨هـ، ١٣١٩هـ، ١٣٢١هـ، ١٣٢٢هـ، ١٣٢٣هـ والكتاب المذكور يعد واحدًا من المصادر المهمة فى التحقيق فى معارف العالم الإسلامى وذلك[١]لأن مؤلفين هذا الكتاب فى تنظيمهم لشرح أحوال الرجال قد أطلعوا تقريبًا على جميع المصادر المعتبرة.

٤- الفلسفة:

نظرة إلى الماضى:

ظهرت فى القرن الحادى عشر الهجرى فى الأدب الفارسى سلسلة

---

(١) المجلدات الخطية لهذا الكتاب محفوظة فى مكتبة محافظة قدس رضوى. وأخيرًا تم طبع طبعة جديدة فى عام ١٣٣٨ش بتقديم سيد رضا صدر.

من التأليفات الفلسفية، كانت تكملة لمطالعات فلاسفة القرن السابع والثامن الهجرى. فالشيخ بهاء الدين عاملى (متوفى فى عام ١٠٣١هـ) قام فى مجموعة قصصه وحكاياته التعليمية والتى تعرف باسم الكشكول، والتى كتبت بالعربية وتضمنت بعض الأشعار الفارسية، وأيضًا فى مثنويات نان وحلوا (الخبز والحلوى) وشير وشكر (اللبن والسكر) وهذان المثنويان كتبا باللغة الفارسية وتطرقا حفظهما إلى عقائد فلسفية من خلال الإشارات والكنايات مع حفظهما للأصول والسنن القديمة.

أما صدر الدين محمد إبراهيم الشيرازى، المشهور بـ آخوند ملاصدر المتوفى فى عام ١٠٥٠هـ والذى يعد واحدًا من المفكرين الإيرانيين العظماء، فقد عرض عقائده بصورة أكثر وضوحًا، وله مؤلف مفصل ومهم ومشهور جدًا باسم الأسفار الأربعة كتبه باللغة العربية وطبع طباعة حجرية فى ١٢٨٢هـ، ويعد من الأعمال الفلسفية حيث عرض فيه عقائده بشكل صريح.

وقد اتبع اثنان من تلاميذ صدر الدين محمد إبراهيم شيرازى – ملا محسن فيض الكاشانى وعبد الرزاق اللاهيجى آراءه وسعيا للتوفيق بين كلام أستاذهم وأصول العقائد الشيعية. كتب كتاب اللاهجى والمعروف باسم گوهر مراد (جوهر المراد) باللغة الفارسية ولاقى قبول العامة فى إيران.

فى القرن الثانى عشر الهجرى توقفت الفلسفة عن التقدم ولم يظهر فيلسوفًا إيرانيًا بعد صدر الدين الشيرازى وتلاميذه، إلى أن أسس الحاج ملا هادى السبزوارى فى القرن الثالث عشر الهجرى حوزة لبحث وتدريس الفلسفة فى سبزوار.

ولد حاج ملا هادى السبزوارى، المتخلص بـــ (أسرار) فى سبزوار فى عام ١٢١٢هـــ وبناء على سيرته الذاتية والتى كتبها بنفسه[1] بدأ فى تعلم الصرف والنحو فى سن سبع أو ثمان سنوات. والده الحاج ميـــرزا مهـــدى الطبيب من أثرياء سبزوار توفى فى شيراز بعد عودته من الحج، وعاش فى سبزوار حتى العاشرة من عمره، بعد ذلك أخذه ابن عمته الحاج ملا حـــسين السبزوارى معه إلى مشهد التى كان يدرس بها وعلمه اللغة العربية والفقـــه وعلم الأصول وعلم الكلام والمنطق وقليل من الرياضيات. بعـــد أن قـــضى عشر سنوات على نفس هذا المنوال مع ملا حسين، توجه إلى أصفهان عندما اشتد بداخله الشوق إلى الفلسفة وظل قرابة ثمان سنوات فى تحصيل الفلسفة لدى آخوند ملا إسماعيل الأصفهانى ولدى آخوند ملا على النورى بعد وفـــاة الملا إسماعيل الأصفهانى. بعد ذلك توجه إلى خراسان وعمل على تـــدريس الفلسفة وقليل من الفقه والتفسير لمدة خمس سنوات فى مشهد.، وسافر إلـــى الحج فى أواخر فترة حكم فتحعلى شاه واستمرت هذه الرحلة من اثنين إلـــى ثلاث سنوات. فى رجوعه من مكة نزل من السفينة فى بندر عباس وتوجـــه مع قافلة إلى كرمان وظل هناك ما يقرب من عام حتى عاد إلـــى ســـبزوار وظل حتى نهاية عمره مشغولاً بالتدريس والتحقيق والتأليف بانضباط شديد. توفى الملا هادى السبزوارى فى العشر الأواخر من شهر ذى الحجـــة عـــام ١٢٨٩هـــ فى مدينة سبزوار وهو فى الثامنة والسبعين من عمـــره. ويعـــد الحاج ملا هادى الفيلسوف الأوحد فى أواخر القرن الثالث عـــشر وأعظـــم مدرس فلسفة إسلامية بعد آخوند ملا صدرا (وكان فى عهد ناصر الدين شاه

---

(١) دكتور قاسم غنى، "شرح حال المرحوم الحاج ملاهادى سبزوارى بقلمه" مجلة يادكار السنة الأولى العدد الثالث.

مثل ملا صدرا فى عهد الشاه عباس الكبير)[١].

لم يكن للفيلسوف السبزوارى مدرسة مستقلة فى الفلسفة وكانت معظم دراساته حول أقوال ملا صدرا. لم يكن السبزوارى مقلدًا للفلاسفة القدامى بالرغم من أن علاقته مع الفلاسفة القدامى لم تنقطع ومؤلفاته مستندة على مصادر وتحقيقات القدامى، لكن النتائج الذى استخلصها من هذه التحقيقات أصيلة إلى درجة كبيرة وتستحق أن تدرس دراسة مستقلة. وتخرج دراسة مؤلفات السبزوارى عن إطار تاريخ الأدب، ولكن علينا أن نوضح أن ظهور مثل هذه المؤلفات يشير بوضوح إلى أن الاهتمام بالتقاليد والعلوم القديمة لم تنقطع كلية بالرغم من ظهور الأفكار الحديثة والأوضاع المتدهورة بالدولة.

ومنظومة السبزوارى والتى تعد واحدة من أهم مؤلفاته وتضم مختصرًا لموضوع متكامل من المنطق والفلسفة، تخلو من الأهمية من حيث البلاغة وسلاسة النظم العربى.

ومن مؤلفات السبزاورى المهمة (أسرار الحكم) والذى كتب باللغة الفارسية وطبع جزئين من هذا الكتاب فى مجلد واحد مرات عدة[٢]. وهو كتاب فلسفى كبير يتحدث عن المبدأ والمعاد وعن أسرار التوحيد والعبادات.

ولقد استشهد فى الشرح الذى كتبه لمثنوى جلال الدين الرومى (المولوى) وكذلك فى المؤلفات الأخرى التى كتبها بالعربية والفارسية بآيات من القرآن الكريم وفسرها من وجهة نظر فلسفية وذلك ليوضح المعانى الدقيقة للفلسفة من خلال الكتاب السماوى.

---

(١) المآثر والآثار، طهران الباب العاشر ص ١٤٧.

(٢) أفضل هذه الطبعات الطبعة التى صدرت فى عهد ناصر الدين شاه.

من فلاسفة هذه الفترة نستطيع أن نذكر عددًا منهم: آقا محمد رضا قمشه آى وآقا على زنوزى وميرزا أبو الحسن جلوه وميرزا حسن الكرمانشاهى.

٥- الكتب والرسائل الدينية:

كما قلنا لم يستطع النثر الفارسى فى بداية العصر القاجارى الابتعاد عن الغموض والإطناب والصنعة بشكل كامل، وأن كتاب تلك الفترة اتبعوا أسلوب التكلف المتبع والمتداول قل أو كثر. ولكن فيما يتعلق بالكتب الدينية والفقهية نشير إلى نقطة أخرى تتمثل فى أن العلماء وفقهاء الشيعة القدامى كتبوا جميع مؤلفاتهم فى الفقه والأصول والحديث والأخبار باللغة العربية باعتبار أنها اللغة الرسمية ولغة الدين الإسلامى (وفى منزلة اللغة اللاتينية فى كتابات المسيحيين الكاثوليك)(١). وفى العصر الصفوى أيضًا كتب المجتهدين والعلماء الشيعين الكبار أمثال ملا محمد باقر المجلسى (متوفى ١١١١ هـ.ق) وملا محسن فيضى (متوفى ١٠٩٠ هـ.ق) والشيخ أحمد الإحسائى (متوفى ١٢٤٣هـ.ق) وآخرين مؤلفاتهم باللغة العربية. لكن منذ أواخر العصر الصفوى كتب بعض علماء الشيعة مثل المجلسى والجماعة التى يشرف عليها عقائد وأحاديث وأخبار الشيعة باللغة الفارسية. ومنذ بداية العصر القاجارى كتبت الرسائل الدينية فى أصول وعقائد التشيع فى إيران باللغة الفارسية والتى كانت قبل ذلك تُكتب باللغة العربية فى خارج إيران (فى المراكز المقدسة للشيعة مثل كربلاء والنجف). وبحث هذه الرسائل

---

(١) إدوارد براون، تاريخ ادبيات ايران از آغاز صفويه تازمان حاضرة ترجمة رشيد ياسمى ص ٢٥٤.

يخرج عن نطاق هذا الكتاب، لكن يجب القول أن علماء الشيعة فى هذه الفترة أوجدوا فى كتبهم ورسائلهم أسلوبًا جديدًا مختلف تمامًا عن أسلوب الإنشاء المتبع قبل ذلك. هذه الكتابات بشكل تام بسيطة وصحيحة وخالية من الصنائع البديعية وقريبة جدًا إلى فهم العامة ومع أن أسلوب إنشائها بصفة عامة ترجم ترجمة حرفية من الأصل العربى. مع كل هذا يمكن القول أن وجود هذا النوع من الرسائل كان الخطوة الأولى فى سبيل إيجاد أسلوب جديد فى بداية عصر فتحعلى شاه ووضع الأدب الفارسى فى متناول فهم العامة من الناس بعد أن كان قاصرًا على إدراك وفهم جمع من الفضلاء والعلماء.

كما وجد فى هذا العصر فضلاً عن الآثار المتداولة والخاصة بأصول الدين الإسلامى ومعتقدات أهل التشيع التى كتبت فى الغالب على هيئة سؤال وجواب، وجد فرع أدبى آخر فى الرد على معتقدات أهل السنة والصوفية والشيخية والبابية وبعد ذلك فى الرد على النصارى أحيانًا.

قائمة المصادر

١- المصادر التاريخية:

- آوانسيا، آ.ر: الحاق ما وراء قفقاز به روسيه وروابط بين المللى در آغاز قرن نوزدهم، ايروان، ١٩٥٨م (روسى).
- جهانگير ميرزا: تاريخ نو، به سعى واهتمام عباس إقبال، طهران ١٣٢٧ش.
- سايكس، زنرال سربرسى: تاريخ إيران، ترجمة سيد محمد تقى فخرداعى گيلانى، طهران، ١٣٣٥ش.
- لسان الملك، محمد تقى سپهر: تاريخ قاجاريه (از مجلدات ناسخ التواريخ)، طهران، ١٣٣٧ش.
- ملكم، سرجان: تاريخ إيران ازپيشداديان تاقاجاريه، بمبئى، ١٣٢٣.
- نفيسى، سعيد: تاريخ اجتماعى وسياسى إيران دردورهء معاصر، ج١، طهران، ١٣٣٥ش.
- واتسن، رابرت گرنت: تاريخ ايران (دورهء قاجاريه) ، ترجمة: وحيد مازندرانى، طهران، ١٣٤٥ش.
- هدايتى، دكتر هادى: تاريخ زنديه، ج١، طهران، ١٣٣٤ش.

Brydges, Harford Jones, the Dynasty of the Kajars, London, 1833.

٢- المصادر الأدبية:

- اته هرمان: تاريخ ادبيات فارسى، ترجمه دكتر رضا زاده شفق، طهران، ١٣٣٧ ش.
- افشار، ايرج: نثر فارسى معاصر، طهران ١٣٣٥ش.
- براون، أدوارد: تاريخ أدبيات ايران ازآغاز صفويه تازمان حاضر، ترجمهء رشيد ياسمى، طهران، ١٣٣٩ش.
- برتلس، ى.أ: تاريخ مختصر ادبيات ايران، لنينگراد، ١٩٢٨م (روسى).
- بهار، محمد تقى ملك الشعراء: ١) سبك شناسى، ج٣، طهران، ١٣٣٧ش.

٢) سخنرانيهاى.... درباره بازگشت ادبى، مجلة ارمغان سال ١٣، بين صفحات ٤٤٣- ٧٤٨

٣) شعر درايران، طهران ١٣٣٧ش.

- تربيت، محمد على: دانشمندان اذربايجان، طهران، ١٣١٤ش.
- ريبكا، يان: تاريخ ادبيات ايران وتاجيك: پراگ، ١٩٥٦م. (به زبان چك).
- شفق، رضا زاده: تاريخ ادبيات.
- صفا، ذبيح الله: ١) مختصرى از تاريخ تحول نظم ونثرپارسى، طهران، ١٣٣٧ش.

٢) گنج سخن، ج٣، طهران، ١٣٤٠ش.

- صفائی ملایری، إبراهیم: نهضت ادبی ایران در عصرقاجار، طهران، بی تاریخ.
- کلهر، محمد رضا: مخزن الإنشاء، طهران، ۱۲۸٦و ۱۳۰۳هـــ.ق.
- مدرس، محمد علی تبریزی: ریحانة الأدب، طهران، ۱۳۳۱ش.
- میرزا مهدی خان: کتاب انشای....،تبریز، ۱۲۷۷هـــ.ق.
- نادر میرزا: تاریخ وجغرافی تبریز، نسخة چاپی، ۱۳۲۳ هــ.ق.
- نعمانی، شبلی: شعر العجــم، ترجمـــهء فخـــر داعـــی، ج۳، طهـــران ۱۳۳٤ش.
- نفیسی، سعید: شاهکاریهای نثر فارسی معاصر، طهران، ۱۳۳۰ ش.
- وصاف، شهاب الدین عبد الله شیرازی: تاریخ...به اهتمام محمد مهـــدی ارباب اصفهانی: بمبئی ۱۲٦۹ هـــ.ق.
- هدایت، رضا قلی خان: مجمع الفصحاء، چاپ دوم، طهـــران، ۱۳۳٦ – ۱۳٤۰ش.

صبای کاشانی

- إقبال، عباس: صبای کاشانی وفردوسی، مجله یادگار، سال ٥، شـــماره های ۱– ۲
- بهار، محمد تقی ملك الشعراء: ۱) مقدمه برگلشن صبا تألیف فتحعلـــی خان ملك الشعراء صبای کاشانی، چاپ دوم، طهران، ۱۳۱۳ش.

٢) لاميه فتحعلى خان صبا، مجلهء ارمغان، سال ١١، صـــفحات ٦٥٥- ٦٥٩.

- دهخدا، على اكبر: لغتنامه، ذيل صبا.

- صبا، فتحعلى خان كاشانى: شهنشاه نامه، به اهتمام ميرزا محمد ملـــك الكتاب شيرازى، بمبئى ١٨٦٧م.

- صفائى ملايرى، ابراهيم: ١) فتحعلى خان صبا، مجله ارمغان، سال ٢٧، صفحات ١٩٣- ٢٠٠.

٢) نهضت أدبى إيران در عصر قاجار، صفحات ٨ – ١٦.

- قويم، على: محمود خان ملك الشعراء، مجلهء دانش، السنة ١، شـــماره هاى ١٠ – ١١، صفحات ٥٥٣ – ٥٦٤.

- محجوب، دكتر محمد جعفر: خاندان صبا، مجلهء صـــدف، شـــماره ٥، صفحات ٣٨٣- ٣٩٢.

- نخجوانى، حسين: زندگانى وشخصيت ملك الشعراء فتحعلى خان صبا، نشريهء دانشكدهء ادبيات تبريز، سال ٣، شماره هاى ٣- ٤، صـــفحات ٦٦ – ٧٦.

- نوائى، عبد الحسين: عاقبت لطفعلى خان زند، مجله يادكـــار، ســـال٣، شماره٣.

نشاط أصفهانی

- بهار، محمد تقی ملك الشعراء: ۱) سخنرانیها در بارهء بازگشت ادبـــی، مجلهء ارمغان، سال۱۳.

۲) سبك شناسی، ج۳، صفحات ۳۳۱- ۳۳۲.

- صفائی، ابراهیم: نهضت ادبی ایران در عصر قاجار، صـــفحات ۱۷- ۲۶.

- قائممقام، میرزا ابو القاسم: ۱) ترجمهء حال میرزا عبد الوهاب نـــشاط، منشآت، ۱۳۳۷ ش، صـــفحات ۳۰۱ - ۳۰۲.

۲) مخزن الانشاء، صفحات ۱۸٦ - ۱۹۵.

- نشاط، عبد الوهاب: ۱) گنجینهء نشاط، ۱۲٦٦ هـــ.ق.

۲) گنجینه دیوان نشاط اصفهانی، به کوشش حسین نخعی، طهران، ۱۳۰۷ ش.

سحاب

- مدرس تبریزی، محمد علی: ریحانة الأدب، ج۲، ص۱۷۰.

- هدایت، رضا قلی خان: مجمع الفصحاء، ج٤ صفحات ٤٥۲ - ٤٦۰.

مجمر

مجمر، سید حسین:

۱) دیوان، طهران، ۱۳۱۲هـ.ق.

۲) دیوان با مقدمه محمد محیط طباطبائی، طهران ۱۳٤٥ ش.

مجمر ونشاط (نقل از حدیقة الشعراء)، مجله یادگار، سال ٥.

شماره ۱- ۲ ص ۱٤۲.

- محیط طباطبائی، محمد: مجمر، مجلهء ارمغان، سال ۱۲، صفحات ٤۷٤ - ٤۸٥ -٥٤٦- ٥٥٤- - ٦۳۰ - ٦۳۸ - ٦۷۸ - ٦۸۸ - وسال ۱۳، صفحات ۱٦۲-۱٦٦.

وصال

- افقه، علی: یك نمونه از خط مرحوم وصال شیرازی، مجله یادکار، سال ۱، شمار ۳.

- صفائی ملایری، إبراهیم: ۱) نهضت ادبی ایران در عصر قاجار، صفحات ۳۳- ٤۳.

- ۲) وصال شیرازی، مجله ارمغان، سال ۲۸، صفحات ۹۷- ۱۰۸.

- ماهیار نوایی، یحیی: خاندان وصال شیرازی، نشریه دانشکدهء ادبیات تبریز، سال ۷، صفحات ۱۹۰- ۲۳۹- ۲۸۸- ۳٥٦-۳٥۹- ۳۹۱.

وصال، میرزا شفیع ۱) کلیات، طهران بی تاریخ.

۲) فرهاد وشیرین (با فرهاد وشیرین وحشی در یکجا)، طهران.

٣) بزم وصال، هند، ؟

٤) مراثی (درهامش انوار الشهاده) بمبئی، ١٢٨٥ هـ.ق.

عبد الرزاق دنبلی

- بهار، محمد تقی ملك الشعراء: سبك شناسی، ج٣.
- تربیت، محمد علی: دانشمندان أذربایجان، طهران، ١٣١٤ ش، صفحات ٣٥٣ – ٣٥٧.
- سلطان القرائی، جعفر: تجربة الاحرار وتسلية الابرار، نشريهء كتابخانه ملی تبریز، شماره ١، ١٣٣٨ ش.
- نخجوانی، حسین: عبد الرزاق بیگ دنبلی متخلص به مفتون، نشريهء دانشكدهء ادبیات تبریز، سال ٢، شماره ١ ص١.

میرزا رضی

- برتلس، ی.ا.: تاریخ مختصر ادبیات ایران، ص ٨٢.
- تربیت، محمد علی: دانشمندان آذربایجان، طهران، ١٣١٤ ش صفحات ٧٠ – ٧١.
- مدرس تبریزی، محمد علی: ریحانة الأدب، ج١، كلمهء بنده تبریزی، ص ١٨٢.
- نادر میرزا: تاریخ وجغرافیای تبریز، نسخه چاپی، صفحات٢٦٤-٢٦٥
- هدایت، رضا قلی خان: مجمع الفصحاء، چاپ دوم، ج٤، ص١٧٧.

فاضل خان

- بهار، محمد تقی ملك الشعراء: سبك شناســی، ج٣، صــفحات ٣٣٢-٣٣٧.
- هخدا، علی اکبر: لغتنامه، کلمه راوی، شماره مسلسل ٩٩.
- صفائی ملایری، ابراهیم: ١) نهضت ادبی ایران در عــصر قاجــار، صفحات ٥٧-٦٢
- ٢) فاضل گروسی، مجلهء ارمغان، سال٢٦، صفحات ٢٧٣ – ٢٧٨.
- مدرس، محمد علی تبریزی: ریحانة الأدب، ج٢، ص ٧٠.
- مفتون، عبد الرزاق بیگ دنبلی: نگارستان دارا، بخش خاتمه.
- نفیسی، سعید: بوشکین وفاضل خان کروسی، مجلهء یغمــا، ســال١١، صفحات ٤٩٢-٤٩٨.
- هدایت، رضا قلی خان: ١) مجمع الفصحاء ج٤، ذیل راوی گروســی، صفحات ٣١٩ – ٣٢٠.

٢) روضة الصفاء ج٩، قسمت آخر.

صاحبد یوان

- صفائی ملایری، ابراهیم: ١) نهضت أدبی إیران در عــصر قاجــار، صفحات ٢٧- ٣٢.

٢) صاحبدیوان علی آبادی، مجلهء ارمغان، سال ٢٧، صفحات٢-٦.

- کلهر، محمد رضا، مخزن الإنشاء صفحات٤٠٠-٤٣٥

- مدرس تبریزی، محمد علی: ریحانة الأدب، ج۲، ص٤٢٤
- هدایت، رضا قلی خان: مجمع الفصحا، ج٥، ص٦٣٧

قائممقام

- بهـــار، محمـــد تقـــی ملـــك الـــشعراء: ســـبك شناســـی، چاپ دوم ج۳، صفحات۳٤٨-۳٦۳
- جهانگیر میرزا: تاریخ نو، صفحات ۱۹۷- ۲٤۰.
- دولت آبادی، یحیی: شرح حال میرزا أبو القاســـم قائممقـــام، طهـــران، ۱۳۱۰ ش.
- صفائی ملایری، إبراهیم: نهضت أدبـــی إیـــران در عـــصر قاجـــار، صفحات٤٤-٥٦
- فرهاد میرزا: منشآت، بمبئی، ۱۳۱۸، ص۲۲.
- قائممقام، میرزا ابو القاسم: ۱) منشآت، طهران ۱۲۸۰هـــ.ق، تبریـــز، ۱۲۸۲ هـــ.ق، ۱۲۹٤ هـــ.ق

۲) منشآت به اهتمام جهانگیر قائممقامی، طهران، ۱۳۳۷ش.

۳) دیوان به تصحیح وحیددستگردی، طهران، ۹- ۱۳۰۸ ش.

٤) جلایرنامه به تصحیح وحید دستگردی (ضمیمهء دیوان)، طهـــران ۹- ۱۳۰۸ ش.

- قائممقامی، عبد الوهاب: مطالبی كه باید درشرح أحوال ودیوان قائممقام اضافه شود، مجله ارمغان، سال۲٦، صفحات ۵۲۷-۵۲۸-۵۷٤ وسال ۲۷ صفحات ۳۵-٤۰-۸۹-۹٦-۱۹۲.

- قویم، علی: محمود خان ملك الشعراء مجلهء دانش، سال۱، شماره های ۱۰- ۱۱.
- نادر میرزا: تاریخ وجغرافیا تبریز، صفحات ۳۹ – ۴۰.
- مدرس تبریزی، محمد علی: ریحانة الأدب، ج۳، طهران، ۱۳۲۸ش.

وقایع نگار

- اقبال، عباس: تاریخ جهان آرا، مجلهء یادگار، سال ۵، شماره های ۱- ۲، صفحات ۱۱۵-۱۱٦
- بهار، محمد تقی ملك الشعراء: سبك شناسی، ج۳، طهران، ۱۳۳۷ش.
- کلهر، محمد رضا: مخزن الإنشاء، ص۲۰۹.
- مدرس، محمد علی تبریزی: ریحانة الأدب، ج٤، طهران ۱۳۳۱ ش.
- هدایت، رضا قلی خان: مجمع الفصحاء، ج٦، طهران، ۱۳٤۰ش.

شهاب

- شهاب اصفهانی وبرادرزاده اش طغرل (نقل از حدیقة الشعرا)، مجلهء یادگار سال۵، شماره های ۱-۲، صفحات۱٤٤-۱٤۵
- مدرس تبریزی، محمد علی: ریحانة الأدب، ج۲، ص۳۵٦
- هدایت، رضا قلی خان: مجمّع الفصحاء، چاپ دوم، ج٤، صفحات٤۷٦-٤۸٦

فروغی

- صفائی ملایری، إبراهیم: ۱) نهضت أدبی إیــران در عــصر قاجــار صفحات ۸٤-۹۳

  ۲) فروغی بسطامی، مجلهء ارمغان، سال ۲۷، صفحات۴۳۳-٤٤٠

- فروغی بسطامی، میرزا عباس: غزلیات، به اهتمام منــصور مــشفق، طهران ۱۳۳٦

- فروغی بسطامی وتاریخ وفاتش (نقل از حدیقة الشعراء) مجله یادگــار، سال٥ شماره های ۱-۲ صفحات١٤٥-١٤٦

سروش

- حکمت، علی اصغر: ۱) من هزار افسان إلی هــزار دســتان، مجلــة الدراسات الأدبیه، دانشگاه لبنان، سال۱، شماره٤، زمستان۱۳۳۸ش

  ۲) مقدمهء برهزار ویك شب، تهران ۱۳۱٥ هــ.ق.

- سروش، میرزا محمد علی: هزاربیت سروش، تبریز۱۲۸٦ هــ.ق

- صفائی ملایری، إبراهیم: ۱) نهضت ادبی ایــران در عــصر قاجــار صفحات٩٤-١٠٢

  ۲) تحقیق دربارهء سروش اصــفهانی، مجلــهء ارمغــان، ســال ۲۷، صفحات ۱٥۷ - ۱۱۲.

- قزوینی، محمد: ازیادداشتهای....، مجلهء یادگار، سال ٥، شماره هــای ۱-۲ صفحات ۱۰۲ -۱۰۳.

- محجوب، محمد جعفر: داستانهای عامیانه فارسی- ترجمهء فارسی الف لیلة ولیلة، مجلهء سخن، دوره ۱۱ شماره۱، صفحات۳٤-۳۵.

- میکده، عبد الحسین: سروش اصفهانی، مجلهء ایرانشهر، سال۳، صفحات ۵۸۹-٦۰٤

- همائی، جلال الدین: شرح حال جامع سروش، مجلهء یغما، سال۱، شماره های ۳، ٤، ۵.

قا آنی

- آدمیت، فریدون: امیر کبیر وایران، چاپ دوم، طهران، ۱۳۳٤ صفحات ۱۷۱ - ۱۷۲.

- اشراق خاوری، عبد الحمید: حکیم عظیم قا آنی شیرازی، مجلهء ارمغان، سال ۸، صفحات۵۷٦-۵۸۷

- اقبال، عباس: قا آنی واردشیر میرزا، مجلهء یغما سال ۳، صفحات ٤۵۲-٤۵۳

- برتلس، ی.أ.: ۱) ترجمهء حال قا آنی به قلم خود او، گزارش فرهنگستان علوم اتحاد جماهیر شوروی، ۱۹۲۷ م (روسی).

  ۲) تاریخ مختصر ادبیات ایران، لنینگراد، ۱۹۲۸م (روسی).

- بلگرامی، محمد حسن: حکیم قای آنی، مجله ارمغان سال۹، صفحات۴۳-۵۰ و ۱٤۳- ۱٤۵- ۱۹۹- ۲۰٤

- به آذین، م.أ.: انتقاد بردیوان حکیم قا آنی شیرازی، مجلهء صدف، شماره ٤، صفحات ۳۰۹- ۳۱۵.

- بهار، محمد تقی ملك الشعراء: خطابه....، مجلهء ارمغـــان، ســـال ١٤ شماره١.

- بهروزی، علینقی: ١) سدهء قا آنی (شامل شرح حال مفصل حکیم قـــا آنی شیرازی)، شیراز ١٣٣٢ش.

  ٢) مطالبی چند در باب قا آنی، مجله یا دگـــار، ســـال ٣، شـــماره ٣، صفحات ٧٤-٧٨

- دشتی، علی: ١) در میان پیغمبرها جرجیس، مجله آینده، سال١، شماره ٩ ، صفحات ٥١٣-٥٢٣

  ٢) سایه، طهران، ١٣٢٨ش. صفحات٨٢-٨٤

- دولت آبادی، یحیی: قا آنی شیرازی، مجله آینـــده ســـال ١، شـــماره٧، صفحات٤٠٩-٤١٤

- دیباچه نگار، میرزا طاهر شعری: گنج شایگان، طهران، ١٢٧٢.

- سهیلی خوانساری، احمد: حسان العجم حکیم قا آنی، مجله یغما، سال٢، صـــفحات٢٤٩ - ٢٥٣ - ٣١٨ - ٣٢١ - ٤٣٤ - ٤٣٧ - ٤٦٣ - ٤٦٨

- صفائی ملایری، ابراهیم: نهـــضت ادبـــی ایـــران در عـــصر قاجـــار صفحات٦٣-٨٣

- قا آنی، حبیب الله: ١) دیوان باتصحیح ومقدمهء محمد جعفر محجـــوب، طهران، ١٣٣٦ش

  ٢) پریشان باتصحیح اسمعیل شرف، شیراز، ١٣٣٨ش.

- محجوب، محمد جعفر: ترجمهء حالی از حکیم قا آنی به قلم خـــود او، مجلهء یغما، سال١٤، شماره ٢، صفحات ٧٩- ٨٢.
- وحید دستگردی: حکیم قا آنی شـــیرازی، مجلـــهء ارمغـــان، ســـال ٨، صفحات ٢٨٥-٢٨٧.
- پاشار، علی بیگ: یك ساعت بادیوان قا آنی، با مقدمهء دکتـــر حمیـــد نطقی، تبریز، بی تاریخ.
- یغمائی، اقبال: گوشه ای از زندگانی قا آنی، مجلهء ارمغان، سال ٢٥، صفحات٢٦٦-٢٧١

یغما

- یغما وملا احمد نراقی (نقل از حدیقة الشعرا)، مجله یادگـــار، ســـال٥، شماره های ١-٢، صفحات ١٤١-١٤٢
- گلـــچین معانی، احمد: سلطان قاجار ویغما جندقی، مجلهء یغما، ســـال ١٧، شماره ١٥.
- مدرس تبریزی، محمد علی: ریحانـــة الادب، ج٤، صـــفحات ٣٣٩ - ٣٤٠.
- یغما، ابو الحسن: ١) کلیات، چاپ سوم، طهران، ١٣٣٩ ش.
- ٢) غزلیات وسرداریه بامقدمهء دکتر ناظر زادهء کرمانی وبه اهتمـــام محمد حسین طبری، طهران، ١٣٣٧ش.
- یغمائی، حبیب: ١) شرح حال ابو الحـــسن یغمـــای جنـــدقی بامنتخـــب اشعاراو، طهران١٣٠٤

٢) شرح حال یغما، مجلهء ارمغان، سال٥، صفحات٤٠٤-٤١٨-٤٨١-٥٠١-٦٣٦-٦٤٢

محمودخان ملك الشعراء

- شرح حال محمود خان ملك الشعراء، مجلهء مهر، سال١، صفحات ٨٣٨-٨٤٠
- صفائی ملایری، ابراهیم: نهضت ادبی ایران در عصر قاجار، صفحات ١٠٣- ١١٢.
- قویم، علی: محمود خان ملك الشعراء: مجلهء دانش، سال١، شماره های ١٠- ١١، صفحات٥٥٣-٥٦٤
- محجوب، محمد جعفر: خاندان صبا، مجلهء صدف، شماره ٥، صفحات ٣٨٣ - ٣٩٢.
- ملك الشعراء، محمود خان: دیوان (ضمیمهء سال ٢٣ مجلهء ارمغان)، طهران ١٣٢٩ش.
- وحید زاده، نسیم: محمود خان ملك الشعراء، مجلهء ارمغان، سال ٢٦، صفحات٤١٨-٤٢١

شیبانی

- اته، هرمان: تاریخ ادبیات فارسی، ترجمهء دکتر رضا زاده شفق، ص ٢٠٣.
- شیبانی، فتح الله: ١) منتخب ازمجموعهء بیانات شیبانی، اسلامبول، ٩-١٣٠٨ هـ.ق.

۲) درج درر، طهران، ۱۳۰۰ هـــ.ق.

۳) پیغام خرد، طهران، ۱۳۰۰ هـــ.ق.

- غنی، قاسم: فتح الله خان شیبانی، مجلهء آینده، سال۳، صفحات ۳۰- ۳۷.

- قزوینی، محمد: از یادداشتهای...، مجله یادگـــار، ســـال۵، شـــماره۳، صفحات٦٦-٦٨

- قویم، علی: محمود خان ملك الشعراء، مجلهء دانش، سال۱، شماره های ۱۰- ۱۱، صفحات ٥٥۳-٥٦۳

- نظام وفا: ابو النصر فتح الله خان شیبانی، مجلهء وفا، صـــفحات۲٤۰-۲٤۲-۲۸۱- 285

بدایع نگار

- بدایع نگار، میرزا محمد ابراهیم نواب: ترجمهء عهدنامهء مالك اشـــتر، مخزن الانشاء.

- بهار، محمد تقی ملك الشعراء: سبك شناسی، ج۳، صفحات۳٦٤-۳٦٥

- خان ملك ساسانی، محمد: سیاستگران دورهء قاجار، صـــفحات ۱۰۳- ۱۲۳.

- قزوینی، محمد: ازیادداشتها...، مجلهء یادکار، سال۳، شماره٤، ص۸.

- نواب، حسین، بدایع نگار: مجلهء یغما، ســـال ۱۸، شـــماره ۸، آبـــان ۱۳٤٤ ش.

مجد الملك

- اعتماد السلطنة، محمد حسن خان: مرآت البلدان ناصری، جلدهای ۲و ۳.
- بهار، محمد تقی ملك الشعراء: سبك شناسی، ج۳، ص۳٦٥
- فرهاد معتمد، محمود: تاریخ روابط سیاسی ایران وعثمانی، ج۲، طهران۱۳۲٦ش، ص۱٥۹.
- مجد الملك، حاج میرزا محمد خان: رسالهء مجدیه بامقدمه ومقابله وتصحیح سعید نفیسی، طهران، ۱۳۲۱ ش.

فرهاد میرزا

- فرهی، یوسف: راجع به مرحوم فرهاد میرزا، مجلهء یادگار، سال۲، شماره٦
- فرهاد میرزا: ۱)منشآت، به اهتمام وحواشی فرصت شیرازی، بمبئی ۱۳۱۸ و طهران ۱۳۲۱ هـ.ق.

۲) زنبیل، طهران، ۱۳۱۸ هـ.ق.

۳) جام جم، طهران، ۱۲۷۲هـ.ق.

٤) نصاب انگلیسی به فارسی، طهران، ۱۲٦۹

٥) کنز الحساب (ترجمهء خلاصة الحساب شیخ بهاء الدین عاملی) طهران، ۱۲٥٦ و ۱۲۷۹

٦) قمقام زخار وصمصام بتار، طهران، ۱۳۰٥ هـق.

٧) هداية السبيل (سفر نامه حج) طهران، ١٢٩٤ هـق.

٨) تعليقات وحواشى وفيات الأعيان قاضى ابن خلكان تهران، ١٢٨٤هـ.ق.

٩) تعليقات وتوضيحات لغوى تذكرة الخواص سبط ابن الجوزى، تهران، ١٢٨٥هـ.ق.

- فرهاد معتمد، محمود: تاريخ روابط سياسى ايران وعثمانى، ج٢، طهران ١٣٢٦ ش.

- مدايح نگار، ابراهيم: تذكرهء قدسيه، طهران، بى تاريخ.

- مدرس تبريزى، محمد على : ريحانة الادب، ج٤، ص ٣٨.

- معير الممالك دوستعلى خان: فرهادميرزا معتمد الدولة(رجال عصر ناصرى)، مجلهء يغما، سال ٩، صفحات ٥٦١- ٥٦٦.

- نادر ميرزا: تاريخ وجغرافياى تبريز، صفحات ٧٥- ٧٧.

امير نظام

- اقبال، عباس: حسنعلى خان امير نظام گروسى، ازمجلهء يادگار، سال ٣، شماره هاى ٦- ٧، صفحات ٨ - ٣٣.

- امين الصنايع، ميرزا احمد: مقدمه برمنشآت امير نظام، ٩ رجب ١٣٣١ هـ.ق.

- معير الممالك، دوستعلى: حسنعلى خان امير نظام (رجال عصر ناصرى)، مجلهء يغما، سال ٨، صفحات ٣٦٩ - ٣٧٣.

نادر میرزا

- آراسته، محمد: نسب مرحوم نادر میرزا، مجلهء یادگار، سال۲، شماره٦، صفحات ۳۷- ۳۸.
- تربیت، محمد علی: دانشمندان آذربایجان، طهران ۱۳۱٤ ش، صفحات ۳٦۷- ۳٦۸.
- قوسی، محمد علی: نادر میرزا وتاریخ تبریز، مجلهء یادگار، سال ۲، شماره ٥، صفحات ۱٥ - ۲٦.
- نادر میرزا: تاریخ وجغرافیای دار السلطنهء تبریز، طهران، ۱۳۲۳ هـ.ق.
- نخجوانی، حسین: نادر میرزا قاجار، مجلهء دانشکدهء ادبیات تبریز، سال ۱۱، صفحات ٤۰۹- ٤۲۰.

ملامهر علی

- قاضی طباطبائی، حسن، ملامهر علی تبریزی، نشریهء دانشکدهء ادبیات تبریز، سال۱، شماره٥، صفحات ۲٦- ۳۱.
- مدرس تبریزی، محمد علی: ریحانة الادب، ج۳، کلمهء فدوی، ص ۲۰۰.
- نادر میرزا: تاریخ وجغرافیای تبریز، نسخه چاپی، ص۳۰۱.
- هدایت، رضا قلی خان: مجمع الفصحاء، چاپ۲، ج٥، ذیل مهری خوئی، ص۹٥۱.

طسوجی

- تربیت، محمد علی: دانشمندان آذربایجان، طهران، ١٣١٤ ش.
- حکمت، علی اصغر: ١) من هزار أفسان إلی هزار دستان، مجلة الدراسات الادبية دانشگاه لبنان، سال١، شماره٤، زمستان، ١٣٣٨ش .

  ٢) مقدمه برهزار يك شب، ج١، طهران ١٣١٥ش.
- طسوجی، عبد اللطيف: مقدمهء برترجمهء الف ليله، تبريز، ١٢٦١هـ.ق.
- قزوینی، محمد: ازیادداشتهای.....مجلهء یادگار، سال ٥، شماره های ٨-٩ صفحات ٦٨- ٧١.
- محجوب، محمد جعفر: داستانهای عامیانهء فارسی الف لیلة ولیله، مجلهء سخن، دورهء ١١، شمارهء ١، صفحات ٣٤ – ٥٣.
- مدرس تبریزی، محمد علی: ریحانة الادب، ج٣، ص٣١.

لسان الملك سپهر

- برتو بیضائی، حسین: لسان الملك، سپهر، مجلهء مردم شناسی، العدد ٣، صفحات ٩٩- ١٠٥.
- قائممقامی، جهانكير: مقدمهء برناسخ التواريخ، جلدقاجاريه طهران ١٣٣٧ش.
- قزوینی، محمد: وفیات معاصرین – سپهر، مجلهء یادگار، سال ٥، شماره های ١-٢، ص٩٦.

نامهء دانشوران

- اعتماد السلطنة، محمد حسن خان: المآثر والآثار، طهران ١٣٠٦.
- اقبال، عباس: علامه مرحوم محمد قزوینی، مجلهء یادگار، سال٥، شمارهء١٠ صفحات ٤٤- ٥٤.
- شمس العلماء، شیخ محمد مهدی: مقدمه بر ج ٣، نامهء دانشوران.
- صدر، سید رضا: مقدمه بر ج ١ نامهء دانشوران.
- قزوینی، محمد : از یادداشتهای، شمس العلما، عبد الرب آبادی، مجلهء یادگار، سال ٥، شماره ٣، صفحات ٥٧- ٦٠.
- مدرس تبریزی، محمد علی: ریحانة الادب، طهران، ج٢، صفحات ١٥٢ و ٣٤٧.

اعتضاد السلطنة

- مظاهری، حسن: اعتضاد السلطنة اولین وزیر فرهنگ ایران، مجلهء آموزش وپرورش، سال٢٢، شماره ١، صفحات ٤٦- ٤٨.
- قزوینی، محمد: وفیات معاصرین – اعتضاد السلطنة، مجلهء یادگار، سال ٣، شماره ٣.
- یغمائی، اقبال: علیقلی میرزا اعتضاد السلطنة، مجلهء آموزش وپرورش، سال٢٤، شماره ٣، صفحات ٣٥- ٦٠.

حاج ملا هادی سبزواری

- غنی، دکتر قاسم: شرح حال مرحوم حاج ملاهادی سبزواری به قلم خودایشان، مجلهء یادگار، سال١، شماره٣، صفحات ٤٣ – ٤٨.

- مدرسی چهاردهی، مرتضی: زنـدگانی وفلـسفه حـاج مـلا هـادی سبزواری، طهران ١٣٣٤ ش.
- هدایت، رضا قلی خان: ریاض العـارفین، چاپ دوم، صـفحات ٤١٨- ٤١٩.

تواريخ وأحداث

- أواسط رجب ١٢٢٠: وصول الجنرال روميو، ياور نابليون إلى طهران (بعد وصوله بعدة أيام مات فجأة أو قتل).
- ١٧ ربيع الأول ١٢٢١: وصول جوبر مبعوث نابليون إلى طهران.
- ٢٦ ربيع الثانى ١٢٢١: سفر جوبر وميرزا محمـد رضـا القزوينـى مبعوث فتحعلى شاه إلى فرنسا.

٢٦ ربيع الثانى١٢٢١: وصول الشيخ أحمد الإحسائى إلى إيران.

- ٢٥ صفر ١٢٢٢: استقبال نابليون لميرزا محمد رضا مبعوث الشاه.

(٤ مايو ١٨٠٧) فى معسكر فينكنشتاين. وعقد معاهدة بين إيران وفرنسا.

- أواخر ربيع الآخر عقد معاهدة تيلسيت بين فرنسا وروسيا.
- ١٢٢٢ (٩ يوليو ١٨٠٧)
- ٨ رمضان ١٢٢٢: عودة ووصول ميرزا محمد رضا بصحبة الجنرال جاردان والوفد الفرنسى إلى طهران.

١٢٢٢ وفاة ميرزا رضى التبريزى منشى الممالك. وفاة سيد محمد سـحاب الأصفهانى

- ٢٧ ذي الحجة ١٢٢٣: عودة جاردان ومرافقيه إلى فرنسا
- ٢٨ ذي الحجه ١٢٢٣: وصول السير هارفورد جونز، المبعوث الإنجليزى ومرافقيه إلى طهران.
- ٢٥ محرم ١٢٢٤ / ١٢ مارس ١٨٠٩: عقد معاهدة بين إيران وإنجلترا بحضور السير هارفورد جونس.
- العشرة الأوائل من ربيع الآخر ١٢٢٤: حركة ميرزا أبى الحسن خان الشيرازى مبعوث إيران إلى لندن برفقة جيمز موريه.
- ١٢٢٥: وفاة سيد حسين مجمر الأصفهانى.
- ١٩ شوال ١٢٢٦: وصول ميرزا أبو الحسن خان متزامنًا مع وصول السير جوراوزلى سفير إنجلترا إلى طهران
- ١٢٢٦: عودة السير هارفورد جونس إلى إنجلترا. إرسال طالبين إيرانيين إلى إنجلترا (ميرزا محمد كاظم وحاجى بابا افشار).
- ٢٩ صفر ١٢٢٧ /١٤ مارس ١٨١٢: عقد اتفاقية مفصلة بين إيران وأنجلترا بتمثيل السير جوراوزلى.
- ٥ ذى الحجة ١٢٢٧ هزيمة عباس ميرزا من روسيا فى حرب اصلاندوز.
- ٢٩ شوال ١٢٢٨ /١٢ أكتوبر ١٨١٣: عقد معاهدة جلستان ونهاية الحرب الأولى بين إيران وروسيا.
- ١٢٢٩ عودة السير جوراوزلى المبعوث الإنجليزى إلى لندن، وتوجه ميرزا أبو الحسن خان المبعوث الإيرانى إلى روسيا.

- ١٢ ذى الحجة ١٢٢٩ /٢٥ نوفمبر ١٨١٤: إمضاء الاتفاقيه النهائية بين إيران وإنجلترا وقعها هنرى السيس وجيمز موريه وميرزا شفيع المازندرانى الصدر الأعظم لإيران.
- ١٠ جمادى الآخر ١٢٣٠: إرسال خمسة طلاب إيرانيين كدفعة ثانية إلى إنجلترا (كان من هذه الدفعة ميرزا جعفر الذى لقب فيما بعد بلقب مشير الدولة وميرزا صالح ناشر أول صحيفة إيرانية)
- أواخر عام ١٢٣٢: مقتل ميرزا شاه خليل الله، إمام طائفة الإسماعيلية فى يزد بتحريض من ملا حسين اليزدى وتولى ابنه آقا خان (حسنعلى شاه) مكانه.
- ١٢٣٣: طبع (رسالة الجهادية) تأليف ميرزا قائممقام الكبير، فى تبريز (هذه الرسالة تشمل فتاوى الملالى فيما يتعلق بالجهاد ضد الروس).
- منتصف رجب ١٢٣٣ توجه ميرزا أبو الحسن خان الشيرازى، مبعوث إيران إلى لندن.
- ١٢٣٣: تأسيس أول مطبعة حروف فى تبريز.
- ١٩ رمضان ١٢٣٤: وفاة ميرزا شفيع المازندرانى، الصدر الأعظم وتولى حاجى محمد حسين خان الأصفهانى نظام الدولة للصدارة
- صفر ١٢٣٥: عودة الطلاب الإيرانين الخمسة من إنجلترا
- ذي الحجه ١٢٣٦: بداية الحرب بين إيران والدولة العثمانية.
- ٢٥ ذي القعدة ١٢٣٧: وفاة ميرزا قائممقام الكبير ووصل ابنه ميرزا أبو القاسم لمنصب الوزارة لدى عباس ميرزا نائب السلطنة.

- ١٩ ذي القعدة ١٢٣٨: عقد اتفاقية بين إيران والدولة العثمانية فى ارزنه الروم (هذه المعاهدة تم تعديلها وتوقيعها فى أواخر ربيع الآخر).
- ١٢٣٨: وفاة ملك الشعراء فتحعلى خان صبا.
- ١٣ صفر ١٢٤٠: تأسيس أول مطبعة حجر فى تبريز.
- العشر الأواخر من شوال ١٢٤١: وصول السيد محمد المجتهد من العتبات إلى طهران وفتاويه بالجهاد مع الروس.
- ١٧ ذي القعدة ١٢٤١: فتاوى مجموعة من رجال الدين بالجهاد مع الروس.
- ٢٢ ذي الحجة ١٢٤١ /٢٨ يوليه ١٨٢٦: بداية الدور الثانى للحرب بين إيران وروسيا.
- ١٤ صفر ١٢٤٢: فتح كنجه على يد الروس وهزيمة إيران.
- ١٠ ربيع الأول ١٢٤٣: استسلام حامية قلعة سردار آباد.
- ٢١ ربيع الأول ١٢٤٣: فتح إيروان على يد الروس.
- ٢٥ ربيع الأول ١٢٤٣: عبور الجنرال أريستوف من نهر آرس.
- ٣ ربيع الآخر ١٢٤٣: وصول الجنرال أريستوف إلى تبريز.
- ٥ شعبان ١٢٤٣ /١٥ فبراير ١٨٢٨: عقد اتفاقية تركمن جاى وانتهاء الدور الثانى من الحرب بين إيران وروسيا.
- ١٢٤٣: وفاة عبد الرزاق بيك دنبلى مؤلف تاريخ المآثر السلطانية.

- ٥ رجب ١٢٤٤: وصول جريبايدوف السفير فوق العادة الروسى إلى طهران.
- ٢٤ رجب ١٢٤٤: مقتل جريبايدوف السفير الروسى فى طهران.
- شوال ١٢٤٤: توجه خسرو ميرزا إلى روسيا لتقديم اعتذار عن مقتل السفير الروسى.
- ٥ ذي الحجة ١٢٤٤: وفاة ميرزا عبد الوهاب معتمد الدولة نشاط.
- ٢٥ ذي الحجة ١٢٤٤: وصول كنياز دالجوروكى السفير الروسى إلى تبريز.
- محرم ١٢٤٥: وصول كنياز دالجوروكى إلى طهران.
- ٣ رمضان ١٤٥: عودة خسرو ميرزا من روسيا.
- شوال ١٢٤٥: رجوع كنيازد الجوروكى إلى روسيا.
- أوائل عام ١٢٤٩: توجه عباس ميرزا نائب السلطنة إلى هراة لدفع الأفغان المتمردين.
- ذي القعدة ١٢٤٩: وصول عدد من أصحاب المناصب الإنجليز لتعليم جنود أذربايجان.
- ١٠ جمادى الآخر ١٢٤٩: وفاة عباس ميرزا نائب السلطنة فى خراسان
- ١٢ صفر ١٢٥٠: تعيين محمد ميرزا بن عباس ميرزا وليًا للعهد.
- ١٦ صفر ١٢٥٠: ذهاب ولى العهد محمد ميرزا إلى آذربيجان.
- ١٩ جمادى الآخر ١٢٥٠: وفاة فتحعلى شاه خلال رحلته إلى أصفهان.
- ٧ رجب ١٢٥٠: جلوس محمد شاه فى تبريز.

- ١٤ شعبان ١٢٥٠: وصول محمد شاه إلى طهران وتتويجه.
- ١٢٥٠: وفاة ميرزا محمد صادق المرزوى (وقايع نكار).
- متمم صفر ١٢٥١: قتل ميرزا أبى القاسم قائممقام بناء على أوامر محمد شاه وتولى حاجى ميرزا آقاسى مكتبدار الإيروانى منصب الصدارة.
- ٢٥ محرم ١٢٥٣: صدور أول جريدة فى إيران.
- ١٩ ربيع الآخر ١٢٥٣: قيادة محمد شاه للجيش إلى هراة.
- ١٤ شعبان ١٢٥٣: فتح قلعة الغوريين.
- ٢٢ شعبان ١٢٥٣: وصول محمد شاه إلى خارج هراة ومحاصرة المدينة.
- أواخر عام ١٢٥٣: توجه مكنيل سفير إنجلترا من هراة إلى مشهد محتجًا ثم ذهابه إلى طهران.
- ربيع الآخر ١٢٥٤: وصول السفن الحربية الإنجليزية إلى الخليج العربى.
- ١٩ جمادى الأولى ١٢٥٤: عودة جيش محمد شاه إلى مشهد بعد محاصرة هراة لمدة عشرة أشهر.
- ٢٣ جمادى الآخر ١٢٥٤: توجه حسين خان آجود انباشى سفير إيران فوق العادة إلى أوروبا، للاحتجاج على سلوك مكينل وتدخل الإنجليز فى الأمور الداخلية لإيران.
- ١٢٥٤: وفاة ميرزا محمد فاضل خان كروسى.
- شوال ١٢٥٥: عودة آجود انباشى من سفره إلى أوروبا ووصوله إلى تبريز.
- جمادى الآخر ١٢٥٦: وفاة رئيس الديوان ميرزا تقى العلى آبادى.
- العشرة الأوائل من رجب ١٢٥٦: هروب آقاخان من محلات إلى كرمان وعصيانه.

- فصل الربيع عام ١٢٥٧: هزيمة آقا خان فى الحرب وهروبه إلى قندهار وتوجهه من هناك إلى بومباى.
- أوائل شعبان ١٢٥٧ /٢٨ أكتوبر ١٨٤١: عقد معاهدة تجارية بين إيران وإنجلترا ؛ بين جان مكنيل وحاج ميرزا أبى الحسن خان الشيرازى.
- ١١ ذي الحجة ١٢٥٩: تحرك جيش نجيب باشا والى بغداد إلى كـــربلاء والقتل العام للشيعة هناك.
- أواخر عام ١٢٥٩: ارسال ميرزا تقى خان أمير نظام إلى أرزنه الـــروم للتباحث مع المسئولين العثمانيين.
- ٥ جمادى الأولى ١٢٦٠: ظهور دعوة السيد على محمد الباب.
- ٢٦ ذيقعدة ١٢٦٢: السماح للسفن الروسية بالوصول إلى (ميناء) انزلى.
- ١٢٦٢: وفاة ميرزا شفيع وصال الشيرازى.
- ١٦ جمادى الآخر ١٢٦٣: عقد الاتفاقية الحدودية الثانيـــة بـــين إيـــران والدولة العثمانية فى ارزنة الروم على يد ميرزا تقى خان امير نظام.
- ١٢٦٣: بداية فتنة محد حسن خان سالار، ابن آصف الدولة فى خراسان.
- ٥ شوال ١٢٦٤: وفاة محمد شاه.
- ٢٢ ذي القعده ١٢٦٤: تتويج ناصر الدين شاه وتنصيب ميرزا تقى خان أمير نظام فى منصب الصدر الأعظم.
- ١٥ ربيع الآخر ١٢٦٥: تمرد كثيرون على ميرزا تقى خان أمير كبير.
- ٢٨ ربيع الآخر ١٢٦٥: قتل السيد على محمد الباب فى تبريز.
- ١٢ رمضان ١٢٦٥: وفاة حاجى ميرزا آقاسى، الصدر الأعظم الـــسابق لإيران فى كربلاء.

القسم الثانى
اليقظة لمحة تاريخية

عصر من الغفلة:

تولى ناصر الدين شاه رابع ملوك الأسرة القاجارية السلطة عام ١٢٦٤ هـ.ق. وحكم إيران باقتدار حتى عام ١٣١٣هـ. ق أى لمدة خمسين عاما إلا بضعة شهور. وبعد توليه السلطة بفترة وجيزة، حدث عام ١٢٦٥هـ ق (١٨٤٨م) تحول هائل على الساحة العالمية، ونشبت ثورات عظمى فى كافة الدول الأوروبية تقريبا. وفى نفس العام أيضا نشر كارل ماركس بيان الحزب الشيوعى، ولكن إيران ظلت غافلة عن تلك الثورات والتغيرات العالمية.

لم تكن فتنة البابية التى بدأت فى نهاية عهد محمد شاه تخلو من الأهمية على الجانبين السياسى والاجتماعى، وعلى الرغم من أنها شكلت عبئًا للدولة على مدى السنوات الأربع الأولى من عهد ناصر الدين شاه فقد قُمعت فى النهاية على يد ميرزا تقى خان أمير كبير أكثر رجالات إيران جدارة فى العصر الحديث. وصار من المتفق عليه أن الأمن والأمان قد ساد خلال بقية عهد الشاه ولكنه فى الحقيقة مضى فى خدرٍ وأوهام وغفلة كالعصور الوسطى فى أوروبا (عدا السنوات الست الأخيرة التى تشكل أهمية لما وقع خلالها من أحداث سياسية حادة). ولم يكن الحديث فى تلك الفترة يدور حول السياسة بل فى الغالب حول الشعر والتصوف والأديان.

تنافس روسيا وبريطانيا فى إيران: بعد الهزيمة التى لحقت بإيران من روسيا عانت دولة إيران من ضغوط ندين قويين. ونتيجة لمعاهدة "تركمن جاى" والضرر الذى كان قد لحق بالملوك القاجاريين من جراء الروس، ظلوا يجاملون إلى فترة طويلة جاراتهم الواقعة إلى الشمال، ولكن يبدو أنهم كانوا يحاولون

الموازنة قدر الإمكان بين الجارتين. ولكن هذه الموازنة فشلت فيما بعد وخاصة منذ تولى ميرزا حسين خان ســـپهسالار ومارست كل من روسيا وبريطانيا تلك الحيلة السياسية التى اصطلح على تسميتها "النفوذ السلمى" وذلك من أجل تحقيق أهدافهما التى تمثلت فى تدعيم نفوذهما فى آسيا وبالتالى إضعاف إيران وعمل الإنجليز على تشجيع الفساد فى إيران وتعيين الأشخاص الضعفاء غير الأكفاء فى المناصب الحيوية من أجل حماية مصالحهم والحيلولة دون تزايد النفوذ الروسى فى إيران، وجعلوا البلاط والحكومة الإيرانية طوع هواهم تارة عن طريق تقديم الأموال والوعود بالمناصب؛ وتارة أخرى عن طريق التهديد والترهيب.

الحصول على الامتيازات:

أفســد الروس والإنجليز البنيــة الاقتصادية فى إيران لدرجــة أن الحكومة اضطرت لمــد يد الحاجة إليهم. وبسبب احتياج الدولة المدينة كانت الدولتان تقدمان هذه المساعدات البسيطة فى مقــابل فرض شروط صعبــة ومجحفة، بعبارة أكثر وضوحا كانتا تحصلان من إيران على "امتيازات" دون أن تصرحا بهذه الكلمة.

وكانت هذه القروض المتتالية والمستمرة تجبر الحكومة الإيرانية على الاستسلام للشروط والمطالب الأخرى لهما خشية المطالبة برد الديون.

وعلى هذا النحو حصل الإنجليز قبيل الثورة الدستورية بعدة سنوات على امتياز التلغراف من خانقين إلى طهران ومن طهران إلى بوشهر، وامتياز السكة الحديد من بحر قزوين إلى الخليج الفارسى و"خدمات عامة مفيدة" أى إنشاء خطوط الترام والتعدين واستغلال الغابات والأنهار وغيره لصالح البارون جوليوس دورويتر(١) وامتياز الملاحة فى القطاع الجنوبى من نهر كارون لصالح لينتش،

---

(١) تم إلغاء هذا الامتياز نتيجة الخلاف بين الروس ورجال الدين.

وامتياز بنك إيران الملكى لصالح رويتر، وامتياز احتكار الدخان لصالح تالبوت[١] وأخيرا امتياز البترول لصالح ويليام نكسى دراسى[٢].

وقام الروس بدورهم بتعبيد الطرق المهمة فى الولايات الشمالية من إيران، واستغلوا رحلة ناصر الدين شاه الثانية إلى روسيا وحصلوا على موافقة الحكومة الإيرانية على تشكيل فرقة القوزاق فى إيران، ثم حصلوا بعد ذلك أيضا على امتياز بنك القروض والرهونات.

وسيطر الإنجليز والروس على كافة الشئون الاقتصادية والقطاعات الحيوية فى إيران تقريبا؛ الإنجليز عن طريق البنك البريطانى ذى الاسم البراق "بنك إيران الملكى"؛ والروس عن طريق بنك القروض.

إن ناصر الدين شاه الذى كان يظن فى البداية أنه ملك الملوك بالفعل، تورط فى الأمر شيئا فشيئا[٣] وأخذ يرقب تدهور الأوضاع، وربما لم يكن يرغب حقيقة أن يحكم على نهج أبيه نظرا لما حظى به من معرفة ضئيلة بأوضاع أوروبا؛ ولكنه لم يكن يستطيع برغم الصلاحيات الواسعة التى تمتع بها أن يتراجع بسهولة[٤]. وفى ذلك الوقت كانت قد كبلته المشاكل الداخلية مثل عدم وجود رجال أكفاء محنكين ومخلصين وذوى خبرة وتسلط رجال الدين المتشددين بشكل كبير والأهم من ذلك تنافس الندين القويين لدرجة أنه شعر باليأس تجاه اتخاذ أية خطوة

---

(١) ألغى هذا الامتياز أيضا نتيجة اعتراض العلماء والشعب.

(٢) ألغى هذا الامتياز فى خرداد عام ١٣١٢ ش ومُنح عوضا عنه الامتياز المؤرخ فى ٢٩ أبريل ١٩٣٣ للشركة البريطانية الإيرانية للبترول المحدودة، وألغى أيضا الامتياز الأخير بموجب قانون تأميم البترول فى ٢٤ اسفند ١٣٢٩ش.

(٣) الكونت جوبينواز، رسالتان مؤرختان فى يونية ويولية عام ١٨٦٣ (مجلة يغما، العام ١٣ العدد ١٥).

(٤) المرجع السابق

مفيدة فى السنوات الأخيرة من عهده ولم يكن يفعل شيئا عدا السفر والصيد والاستسلام للمتع[1].

ناصر الدين شاه: على كل حال قتل ناصر الدين شاه "الملك العجيب والمتهوس" الذى كان يتحدث دائما عن العدالة والإصلاحات على الرغم من أن فترة حكمه كانت مليئة بالظلم والجور والكثير من المظالم، وذلك فى ساحة مسجد الشاه عبد العظيم إثر طلقات نارية أطلقها عليه رجل فطن وجسور يسمى ميرزا رضا الكرمانى من المفتونين بداعية الوحدة الإسلامية السيد جمال الدين الأفغانى، وكان ذلك فى عصر يوم الجمعة ١٨ ذى القعدة ١٣١٣، قبيل أربعة أيام من الاحتفال السنوى بمرور خمسين عاما على توليه السلطة، بعد نصف قرن من الحكم المطلق ومنح امتيازات كثيرة للأجانب. وأقر ميرزا رضا فى الاستجواب أن سبب هذا التصرف هو خراب الدولة وظلم الحكام وشيوع الفساد ووجود مجلس للوزراء من الخائنين. وأعرب عن قلقه إزاء منح امتيازات كثيرة للأجانب و"أن مملكة المسلمين سوف تقع فى أيدى الأجانب" وقال كان ملكا أفرزت أعماله الخراب وفساد الدولة وكـــان رجال حكومته من الأراذل والأوباش، و"يجب قطع مثل تلك الشجرة حتى لا تثمر هذا النوع من الثمار ثانية".

إرهاصات الثورة الدستورية:

خلال عصر ناصر الدين شاه والذى دام خمسين عاما ومنذ بداياته الأولى ظهرت عوامل وأسباب أثرت فى مجموعها وكذلك كل منها بشكل أحادى فى

---

(1) كتب فى رسالة إلى ملكم وزير إيران المفوض فى لندن مبينا موقفه على النحو التالى:
لقد تورطت الحكومة الإيرانية فى التنافس الدائر بين حكومتى بريطانيا وروسيا. وكلما أردنا إنجاز عمل فى جنوب إيران بغرض المنفعة والمصلحة وتعمير مملكتنا؛ تقول الحكومة الروسية إنكم تفعلونه لمصلحة بريطانيا... وإذا أردنا أن ننجز مثل هذه الأعمال فى شمال وغرب وشرق إيران يقول الإنجليز إنكم تبادرون بإنجاز هذه الأعمال لصالح روسيا. لقد صارت مهمتنا صعبة وسوف تصبح أكثر صعوبة يوما بعد يوم. إذن فلسوف يأتى الروس والبريطانيون فجأة ويقولون إن دولة إيران ليست دولة مستقلة..".

ظهور الأفكار المنادية بالحرية. ولو تجاوزنا الإنجازات الأولى لولى العهد عباس ميرزا ووزيره المثقف ميرزا أبى القاسم قائمقام فى سبيل الأخذ بالفنون والصناعات الحديثة والترويج لها، فيجب علينا أن نعتبر إصلاحات ميرزا تقى خان أمير كبير وخاصة تأسيس دار الفنون عام ١٢٦٨ هـ. ق بإشارة منه وتحت إشرافه واستقدام المعلمين الأجانب لتدريس العلوم الأوروبية الحديثة لأبناء إيران؛ الخطوة الأولى فى هذا الطريق، ومما أثر بعد ذلك على اليقظة الفكرية لدى الإيرانين تأثيرا قاطعا رحلتا السيد جمال الدين الأفغانى إلى إيران فى عامى ١٣٠٤ - ١٣٠٧هـ.ق ودعوته الواسعة لمناهضة الاستبداد وضرورة إجراء الإصلاحات، ومساعى أتباعه وأصدقائه المتحمسين. وجدير بالذكر أيضا أن المستنيرين والمطالبين بالحرية من الإيرانيين الذين أدركوا منذ فترة طويلة فقر إيران المادى والمعنوى وحملوا هموم الأوضاع السائدة فيها كانوا يكتبون من خارج إيران، وعملوا على إنارة عقول الناس وتوعيتهم من خلال الصحف والكتب. ويعد ميرزا ملكم خان ناظم الدولة الأصفهانى من الشخصيات التى أثرت فى إيقاظ الشعب الإيرانى ونشر بذور الثورة وكان عضوا بوزارة الشئون الخارجية الإيرانية. ونتيجة لما اشتهر بالمحفل الماسونى (أو ما شابه ذلك) الذى أسسه فى طهران وصحيفته المعروفة بـ (القانون) التى كانت تطبع فى لندن وكذلك رسائله الكثيرة النافعة حدث انقلاب فى نمط تفكير الإيرانيين.

وكانت هناك عدة عوامل أحدث كل منها فى وقته وبالتدريج صدعا فى هيكل النظام الاجتماعى الفاسد فى إيران وهى ترجمة مقالات ومسرحيات ميرزا فتحعلى آخوند زاده ورسائل وأشعار ميرزا آقاخان الكرمانى وكتب ميرزا عبدالرحيم طالبوف التى كانت توضح الأسس العلمية والمبادئ الاجتماعية بأسلوب ميسر، والرواية الاجتماعية لزين العابدين المراغى المقيم بإسطنبول، والصحف الفارسية التى كانت تطبع فى مصر والهند وإسطنبول، وتردد تجار آذربيجان على

تركيا والقوقاز، وعلى وجه الخصوص الحرب بين روسيا واليابان فى فبراير عام ١٩٠٤م وهزيمة روسيا غير المتوقعة من اليابان التى أدت إلى عقد اتفاقية سلام فى الخامس من سبتمبر من العام اللاحق فى بورتسموث بأمريكا، والصدمة التى أحدثها هذا الأمر فى أذهان الإيرانيين، وبعد ذلك الحركات الثورية المتوالية فى روسيا القيصرية والتى أفرزت قيام الثورة الروسية الأولى عام ١٩٠٥م أى قبيل الثورة الدستورية فى إيران بوقت وجيز، وانعكاس أخبار تلك الثورة عن طريق جريدة ملا نصر الدين النائب الديمقراطى الشاب عن القوقاز الذى كان يحمل إلى مسامع الإيرانيين تلك الأحداث تفصيلا، وظهور الصحف والمجلات النافعة والمؤثرة الأخرى فى القوقاز ورواجها بين أهالى آذربيجان. وأصابت هذه العوامل الطبقة الحاكمة فى إيران بالقلق من نمط الإدارة القديمة التى كانت تعرض الدولة عاجلا أو آجلا للبيع لرؤوس الأموال الأجنبية أو الاحتلال المرتقب من قبل روسيا وبريطانيا، وهيأت هذه العوامل أيضا الشعب لقبول التغير الجذرى فى شكل الإدارة واختيار أسلوب جديد للحياة، وعلى هذا النحو نشأت تدريجيا الرغبة فى تغيير الأوضاع الاجتماعية والمدنية القديمة والبالية التى كانت بذورها قد نثرت منذ النصف الأول من القرن الثالث عشر من الهجرة، ونمت تدريجيا وعلى مهل وأفرزت الثورة الدستورية.

الباب الأول
النثر الفارسى فى مرحلة اليقظة

المقدمة

إن التحول الذى أحدثه قائمقام وأتباعه فى النثر الفارسى كان قد أسس أيضا على خصائص الأسلوب القديم بالرغم من اتجاهه نحو البساطة. وبعد قائمقام ورفاقه استخدم عدد من الكتاب أسلوبا خاصا فى مؤلفاتهم لم يختلف اختلافا جوهريا عن أسلوب أسلافهم ومنهم هدايت صاحب مجمع الفصحاء وسبهر مؤلف ناسخ التواريخ واعتماد السلطنة صاحب العديد من الكتب وأديب الممالك الفراهانى ومحمد حسين فروغى ذكاء الملك. ولكن مع انتشار اللغات الأوروبية وغزو العلوم الحديثة لم يكن ليستمر هذا الأسلوب ولم يقلدهم أحد.

كان ناصر الدين شاه نفسه ملما إلماما ضئيلا باللغة الفرنسية، وعلى معرفة طيبة بالتاريخ والجغرافيا، وكان قد اطلع على أوضاع الغرب والحضارة الغربية إلى حد ما أثناء رحلاته. وتمتع بقريحة شعرية فكان أحيانا ينظم الشعر أو يأتى بمطلع قصيدة ويدع إتمامها لشعراء البلاط. وكان يكتب نثرا لطيفا سلسا، وتخلو كتاباته من الأخطاء إلى حد بعيد. وتتميز كتب رحلاته إلى المزارات المقدسة لآل البيت وخراسان ومازندران وغرب أوروبا – سواء كتبت بقلم الشاه نفسه، أو بناءً على أوامره وبأقلام الآخرين – باستخدام نثر بسيط وسلس يخلو من الكلفة، يوضح ذوق الكاتب وموهبته فى الإنشاء وتنميق الكلام.

وكان فرهاد ميرزا نجل ولى العهد وشقيقه اعتضاد السلطنة رجلين متعلمين فاضلين ماهرين فى الكتابة، وخاصة اعتضاد السلطنة الذى عمل لفترة طويلة وزيرا للمطبوعات وأسهم مساهمة فعالة فى اليقظة الفكرية وتقدم العلوم ونشر الثقافة الحديثة.

وفى تلك الفترة عاد إلى إيران من كانوا قد سافروا إلى أوروبا حاملين معهم هدايا قوامها الأفكار الغربية الحديثة، ومع تقدم فن الطباعة راجت الكتب التاريخية والعلمية والأدبية بالفارسية والعربية. وظهرت الصحافة منذ بداية عهد ناصر الدين شاه فى نطاق البلاط أولا ثم بين عامة الناس.

وأسست مدرسة دار الفنون نتيجة لمساعى أمير كبير، وقام المعلمون الأوروبيون بمساعدة تلاميذهم من الإيرانيين بترجمة الكتب العلمية والفنية والعسكرية إلى الفارسية من أجل سد حاجة الطلاب. وتُرجمت ونُشرت خارج نطاق دار الفنون الكتب التاريخية والكثير من القصص على أيدى مترجمى العصر الناصرى، واضطر المترجمون لمحاكاة بساطة المتون الأصلية، وأثمرت المحاولات التى كانت قد بدأت منذ فترة سابقة من أجل تخليص اللغة من الألفاظ الفجة والتركيبات المستهجنة مع رواج المقالات فى الصحف الصادرة داخل إيران وخارجها وورود كتب ومقالات الكتاب الإيرانيين المقيمين بالخارج. وفى مقابل سيل التجديد تراجعت الكتابة البلاغية القديمة المكتظة بالصنعة والكلفة بما فيها من سجع ومراعاة النظير والاستشهاد بالأحاديث ومأثورات فطاحل العرب والفرس وتركت مكانها للكتابة البسيطة السلسة الموجزة المفهومة.

الفصل الأول: الطباعة والمطبعة

لو لم تكن إيران قد استخدمت الطباعة والمطبعة عندما أدركت الحاجة إليهما فى ظل الاتصال بالغرب لما ظهرت أيضا الصحف والصحافة بالمعنى المعاصر لهما.

يقول القس أنج دوسن جوزيف[١] وهو من أهالى تولوز بفرنسا ومن مبشرى طائفة نصارى الكرملين وقد أقام لفترة فى إيران وأعد معجما من الفرنسية للفارسية[٢] وطبع عام ١٠٩٦ هـ.ق فى فرنسا يقول فى شرح الألفاظ "باصمه خانه، كارخانهء بصمجى، مطبع"[٣]:-

"إن آباءنا القدامى (قساوسة نصارى الكرملين) كانوا قد أقاموا فى دار عبادتهم بأصفهان مطبعة بالحروف العربية والفارسية ولازالوا يملكونها. ولدى الأرمن فى جلفا أيضا مطبعة أرمنية".

بناء على هذا حملت طائفة الكرملين أول مطبعة معها إلى إيران بعد عام ١٠١٦ هـ.ق عندما قدمت هذه الطائفة إلى أصفهان، وقد طبعت فى البداية بعض الأدعية والأذكار المسيحية باللغتين العربية والفارسية.

امتلك الأرمن مطبعة أرمنية زمن قديم كما أفاد سن جوزيف، وإلى حد علمنا افتتح خليفة خا جادور القيصرى[٤] عام ١٠٥٠هـ.ق (١٦٤١م) مطبعة فى أصفهان للمرة الأولى، وكان الورق والأحبار والحروف الخاصة بتلك المطبعة تصنع فى جلفا أيضا ويوجد حتى الآن فى متحف كنيسة "وانك" عدد من الحروف وألواح الضغط والكتب التى طُبعت فى تلك المطبعة وبهذه الحروف[٥].

---

(١) Ange de Saint Joseph

(٢) Gazophylaciun Linguae Persarum

(٣) بصمه" و"باصمه" فى التركية بمعنى طباعة "وباصمه خانه" بمعنى مطبعة وكان يطلق حتى تلك الفترة فى إيران على المطبعجى أو القائم على الطباعة كلمة "باصمه چى" (باسمه چى) و"چاپچى". ويبدو أيضا أن كلمة (چاپ) مأخوذة من كلمة "چهاپ" الهندية والسنسكريتية.

(٤) خاجادور جساراتسى

(٥) قدم بتوجالستيان هذه المعلومات إلى صحيفة "اطلاعات".

ويقول أيضا "هوتوم شيندلر" فى رسالته إلى مدير صحيفة (كاوه) بخصوص هذه المطبعة: "... لقد طُبعت العديد من الكتب بالحروف الأرمنية، وهى موجودة منذ عام ١٠٥٠ هـ. ق بالمكتبة، ويوجد الآن عدد من الحروف القديمة فى مذبح الكنيسة بجلفا"(١).

وورد فى دائرة المعارف البريطانية ذكر ورقة كبيرة باللغة الأرمنية طبعت فى جلفا بأصفهان وذلك تحت مادة "الأدب الأرمنى" وقد طبعت عام ١٠٥٠ هـ.ق وموضوعها دينى(٢).

ولكن الإيرانيين الناطقين بالفارسية أنفسهم لم يمتلكوا مطبعة لسنوات طويلة، واستفادوا من مزاياها فى وقت متأخر جدا. وفى كتابه للرحلات يقول الرحالة الفرنسى شاردن (١٦٤٣-١٧١٣م) الذى زار إيران فى عهد الشاه سليمان الصفوى: "إن الإيرانيين لديهم شوق مفرط لدخول الطباعة إلى بلدهم وقد أدركوا تماما فوائدها وأهميتها، ورغم ذلك لم يُؤسس أحد مطبعة. وفى عام ١٠٨٧ هـ.ق كان يرغب شقيق وزير البلاط وهو عالم جليل ومقرب إلى مجلس الشاه أن يعقد معى اتفاقية لإحضار حرفيين إلى إيران ليعلموا الإيرانيين هذه الحرفة البديعة. وعرض المشار إليه الكتب العربية والفارسية المطبوعة التى كنت قد حملتها له على صاحب الجلالة، وتمت الموافقة على هذا الاقتراح ولكن عندما طرح موضوع دفع التكاليف ضاع هباءً كل ما تم الاتفاق عليه"(٣).

مضى ما يقرب من قرن ونصف على زمن شاردن ولم يتخذ الإيرانيون خطوة لإنشاء مطبعة إلى أن تعلم عدد من الإيرانيين تلك الحرفة فى أوروبا لأول مرة فى عهد فتحعلى شاه القاجارى بفضل ولى العهد عباس ميرزا، وأحضروا إلى إيران ماكينة طباعة بالحروف (بالرصاص)(٤) وبعدها مطبعة للطبع بالحجر(٥).

---

(١) من رسالة هوتوم شيندلر General Sir A. Houtum Schindler التى أرسلها عام ١٣٣٢هـ.ق من لندن لتقى زاده، صحيفه "كاوه" العام الثانى (الإصدار الحديث)، العددالخامس.
(٢) صحيفة "كاوه"، العام الثانى (الإصدار الحديث)، العدد الخامس.
(٣) سياحتنامهء شاردون، ترجمة محمد عباسى، ج٤، طهران، ١٣٣٦ش.
(٤) Typography
(٥) Lithography

وهناك خلاف حول أول من افتتح مطبعة فى إيران، ولكن من المسلم به من مجموع المعلومات المتاحة فى هذا الشأن أن آلة الطباعة بالحروف أُحضرت إلى إيران أولا واستخدمت فى مدينة تبريز.

ويقول هوتوم شيندلر فى رسالته إلى تقى زاده: "لقد أحضر شخص يدعى السيد زين العابدين التبريزى عام ١٢٣٣ آلة صغيرة للطباعة بالحروف إلى تبريز بفضل رعاية ولى العهد عباس ميرزا الذى كان حاكما لآذربيجان فى ذلك الوقت، وأنشأ مطبعة صغيرة وبعد فترة طبع فيها كتاب "فتحنامه". وكان هذا الكتاب أول كتاب يطبع فى إيران بالحروف العربية. ومؤلف الكتاب المذكور ميرزا أبو القاسم قائمقام، ويروى الكتاب حكايات عن الحرب التى دارت عام ١٢٢٧ هـ. ق بين روسيا وإيران التى انتهت بعقد معاهدة جلستان المؤرخة بتاريخ ١٢ أكتوبر ١٨١٣م الموافق ١٦ ذى القعدة ١٢٢٨"[١].

وفى بداية عام ١٢٣٥ هـ.ق عاد "ميرزا صالح الشيرازى[٢]" إلى تبريز حاملا أدوات الطباعة ومكبسا صغيرا باهظ الثمن حيث كان قد درس حرفة الطباعة وصناعة أحبارها وترصيص الحروف فى بريطانيا إلى جوار دراسته

---

(١) صحيفة كاوه، العام الثانى (الإصدار الحديث) العدد الخامس.

(٢) كان ميرزا صالح بن الحاج باقرخان الكازرونى الشيرازى واحدا من خمسة أشخاص أرسلهم ميرزا قائم مقام الأول إلى لندن عام ١٢٣٠هـ. ق بناءً على أمر من عباس ميرزا لدراسة العلوم والحرف، وتعلم هذا الرجل شديد الفطنة اللغات الإنجليزية والفرنسية واللاتينية خلال المدة التى قضاها فى لندن والتى ناهزت ثلاث سنوات وتسعة شهور وتسعة أيام. ودرس التاريخ والعلوم الطبيعية ومارس بعض الحرف مثل صناعة الزجاج والأحبار وترخيص حروف المطبعة. وانضم هناك للمحفل الماسونى، وعند عودته إلى إيران عين مترجما ومستشارا لولى العهد عباس ميرزا فى تبريز ثم عين وزيرا لشئون طهران، وارتحل لتأدية العديد من المهام، ومن ذلك شارك فى عضوية وفد المبعوثين إلى البلاط الروسى (١٢٤٥ هـ ق) تحت رئاسة خسرو ميرزا وبرفقة شاب يسمى ميرزا تقى خان الفراهانى (الذى عُرف فيما بعد بأمير كبير الصدر الأعظم الإيرانى الشهير)، كما أنشأ أولى الصحف الفارسية الصادرة فى إيران.

للغات والعلوم[١]، ويبدو أن هذه الماكينة التى تستخدم الحروف فى الطباعة، والتى كان قد أحضرها معه إلى إيران قد استخدمت فى تبريز، ولكننا لا نملك معلومات مؤكدة عن مصير هذه الماكينة والأعمال التى طبعتها".

ويعتقد الأستاذ مجتبى مينوى أن ماكينة الطباعة التى أحضرها ميرزا صالح الشيرازى معه من إنجلترا كانت أول مطبعة استخدمت فى إيران لطباعة الكتب الفارسية. ويُقال إن مدير هذه المطبعة التى تستخدم حروف الرصاص كان شابا يسمى ميرزا جعفر، لهذا ليس من المستبعد أن يكون ميرزا صالح قد عين المهندس ميرزا جعفر رفيقه فى الرحلة لإدارة المطبعة، خاصة وأن ميرزا صالح كان قد أصبح من الأعيان ورجال الدولة ولم يكن لديه متسع لمتابعة المطبعة[٢].

وفى عام ١٩٠٢ م طبع فى باريس كتاب فرنسى اسمه "المطبعة خارج أوروبا"[٣] لكاتب مجهول متخصص فى علم المكتبات[٤] ونقل هذا الكتاب عن لسان الدكتور كوتون[٥] أن شابا يسمى ميرزا جعفر تولى عام ١٨٢٢م إدارة أول مطبعة تستخدم حروف الرصاص فى مدينة تبريز وكان الجلستان أول كتاب يطبع فيها[٦]، ولم يذكر ميرزا جعفر مطلقا بصفته أول من أسس مطبعة تستخدم حروف الرصاص فى تبريز. ومع ذلك كله ليس من المستبعد أن يكون ميرزا صالح قد عين على المطبعة رفيق رحلته إلى لندن ميرزا جعفر التبريزى[٧] الذى كان قد

---

(١) سفر نامهء ميرزا صالح (نقلا عن مجلة يادگار، العام الأول، العدد الثالث).

(٢) مجتبى مينوى: كاروان معرفت، مجلة يغما، العدد السادس، العدد الثامن.

(٣) Imprimerie hors de l'Europe

(٤) Un bibliographe

(٥) Dr. Cotton

(٦) صحيفة كاوه، العام الثانى (الإصدار الحديث)، العدد الخامس.

(٧) كان هذا الرجل قد سافر إلى انجلترا عام ١٢٣٠هـ.ق ضمن بعثة من خمسة دارسين وتعلم هناك الهندسة والرياضيات والمدفعية، ثم ذهب إلى تركيا سفيرا لإيران ولُقب بمشير الدولة، وبعد أن عزل ناصر الدين شاه ميرزا آقا خان نورى فى محرم ١٢٧٥ هـ.ق من منصب الصدارة وأسس مجلس الشورى محاكاة للدول الأوروبية، عينه لرئاسة هذا المجلس، وهو نفس الشخص الذى وجه إليه ملكم عام ١٢٧٦هـ.ق رسالته المعروفة بـ "كتابچهء غيبى=

درس الهندسة فى بريطانيا وعلى ذلك نسب إليه تأسيس هذه المطبعة فى تبريز، ولكن على كل الأحوال، فإن مجموع المعلومات المتوفرة لدينا كما سبق الذكر تشير إلى أن ميرزا زين العابدين قد استقدم من روسيا أول مطبعة للرصاص إلى تبريز، وأن هذه المطبعة قد عملت عام ١٢٣٢ هـ.ق أو عام ١٢٣٣ هـ.ق كما أكد شيندلر؛ أى قبل عامين أو ثلاثة من عودة ميرزا صالح إلى تبريز.

ومن أوائل الكتب التى طبعت طباعة بالحروف فى تبريز، مآثر سلطانى لعبد الرازق بيك دنبلى عن تاريخ سلطنة فتحعلى شاه والذى تم إهداؤه لولى العهد. طبع هذا الكتاب بهمة وإشراف ملا محمد باقر التبريزى فى أواخر شهر رجب ١٢٤١هـ.ق، وبعد فترة طُبعت رسالة صغيرة تسمى "رسالهٴ آبله كوبى درفوايد تلقيح ولزوم تعميم آن" أى "رسالة التطعيم ضد الجدرى وفوائد استخدامه وضرورة تعميمه"(١).

ولا نعلم على وجه الدقة تاريخ افتتاح أول مطبعة للحروف فى طهران. ويضيف شيندلر سالف الذكر فى رسالته لتقى زاده: ".... استدعى فتحعلى شاه عام ١٢٤٠هـ ق ميرزا زين العابدين لدار الخلافة (طهران)، وقدم ميرزا المذكور فى البداية إلى منزل ملك الشعراء الثانى، ولكن لما لم يكن ملك الشعراء على علم بهذا الأمر، دعا منوچهر خان معتمد الدولة ميرزا زين العابدين وأسكنه فى تكية منوچهر خان، وبعد ذلك بفترة قصيرة طبع ميرزا زين العابدين القرآن الكريم طباعة حروف بخط المرحوم ميرزا التبريزى، وهو ما عرف بـ "قرآن معتمدى". وتتلمذ عدد من الطلاب على يد ميرزا زين العابدين، ومنهم المرحوم مير باقر الذى طبع فيما بعد نسخة من ناسخ التواريخ للمؤلف لسان الملك وذلك فى طبعة حجر. وقد وردت الإشارة إلى ميرزا زين العابدين المذكور فى كتاب "مآثر

= يادفتر تنظيمات" والتى تحتوى على خطة للإصلاحات. وتوفى عام ١٢٧٩هـ.ق.

(١) تأليف الدكتور كارمك، ملحق "أنوار الناصرية يا مرآة الحكمة الناصرية"، تبريز، ١٢٤٥ هـ.ق.

سلطانى" الذى طبع طباعة حروف بتبريز فى رجب ١٢٤١هـ.ق وذلك ضمن وصف طباعة الكتاب؛ وجاء فى هذه الإشارة أن زين العابدين قد طبع فى دار الخلافة طهران مجلدات من كتب الحديث تحت إشراف منوچهر خان وأن التجار يحملونها إلى الولايات لبيعها"(١).

إن هذه التوضيحات لا تزيح الغموض عن تاريخ تأسيس أول مطبعة للحروف فى طهران، وعندى شك فى أن يكون "قرآن معتمدى" قد طبع طباعة حروف، لأن هذا النوع من الطباعة لا يحتاج إلى خط وخطاط، وأعتقد أن نسخة القرآن التى أشار إليها شيندلر قد طُبعت طبعة حجر(٢). ويتضح أنه فى نفس الوقت الذى كانت تدار فيه مطبعة الحروف الأولى فى تبريز كانت تعمل مطبعة أخرى فى طهران فى حدود عام ١٢٤٠هـ.ق، دون أن تنقل مطبعة تبريز إلى طهران، لأن العديد من الكتب قد طبعت فى هاتين المطبعتين عام ١٢٤٠هـ.ق والأعوام اللاحقة(٣).

على كل الأحوال أُغلقت مطبعة الحروف فى تبريز على ما يبدو عام ١٢٥٠هـ.ق بعد فترة قصيرة من وفاة عباس ميرزا الذى توفى عام ١٢٤٩هـ.ق، كما أغلقت أيضا مطبعة الحروف بطهران بعد عشر سنوات تقريبا عام ١٢٦١ أو ١٢٦٢ هـ.ق، واقتصرت المطابع فى إيران على طباعة الحجر لفترة تزيد على ستين عاما.

ودخلت طباعة الحجر إلى إيران بعد طباعة الحروف بثمانى سنوات، وكان لعباس ميرزا أيضا الأسبقية فى هذا المجال. أرسل هذا الأمير المحب للعلوم ميرزا جعفر التبريزى عام ١٢٤٠هـ.ق إلى موسكو لدراسة حرفة الطباعة. وقد حاكت

---

(١) صحيفة كاوه، العام الثانى (الإصدار الحديث)، العدد الخامس

(٢) للأسف لم يرد ذكر النسخ المطبوعة من القرآن فى فهرس الكتب المطبوعة لخان بابا مشار (طهران ١٣٣٧ش) وليس عندى وسيلة لمزيد من البحث حول هذا الموضوع.

(٣) صحيفة كاوه، العام الثانى (الإصدار الحديث) العدد الخامس ومن بين الكتب التى طبعت طباعة حروف فى طهران يمكن ذكر كتاب "محرق القلوب" ١٢٣٩ هـ.ق، و"عين الحياة وحياة القلوب" (فى ثلاثة أجزاء) ١٢٤٠ هـ.ق

العاصمة مدينة تبريز فى هذا المجال أيضا، وأوفد ميرزا صالح الشيرازى وزير شئون طهران ميرزا أسد الله – وكان من أهالى فارس – إلى بطرسبورج[١]، وأتم المبعوثان المهمة بنجاح، ولكن لا يُعرف السبب وراء إدارة كل منهما مطبعة تستخدم طباعة الحجر فى طهران.

وطُبع أول كتاب طباعة حجر عام ١٢٤٨هـ.ق تحت إشراف ميرزا أسد الله، وكان القرآن الكريم، وبعد ذلك طُبع كتاب تفسير زاد المعاد فى غرة ذى الحجة عام ١٢٥١ هـ.ق. وكُتب كل منهما بخط الخطاط ميرزا حسين[٢].

---

(١) ورد بالصفحة الأخيرة من "زاد المعاد" طبعة تبريز ١٢٥١هـ.ق: "أنا محمد صالح بن الحاج باقر خان الشيرازى العبد ببلاط ملاذ العالم، كنت قد ذهبت فى مأمورية لروسيا (لا أعلم إن كان يقصد سفره عام ١٢٤٥هـ.ق ضمن البعثة التى رأسها خسرو ميرزا أم يقصد رحلة أخرى) وتعلمت حرفة الطباعة الحديثة فى تلك الديار وحملت معداتها وتجهيزاتها إلى دار السلطنة تبريز ووضعتها فى دار الطباعة، وعُين على إدارتها عالى المقام آقا على بن المرحوم الحاج محمد حسين الشهير بأمين الشرع التبريزى... وبعد طباعة القرآن المجيد تيمنا، تمت طباعة كتاب زاد المعاد الذى يلى كلام رب العباد وذلك فى غرة شهر ذى الحجة الحرام عام ١٢٥١هـ.ق"

(٢) ذُكرت الكتب التالية من بين ما طبع طباعة حجر فى تبريز: زيارة عاشوراء فى حجم كبير، ١٢٥٥ هـ.ق؛ كليات سعدى بقلم الخطاط ميرزا تقى ١٢٥٧هـ.ق؛ كليات حافظ ١٢٥٨هـ.ق، صد كلمة حضرت على و ترجمتها للفارسية نظما ١٢٥٩هـ.ق؛ تاريخ جهانگشاى نادرى ١٢٦٠ هـ.ق؛ تقويم رقومى لميرزا تقى أهدى ١٢٦١هـ.ق؛ ألف ليلة وليلة بالفارسية ترجمة عبد اللطيف الطسوجى وبقلم الخطاط ميرزا على ١٢٦١هـ.ق؛ قواعد پارسى لميرزا عبد الكريم الأيروانى ١٢٦٢هـ.ق؛ جنات الخلود ١٢٦٢هـ.ق؛ منشآت ميرزا مهديخان بخط ميرزا مهدى التبريزى ١٢٦٣هـ.ق؛ مثنوى مولانا رومى ١٢٦٤هـ.ق؛ كليات سعدى ١٢٦٤هـ.ق، جهان نما ترجمة فلوغون روفائيل بخط جرعة الشاعر ١٢٦٧هـ.ق، كتاب الأدعية والتعقيبات المترجم للفارسية بريشة الخطاطة فاطمة خانم والترجمة الفارسية بخط مصطفى مرندى المتخلص بـ (ساغر) ١٢٦٩ هـ.ق؛ شاهنامهء فردوسى ١٢٧٥ هـ.ق؛ ديوان ناصر خسرو ومختارات من غزليات مولوى الشهير بشمس تبريزى ١٢٨٥ هـ.ق؛ أجمل التواريخ لرضا قلى خان هدايت ١٢٨٣هـ.ق؛ امتحان الفضلاء يا تذكرة الخطاطين لميرزا سنگلاخ المشهدى فى ثلاثة مجلدات ١٢٩٥ هـ.ق، كليلة ودمنة لأبى المعالى نصر الله المنشى ١٣٠٠ هـ.ق (محمد على تربيت، مبدأ تاريخ ايرانشناسى در اروپ، مجلة ارمغان، العام الثانى عشر، العدد السابع).

وبعد خمس سنوات نقلت هذه المطبعة إلى طهران بأمر من الشاه وكان ديوان عبد الوهاب معتمد الدولة نشاط أول ما طبع بها، وكانت طباعته سيئة للغاية[1]. وفى المجمل فإن تاريخ دار الطباعة والمطبوعات فى طهران متأخر عن تاريخها فى تبريز (سواء طباعة الحروف أو الحجر). ويبدو أن ديوان غزليات حافظ هو أول كتاب يطبع فى طهران طباعة حجر، وقد طُبع بتاريخ الثامن عشر من محرم ١٢٥٤ هـ.ق[2].

وعممت طباعة الحجر على وجه السرعة فى إيران، فبعد تبريز وطهران أقيمت مطابع فى أصفهان وشيراز[3] وسائر المدن أيضا[4]. والعجيب أن طباعة

---

(١) محمد على تربيت، تاريخ مطبوعات إيران الترجمة الإنجليزية لبراون؛ ملك الشعراء بهار، سبلك شناسى، ج٣.

(٢) يقول محمد على تربيت فى مقالة "مبدأ تاريخ ايرانشناسى در اروپ" (مجلة ارمغان، العام الثانى عشر، العدد السابع) "لم ير المؤلف كتابا يفوق كليات حافظ الذى طبع فى الثامن عشر من محرم ١٢٥٤ هـ.ق فى قطع صغير وطبعة فاخرة للغاية". ثم يذكر بعد ذلك مطبوعات طهران التى صدرت فى طبعة حجر وهى كالتالى: المعجم فى آثار ملوك العجم ١٢٥٩هـ.ق؛ دبستان المذاهب ١٢٦٠ هـ.ق، تاريخ پادشاهان عجم ١٢٦٢ هـ.ق؛ خلاصة الحساب لميرزا جعفر خان مشير الدولة ١٢٦٢ هـ.ق؛ تاريخ پطر كبير وشارل دوازدهم واسكندر فى مجلد واحد ١٢٦٣ هـ.ق، أبواب الجنان ١٢٦٣ هـ.ق، كشكول بهائى ١٢٦٦ هـ.ق، وصاياى نابليون ١٢٦٧ هـ.ق، جام جم معتمد الدولة ١٢٧٣ هـ.ق، كتاب السامى فى الأسامى ١٢٧٣ هـ.ق، ديوان بنائى ١٢٧٤ هـ.ق، مخزن الأدوية ١٢٧٧ هـ.ق، قاموس فيروز آبادى مع ترجمة فارسية فى الحواشى ١٢٧٧ هـ.ق، روضة الأنوار عباسى ١٢٨٤ هـ.ق، قابوسنامه ١٢٨٥ هـ.ق، بحر الجواهر ١٢٨٨ هـ.ق، جاودان خرد ١٢٩٤هـ.ق وبعد كتاب "جاودان خرد" تم ترجمة وتأليف سلسلة من الكتب تحت رعاية محمد حسن خان اعتماد السلطنة بلغ عددها حوالى ثلاثين كتابا وذلك خلال الفترة من ١٢٩٠حتى ١٣٢٤هـ.ق كملحق للتقويم السنوى وهى تاريخ إيران، مرآت البلدان، منتظم ناصرى، مطلع الشمس، خيرات حسان، المآثر والآثار، درر التيجان، التدوين فى جبال الشروين، تاريخ ساسانيان ونامهء دانشوران وغير ذلك.

(٣) لم تطبع مطبعة شيراز سوى نسخة من القرآن، وصدر عن مطبعة أصفهان الرسالة الحسنية المنسوبة للشيخ أبى الفتوح الرازى صاحب التفسير الشهير، وقام بترجمتها الشيخ إبراهيم جرجين الاسترابادى، وطبعت فى العام الأول لتأسيس المطبعة.

(٤) كانت أرومية أول مدينة بعد شيراز وأصفهان تأسس فيها مطبعة حيث كان المبشرون المسيحيون الأمريكيون يمتلكون مطبعة للحروف باللغات العربية والسريانية والأمريكية.=

الحروف التى كانت قد دخلت إيران أولا كما ذكرنا؛ ظلت معطلة لفترة طويلة إلى أن اشترى ناصر الدين شاه عام ١٢٩٠ هـ.ق – أثناء رحلته الأخيرة إلى أوروبا – ماكينة للطباعة بالحروف ومطبعة بالرصاص بمبلغ خمسمائة ليرة تركية من إسطنبول. وأحضرها إلى طهران مع متخصص فى ترصيص الحروف، ولكن أُهمل استخدام هذه المطبعة، وفى النهاية أصلحها البارون نورمان(١) الذى كان قد حصل على تصريح بنشر صحيفة La patrie الفرنسية، وقام بتشغيلها وأحضر إلى إيران حروف رصاص لاتينية.

وكان لدى ولى العهد محمد على ميرزا مطبعة صغيرة تعمل تحت إرادته، وطُبع فيها ترجمة كتاب نهج البلاغة للفارسية وشرح له بقلم مولى محمد صالح بن محمد باقر الروغنى القزوينى (١٠٥٢-١١٠٦هـ.ق) التى نُسبت على سبيل الخطأ إلى الملا محمد صالح البرغانى القزوينى (المتوفى فى حدود عام ١٢٧٠هـ.ق) فى تبريز. (الغدير، ج٤، طبعة بيروت، ص ١٩٠؛ ريحانة الأدب، ج٢، ص ١٠١). وتمت تلك الطبعة تحت إشراف ميرزا على خان أديب خلوت آشتيانى (السرمدى) عام ١٣٢١هـ.ق. وهذه المطبعة هى نفسها التى اشتراها الحاج ميرزا آقا بلورى أثناء توجه محمد على ميرزا إلى طهران، وطُبعت فيها صحيفة "آذربايجان" وأغلب مؤلفات المناضلين فى سبيل الحرية.

=ويقول الدكتور بركين (Dr.J.Perkin) وهو من أوائل المبشرين الأمريكيين فى أرومية – فى كتابه المسمى "ثماني سنوات فى إيران" عاد من أمريكا السيد بريت (Breath) المتخصص فى الطباعة فى الثانى عشر من رمضان ١٢٥٦ هـ.ق، وأحضر معه مطبعتنا التى كانت صغيرة ويمكن نقلها. وبدأت المطبعة عملها فى السادس والعشرين من رمضان، وطبعنابعض الأدعية باللغة السريانية وكان أهالى المدينة المسلمون مسرورين أيضا من إحضار المطبعة. وتقدم إلينا كبير الفلكيين فى أرومية وطلب منا أن نطبع تقويمه عن عام ١٢٥٧هـ.ق. وفى الخامس من شوال بدأنا فى طباعة الزبور باللغة السريانية القديمة". ويبدو أن المطابع أنشئت فى سائر المدن الإيرانية بعد أرومية على الترتيب التالى: بوشهر، مشهد، انزلى، رشت، اردبيل، همدان، خوى، يزد، قزوين، كرمانشاه، كرمان، جروس وكاشان (رسالة محمد على تربيت ترجمة براون الإنجليزية).

(١) Baron Louis de Norman

الفصل الثانى – الصحيفة والصحافة

إن كلمة "روزنامه" فى اللغة الفارسية ذات أصل قديم، وتشاهد هذه الكلمة أو المعرب منها على نحو "روزنامجه" فى الكتب التى ترجع للقرون الأولى من الإسلام(١) ومن ذلك قيل إن الصاحب بن عباد الكاتب الشهير ووزير آل بويه (المتوفى عام ٣٨٥هـ.ق) كان عنده "روزنامجه" وكان يدون فيها الوقائع اليومية، وبناء على هذا كانت تستخدم كلمة "روزنامه" قديما بمعنى سجل المذكرات والأحداث اليومية(٢).

وكان هذا المصطلح يستخدم فى القرون الأخيرة أيضا بنفس المعنى الأول تقريبا، وكانت التقارير التى يقدمها محررو الوقائع فى كل ركن من الدولة للحكومة تسمى "روزنامة"(٣).

أما الصحيفة بمعناها المتداول والرائج حاليا كانت تسمى فىالبداية "كاغذ أخبار" أى "صحيفة الأخبار" ولعلها مأخوذة عن الإنجليزية، وترجمة حرفية لـــ (Newspaper) وقامت الحكومة بإصدار الصحف الأولى، وكانت عبارة عن أوراق صغيرة تنشر الأخبار والأحداث المختلفة المتعلقة بالبلاط والحكومة، وكانت توزع هذه الأوراق فى نطاق المقربين للبلاط، وكان لمحررى تلك الأوراق مناصب حكومية ورسمية.

(١) صحف العاصمة

أول صحيفة فارسية: إن أقدم وثيقة لدينا متعلقة بأول الصحف الفارسية عبارة عن نشرة إخبارية من قبل الحكومة "حُررت بغرض إطلاع سكان الممالك

---

(١) الثعالبى؛ يتيمة الدهر، طبعة دمشق، ص ١٠، ١١.
ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج ٥، ص ٤٤٠.

(٢)Journal, Mémories

(٣) على سبيل المثال نقرأ فى صحيفة وقايع اتفاقيه: "ووفقا لما كتب فى صحيفة أصـــفهان فـــإن شئون دار الأسلحة..." أو "وفقا لما كتب فى صحيفة خراسان فإن الأمير أفضل خان...".

الإيرانية المحروسة" وتبدأ بتلك العبارة: "لا يخفى على الرأى الراجح لسكان الممالك المحروسة أن الهمة الملكية لولى الدولة العلية مكرسة لتنوير سكان الممالك المحروسة، وبالنظر إلى أن الاطلاع على الشئون العالمية أعظم وسيلة للاستنارة، لهذا ستحرر صحيفة الأخبار التى تضم أخبار الشرق والغرب فى دار الطباعة بناءً على قرار ملك الملوك وسوف ترسل إلى أطراف البلاد وأكنافها[١]..."

وقد ذكر تاريخ هذه النشرة الإخبارية بـــ "العشر الأواخر من رمضان المبارك عام ١٢٥٢هـ"، وفى الواقع تعد هذه النشرة عددا خاصا أو العدد الأول للصحيفة التى صدرت بعد ذلك التاريخ بثلاثة شهور تقريبا. وللأسف فقدت أعداد الصحيفة نفسها فى الغالب، وقد علمنا بإصدارها بأساليب غير مباشرة.

فكتبت مجلة الجمعية الآسيوية اللندنية فى عددها الخامس المؤرخ بالثانى من فبراير ١٨٣٩م الموافق ١٨ ذى القعدة ١٢٥٤ (بعد أربع سنوات من تنصيب محمد شاه) تحت عنوان "نموذج لصحيفة فارسية" عن نشرة إخبارية "تصدر لعدة سنوات تحت رئاسة ميرزا صالح" ونقلت عن العدد المؤرخ بمحرم ١٢٥٣ هـ.ق العبارات التالية[٢]: "دار الخلافة طهران: عاد صاحب السمو المقرب إلى الخاقان "خداداد خان" من رحلته التى أوفد خلالها إلى إسطنبول. وأحضر رسالة لصاحب الجلالة ملك الملوك من طرف صاحب الجلالة السلطان محمود. ونظرا لأن وفادة المذكور إلى إسطنبول حظيت باستحسان زينة عالم السلطنة، فبعد أن بلغ الرسالة وعرض تفاصيل مهمته، أعرب صاحب الخاطر المبارك عن رضائه عنه، وارتقت مكانة صاحب السمو المذكور إلى أعلى الدرجات، وأُنْعِم عليه بالوزارة... [٣]"

(١) أرسل الحاج محمد نخجوانى – وهو من تجار آذربيجان العلماء والمستنيرين – هذه الوثيقة لمجلة يادگار، وقد نشرت بنصها المطول فى العدد السابع من العام الاول من المجلة المذكورة.

(٢) Journal of Royal Society, vol. 5th 2nd Feberm 1839, pp. 355-372.

(٣) صحيفة كاوه،العام الثانى (الإصدار الحديث)، العدد الثالث.

كما كتب الفرنسى آدمون دوتامبل فى كتابه المسمى "القاجاريون، حياة ناصر الدين شاه": "صدرت لأول مرة فى طهران صحيفة حكومية فى عهد محمد شاه عام ١٨٣٧م وكانت صحيفة شهرية، وصدر العدد الأول منها فى شهر مايو" وكانت تطبع هذه الصحيفة طباعة حجر فى قطع كبير وورق يسمى خان باليغ ولكن طباعتها لم تكن فاخرة إلى حد كبير. ولم يكن للصحيفة المذكورة اسم محدد، وكان يُطبع فى نهاية الصفحة الأولى منها شعار الحكومة الإيرانية. وهذه الصحيفة نفسها هى التى تحولت إلى صحيفة وقايع اتفاقية أو صحيفة طهران الرسمية بعد إجراء بعض التعديلات الجوهرية عليها.(١)"

وهذا العدد هو الذى أشارت إليه المجلة الآسيوية اللندنية ونقلت عنه بعض الموضوعات، وعلى هذا تجدر الإشارة إلى أن أول صحيفة صدرت فى إيران بعد عامين ونصف من وفاة فتحعلى شاه وتنصيب محمد شاه أى فى يوم الاثنين من محرم عام ١٢٥٤هـ.ق (الموافق الفاتح من شهر مايو ١٨٣٧م)(٢).

وكان ميرزا صالح الشيرازى كما ذكرنا يصدر هذه الصحيفة فى ورقتين من قطع كبير مطبوعتين على وجه واحد طباعة حجر، وكانت تطبع أخبار مدينة طهران والأقاليم وتركيا والعرب بعد ذكر عبارة "طبعت فى دار الخلافة طهران". وقد اطلع على مشيرى على عددين آخرين من هذه الصحيفة محفوظين فى مكتبة المتحف

---

(١) Les Kadjars; vie de naser ed-din Shah, Par Edmond Dutemple, Paris, 1873.

(٢) كتب تقى زاده فى مقال "روزنامــۀ نــگــارى در ايران در قرن سيزدهم" الذى نــشره فــى صحيفة كاوه مستنبطا من العبارة التى وردت فى المجلة الآسيوية والتى تقول "تولى ميــرزا صالح إدارة هذه الصحيفة لعدة سنوات"، إن هذه الصحيفة الفارسية قد أســست قبيــل عــام ١٢٥٣ هـ. ق بعدة سنوات، وعلى هذا تكون قد أخذت فى الظهور فى أواخر عهد فتحعلــى شاه.ولكن الواضح أن المقصود بعبارة "عدة سنوات" عدة سنوات قبيل كتابة المقال المنــشور فى المجلة الآسيوية أى قبيل ١٨٣٩م وليس عدة سنوات قبيــل ١٢٥٣ هـ. ق (لمزيــد مــن المعلومات برجاء الرجوع إلى مقال تقى زاده فى صحيفة "كاوه" العدد الثالث من العام الأول، الإصدار الحديث، والعدد السادس من العام الثانى الإصدار الحديث، وكتــاب "أميــر كبيــر وإيران" لفريدون آدميت، الجزء الثانى، ومجلة "يادگــار"، العددين ٣، ٧ العام الأول.

البريطانى تحت رقم O.P.3(13)، وذكر وصفهما خلال المقال الذى نشره فى مجلة "سخن" جاء فيه: "كانت هذه الصحيفة تُطبع طبعة حجر فى ورقتين من حجم ٤٠ سم طولا و ٢٤ سم عرضا دون اسم أو عنوان وكانت رؤوس الموضوعات تُكتب بخط النسخ والمتن بخط النستعليق، وخصصت الصفحة الأولى لـ "أخبار الممالك الشرقية" والصحفة الثانية لـ "أخبار الممالك الغربية". ويتوسط أعلى الصفحة الأولى شعار الأسد والشمس فى حجم ٥× ٥ سم وكُتب تحته على مسافة ٢ سم إلى اليمين بخط النسخ "أخبار شهر ربيع الثانى سنة ١٢٥٣" وكُتب إلى اليسار بخط النسخ أيضا "طُبعت فى دار الخلافة طهران". وجاء العدد الثانى على نفس النسق أيضا وهو مخصص لأخبار شهر جمادى الأول من عام ١٢٥٣.

وعلى هذا النحو يتضح أن هذه الصحيفة كانت تصدر مرة واحدة فى الشهر، ويتبين من مفاد المتن أن هذه الصحيفة قد صدرت أيضا فى شهر صفر من نفس العام. وقد أُرسل هذان العددان من الصحيفة إلى إنجلترا بواسطة رجل يسمى تشارلز سوندت، ويبدو أن السبب الوحيد لوجود هذين العددين فى مكتبة المتحف البريطانى هو الخبر الذى ورد بعدد منهما بخصوص تتويج الملكة فيكتوريا. ومن المحتمل أن يكون المُرسِل أحد الموفدين السياسيين للحكومة البريطانية فى بلاط إيران، وأن يكون قد أرسل هذين العددين فى نفس التاريخ لحكومته. (١)

"روزنامة وقايع اتفاقية":

توقفت الصحيفة المذكورة التى لم تحمل اسما بعد فترة، وليس لدينا معلومات بعد ذلك عن الصحف، إلى أن أُسست صحيفة تسمى "روزنامهٔ وقايع اتفاقية" فى طهران فى العام الثالث من عصر ناصر الدين شاه بأمر من ميرزا تقى خان أمير كبير وتحت إشرافه. وصدر العدد الأول منها يوم الجمعة الخامس من ربيع الثانى عام ١٢٦٧ هـ.ق، وكانت صحيفة أسبوعية تُطبع طباعة حجر فى أربع أو ثمانى

---

(١) على مشيرى: اولين روزنامـهٔ ايرانى، مجلـهٔ سخن، الإصدار ١٤، العدد ٧، ص ٦٠٩.

صفحات وكانت تنشر بها مقالات علمية مفيدة فضلا عن أخبار إيران والدول الأجنبية والإعلانات وأسعار السلع "فعلى سبيل المثال دارت موضوعات الصحيفة فى العام الأول حول: شرح برلمانات الدول الأوروبية، أوضاع أوروبا السياسية، أحوال الزعيم الإيطالى مازينى(١) ومبادئ الثوار ودعاة الحرية الإيطاليين وصراعهم مع النمسا، مشروع قناة السويس ومراحله عبر التاريخ، أوضاع الهند الاجتماعية، مد السكك الحديدية، أبحاث فى الفلك ورصد الهالة المحيطة بكوكب زحل، الأسباب الجغرافية للزلازل، اكتشافات قطبية، تاريخ الحضارة الأمريكية وأخبار أخرى متفرقة.

وكان مديرها الحاج ميرزا جبار ناظم المهام المعروف بـ "تذكره چى" مؤسس مصنع الزجاج ابن الحاج صفر على خوئى(٢) ووالد ميرزا جواد خان سعد الدولة، الذى عمل لفترة أيضا قنصلا لإيران فى بغداد، وتولى شئون الترجمة والإشراف على الصحيفة البريطانى برجيس صاحب(٣) وتحريرها ميرزا عبد الله، صدر العدد الأول من هذه الصحيفة باسم "روزنامچۀ أخبار دار الخلافة طهران" ورُسم فى الصفحة الأولى شعار الأسد والشمس وكتبت عبارة "يا أسد الله الغالب"

(١)Giuseppe Mazzini: (١٨٠٥- ١٨٧٢م) وطنى إيطالى شهير ومؤسس جمعية (إيطاليا الفتاة) التى أعلنت فى روما عام ١٨٤٨م الحكومة الجمهورية.

(٢)ابن الحاج صفر على وكان من أثرياء آذربيجان ومن الأبنية التى شيدها خان الحاج صفر على فى تبريز.

(٣)Eduard Burgess: استقدم هذا الرجل لإيران ولى العهد عباس ميرزا وأخذ يدير لفترة من الوقت المطبعة التى كان عباس ميرزا قد أحضرها إلى تبريز. ثم ذهب إلى طهران بعد موت عباس ميرزا وفتح على شاه وفتح هناك محلا لبيع السلع الأجنبية وظل يعمل فى التجارة طوال عهد محمد شاه. وفى بداية عهد ناصر الدين شاه عُين مترجما بوزارة الخارجية من قبل ميرزا تقى خان أمير كبير الذى كان قد تعرف عليه غالبا فى تبريز، ومنحه الأمير لقب "مترجم الديوان". وقبيل تأسيس "روزنامۀ وقايع اتفاقية" كان يترجم للشاه وأعضاء الحكومة مقتطفات مفيدة من بعض الصحف الأجنبية وخاصة الصحف الإنجليزية إلى أن أنشئت "روزنامۀ وقايع اتفاقية" فانضم برجيس لزمرة العاملين بها، وظل يعمل بها بعد عزل أمير كبير وقتله إلى أن توفى فى تبريز ما بين عامى ١٢٧٠- ١٢٧٧ هـ.ق، لم يكن برجيس يجيد الفارسية وكانت ترجمته للأخبار الأجنبية حرفية وأحيانا بلا معنى تماما.

وحولهما رسمت شجرتان، ولكن الصحيفة عُرفت منذ العدد الثانى بـ " روزنامـة وقايع اتفاقية".

وكانت تُنشر فى "روزنامـة وقايع اتفاقية" أخبـار دار الخلافـة أولا مثـل خروج الشاه للصيد وزيارته للمؤسسات ورجال البلاط ومنح الألقـاب والمناصـب وإصدار الفرمانات والأحداث المتعلقة بطهران يلى ذلك الأحداث المتعلقـة بالمـدن الأخرى وملخص عن أخبار الدول الأجنبية، وكانت تنشر فى الـصفحة الأخيـرة الإعلانات الحكومية فى عمود أو اثنين.

"روزنامة دولت علية إيران":

ظلت "روزنامـة وقايع اتفاقية" بنفس الاسم لمدة عشر سنوات، وفـى عـام ١٢٧٧ هـ. ق عندما تولى الأمير عليقلى ميرزا اعتـضاد الـسلطنة وزارة العلـوم والمطبوعات عين ميرزا أبى الحسن خان صنيع الدولة[1] مديرا للمطبعة الحكومية والصحيفة، وتغير اسمها إلى "روزنامـة دولت عليـة إيـران" منـذ العـدد ٤٧٢ (الخامس من صفر ١٢٧٧ هـ. ق) وزودت بالصور، وتعد هـذه الـصحيفة أولـى الصحف المصورة التى تصدر فى إيران.

وظلت الصحيفة المذكورة تصدر حتى العدد ٦٦٨ (السابع من شوال ١٢٨٧ هـ. ق) بشكل غير منتظم ثم توقفت بعد ذلك. وبعد صدور "روزنامـة دولت عليـة إيران" صدرت صحيفة أخرى فى طهران باسم "روزنامـة علميـة دولت عليـة

---

(١) ولد ميرزا أبو الحسن غفارى نقاشباشى الكاشانى بن ميرزا محمد وعم كمال الملك عام ١٢٢٩ هـ. ق، عُين جده ميرزا أبو الحسن مستوفيا للضرائب فى عهد نادر شاه وكريم خان الزندى، كما كان يعمل مصورا. وسافر صنيع الدولة إلى إيطاليا بتشجيع من حسنعلى خان نظام الملك مشير الممالك بعد تعلمه فن التصوير فى إيران وذلك فى أواسط عهد محمد شاه فى حدود عام ١٢٥٦ هـ. ق وظل يعمل بالتصوير فى متحفى فلورانس وروما لعدة سنوات، وعاد إلى إيران فى أواخر عهد محمد شاه. وفى بداية عام ١٢٧٧ هـ. ق أُوكلت إليه إدارة "روزنامـة وقايع اتفاقية" المصورة. وفى عام ١٢٧٨ هـ. ق لُقب بـ "صنيع الدولة" وأسس أول مدرسة للتصوير. يبدو أنه توفى عام ١٢٨٣ هـ. ق.

إيران" أعقبها صحيفة "روزنامـــهٔ ملت سنيه إيران". وكانـــت هاتـــان الـــصحيفتان تصدران شهريا فى طبعة حجر عن دار الفنون وتحت إشراف الأميـــر اعتـــضاد السلطنة.

روزنامة علمية دولت علية إيران:

أسست "روزنامـــهٔ علميـــهٔ دولت عليـــهٔ إيران" أو "روزنامـــــهٔ علميـــــهٔ" اختصارا عام ١٢٨٠ هـ. ق بثلاث لغات الفارسية والعربية والفرنسية، وصدر منها ٥٣ عددا خلال سبع سنوات منذ يوم الإثنين غرة شعبان ١٢٨٠ هـ. ق حتـــى يـــوم السبت غرة شوال ١٢٨٧ هـ. ق.

ويوجد فى صدر الصحيفة صورة واجهة بناية شمس العمارة الواقعـــة فـــى طهران وأعلاها ساعة كبيرة وعلى جانبيها صورتان لشعار الشمس والأسد، ورسم أسفل البناية ثلاثة حراس ورابع عند بوابة البناية، كما نُقش حوض من المياه مقابل البناية ومدفعان ينعكسان على مياه الحوض.

وكانت الصفحات الأولى من الصحيفة بالفارسية تليها صفحات تضم ترجمة لنفس الموضوعات باللغة العربية ثم ترجمة بالفرنسية.

وكان ميرزا محمد حسين فروغى يعد موضوعات الصحيفة والتـــى غلـــب عليها الموضوعات العلمية والاكتشافات الأوروبية الحديثة. توقفت هذه الـــصحيفة لمدة عام بعد العدد السابع عشر (غرة ذى الحجـــة ١٢٨١ هـ.ق)، وصـــدر العـــدد الثامن عشر فى غرة محرم ١٢٨٣ هـ.ق ثم توقف ثانية بعد العدد الثانى والأربعين (غرة جمادى الآخرة ١٢٨٥ هـ.ق) وصدر العدد الثالث والأربعون فى غرة محـــرم ١٢٨٦ هـ.ق، ويعد العدد الثالث والخمسون آخر أعداد الصحيفة، ثم أُغلقـــت هـــذه الصحيفة وكذلك "روزنامـــهٔ ملتى" وكلف محمد حسن خان اعتماد السلطنة بـــإدارة الصحف.

"روزنامة ملت سنية إيران":

فى عام ١٢٨٣ هـ.ق أسست "روزنامــة ملت سنيــة إيران" أو "روزنامــة ملتى" التى سُميت بهذا الاسم للتمييز بينها وبين الصحيفة الحكومية. ظهــر العــدد الأول منها فى الخامس عشر من محرم من ذلك العام ثم توقفت. وبعــد شــهرين عادت للظهور، وصدر العدد الأول (وهو فى الواقع العدد الثانى) يوم الجمعــة ١٤ ربيع الأول من ذلك العام، وسميت الصحيفة بـــ "روزنامــة ملتــى" منــذ العــدد الثالث. وقد صدر من هذه الصحيفة فى المجمل ٣٤ عددا، والعــدد الأخيــر منهــا مؤرخ بيوم الجمعة ٢٠ جمادى الآخر ١٢٨٧ هـ.ق.

ويقع أعلى الصفحتين الأولى والثانية صورة لمسجد الــشاه الكــائن بطهــران كشعار لكون الصحيفة صحيفة قومية. وعلى الرغم من أن الشاه كان قد أصدر قرارا بإطلاق حرية الكتابة فى "روزنامــة ملتى"؛ ليستفيد منها الخاصة والعامــة(١)، فلــم يذكر اسم من أسماء أصحاب المقالات، ويبدو أن المقالات الرئيسية قد حررت بقلــم الأمير اعتضاد السلطنة نفسه، أو حكيم السامانى(٢) محرر الصحيفة، وتدور أغلبهــا حول سيرة الشعراء القدامى والجدد وأعمالهم.

وهذه الصحيفة هى الصحيفة نفسها التى ألف عنها ميرزا فتحعلــى آخونــد زاده رسالة نقدية لاذعة بخصوص عددها الأول والذى تناول سيرة شمس الشعراء سروش الأصفهانى وأشعاره.

وأرسلت رسالة آخوند زاده النقدية المسماة "قريتيكا"(٣) (أى النقــد) والبالغــة ثمانية وأربعين صفحة والمؤرخة بالثامن عشر مــن رمــضان ١٢٨٣ هـ. ق إلــى محرر الصحيفة حكيم السامانى وجاء فى استهلالها "موجهةٌ إلى محرر "روزنامــة ملت سنيــة إيران، إعداد الكولونيل ميرزا فتحعلى آخوندزاده فى عام ١٢٨٣" (٤).

---

(١) وردت العبارة أسفل صدر العدد الأول من الصحيفة.

(٢) محمد حسن بن قا آنى الشيرازى المتوفى عام ١٢٨٥ هـ.ق.

(٣) Critique.

(٤) توجد فى مكتبة كلية المعقول والمنقول تحت رقم ٢٧٧٦ نسخة من هذه الرسالة بالأبجدية التى ابتكرها آخوندزاده والمقدمة لوزارة الثقافة وأبحاث مفصلة حول الأبجدية العربية=

ويذكر الكاتب بعد ذلك حول شكل المسجد الذى جُعل شعارا للصحيفة:

"يبدو لى أن شكل المسجد الذى رُسم فى صحيفتك كشعار للأمة الإيرانية غير مناسب، فلو أن مرادك من لفظ "الأمة" المعنى المتعارف عليه أى لو أنك تقصد الشعب الإيرانى فالمسجد ليس حكرا على الشعب الإيرانى، فجميع الفرق الإسلامية لديهم مساجد، وشعار الأمة الإيرانية قبل الإسلام هو آثار ملوك الفرس القدماء مثل تخت جمشيد وقلعة اصطخر وأمثال ذلك، ومن أشهر شعاراتهم بعد الإسلام آثار ملوك الصفوية الذين نشروا المذهب الاثنى عشرى فى إيران وجمعوا الطوائف الإيرانية المختلفة فى أمة واحدة وحققوا لإيران الاستقلال فى السلطة. إذن يجب عليك أن تجد شعارا للأمة الإيرانية يشير من ناحية إلى ملوك الفرس القدماء ومن ناحية أخرى إلى ملوك الصفوية مثل قلنسوة القزلباشية المصنوعة من المخمل الأحمر والمكونة من اثنتى عشرة طية".

ومن مآخذ آخوند زاده الأخرى على موضوعات الصحيفة تخصيص أكثر من صفحتين منها لسرد نسب وسيرة شاعر يتخلص بسروش ولقب بعد ذلك بشمس الشعراء، فهذا لا يفيد الأمة الإيرانية.

كما أعرب الكاتب عن رأيه فى الشعر والنثر المنشور بالصحيفة. وناشد محرر الصحيفة فى نهاية المقال أن ينشر هذا النقد فى عدة أعداد من الصحيفة لتقديم العبرة للآخرين وكى ينتشر داخل المملكة، ولكن المسئولين عن الصحيفة لم يلتفتوا لطلبه، خاصة وأن النسخة التى أرسلت لاعتضاد السلطنة كانت مكتوبة بالأبجدية التى ابتكرها آخوند زاده، وكان المثقفون الإيرانيون فى ذلك الوقت يعتبرون تلك المحاولات فاشلة. [1]

=وصورة من القرار السلطانى العثمانى الخاص بتعديل الأبجدية والتى جمعها المؤلف فى أربع مجلدات.

(١) بل إن مرتضى قليخان بن نظام الدولة وحفيد صدر الأصفهانى ردد فى رسالة (التنظيم) على انتقادات آخوندزاده وتوجد نسخة منها أيضا فى مكتبة كلية المعقول والمنقول تحت رقم ٢٧٨٠.

وطلب المؤلف من أحد الخطاطين أن يكتب نسخةً أيضا من تلك الرسالة بالأبجدية الفارسية المتداولة وأهداها لنائب الوزير ميرزا عبد الوهاب. (١)

"إن الانتقادات التى طرحها آخوند زاده خلال هذه الرسالة على نهج "روزنامة ملت سنية إيران" وأسلوب تناول الموضوعات فيها ومضامين أشعار سروش ربما تكون جميعها أو أغلبها صائبة. ولكن الشيء غير الصائب مطلقا. الانتقادات التى وجهها إلى ترابط أشعار سروش وأوزانها. ويبدو جليا من خلال نفس الملاحظات والأشعار الرديئة التى كان ينظمها آخوند زاده نفسه بالفارسية أن ذلك الرجل العالم والغيور والوطنى لم يكن يفهم الشعر برغم كل ما تحلى به من فنون." (٢)

"روزنامة دولت إيران":

فى بداية عام ١٢٨٨ هـ.ق عندما توفى عليقلى ميرزا اعتضاد السلطنة تولى إدارة الصحف محمد حسن خان صنيع الدولة الذى لقب فيما بعد باعتماد السلطنة، وفى يوم السبت الحادى عشر من محرم من ذلك العام صدرت أولى أعداد صحيفة "روزنامة دولت إيران"، وتولى تحريرها فى البداية ميرزا على النائينى ثم ميرزا محمد حسين أديب فروغى (ذكاء الملك) فى حدود عام ١٣٠٠ هـ.ق ثم ميرزا على محمد خان مجير الدولة.

وقد حلت هذه الصحيفة محل "روزنامة دولتى وروز نامه ملتى وروزنامة علمى" التى كانت إدارتهم تابعة فى السابق لوزارة العلوم وأكاديمية دار الفنون وذلك وفقا للبيان المنشور فى صدر العدد الأول منها. وكانت فى الواقع الناطق الرسمى باسم الحكومة وتخصصت فى نشر أخبار البلاط وفرامين الشاه وقرارات العزل والتنصيب ومنح الألقاب وخاصة أعمال الشاه مثل التشريفات وعقد المجالس والخروج للصيد والسياحة وأداء واجب العزاء فى شهر محرم، وكذلك مدح الشاه ورجال البلاط.

---

(١) آصف الدولة ونصير الدولة الشيرازى الذى عمل نائبا لوزير الخارجية عام ١٢٧٤ هـ.ق.
(٢) عباس إقبال: مجلة يادگار، العام الثانى، العدد الأول (ضمن مقالة رضا صفى نيا).

ظل محمد حسن خان صنيع الدولة (الملقب فيما بعد باعتماد السلطنة) يتولى إدارة "روزنامـــة إيران" حتى العدد ٨٧٧، وبعد وفاته فـــي (شـــوال ١٣١٣ هـ.ق) خلفه على إدارتها محمد باقر خان أديب الممالك شقيق محمد حسن خان،[١] ومنـــذ محرم عام ١٣٢١ هـ.ق صدرت باسم "روزنامـــة إيران سلطانى" تحت إدارة ميرزا محمد نديم السلطان الذى كان يتولى فى ذلك التاريخ وزارة المطبوعات.

استمر إصدار صحيفة إيران الرسمية سبعة وخمسين عاما منذ عـــام ١٢٦٧ هـ.ق- والذى أسست خلاله أولى الصحف الحكومية فى إيـــران-[٢] وحتـــى عـــام ١٣٢٤ هـ.ق.

صحيفتان باللغة الفرنسية:

فى عام ١٢٩٢ هـ.ق عزم ميرزا حسين خان ســـپـــهـــسالار علـــى تأســـيس صحيفة باللغة الفرنسية بمساعدة المهندس البلجيكى البارون دو نرمان[٣] مـــن أجـــل تعريف الدول الأجنبية بإيران، وفى السبت التاسع من محرم ١٢٩٣ هـ.ق (الخـــامس من فبراير ١٨٧٦م) طُبع العدد الأول من هذه الصحيفة باللغتين الفارسية والفرنـــسية باسم "الوطن"[٤]، ولكن نظرا إلى أن المقالة الافتتاحية منهـــا تحـــدثت عـــن الحريـــة والمساواة، فقد أمر بإغلاقها ناصر الدين شاه بعد أن قُرئـــت عليـــه واطلـــع علـــى مضمونها، نظرا لأنه كان حاكما مستبدا ويعتبر نفسه ظل الله فـــى الأرض ومالكـــا لأرواح العباد، ولم يكن يقبل أن ينتقد أحد شئون الدولة بأية حال من الأحوال.

وليس بين أيدينا هذه الصحيفة التى لم يصدر منها سوى عدد واحد، ولكـــن أدرج مقالتها الافتتاحية عدد من السائحين الأجانب ومـــنهم الـــسيدة كارلاســـرينا[٥]

---

(١) صحيفة "اطلاع" العدد ٣٩١، ٢٢ شوال ١٣١٣.
(٢) منتظم ناصرى: ج ٣، أحداث عام ١٢٦٧ هـ.ق.
(٣) Baron De Norman.
(٤) La Patrie.
(٥) Carls Serena: Hommes et CHoses en Perse. P. 168.

الإيطالية فى كتب رحلاتهم. وسننقل فيما يلى عن مجلة (يادگار) فى عامها الأول العدد السابع ترجمة المقالة المشار إليها من أجل توضيح هدف الصحيفة وأفكار سپهسالار الإصلاحية:

"ليعلم القراء وزملاؤنا من الكتاب أن الحكومة العلية لصاحب الجلالة الشاه قد سمحت لنا بإصدار صحيفة باللغتين الفرنسية والفارسية، وعلينا أن نعلم أن اطلاع العامة هو النهج الذى تم تحديده للعدد الأول؛ وهو الأمر الذى سيكون نصب أعيننا أيضا باستمرار.

فمملكة إيران ليس لديها صحيفة مفيدة تستطيع أن تُعَرِّف الدول الأجنبية بإيران على النحو الصحيح، وأن تدافع عن مصالحها عند الضرورة.

إن زملاءنا من الكتاب فى صحيفة إيران- وهى صحيفة رسمية باسم الحكومة- قد قدموا خدمات فى هذا الإطار حتى الآن، ولكن لما كانت الصحيفة الرسمية تصدر فقط باللغة الفارسية. فلم تنتشر انتشارا واسعا ولم يعرفها أحد خارج إيران إلا القليل.

وهدفنا سد تلك الفجوة وإطلاع الزملاء من الكتاب الأوروبيين على أهم القضايا السياسية والعامة المتعلقة بإيران. فضلا عن أننا سنكون مسرورين لتبادل وجهات النظر معهم حول تلك القضايا إذا لزم الأمر، ونظرا لأن شرر الحقيقة ينتج عن احتكاك الأفكار؛ فإننا نريد أن نحقق هذه النتيجة من ذلك الحوار ليشرق نور الحقيقة فى إيران. بناء على هذا ننتظر من الصحافة الأوروبية أن تعتبرنا جديرين باحتلال مقام فى محفل أهل الفكر والحوار وإن كان مقاما ضئيلا، نظرا لأننا لانزال مستجدين ولا ننتظر أن نحتل مقاما كبيرا. ولكننا نأمل أن نستفيد من تجربة وخبرة الزملاء الأوروبيين فى هذا المجال؛ فهم ذوو باع فى هذا الميدان، وأن نشمل إيران بخبرات هذه الاستفادة.

وبالطبع سنتحدث عن القضايا الداخلية فى حياد تام، فنحن لا نتبع أى فريق ولا نريد أن ننسب إلى فريق بعينه، فنحن أحرار من كل القيود، ولسنا مقيدين

بمنصب رسمى. فهدفنا الوحيد خدمة المملكة وكشف النقاب عن احتياجاتها الحقيقية. فدعم التقدم مسلكنا فى كل وقت، وسوف ندافع عنه بكل قوتنا، ولكننا لن ننزلق مطلقا إلى مرتبة المتملقين ولن نمجد الحكومة بلا طائل؛ فنهجنا هو الدفاع عن الحق ونقد الأعمال القبيحة.وسندعم كل ذى حق ملتزم بالقانون؛ ولكننا سننتقده إذا ما خالف الحق وخرج على القانون. وليس من شأننا الخوض فى الحياة الشخصية للناس. ولن نكون محايدين فى هذا الموضوع فقط بل سنغض أبصارنا تمامًا. فعيوننا الناقدة ترى فقط الأعمال والتصرفات التى تضر مصالح المملكة الأساسية وتسفر عن خسائر وأضرار. بناء على هذه المقدمة فنهجنا الرئيسى مناهضة كل أنواع التعدى والإفراط والتفريط، واحترام الدين والشاه. وشعارنا التقدم والعدل والمساواة وليس لدنيا هدف آخر سوى هذا.

ونظرا لأن الوطنية هى أعظم الفضائل لكل فرد من أفراد الأمة؛ فقد سمينا صحيفتنا أيضا الوطن. ويُقصَد بالوطنية فى إيران عادة تقديس مسقط الرأس بينما يشمل المعنى الشامل للوطنية محبة الشاه واحترام القوانين والنظم والولاء للحكومة. ويقول أحد الكتاب الفرنسيين "إن كل من يملك قلبا نقيا يُجِل وطنه". نسأل الله التوفيق فى أن يستقبل القراء دخولنا عالم الصحافة قبولا حسنا بفضل هذا الاسم الذى اخترناه. ونحن بدورنا سنبذل كل جهدنا كى نكون جديرين باهتمامهم وسندافع دائما عن حقوق المملكة والأمة"!

وصدرت صحيفة أخرى باللغة الفرنسية بعد "الوطن" تسمى "صوت إيران".[١]

تولى إدارتها الفرنسى الدكتور مورل،[٢] وظلت الصحيفة تصدر منذ ٢١ مارس ١٨٨٥م (رجب ١٣٠٢) حتى الخامس عشر من فبراير عام ١٨٨٨م (رجب ١٣٠٥).

---

(١) Echo de Perse

(٢) Dr. Morel

عدد من الصحف الأخرى الصادرة بالعاصمة:

صدرت صحيفة باسم "روزنامـة نظامى علميـة وأدبيـة إيران" فى عهـد صدارة ميرزا حسين خان سـپهسالار وبناء على أوامـره، وقـام علـى نـشرها العاملون بـ "مدرسة أتاما جور المقدسة" التى كانت قد أُسست حديثا. والعدد الأول منها مؤرخ بالتاسع والعشرين من ذى القعدة ١٢٩٣ هـ.ق ويبدو أنها ظلت تـصدر حتى عام ١٢٩٦ هـ.ق إلى أن حلت محلها صحيفة أخرى ذلك العام باسم "المـريخ" وكانت تدور فى الغالب حول العلوم العسكرية. وصدر من هذه الـصحيفة ثمانيـة عشر عددا، وعددها الأول مؤرخ بالخـامس مـن محـرم ١٢٩٦ هـ.ق والأخيـر بالسادس عشر من جمادى الآخر ١٢٩٧ هـ.ق.

وأنشأ محمد حسن خان صنيع الدولة (اعتماد السلطنة) صحيفة أخرى عـام ١٢٩٣ هـ.ق باسم "روزنامـة علمى" وغلب على موضـوعاتها الطـابع العلمـى. وصدر منها أربعة وستون عددا، الأول مؤرخ بالثانى والعشرين مـن ذى الحجـة ١٢٩٣ هـ.ق والأخير مؤرخ بالثالث والعشرين من جمادى الآخر ١٢٩٧ هـ.ق.

وأصدر محمد حسن خان فى عام ١٢٩٥ هـ.ق صحيفة أخرى شبه رسـمية تسمى "اطلاع" ولم يكن لها أهمية تذكر وقام وزير المطبوعات عليقلى خان مخبـر الدولة بإصدار صحيفة "دانش" أى العلم عن دار الفنون لمنافسة اعتمـاد الـسلطنة وذلك عام ١٢٩٩ هـ.ق أثناء رئاسته لدار الفنون، وتولى تحريرها أسـتاذ الكيميـاء الشهير ميرزا كاظم.

وكانت صحيفة نصف شهرية وصدر عنها فى المجلة أربعة عـشر عـددا، وعددها الأول مؤرخ بالثالث والعشرين من رجب ١٢٩٩ والأخير بالسادس عـشر من صفر ١٣٠٠ هـ..

شرف- شرافت:

صدرت فى غرة محرم عام ١٣٠٠ صحيفة شهرية مصورة فـى طهـران تحمل اسم "شرف"، أسسها محمد حسن خان اعتماد السلطنة، واستمرت الـصحيفة

حتى عام ١٣٠٩ هـ.ق، وصدر منها ٨٧ عددا فى المجمل. ثم أعاد محمد باقر خان اعتماد السلطنة إصدارها فى بداية عهد مظفر الدين شاه عام ١٣١٤ هـ.ق تحت اسم "شرافت".

وكانت صحيفة شرف وشرافت التى حلت محلها تضمان صورا بديعة للشاه والأعيان والنجباء ورجال الحكومة وشرحا لسيرهم. وكان أبو تراب خان غفارى –ابن ميرزا بزرگ وشقيق الفنان الشهير ميرزا محمد خان كمال الملك– يرسم صور صحيفة شرف، أما صحيفة شرافت فكان يرسم الصور بها مصور الملك، وتعد هذه الصور السبب وراء أهمية هاتين الصحيفتين.

تربيت:– صدرت صحيفة "تربيت" الأسبوعية عام ١٣١٤ هـ.ق فى بداية عهد مظفر الدين شاه. تولى تحريرها ميرزا محمد حسين فروغى(١) وكان من كتاب البلاط وشعرائه.

وكانت تنشر فى هذه الصحيفة مقالات وترجمات لموضوعات مفيدة وتعليقات متنوعة بقلم ميرزا محمد على خان فروغى بن ميرزا محمد حسين – مدير الصحيفة – وآخرين، ولا تخلو هذه الكتابات من القيمة الأدبية بشكل عام؛ ولكن ما يقلل من أهميتها وقيمتها الإفراط فى التملق والمديح.

وظلت تطبع صحيفة "تربيت" طباعة حجر وصدر منها ٤٣٤ عددا منذ الخميس الحادى عشر من رجب ١٣١٤ هـ.ق إلى الخميس ٢٩ محرم ١٣٢٥ هـ.ق.

---

(١) ولد ميرزا محمد حسين فروغى الأصفهانى الملقب بذكاء الملك بن آقا محمد مهدى أرباب فى ١٥ ربيع الآخر ١٢٥٥ هـ. ق فى أصفهان ودرس أولا فى طهران وأنهى دراسته فى المزارات. وعمل لفترة فى التجارة وقضى أربعة عشر عاما فى السياحة والتجوال داخل وخارج إيران إلى أن التقى فى طهران مع وزير المطبوعات محمد حسن خان اعتماد السلطنة، فاختاره لمعاونته. وحبس لفترة من الوقت بأمر ناصر الدين شاه، وفى بداية عهد مظفر الدين شاه قام بتدريس الأدب لسبع سنوات وتولى إدارة المدرسة السياسية لثلاث سنوات.

ومن مؤلفاته "تاريخ ساسانيان" و"كتاب بديع" و "عشق وعفت" و"ريحانة الأفكار" و"كلبة هندى". توفى فروغى عصر يوم الخامس عشر من رمضان ١٣٢٥ هـ.ق فى طهران.

خلاصة الحوادث:

كانت صحيفة "خلاصة الحوادث" أولى الصحف اليومية الإيرانية فى عهد مظفر الدين شاه، صدرت عام ١٣١٦ هـ.ق فى طهران فى أربع صفحات من القطع المتوسط. وكانت صحيفة رسمية حكومية تصدر خمسة أيام فى الأسبوع عن وزارة المطبوعات. وفضلا عن الأخبار المحلية كانت الصحيفة تنشر أخبارا تلغرافية عن الدول الأجنبية، بمعنى أن إدارة الصحيفة كانت تحصل من السفارة البريطانية على التلغرافات الأوروبية التى كانت تُرسل إلى الهند من قبل وكالة الأنباء البريطانية رويتر وتقوم بنشر موجز لها فى حاشية الصحيفة.

وقد صدرت "خلاصة الحوادث" منذ الاثنين ١٤ جمادى الآخرة ١٣١٦ هـ.ق -الموافق ميلاد الشاه- حتى الثلاثاء الثانى من شوال ١٣٢١ هـ.ق بلا انقطاع فى ٩٩٥ عددا.

صحيفة "حكيم الممالك":-

أُصيب ناصر الدين شاه نفسه أيضا بهوس الصحافة، وأصدر صحيفة كان يحرر جميع موضوعاتها بنفسه ولكن تولى إدارتها على ما يبدو حكيم الممالك. (١)

وتعد هذه الصحيفة فى الواقع كتاب رحلات أو مجموعة مذكرات الشاه اليومية فى رحلته الأولى إلى خراسان منذ يوم الأحد الخامس عشر من ذى الحجة ١٢٨٣ هـ.ق حتى يوم الأحد الثانى والعشرين من جمادى الأولى ١٢٨٤ هـ.ق أى اليوم الذى عاد فيه إلى "سلطنت آباد".

---

(١) تعلم ميرزا علينقى حكيم الممالك بن الحاج آقا إسماعيل جديد الإسلام علم الطب فى مدرسة دار الفنون، وفى عام ١٢٧٢ هـ.ق سافر إلى بلاط أوروبا برفقة فرح خان أمين الدولة الكاشى للعمل فى منصب النائب الثانى بالسفارة، وعمل بهذا المنصب أثناء تولى حسنعلى خان أمير نظام السفارة فى فرنسا، وأكمل أيضا دراسته الطب فى باريس.
وبعد عودته إلى إيران انضم إلى ندماء الشاه وحاشيته. عين عام ١٢٩٣ هـ.ق حاكما على بروجرد وبختيارى، ورافقه عام ١٢٩٥ هـ.ق الشاه فى رحلته إلى أوروبا، واختير عام ١٢٩٩ هـ.ق وزيرا للتعدين وعضوا لمجلس الشورى ومنذ عام ١٣٠٢ هـ.ق عين مديرا للتشريفات.

وجاء فى العبارة الأخيرة من الصفحة الأخيرة للصحيفة "مع أن النسخة الأصلية كتبت بخط يد الشاه المبارك وأن الصحيفة تخص ملك الملوك الميمون وليس لى فضل فى جمعها وتحريرها؛ إلا أننى أفخر بتكليفى لإنجاز هذه المهمة وإتمامها بجهدى المتواضع فى متمم جمادى الآخرة عام ١٢٨٦ من الهجرة النبوية، العبد علينقى حكيم الممالك". وقد طبعت هذه الصحيفة أو كتاب الرحلات هذا طباعة حجر بخط النستعليق الجميل وزودت بصور بريشة ميرزا بزرگ غفارى (والد كمال الملك) وتقع فى ٤٨٥ صفحة.

التقاويم:

أمر الشاه عام ١٢٩١ هـ.ق اعتماد السلطنة أن يعد أول تقويم بالفارسية، ووفقا لتصريحه فإنه "أعد تقويما حسنا لطيفا وقام على طباعته ونشره، يضم رجال البلاط فى الدولة العلية الإيرانية وكل الإدارات التابعة لذلك البلاط، والمناصب العليا فى سائر الدول فضلا عن فوائد عظيمة أخرى... ومقارنة السنوات الواردة فى التقويم المذكور بما يعادلها من سنوات فى بعض التقاويم الشهيرة فى العالم... وتسجيل تاريخ أشهر الأحداث العالمية... وعدد سكان كل دولة من دول العالم، وذكر ما تتميز به من محاصيل زراعية ومعادن وحيوانات وميزانيتها والقروض الحديثة والاستعدادات العسكرية البرية والبحرية".(١)

وصار من المعتاد بعد ذلك أيضا أن تطبع فى نهاية كل كتاب من تأليف اعتماد السلطنة عدد من الصفحات يطلق عليها عنوان "التقويم"، يتم من خلالها استعراض المؤسسات الحكومية والمناصب، وما استجد من عزل وتنصيب، وأسماء القادة والأمراء وغير ذلك، وفى الواقع يعد كتاب المآثر والآثار لاعتماد السلطنة خلاصة لتلك التقاويم، وقد طبع عامى ١٣٠٦، ١٣٠٧ هـ.ق.

---

(١) المآثر والآثار: الباب الثامن ص ١٥٩.

٢- صحف الأقاليم:-

"**روزنامــۀ ملتى**": تُعد صحيفة "روزنامــۀ ملتى" التى كانت تنشر فى تبريز أقدم صحيفة – على حد علمنا– تصدر بعد "وقايع اتفاقية" فى إيران ولأول مرة فى الأقاليم. وتوجد إشارات إليها فى أعداد "وقايع اتفاقيــة" عــن عــام ١٢٧٥ هـ.ق[١] ويتضح من تلك الإشارات أن هذه الصحيفة ظهرت فــى حــدود شــهرى رجــب وشعبان من ذلك العام وكانت الصحيفة المذكورة تنشر فى عدد شهرى مــن أربــع صفحات وتباع فى رباط قوافل "اميد" بحجرة الحاج عبد الله التاجر التبريزى.[٢]

صحيفة تبريز:

جاء فى كتاب "مرآت البلدان ناصرى" لمحمد حسن خان اعتمــاد الــسلطنة ضمن أحداث عام ١٢٩٦ هـ.ق "إن "روزنامــۀ تبريز" المعروفة بــ "تبريز" والتــى تضم مسائل سياسية وموضوعات مفيدة... والتى تعد قطرة مــن فــيض مكــارم صاحب السمو... ولى العهد... حاكم ولاية آذربيجان وواليها.. تم الــشروع فــى إعادة طبعها بعد توقفها لفترة من الوقت بسبب بعض المعوقات".[٣]

تولى إدارة الصحيفة وتحريرها كمال آقا، وتاريخ بدايــة إصــدارها غيــر معروف، ومن المستبعد فيما يبدو أن تكون هذه الصحيفة هى "روزنامـــۀ ملتــى" التى صدرت عام ١٢٧٥ هـ.ق وأن يكون قد أعيد إصدارها بعد مرور أكثــر مــن عشرين عاما.

الحديد: كان يحرر صحيفة الحديد الصادرة فى تبريز سيد حسين ذلك الرجل المستنير الذى لمع اسمه فيما بعد مع إصدار صحيفة "عدالت".

---

(١) تقرر فى تلك الأيام طباعة صحيفة فى تبريز يُنشر بها أخبار أذربيجان وغيرها (وقايع اتفاقية: العدد المؤرخ بالثالث عشر من رجب ١٢٧٥ هـ.ق).

(٢)العدد الحادى والأربعون المؤرخ بغرة رجب ١٢٧٨ هـ.ق (محمد على تربيت: مجلــۀ ارمغان، العام الثانى عشر العدد السابع).

(٣) مرآة البلدان، ملحقات ج ٤ ص ٣٦١.

فقد عاد إلى تبريز قادما من روسيا فى حدود عام ١٣١٤ هـ.ق ذهـب فـى صباه إلى روسيا وأقام لدى ابن عمه ميرزا جعفر خان قنصل إيران فـى (حـاجى طرخان) ثم انتقل إلى بطرسبورج وتعلم بها اللغة الروسية واطلع على الحـضارة الأوروبية وفى تلك المدينة لازم السيد جمال الدين الأفغانى لمدة عامين فتـأثر بـه بشكل كبير.

ولما عاد سيد حسين إلى تبريز التقى وسيد محمد الشبسترى الـذى اشـتهر فيما بعد بأبى الضياء، وجمعت الصداقة بينهما، وفيما بعد ترعرع فى أحـضانهما سيد حسن تقى زاده وميرزا محمد على خان وصارا النواة الأساسية لنشر الأفكـار الحديثة.

أنشأ سيد حسين خان صحيفة الحديد عام ١٣١٥ هـ.ق ونشر فى العدد الأول منها أشعارا لطيفة للشاعر التبريزى "لعلى"، وصدر من هذه الصحيفة ثلاثة أعداد فقط حيث استدعاه القنصل الروسى فى تبريز للعمل معه فتوقفت الصحيفة. وفـى عام ١٣٢٣ هـ.ق صدرت صحيفة الحديد مرة أخرى وتولى إدارتهـا سـيد محمـد الشبتسرى (الذى أصدر صحيفتى "مجاهد" و"إيران نو") وظلت هذه الصحيفة تصدر منذ الخميس الثانى من جمادى الأول عام ١٣٢٣ هـ.ق حتى إعلان الدستور ثم تغير اسمها بعد الثورة إلى "عدالت".(١)

احتياج:-

أصدر ميرزا عليقلى صفراف صحيفة احتياج فى تبريز عام ١٣١٦ هـ.ق(٢) ولكنها توقفت بعد صدور العدد السابق بأمر من حسنعلى خان أمير نظام جروسـى حاكم آذربيجان بسبب نشر مقال ساخر فيها تناول الحديث عن احتياج الإيـرانيين إلى البضائع الأجنبية حتى براد الشاى، وجُلد ناشرها، ولكن بعد فترة صدر منهـا

---

(١) يبدو أن اسم الصحيفة قد أعلن فى العدد الخامس عشر لصيفة الحديد المؤرخ بالحادى عشر من شعبان عام ١٣٢٥ هـ.ق.

(٢) ورد بالعدد الأول من تلك الصحيفة تاريخ السادس عشر من محرم من ذلك العام.

بضعة أعداد باسم "إقبال"(١) وعلى الرغم من أن ميرزا عليقى صار رئيس البوليس السرى لولى العهد محمد على ميرزا بعد إغلاق صحيفة إقبال، فإنـه نـدم علـى مزاولته هذا العمل بعد إقرار الدستور وانخرط فى العمل الوطنى إلى أن مات عام ١٣٢٦ هـ.ق.

أدب:-

فى الوقت الذى قدم فيه ميرزا محمد صادق أديب الممالك الفراهـانى إلـى تبريز وتقرب إلى أمير نظام أنشأ صحيفة "أدب".

صدرت عام ١٣١٦ هـ.ق وكانت صحيفة أسبوعية تطبع طباعة حجر بخـط النسفلين ومزينة بصور العلماء ومشاهير العالم وتضم بعض المقالات العلمية التـى كان يترجمها أو يؤلفها الطبيب ميرزا نجفقلى خان قـائم مقـامى. وأغلقـت هـذه الصحيفة لفترة بعد العدد السابع عشر، وبعد أن أُسست مدرسة لقمانية بإدارة أديـب الممالك صدرت الصحيفة مرة أخرى تحت إشرافه وعلى نفقة تلك المدرسة، ولكن بعد إصدار بضعة أعداد منها ذهب أديب الممالك إلى مشهد، وقام على نشرها فـى تلك المدينة منذ عام ١٣١٨ هـ.ق حتى ١٣٢٠ هـ.ق.

ثم عاد أديب الممالك إلى طهران وأصدر صحيفة "أدب" ثانية فـى طهـران عام ١٣٢٢ هـ.ق ثم سلم إدارتها إلى مجد الإسلام كرمانى وعاد إلى باكو ثـم قـام على نشر الملحق الفارسى لصحيفة "إرشاد" التركية.

كمال:-

كان ميرزا حسين خان طبيب زاده من أهالى آذربيجان المستنيرين، وفـى ذى القعدة من عام ١٣١٦ هـ.ق أسس مدرسة "كمال" فـى تبريـز علـى غـرار

---

(١) العدد الأول من إقبال والذى يعد العدد الثامن من احتياج يحمل تاريخ ٢٩ ربيع الأول ١٣١٦ هـ.ق.

المدارس الحديثة، وبعد ثمانية شهور أصدر صحيفة بنفس الاسم فى رجب عام ١٣١٧ هـ.ق بهدف "الارتقاء بالأمة ونشر المعارف وطرح بعض العلوم بأسلوب مبسط يخلو من الصنعة كى يطلع أهالى إيران شيئا فشيئا على المصطلحات العلمية والآداب وحقوق الإنسان".[١]

وظلت المدرسة والصحيفة قائمتين إلى أن ثار أهالى تبريز فى ربيع الثانى من عام ١٣٢١ هـ.ق ضد الموظفين البلجيك وأغلقوا الأسواق فخرج الطلاب ودمروا الحانات ودور الضيافة والمدارس الابتدائية وكان من بينها مدرسة "كمال". ولم يستطع ميرزا حسين خان البقاء فى تبريز بعد تلك الواقعة وغادرها إلى القوقاز ومصر.[٢]

كـنجينة فنون":

مجلة صدرت عام ١٣٢٠ هـ.ق[٣] فى تبريز باسم" گـنجينـــــة فنــون"، وكانت أول مجلة تصدر فى إيران، وكان محرروها من طليعة أحرار آذربيجان وهم سيد حسن تقى زاده وميرزا حسين خان عدالت، وميرزا يوسف خان اعتصام الملك وميرزا محمد على خان تربيت.

فارس:-

يجب أن نذكر صحيفة أو صحيفتين من الصحف الصادرة فى المدن الأخرى بعد ذكر صحف تبريز: صدرت صحيفة تسمى "فارس" عام ١٢٨٩ هـ.ق

---

(١) صحيفة "كمال"، العدد الأول، الأربعاء ١٠ رجب ١٣١٧هـ.ق.

(٢) أقام ميرزا حسين خان فى القوقاز وتركيا لفترة من الوقت إلى أن سافر إلى مصر برفقة سيد حسن تقى زاده وميرزا محمد على خان عام ١٣٢٣ هـ.ق وأصدر صحيفة "كمال" مرة أخرى فى القاهرة فى جمادى الأول من نفس العام، ولكن الصحيفة لم تستمر لفترة طويلة حيث سافر مديرها فى جمادى الأول ١٣٢٤ هـ.ق إلى القوقاز قبل أن تتم الصحيفة عامها الأول.

(٣) العدد الأول مؤرخ بتاريخ غرة ذى القعدة من ذلك العام وصدر فى عام واحد ٢٤ عددا.

في شيراز[١]، أسسها ميرزا تقى خان الكاشانى كبير أطباء ظل السلطان[٢] فى بداية ولاية هذا الأمير الثالثة فى فارس، وكانت تحرر حتى عددها الثالث بالفارسية والعربية مناصفة ومنذ العدد الرابع صارت تصدر بالفارسية فقط.

فرهنـــك:-

صدرت صحيفة "فرهنــك" فى منتصف عام ١٢٩٦ هـ.ق فى أصــفهان،[٣] وتولى إدارتها وتحريرها ميزا تقى خان كبير أطباء ظل السلطان وتــولى كتابتهــا الخطاط ميرزا عبد الرحيم المتخلص بـــ "افسر".

٣- الصحف الفارسية الصادرة خارج إيران:-

الرقابة على الصحف:

كانت جميع الصحف الصادرة فى عهد ناصر الدين شاه صحفًا حكومية حتى الصحف التى كانت تبدو من عنوانها صحفًا أهلية، فنحن لا نعلم شيئا عن أيٍ مــن الصحف غير الحكومية داخل إيران، وخلال عهد مظفر الدين شاه القصير وحتــى إصدار الدستور لم يكن من الممكن إصدار صحف نقدية مستقلة فى إيران.

وسنستشهد بالسطور التالية من كتاب "المآثر والآثار" لاعتماد السلطنة (الباب الثامن ص ١١٨) لتوضيح مدى التشدد المفروض على الصحف والكتب آنذاك:

"فى بداية سطوع شمس هذه الدولة صار من المقــرر ألا يُطبــع كتــاب أو صحيفة أو إعلان أو ما شابه ذلك فى كافة مطابع الممالك الإيرانية المحروســة إلا بعد عرضه على مدير تلك الإدارة وتوقيعه عليه. ومنذ أن تولى المؤلف مــسئولية

---

(١) العدد الأول مؤرخ بتاريخ ٢٥ جمادى الآخر ١٢٨٩ هـ.ق.

(٢) حصل ميرزا تقى خان الكاشانى على مناصب وألقاب وأوسمة عديدة، وكان عالما فى العلوم الطبيعية والفلك، وتميز بأسلوبه فى الكتابة بالسلاسة والوضوح. وطبع من مؤلفاته كتاب "حديقة الطبيعة" فى العلوم الطبيعية والفلك و"تربية الأطفال" فى التربية والتعليم.

(٣) صدر العدد الأول فى الثانى من جمادى الأول.

المطبوعات جعل التوقيع ختما يشتمل على عبارة (تمت مراجعته) وشعار الشمس وأسد نائم".

إن الصحف الفارسية المعدودة التى كانت تطبع فى إسطنبول ومصر وتتحدث بحرية عن أوضاع إيران لم تكن تصل القراء الإيرانيين بسهولة. ونقرأ فى نفس الكتاب. "ولما كانت بعض المطبوعات الصادرة فى بعض الممالك تشتمل على نقد لجماعة أو قدح لفريق أو هجاء لشخص أو سخرية مبتذلة فقد كانت تبدو على الدوام علامات الاستياء على جبين هذا الملك المبارك قدسى الكنية[١] بسبب نشرها، إلى أن وصلت إلى طهران رسالة فى هجاء أسرة الشيخ هاشم الشيرازى طبعت فى بومباى، ولما عرضت على مجلسه أخذت شعلة الغضب تتدلع على اللسان الملكى بعد مطالعة تلك الأشعار الملفقة فى حق أولئك العلماء الأجلاء، نعوذ بالله من غضب الله، وأمر على الفور بمصادرة وإعدام كافة النسخ. وكان العبد المحرر[٢] موجودًا بالبلاط، فقال إن الدول الأوروبية أنشأت "دائرة للتفتيش" لمواجهة هذا العيب واسمها "الرقابة"، ولما ذكرت لجلالته مهامها استحسنها كثيرا، وأمر بالأخذ بها فى الأراضى الإيرانية تحت إشراف هذا العبد، ومنذ ذلك الحين تمت معالجة تلك المشكلة وبارت تلك التجارة".

ونتيجة تنفيذ ضوابط الرقابة والتشدد فيها كانت تهرب لإيران الصحف الصادرة بالخارج على أيدى السائحين والمسافرين والحجيج أو من خلال الشحنات التجارية، وكان يتم تداولها سرا وفى حذر.

وكان أشهرها صحيفة "إرشاد" الصادرة فى باكو[٣] و "اختر" الصادرة فى إسطنبول، و"قانون" الصادرة فى لندن و"حكمت" الصادرة فى مصر.

---

(١)المراد ناصر الدين شاه.
(٢) أى اعتماد السلطنة.
(٣) كانت تصدر صحيفة "إرشاد" اليومية بالتركية وتولى إدارتها أحمد بيك آقايف القرا باغى، ثم أُضيف لها عام ١٣٢٣ هـ.ق ملحق صغير باللغة الفارسية وكان يحرره أديب الممالك الفراهانى الذى كان مقيما ذلك العام فى باكو.

اختر:-

هى أول صحيفة إيرانية تطبع وتنشر بالخارج على النسق الحديث. أُسست هذه الصحيفة عام ١٢٩٢ هـ.ق[١] بتشجيع من ميرزا نجفقلى خان التبريـزى أحـد موظفى الحكومة الإيرانية فى العاصمة التركية، وتولى إدارتها آقا محمد طـاهر. وكان محرروها من الأشخاص الغيورين، وأبدى العديد مـن أبـرز المـستنيرين والأحرار آنذاك تعاونا وثيقا مع هذه الصحيفة مثل ميرزا آقـا خـان الكرمـانى والشيخ أحمد روحى وميرزا مهديخان التبريزى (الذى أصدر حكمت فى القـاهرة لاحقا). وميرزا على محمد خان الكاشانى (الذى أصدر ثريا وپرورش).

وحققت صحيفة اختر شهرةً ومكانةً فى إيـران والقوقـاز وتركيـا والهنـد والعراق بحيث إن العامة فى بعض مناطق القوقاز الذين كـانوا يعتبـرون قـراءة الصحف كفرا وبدعةً كانوا يطلقون على من يقرأها "اخترى المذهب".[٢]

وكتبت هذه الصحيفة مقالات متميزة عن أحداث مهمة من بينها قصة مـنح امتياز التبغ.[٣]

قانون:-

أسس البرنس ملكم خان ناظم الدولة عام ١٣٠٧ هـ.ق بعـد صـدور اختـر صحيفة "قانون" فى لندن بمساندة لفيف من الأحرار. [٤]

وكان ملكم خان نفسه محررها، ولفتت مقالاتهـا والتـى تميـزت ببـساطة الأسلوب ورشاقته -أنظار الناس واهتمامهم، وأثرت موضوعاتها التى كانـت تـنم

---

(١) صدر العدد الأول منها يوم الخميس السادس عشر فى الحجة عام ١٢٩٢ هـ.ق.

(٢) ادوارد براون: تاريخ مطبوعات وأدبيات إيران در دورهٔ مشروطيت، ترجمة محمد عباسى، ج٢، ص ١٤٦.

(٣) أحمد كسروى: تاريخ مشروطـهٔ إيران، الجزء الأول، الطبعة الرابعة، ص ١٩.

(٤) لا تحمل أعداد صحيفة قانون تاريخا، ولكن يستنتج أن عددها الأول صدر فى ٢٠ فبراير ١٨٩٠م (٢٩ جمادى الأول ١٣٠٧ هـ.ق) وصدر منها ٤٢ عددا فى المجمل.

عن بصيرة محررها وثقافته على الثورة الفكرية والسياسية والنهضة الاجتماعية فى إيران بشكل كبير.

حكمت:-

صدرت صحيفة "حكمت" الأسبوعية عام ١٣١٠ هـ.ق فى القاهرة. وكان محررها ميرزا مهدى خان التبريزى (زعيم الدولة) الذى ارتحل من إسطنبول إلى مصر وأسس بها تلك الصحيفة. وأصر بشدة على أن تكتب "حكمت" بالفارسية الخالصة الخالية من المصطلحات العربية.

ظلت هذه الصحيفة تصدر حتى بداية الثورة الدستورية وكانت مقالاتها ذات تأثير كبير. وكان زعيم الدولة رجلا فاضلا مثقفا، وله أيضا مؤلفات وأشعار وطنية. (١)

وفى تلك الآونة ظهر أيضا عدد من الصحف الأخرى خارج إيران أشهرها ثريا وپرورش فى مصر وحبل المتين فى كلكتا.

ثريا:-

صحيفة أسبوعية صدرت عام ١٣١٦(٢) هـ.ق فى القاهرة.كان يحررها فى البداية ميرزا على محمد خان الكاشانى شقيق ميرزا عبد الحسين خان وحيد الملك النائب البرلمانى فى المجلس الثانى، وذاعت مقالاته فى الآفاق لأسلوبها اللاذع، ولكنه تركها وأسس لنفسه صحيفة "پرورش" وتولى تحريرها سيد فرج الله خان الكاشانى ففقدت أهميتها. (٣)

---

(١) أحمد كسروى، تاريخ مشروطـة إيران، الجزء الأول، ص ٤١.
(٢) عددها الأول مؤرخ بالرابع عشر من جمادى الآخر من تلك السنة.
(٣) أحمد كسروى: تاريخ مشروطـة إيران، الجزء الأول، ص٤١.

"پرورش":-

تعد صحيفة پرورش التى صدرت فى بداية عام ١٣١٨هـ.ق(١) من أفضل الصحف الفارسية وأهمها. تميزت بأسلوب تحريرها البديع ومقالاتها الجيدة واستثارتها للأفكار فكانت من أسباب الثورة الفكرية فى إيران.

حلت هذه الصحيفة محل ثريا كما ذكرنا، وكان محررها ميرزا على محمد خان رجلا عالما وتميزت مقالاته بكونها لاذعة وشديدة اللهجة.

حبل المتين:-

تعد صحيفة حبل المتين الأسبوعية التى أسست فى كلكتا عام ١٣١١ هـ.ق أهم صحف تلك الفترة وأشهرها. وتمتعت بحرية الرأى نظرا لأنها كانت تطبع فى الهند، ونُشرت بها مقالات عن مشكلات إيران السياسية وطرحت الكثير من الآراء المفيدة واقترحت مرارا سن القانون وإقامة حكومة دستورية. واشتهر محررها سيد جلال الدين الكاشانى مؤيد الإسلام بلقب "تيكى".(٢) وكانت صحيفة حبل المتين تصل إلى إيران بالرغم من أن الحكومة كانت قد حظرت قراءتها وتداولها، ولعبت دورا مهما يماثل دور صحيفة كولوكول "الجرس" لهرتسن فى روسيا. (٣)

وخُصص قسم من حبل المتين للموضوعات الدينية وكانت هذه الصحيفة تدعو للوحدة الإسلامية. (٤)

---

(١) تاريخ الجمعة العاشر من صفر من ذلك العام.
(٢) أحمد كسروى: تاريخ مشروطة إيران، الجزء الأول، ص٤٢.
(٣) پاولويچ، ثريا وايرانسكى: انقلاب مشروطيت إيران، ص ٥٤.
(٤) إدوارد براون: مطبوعات وأدبيات إيران، ترجمة محمد عباس، ج٢، ص ٣٣٤.

الفصل الثالث

دار الفنون:-

إن الشعور بهيمنة الضعف والعجز على كافة مناحى الحياة وضرورة الأخذ بالمدنية الغربية وتغيير نظم التعليم القديم أدى فى النهاية إلى وضع حجر الأساس لمبنى دار الفنون فى بداية عام ١٢٦٦هـ.ق فى القسم الشمالى من الديوان الملكى وكان فى السابق دارا للجنود. وبات الهدف منها تدريس العلوم والثقافة الغربية لجيل الشباب.

ونظرا لحاجة الدولة إلى مثل هذه المؤسسة التعليمية عزم ولى العهد عباس ميرزا على تأسيس دار الفنون حيث عُرف بريادته فى الأخذ بالمدنية والعلوم الحديثة وفقا لشهادة جريبايدوف(١) سفير روسيا فى بلاط فتحعلى شاه، ولكنه لم يوفق فى تنفيذ ذلك الأمر وكُتب لميرزا تقى خان أمير كبير التوفيق فى تنفيذه.

فبعد حادثة مقتل جريبايدوف كُلِّف الأمير خسرو ميرزا بن عباس ميرزا بالتوجه إلى بلاط روسيا لتقديم الاعتذار على رأس وفد ضم ميرزا تقى خان الفراهانى.(٢) (شوال ١٢٤٤ هـ.ق). ولما شاهد الأمير المدارس الصناعية هناك فكر فى تأسيس دار الفنون.

ويقول ميرزا مصطفى خان افشار – الذى تولى التحرير والإنشاء(٣) للوفد المرسل إلى روسيا- فى كتاب رحلات "خسرو ميرزا" بعد وصف مدارس بطرسبورج ودور العلم بها:-

"من اليسير تأسيس هذه المدارس فى إيران. فيمكن استقدام عدد من المعلمين

---

(١) تبريز، بتاريخ فبراير ١٨٢٠م (كليات أعمال جريبايدوف، ليننجراد ١٩٤٥م ص ٤٥٣)

(٢) كان من رفاق خسرو ميرزا الآخرين ميرزا صالح الشيرازى و ميرزا محمد خان زنگنه وأمير نظام ومسعود گرمرودى.

(٣) لقب فيما بعد ببهاء الملك.

الأوروبيين إلى إيران وتخصيص مدرسة لأولاد النجباء الإيرانيين، وإلحاقهم بها وتعيين عدد من الفضلاء للإشراف عليهم كي يتعلموا العلوم الإيرانية من المعلمين الإيرانيين وكذلك العلوم الأوروبية من المعلمين الأوروبيين".

وكان هدف الأمير من تأسيس مثل هذه الأكاديمية أن تكون مؤسسة عسكرية وصناعية تسد حاجة الدولة بالدرجة الأولى في المجالين العسكري والصناعي "وربما يكون خبر تأسيس دار الفنون في إسطنبول التي افتتحت عام ١٢٦٣ هـ.ق قد أثر على هذا الإجراء. (١)

وللأسف كان الأمير يقضي آخر أيامه بالمنفى في باغ شاهي بفين التابعة لكاشان وقت افتتاح دار الفنون، وقتل في ذلك المكان بعد أسبوعين من افتتاحها ولم ير ثمرة عمله.

اتخذ الأمير قرار تأسيس دار الفنون عام ١٢٦٦ هـ.ق أي في العام الثالث من عهد ناصر الدين شاه. ففي هذا العام فرغ من أمور أكثر أهمية فيما يتعلق بأمن الدولة وإعداد الجيش وتوفير الأسلحة وتنظيم الميزانية وقمع الأدعياء والفتن، وقرر تأسيس مدرسة في طهران لتعليم الصناعات، ولما كان من المقرر أن تدرس بها كافة الفنون أي الصناعات لذا فقد أمر بتسميتها دار الفنون. (٢)

صمم بناءها ميرزا رضا كبير المهندسين، الذي سافر إلى لندن في عهد عباس ميرزا ولي العهد وبرع في فن العمارة والبناء، وكُلِّف كبير المهندسين محمد تقي خان بتنفيذه، وتعد دار الفنون كما ذكرنا أول معهد فني عال على النسق الأوروبي يمد الدارسين بالمعارف والعلوم الحديثة ويؤهلهم في تخصصات مرتبطة بالشئون المدنية والعسكرية، ولما كان تنفيذ هذا الأمر في البداية لا يتيسر على أيدي الإيرانيين أنفسهم، كان ولابد طلب المساعدة من أوروبا.

---

(١) عباس إقبال: بعد از صد سال، مجلة يادگار، العام الخامس، العددان ٤- ٥.

(٢) روزنامة وقايع اتفاقية: العددان ٢٩، ٣٤، بتاريخ شوال ١٢٦٧ و ٣ صفر ١٢٦٨ هـ.ق.

لهذا سعى الأمير لاستقدام مدرسين متخصصين من أوروبا للتدريس فى هذه المدرسة، فأوفد أحد المترجمين البارزين موضع ثقته عام ١٢٦٧ هـ.ق إلى بلاطى بروسيا والنمسا لإحضار المدرسين، وكان يسمى جان داود.

فقد رافق الأمير حين أُوفد إلى أرزنة الروم حيث كان يعد المترجم الأول للحكومة الإيرانية، كما كان من بين أعضاء سفارة إيران فى سان بطرسبورج.

ووصل جان داود الأرمنى إلى طهران يوم الجمعة ٢٧ محرم ١٢٦٨ هـ.ق (بعد يومين من عزل أمير كبير) وبرفقته سبعة من المعلمين النمساويين الذين كان قد تعاقد معهم لتدريس الطب والتخصصات العلمية والعسكرية، ولم يكن بناء دار الفنون قد اكتمل بعد. وأعدوا على الفور برنامجا للدراسة وعرضوه على ناصر الدين شاه الذى لم يكن عمره قد تعدى الثانية والعشرين، واختير لإدارة المدرسة عليقلى ميرزا اعتضاد السلطنة، ورضا قلى خان هدايت لتولى الشئون العسكرية بها، وأقيم حفل افتتاح أول مدرسة عالية تسمى "دار الفنون" بأمر من الشاه الشاب يوم السبت الخامس من ربيع الأول عام ١٢٦٨ هـ.ق "وشرف مائة من أبناء الأمراء العظام والأعيان ورجال الدولة بلقاء الشاه، وكان قد تم اختيارهم للدراسة فى مدرسة دار الفنون المباركة من قبل وزير الخارجية ميرزا محمد على خان، وبعد ذلك قدموا إلى المدرسة المباركة وبدأوا الدراسة. افتتحت دار الفنون فى ذلك اليوم وأُجريت المراسم وفقا لما هو مقرر. وكانت العلوم التى تدرس فى البداية تدريبات المشاة والمدفعية والفروسية وعلوم الهندسة والطب والجراحة والصيدلة والتعدين.

واتخذ قرار بأن ترتدى كل فرقة زيا مختلفا ليُعْرَف من خلاله تخصص كل فرقة. كما تقرر تعيين مترجمين بالمدرسة، ومنذ ذلك اليوم أخذت تنتشر بالمملكة العلوم الحديثة ومخترعات الأمم النافعة التى هى محصلة مئات السنين من الجهد والمشقة".

من الواضح أن شئون هيئة التدريس من الأوروبيين كانت غير منظمة إلى حد كبير فى بداية الأمر، كما كان بين المعلمين أشخاص غير مؤهلين بالقدر الكافى فيما يتعلق بالعلوم وأسس التربية والتعليم.

ولم يكن الإيرانيون يستطيعون التدقيق فى اختيارهم لأنه لم يكن من السهل وجود أشخاص يوافقون على الإقامة فى إيران لفترة طويلة، وبشكل عام قلما وجد أشخاص قادرون على تأهيل الطلاب الإيرانيين علميا والذين من المنتظر أن يكونوا معلمين فى المستقبل.

وبلغ عدد المعلمين الذى قدموا إلى إيران برفقة جان داود والذين بدأوا فى التدريس بدار الفنون قبيل مقتل أمير كبير سبعة أشخاص وهم: الكابتن زاتى،[١] الكابتن جومنز،[٢] الضابط كرسيس،[٣] الضابط نمير،[٤] كارنوتا،[٥] الطبيب بلاك،[٦] وكوكاتى.[٧]

وفضلا عن هؤلاء انضم إلى هيئة التدريس فى دار الفنون لفيف من الأوروبيين الذى كانوا قد وفدوا إلى إيران فيما سبق.

ومن المعلمين والمستشارين الأوروبيين الأوائل خلال العشرين عاما الأولى، من تأسيس دار الفنون:-

كرسيس والطبيب بلاك، وهما من أول المعلمين الذين قدموا عام ١٢٦٨ هـ.ق (١٨٥١م). وكان الأول معلما للمدفعية والرياضيات والآخر معلما للعلوم

---

(١) Zattie.
(٢) Gumonës
(٣) Krziz
(٤) Nemiro
(٥) Carnotta
(٦) Polak
(٧) لم يرد اسم كوكاتى فى قائمة بلاك، ومن المعتقد أنه قدم إلى إيران لاحقا.

الطبية. عمل بلاك فى منصب الطبيب الخاص للبلاط بعد وفاة الطبيب الفرنسى كلود، وعاش فترة طويلة فى إيران، وتعلم الفرنسية، وألف كتابا قيما باللغة الألمانية عن رحلته إلى إيران، ولم يفقد هذا الكتاب قيمته حتى الآن، ويقدم معلومات وفيرة لأولئك المهتمين بالاطلاع على أسلوب الحياة فى ذلك الزمان، والكثير من المصطلحات الطبية المعاصرة مأخوذة عن كتاب "تشريح بلاك" الذى أُلِّف بالتعاون مع ميرزا محمد حسين افشار.

عاد كرسيس إلى أوروبا عام ١٢٧٦ هـ.ق (١٨٥٩م) وبلاك عام ١٢٧٧ هـ.ق (١٨٦٠ م).

ومنهم أيضا البولندى استانيسلاس بورفسكى[١] الذى كان يدرس الجغرافيا واللغة الفرنسية. وكان من أهالى فيلنا ووالده العميد ايزيدور بورفسكى الذى قتل فى الحرب التى دارت فى هراة. عمل لدى الحكومة الإيرانية وصار معلما فى مدرسة دار الفنون، وتوفى فى طهران فى شهر رمضان عام ١٣١٥ هـ.ق (يناير ١٨٩٨م).

وقدم إلى إيران بعدهم بفترة وجيزة الكساندر بوهلر[٢] كبير المهندسين العسكريين عام ١٢٧٢ هـ.ق (١٨٥٥م). تولى مهمة تدريس الرياضيات وعلم التحصينات وعلوم عسكرية مشابهة، وشارك فيما بعد فى حروب إيران ضد الأفغان، وسيطر الجنود الإيرانيون بفضل توجيهاته على هراة فى صفر عام ١٢٧٣ هـ.ق (١٨٥٦م) توفى بوهلر عام ١٣٠٥ هـ.ق (١٨٨٧م) وكان على درجة عميد.

أوفدت الحكومة الفرنسية عام ١٢٨٥ هـ.ق (١٨٦٨م) إلى إيران الفرنسى آلبرت لومر[٣] لتدريس الموسيقى العسكرية، فأعد فرقا للموسيقى العسكرية

---

(١) Stanislas Borwsky

(٢) Bohler

(٣) A. Lemaire

وعرف الإيرانيين لأول مرة على الموسيقى الغربيــة، وتــوفى عــام ١٣٢٥ هـ.ق (١٩٠٧م).

كان اتحاد العمال الفرنسى قد أوفــد فلــيكس فوفيليــه[١] عــام ١٢٨٢ هـ.ق (١٨٦٥م) إلى إيران لمد خط السكة الحديد، فاستعانت به الحكومة لتأسيس ترســانة للأسلحة ثم تدريس التعدين فى دار الفنــون. وتقاعــد حــوالى عــام ١٣١٨ هـ.ق (١٩٠٠م) وتوفى بعد عدة سنوات.

قدم الطبيب الهولندى شليمر عام ١٢٦٨هـ.ق (١٨٥١م) بــصفة شخــصية، وبعد عدة سنوات من إقامته فى رشت اختير لتدريس الطب بدلا من الطبيب بلاك. قام شليمر[٢] بالعديد من الرحلات البحثية فى إيــران، ونــشر نــصوص أغلــب محاضراته. وأهم أعماله معجم متخصص فى الطب والنباتات نُــشر عــام ١٢٩١ هـ.ق (١٨٧٤م) فى طهران فى طبعة حجر، والنسخ الموجودة منــه نــادرة جــدا، وطبع مؤخرا من قبل كلية الطب بجامعة طهران ضمن ملحق المجلة الطبية.

كان يعاون الطبيب بلاك الطبيب آلبو[٣] وهو من أهالى برلين، تعاقــد معــه مخبر الدولة عام ١٣٠٠ هـ.ق (١٨٨٤م)، وأعد رسائل فى الطب باللغة الفارســية بمشاركة الطبيب شليمر ونشرها. وعاد إلى أوروبا بعد ثمانى سنوات قضاها فــى التدريس وعلاج المرضى.

قدم الفرنسى جول ريتشارد[٤] إلى إيران فى نهاية عهد محمد شــاه (١٢٦٠ هـ.ق- ١٨٤٤م)، وكان على ما يبدو غير متخصص. كُلف بالعمل فى عهد أميــر كبير وقصته غريبة وشيقة، فقد أحب فتاة واعتنق الإسلام، وتزوجها وفضل الإقامة فى إيران واشتهر بميرزا رضا مؤدب الممالك، وتخلى عن عاداته وانخــرط فــى

---

(١) Vauvillier

(٢) J. L. Schlimmer

(٣) Albu

(٤) J. Richard

الحياه القبلية. توفى ريتشارد فى شوال عام ١٣٠٨ هـ.ق فى سن الخامسة والسبعين فى طهران.

أما آندره إينى[١] فكان مقاتلا من أهالى توسكان شارك فى ثورة عام ١٨٤٨م وتم تعقبه لكونه من المطلوبين سياسيا، فهرب عام ١٨٤٩م من إيطاليا وذهب إلى إسطنبول، وفى عام ١٢٦٩ هـ.ق (١٨٥٢م) قرر الالتحاق بالعمل لدى الحكومة الإيرانية، توفى عام ١٨٩٤.

وكان جاستيجر[٢] النمساوى من المتخصصين فى الشئون الهندسية، وقدم إلى إيران فى عام ١٢٧٧ هـ.ق (بداية ١٨٦٠م) بغرض القيام بمغامرة لا غير، وتولى لفترة طويلة وظائف مهمة فى الشئون الهندسية المختلفة، وفى عام ١٨٨٩م اعتزل العمل وتوفى بعد فترة وجيزة.

كما انضم لفيف من الأرمن المقيمين فى آذربيجان وجلفا بأصفهان إلى هيئة التدريس بالمدرسة فضلا عن عدد قليل من الإيرانيين المسلمين الذين كانوا يدرسون الأدب والعلوم الشرعية. وكان هؤلاء الأرمن يتقنون لغة أجنبية أو أكثر نتيجة رحلاتهم أو دراستهم للخارج، ومتخصصين فى بعض العلوم الحديثة. ومنهم ملكم خان بن ميرزا يعقوب وهو من أرمن جلفا ولقب فيما بعد بناظم الدولة. أما نظر آقا فكان من أرمن آذربيجان وعمل فى منصب المترجم الثانى للغة الروسية فى وزارة الخارجية ولقب فيما بعد بيمين السلطنة وعمل وزير إيران المفوض فى باريس.

ونذكر أيضا ماردروس خان من أرمن جلفا وكان يجيد الفرنسية والروسية، درس فى موسكو وعمل قبل خدمته بدار الفنون مترجما فى الحكومة.

---

(١) Andreini

(٢) Gasteiger

وفى الختام تجب الإشارة إلى نيكولاس[١] مترجم رباعيات الخيام، وهو والد الفونس نيكولاس قنصل فرنسا فى تبريز.[٢]

كما أسهم الإيرانيون أنفسهم بالطبع فى تطوير دار الفنون، وسنذكر فيما بعد أسماء عدد منهم ممن عملوا على نشر الثقافة الإيرانية.

اهتمت دار الفنون فى البداية بتدريس الطب والرياضيات والعلوم العسكرية واللغات الأجنبية، ثم خُصصت محاضرات بعد ذلك لتدريس مبادئ اللغتين الفارسية والعربية وبالتدريج تم إدراج الأدب بين المواد الدراسية.

وكانت الكتب التى أعدها الأساتذة القدامى أو الجدد مترجمة عن اللغات الأوروبية أو مقتبسة عنها، وهذه الكتب المطبوعة نادرة ونفيسة، ويجب أن نذكر منها بالدرجة الأولى الكتب التى أُعدت فى التخصصات العلمية والصناعية والتى كانت تدرس مع بداية تأسيس دار الفنون فى طهران، وعلينا أيضا أن نضيف إليها عددا من الكتب التى كانت قد أعدت فى عهد عباس ميرزا ولى العهد.

تعاون أغلب المعلمين مع الأوروبيين باعتبارهم مترجمين ومساعدين لهم، ولكن السعى وراء الحصول على الألقاب الرنانة التى كانت منتشرة فى البلاط ذلك الوقت صار من الأمور الراسخة فى تلك المؤسسة الثقافية. فعلى سبيل المثال لُقب كبير الفلكيين الحاج ميرزا عبد الغفار (المتوفى عام ١٣٢٦ هـ.ق) بلقب رنان وهو "معلم جميع العلوم الرياضية" وكانت وظيفته تحديد ساعات السعد والنحس فيما يتعلق بأعمال الشاه، وانضم إلى هيئة التدريس فى دار الفنون، وألف العديد من الكتب فى الرياضيات والعلوم الطبيعية (مثل "رسالة آسمان" فى الفلك و "أصول جغرافيا" و"أصول هندسة" وغيرهم).

وعلينا أن نشير أيضا إلى التدقيق والحذر فى التعاقد مع المعلمين الأجانب

---

(١) M. J. Nicolas

(٢) Alphonse Nicolas

حتى لا يكون هؤلاء المعلمون من مواطنى الدول ذات المصالح السياسية فى إيران. وبعد مقتل أمير كبير سعى وزير بريطانيا المفوض الكولونيل جوستن شيل[1] سعيا جادا كى لا يتم افتتاح دار الفنون، وحرص ميرزا آقا خان نورى على ذلك، ويرجع هذا الأمر إلى غضب شيل بسبب عدم اختيار المعلمين من بين المواطنين البريطانيين أو مواطنى الدول حليفة بريطانيا سياسيا. إلا أن ناصر الدين شاه أصر على افتتاح دار الفنون نظرا لأنه كان قد راسل إمبراطور النمسا فرانسوا جوزيف بخصوص إيفاد هؤلاء المعلمين ولم يوافق على عودتهم.

ورغم هذه المعارضة فقد عاد هذا الأمر – كما ذكرنا سالفا– بالفائدة على عدد من المهاجرين الإيطاليين والأرمن.

ويقول الطبيب بلاك: "لم يكن الأمير قد أدرك أننا لا نستطيع أن نؤدى عملنا وفقا لمعتقداته أو وفقا لأهوائنا".[2] وبالرغم من ذلك كان الشاه الشاب يشارك فى بداية الأمر فى عقد الامتحانات ويمنح الدارسين الجوائز والإنعامات ويعينهم فى المناصب. على كل حال تخرج طلاب بارزون أفاضل من تلك المدرسة، ولكن بعد فترة وجيزة، شعر ناصر الدين شاه بالريبة تجاه دار الفنون نتيجة بعض تصرفات ملكم الذى عمل معلما ومدرسا فى تلك المدرسة، وخاصة لتأسيسه المحفل الماسونى، حتى أنه لم يسمح بعد ذلك للإيرانيين بالسفر إلى الدول الغربية لأى سبب من الأسباب، ومنذ ذلك التاريخ تدهورت أوضاع دار الفنون ولم يتبق سوى القليل من بين جميع المعلمين الأجانب والإيرانيين وكذلك قلة من الطلاب.[3]

---

(١) Colonel Justin Sheil

(٢) Polak, Vol. 1, p. 301

(٣) لم يكن من اللائق ألا يتردد على المدرسة ويتفقد القاعات، ويشجع الطلاب ويمنحهم الإنعامات. وبعد ذلك الإجراء (أى تأسيس المحفل الماسونى والتخطيط للجمهورية والزج بدار الفنون) كان يستاء لسماع اسم المدرسة، واكتفى بالإبقاء عليها ظاهريا (مهد يقلى هدايت: خاطرات وخطرات).
وبعد ظهور هذه الأفكار حظر ناصر الدين شاه السفر لأوروبا وعزف عن الأفكار الأوروبية بعد أن كان يرسل بعثات من الطلاب فى بادئ الأمر إلى الدول الأوروبية، وهذا راجع للأعمال التى لا طائل من ورائها وتقليد الخرافات الجديدة الفاسدة
– المصدر السابق.

لم تقدم بيئة دار الفنون للدولة أعمالا أدبية مهمة، إلا أنها قدمت ما هو أهم. فقد أثرت هذه المؤسسة العلمية بشكل غير متوقع على تطوير الشئون التعليمية فى إيران وساعدت على الأخذ بالعلوم والصناعات الأوروبية الحديثة على الرغم من أنها افتقرت إلى وجود أشخاص مؤهلين بين مؤسيسها وبرغم عراقيل الجهلاء وأعداء التقدم فى إيران. وعَرَّفت شريحة واسعة من الأهالى بنمط الحياة الأوروبية التى لم يكن الإيرانيون حتى ذلك الوقت يعلمون عنها شيئا، ومنحت فرصة لقطاع كبير من الشباب لخوض غمار الإصلاح.

ولم تمض فترة طويلة حتى ظهرت طبقة مستنيرة من الأطباء وعلماء الرياضيات والعلوم الطبيعية، ساهموا فى إرهاصات الثورة الثقافية بإيران عن طريق الترجمة والتأليف وفقا للأسلوب العلمى الحديث وتأهيل الكثير من الطلاب، بحيث يمكننا القول بأن التجديد ومكافحة الجهل والخرافات ونشر الأفكار التحريرية فى العهد الناصرى يرجع إلى حد ما إلى تنشئة وتعليم هذه الفئة من الدارسين بدار الفنون. كما ساهمت هذه المؤسسة فى تأهيل عناصر الثورة الدستورية والموظفين الحكوميين الذين أمسكوا بزمام الأمور فى إيران لاحقا.

١- ترجمة وتأليف الكتب التعليمية:

كما نعلم كانت الكتب التعليمية فى إيران قبيل تأسيس دار الفنون نادرة جدا بل معدومة تقريبا.و اضطر القائمون على المدرسة إلى تأليف الكتب بأنفسهم أو ترجمتها عن اللغات الأجنبية نظرا لشدة احتياجهم لكتب فارسية تعليمية. بناء على هذا أعدوا منذ بداية التحاق المعلمين الأوروبيين بدار الفنون كتبا تعليمية كثيرة فى التخصصات المختلفة للعلوم الحربية والعسكرية (كالمدفعية والتحصينات وإعداد الجيش ورسم الخطط) والعلوم الطبيعية (كالطب والتشريح والفسيولوجى والكيمياء والميكانيكا) وكُلف طلابهم الإيرانيون بترجمة الكتب المذكورة إلى الفارسية ومنهم

ميرزا زكى المازندرانى ومحمد حسين القاجارى وميرزا تقى خان الكاشانى وميرزا على أكبر خان مهندس الشيرازى ومحمد حسين افشار حيث كانوا قد أجادوا اللغات الأوروبية إلى حد لا بأس به وخاصة اللغة الفرنسية. وطُبعت جميع تلك الكتب طباعة حجر فى المطبعة التى أُنشئت فى دار الفنون نفسها لهذا الغرض، ووزعت على الطلاب. (١)

وانتقلت الرغبة العارمة فى نشر الثقافة والعلوم التى بدأت فى دار الفنون إلى أشخاص آخرين أيضا خارج المؤسسة التعليمية، وعم شوق جارف لتأليف الكتب وترجمتها سواء داخل دار الفنون أو خارجها، وشارك فى التأليف والترجمة من بين الإيرانيين الحاج ميرزا عبد الغفار نجم الدولة الأصفهانى والطيب أبو الحسن خان والطبيب رضا خان والطيب محمد الكرمانى الشهير بكفرى وميرزا رضا خان مهندس الممالك وميرزا على أكبر خان مزين الدولة وميرزا أسد الله خان مهندس السلطان، والطيب على خان الهمدانى وميرزا على خان مترجم السلطنة وسليمان خان احتساب الملك ونصرة السلطان وسيد على خان وميرزا محمد حسين ذكاء الملك وابنه ميرزا محمد على خان ذكاء الملك وآخرون.

---

(١) سنذكر عناوين بعض هذه الكتب: من أعمال الطبيب بلاك "تشريح بدن إنسان" ترجمة محمد حسين افشار ١٢٧٥ هـ.ق، "زبدة الحكمة" ترجمة علينقى حكيم الممالك ١٢٧٢ هـ.ق، "جلاء العيون" فى علاج العيون ١٢٧٣ هـ.ق، "علاج الأسقام" فى الجراحة ملحق به "رسالة حكاكى" فى مجلد واحد ترجمة محمد حسين افشار ١٢٧٣ هـ.ق، ومن أعمال كرسيس "علم هندسة" و"علم مساحت" ترجمة ميرزا زكى المازندرانى ١٢٧٤ هـ.ق، "علم توپخانة" ترجمة ميرزا زكى ١٢٧٥ هـ.ق، ومن مؤلفات الطبيب شليمر "سر الحكمة" ترجمة ميرزا تقى خان بن محمد هاشم الكاشانى ١٢٧٨ هـ.ق و "زينة الأبدان" ترجمة ميرزا تقى خان المشار إليه ١٢٧٩ هـ.ق، و "شفائيه" ترجمة ميرزا عبد الكريم بن الحاج ملا إسماعيل اليزدى ١٢٨٠ هـ.ق، و"كليات طب فرنگى" ١٢٩٢هـ.ق، ومن مؤلفات بوهلر "علم تحصين" ترجمة المهندس ميرزا على أكبر خان الشيرازى ١٢٧٥ هـ.ق و"هندسه" ترجمة المهندس عبد الرسول خان ١٢٨٣ هـ.ق، و "قانون امور اردو" ترجمة محمد حسين القاجارى ١٢٩٦ هـ.ق، ومن أعمال جاستيجر خان "قانون خدمت سربازى" ١٣٠١ هـ.ق، غير ذلك.

وأسفر مجهودهم بالتدريج عن إضافة سلسلة من الأعمال المهمة في كل التخصصات إلى رصيد إيران من الأعمال العلمية والأدبية.

٢- الترجمات الأخرى:-

إذا تجاوزنا الكتب التعليمية فقد نقل المترجمون الإيرانيون فى هذه المرحلة إلى اللغة الفارسية سلسلة من الكتب التاريخية من بينها مؤلفات فولتير التاريخية مثل "تاريخ بطرس كبير" و"شارل دوازهم الثانى عشر" و"إسكندر مقدونى" ثم "تاريخ إيران" للبريطانى السير جان ملكم عن الترجمة الفرنسية، وبعد ذلك قاموا بترجمة الروايات التاريخية والعلمية، فنقلوا للفارسية من أعمال الكساندر دوما الكبير قصص ("سه تفنگدار" و"كنت دو مونت كريستو" وملكه ماركو" و"لوئى چهاردهم وپانزدهم") ثم "تلماك" لفنلن، و"روبنسن كروزو" لدفو، و "ژيلبلاس" للساج، و "كلبة هندى" لبرناردن دوسان ببير، و "مانن لسكو" لپروو، و"مسافرت گوليور" لسويفت، و "سرگذشت حاجى بابا أصفهانى" لجيمز موريه وأخيرا الروايات العلمية لجول فرن وما على شاكلتها.

وللأسف لم يراع مترجمو تلك الأعمال الخصائص الأدبية للنصوص الأصلية إلى حد كبير، وكانوا يزينونها بالأشعار الفارسية على غرار القصاصين الإيرانيين، وفضلا عن ترجمة روائع الأدب الكلاسيكى ترجموا أعمالا مبتذلة مثل "سرگذشت مادام دومونت پانسيه" و رواية "روكامبول" وكلاهما للروائى الفرنسى پنسن دوتراى والعجيب أنهم كانوا يحررون للكتب السوقية المبتذلة مقدمات يتحدثون خلالها عن ضرورة نشر العلوم واكتساب الثقافة وتحصيل الفنون، وكانوا يمتدحون اهتمام الذات الملكية المقدسة لعنايتها بمثل هذه الأهداف السامية. ولكن برغم كل هذه المآخذ اضطر المترجمون كما أشرنا سالفا إلى محاكاة أسلوب الكتابة فى النصوص الأصلية وكتابة الموضوعات بأسلوب سهل بسيط، وتجنب استخدام السجع والكلفة التى كانت تعد فيما سبق من شروط النثر الأدبى وخصائصه.

ولربما لو لم تكن هذه الترجمات لما ظهر أسلوب النثر الأدبـــي المعاصـــر الذى يقترب من لغة الحوار ويتميز فى نفس الوقت بجمال النثر الأدبى الأوروبى.

وأثرت ترجمة مسرحيات موليير أيضا - كما سنذكر لاحقا- تأثيرا كبيـــرا فى تطور المسرح والكتابة المسرحية التى لم تكن معروفة تقريبا فى إيران حتـــى ذلك الوقت.

٣- هدايت:-

كان من بين الإيرانيين الذين عملوا فى دار الفنون أشخاص فاقوا زملاءهـــم الأوروبيين. وكان على رأسهم أمير الشعراء رضا قلى خان هـــدايت مـــدير هـــذه المؤسسة العلمية والمشرف عليها، الذى يعتبر أن نسبه يرجع إلى الشاعر الـــشهير الشيخ كمال الجندى معاصر حافظ الشيرازى.

كان الأديب والشاعر والمؤرخ الشهير رضا قلى خان بن آقا محمد الهـــادى الطبرستانى من أعيان قرية "چـــهارده كلاته" من توابع هزار جريب" بمازنـــدران. عمل فى شبابه لدى جعفر قليخان بن محمد حسن خان قاجار، والتحق بعـــد مقتلـــه ببلاط آقا محمد خان كبير الأسرة القاجارية وعمل أمينا للخزانة ورئيسا لها.

ولد رضا قلى فى ليلة الخامس عشر من محرم ١٢١٥ هـ.ق فـــى طهـــران، وأمضى بضع سنوات من طفولته فى شيراز، ثم ذهب برفقة والدته إلى أقاربه فـــى "بار فروش" بعد موت والده عام ١٢١٨ هـ.ق، ثم عاد إلى شيراز بعد عدة سنوات، ودرس العلوم المتداولة تحت إشراف ورعاية زوج والدتـــه محمـــد مهـــدى خـــان المتخلص بـــ "شحنة"، والتحق فى شبابه بخدمة الحاكم حسينعلى ميـــرزا وأبنائـــه وأخيه حسنعلى ميرزا شجاع السلطنة.

وكان ينظم الشعر منذ مطلع شبابه أحيانا ويتخلص بـــ "چاكر" ثم تخلص بعد ذلك بـــ "هدايت".

وعندما ذهب فتحعلى شاه إلى شيراز، حمل ميرزا محمد تقى علـــى آبـادى منشى الممالك الشاعر الشاب إلى مجلس الشاه وألقى رضا قلى خان قصيدة حازت الإعجاب فمنحه الشاه لقبى "خان" و"ملك الشعراء"، وأمر بأن يلازمه عند عودتــه إلى طهران، ولكنه لم يتمكن من مرافقته لمرضه، وظل فــى شــيراز إلــى وفـاة فتحعلى شاه.

وبعد اعتلاء محمد شاه العرش، تمرد على الحكومـة الأميـران حـسينعلى ميرزا وحسنعلى ميرزا فى شيراز، ولكن أُحبطت الثـورة علــى الفـور وأُسـر المتمردان وأُرسلا إلى العاصمة وعُين الأمير فيروز ميرزا حاكما علــى شــيراز. وظل رضا قلى خان لفترة فى شيراز، فصار مساعدا لفيروز ميرزا ومن ندمائــه، وبعد عودته إلى كرمان أصبح مساعدا لأخيه فريدون ميرزا.

وعند عودة محمد شاه عام ١٢٥٤ هـ.ق إلى طهران بعد موقعة هراة، قـدم رضا قلى خان إلى طهران حاملا رسالة من فريدون ميرزا حاكم فارس، وتوجــه إلى منزل الصدر الأعظم ميرزا آقاسى فأحسن ميرزا أقاسى وفادته، وقدمــه إلــى البلاط، فمنعه محمد شاه من العودة إلى شيراز وكلفه بالقيام على تربية ابنه عبــاس ميرزا ملك آرا الذى كان يكن له حبا كبيرا، ولهذا السبب عرف بـــ "لله باشـــى" أى "كبير المربين".

كان رضا قلى خان يعيش معززا مكرما فى البلاط وظل يرافق محمد شــاه فى سفره وحضره حتى وفاته عام ١٢٦٤ هـ.ق، وألف باســمه تذكرتــه الـشهيرة "رياض العارفين".

وبعد وفاة محمد شاه وقيام الثورة التى أدت إلى فرار تلميذه عبــاس ميــرزا ظل عاطلا عن العمل ملازما لمنزله لفترة من الوقت بسبب دســائس المغرضــين

على ما يبدو، إلى أن استدعاه ناصر الدين شاه لخدمته عام ١٢٦٧ هـ.ق،(١) وأرسله على رأس وفد سياسى إلى بلاط محمد أمين خان وإلى خيوه الذى كان يطلق على نفسه خوارزمشاه.

وفى باريس قام "لرو"(٢) عام ١٨٧٩م (١٢٦٩ هـ.ق) بطباعة ونشر الكتاب الذى كتبه رضا قلى خان بأمر أمير كبير عن تلك الرحلة بعنوان "سفارتنا مة خوارزم"، وضم الكتاب الترجمة والحواشى الفرنسية التى قام بها تشارلز شيفر،(٣) كما نقل محمد حسن خان اعتماد السلطنة أيضا متن الكتاب فى الجزء الثانى من "مرآة البلدان".

عاد رضا قلى خان فى الثامن عشر من محرم عام ١٢٦٨ هـ.ق إلى طهران من رحلته إلى خوارزم قبيل حلول الغضب على أمير كبير وعزله بيوم واحد، وعينه ناصر الدين شاه نائبا لوزير العلوم والمعارف ورئيسا لدار الفنون، وظل فى هذين المنصبين لمدة خمسة عشر عاما، وفضلا عن انشغاله بإدارة شئون دار الفنون قام بإعداد تذكرته الشهيرة عن الشعراء المعروفة بـ "مجمع الفصحاء"، كما كُلف من قبل الشاه بإكمال كتاب محمد بن خاوند شاه البلخى الشهير بميرخواند فى التاريخ العام والمسمى "روضة الصفا فى سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء" وأنجز رضا قلى خان هذا العمل المهم وأضاف للكتاب ثلاثة أجزاء، وفى ربيع الأول ١٢٧٤ أتم هذا الكتاب تحت عنوان "روضة الصفاى ناصرى" فى عشرة مجلدات، ثم أخذ فى إتمام مجمع الفصحاء الذى يعد آخر أعماله، وانتهى منه عام ١٢٨٨ هـ.ق. (٤)

---

(١) يحمل قرار ميرزا تقى خان أمير كبير بهذا الخصوص والمتعلق بهدايت تاريخ جمادى الأول عام ١٢٦٧ هـ.ق.

Leroux(٢)

Charles Schefer(٣)

(٤) الجزء الثامن عن الصفوية والأفغان والأفشاريين، الجزء التاسع عن سقوط الأفشاريين وتاريخ الأسرتين الزندية والقاجارية حتى عهد محمد شاه قاجار، الجزء العاشر عن عهد محمد شاه إلى نهاية السنة العاشرة من عهد ناصر الدين شاه.

تقاعد رضا قلى خان عام ١٢٧٨ هـ.ق عن الخدمة فى الحكومة، وذهب إلى آذربيجان للقيام على تربية ولى العهد مظفر الدين ميرزا الذى كـان يبلـغ آنـذاك إحدى عشرة سنة، وفى تبريز أتم منتخب ديوان شمس المسمى بـ "شمس الحقائق" عام ١٢٨٠ هـ.ق، و"أجمل التواريخ" عام ١٢٨٣ هـ.ق وقام بنشرهما.

أمضى رضا قلى آخر أيامه فى تبريز، وبعد عودته إلى طهران آثر العزلة إلى أن توفى بعد مرض عضال فى يوم الجمعة العاشر من ربيع الآخر عام ١٢٨٨ هـ.ق.

كان رضا قلى خان رجلا طيب السمعة عطوفا حسن الخلق مطلعـا علـى العلوم المتداولة وأمضى عمره فى المطالعة والبحث والتأليف.

ومؤلفاته الأدبية كالتالى:-

ديوان قصائد وغزليات وغير ذلك يضم حوالى ثلاثين ألف بيت ولم يطبـع بعد، عدة منظومات قصيرة وقصة رومانسية تسمى "گلستان ارم" أو "بكتاش نامـه" التى طبعت طبعة حجر فى طهران عام ١٢٧٠ هـ.ق.

وتعبر جميع هذه الأعمال عن موهبته الشعرية وذوقه الأدبى وخاصة تبحره فى فنون الشعر الكلاسيكى، ومع هذا لا يمكن اعتبـاره شـاعرا بمعنـى الكلمـة، فأشعاره جميعها محاكاة لمضامين أشعار الشعراء القدامى، ولا يمكن أن نجد بهـا شيئا من الخصوصية والأصالة، وبشكل إجمالى لم يحتل مكانة مميزة ملفتة للنظـر بين شعراء البلاط القاجارى.

أما أعمال رضا قلى خان العلمية فتتميز بأهميـة خاصـة مـن النـاحيتين التاريخية والأدبية. فمن مؤلفاته "أجمل التواريخ" و"تاريخ مختصر إيـران" اللـذان ألفهما لمظفر الدين شاه. ومن مؤلفاته "روضة الصفاى ناصرى"، وهو كما ذكرنـا تتمة تاريخ ميرخواند، وألفه اعتمادا على مصادر عصر نادر شاه التى كان أغلبهـا مجهولا فى أوروبا، وكان ينقل أحيانا النص الكامل للوثائق والمصادر فى كتابه.

ومجمع الفصحاء عبارة عن تراجم مفصلة عن أحـوال الـشعراء القـدامى والمحدثين وأعمالهم حيث ينقل المؤلف بعد شرح سيرة كل شاعر منهم نماذج مـن أشعارهم على نهج كتاب التذاكر. وقد أتم المؤلف هذا الكتاب فى أخريـات حياتـه وطبع عام ١٢٩٥ هـ.ق فى طهران.

وطبع كتاب "رياض العارفين" فى طهران عام ١٣٠٥ هـ.ق، وهـو تـذكرة لشعراء الصوفية ومتمم لمجمع الفصحاء، ونشر له أيضا عام ١٢٩٥ هـ.ق كتـاب آخر اسمه "رياض المحبين".

أمضى رضا قلى خان وقتا طويلا فى دراسة تاريخ الشعر الفارسى، وفضلا عن مؤلفاته السابقة أعد ديوان الشاعر الدامغانى منوچـهرى للطباعـة. وكـان مضطرا للاستعانة بالمعاجم أثناء مطالعة أشعار الشعراء القدامى، فتتبـع معـانى المفردات القديمة المهجورة أو نادرة الاستخدام وأدراك جيدا أن المعـاجم المتاحـة مليئة بالأخطاء، لذا قرر إعداد معجم تحليلى شامل ومفصل باسـم "أنجمـن آراى ناصرى". وطبع هذا المعجم بعد موته عام ١٢٨٨ هـ.ق، وتولى طباعته ابنه عليقى خان مخبر الدولة الذى عين فى منصب والده بدار الفنـون. ولا يخفـى أن هـذا المعجم لا يرقى إلى مستوى معجم برهان قاطع لمحمد حسين التبريزى من حيـث الدقة والأهمية على الرغم مما بذله المؤلف من جهد لإعداده.

وسنختتم الحديث عن سيرته بما كتبه أحد مـشاهير علـم الإيرانيـات مـن الروس: إن رضا قلى خان واحد من الأدباء وعلماء اللغة الإيرانيين، وكان لـدار الفنون بل أية مؤسسة تعليمية أوروبية أنه تفخر بإدارته ورئاسته لها. (١)

٤- اعتماد السلطنة:

لا نجد بين معلمى دار الفنون الآخرين أحدًا يفوق مديرها العالم رضا قلـى خان فضلا، ولكن خلال بحثنا عن دار الفنون لا يمكننا صرف النظر عـن ذكـر

---

(١) ى. أ. برتلس. تاريخ مختصر أدبيات إيران، لننجراد، ١٩٢٨ م.

شخصية ممن تعلموا فى هذه المؤسسة العلمية لما خلفته من مؤلفات مهمة.

والمقصود محمد حسن خان صنيع الدولة الذى لقب فيما بعد باعتماد السلطنة. والده الحاج على خان مقدم المراغى الملقب بضياء الملك ثم اعتماد السلطنة، وكان من مشاهير آذربيجان ورئيسا للطهاة وحاجبا للدولة فى بلاطى محمد شاه وناصر الدين شاه، كما عمل لفترة واليا على خوزستان ولرستان وتولى لفترة أخرى إما وزارة العدل أو وزارة العمل والأوقاف الإيرانية، وكانت تربطه صلة القرابة بالأسرة القاجارية عن طريق والدته، وهو نفس الشخص الذى كُلِّف بقتل ميرزا تقى خان أمير كبير، ويقال إنه حمل من طهران إلى تبريز الحكم الصادر بقتل الباب.

ولد محمد حسن خان فى ليلة ٢١ شعبان ١٢٥٩ هـ.ق فى طهران. وعمل فى بداية عهد ناصر الدين شاه رئيسا للخدم لدى ولى العهد سلطان محمود. (١)

وعندما أسست دار الفنون عام ١٢٦٨ هـ.ق انضم للدارسين فى تلك المدرسة، ودرس بها لمدة اثنتى عشرة سنة اللغة الفرنسية وتدريبات المشاة. وأنهى فترة الدراسة بدار الفنون بحصوله على الميدالية الذهبية، ولازم بلاط ولى العهد محمد قاسم ميرزا بحصوله على درجة ياور، وبعد وفاة الأخير لازم ميرزا محمد

---

(١) كان أول ولى لعهد ناصر الدين شاه سلطان محمود ميرزا من السيدة شمس الدولة ابنة أحمد على ميزا بن فتحعلى شاه. عين وعمره أربعة شهور وليا للعهد بموجب الفرمان الصادر يوم الجمعة ١٧ ذى القعدة ١٢٦٥هـ.ق، وتوفى فى الخامس والعشرين من جمادى الآخر عام ١٢٦٦ هـ.ق. وثانى ولى لعهد ناصر الدين شاه هو معين الدين ميرزا من السيدة تاج الدولة ولكنه لم يعش أكثر من ست سنوات فمات فى اليوم الثانى من ربيع الأول عام ١٢٧٣ هـ.ق فى نفس الوقت الذى أتى فيه خبر فتح هراة. وظلت إيران لمدة عام دون ولى للعهد إلى أن رزق الشاه بمحمد قاسم ميرزا أمير الجيش من السيدة جبران فروغ السلطنة ابنة محمد على خان التجريشى، فعين وليا للعهد بموجب الفرمان الصادر فى ليلة الاثنين ١٤ ربيع الأول ١٢٧٤ هـ.ق، إلا أنه مات هو الآخر فى الثامن عشر من ذى القعدة من نفس العام. وبعد ذلك لم يعين ناصر الدين شاه وليا للعهد حتى أواخر ذى الحجة عام ١٢٧٨ حيث أصدر قرارا بولاية العهد لمظفر الدين ميرزا.

خان ســپــهسالار. وفى عام ١٢٧٥ هـ.ق حصل على ترقية، وصار قائدا لفرقــة من المشاة وعين قائدا لجيش خوزستان ولرستان ونائبا للحكومة بهما. وفــى عــام ١٢٧٨ هـ.ق رقى إلى درجة كبير الياوران لدى الشاه، وصــار ملحقــا عــسكريا لسفارة إيران فى باريس عام ١٢٨٠ هـ.ق فى الوقت الذى كان يعمل فيه حــسنعلى خان أمير نظام گروسى وزيرا مفوضا فى فرنسا. وأمضى بباريس ثلاث ســنوات ونصف، وعمل على رفع كفاءته العلمية بالتزامن مع تأدية وظيفته، وعــاد عــام ١٢٨٤ هـ.ق إلى إيران، وعين فى مناصب مهمة بالبلاط.

وفى عام ١٢٧٨ هـ.ق تولى إدارة الصحف ثم رأس فى العام التالى المطبعة الحكومية ولجنة الترجمة الملكية ومنح لقب صنيع الدولة. وجعل صحيفة "إيــران" تحل محل صحف "روزنامــۀ دولتى وملتى وعلمى"، وأصــدر عــام ١٢٩١ هـ.ق "سالنامه" أى التقويم الذى يضم التواريخ والأحداث وفى عــام ١٢٩٣ هـ.ق أســس "روزنامــۀ علمى" وفى سنة ١٢٩٥هـ.ق صحيفة "اطلاع " شبه الرسمية، وتــولى رئاسة هذه الصحف. وكلف عام ١٢٩٨ هـ.ق بتأليف "نامــۀ دانشوران". وعين عام ١٢٩٩ هـ.ق عضوا بمجلــس الــشورى الحكــومى وعــام ١٣٠٠ هـ.ق وزيــرا للمطبوعات وظل بتلك الوزارة حتى وفاته. وفى عــام ١٣٠٠ هـ.ق كانــت تطبــع وتنشر تحت رعايته وبخــط ميــرزا رضــا كلهــر صــحيفة "اردوى همــايون" و"مجموعــۀ "سياحتنامــۀ مصور"، المخصصتان لرحلة ناصر الــدين شــاه إلــى خراسان، وفى عامى ١٣٠٣ و ١٣٠٦ هـ.ق انتخب عضوا للجمعية الآسيوية بلندن وباريس، وحصل عام ١٣٠٤ هـ.ق على لقب اعتماد السلطنة.

عاش محمد حسن خان ما يزيد على خمسين عاما، وفضلا عن المناصــب المهمة التى تولاها ظل لمدة خمسة وعشرين عاما يطالع الصحف الأوروبية ويقدم التقارير للشاه عن الأخبار الخارجية إلى أن توفى بالسكتة ليلة الخميس الثامن عشر من شوال ١٣١٣ هـ.ق قبيل حادثة اغتيال ناصر الدين شاه بحوالى شهر، وأُشيع أن ميرزا على أصغر خان أمير السلطان دس له السم.

ويقال إن محمد حسن خان على الرغم من أدبه المفرط وحيائه كان صريحا للغاية ووقحا فى التعبير عن رأيه ونقد الآخرين والأوضاع السائدة. لدرجة أن شخصا مثل مخبر السلطنة هدايت وصفه فى كتاب (خاطرات وخطرات) بأنه رجل بذىء اللسان ضيق الأفق، لا ينطق لسانه بالخير.

ووفقا لقوله فى كتاب "خوابنامه": "كان يتصف بنفس الصفات التى قالها معاوية لابنه سيىء الجبلة يزيد الخبيث فى وصف عبد الله بن الزبير، فهو يفر كالثعلب ويهاجم كالأسد".

مؤلفات اعتماد السلطنة: يبدو أن اعتماد السلطنة قام بتأليف كتبه فى الفترة الأخيرة من حياته. ويعتقد البعض أنه لم يؤلف هذه الكتب بنفسه بل ألفها آخرون ونشرت باسمه لكونه رئيس دار الطباعة ويقول إدوارد براون فى كتابه "مطبوعات وأشعار إيران نو": "لم يكن مطلعا اطلاعا دقيقا على الموضوعات العلمية وفقا لتصريح بعض الشخصيات الموثوق بها، ولكن نظرا لمكانته ومنصبه الرفيع كان يجمع العلماء من كل أرجاء الدولة ويحثهم على التأليف ويشرف على إعداد مؤلفاتهم ثم ينشرها باسمه.

ويعتبره محمد محيط طباطبائى "أعظم مستثمر للعلماء والفضلاء فى عصره"،[1] ويقول الأستاذ محمد القزوينى عن الكتب المنسوبة إليه: "جميعها فى الواقع من تأليف آخرين (باستثناء عمل أو عملين من بينها كتابه "خلسه")، وهذا أمر قائم فى عصرنا بل هو أمر شائع".[2]

وهذه الآراء صائبة إلى حد ما، لأنه من المستبعد أن تكون الكتب والرسائل الكثيرة المنسوبة إليه ثمرة مجهود شخص واحد، وهناك فرض يكاد يكون يقينا وهو أن جماعة من العلماء قد شاركت فى تأليف هذه الكتب سواء بشكل فردى أو

---

(١) مجلة يغما: العام السابع عشر، العدد الثامن، ص١.
(٢) مجلة يادگار: العام الثالث، العدد الثالث.

بشكل جماعى. ويصرح اعتماد السلطنة نفسه فى نهاية الجزء الثالث من "درر التيجان" "جمعت حولى العلماء الأفاضل المتخصصين من كل أمة، وقمت بكفالتهم قدر استطاعتى ولازلت أفعل. وعلى الرغم من أن ما أقدمه لهم من خبز الشعير وملابس صوفية لا تليق بمعاشهم، فإنهم قانعون بى وبهذا الزاد اليسير لأنهم قد فطروا على أن (السمك فى الماء)، ولا يطمعون فى شئ آخر". ومع ذلك كان بلا شك متقنا للغة الفرنسية وباحثا مطلعا يقضى على الدوام أوقاته فى مكتبته حتى منتصف الليل والتى ضمت أربعة آلاف كتاب من الكتب النادرة،[1] كما بذل جهدا كبيرا فى سبيل العلم والمعرفة، فكان ركيزة لكل تلك الأعمال، ولولا جهده وسعيه الدءوب لما أنجزت أغلب هذه المؤلفات. على كل حال أهم مؤلفات اعتماد السطنة أو التى نسبت إليه على النحو التالى:

مرآة البلدان ناصرى (١٢٩٤- ١٢٩٧ هـ.ق):- فى جغرافية إيران وتاريخ مدنها وأقاليمها ويقع فى أربعة مجلدات، وقد رتبت موضوعاته ترتيبا أبجديا.

وفى المجلد الثانى عندما وصل المؤلف إلى كلمة طهران أفرد الحديث عن تاريخ إيران خلال القرن الأخير، وهذا الجزء التاريخى مفصل إلى حد ما حيث يحتل أيضا الجزء الأكبر من المجلد الثالث. والمجلد الرابع من الكتاب يضم قائمة مرتبة ترتيبا أبجديا للأسماء والأعلام.

تاريخ منتظم ناصرى (١٢٩٨- ١٣٠٠ هـ.ق):- وهو كتاب ضخم فى التاريخ العام يقع فى ثلاثة مجلدات، يتناول الأحداث وفقا للترتيب الزمنى، ويتناول الأحداث منذ بداية الهجرة حتى عام ١٣٠٠ هـ.ق.

مطلع الشمس (١٣٠٠- ١٣٠٢ هـ.ق):- فى ذكر محافظة خراسان ويقع فى

---

(١) لقد اشتريت أكثر من أربعة آلاف كتاب بكل اللغات من أوروبا ومصر والقسطنطينية والهند (درر التيجان، خاتمة المجلد ٣).

ثلاثة مجلدات. ويتناول بالتفصيل تاريخ مدنية مشهد وأهم مناطقها الآهلة بالسكان وتراجم المشاهير الذين خرجوا منها وكذلك أشعار شعراء خراسان، وقد استفاد المؤلف من مصادر متعددة أثناء تأليفه لهذا الكتاب.

خيرات حسان (١٣٠٤- ١٣٠٧ هـ.ق) فى تراجم نساء الإسلام الشهيرات، ويحتوى على نماذج من أشعار الشاعرات منهن، ويقع فى ثلاثة مجلدات. وترجم المؤلف هذا الكتاب عن "مشاهير النساء" لمحمد الذهبى الأديب العثمانى الذى عاش فى القرن الثامن الهجرى، وأضاف إليه تراجم العديد من النساء الفضليات العالمات.

المآثر والآثار:- فى شرح وقائع عهد ناصر الدين شاه وتراجم رجالات عصره وعلمائه، وطبع فى طهران عام ١٣٠٦- ١٣٠٧ هـ.ق.

درر التيجان فى أحوال بنى أشكان (١٣٠٨- ١٣١١ هـ.ق):- فى تاريخ الأسرة الأشكانية ومأخوذ عن أقوال المؤرخين فى الشرق والغرب ويقع فى ثلاثة مجلدات.

التدوين فى أحوال جبال الشروين:- عن تاريخ منطقة سواد كوه، وطبع فى طهران عام ١٣١١ هـ.ق[1].

حجة السعادة فى حجة الشهادة:- عن الأحداث المهمة التى وقعت عام ٦١ هـ.ق، وفى شرح استشهاد حضرة الحسين وأصحابه، وطبع عام ١٣١٠ هـ.ق فى تبريز بخط الخطاط ميرزا باقر.

ولاعتماد السلطنة ترجمات تدور حول التراجم والقصص والروايات فضلا

---

(١) يعتبر ميرزا محمد خان القزوينى أن الجزء الأكبر بل كل هذا الكتاب كتبه ميرزا محمد حسين فروغى وآخرون وأن اعتماد السلطنة نسبه إلى نفسه افتراءً (مجلة يادگار: العام الخامس، العدد الثالث، ص ٥٧).

عن المؤلفات سالفة الذكر ومن بينها: شرح خاطرات مادموازل دومونت پانسيه،[1] شرح أحوال كريستف كلمب، سياحتنامة داستان روبنسون سويسى، منطق الوحش بل دوقوق[2] ومسرحية طبيب إجبارى لموليير وغير ذلك.

كما دون مذكراته اليومية خلال الخمس عشرة سنة الأخيرة من حياته، وانتقد أوضاع بلاط ناصر الدين شاه منذ عام ١٢٩٢ حتى ١٣١٣ هـ.ق، ويقع مجموعها فى سبع مخطوطات توجد بمكتبة الروضة الرضوية المقدسة، وقد طبع جزء منها مؤخرا يتناول ثلاث سنوات، وتكمن أهميته فى أنه يفسر الأحداث التاريخية بشكل كبير. [3]

وهناك جزء آخر من المؤلفات المنسوبة إليه بخط المؤلف نفسه ومنها المعاجم؛ وهى من الفارسية للفارسية ومن العربية للفارسية، ومن الفرنسية للفارسية، ومنها أيضا الكلمات المتشابهة بين الفرنسية والفارسية، ومحادثة بالفرنسية والفارسية، والجغرافيا حول العالم.

---

(١) كانت المؤلفة ابنة عم لويس التاسع عشر ومن أميرات البلاط، وتتحدث فى الكتاب عن الوقاحة والعبث والفساد فى بلاط ملوك فرنسا. طبعت الترجمة الفرنسية عام ١٣١٢هـ.ق.

(٢) يدور موضوع الكتاب حول حمار يمنع صاحبه عنه التبن والشعير، ولا يرعاه، ولم يعد له طاولة ولا سرجا وبرغم معاناة الحمار من جراح ظهره والجوع والبرد والحر، يقوم صاحبه المجحف يوميا بوضع الأحمال على ظهره إلى أن تخور قواه، فيرفس الحمار فجأة ويلقى بالأحمال، ويكسر ضلع صاحبه بركلة منه، ويتحرر بذلك من الألم وسوء الطالع... ويقال إن أعداء اعتماد السلطنة أخبروا الشاه أنه أراد بذلك أن يصف حال الإيرانيين ويحرضهم على الثورة ضده، مما أزعج اعتماد السلطنة، فكتب خطابا إلى الشاه وعرض عليه أملاكه ووضع هذا الخطاب فى مظروف وأعطاه لزوجته لتوصله للشاه. فحملت الرسالة بعد وفاته إلى الشاه، واستولى الشاه على أملاكه. وجاء فى فهرس الكتب المطبوعة الذى ألفه خانبابا أن مترجم "كتاب منطق الوحش يا الحمار يحمل أسفارا"- الذى طبع مرتين فى طهران عامى ١٣٠٦ و ١٣٢٢ هـ.ق- هو عبد الحسين ميرزا بن مؤيد الدولة طهماسب ميرزا، ولا أعرف إن كانت هذه الترجمة هى نفسها المنسوبة إلى اعتماد السلطنة أم أن اعتماد السلطنة وعبد الحسين ميرزا قاما بترجمة الكتاب.

(٣) نشر هذا الكتاب تحت عنوان "روزنامة خاطرات اعتماد السلطنة" فى طهران عام ١٣٤٥ هـ.ق وقدم له ايرج افشار وأعد فهارسه.

ولكن لا يوجد عمل نظما أو نثرا يتميز بطابع أدبى محض بين مؤلفات اعتماد السلطنة سوى مسرحية "بقال بازى در حضور: "عرض البقال فى البلاط"التى من المحتمل أن تكون من أعماله. وسوف نتحدث عنها على حدة-، ورسالة "خوابنامه: رسالة الحلم" التى طبعت بعد موته. (١) إلا أن أبحاثه العلمية أو التى تنسب إليه ذات قيمة كبيرة كما ذكرنا برغم من أن اعتماد السلطنة لم يتمتع بقدر ما تمتع به رضا قلى خان من اطلاع واسع. ولكن نتيجة لجهوده التى استمرت أكثر من ربع قرن تقدمت الصحافة والمعارف الإيرانية تقدما كبيرا وأُضيف إلى التراث الثقافى والرصيد العلمى فى إيران أعمال قيمة للغاية.

خوابنامه (رسالة الحُلْم):- ألفت رسالة "خوابنامه يا خواب خلسه: رسالة الحلم أو حلم الغفوة" لاعتماد السلطنة فى أواخر عمره بعد عام ١٣١٠ هـ.ق بالتأكيد كما يتضح من الرسالة نفسها. ولكنه ظل يحتفظ بها فى الخفاء خشية ميرزا على أصغر خان أمين السلطان، إلى أن أهدت زوجته السيدة أشرف خان نسخة منها بعد موته إلى مكتبة الروضة الرضوية المقدسة فضلا عن مؤلفاته الأخرى، ثم طبعت الرسالة فى مشهد.

ويحاكم المؤلف فى هذا الكتاب كافة صدور العصر القاجارى بداية من ميرزا إبراهيم خان كلانتر إلى ميرزا على أصغر خان أمين السلطان، ويرى أن سبب الخراب والانحطاط الذى أصاب إيران فى هذا العهد يرجع إلى أعمالهم وأفعالهم. ومن الواضح أن المؤلف كان مستاءً من عدد من الوزراء ولم يستطع أن يحكم عليهم حكما عادلا.

ومع كل هذا فقد ورد فى هذه الرسالة النقدية مجموعة من الحقائق التاريخية المهمة من وجهة نظر شخص مطلع كان جزءا من الجهاز الحكومى وشاهدا عن قرب وأحيانا مؤثرا فى الأحداث، وتعد هذه الحقائق سندا قيما بالنسبة لأولئك الذين يريدون دراسة تفاصيل الأحداث فى العصر القاجارى وتتبعها.

---

(١) يك پرده از أسرار انحطاط إيران ياخوابنامه مرحوم اعتماد السلطنة": مقدمة محمد شهيد نورانى، وهى عن أحوال المؤلف وتضم قائمة بمؤلفاته، مشهد ١٣٢٤ هـ.ق.

وخلاصة القصة كالتالى:- فى بداية عام ١٣١٠ هـ.ق يسافر ناصر الدين شاه إلى العراق، ويذهب المؤلف فى ركاب الشاه، وعند العودة إلى طهران يحتمى المؤلف من شدة حرارة الطقس بمسجد مهدم، وهو من الأبنية التى شيدها الشاه عباس الصفوى فى مدينة ساوه. ويضع تحت رأسه عددا من الحجارة الموجودة بصحن المسجد، ويسحب العباءة على رأسه ويغمض عينيه، ويرى ويسمع فى نومه أو غفوته أشياءً تشكل موضوع القصة. ووفقا للقصة تتفسخ قبة المقصورة،وينزل من خلالها الملائكة وتنظف صحن المسجد، ويجلس على مقاعد من الذهب ثمانية من كبار الحكام وملوك العجم والترك وهم (كيخسرو الكيانى، دارا الأول، آرشاك مؤسس سلطنة الأشكانيين، أردشير بابكان، خسرو الثانى أنوشيروان، الشاه إسماعيل بهادر، نادر الأدوار والعصور نادر شاه الأفشارى، وآقا محمد خان مؤسس السلطنة القاجارية الخالدة) ووفقا لطلب آقا محمد خان يتم استجواب أحد عشر وزيرا من وزراء العصر القاجارى "ليتضح فى عهد مَنْ مِنْ السلاطين والوزراء الخائنين حل الخراب على إيران".

ولا تبدو نتيجة الاستجواب سيئة حتى عام ١٣٠٥ هـ.ق (تاريخ تولى أمين السلطان)، ويستعرض عشرة من وزراء العصر القاجارى أنسابهم وأعمالهم دون زيادة أو نقصان بداية من الحاج ميرزا إبراهيم خان الشيرازى إلى ميرزا يوسف آشتيانى (مستوفى الممالك)، ويُبَرأ الجميع عدا ميرزا حسين خان سپهالار القزوينى، "الذى لم تصب السلطة القاجارية بالضعف قدر ما أصيبت به فى أيام صدارته" ويُرفعون إلى أعلى عليين وعلى رءووسهم تيجان الفخار.. عندئذ يواصل مؤسس الأسرة القاجارية صاحب الدعوى دعواه ويسأل المحكمة: إذن من المتسبب فى هذا الخراب؟ ومن فعل هذه الأفعال القبيحة؟ قولوا لى من وضيع النسب ذلك الذى حول روضتنا إلى وحل وألقى بأخلاقنا فى هذا اليوم، مَنْ أفسد الأمور، مَنْ جعل النهار معتما، وحول السطوة إلى نكبة والثروة إلى عسرة، وما لقب ذلك الذى بدل السمعة الطيبة بالسمعة السيئة، وما هو اسمه؟

وتستمر المحاكمة. ويسأل كبير الأسرة القاجارية فى استياء وغضب الأتابك ميرزا على أصغر خان "ذلك الشخص الذى جلس على المقعد الحادى عشر وأوصد باب السعادة أمام إيران، والسبب فى هذا البلاء ومصدر سوء الطالع" قائلاً: "يا ضعيف العقل واهى الرأس، يا حاد الطبع عديم الهمة، يا مصدر الندم ومبعث الأسف، أى بلاء أنت أصاب دولتى ومملكتى وأخلافى، وزلزل كيان سلالتى ومكانتها".

ويقر المتهم بذنوبه واحدا بعد الآخر بلسان مخمور وصوت مرتعد ويقدم معلومات مفصلة تحتل تقريبا نصف الكتاب، ويزيح الستار عن مجموعة من الحقائق التاريخية مثل تنافس روسيا وبريطانيا الشديد وتدخلهما فى الشئون الإيرانية وتجديد ادعاء البارون دى رويتر ومنح امتياز البنك الشاهنشاهى لابنه، ومنح امتياز الطريق المُعبد انزلى – طهران وامتياز الملاحة فى ممرات بحر قزوين المائية للروس، وامتياز اللوتارى لملكم خان الأرمنى وقصة امتياز التبغ والفتنة التى نشبت نتيجة لذلك الامتياز وما شابه ذلك، كما يبين أسباب سوء خلق الشاه وصفات بعض المشاهير وأعمالهم مثل ميرزا ملكم خان والسيد جمال الدين الأفغانى وغيرهم.

كُتبت "خوابنامه: رسالة الحلم" بنثر بسيط وتتضمن بعض النماذج الشعرية البديعية البليغة، ولكنها لا تتميز كثيرا من الناحية الأدبية بشكل عام، وتكمن أهميتها فى أنها كُتبت على شكل قصصى على خلاف سائر مؤلفات اعتماد السلطنة التى تميزت بطابعها التاريخى البحت. وأتاح هذا للمؤلف الحرية فى أن يطرح الموضوعات بأسلوب أكثر تفصيلا وشمولا، وأن يعبر عن رأيه فيها بحيث إن المؤلف يعرض للقارئ الأحداث السياسية للقرن الأخير من خلال مطالعته القصة ويوضح الجوانب الخفية من تلك الأحداث.

وللأسف وافت المؤلف المنية ولم تكتمل موضوعات الكتاب.

والآن نستشهد بنموذج من الكتاب لتوضيح أسلوب تحريره وكذلك خصائص

أسلوب اعتماد السلطنة النثرى بشكل عام:-

"..... كانت الحكومة الإيرانية إلى عهد صدارتى[1] كعذراء لم تلمس يد غريب رداء عصمتها. فأردت أن أتخذ خطوات جديدة وأكسى الأمور ثوبا جديدا وفقا للنظم الحديثة. وكان الخطأ الرئيسى يكمن فى قلة درايتى ومعرفتى. كنت قد سمعت عن بعض الأشياء، ولكننى لم أدرك الأمور على نحو صحيح. فالعلم المنقوص والاطلاع غير الكامل يكون دائما كالبناء الواهى سببا للخراب. ولهذا فكل ما فعلته أثناء صدارتى وما فعلته بعدها صار كله سببا للخسارة والأضرار، وأثمرت جميع المقدمات نتائج عكسية. حملت بلطة وبترت جذور الحكومة والأمة الإيرانية. لعنة الله علىَّ لأننى خنت وطنى. أول عمل أو عمل قبيح ارتكبته، إحضار إيلخان فاسد عربيد فاشل ومطرود.

استدعيته من إسطنبول وقدمت له راتبا ضخما من الحكومة، ومنحته حكومة قزوين. ثم استدعيت إلى إيران ملكم المحتال الجاهل الذى لا يملك شيئا سوى الغش والادعاء بعد أن كانت الحكومة والأمة الإيرانية قد استراحتا من شره، فجعلته لفترة مستشارا خاصا لى، ثم أرسلته وزيرا مفوضا إلى لندن، واختلفت لسبب شخصى مع معير الممالك وعملت على تخريب إدارته أى خزانة الدولة وتشييد مصرف فى إيران ومد خط للسكة الحديد.

ولما كان ملكم المحتال الطماع مدركا لأهدافى؛ فقد ساندنى فى مقاصدى بل مفاسدى، فقام رجل يسمى رويتر من أثرياء المصرفيين بإغواء بريطانيا طمعا، وقدم هذا الطماع مبالغ طائلة من المال لى ولملكم ولجميع رجال الحكومة الإيرانية الآخرين فى طهران رشوةً وحصل على امتياز السكة الحديدية. وكانت وثيقة هذا الامتياز تتضمن أيضا إدارة المصرف، وكذلك استخراج المعادن وكل شىء أيضا. و لم يكونوا قد شرعوا فى هذا الأمر بعد، وإذا بى ألمح رغبة الشاه فى زيارة

---

(١) المراد ميرزا حسين خان سپهسالار.

الدول الأوروبية. فهيأت له على وجه السرعة متطلبات هذا الأمر، وكان هدفى من رحلة الشاه شيئين.

أولا أن أصبح معروفا فى الدول الأوروبية وأحصل على اعتماد حقيقى. والآخر أن أُطلع الشاه على مدى ضعف وتخلف دولة إيران مقارنة بالدول الأوروبية وأن يشاهد بعينه هذا الاختلاف.

وعندما تهيأت الأسباب لتلك الرحلة؛ ازدادت سلطتى وعظمتى. ولما كنت رجلا سيئ الطبع وضيع الأصل خسيسا فقد أصابتنى العظمة والسلطة بمنتهى الغرور. وأسأت معاملة الجميع، ومزقت قلوب الناس بتطاول لسانى ونثرت عليها الملح. فما إن وصلت إلى الأراضى الأوروبية أى ميناء حاجى ترخان آذيت خاطر الشاه بسبب موضوع تافه، إلا أن صاحب الجلالة لم يبد شيئا أمامى لقدرته الشديدة على ضبط النفس وشعر الجميع فى أوروبا باستياء شديد.

٥- محمد طاهر ميرزا:-

يعد الأمير محمد طاهر ميرزا[١] بن إسكندر ميرزا سادس أبناء ولى العهد عباس ميرزا من أفضل المترجمين فى هذا العصر. ولد يوم الجمعة ١١ شوال ١٢٥٠ فى تبريز[٢] وكان أميرا فاضلا وأديبا. حثه والده على تحصيل العلوم فتفوق فى علوم الأدب وكلام العرب. ثم درس اللغة الفرنسية فأجادها[٣]

---

(١) والد كفيل الدولة وجد سليمان ميرزا إسكندرى.

(٢) نادر ميرزا: تاريخ تبريز. ولكن أبا القاسم جنتى عطائى ذكر تاريخ ولادته عام ١٢٤١ هـ.ق فى "بنياد نمايش در إيران".

(٣) يقال إنه ذات يوم عندما كان اعتماد السلطنة وزيرا للمطبوعات، طلب ناصر الدين شاه فى مجلسه أن يترجم له خلاصة موضوعات الصحف: ومن باب الاحترام طلب من الشاه أن يعفيه نظرا لوجود (محمد طاهر ميرزا) فى المجلس. فأمسك محمد طاهر ميرزا الصحف متعللا بأنه ليس مترجما، وقرأ على الشاه خلاصة الصحف بعبارات سلسلة لدرجة أن الشاه اعتقد أنه يقرأ الموضوعات من صحيفة فارسية. (كتاب نفت وبحرين يا عباس إسكندرى در خدمت مجلس پانزدهم، تهران، ١٣٣١ ش.).

كما درس أيضا قدرا كافيا من العلوم الرياضية. وبعد انتهائه من الدراسة ذهب إلى مصر، ودرس العلوم الدينية لخمس سنوات فى الجامع الأزهر.

وكان محمد طاهر ميرزا يجالس ميرزا أبى الحسن جلوه وهو من العلماء والصوفية المحبين لإيران، وحظى بتقدير الشاه ووافر احترامه فكان يخاطبه بـ "الحاج ابن العم"، كما كان كبار رجال البلاط يقبلون على محادثته ومجالسته. ولكنه كان كوالده يميل أكثر إلى الهدوء والابتعاد عن الأعمال الحكومية، وأمضى عمره ما بين القراءة والكتابة والترجمة. وأخيرا مات عام ١٣١٦ هـ.ق بالسكتة ودفن فى ابن بابويه.

وقد نقل محمد طاهر ميرزا إلى الفارسية عن الفرنسية أغلب روايات ألكساندر دوما الأب مثل سه تفنگدار،(١) كنت دو مونت كريستو،(٢) ولارن ماركو،(٣) ولوئ چهاردهم وعصرش،(٤) ولورد هوپ،(٥) وأيضا ژيلبلاس لمؤلفها لاساج(٦) والعديد من الكتب الفرنسية الأخرى، كما ألف عدة كتب ومسرحية أو اثنتين.

٦- أمين الدولة:-

هو ميرزا على خان أمين الدولة بن محمد خان مجد الملك سينكى سالف الذكر. ولد فى الثامن عشر من ذى القعدة عام ١٢٥٩ هـ.ق فى طهران. وبعد تلقيه القدر المعتاد من الدراسة فى أحضان والده العالم والمصلح قام بدراسة اللغة

---

(١) يقع فى ثلاثة أجزاء، طهران ١٣١٦ هـ.ق.
(٢) طهران ١٣١٢ هـ.ق.
(٣) طهران ١٣٢٣ هـ.ق.
(٤) تبريز ١٣٢٢ هـ.ق.
(٥) بالإضافة إلى الجزء الثالث من الكونت دى مونت كريستو، طهران ١٣٢٨ هـ.ق.
(٦) ترجم هذا الكتاب أيضا ميرزا حبيب الأصفهانى وحاجى محسن خان مشير الدولة وآخرون، أما ترجمة ميرزا حبيب فهى نفسها التى طبعها باسمه الدكتور محمد خان الكرمانشاهى الشهير بكفرى عام ١٣٢٣ هـ.ق وذلك وفقا لما توصل إليه مجتبى مينوى فى أبحاثه.

الفرنسية والعلوم الحديثة وقرأ مؤلفات الكتاب والعلماء الغربيين.

وعمل كاتبا للديوان فى بداية عهد ناصر الدين شاه وكانت أغلب رسائل الشاه تكتب بقلمه وأسلوبه. وفى عام ١٢٩٠ هـ.ق لقب بأمين الملك وعين وزيرا للرسائل. وفى نفس الوقت تولى إدارة البريد التى لم تنتظم شئونها منذ تأسيسها سوى فى عهد أمير نظام. وبعد عام عين أيضا على دار سك العملة الحكومية وإدارة الدمغة واستفاد ميرزا على خان كثيرا من هذين العملين وعاش حياته مرفها.

وفى عام ١٢٩٥ هـ.ق (١٨٧٨م) توفى ملك إيطاليا فيكتور إيمانويل[١] وخلفه ابنه هومبرت،[٢] فأُوفد ميرزا على خان إلى بلاط إيطاليا من قبل بلاط إيران لتقديم التعازى لوفاة الملك والتهنئة لجلوس الملك الجديد، وأنجز هذه المهمة كما يجب، وبعد عودته من أوروبا كُلف برئاسة مجلس الشورى والقيام بدور الوسيط لتبليغ الأوامر الملكية للمجلس. وفى عام ١٢٩٧ هـ.ق صارت من مهامه أيضا وزارتا الموظفين والأوقاف وكانتا من مهام أبيه.

وفى عام ١٢٩٩ هـ.ق لقب بأمين الدولة، وفى عام ١٣٠٤ هـ.ق اختير رئيسا لمجلس الوزراء ومجلس الشورى، ورافق ناصر الدين شاه فى رحلاته إلى أوروبا.

وبعد عودة ناصر الدين شاه من رحلته الثالثة إلى أوروبا (١٣٠٦ هـ.ق) كلفه بتدوين القانون حيث أبدى ناصر الدين شاه منذ عهد ميرزا حسين خان سپهسالار ميلا للقانون، فأعد كتيبا وصدر مرسوم بتنفيذه ونشرت صحيفة (اختر) البشرى بهذا الخبر ولكن رجال الحاشية حالوا دون تنفيذه.

كما أعد أمين الدولة تنظيمات لتسجيل الوثائق الشرعية والعرفية والتجارية وكان يحدوه الأمل أن تتوقف القضايا المتعلقة بالأملاك والشئون المالية خلال

---

(١) Victor- Emmanuel (١٨٢٥- ١٨٧٨م).
(٢) Humbert (١٨٤٤- ١٩٠٠م).

خمس سنوات تماما إذا ما تم العمل وفقا لهذه التنظيمات. وأثناء صدارة على أصغر خان أمين السلطان عين فى أواسط عام ١٣١٣ هـ.ق مديرا للشئون المالية بولاية آذربيجان، واعتبر هذا الأمر بمثابة إبعاد له. ولما وصل إلى آذربيجان أرسل برقية تلغرافية إلى الحاج ميرزا حسن رشديه الذى كان قد فر إلى القوقاز[١] بعد حملة رجال الدين وإغلاق المدرسة الرشدية؛ واستدعاه إلى تبريز، وأسس بمساعدته مدرسة ابتدائية فخمة وكان يسدد جميع نفقاتها من ماله الخاص.

وعندما جلس مظفر الدين شاه على العرش عزل فى العام الثانى من حكمه أمين السلطان عن الصدارة واستدعى فى أواخر عام ١٣١٤ هـ.ق أمين الدولة إلى طهران وترك بين يديه دفة الأمور لفترة وجيزة، وأمره "ألا يخشى أحدا وأن يسعى فى سبيل تقدم الدولة".

كان أمين الدولة محب ... حير، ولما وصل إلى طهران ر... الشاه يرغب فى إصلاح الأمور[٢] فبذل مساعيه وأسس مدرسة فى طهران بمساعدة رشديه الذى كان قد أحضره معه إلى طهران وتولى دعم هذه المدرسة بنفسه. وسار العمل بالمدرسة على نحو طيب، واصطحب أمين الدولة الشاه إليها، وجمع من الشاه وآخرين مبلغا قدره خمسة وثلاثون ألف تومان لصالح المدرسة، وأسس "انجمن معارف" أى "مجمع المعارف" من أجل متابعة شئون المدرسة ونشر العلوم. ولما كان يعلم أن تدهور الأمور ينبع من عدم وجود قانون فعمل على سن قانون

---

(١) كان الحاج ميرزا حسن من أبناء رجال الدين فى تبريز، ذهب فى شبابه إلى بيروت، وشاهد بها المدارس الابتدائية ودرس مناهج التعليم بها، ولما عاد إلى تبريز قرر تأسيس مدرسة ابتدائية على غرارها. ونفذ هذا الأمر عام ١٣٠٥.... ولكن نتيجة لغضب رجال الدين، تدافع الطلاب ذات يوم على المدرسة وحطموا كافة المقاعد والمناضد، فغادر الحاج ميرزا حسن تبريز بعد تلك الواقعة وذهب إلى مصر والقوقاز (كسروى: تاريخ مشروطه، ج١).

(٢) يقول له الشاه: "لقد صارت مكانة المملكة الإيرانية متأخرة بالنظر إلى متطلبات العصر. ويجب بذل الجهد للوصول إلى مكانة دول الجوار.. ومهما أسرعنا فى خطى الإصلاح سنظل متأخرين لذا يجب ان نعدو لنصل إلى غايتنا".(صحيفة حبل المتين نقلا عن كسروى: تاريخ مشروطه، ج١).

وتقديمه للشاه، وسعى أيضا للحيلولة دون حصول الولاة ورجال البلاط على الرشاوى وارتكابهم المظالم، وتصدى بشدة لخيانة وتجاوزات المسئولين عن الضرائب والموظفين وعمل على تشجيع الصحف والمطبوعات، ووضع خطة لميزانية الدولة واختار ناصر الملك لوزارة المالية، واستقدم عددا من المتخصصين من بلجيكا لإصلاح شئون الجمارك،[1] وفى النهاية قدم لائحة للشاه دون بها "يجب أولا معرفة نفقات الشاه وتحديدها كى يتم تحديد سائر الالتزامات"[2].

وكانت هناك أياد قوية متورطة فى الأمور، ونهض المغرضون من كل صوب لعرقلة الإصلاحات وحاكوا افتراءات وأثاروا الجميع لمناصبته العداء "واعتمل الحقد فى قلوب بعض المقربين من جلالة الشاه وندماء خلوته بسبب عدم تحقيق مآربهم وأغراضهم الفاسدة من قبيل زيادة مخصصاتهم والهبات والإقطاعات الممنوحة لهم، واستسلم البعض الآخر لإغواء أمين السلطان بالوعد والوعيد.. وبذلوا كل ما فى استطاعتهم لدى مظفر الدين شاه دون حياء... وقال حسن محسن خان مشير الدولة الذى يضمر العداء لأمين الدولة لو بقى أمين الدولة لشهر آخر فى منصب الصدارة فسوف تسقط الدولة القاجارية"[3] وصدر عنه هذا القول فى الوقت الذى قدم فيه أمين الدولة اللائحة التى ورد فيها "يجب أولا تحديد مخصصات الشاه الشهرية حتى يمكن إعطاء الآخرين رواتب شهرية محددة".

وواكبت هذه الخلافات فى مجملها معارضة من قبل العلماء ونتج عن ذلك أن شعر الشاه بالقلق والخوف تجاه أمين الدولة فعزله عن الصدارة.

ويقول كسروى: "كل هذا صحيح ولكن كان هناك دافع مهم آخر فى الموضوع عدا ذلك وعدا مساعى وعراقيل أمين السلطان وأتباعه، ولم يكن أمين

---

(١) على الرغم من أن البلجيك أسسوا إدارة على النمط الأوروبى فإنهم (وخاصة نوز) قد ارتكبوا جرائم ضد إيران وتسببوا فى وقوع العديد من الخسائر.

(٢) ناظم الإسلام: تاريخ بيدارى إيرانيان، ص٩.

(٣) ناظم الإسلام: تاريخ بيدارى إيرانيان، ص٩.

الدولة نفسه أيضا مدبرا أو قديرا".[1]

على كل حال فقد خرج أمين الدولة أيضا عام ١٣١٦ هـ.ق من دائرة الحكم بنفس السلاح الذى أسقط ميرزا حسين خان سپهسالار أى الاتهام بالإلحاد وهجوم رجال الدين وفى نهاية هذا العام تمت الموافقة على طلبه وغادر طهران إلى جيلان ولم تمض فترة طويلة حتى غادر إلى مكة عن طريق القوقاز والبحر الأسود، ثم سلك نفس الطريق أثناء عودته إلى الرشت وفى رجب ١٣١٧ هـ.ق توجه إلى "لشت نشا" وعاش هناك فى عزلة وأمضى وقته فى الزراعة والتأليف. وفى تلك الفترة سافر إلى فيينا للعلاج وتوفى بعد عودته فى لشت نشا فى أواخر صفر ١٣٢٢ هـ.ق.

كان أمين الدولة رجلا مستنيرا مصلحا وكانت لديه خطط لمد خطوط السكك الحديدية وإنشاء مصانع للسكر والكبريت وحفر الآبار الارتوازية، وارتبط معنويا برواد التجديد والحرية من أمثال السيد جمال الدين الأفغانى وميرزا حسين خان سپهسالار والشيخ هادى نجم آبادى وطباطبائى وميرزا ملكم خان، ويتضح من مضمون مذكراته أنه كان مفتونا بالديمقراطية والقانون وأسلوب الحياة والعمران فى الدول المتقدمة إلى حد كبير وكان مستاءً بشدة من القلاقل والمظالم وغياب القانون والفقر والجهل فى دولته.

ويقول ميزا عبد الرحيم طالبوف فى أحد خطاباته:–

"... لو كان الحاج أمين الدولة طاب ثراه يريد أن يكتب شيئا، أو يدون ما يعرفه لاستطاع أن يترك عملا رائعا كتذكار له، ولقد ترك ذلك بالفعل ولا يزال موجودا. فليغمره الله برحمته. ومن دواعى الأسف أنه ليس على قيد الحياة الآن،

---

(١) يعتقد كسروى أن هذا الدافع المهم هو معارضة أمين لعقد الاتفاقية الجمركية مع الروس وتنظيم التعريفة الجمركية الجديدة (تاريخ مشروطه، ج١). ويقول مخبر السلطنة أيضا فى "خاطرات وخطرات": "التف حوله حكيم الملك وبصير السلطنة، وأضلاه، واتضح أن أمين الدولة لم يكن ذلك الشخص المنشود".

فلو كان على قيد الحياة لقدم خدمات جليلة لأمته ولأنهى هذه الفتنة الناتجة عن انعدام الرجال.. فوالله كى يظهر رجل مثل المرحوم الحاج أمين الدولة... يجب أن يصبر الزمان طويلا... حتى تلد الطبيعة رجلا مثله وتقوم على تربيته".(١)

تميز أمين الدولة بحسن الخط وكان يكتب الموضوعات بأسلوب سليم وسلسل يتميز بالإيجاز والبلاغة وحسن البيان، وابتكر أسلوبا خاصا فى الكتابة عرف بأسلوب أمين الدولة، وقلد الكثيرون خطه وأسلوبه فى الكتابة.

أمضى أمين الدولة السنوات الأخيرة من حياته فى التأليف وفى عام ١٣٢٠ هـ.ق كتب "سرگذشت سفر مكة" وهو كتاب شيق جدير بالقراءة، وقد طبع مؤخرا بخط المؤلف نفسه بدون تاريخ.(٢)

كما طبعت مؤخرا سيرة أمين الدولة الذاتية فى طهران عن النسخة التى تمتلكها عائلته.(٣) والنسخة الأصلية من هذا الكتاب لا تحمل عنوانا وأطلق عليها الناشر عنوان "خاطرات سياسى أمين الدولة". وهذا الكتاب يعد مرآة لتحزب رجال إيران ودسائسهم وأحقادهم، مثل الكثير من المذكرات الأخرى التى تكتب بأقلام السياسيين، ويمكن للقارئ أن يتعرف من بين السطور على شخصية المؤلف وعلى الأوضاع السياسية فى عصره أيضا.

ويعتقد ناشر الكتاب أن جزءا من هذا الكتاب كُتب بقلم أمين الدولة نفسه وأن البقية كتبت بقلم شخص آخر ربما يكون ابنه محسن خان معين الملك وذلك نظرا لاختلاف أسلوب الكتابة.

وسننقل سطورا من الكتابين على سبيل المثال:-

---

(١) من الخطاب المؤرخ السادس عشر من شعبان ١٣٢٥ هـ.ق، مجلة يغما العام الخامس عشر، العدد الرابع ص١٧٩ (المرسل إليه غير معروف).

(٢) تبدأ هذه المذكرات بيوم الجمعة ١٣ شوال ١٣١٦، وتنتهى بيوم الثلاثاء ١٦ رجب ١٣١٧ هـ.ق وإقامته الجبرية فى لشت نشا.

(٣) خاطرات سياسى ميرزا على خان أمين الدولة، تحت إشراف حافظ فرما نفرمائيان، طهران، ١٣٤١ هـ.ق.

الحاج الشيخ جعفر الترشيزى: [١]

"الحاج الشيخ ذو قامة متوسطة ولحية عريضة طويلة، حليق الشارب، وأضفى سقوط ضواحكه المزيد على لطف أسلوبه وجمال لهجته، وتوجد فى كلامه لكنة خراسانية، ولحسن طبعه تتبع كل جملة من كلامه بسمة أو ضحكة. ويتحدث عن النفقات نظرا لأنه قطع الطريق إلى الحجاز عدة مرات ولكونه إمام صلاة الجماعة فى بلده.

ونظرا لأنه يذهب إلى نجد فهو معروف لدى سكان كربلاء وكاظمين، ويضع عمامة فضفاضة يلفها من أسفل ذقنه إلى أعلى رأسه ويسدلها على نحو أطول من المألوف. ويرتدى ثوبا عربيا مفتوح الصدر وقباءً ذا أكمام وقفطانا ونطاقا عريضا وعباءة تتهدل على أكتافه. وعندما لا يتيسر له دخول الحمام فى أيام السفر ويتوقف عن المواظبة على استخدام الحناء يكسو جذور لحيته قوس قزح متناسق من اللون الأبيض والأصفر والذهبى والأحمر والبنى والأسود، ويضفى عليه جمالا عجيبا. وكان يحكى عن رحلة قام بها منذ عدة سنوات بأنه فى منتصف إحدى الليالى كان مشغولا بالتهجد على الناقة فى الطريق الجبلى، وانزلق من مؤخرة الراحلة، فلم يقطع صلاته، وتخلف عن القافلة.

وأتى فتى من العرب الأذكياء ليرفع الشيخ عن الأرض ويجلسه على ناقة حرون، ولأن الشيخ كان منشغلا بدعاء منتصف الليل فلم يجلس كما ينبغى ولم يتمكن من مقعد الصدق، ثم نهضت الناقة من مكانها فسقط المتهجد على الأرض بشدة لدرجة أن ضلوعه اصطكت بعضها ببعض وانبطح على وجهه، ومن لطف القدر أن سقط خُرج الشيخ معه أيضا على الأرض.

وتكملة الحديث الذى رواه إنه بعد فترة من اللاوعى والإغماء أيقظت

---

(١) تعرف هذا الشخص على أمين الدولة فى السفينة التى كانت تقله فى البحر الأسود، ورافقه حتى مكة والمدينة وصار من ندمائه.

المسكين حرارة الشمس ببلاد العرب بدلا من الدواء حيث كانت تلك الواقعة في الصيف، ولكن ياله من يقظة، فقد نسى إصابته وألمه وجسده المتعب وذقنه بسبب الخوف من الوحدة وحر الصحراء والعطش!

وفى تلك الأثناء يصل رجل عربي أسود، فيهاجمه بسبب الظلمة، وإذا به يرى رجلا غارقا فى التراب والدماء وخُرجا وأشياءً متناثرة، عندها صاح شيخنا فى هذا الوضع البائس بأبيات من مرثية له فمن صفاته الراسخة الامتناع عن اللغو: "يا ملعون الوالدين إن أردت أن تقتلنى فعجل، لأن فى التأخير آفات!". لم يهتز الرجل رغم ما يُعرف عن عرب الصحراء من خشونة الطبع وغلظة القلب، فأخذ يضحك على سباب الشيخ وعلى ذقنه، قائلاً: يا عمى أهذا وقت السباب! ثم تفقد حاله ليريحه، وقال اصبر قليلا حتى أحملك لمنزلى وأهيئ لك العلاج. وذهب وأحضر من بيته وعشيرته ناقة ورجلا آخر، ولف الشيخ المصاب بالعباءة وشد وثاقه بالحبل على جانب من الناقة وعلى الجانب الآخر وضع خُرجه وبعض الحجارة، وبمجرد حل عقال الناقة نهضت بقوة بحيث إن عظام مولانا السليمة قد تهشمت. ولسوء القدر أسفر الأمر عن دك خاصرة الشيخ وقدمه المكسورة، وكُسرت عظمتان أسفل خاصرته واستضافته القبيلة أربعين يوما من أجل الخلود إلى الراحة والتآم عظامه ثم حُمل بعد التماثل للشفاء إلى النجف. والآن بنيته قوية وكأن عظامه قد استقرت مكانها رغم تهشمها وإصابتها.

ماذا تشبه مشيته؟ أتبختر الطاووس ماذا يشبه فى ذهابه وإيابه؟ أغزال شارد

مقدمة كتاب "خاطرات سياسى أمين الدولة":-

باسم الله الطاهر العادل الذى أنار الدنيا بنور العلم، وميز الإنسان عن الحيوان بزينة العقل ليفرق بين الخير والشر بفضل ضياء هذا المصباح السماوى، ويميز ببصيرة المعرفة بين النور والظلمة، ومن الله أفضل السلام على ذلك الرسول العربى وعلى آله وأصحابه الذى هدى البشر العقلاء إلى طريق الفلاح فى

الدنيا، وجعل الدنيا الفانية حياة خالدة، وحمل إلينا من الخالق شريعة مباركة بحيث لو عرفنا تفاصيلها بحق واتبعناها بصدق سننعم بالنجاة فى الآخرة ونتمتع بالنعيم فى الدنيا. والآن أخذ الأجانب عن أحكام هذه الشريعة النهج الذى أصبح سببا لكل دروب السعادة والإقبال فى بلادهم، وهذا دليل صادق بأننا مذنبون، مسلمون اسما ونعبث بالأحكام الإلهية، وحرمنا أنفسنا الرضا عن جهل، وارتكبنا المعاصى.

إننى كفرد من الإيرانيين من نسل الفرس، بفضل من الله ولسعة الاطلاع على الكتب القديمة وقصص الأسلاف ولخبرتى فى شئون الدنيا وزيارتى لكل الدول واطلاعى على كل الشرائع أدركت عظمة وسمو الدين المحمدى واعتنقته عن إيمان به، وسعيت فى هذا المجال سعيا محمودا ولم أعتمد على سماع الروايات، وكلما حققت فى ذلك تقدما ورأيت أكثر وجدت شمس الإسلام الساطعة أكثر إشعاعا، ونبع العلم الأحمدى أكثر اتساعا.

وأسفاه لقد أغلقنا عين العقل	وضقنا ذرعا من السعى الذى لا طائل منه
وسرقت جماعة أخرى الجوهرة	التى خُبئت فى الكنز لنا
وتلك الثروة التى سطوا عليها من منجمنا	زيفوها لسوء فطرتنا

الآن يوم اليقظة، ووقت الوعى لنلتفت إلى أنفسنا للحظة، ونرى الشرك الذى نُصب فى طريقنا. الموابذة (رجال الدين الزرادشتى) الشياطين الآثمون يريدون أن يجعلوا الأخلاف المنكوبين أسرى أغلال الجهل. وفريسة للجمود لكى يخفوا قبحهم فى سوق العميان، ويتلقوا الثناء عليهم لعلمهم من قبل الجهلاء، فهم يفضلون الشمس غارقة فى الطين، والحكماء عاجزين.

واختفت كل أوامر الله الرحيم ورسوله الطاهر التى جاءت لنصرتنا تحت الأذيال الدنسة لهؤلاء الحاقدين، وفتح الحكام أيضا باب البحث عن المتعة والتطاول اقتداءً بهم، وتعدوا بالظلم. وليس لكم عندى سوى كلمة أيها التعساء الذين أسميتم

أنفسكم مسلمين، لقد أودع لدنيا الله جوهرين سماويين وهما الـروح والعقـل كـي نستخدمهما فى سبيل عبادته وطاعته، وهما ليسا على شاكلة الأشياء الدنيوية، كـي يصبحا دليلا ومرشدا لنا فى الحياة الدنيا وندير شئونها على النحو الذى يريـده الله ويأمر به، ونُرسل على قبورنا مدخرا من العبودية للخالق.

ما أعجب الجهل والعناد، فكلاهما جعلا عبيد الله كالكرة لعصا الـصولجان التى يمسك بها الشياطين، فنحن لا نرعاهما، فقد ألقينا بالروح فى قبـضة الحكـام الطغاة وجعلنا العقل ذليلا لسحر الموابذة، ولم نفكر للحظة بمـا حققـه الأجانـب. فجميعهم يتنعمون بالرفاهية والهناء والعمران والرغد، وشئونهم المعيـشية تـسير على نحو سليم، وصناعاتهم متقدمة، رفعوا اسمهم عاليا بين الأمم، ولم يفعلوا شـيئا سوى أنهم لم يسلموا روحهم وعقلهم للشيطان وفقا لما بُعث به من السماء، وبهـذه الوسيلة نهجوا نهج الأحرار.

من الأفضل أن نسرد حكاية دارنا وبيتنا بصدق وبلغـة إيـران المعاصـرة المطعمة بالنوادر العربية والتى تفيد الأطفال الإيرانيين أكثر، وبطريقة أسهل حتـى يدرك القارئ بعين قلبه مَنْ المذنب وأين يجب البحث عن العلاج.

سبب تأليف الكتاب

والغرض من هذا الكتاب بيان مجمل عن أحوال الوطن العزيـز وأحـداث العصر، فـ " إِنَّ الإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ "[1] لنفرق بعين العبرة بين المذنب والمحـسن وبين الخطأ والصواب، ونشخص سبب الألم ونحدد له الدواء لأن العلاج يبدأ بشرح الحالة وأسباب المرض ومعرفة الأعراض، ثم يُحدد العلاج بعـد معرفـة الـسبب والمسبب لتفاقم المرض.

فنتحدث أولا عن موقع إيران. وطننا الذى كان منذ القدم دارا للثقافة ومركزا

---

(١) سورة العصر الآية ٢.

للسياسة ومستقرا للناس ومهدا للمدنية؛ اقتطعت اليوم حدوده الطبيعيـة وتقلـصت دائرة المملكة، فصارت حدوده من الشمال بحر قزوين والقوقـاز وسـواحل بحـر قزوين التى يقطنها التركمان، ومن الجنوب الخليج الفارسى، ومن الشرق أفغانستان وبلوشستان، ومن الغرب أرمينية وكردستان التركية وبعـض الأراضـى التابعـة لروسيا. وكمية المياه قليلة فى الأراضى الإيرانية رغم اتساعها، ولهـذا فالمنـاطق العامرة بها منفصلة بعضها عن بعض، وزراعة هذه الأراضى صعبة إلى حد مـا بسبب قلة الأمطار والحاجة إلى الرى، ولكن يمكننا القول إن هذه المملكـة تعتبـر مملكة غنية بسبب الموارد الطبيعية، وعلى هذا لا يزال رمق مـن هـذه المملكـة الإيرانية باقيا ولم تندثر كلية فى هذا القرن على الرغم مـن أنهـا حُرمـت مـن الإصلاحات وعوامل الرقى مع ظهور المخترعات الأوروبية المبهرة التى صارت ضرورية، وبرغم بقاء طرق المواصلات فى إيران على حالتها القديمة الوعرة مع أن هذه الطرق تعد السبب الأول لرقى العلوم والتجارة وبرغم اجتماع كـل أنـواع الخراب والهلاك التى سيرد تفصيلها ضمن البيانات التاليـة. والإيرانيـون رجـال أذكياء محبون للفنون بناء على ما اتفق عليه سائر الشعوب، ومع أن متون الـسير والتواريخ لا تذكر أحيانا أنهم غيورون ومحافظون على شرف جنسهم مـن تلقـاء أنفسهم، فإنهم يمكن أن يكونوا أفضل سلاح للنصر وراء رئيس أو قائد محنك.

وللاستدلال على هذا المفهوم لا يوجد مثال أوضح من حادثـة علـو شـأن الأفغان وانقراض الدولة الصفوية، حيث تقاطرت على المملكة فئة غريبة وقطعـوا مسافات طويلة حتى وصلوا إلى حاضرة المُلك. وقضوا على أولاد الشيخ (المـراد الشيخ صفى الدين الأردبيلى) على النحو المعلوم للجميع. وكان من الممكن أن يلقى الأهالى الحجارة على تلك الفئة القليلة من الأفغان على مدى خط سـيرهم ولكـنهم دخلوا فى طاعة العدو دون معارضة، واستسلموا دون مقاومة للخصم فى عاصمة الدولة رغم كثرة تعداد السكان وتوفر الظروف الدفاعية، ذلك أن ثقافة الإيرانيين لم يكن من الممكن أن تكون غير ذلك فى ظل دولة السلطان حسين. ولم تمض عـدة

أيام حتى اتخذ نادر قلى خان الأفشارى هذا الشعب نفسه مفتاحا لفتح بــلاد الهنــد وباعثا للفخر فى عصره. ولسنا فى حاجة للكتابة عن العصر الأفــشارى وأحــوال الزندية والأحداث فى عهدهم لأن هذا ليس هدفنا. وكان الغرض من هذا المبحــث التعرف على إيران والإيرانيين على سبيل الإيجاز، فلا يلزم القراء من أهالى هــذا الوطن المزيد من المعرفة فكل شخص أعلم بنفسه.

امتناع ولى العهد عباس ميرزا عن منح وسام:-

ذات مرة أخذ أمير الجيش حسين باشا خان المراغى يروى: إننى كنت قــد أصبت بطلق نارى بينما كنت فى ركاب المرحوم ولــى العهــد عبــاس ميــرزا لمحاصرة قلعة (أمير آباد) ومداهمتها، ورقدت فى خيمتى، وأخذ ولى العهد يطوف بالمعسكر على غرار القادة العظماء ومعه أطباؤه الأوروبيون والإيرانيون بل إنــه كان يتفقد الجرحى من الجنود؛ فأتى خيمتى وسأل عن أحــوالى، وتفقــد الطبيــب والجراح الخاص بولى العهد الجرح الذى كان فى كتفى وطمأننى بأنــه سيــشفى. وجلس عند وسادتى وقال ماذا تريد؟ فقلت بأدب: سلامة ولى العهد. فقال: الوقت لا يناسب المجاملات والتملق. ومنحنى ألف تومان وإقطــاع إحــدى قــرى مراغــة المعروفة والتى كنت قد طلبتها ذات مرة لتهيئة أسباب الرزق لــى. فقلــت: كنــت أطمع فى مزيد من العطاء. فسأكون أكثر امتنانا لو منحتنى وساما من الفضة يتلألأ على صدرى بدلا من هذين الإنعامين. فنهض ولى العهد وقال: لو لم تكن إصابتك فى الظهر لما حزنت، فالخدمة التى قدمتها اليوم تستحق القدر الذى منحتك إياه.

٧- مستشار الدولة:

والآن سنذكر رجلا ذا همة، ورغم أن كتاباته غير جديرة بالقراءة مطلقا من الناحية الأدبية البحتة إلا أنه من الضرورى الاطلاع عليها اطلاعا دقيقا فى ســياق تاريخ مرحلة اليقظة بإيران. وهو ميرزا يوسف خان مستشار الدولة التبريزى الذى يعد من الرواد والأحرار فى عصر ناصر الدين شاه والمؤمنين بنفس الأفكار التــى آمن بها ميرزا حسين خان ســپــهسلار وميرزا ملكم خان ناظم الدولة.

ولد ميرزا يوسف خان ابن التاجر الآذربيجانى الحاج ميرزا كـــاظم مهـــاد مهينى فى مدينة تبريز، تعلم الفارسية والعربية ودرس قدرا من العلوم الـــشرعية، وعمل كاتبا بالقنصلية البريطانية فى تبريز، ثم استقال بعد فترة من العمـــل لـــدى البريطانيين والتحق بوزارة الخارجية. وفى عام ١٢٧٠ عينه ناصــــر الـــدين شـــاه قنصلا فى حاجى ترخان، وظل بها ثمانى سنوات إلى أن استدعى إلى طهران عام ١٢٧٨ هـ.ق، ثم عاد لمنصبه فى حاجى ترخان بعد سبعة شهور مـــن البقـــاء فـــى طهران. وعين عام ١٢٧٩ هـ.ق القائم بأعمال إيران فى بطرسبورج، وعام ١٢٨٠ هـ.ق القنصل العام فى تفليس وظل بها لأربع سنوات. وفى أواخر عام ١٢٨٣ هـ.ق عين القائم بالأعمال فى باريس، فتوجه إلى فرنسا عن طريـــق إســـطنبول، وزار معرض باريس الذى كان قد أقيم ذلك العام (١٨٦٧م). وزار لندن أربـــع مـــرات خلال إقامته فى باريس لثلاث سنوات، "وكان من المؤمنين بنفس الأفكار التى آمن بها ميرزا ملكم خان، وعقد معه اجتماعات سرية وعلنية".(١)

استدعى فى رمضان عام ١٢٨٦هـ.ق إلى طهران وعين مكانه "نظـــر آقـــا يمين السلطنة قائما بأعمال إيران فى باريس وكان نظر آقا أميرا بالجيش.

كان ميرزا يوسف خان صديقا لميرزا حسين خان ســـپـــهسالار ومن نفـــس مشربه، ولكنه أبعد إلى خراسان عام ١٢٩٠ هـ.ق نتيجة لخلاف وقع بينهما، ولـــم تمض فترة طويلة حتى عين نائبا للحكومة بخراسان ثم استدعى بعـــد عـــام إلـــى طهران.

وفى عام ١٢٩٩ هـ.ق عندما عُين ميرزا يحيى خان مشير الدولة القزوينـــى وزيرا للعدل اختاره لمساعدته ولقبه بلقب مستشار الدولة، إلا أنه استقال من وزارة العدل بسبب الرشوة والفساد المنتشر فى الجهاز القضائى. وعندما أخذت صـــحيفة اختر الصادرة فى إسطنبول تنتقد المحاكم، تم توجيه أصابع الاتهام إليه بأنه متورط

---

(١) تاريخ بيدارى إيرانيان: الطبعة ٢، ص١٧٩.

فى نشر هذه الانتقادات وعزل من الخدمة بالحكومة بأمر الشاه، وتم جلده وحُبس لخمسة شهور فى السجن، وبعد عدة شهور من الحبس وأداء العقوبة واعتزال العمل تم العفو عنه وذهب إلى تبريز للعمل كنائب للحكومة عن الشئون الخارجية فى آذربيجان، ويقال إنه ظل فى هذا المنصب حتى وفاته.

كان مستشار الدولة رجلا يقظ القلب مستنيرا وكانت تحدوه الآمال على الدوام فى سبيل رفعة الدولة وإقرار النظام بها. ويقال إنه كان يقول لأصدقائه أثناء إقامته فى تفليس "ماذا كان سيحدث لو عم النظام والاستقرار والعمران فى وطننا العزيز"(١).

وكان من آماله العظيمة مد خطوط السكك الحديدية فى إيران وكان يعتقد أن "السكك الحديدية هى البداية لتهيئة جميع الاحتياجات الأولية للمملكة والدولة".(٢) ومع مد هذه الخطوط ستتبدل أوضاع إيران خلال ثلاث سنوات كليةً "وستتحول إيران إلى روضة"(٣). وإيمانا بهذه الفكرة ألف عام ١٢٨٦ هـ.ق رسالة بعنوان "كتابچۀ بنفش" تدور حول مد السكك الحديدية عبر جميع الأراضى الإيرانية.

يحتل مستشار مكانة رفيعة فى تاريخ نشر فكرة الحرية فى إيران، وقد وضح أسس أفكاره السياسية فى رسالة "يك كلمة" أى "كلمة واحدة" التى ألفها فى باريس عام ١٢٨٧ هـ.ق(٤). وفى هذا الصدد يقول صاحب كتاب "تاريخ بيدارى إيرانيان" إنه شاهد خلال عمله بباريس شيوع النظم والعمران بأوروبا وما تميزت به من ثروة قومية وثقافة وفن مما جعله يشعر بالأسى تجاه إيران، ولما سأل ملكم عن سبب تقدم فرنسا وتخلف إيران، أجابه ملكم قائلا إن "أساس النظام فى فرنسا

---

(١) تاريخ بيدارى إيرانيان ص١٧٩.

(٢) نقلا عن الرسالة المؤرخة فى ٢٤ شوال ١٢٨١ هـ.ق، التى كتبها من تفليس لوزير الشئون الخارجية (نقلا عن فريدون آدميت، فكر آزادى ص١٨٣).

(٣) نقلا عن التقرير الرسمى لمستشار الدولة بتاريخ ٥ رمضان ١٢٨٠ هـ.ق (فكر آزادى ص١٨٣).

(٤) طبع هذا الكتاب عام ١٢٨٧هـ.ق، وطبع مرة أخرى عام ١٣٢٥ هـ.ق فى طهران.

يكمن فى كلمة واحدة، وكل هذا التقدم نتيجة لنفس الكلمة، وتلك الكلمة التى تتدرج تحتها كافة النظم وسبل التقدم، هى القانون".(١)

وهذه هى الموضوعات التى طرحها فى رسالة "يك كلمة" وشرح للإيرانيين مفهوم الحقوق الأساسية للفرد ومعنى الحكومة الشعبية. وربما يكون أول شخص يعتبر الإرادة الشعبية مصدرا لقوة الدولة وأول من يتحدث عن الفصل بين سلطة الحكومة والسلطات الدينية، والمساواة بين المواطن المسلم وغير المسلم فى الحقوق بل إنه قال قول ملكم إن "الشاه والسائل أمام القانون سواء".(٢)

تعد رسالة "يك كلمة" من أوائل الأعمال المنادية بالحرية فى إيران، وكان لها تأثير كبير فى إثارة مشاعر الناس وبث روح اليقظة فيهم. وفى عام ١٣٢٣ هـ.ق عندما أسس "المحفل الماسونى" كانت هذه الرسالة وثيقة سياسية إرشادية لذلك المحفل. (٣)

وهذه الرسالة مقتبسة من مواد الدستور الفرنسى وقد أراد المؤلف أن يجعل تلك المواد مسايرة للشريعة الإسلامية، ولتحقيق هذا الهدف استشهد بالآيات القرآنية والأخبار والأحاديث النبوية والمأثور عن كبار علماء الدين الإسلامى.

تعرف مستشار الدولة على ميرزا فتحعلى آخوندزاده، وتبادل معه الرسائل وأخذ ينهل من فيض هذا الرجل المفكر المستنير. ويقول آخوندزاده فى إحدى رسائله التى كتبها إليه فى أخريات حياته: "بالرغم من الامتثال الظاهرى يوجد عداء خفى بين الشعب والحكومة... فالشعب يكره الحكومة".(٤) ثم يضيف: "فكل ما

---

(١) هذه الكلمة هى "القانون" التى ركز عليها ملكم نفسه، ودارت حولها كافة مقالاته ورسائله وبذل مساعيه فى سبيله.

(٢) فريدون آدميت: فكر آزادى ص١٨٦.

(٣) يقول ناظم الإسلام الكرمانى مؤلف "تاريخ بيدارى إيرانيان" وكان عضوا فى المجمع الماسونى: "كانت نموذجا مفصلا يحتذى بها لعقد المحفل الماسونى، وكانت فى الواقع بمثابة جدول الأعمال الذى يتم السير على منهجه".

(٤) من الرسالة المؤرخة بالثامن والعشرين من مارس عام ١٨٧١م (صفر ١٢٨٨ هـ.ق) والموجهة إلى ميرزا يوسف خان (كليات ميرزا فتحعلى، آخوندزاده، ج٣، باكو ١٩٥٥م).

يفعله الإنسان يكون قابلا للنقد. فالمواربة والمداراة لا تتفقان مع النقد"[١]. وعلى نفس هذا النهج الفكرى أخذ يتحدث مستشار الدولة مدافعا عن أسس الحرية والمساواة والحكم الدستورى خلال الفترة التى شهدت قمة استبداد ناصر الدين شاه حينما كان التفوه بكلمة القانون يعد ذنبا لا يغتفر. ومن جراء الجهر بالقول والنقد العلنى للجهاز القضائى تعرض خلال فترة عمله بالحكومة للتوبيخ والحبس والإبعاد، ولكنه لم يمتنع حتى فى السنوات الأخيرة من حياته عن بذل مساعيه رغم الشيخوخة والوهن.

كتب مستشار الدولة خطابا مطولا إلى ولى العهد مظفر الدين شاه عام ١٣٠٦ هـ.ق أثناء توليه الشئون الخارجية لأذربيجان وسلمه إلى حسنعلى كروسى نائب الحكومة فى تلك الولاية راجيا إياه أن يحمله إليه. وانتقد خلاله الحكومة الاستبدادية وفساد البلاط وطالب بإجراء الإصلاحات فى المملكة وإقامة حكومة دستورية وإطلاق الحريات وتحقيق المساواة، وحذر من أن ولاة إيران إن لم يسعوا بأنفسهم لتأسيس "حكومة دستورية" فسوف تفرضها علينا الأحداث التاريخية.

كانت كلمات مستشار الدولة أكثر مرارة وحدة مما توقعه ميرزا فتحعلى آخوندزاده، وسخر من بلاط ناصر الدين شاه واصفا إياه بأنه معتل، لذا لقى الكاتب نفس المصير الذى لحق بكل الأحرار فى ذلك الزمان، أى أنه حمل من قزوين إلى أذربيجان مكبلا بالأغلال فى مطلع عام ١٣٠٩هـ.ق بأمر من الشاه وحبس فى سجن "ركنيه" مكبلا بالأغلال حبسا انفراديا ولم يُسمح له بمقابلة أحد حتى مساجين قزوين أنفسهم.[٢] ويقال إنه تعرض للإيذاء والإهانة فى السجن، فضرب على رأسه

---

(١) المصدر السابق.

(٢) نعرف من بين المسجونين السياسيين الآخرين فى قزوين شخصين أحدهما الحاج سياح المحلاتى والآخر الحاج ميرزا محمد أحمد الكرمانى، والأخير هو نفس الشخص الذى نقل عنه الحاج ميرزا يحيى دولتى آبادى هذه الجملة "لو بقيت لعشرة أيام فى مدينة واحدة ولم أتسبب فى قيام ثورة بها، يكون طعام تلك المدينة وماؤها محرما علىَّ". ومات بعد عدة سنوات فى محبسه بسجن طهران.

بالرسالة حتى فاضت عيناه بالدمع، ومات بعد عدة سنوات بائسا عام ١٣١٣ هـ.ق.

وها هى سطور من رسالة مستشار الدولة التى كتبها إلى ولى العهد مظفر الدين ميرزا عام ١٣٠٦هـ.ق، ننقلها عن "تاريخ بيدارى إيرانيان":- "بعد المناصب التى توليتها ربما لم يبق من حياة عبدكم المسن أكثر من ثلاثة أو أربعة أيام، فهو يعتبر أن من الواجبات المكلف بها نصرةً للحكومة وولاءً للوطن أن يقدم لتراب قدمكم المقدس آراءه الأخيرة مع خروج آخر أنفاسه، فعندما تشرف هذه الرسالة بالعرض على سيادتكم فسيكون العبد المسن قد ودع العالم الفانى. وأنا على يقين تام أنكم ستشملون برعايتكم واهتمامكم الرسائل غير المغرضة والصادقة فى ولائها للوطن والتى لم تتخذ مطلقا خيانة الشاه والوطن شعارا لها. ولا شك أن الرأى الصادر عن بُعد يكون رأيا صادقا وحقيقيا وسليما. لقد انتخب رب العالمين جلالة الشاه المقدس الأمجد الأعظم -روحنا فداه- لاحتلال مكانة رفيعة ومقام سامق، ومنحه إياه بالفعل، ولكنه ضمن ذلك كلفه بمسئولية مهمة للغاية وعظيمة وهى أن يفتح صدره للآراء فى الأوقات العصيبة!

إن مملكة إيران الواسعة وهى الوطن الأصلى والبيت الحقيقى لشاه الإسلام معرضة للخطر وفقا لآراء كافة السياسيين، ذلك أن التقدم سريع الخطى للدول المجاورة وأفعال وأعمال رجال البلاط الاستبدادية والمفتضحة قد أهدرت قوة إيران التى امتدت لعدة آلاف من السنين، فصارت مصابة بالضعف والعجز وهو الأمر الذى لا يقدر أهالى هذا الوطن على علاجه مطلقا. ولكن الحكماء والسياسيين فى كافة المدن المتحضرة يعتقدون أن رفع الخطر وحل مشاكل إيران يكمن فى كلمتين، حيث يجب التغاضى عن ما مضى من أعمال والبدء فى سن القوانين الجديدة. ومن هذا المنطلق يمكن أن تحظى الحكومة والأمة الإيرانية العريقة بالاحترام لدى الأمم الأجنبية والشعوب المتحضرة وجيرانها من جديد وتستعيد مكانتها السابقة. وهذا الأمر واضح وجلى عند الحكماء واسعى الأفق بحيث إنه لا يحتاج لدليل وبرهان. ومن المحتمل أن تهيئ هذه الوسيلة أسباب رفعة المملكة

بحيث يعتبر فيما بعد العاملون فى الدوائر الحكومية – من الكبير والصغير – أنفسهم مكلفين باتباع أحكام القانون والامتثال لها خلال أفعالهم وأعمالهم الموكلة إليهم، وتتحقق المساواة فى الحقوق لكافة الأهالى والفقراء من كل الطبقات وفى جميع التخصصات، ويتم اتخاذ التدابير اللازمة لإصلاح شئونهم. وإلا فإن البقاء على هذه الحال من أخطاء الوزراء ورجال البلاط يجعل من المحال على أى إنسان أن يستطيع استعادة عظمة وقدرة المملكة الإيرانية العريقة فى هذا الزمان بوسائل الأجداد سواء خارج أو داخل المملكة.

أقسم بتراب قدمكم المقدس الذى هو علاج لعيوننا نحن الإيرانيين أن أولئك الذين يقولون بجرأة إن إدارة الوزارات الحالية لا يوجد بها عيب أو خلل على الإطلاق ولا تحتاج إلى تغيير، فهم لا ينطقون إلا بكلام فارغ، مرير ومرفوض.

فناقصو العقول هؤلاء قد اعتادوا منذ طفولتهم حتى اليوم على نهب أهالى إيران المساكين، وبهذه الوسائل سلبوا شرف الأمة وثروتها ومنحوها خرقة من الحرير وقرطا من الذهب. ويعتبرون أنفسهم على الدوام غير مسئولين عن الحكومة ولا يكترثون لكلام العلماء الساعين إلى تحقيق الخير للدولة والشاه واستقرار النظام بالولايات وراحة الرعية وامتنان الموظفين وتأهب الجيش.

ويدور على الألسنة أن الحكومة الإيرانية تسعى لتنظيم الدوائر الحكومية. ويقول العقلاء إن هذا الإجراء سيفشل دون سن القوانين. يصيح السياسيون وحكماء العصر بصوت مرتفع قائلين طالما أن أهالى إيران من الأمير للفقير يعتبرون القانون تقليدا للأوروبيين وطالما أن تغيير رجال الحكومة منذ القدم فى يد الشخص الأول بالدولة، وطالما أن أعمال رجال الحكومة لإصلاح حال الأهالى والفقراء تتم بلا قانون ولا تواكب التقدم المحير للعقول فى هذا الزمان... لأنهم يعتبرون أن القانون مضر لهم؛ فلن يقدموا على اتخاذ هذه الخطوة ماداموا على قيد الحياة. وفى هذه الحالة يجب أن يتعاملوا مع دول الجوار وتتملكهم نظرة دونية لأنفسهم، لأن هاتيك المربيات الأكثر عطفا من الأمهات وهذه الذئاب المتصفة بالوداعة وحسن

النية وهؤلاء المخربين للديار، ما دامت الدولة تفتقر للقانون، لـــن يتغـــافلوا عـــن مصالحهم وسيطلقون الكثيرْ من القطط لاصطياد فأر واحد، وسيمارسون الألاعيب المختلفة بحجة النهوض بالشئون السياسية والتجارية وسيربطون إحداهما بالأخرى مهما كانت خزانة الدولة عامرة بالأموال قدر ما يملكه البريطانيون ومهما كانـــت المصانع مكتظة بالحرفيين كما عند الفرنسيين ومهما كان الجيش مـــؤهلا وتعـــداده كبيرا كتعداد أهل الصين، ومهما كانت السفن مجهزة حربيا كسفن دول أمريكا.

....إذن يقع على عاتق المسئولين السياسيين وأرباب السلطة أن يتـــصرفوا وفقا لمقتضيات العصر ومتطلباته، وأن يتشاوروا مرة كل أسبوع معا للفصل فـــى الأمور المتعلقة بالدولة والأمة وفقا لمفاد الآية الكريمة "وَشَاوِرْهُمْ فِـــى الأَمْـــرِ".(١) لأنه من البديهى أن الأحكام الإلهية فى كل الأديان واضحة، والحق كالشمس ينيـــر العالم كله ومن المحال إخفاؤه بين أمة من الأمم، وربما يكون العبد المسن (مستشار الدولة) مطلقا على أحكام القرآن المجيد والأحاديث النبوية قدر الكفاية، ويـــرى أن الشريعة الإسلامية المطهرة لا تتعارض مطلقا مع القوانين العادلـــة، فـــلا تـــزال أفكارى مرتبة، وأشعر بأننى أدرك وأعى تماما قبح خيانة الكيان المقـــدس للـــشاه وابنه ولى نعمتى ودينى ومذهبى ووطنى وأبناء وطنى خاصة فى ذلك الوقت الذى حان لى أن أغادر الدنيا للآخرة وأقف فى دار عدالة خالق الكائنات.

إذن أقسم بالله العظيم الجبار من صميم قلبى أننى سأعرض مجريات الأمور فى هذا العصر على سموكم الأقدس الأمجد الأسعد الأسمى روحنـــا فـــداك. فمـــع تقـــدم الأوروبيين غير العادى لن تمضى فترة طويلة حتى تجبر أحوال الإيرانيين فـــى أكثـــر الأوقات صعوبة دولة إيران على أن تصبح من عداد الدول الدستورية، وتنفـــذ مـــواد القانون وفقا لمتطلبات المُلك والمملكة وطبقا للأوضاع والطبائع، وتهـــتم بـــه اهتمامـــا كبيرا، وترفع لواء الوطنية على تلك الممالك الواسعة، وتجمع حوله الأهالى والطوائـــف عن طريق تنفيذ قانون موحد وأحكام عادلة تكفل حرية التعبير والمساواة فى الحقـــوق،

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

ولا تنصت بعد ذلك للغو؛ لأن سير الأمور سينبئ عن المستقبل. لهذا من الواجب والحتمى على سموكم الأجل الأسمى -روحنا فداك- أن تعرضوا على وجدان ملك الإسلام المبارك العرائض الصادقة وتفرقوا بينها وبين ادعاءات رجال البلاط الزائفة، فكافة مساعيهم تهدف إلى تحقيق مصالحهم الزائلة لا إلى صالح السلطنة فى المملكة الإيرانية. ومن الجلى أنه فى المستقبل لن تستطيع أى من الشعوب والأمم المسلمة وغير المسلمة العيش بدون القانون، وإن لم يبادروا بنشر القانون فلن يُتْرَكوا لحالهم وسيُجبرون عليه على النحو الذى حدث فيما يتعلق بموضوع صربيا وغيرها، فالآخرون أجبروا الحكومة العثمانية رغم ما تمتلكه من قوة.

وأقسم ثانية بالله الواحد أن سن القانون لا يتعارض مطلقا مع الشريعة الإسلامية الحقة، ولن يؤدى إلى التفريط فى الدين أو خلل بشئون المسلمين، بل سيحقق الإسلام والمسلمون بواسطة تنفيذ القانون فوائد غير متوقعة، وسيحررهم ويريحهم من تدخل الأجانب وسيعيشون شامخى الرءوس أمام العالم.... (١)

---

(١) ناظم الإسلام: تاريخ بيدارى ايرانيان، ص١٨٦.

الفصل الرابع

مساعى المقيمين خارج الدولة

مقدمة:

كانت البيئة المختنقة والكابتة للحرية فى إيران لا تسمح مطلقا بالحديث عن الحرية والإصلاحات أو الكتابة عنها، وكانت مساعى الأحرار والمستنيرين الإيرانيين محفوفة بالخوف والحذر، ولم تكن وحدها كافية لتحقيق الهدف. فقام بالكتابة ونشر الأفكار والمعتقدات الحديثة الإيرانيون الذين غادروا وطنهم نتيجة الضغوط الداخلية، أو الذين كانوا يعيشون فى الخارج لتأدية مهمة ما. لقد تحدثنا فيما سبق عن عدد من الصحف الفارسية التى كانت تصدر فى مصر وتركيا والهند، والتى أثر كل منها إلى حد ما فى نشر فكرة الحرية. والآن سنذكر الكتاب الذين سعوا من خارج الدولة لإيقاظ المجتمع الإيرانى وتحريره من قيود الظلم والاستبداد والذين كانوا فى الحقيقة رواد الحرية والدستور.

١ – طالبوف:–

ولد عبد الرحيم الشهير بطالبوف عام ١٢٥٠ هـ.ق فى حى "سرخاب" بتبريز لأب فقير يعمل بالنجارة ويدعى "أبو طالب بن عليمراد". غادر تبريز فى السادسة عشر أو السابعة عشر من عمره وذهب إلى تفليس التى كانت آنذاك مركزا للأحرار والثوار، وعمل بها لكسب الرزق كما درس اللغة الروسية وآدابها.

وفى تلك الفترة كان الكثير من المهاجرين الإيرانيين يعيشون فى القوقاز "ومن بينهم رجل يسمى محمد على خان من أسرة الشيبانيين بكاشان يعمل فى مهنة "المقاولات" لمد الطرق بالقوقاز وكان يُطلق على هؤلاء بالروسية كلمة "پدراتچى". واستطاع محمد على خان أن يجمع ثروة كبيرة خلال السنوات التى قضاها فى تفليس وسائر بلاد القوقاز بسعيه وجده. وهناك آثر الزواج، ورزق بولدين أحدهما يسمى أسد خان والآخر فرخ خان كما رزق بفتاة تسمى ماهرخ. وقد تقلد أسد خان

وفرخ خان لاحقا مناصب حكومية رفيعة مثل منصب السفير. وتعرف طالبوف على أولاد محمد على خان نظرا لعمله لديه، وقد ذكر كلا من أسد وماهرخ فيما بعد فى مؤلفاته. وكان عبد الرحيم طالبوف من بين الأشخاص الذين شاركوا محمد على خان، وبعد عدة سنوات جمع ثروة أهلته للعمل بالمقاولات بلا شريك". [1]

وشيئا فشيئا جمع عبد الرحيم الذى اشتهر فيما بعد بالحاج ملا عبد الرحيم طالبوف- ثروة كبيرة، وعُرف لدى حكام روسيا وعلمائها بالأمانة والصدق، وبعد فترة غادر تفليس إلى بلاد القوقاز وأقام فى "تمر خان شوره"[2] مركز حكومة داغستان وعاش حتى أخريات حياته معززا مكرما.

وفى أواسط عهد ناصر الدين شاه بينما نهض الأحرار والمستنيرون الإيرانيون مجاهدين فى الداخل والخارج فى سبيل الحرية والقانون، أخذ طالبوف أيضا فى إيقاظ الشعب عن طريق قلمه؛ فقد كان قد تمتع برصيد من المعرفة عن طريق معرفته باللغة الروسية، وتميز أسلوبه بالسلاسة، وظل يعرفهم بسلبيات الحكم الاستبدادى ويشرح لهم أهمية إقرار الدستور؛ بحيث إن مؤلفاته فى هذا الشأن يمكن تسميتها "أبجدية الحرية".

انتخب أهالى آذربيجان طالبوف نائبا عنهم فى الدورة الأولى للبرلمان تقديرا لخدماته وكتاباته القيمة واعترافا بجهوده، وبالرغم من أنه كتب إلى أحد أصدقائه قبيل بداية الانتخابات أنه "لو انتُخبت سأحضر على الفور"[3] وبرغم أنه قبل التمثيل البرلمانى فى رده على البرقية التى أُرسلت له بعد إجراء الانتخابات ووعد بالذهاب إلى طهران فى شهر صفر (أى بعد ثلاثة شهور أو أربعة)، إلا أنه لم يف بالوعد. وعندما غادر تبريز سبعة من نواب آذربيجان الاثنى عشر متوجهين إلى طهران ذهبوا إلى بادكوبه (فى ذى القعدة ١٣٢٤ هـ.ق)، والتقوا فى باكو مع طالبوف الذى

---

(١) إيرج افشار نقلا عن تقى زاده، مجلة يغما، العام الرابع، العدد الخامس، مرداد ١٣٣٠.
(٢) بونياكسك حاليا.
(٣) ولكنى "أعتقد أن علاقة الإيرانى بالمجلس تشبه تماما حكاية الثور قارع الطبول".

كان قد قدم من "تمر خان شوره" لمقابلتهم، وأخبرهم أنه سيعد عدته ويذهب إلى طهران بعد أن يدبر شئونه.

وتوجد آراء مختلفة حول السبب وراء رفض طالبوف التمثيل البرلماني. يعتقد إسماعيل يكانى أنه لما كانت تربطه صداقة حميمة بالأتابك ميرزا على أصغر خان فلم يأت إلى طهران نظرا لسخط الأحرار وخاصة نواب آذربيجان على الأتابك فى ذلك الوقت، كى لا يشاركهم فى معارضتهم له.(١) ويرى صادق صادق (مستشار الدولة) وتقى زاده أن الشيخوخة والوهن وضعف الإبصار هم السبب وراء عدم حضوره.

ويعتقد البعض أيضا أن تكفير شيوخ ذلك الزمان لطالبوف وتحريم قراءة كتابه مسالك المحسنين من قبل الشيخ فضل الله نورى، السبب وراء رفضه فلم يأت إلى طهران تحسبا للعواقب. وعلى هذا يقول طالبوف فى رسالة مؤرخة بالسادس عشر من شعبان ١٣٢٥ هـ.ق لشخص غير معروف مشيرا إلى هذا الأمر معربا عن حزنه" "إن سيادتك ولفرط عنايتك قد بالغت فى موهبتى كثيرا، ووصفت مؤلفاتى التى لا طائل من ورائها- التى انتشرت فى سوق الأدب بوطننا لغياب سلعة المعارف- بأنها جديرة بالاهتمام، ولقد تأثرت كثيرا بما كتبته ويشهد ربى وضميرى أننى لا أعتبرها جديرة بالثناء أو المدح من قبل الأدباء الإيرانيين الأعزاء ولم أعتبرها كذلك فى يوم من الأيام... فلو أن مؤلفاتى ذات مضمون لما كفرنى الشيوخ الأجلاء، ولو كنت متعلما لكنت أعرف العربية والكتابة بالفارسية، ولقدمت مؤلفات إلى محفل الأدباء، ولكن يعرف الآخرون البحث عن عيوب الغير والابتذال أفضل منى. ولأننى كنت بالخارج ولم أكن أخشى شيئا تحدثت وكتبت

(١) اشتكى طالبوف فى لقائه مع الحاج ميرزا يحيى دولت آبادى فى رمضان عام ١٣٢٧ هـ.ق بمنزله بتمر خان شوره قائلا إن الإيرانيين أساءوا إلىّ واعتبرونى مستبدا وأطلقوا علىَّ "عبد الأعيان"، وأفاد أن أمين السلطان كانت نيته صادقة تجاه الأمة خلال رحلته الأخيرة لإيران ولم يكن يقصد شيئا سوى إقرار الدستور (حيات يحيى، ج٣، طهران، ١٣٣٠ش).

دون مواربة إلى حد ما. والحمد لله لدى إيران الآن متحدثون وكتاب كثيرون كي تنسى العبد الخجل (أى طالبوف)...". (١)

يعتبر أحمد كسروى أن امتناع طالبوف وعدوله عن المجئ إلى طهران ناتج عن أخلاقه وأسلوبه فى التفكير، فقد أخذ بعض الشيوخ فى تكفير طالبوف -كما هى عادتهم- ومنعوا الناس من قراءة كتبه. ويرى أن "هذا الأمر يسيطر على الكثير من الأشخاص الذين يناضلون فى سبيل شيء معين، وعندما يصلون إلى نقطة ما يُحبطون ويتراجعون، وكان طالبوف واحدا منهم...." (٢) ونحن نعتقد أن طالبوف برغم كونه من الأحرار ودعاة التجديد إلا أنه لم يرض كثيرا عن الصراع بين الشاه والبرلمان وتدهور الأوضاع، وأحوال الأحرار وزعماء الأمة؛ وتوقع انفلات زمام الحرية والتسيب الذى عم إيران والأحداث التى وقعت بعد ذلك ونستدل برسالة طالبوف المؤرخة فى سبتمبر ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ.ق) التى كتبها لعلى أكبر دهخدا بعد قصف المجلس (٣) للاطلاع على أسلوب طالبوف فى التفكير:-

"أتمنى أن يعود على وجه السرعة إلى إيران كافة من غادروا الوطن، ويعملوا فى تناغم بدلا من الجدال والتناحر، أى يأكلوا الأشواك ويحملوا الأثقال ويحملوا سفينة الوطن المشرفة على الغرق إلى شاطئ النجاة، ومن البديهى أنه لاشئ ينتظم دون معاناة والعجيب أنهم يتقاتلون فى إيران فى سبيل حرية التعبير، ولكن لا أحد يكترث بآراء الآخرين، فلو أعرب شخص عن رأيه يصبح متهما ومستحقا للقتل، مستبدا، عبدا للأعيان ومتكبرا، ولا أعرف بماذا سيُتهم أيضا. ويطلق هذه المسميات شخص لا يملك ذرة من الطحين فى الأفلاك السبعة، فليس

---

(١) مجلة يغما، العام الخامس عشر العدد الرابع، تير ١٣٤١ ش.
(٢) أحمد كسروى: تاريخ مشروطـة إيران، بخش يكم.
(٣) كان دهخدا آنذاك فى إسطنبول، وكان يرغب فى إحياء ذكرى ميرزا جهانجير خان ونشر صحيفة صور إسرافيل من جديد.

لديه روح ولا علم ولا تجربة ولكنه يملك مسدسا لا غير، على كل حال:

المطـــر الـذى لا يـوجـد خـلاف حـول رقـته

يُنبت شقائق النعمان فى الروضة والحشائش فى الأرض البور

هل تذكر رسالتى التى سألتك فيها أى نوع من الحيوانات تكـون طهـران حيث تلد فى ليلة واحدة مائة وعشرين محفلاً؟!

الخلاصة، سيادتك تعرف الأمور أفضل منى. وكتبى تشهد، أننـى أعـرف إيران منذ خمسين عاما، وقد أتممت الحادية والسبعين من العمر. فأى مجنون فـى الدنيا يشيد بناءً دون معمارى؟ وأى مجنون ذلك الذى يدعو المعمارى للعمـل دون أن يوفر له أدوات البناء؟ وأى مجنون ذلك الذى يعتبر تغيير النظام فى إيران وليد الساعة؟ وأى مجحف ذلك الذى يستطيع فى أقل من خمس سنوات تنظـيم شـئون المملكة التى لا تملك قانونا وأهلها بلا عمل وبلا حياء ومبتلون بالفقر؟ أى رسـول ذلك الذى يستطيع أن يذلل هذه العقبات فى أقل من عشر سنوات ويـشق طريـق الرقى على النحو الذى كان يريده حسين البزاز أو محـسن الخيـاط أو البنـى آدم فلان؟

على كل حال يريد القلم أن يحتد مرة أخرى، وكنت قـد اسـترحت تمامـا بخصوص ما سيحدث فى المستقبل واستقرار الدستور والمجالس المحلية. سـألنى السيد عبد الرحيم فى "شوره" عما يجب فعله؟ فأنا لن أفعل شـيئا لـشهرين. أتـى بالطبع إلى تفليس وقال: ليس من الضرورى تأسيس صحيفة فى بـاريس. لافـى باريس ولا فى إيران؛ فالكلمات الصادقة وحدها لن تصلح الأمور. فمجنون كـل إيرانى يعتبر أن أمته عبارة عن الثلاثة آلاف نـسمة الـذين رأيـتهم، ويظـن أن الإيرانيين يقظون ويدس الحطب أسفل رباطهم المهترئ. نحن لا نعتـرف بوجـود الأكسير سواء عند على عليه السلام وسواء عند معاوية. أنا لا أشك فى القوة التى تتولد من بركة قول كلمة إيرانى وكلمة إيران. اللطيف هنـا، إنـك إذا سـألت أى

إيرانى: إذا زرعت اليوم حبة هل ستصبح سنبلة غـداً!! سيـضحك علـى عقليـة السائل.

لقد دونت رأيى فى رسالة "معنى آزادى" "مفهوم الحرية". كلما وصل عـدد من صحيفة "صور إسرافيل" أقرأه وأكتب عليه تعليقا، وفيما يتعلق بافتتاح البرلمان والمجالس المحلية؛ فلا يوجد أدنى شك فى هذا... فى أمان الله. المخلـص، عبـد الرحيم التبريزى".

وكتب أيضا فى الرسالة التى نشرت فى العدد الثالث والأربعين من صحيفة "انجمن" الصادرة فى تبريز:

"كان الإيرانى حتى تلك اللحظة أسيرا لثور الاستبداد ذى القرنين، ولكـن إن لم يصبح قادرا بعد ذلك على إدارة شئونه سيصير فريسة لثور ذى ألف قرن مـن السفلة. وعندئذ سيضحك المستبدون على سذاجتنا، وسيشمت الأعداء المحيطون بنا. وأقول صراحة أعتقد أن هذه المسألة مؤكدة".

لا توجد لدينا معلومات كثيرة عن حياة طالبوف الخاصة، وما نعلمه أنه كان مسلما متدينا أدى شعائر الحج ومع كل هذا لم يكن مقتنعا على الإطلاق بالخرافات المتعلقة بالدين. وندرك من خلال كتاباته أنه كان رجلا محبـا للبـشرية ووطنيـا، وكان مفرطا فى وطنيته، فيقول فى رسالته إلى يوسف اعتصام الملـك المؤرخـة بالسادس عشر من رمضان عام ١٣٢٦ هـ.ق: "إننى محب للعالم، وأحب بعده تراب تبريز الطاهر. ماذا أفعل فأستاذى لم يعلمنى غير هذا! فكل عمل سـيقدم لتبريـز؛ تستطيعون اعتبارى شريكا فيه وعبدا وخادما وكناسا له".(١)

---

(١) كان طالبوف مفرطا فى وطنيته لدرجة أنه لم يكن يسر للنقد الحقيقى لأوضاع إيران من قبل الصحف وأحرار القوقاز، وكان يعتقد أن على الإيرانى أن يصلح عيوبه بنفسه، ولا يجـوز للآخرين الإساءة إليه بالقول أو النقد. ويقول فى الرسالة التى أرسلها إلى ميرزا جعفر خامنه أى: "لا يجب أن يقبل الإيرانى الغيور أن يهجو رجل مغمور من نخجوان علماءنـا وملكنـا ويسب عادات أجدادنا قولا وكتابة يوميا (يبدو أنه يشير إلى ميرزا جليل مدير صحيفة ملا=

ضعف بصر طالبوف فى أخريات حياته، بحيث إنه كان يضع الورقة عند الكتابة والقراءة على مسافة لا تزيد عن ثلاثة أصابع من عينيه، فاضطر للسفر إلى برلين، وقد واكب سفرة إلى برلين الوقت الذى عمل فيه احتشام السلطنة عليمراد سفيرا لإيران فى ألمانيا (١٩٠٢ أو ١٩٠٣).(١)

توفى طالبوف فى أواخر عام ١٣٢٨ أو بداية عام ١٣٢٩ هـ.ق (٢) فى مقر إقامته "تمر خان شوره". ولم يرزق سوى بابنة تسمى "صونا" تزوجت من مهندس يسمى "عمرأوف".

مؤلفات طالبوف:-

أعمال طالبوف القيمة والنفيسة التى طبع أغلبها على ورق فاخر وبخط جميل فى إسطنبول ومصر والقوقاز وحازت على شهرة واسعة أثناء حياته عبارة:-

١- "سفينـة طالبى يا كتاب أحمد" (السفينة الطالبية أو كتاب أحمد) ويقع فى جزئين، طبع الجزء الأول منه عام ١٣١١ هـ.ق في مطبعة اختر بإسطنبول، وأُهدى الجزء الثانى لميرزا أسد الله خان ناظم الدولة سفير إيران فى إسطنبول وقد وصفه طالبوف بأنه رجل فاضل.

٢- مسالك المحسنين، وهو عن رحلة خيالية، وقد طبع فى القاهرة عام ١٣٢٣هـ.ق طبعة فاخرة مزودة بالصور.

=نصر الدين) فلا يجب أن يتحدث عن عيوب الإيرانيين سوى الإيرانيين أنفسهم وإلا ستمتد لكمة إلى فمه، وهذا الأمر ينطبق على كل الأمد. والكلام ما قل ودل".

(١) ايرج افشار (نقلا عن تقى زاده) مجلة يغما، العام الرابع، العدد الخامس.

(٢) كانت صحيفة شمس الصادرة فى إسطنبول قد كتبت فى العدد الثامن عشر من العام الثالث المؤرخ بالثالث والعشرين من ربيع الآخر ١٣٢٩هـ.ق: "لقد شاهدنا في الأسبوع الماضى أفول نجم ساطع فى سماء الأدب الإيرانى ... بحزن شديد". وبناء على ذلك يعتقد تقى زاده أنه يجب أن يكون قد توفى فى بداية ذلك الشهر.

٣- مسائل الحيات، وقد ألف بعد مسالك المحسنين ويتحدث خلاله المؤلف مع ابنه الخيالى أحمد على غرار السفينة الطالبية عن قضايا متنوعة متعلقة بالسياسة والحقوق والشئون الاجتماعية، طبع هذا الكتاب عام ١٣٢٤ هـ.ق فى مدينة تفليس.

٤- پندنامه ماركوس قيصر روم[١] رسالة نصائح ماركوس قيصر الروم. ونقلها طالبوف للفارسية عن النسخة التى نقلها الأمير (أوروزوف) للروسية عن اللغة اليونانية بدأ طالبوف الترجمة فى ٢٥ شعبان وأتمها فى ١٢ شوال ١٣١٠ هـ.ق، وطُبعت فى مطبعة اختر بإسطنبول.

٥- رسالهٔ فيزيك "رسالة الفيزياء" ألفها بعد رسالة "پندنامه"، وقد طبعت عام ١٣١١ هـ.ق فى إسطنبول وتضم معلومات مبسطة فى الفيزياء.

٦- "نخبهٔ سپهرى" أى "منتخب السماء" وهو خلاصة ناسخ التواريخ، ويتناول السيرة النبوية، طبع لأول مرة عام ١٣١٠ هـ.ق فى إسطنبول، كما طبع أيضا فى طهران عام ١٣٢٢ هـ.ق.

٧- "رسالهٔ هيئت جديدة" "رسالة الفلك الحديثة" وهى ترجمة لكتاب العالم الفرنسى كاميل فلاماريون والذى نقله للفارسية عن الترجمة الروسية لـ "ب. تشاركسون"، وطبعت الرسالة عام ١٣١٢ هـ.ق فى مطبعة اختر بإسطنبول (طُبعت هذه الرسالة بعد ذلك عام ١٣١٢ فى ملحق "گاهنامه" للسيد جلال الدين الطهرانى).

٨- "إيضاحات در خصوص آزادى" أى "توضيحات بشأن الحرية" ألفه فى الفاتح من ذى الحجة عام ١٣٢٤ هـ.ق، وطبع طباعة حجر بأمر مجد الإسلام مدير صحيفة نداء الوطن فى ربيع الآخر ١٣٢٥ هـ.ق بطهران، وهذا الكتاب يعد بحثا

---

(١) ماركوس أوريليوس Marcus Aurelius (١٤١- ١٨٠م) إمبراطور رومانى وفيلسوف رواقى المنهج.

عن مفهوم الحرية، البرلمان وأهميته، واجبات نواب الشعب، قوانين إيران المستقبلية والضرائب والدستور.

٩- "سياست طالبى" أى "السياسة الطالبية" وهو آخر مؤلفات طالبوف، وقد طُبع بعد وفاته، ويشتمل على مقالتين. طبع هذا الكتاب عام ١٣٢٩ هـ.ق فى طهران تحت رعاية الحاج سيد إبراهيم نائب فارس وتحت إشراف ميرزا حبيب الله الشيرازى.

"كتاب أحمد":- إن أعمال طالبوف لا تعد مجرد مؤلفات أو ترجمات سطحية، فالمؤلف مزج حتى فى رسالتى "الفيزياء" و"الفلك" الموضوعات العلمية بالعبارات البديعة المحببة، وبناء على هذا فكل عمل من أعماله جدير بالبحث والدراسة، ولكننا سنتحدث بالتفصيل هنا عن عملين فقط وهما "كتاب أحمد" و"مسالك المحسنين" لما يتميزان به من طابع أدبى.

و"كتاب أحمد يا سفينهٔ طالبى" حوار بين أب وابنه الخيالى حول موضوعات علمية مختلفة. كتب بلغة سهلة يفهمها الأطفال، وفى هذا الكتاب قدم المؤلف المولع بالعلوم والثقافة الأوروبية شرحا للعلوم والمخترعات التى اطلع عليها من خلال الكتب الروسية، فيعرض على أحمد وأمثاله من المسنين فى ذلك الزمان- أى ذلك الجيل الذى كان معاصرا للمؤلف- صور برج إيفل وقاعة الموسيقى فى بناية لندن ذات الواجهة الزجاجية والأهرامات والمومياوات الفرعونية، ويعرفهم بالاكتشافات ونتائج العلوم ومظاهر الحضارة الأوروبية تلك الحضارة "الراسخة والمنصفة المهتمة بالإنسان". ومن ذلك الكهرباء والطاقة البخارية وآلة التصوير ومقياس الحرارة، وطبقات الأرض، وطبقات الجو والبوصلة وعجائب البلدان والأشجار.

وقد وصف بطل القصة بقوله: "ابنى أحمد عمره سبع سنوات... وهو طفل مؤدب محب للعب وعطوف، ورغم صغر سنه يميل دائما لمحادثة الكبار ومجالسة

الرجال... وتبدو عليه موهبة فريدة. يجيب عن كل ما تسأله إياه بـــاتزان. يتحـــدث بهدوء. ويسأل عما لا يفهمه... لو بقيت على قيد الحياة كى أفى بواجب الأبـــوة - وهو تربية الأطفال وتعليمهم لا غير- سيصبح من المشاهير فى عصره".

حقيقة يعتبر أحمد ذكيا للغاية وموهوبا ومحبا للاستطلاع بالنسبة لعمـــره البـــالغ سبع سنوات. فهو ليس طفلا ساذجا تقليديا بل يتصف بصفات رجل عمره ستون ســـنة، وكأنه فيلسوف صغير، فهو عاقل، بعيد النظر ورصين، وذو تجارب كأنه خبر الـــدنيا فجمع معلومات على مدى عمر من المطالعة والاحتكاك. وهذا الفيلـــسوف "الـــصغير" يزيح الستار فى كل لحظة أثناء لعبه الصبيانى عن أسرار الخلق ومعضلات الطبيعـــة، وأحيانا يُعرف أهل المنزل والمحيطين به على شيء مما اكتسبه من معلومات.

والمؤلف نفسه يدرك هذه المسألة ويسعى أحيانا لذكر عبارات لينزل بـــذلك النابغة المطلع على الأسرار والحقائق إلى عقلية طفل عمره سبع سنوات؛ فنادرا ما يتمتع أقران ذلك الطفل بقدرته على الإدراك؛ فيجعل المؤلف الأحاديث بـــين الأب والابن تدور على النسق الطبيعى. فعلى سبيل المثال يقول فى المسامرة الـــسادسة بعد أن يشرح نشاط الميكروبات ومقاومة الجسم لها: "نهض أحمـــد مـــن أمـــامى مستغرقا فى التفكير مندهشا ومضى. شعرت بالندم، فلمـــاذا أحـــدث طفـــلا عـــن موضوع يعجز عن فهمه".

وجاء الحوار بين الأب والابن بأسلوب سلس وبـــسيط ويبـــدأ غالبـــا بتلـــك العبارة: "قال أحمد: سيدى أليس...؟" وبعدها يأخذ الأب بطرف الحديث ويلقى على مسامعه تفاصيل العلوم الروسية على الرغم من كونها لا تناسب إدراك طفل عمره سبع سنوات. يتكون الجزء الأول من كتاب أحمد من ثمانى عشرة مسامرة طُرحت خلالها معلومات عن مفهـــوم العبـــادة والأديـــان واللغـــات والخـــط المـــسمارى والهيروغليفى، والنار والكبريـــت والفـــسفور، والعـــصر الحجـــرى والبرونـــزى والحديث، وشجرة الموز، ومقارنة التقويم الهجرى بـــالميلادى، وفـــن التـــصوير، وقانون الجاذبية، ومدرسة العميان فى باريس، والمسك المستخرج من الغزال فـــى

التبت، وطريقة صناعة الأحبار والأوراق وكيفية انبعاث الضوء من المصابيح وألعاب الورق، وقد مزجت الموضوعات البسيطة المناسبة لفكر الأطفال بالمعتقدات الفلسفية والمعضلات العلمية المتعلقة بخلق العالم ورقى الأمم والمشاعر البهيمية والروح والعقل والعذاب والعقاب وغير ذلك.

وكلما سنحت الفرصة للمؤلف فى "سفينة طالبى" خلال شرح المخترعات والاكتشافات الحديثة يتحدث عن تقدم الأوروبيين وتخلف الإيرانيين ويقدم لأحمد درسا فى الأخلاق والوطنية وينتقد العادات والتقاليد المذمومة والخرافات والأوهام. فعلى سبيل المثال يقول الأب لأحمد: "يمكنك أن تصبح فى المستقبل طبيبا شهيرا، ولكنك لم تطالع بعد كتاب "التحفة" ولم تقرأ كتاب "القانون". فكل من يملك كتاب "التحفة" فى إيران صار طبيبا.

وإذا أهلت نفسك أيضا بقراءة "القانون" ستصبح عندها كبيرا للأطباء. فكل من يريد أن يفتح محلا للجزارة فى شارع ما لا يُسأل عن ذبائحه".(١)

ويقول فى موضع آخر: "كان أحمد مستعدا. قال: سيدى؛ لماذا يقسم هذا الضيف العزيز (بائع الفيروز الخراسانى) كثيراً؟ هو بالتأكيد يكذب. لقد قلت لى كثيرا إن كل من يقسم أثناء كلامه، هو بالطبع كاذب أو غير مؤدب أو جاهل. فقلت إن القسم علامة على الكذب، ولكن القسم يشكل الجزء الأكبر من حديث التجار وأبناء وطننا. والعامة والخاصة مبتلون بهذا الداء.... فالخاصة يقسمون بحياتهم أو حياة أبنائهم أو بموت أحد الجالسين، ويقسم العامة بالله والرسول والأئمة.. لعن الله الجهل. ماذا يمكن أن نفعل، لابد من أن نجتهد حتى تشرق شمس المعرفة فى السماء".(٢) ويقول أيضا فى موضع آخر: "قال أحمد: سيدى، إن محمود ابن جارنا حبيب الله خان لم يذهب للمدرسة، لكنه يرتدى زى عقيد فى الجيش قلت: يا نور عينى، هذه الأمور تطبق فى الدول المجاورة ولكن فى وطننا لا تزال المناصب وراثية. فكل من يموت يخلفه ابنه "يمكن أن تجد أيضا عميدا عمره خمس عشرة

---

(١) المسامرة الخامسة.

(٢) المسامرة الثامنة عشرة.

سنة".[١] ويقول فى موضع آخر: "قلت يا نور عينى، لا زال الوقت مبكرا كى تتعلم. فلو كان معلم محمود قد قطع المراحل التعليمية كالأهالى فى سائر مدارس الأمم على وجه الكرة الأرضية وأدى الامتحان ليصبح معلما، لكان الجهاز التعليمى لدينا مثل الأجهزة التعليمية فى الأمم المتمدنة.

ولو كانت أبجديتنا فى عُشر سهولة الأبجدية عند الآخرين لوافقت أن تذهب للمدرسة للتعلم، ولكن أبجديتنا صعبة للغاية والشئون التعليمية عندنا غير منتظمة بحيث إننى لن أسمح لك بالذهاب إلى المدرسة لثلاث سنوات قادمة".[٢]

الخلاصة يعد كتاب أحمد بمثابة موسوعة علمية مبسطة وسلسلة، أو قصة علمية نافعة تقدم موضوعات ومعلومات قيمة ومفيدة عن الحياة فى شكل حكاية تدور فى نطاق أسرى، ويستفيد أحمد بطل القصة الصغير خلال لعبه مع أخيه محمود وأخته ماهرخ.

وعلى الرغم من أن كتاب أحمد يعد رسالة تعليمية ولا يوجد به متسع للصنعة ورسم المشاهد الأدبية المتنوعة فإنه لا يخلو من العبارات البديعة الرصينة.

مسالك المحسنين:-

يعد مسالك المحسنين قصة أو رحلة خيالية كُتبت محاكاة لقصة "اليوم الأخير للحكيم" لسير همفرى دافى.[٣] وتتناول رحلة جماعة من الشباب إلى جبل دماوند بغرض إنجاز مهمة علمية.

---

(١) المسامرة الرابعة عشرة.

(٢) ج١، المسامرة٢.

(٣) Sir Humphry Dovy (١٧٧٨- ١٨٢٩م): وهو عالم بريطانى وواحد من أعظم علماء الكيمياء على مستوى العالم، سافر عامى ١٨١٤، ١٨١٨م إلى إيطاليا، ودون آراءه حول كيفية نشوء العالم وتركيب الأشياء ومرور الزمان وتقدم الأمم وتخلفها فى كتاب عنوانه "اليوم الأخير للحكيم" ويدور فى شكل حوار بين عدد من الأشخاص. ويذهب رجل متمسك بالأفكار القديمة، كاثوليكى، يؤمن بالأخبار والأحاديث الواردة عن عيسى وذو رؤية تاريخية خاصة لمشاهدة الأطلال الرومانية وبرفقته شخص آخر من نبلاء البريطانيين، ملحد، كثير= الريبة ويؤمن بمبدأ الوراثة والعراقة. وتتولد فى رأس كل منهما أفكار مختلفة نتيجة لرؤية آثار تلك الحضارة العريقة، فيدور بينهما حوار عن التاريخ والفلسفة ويتطرقان إلى الوقت الحاضر، ويستنتج المؤلف أن كل ما تم تحقيقه من تقدم عصرى مقتبس عن الأمم القديمة.
ويحصل فلاماريون خلال إحدى رحلاته على هذا الكتاب الذى كان قد أُلف منذ خمسين عاما، فيترجمه عام ١٨٧٢م وينشره ويكتب له مقدمة تفصيلية، ويعتبره مكملا لأفكاره. ويعد كتاب مسالك المحسنين تقليدا لهذا الكتاب الإنجليزى حيث استبدل طالبوف السياحة فى إيطاليا بالسياحة فى جبل دماوند ومازندران، والأشخاص فى الكتابين لديهما نفس الأفكار تقريبا.
(نقلا عن مقالة رشيد ياسمى باختصار، "مجلة "ايرانشهر" العام الثانى، الأعداد ٥،٦).

ففى يوم الاثنين ١٤ ذى القعدة ١٣٢٠ هـ.ق تكلف الإدارة المظفرية الخيالية وفدا برئاسة محسن بن عبد الله وعضوية مهندسين (مصطفى وحسين) وطبيب (أحمد) ومدرس كيمياء (محمد) بالصعود إلى قمة جبل دماوند ودراسة قمته الجليدية الواقعة فى الناحية الشمالية وقياس ارتفاعها وتقديم معلومات عن الجبل للإدارة، وعمل مسح جغرافى للجبل ورسم خريطة لمعابره، على أن ينجز الوفد مهمته خلال شهرين أو ثلاثة. ويسير رفاق الرحلة مشيا على الأقدام بلا خدم أو دواب. ولا نعلم من أين تبدأ الرحلة ولكن يستنبط بشكل عام أنها قد بدأت من طهران.

وتعد هذه الرحلة الاستكشافية حجة وذريعة كى يستطيع المؤلف من خلالها طرح قضايا أخلاقية واجتماعية وتعليمية مختلفة، ويقدم معلومات فى كل مناسبة على شكل مناظرة بين رفاق الرحلة أو الأشخاص الذين يقابلونهم على طول الطريق، وعلى هذا فهو يشبه كتاب أحمد.

لم يكن المسافرون قد غادروا المدينة بعد وإذا بهم يشاهدون ضجة كبيرة فى السوق، فقد مُدَّ حبل فى وسط السوق، ويتعارك البعض عند الناحية الأخرى حيث مد الحبل. واتضح أن ابنة رئيس العشيرة ستتزوج من ابن عمدة الناحية وأن العروس ستسير من السوق على الرغم من قرب المسافة ومع أن الشارع أقل

ازدحاما من السوق. والسبب أن العروس يجب أن تتحرك فى طريقها ناحية القبلة كى تحمل معها البركة والسعادة والإقبال إلى منزل عريسها. ووفقا للعادة شد رجال العمدة الحبل فى الطريق وطالبوا بدفع الرسوم واختلفوا على تحديد المبلغ فنشبت جلبة وضجة شديدة لدرجة أنها استوقفت المسافرين، ولهذا السبب يدور حديث حول التشاؤم والتفاؤل والاعتقاد فى أيام السعد وأيام النحس والتشاؤم من الكسوف والخسوف، والبراهين السماوية.

وبسبب لقاء المسافرين بدرويش متجول أصابه حماره بركلة فى صدره يُطرح تساؤل "إذا حُمل الحمار والدرويش إلى المحكمة للتقاضى، فأيهما سيكون المذنب".

وفى رباط قوافل الشاه عباس ينزل سيادة المستطاب ذكره الحاج ميرزا... سلمه الله والقادم من خراسان، وعندما يعلم سيادته بمهمة هذا الوفد من الصعود إلى قمة دماوند والحصول على معلومات علمية ورسم خريطة للقمة الجليدية فى الناحية الشمالية من الجبل يتحدث عن "السفينة الطالبية أو كتاب أحمد" الذى ألفه رجل تبريزى مغمور وعن الخرافات الموجودة بذلك الكتاب، وعن كلمة "المدنية" التى تبعث السرور وتحبها الأذن فى حين تخفى وراءها المفاسد. ويدور الحديث أيضا عن العلم والصناعة والقوانين الغربية وضرورة مسايرة القوانين عند الإيرانيين لمتطلبات العصر وتغيير الأبجدية عند الأمم الإسلامية، والمخترع الإيطالى الشاب وجهاز اللاسكى الذى اخترعه وغير ذلك.

وفى قرية "سنور" وبسبب مقابلة العمدة وكاتبه؛ يدور الحديث عن عدم وجود طبيب أو دواء أو دفتر لحصر عدد السكان، وجهل الأهالى، وعند الوصول إلى مضيق "بايقو" ومشاهدة النهر الذى يشقه، والقلعة المشيدة به يتحدث عن أسطورة الحلم الذى رآه الملك الإيرانى قمبيز الثانى وتشييده المعسكر إلى جانب هذا الضيق وحفر الأرض واكتشاف الكنز والألواح المقدسة ونظرية تفوق الأقوى وحكم المنتصر، وفلسفة الصواب والخطأ.

وعلى هذا النحو تطرح موضوعات جذابة ومفيدة في كل مرحلة من مراحل الرحلة مثل السم ومضاد السموم الذى أعده الطبيب كلمنت مستخدما سم الأفاعي للتداوى من لدغتهم، وكذلك يدور الحديث عن الباب الذى كان المرحوم الأمير (ميرزا تقى خان) قد فتحه على العلم ومدارج الرقى ثم أُغلق بعد موته، وعن من سافروا إلى أوروبا وعادوا منها ولم تتم الاستفادة منهم، وقصة قطع أذن رجل في مدينة "سمندر" بأمر الحاكم وفظائع أخرى ارتكبها والثورة التى نشبت نتيجة ما ارتكبه من مظالم وأمثال ذلك.

وفى النهاية يصل الوفد إلى سفح جبل دماوند المغطى بالثلوج ويصعد أعضاء الوفد إلى قمة الجبل، فيستمعون من مهدى الحمال البالغ من العمر أربعين عاما إلى تاريخ مضيق "اژدر" (أى الحية)، وأسطورة حرب ملك الحور "تودوز" مع "شمناز" ملك الشياطين في دماوند تلك الأسطورة التى عمرها ألف وخمسمائة سنة، وفى النهاية ينهى أعضاء الوفد مهمتهم الصعبة ويعودون إلى حيث أتوا.

ولكن عندما يلتقى رئيس الوفد بالوزير ويقدم له تقريرا عن المهمة، وبينما يشرع فى عرض بيانات شفهية، يقطع الوزير كلامه بقوله (أنا أعلم، أنا أعلم) وبقوله له "كان سفير بريطانيا قد طلب منى أن أكلفك بهذه المهمة، إن لم يكن هذا فإن معرفة عرض وطول القمة الجليدية ومعرفة ارتفاع قمة دماوند أمر لا يلزمنا.... علينا أن نهتم أولا بالأرض ثم نهتم بعد ذلك بالسماء...إن السفير البريطانى كان يريد أن يقدم خدمة إلى الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية على نفقتنا وبمجهودكم..... لقد ضقنا ذرعا من جراء تصرفات هاتين الجارتين....لابد للوزراء الإيرانيين أن يكون لديهم ثديان مليئان باللبن فيضعوا ثديا فى فم طفل لسد حاجته، ويضعوا الثانى فى فم الآخر...وتسمع كل يوم فى المجلس، اذهب، وسايرهم، أعطهم كل ما يريدون!".

ورغم كل تلك الأوضاع المتردية يُعرض على القراء فى النهاية مشهد يبعث على الأمل. فجلالة الملك مظفر الدين شاه يحضر فى عربة إلى متنزه ضياء

وبرفقته الصدر الأعظم، ويلقى خطابه التاريخى فى حضور أعضاء المجلس الذين وجهت إليهم الدعوة.

"....أعترف فى حضوركم أنا الشاه الوارث لهذا العرش أن الفوضى قد عمت أرجاء الدولة، والرعية تشكو مما حل بها، لكن لا تصلنى مظلمة، فرجال الدولة غلبت عليهم الخيانة، وعندما كنت وليا للعهد بلغت مرحلة متقدمة من العمر خارج السلطة. ولكن يشهد الله أننى لم أغفل يوما واحدا بعد جلوسى على العرش عن التفكير فى تحقيق السعادة للأمة و نشر الحرية والمساواة. وتحديد الحقوق وتعيين الحدود.... وبحمد الله وفقت اليوم لتحقيق تلك الغاية...أستحلفكم بالدين الإسلامى والله الواحد أن تبذلوا كل الجهد من أجل إرساء قواعد هذا البناء الطيب حتى تقدموا علاجا لأبنائنا الأحباء، فلتطلبوا المدد من الله والأئمة ولكم منى الجزاء. وليعبر كل شخص عن رأيه بحرية، فلا خوف اليوم ولا رهبة.... وقد أتينا عنا الأتابك الأعظم وسيقوم بإبلاغ أوامرنا إلى المجلس.... " الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينا....". (١)

فيقول الحاضرون بصوت مرتفع "تعيش"، ويوقظ ذلك الصوت الحماسى كاتب القصة من النوم، فيجد المنزل معتما ولا وجود لمصباح أو كبريت. أين يذهب فى ظلمة الليل؟ وماذا يفعل؟ فإذا خرج من المنزل، سيعترضه العسكر..... لا شئ أجمل من النوم، فوضع رأسه على الوسادة واستسلم للنوم ثانية، فإلى متى يظل مستيقظا.

ومسالك المحسنين أفضل مؤلفات طالبوف لأسلوب إنشائه البديع، فهو يصف رحلة جماعة من المسافرين الشباب بأسلوب جذاب وواقعى، ويرسم صورة لصفات فئات مختلفة من الناس وأخلاقهم بمنتهى الدقة وعبارات لطيفة ويجعل القارئ يتابع بعض القضايا مع أبطال القصة. ويكتظ الكتاب كما رأينا بحوارات

---

(١) سورة المائدة: الآية٣.

متعلقة بأوضاع الأهالى والمشاكل السارية فى الدولة وكافة الموضوعات الاجتماعية والشائعة. وتشكل هذه الحوارات بلا شك النواة الرئيسية للكتاب من وجهة نظر المؤلف، فكتبها بشغف واهتمام مفرط. واحتل هذا الجزء من الكتاب الذى يشرح تفصيلا أفكار المؤلف مكانة خاصة لدى الناس فى إيران آنذاك بالرغم من أن تلك الأفكار تبدو للقراء المعاصرين عقيمة وبديهية للغاية. فقد كانت تحث الأهالى آنذاك لأول مرة على التأمل والتفكر فى بعض القضايا الموروثة عن أسلافهم والتى كانوا يرونها طبيعية لا يمكن تغييرها بحكم التعود عليها. وكانت تلك الآراء تؤكد على أن الوضع القائم لا يمكن مطلقا أن يكون هو الوضع المنشود من الحياة وأن الكثير من الأخلاق والعادات والتقاليد من الممكن أن تتغير، ومن الضرورى طوعا أو كرها مسايرة المتطلبات المعيشية المتغيرة على الدوام.

ورسم المؤلف فى هذا الكتاب صورا بديعة وجذابة للمناظر الطبيعية بأسلوب سلسل ودقيق، وإذا تغاضينا عن بعض الأخطاء –مثلما وصف ناحية من جبال البرز بأنها كثيفة الأشجار– فيجب أن نعتبر الكتاب أفضل رواية بين أوائل الروايات التى كتبت بالأسلوب الفارسى الحديث.

لم يكن طالبوف متبحرا فى اللغة الفارسية وآدابها ولم يدرسها دراسة وافية، ولكنه استطاع أن يبتكر أسلوبا جديدا ويفتح بابا جديدا فى الأدب الفارسى نتيجة مطالعته الواسعة واطلاعه على الأوضاع العالمية من خلال اللغة الروسية وآدابها ولما تمتع به من موهبة فطرية وفى ظل أسلوبه السلس غير المتكلف؛ بحيث إنه يجب أن نعتبره واحدا ممن أرسوا أسس النثر الفارسى الحديث. ويقول فى الرسالة التى كتبها إلى ميرزا يوسف خان اعتصام الملك فى السادس عشر من رمضان عام ١٣١٦هـ.ق:-

"..... إننى أعرف اللغة الروسية، ولا أعرف الفرنسية، وأكتب الروسية بخط ردئ، كما أن خطى فى اللغة الفارسية لا يوصف. لا أعرف شيئا من العربية، أعرف الفارسية على النحو الذى يعرف به العرب الفرنسية. وبرغم ذلك

فقد تركت بعض الأعمال المتواضعة كتذكار لى نتيجة كثرة المطالعة والمداومة عليها؛ كى يُكملها أخلافى ويطلقوا علىَّ "مهندس الأسلوب الحديث".(١)

أسلوب طالبوف سلس غير متكلف رصين وفصيح. ومن العجيب أنه استطاع أن يكتب الفارسية بذلك الأسلوب السلس بالرغم من أنه أذربيجانى تركى اللغة أمضى حياته فى روسيا بعيدا عن البيئة الإيرانية.

ومع كل ذلك يجب القول إن هناك بعض المآخذ على نثر طالبوف، ويلاحظ قصور فى اختياره الكلمات والتراكيب على النحو السائد فى اللغة الفارسية لدى العلماء المتحدثين بالتركية فى إيران،(٢) كما أن السهو والأخطاء الإنشائية غير قليلة فى كتاباته،(٣) كما نقل أسماء ومصطلحات علمية أجنبية عن الروسية والتركية ولم يكن لها مقابل فى الفارسية نظرا لإجادته اللغتين المذكورتين، ولم ينقلها عن الألفاظ الفرنسية التى كانت شائعة فى إيران فى ذلك العصر، كما كتبها بإملاء يبدو اليوم غريبا.

ولكن علينا أن نأخذ فى الاعتبار أن اللغة الأم لطالبوف هى التركية الآذرية وأنه كان يعيش لفترة طويلة خارج إيران متحدثا بالفارسية، فضلا عن أن النثر

---

(١) أحمد كسروى: تاريخ مشروطة إيران، ج١.

(٢) مثل "جاموش" التركية بدلا من ("گاوميش" بمعنى جاموس) و"خوخجى" التركية بدلا من ("لولو" بمعنى العفريت) أو عبارة مثل "خيال نمو دم كه اين چه مى فهمد وچرا اين قدر نظرت حيرت آميز مى كند وشكسته نمى خورد. بدلا من ("نمى شكند تا بخورد" بمعنى "تصورت ما يفكر فيه، ولماذا ينظر بحيرة إلى هذه الدرجة ولا يكسر (الخبز) ليأكل")، وكذلك مثل "توسط أحمد قبول غودم". بدلا من ("وساطت أحمد قبول نمودم" بمعنى قبلت وساطة أحمد)، ومثل "اورانمى دانم" بدلا من ("آن رانمى دانم" بمعنى لا أعرفه) ومثل "سر ديگ چرا وقت جوشيدن برجسته مى ريزد" بدلا من ("ديگ چرا وقت جوشيدن سرمى رود" بمعنى لماذا يفوز ما بالإناء عند الغليان) وكذلك "اين امروزها از سيصد مثقال كوچك نمى شود". بدلا من ("كوچكتر/ سبكتر" بمعنى "لا تقل هذه الأيام عن ثلاثمائة مثقال").

(٣) مثل "عيوبات" و "امورات" و"ارذل ترين" و"استقلاليت" واستخدام كلمة "همينكه" بدلا من "جزاينكه" أو "اما"، و"گهواره نشستن" فيما يتعلق بأحمد البالغ من العمر سبع سنوات، والواضح أن قصده" تاب نشستن وتاب بازى كرد ن است". أى القدرة على الجلوس والقدرة على اللعب.

الأدبى خاصة فى المجالات العلمية فى عصره كان يتصف بالحداثة فى إيران نفسها، ولم يكن للكلمات والمصطلحات العلمية الأجنبية مرادف فى اللغة الفارسية. وبالنظر إلى هذه المعطيات إذا قارنا بين أعماله ومؤلفات المعاصرين له بل والكثير من المعاصرين لنا سوف ندرك بوضوح مكانتها الأدبية الرفيعة، خاصة أن ترجمات طالبوف تتميز فى الغالب بالبساطة والوضوح وسهولة الفهم. فعلى سبيل المثال يستخدم أخلافه "ترشيدن وپوسيدن" بدلا من "تخمر وتفسح" (بمعنى التخمر والتحلل) وبدلا من القول "هوا اشباع شده يانشده" (بمعنى الهواء المشبع أو غير المشبع) يقولون "هوا سير شده" أى (أى الهواء الشبعان) كما أن المؤلف أدخل الكثير من التعبيرات اللطيفة لبيان المظاهر العلمية الغربية نظرا لولعه بالمدينة والتقدم الحديث بالعالم، ومن هذا يسمى أسطوانة الجرامافون "اللوح المحفوظ" ويسمى الموتور" أم الأسباب".(١)

وها هى عدة نماذج من أعمال طالبوف:-

من مسالك المحسنين:-

● "فتحت الخطاب الثالث. يقول: يا محسن قد أتاك المسئ. لا زلت عاطلا ومن حياتى ضائقا. لقد ولى عهد الرجال وفقا لقول المرحوم قائم مقام "مضى زمن والناس يستشفعون بى" واليوم زمن السفلة.

ما ضرورة الإحساس والكفاءة، فلتُحْضِر الذهب لذلك الرجيل. أسود البشرة بديع الجمال؛ الذى تعرفه، فقد حصل على منصب أمير فى الجيش. من الذى

---

(١) مثل "يفير" ("اتر" بمعنى الأثير) و"آلكاغول" ("آلكل" بمعنى الكحل) و"باتسل" ("باسيل" بمعنى بكتريا عصوية الشكل) و"پرافسير" (پرفسور) و"خلر" ("كلر" بمعنى غاز الكلور) و"ماكنه" (ماشين) و"واغون" ("واگن" بمعنى قطار) و"پوچط" ("پست" بمعنى البريد) و"اسوچ" (سوئد" أى السويد) و "نورويچ" ("تروژ" أى النرويج) و"گمناستك" ("ژيمناستيك" بمعنى التربية البدنية) و "بالجق" ("بلژيك" أى بلجيكا) و"چيگائو ("شيكاگو" أى شيكاغو) و"تلغرام" ("تلگرام" أى تلغراف) و "شاق لاد" أو "شغالاد" ("شكلات" بمعنى شيكولاته) و "قوة الكتير" ("الكتريسته" أى الكهرباء)، "سموار" ("سماور" بمعنى غلاية) و "قرال" بدلا من (شاه).

يستطيع أن ينكر أن رجالنا يتم تقديرهم؟ أتعلم كم سهر من الليالى؟ فمن طلب العلى سهر الليالى ستقول لى إن أمير الجيش فى إيران ليس لديه جيش، فهو كالحضيض بلا قمة، أو السراب بلا موج، فالمتلقى مظلوم لا المُعطى. نعم إن قياسى لا أساس له فى تحديد من الأحمق البائع أم المشترى!! وبعد ذلك أنا مستعد لتدارك ما مضى. المخلص لكم عبد الله(١).

● ابن عمى الحبيب، ألتمس لديك العذر لتأخرى فى الكتابة لك ولكن عفوك يعشق ذنوبى. لم أكن أجد وقتا منذ فترة للأكل والنوم وهما من أسباب الحياة، ولا وقتا للهلاك والموت وهما باعث لتحرر الروح من أيدى رجال الدين المحرومين من الفيوض.

لقد تحررت منذ ثلاثة أيام من قيد البلاء واسترحت. وأدركت الآن كيف يتقطر لبن الأم من أنف رجل مسن عمره سبعون عاما!! نجوت من يد ذلك السيد الشرير أى نائب الصدارة (وهو نائب وزير العدل فى عهد ناصر الدين شاه) شديد القسوة أى اليد اليسرى لسيادة حامى الشريعة، فكل ما فعله معى يتسم بالوقاحة!... أقنع ورثة الحاج محرم القاضى بأخذ البقرة وكسر المصباح، وحددوا العشر للسيد أى ثلاثة آلاف تومان، لم يبق شئ فى وضوح النهار من ممتلكاتى التى بلغت من القدم مائة عام كى يسلبونى إياها...أحضرت ألف واسطة، وتوسلت للسيد كى يوافق –مراعاةً لصداقته بوالدى– على أن يشترى أملاكى بعشرة آلاف تومان رغم أن قيمتها تبلغ خمسين ألف تومان وأن يتفاهم مع المدعين بنفسه...سيذهب جزء كبير من هذا الذهب القليل هباءً للحاج ميرزا جليل؛ اليد اليمنى للسيد مهلك الملاك. ومن المعلوم أن جزءا تافها سيتبقى لصاحبه..ارتفعت قيمة الأملاك عشرة أضعافها، صار القمح يعادل فى قيمته دم البشر، ونزلت من سماء الاحتكار أوراد جديدة لعبيد القمح "اللهم ارزقنا قزية واسعة ومزرعة تاسعة".... إلخ، رحم الله الحاج ميرزا عبد الرحيم التبريزى فقد كتب فى كتابه "كاشف الأسرار" عن القحط

---

(١) مسالك المحسنين ص ١٣٨.

الذى حدث عام ١٢٨٨ وقال: أين المحتكرون ذوو النفوذ فى إيران من الدين والإيمان؟..... "فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا "(١).. فى رأيى أن القمح أخرج آدم من الجنة كى يذهب الإنسان إلى جهنم....".

من مسائل الحياة:-

● "سألنى أحمد- أمازلت منشغلا بالكتابة؟ لماذا تضيع عمرك رغم الشيخوخة وتلك الأمراض المتعددة والوهن الشديد وضعف الإبصار؟ فلو أن الناس قد سمعوا وقرأوا كل ما قلتة وكتبته حتى الآن لكفى هذا لإيقاظ كل غافل وإفاقة كل ثمل وتأديب كل وقح وتعليم كل جاهل وتلقين العدل لكل ظالم مهما كان.

أترى؛ إن قطرات المطر لا تؤثر فى القلب الإيرانى الذى صار كالجماد مثلما لا تؤثر على الحجر الصوان، وسمعت منهم اتهاما بالجنون وضعف الإيمان بدلا من كلمات الرضا والاقتناع.

إن ما تفعله هذا ظلم لنفسك وللمقربين لك. منذ عدة أيام كان الناس يتبادلون كتابك "الفلك" فى أحد المجالس، فوصف واحد غلافه وآخر خطه وثالث أطرى على الرسومات الموجودة به. وقال واحد من ذوى السلطة بأسلوب متكبر -وهو الأسلوب المتوارث والمحبب لدى متصدرى المجالس الأدعياء:- لقد سمعت أن مؤلف هذه الافتراءات ذو مكانة وثروة؛ ولكنهم يقولون إنه مجنون، فكل ما يقوله ويكتبه ليس إلا عن الإصلاح، ألا يسأله أحد ويقول له يا عبد الله ماذا حدث لوطننا وما العيب فيه مع ما ينعم به من فاكهة الجنة وما يفوح به من رائحة الخبز، الذى لا يوجد فى أى مكان، إذن ماذا حدث وما العيب الذى صار من الضرورى إصلاحه؟ قال أحد الجالسين: لقد قابلته، لا يمكننى القول إنه مجنون، فالمسكين معقد، ومصاب بحب الذات. لا يُحب فى إيران إنسانا أو طبقة من الطبقات. حدثته عن الحكومة فقال هى بلا قانون وتعمها الفوضى، سألته عن الحكام أجاب: ظالمون

---

(١) الأحزاب الآية ٧٢.

جبارون مرتشون، حدثته عن المتعلمين قال يجيدون رسم دائرة الميم والنون ولكن لا يعرفون الهندسة ولم يدرسوا الحساب، سألته عن طلاب المدارس قال: لقد تعرفوا جيدا على "يغما"(١) سألته عن العلماء أجاب: أولئك المقيمون في العتبات ليس لديهم الحرص والطمع ولا تعنيهم الرفاهية في شيء، ويفضلون تناول الخبز والبصل على الدجاج، وهم آباؤنا الروحيون وطاعتهم واجبة لأنهم في مقام الأئمة... لكن أغلب أولئك الموجودين في إيران، إقطاعيون محتكرون يحبون الفتن وغوغاء السفلة، وينحنون تعظيما للنعال، ويبلغ دخل أملاكهم من ثلاثين ألف إلى خمسين ألف تومان سنويا... سألته عن التجار أجاب هم فجار، ولا تعود منهم فائدة على المملكة والأمة سوى أنهم يروجون للسلع الأجنبية ويحتكرون الغلال.

ودار الحديث ذات يوم عن ملابس النساء فقال: لقد جعل الإيراني قِصر ملابس النساء مقياسا صحيحا لحميته وشعوره.... أُقسم إنني سمعت كل هذا الكلام مباشرة من مترجم هذا الكتاب الحاج ميرزا عبد الرحيم التبريزي وفي منزله في "تمرخان شورا". فلتحكموا الآن هل هو معقد أم مجنون. تنهد أحمد بعد نقله لهذه الأخبار وقال: إن ما قلته يكفي كي تعرف أن كل ما تجشمته من متاعب في سبيل هذه الأمة الجاهلة قد ضاع هباءً...

كنت أستمع إلى أحمد وأنا أكثر إحباطا منه، فلماذا يظن أن رأي الآخرين يجبرنا على ترك العمل أو مواصلته، ولماذا نسي حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولماذا لا يدرك أن الطريق يكون صعبا ووعرا في البداية. أردت أن أرده إلى الصواب فسألته: أكان ما قاله عني أولئك الجهلاء حقا أم باطلا، هل كان مدحا أم قدحا؟

فأجاب: كان باطلا وهو مدح في الواقع. فقلت: إذن ماذا يكون الفرق بيني وبين أولئك الجهلاء لو أنني امتنعت عن مواصلة عملي من أجل حفنة أشخاص

---

(١)المقصود الشاعر يغماي جندقي من شعراء العصر القاجاري.

يتصفون بسوء الظن ويبحثون عن عيوب الناس، وصرت لا أتكلم ولا أكتب عما أعرفه؟ كنت أتحدث حتى اليوم فى مواربة، والآن سأتحدث علانية وأنا فخور بما أقول. فالوطن معشوقى، والوطن معبودى؛ لأن المعبود الحقيقى لا يحتاج إلى مدح عباده ولكن الوطن محتاج لإطراء أبنائه.

من "إيضاحات در خصوصى آزادى" (توضيحات بشأن الحرية):

● "هل معنى الحرية أن يفعل كل شخص ما يحلو له، ويغير قطاع الطرق على القوافل، ويسلب المارقون كل ما يريدونه، ويتطاول الأشرار فيقتلون، وينهبون، ويكتب كل جاهل كل ما يحلوله من اتهامات وافتراءات، ويتجمع السفلة للسطو على كل من يرغب فى المرور، أو يقيم التجار والعلماء مجلسا ويلقون على الناس كل ما يدور فى مخيلتهم باعتباره أوامر إلهية واجبة الطاعة، فيلقون القبض على المتمردين ويحبسونهم ويعاقبونهم. هل يمكن أن يهنئ بعضنا بعضا على هذا التسيب والانفلات المثير للدهشة ونضئ المصابيح ابتهاجا؟ أم يجب أن ننجو بأنفسنا ونلوذ بمكان آمن على وجه السرعة؟

هل الحرية بمعنى الحرية الفطرية أى أن كافة البشر أحرار ومخيرون فى جميع أفعالهم وأقوالهم بالفطرة، وأن لا شئ يمنعهم عن القول والفعل سوى أنفسهم وإرادتهم وأن الله لم يخلق قوةً تستطيع أن تردعهم بحيث لا يقدر أحد دون جدال على التدخل فى حريتنا هذه.

سيدرك قارئ هذه السطور المحترم بلا عناء أن الإنسان كان ولا يزال وسيظل ينعم بهذه الحرية وهى ليست موضع جدال. إذن لم يتضح بعد ما الحرية التى تسبب لنا السعادة والسرور؟

نعم، هذه الحرية بمثابة ذخيرة روحية عامة، جمعها سكان إيران تدريجيا وحفظوها فى خزينة تسمى الأمة، وأخذوا جميعا يتاجرون بتلك الثروة. وكانت مكونات تلك الثروة عبارة عن ذهب الشرف والمعرفة الخالص، ومسكوكات من فضة الناموس والأدب.

كانت هذه الثروة مقدسة بمعنى لم يكن يطمع فيها أحد، ولو حدث وأراد فرد من السكان أن يأخذ جزءا من نصيبه أو نصيبه كلـه بمعنـى أن يعطـى شـرفه للآخرين ليمارس أعمال الوضعاء أو ينفض يده عن تحصيل المعارف أو ينفق مـا يملكه من شرف وأدب على الملاهى والمحرمات ففى هذه الحالة كان يُمنع عن ذلك وكانت توقع عليه عقوبات مغلظة. فبهذه الثروة العامة كان كل فرد يستطيع فقط أن يكتسب الشرف والمعرفة والناموس والأدب، بمعنى أنه كان يجوز تبـادل الثـروة بشئ من نفس المكونات وكلما أحرز فرد المزيد منها يسدده إلى الخزانة العامة...

.....لنعود ثانية لحريتنا. ونرى من سلبنا الشرف والناموس والأدب، من ذلـك الكسول الجاهل المغرور الذى تسبب فى حلول الغضب علينا فخـسرنا هـذه الـذخيرة الروحية وصرنا مبتلين بهذا الذل وتلك النكبة التاريخية على مدى قرون متعددة؟

إن المؤرخين غير المغرضين سيجيبون على كل هذا لأخلافنا المحظـوظين للتذكرة؛ ولكنى سأكتفى بإشارة مختصرة. فبعد أربع سنوات مـن جلـوس ناصـر الدين شاه أى بعد استشهاد أمير كبير، اقتضت سياسة البلاط واستقلال ذوى النفـوذ إقصاء الرجال الحكماء الأكفاء عن مركز الحكم وإشراك الأراذل والجهلاء السوقة والسماح لهم بالعبث واللهو بحيث لا تكون لديهم قدرة تتبع الأخطاء داخل الحكومة ولا إثارة الفتنة خارجها بمعنى عدم المقدرة على تنفيذ عمل صائب... ولكى تتوفر سلع للمقايضة فى سوق تجارة الأمة بدلا من الثروة المنهوبة قاموا بـسك كميـات وفيرة من عملة التملق والخيانة والإلحاد والوضاعة والخسة وقاموا بحفظهـا فـى خزانة سوء الخلق. واستخدموا هذه الكفاءة فى سلب ونهب ثروة الأمـة الروحيـة واستغلوها بمهارة أكثر لسلب ثروة الأمة المادية. فمعدن الذهب فى المملكة صـار هباءً فجأة كأنه لم يكن، وبدلوا الفضلة بالنحاس، لدرجة أن فقـر الأمـة الإيرانيـة الروحى والمادى وصل إلى حد أنه لم يُكتب فى تاريخ الأمم حتى الآن عن حالـة مشابهة، "وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون".(١)

---

(١) سورة الشعراء، الآية ٢٢٧.

٢- الحاج زين العابدين المراغى:

لابد لنا خلال الحديث عن الرواية النقدية أن نذكر أولا الرواية السياسية "سياسحتنامهٔ إبراهيم بيگ يا بلاى تعصب أو" أى "كتاب سياحة إبراهيم بيك أو بلاء تعصبه" الذى حظى بشهرة واسعة فى عصره فكان يُقرأ فى كافة أرجاء إيران بولع شديد.

مؤلف هذا الكتاب الحاج زين العابدين بن المشهدى على، وكان والده من أثرياء التجار فى أذربيجان، وانضم زين العابدين فى وقت مبكر للأحرار والمؤيدين للإصلاح.

كان آباؤه من أكراد ساوجبلاغ (مهاباد حاليا) ومن أعيان تلك الناحية ممن يعتنقون المذهب الشافعى السنى، ولكنهم تشيعوا فيما بعد، وعملوا بالتجارة فى مراغة "وصاروا من أثرياء تلك الديار لامتلاكهم ثروة تقدر بخمسة آلاف تومان".

ولد زين العابدين عام ١٢٥٥ هـ.ق، والتحق بالمدرسة الابتدائية فى سن الثامنة وقضى بالمدرسة ثمانى سنوات وحظى بقدر بسيط من التعليم وفى سن السادسة عشر لازم والده ولما بلغ العشرين من عمره ذهب إلى أردبيل ومنذ ذلك التاريخ صار فى أردبيل ومراغة على حد قوله "من الأعيان، وأصبح من أصحاب الخيول والخدم والحراس المسلحين بالبنادق، كما امتنع عن دفع الضرائب وأخذ يتفاخر بمعاقبته لقطاع الطرق ومن يتطاول بالألفاظ وكأنه حاكم أو رئيس عشيرة أو جلاد".[١]

وعلى هذا النحو "استهوته الزعامة فكان ينفق أكثر مما يكسب، ولم يكن يسجل الأشياء على نحو صحيح أو يحسبها" وفى النهاية حلت عليه المشاكل من كل ناحية وصار من العسير عليه العيش فى إيران واضطر لمغادرة البلاد مع أخيه وتوجه إلى القوقاز برأس مال ضئيل مثل الكثير من التجار المفلسين فى ذلك

---

(١) ترجمهٔ حال مؤلف: سياحتنامهٔ إبراهيم بيگ، ج ٣ كلكتا ٩: ١٩م.

الزمان، وأقام فى تفليس حاضرة ولاية الجرج (جورجيا) التى لم يكن يعـيش بهـا أحد من الإيرانيين آنذاك، وجمع أثناء عمله بالبقالة على مدى أربع سنوات مبلغـا من المال، وبالتدريج توافد إلى تفليس عدد من العمال الإيرانيين وعينه ميرزا أسـد الله خان ناظم الدولة قنصل إيران فى تفليس نائبا للقنصل فى مدينة "كتاييس".

ويقول بنفسه حول هذا الموضوع: ".... وفى ذلك الوقت صـرت قنـصلا وكبيرا للقوم وتاجرا أيضا، وصار من بين واجباتى رعاية المـواطنين الإيـرانيين الذين كانوا فقراء ومفلسين تماما، وأخذت أستخرج لهم بطاقات هوية ووفرت لهـم متطلباتهم، من ملبس ومأكل. وبعد فترة وجيزة اكتظ المكتب: وأخـذ منـى علـى خوئى مائة مَنْ[١] وأخذ حسينقلى التبريزى سبعين منا، وفلان الـسلمانى خمـسين منا... وسلبونى كل ما ادخرته على مدى عدة سنوات، ثم فـر أحـدهم، وألقـى القبض على الآخر، ولعب أحدهم القمار ومرض الآخر..." [٢]

الخلاصة أنه أفلس واضطر للذهاب إلى القرم، وهناك افتتح حانوتا، وكـان أخواه يذهبان من حين إلى آخر إلى إسطنبول لشراء بعض البضائع وبيعها بـسعر أعلى فى القرم، حتى جمعا رأس مال لا بأس به فى فترة وجيزة.

وفى عام ١٢٩٤ هـ.ق اشتعلت الحرب بين روسيا والدولة العثمانية، وسـافر الإخوة إلى "يالتا" المدينة الصيفية للإمبراطور، وهناك ازدهر عملهم وأخـذوا فـى التعامل مع الأمراء ورجال البلاط والديوان، وقدمت إحـدى الأميـرات – وهـى زوجة الأمير فرانسوف–[٣] زين العابدين للإمبراطورة وعلا شأن الإخوة لدرجة أن أُطلق عليهم "التجار الإيرانيون الأمناء".ثم طُلب منـه أن يوافـق علـى التجـنس بالجنسية الروسية ليحظى بامتيازات، فوافق على ذلك لإصرارهم ونظرا لما كـان

(١) مَنْ: وزن فارس يختلف من منطقة إلى أخرى فى إيران ومن عصر إلى آخر.
(٢) ترجمـة حال مؤلف: سياحتنامـة إبراهيم بيك، ج٣، كلكتا ١٩٠٩م.
(٣) كنياز ميخائيل سيمونو يتش (١٧٨٢- ١٨٥٦م) من القادة الروس الذين شاركوا فى الحروب التى دارت بين روسيا ونابليون وتركيا، وكان رجلا إصلاحيا.

قد لاقاه من أذى وإهانة من قبل القنصلية فى إسطنبول، وصار مواطنا روسيا بعد أن أدى القسم. وبعد عدة سنوات تزوج فى إسطنبول وحمل معه زوجته إلى يالتا ورزق منها بثلاثة أبناء وعاش لسنوات طويلة هناك فى رغد من العيش.

ولكن حبه للوطن لم يدعه يشعر بالراحة للحظة فكان يعاتب نفسه دائما لشعوره بالخيانة تجاه دينه ووطنه ولأنه "وضع فى عنقه طوق لعنة الجنسية الأجنبية"، وفى ذلك الوقت كان أخواه يتعرضان لظلم الحكام المستبدين بينما هو يعيش فى راحة وهدوء فى بلاد الغربة بعيدا عن النزال السياسى وكان يشعر دائما بتأنيب الضمير.

وظل يصارع هذه الأفكار سرا لفترة إلى أن اتخذ قراره وباع حانوته وما به من بضائع بثمن بخس، وسافر إلى إسطنبول، وترك بها أسرته وتوجه إلى مكة لأداء فريضة الحج. وكان الحاج زين العابدين يعيش فى إسطنبول حاملا الجنسية الروسية وفى النهاية قدم طلبا للحكومة الروسية وذلك عن طريق ميرزا محمود خان علايو الدولة سفير إيران فى الدولة العثمانية، وكان يبدو هذا الأمر فى البداية عسيرا ولكن الأمير أرفع الدولة تمكن من تحقيقه، وقُبل الطلب بعد فترة فى التاسع من فبراير عام ١٩٠٤ (ذى القعدة ١٣٢١ هـ.ق) وهو اليوم الذى نشبت فيه الحرب الروسية اليابانية.

وقرر الحاج زين العابدين الاستقرار فى تركيا وناضل نضالا سياسيا فى سبيل خدمة وطنه بشغف كبير عن طريق الكتابة.

واعترف بنفسه أنه "لم يقرأ كتاب المعانى أو البيان أو المنطق أو البرهان ولم يطلع على العلوم والآداب" ولكنه كان على كل حال رجلا متعلما قارئا ومطلعا على الأوضاع فى عصره ومن الوطنيين الساعين فى سبيل الحرية، وخلال إقامته فى تركيا كان يساهم فى صحيفة "شمس" الصادرة فى إسطنبول بمقالات نافعة وكذلك فى صحيفة "حبل المتين" الصادرة فى كلكتا إلى أن توفى فى إسطنبول عن عمر يناهز الثالثة والسبعين.

كتاب سياحة إبراهيم بيك:

يقع هذا الكتاب فى ثلاثة أجزاء مستقلة تماما وصدر المجلد الأول دون ذكر اسم مؤلفه الذى ظل مجهولا لمدة اثنتى عشرة سنة، بل إن البعض كانوا يلمحون إلى نسبة الكتاب إليهم. وبناء على هذا تم القبض على عدد من الأشخاص وملاحقتهم من قبل رئيس الوزراء ميرزا على أصغر خان بتهمة تأليف ذلك الكتاب "وكان الكاتب يتألم ويتعذب باستمرار لإلحاق الأذى والضرر بعبيد الله بسببه، ولأن أبناء وطنه الأبرياء يتعرضون للإيذاء جراء عمل قام به بعقيدة صادقة ونية حسنة".(١) وبعد إقرار الدستور نشر فى الجزء الثالث اسم الحاج زين العابدين المراغى التاجر فى إسطنبول.

و"لم يصدق الناس أن يكون مثل هذا الكتاب القيم نتاج تاجر بسيط، وقال بعض الأعداء إن من قام بتأليف المجلد الأول وطباعته ميرزا مهد يخان المحرر بصحيفة "اختر" وإن الحاج زين العابدين ألف الجزأين الثانى والثالث بعد وفاة ميرزا مهديخان ونسب الأجزاء الثلاثة لنفسه.(٢) ولكن هذا الرأى غير مقنع، فالجزءان الثانى، والثالث اللذان من تأليف الحاج زين العابدين بلا أدنى شك لهما دليل على اطلاع الكاتب وغزارة معرفته.. ولكن من الممكن أن يكون ميرزا مهديخان أو كاتب مطلع آخر قد قدم المساعدة للحاج زين العابدين وهذا لا يقلل من قيمة جهد الحاج المذكور".(٣)

إن مؤلف كتاب السياحة اللبيب كان مدركا تماما لدوره الخطير سواء من حيث اختيار الموضوع أم من حيث أسلوبه الإنشائى. فيقول فى مقدمة الجزء

---

(١) ترجمة حال مؤلف: سياحتنامة، ج ٣ كلكته ١٩٠٩م.

(٢) حتى أنه يقال (إن أصل الكتاب باللغة الإنجليزية وإن ميرزا مهديخان ترجمه إلى الفارسية بعد تعطيل "اختر" ونظرا لعدم مقدرته على طبع الكتاب فقد تعهد الحاج زين العابدين التاجر المراغى بدفع تكاليف الطبع). (تاريخ جرايد ومجلات تأليف محمد صدر هاشمى ج١، ص٦٤).

(٣)أحمد كسروى: تاريخ مشروطه إيران، ج ١ ص٤٦.

الثالث: "... ليعلم كل الخيرين والأشرار أنه قد آن الأوان لكن تُذكر أسماء المحسنين بإحسانهم وأسماء المسيئين بإساءتهم، وبعد ذلك تقيِّم الأمة كل إحسان وكل إساءة وتدون في صفحات تاريخ الأمة نتيجة كل عمل للتذكرة... وهذا النوع من الكتابة فرض عين على كل مؤلف وفقا للشرع كي يسلك المفسدون الطريق المستقيم فإن لم يكن لديهم رغبة في ترك ما ألفوه فعلى الأقل سيقللون لا محالة من أعمالهم السيئة.... وحتى الآن لم يُكتب في وطننا العزيز عن هذا النوع من الموضوعات ولم يتحدث فرد عن الوطنية ولم يحرر أحد موضوعات مفيدة بأسلوب ييسر للعامة الاستفادة منها طبقا لمتطلبات العصر. فكل ما كُتب يدور حول هوس عشق البلبل للزهور والفراشة للشمع أو إبراز فضائل المؤلف أو مدح ممدوح لا يستحق المدح... ليعلم المواطنون أنه يوجد عشق آخر أيضا غير عشق المجنون لليلى وفرهاد لشيرين ومحمود لإياز الذي لم يتناول الأدباء والشعراء الإيرانيون المشهورون سواه في كتبهم وقصائدهم..." ثم يضيف: "إن الكتابة غير المتكلفة من متطلبات العصر. فيجب على الأدباء الإيرانيين البارعين في الكتابة والإنشاء أن يقدموا للخاصة والعامة مفهوم الوطنية من الآن فصاعدا بكلمات واضحة وعبارات بسيطة نظما ونثرا، ويؤسسوا أسلوبا بسيطا في الكتابة ويشجعوا على استخدامه".

وفي النهاية يضرب مثلاً(١) للاستدلال ويناشد الكتاب والعلماء قائلاً: "يا أصحاب القلم والمعرفة، إن هذه الكتابة قالب أجوف بلا روح فعليكم أن تكسبوها روحا حتى تُبعث فيها الحياة!".

---

(١) يقول المثل: سافر نجار وخياط وعابد معا، ووصلوا في ليلة مظلمة إلى مكان مخيف، فاتفقوا على أن يظل كل واحد منهم مستيقظا جزءا من الليل، وكانت نوبة الحراسة الأولى للنجار، فصنع هيكلا من الخشب، أما الخياط فصنع رداءً يناسب ذلك الهيكل وفي النوبة الثالثة دعا العابد ربه فبعث الروح في ذلك الهيكل الذي لا روح فيه.

أما كتاب السياحة فيدور موضوعه عن إبراهيم بيك بطل القصة وهو ابن تاجر آذر بيجانى كبير، كان قد سافر إلى مصر للتجارة منذ خمسين عاما (قبل تأليف الكتاب)، وكون فى فترة وجيزة ثروة كبيرة. ولم يتخل هذا التاجر الأمين الصادق مطلقا عن التقاليد الشعبية و "لشدة تعصبه العرقى لم يتحدث مع أحد بكلمة عربية لعدة سنوات بل إنه لم يرغب فى تعلم العربية". ولما بلغ إبراهيم عامه العشرين مات والده.

وكان شابا لبيبا غيورا عفيفا متدينا ومتعصبا، تعلم اللغات الأجنبية فضلا عن لغته الأم وكذلك العلوم الشائعة آنذاك. وأوصاه والده فى لحظات حياته الأخيرة أن يقوم بالسياحة فى كل أنحاء العالم حتى سن الثلاثين ويقيم فى كل مكان فترة من الوقت ويتابع بدقة الأوضاع المعيشية لجميع سكان تلك الدول.. وأن يدون فى مفكرته تاريخ وصوله إلى كل بلد يسافر إليها وتاريخ مغادرته لها فضلا عن كافة مشاهداته اليومية إلى أن "يحين الوقت لاستخدامها".

وفى الثامن عشر من شهر... بعد انقضاء ساعتين من النهار يتوجه إبراهيم بيك برفقة مربيه العم يوسف من مصر إلى الإسكندرية "ميناء بر مصر"[1] بالقطار بغرض زيارة مشهد المقدسة ووطنه، وينتقل من هناك إلى إسطنبول ومنها إلى باطوم وتفليس وباكو وانزلى وسارى ومشهد سر[2] وأوزون آدا وعشق آباد وأخيرا يصل إلى مشهد.

وعند وفود الرحالة الشاب إلى منزل المؤلف (الحاج زين العابدين) فى إسطنبول يرى بين كتبه نسخة من "كتاب أحمد" فيحمله ليسلى نفسه بمطالعته أثناء الطريق، وبعد قراءته للكتاب أثناء الطريق واطلاعه على موضوعاته ينفعل بشدة

---

(١) منذ أن وصل إبراهيم إلى سن الإدراك لم يتلفظ باسم الإسكندرية بسبب غزو الإسكندر لإيران وتدمير الكثير من مظاهر العمران فى تلك الدولة وإحراقه مدينة استخر عاصمة إيران القديمة وقتل دارا.

(٢) بابلسر الحالية.

لأن مؤلفه طالبوف يتهم الإيرانيين نتيجة جهله بأوضاع إيران أو السهو والخطأ أو الغربة عن الإيرانيين. ويكتب فى رسالته إلى مضيفه عن كتاب أحمد: بالرغم من أن مؤلف الكتاب يبدو رجلا عالما وفاضلا وعبر عن الكثير من الموضوعات الرئيسية والمهمة ولكنه كتب عن أوضاع إيران بالتلميح والإشارة ويتضح مما كتبه أنه إما لا يعلم شيئا عن إيران أو أنه أخطأ أو أنه ليس منا(١)....ولكنه ما إن يصل إلى باطوم يرى عددا غفيرا من الإيرانيين فى حالة مزرية للغاية، ملابسهم رثة ممزقة، ووجوههم شاحبة تعبر عن الوهن، ويخبره مواطن يدعى على اللنكرانى أن كافة مدن ومراكز وحتى قرى القوقاز مكتظة بأمثال هؤلاء الإيرانيين الذين غادروا وطنهم نتيجة تطاول الحكام وظلم الأمراء والعمد والخفراء، فملأوا بلاد الروم وروسيا والهند ويعملون طوال النهار تحت حرارة الشمس وحتى المساء فى السخرة وحمل الطين ونقله. فيصاب بالدهشة ويسيطر عليه الحزن لأول مرة.

يطرق بطل القصة كل الأبواب فى طهران ويسأل كل الرجال فلا يصل إلى نتيجة ويجد الجميع غارقين فى خدر الثمالة غافلين عن عالم الوجود ويعتزم العودة يائسا محبطا، ويصل إلى تبريز بعد زيارة مدن قزوين وأردبيل ومراغة وبناب وأروميه، ثم ينتقل منها إلى مرند على شاطئ نهر آرس ومنها إلى باخوم ثانية ويعود فى النهاية إلى مصر.

ويسجل إبراهيم بيك تفصيلا ما رآه وما حل به خلال رحلته الطويلة، وينتقد كافة أوضاع الدولة من خلال هذه الأحداث، وبعد الانتهاء من ذكر رحلته فى كل مدينة أو مكان يذكر خلاصة عن أوضاع وأخلاق وعادات أهل ذلك المكان وما يعانونه من مشاكل تحت عنوان "وهذا مجمل لسياحة قزوين أو مراغة أو غيرها" ويختمها غالبًا بعبارة "موتى أحياء، أحياء موتى!"

---

(١) من الواضح أن المؤلف قرأ مؤلفات طالبوف أو على الأقل "كتاب أحمد" واستفاد منها ويذكره فى كتاب السياحة بإجلال بلقب "الحكيم يقظ الضمير" و "الرجل الجليل".

وعلى هذا النحو يصف بلغة سهلة وأسلوب مؤثر مشحون بالأسى كل ما رآه في العاصمة وسائر المدن من جهل الأهالى وفقرهم وتسولهم وهوسهم بأمور تافهة غثة، وتدليس الملالى، وجور الحكام وسرقاتهم وحصولهم على الرشاوى، وغفلة الحكومة وتسيبها، وتدهور شئون المدارس والكتاتيب، وغياب القانون والعدل وسيطرة السياسات الاستعمارية المخربة للدولة وأشياء من هذا القبيل، ويستغل بعض المواقف ليوصى المواطنين ببعض الإصلاحات مثل جعل المصارف مركزا لجميع الشئون المالية والاقتصادية فى الدولة، وتطوير الصناعات الوطنية، ونشر الثقافة والحيلولة دون النفوذ الأجنبى وغير ذلك.

ويعد كتاب سياحة إبراهيم بيك فى الواقع دائرة معارف جامعة لأوضاع إيران فى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى كتبت بأسلوب ناقد لاذع وجرئ.

"يدرك قيمة هذا الكتاب أولئك الذين قرأوه تلك الأيام ويذكرون الرجفة التى كانت تصيب القارئ... وكأن جمعا غفيرا من الإيرانيين قد أفاقوا من نوم الغفلة من جراء قراءة هذا الكتاب، وتهيأوا للسعى فى سبيل رفعة الدولة وانضموا إلى المناضلين الآخرين".[1]

قيل إن الجزء الأول من كتاب السياحة ربما يكون المؤلف قد طبعه طبعةً مصورة فى القاهرة، ثم طُبع عام ١٨٨٨م طباعة حجر فى إسطنبول.[2] وتم تأليف الجزأين الآخرين بعد ذلك بفترة، وليس لهما قيمة ومكانة الجزء الأول فقد فاقهما من حيث التأثير السياسى والاجتماعى.

ويتناول الجزء الثانى عودة إبراهيم إلى مصر ويشرح قصة عشقه وموته من جراء حزنه على الوطن ويخلو هذا الجزء تماما من أسلوب السخرية ويخيم عليه الأسى والحزن.

---

(١) أحمد كسروى: تاريخ مشروطة إيران، ج١.

(٢) قد طبع هذا الجزء والجزءان الآخران بعد ذلك فى كلكتا ولاهور وبمباى وإسطنبول عدة مرات، وترجم الجزء الأول عام ١٩٠٣م ١٣٢١ هـ.ق للألمانية تحت عنوان "Reisebuch des Ibräim beg" ثم ترجم للروسية فى موسكو عام ١٩٦٣م.

ويدور الجزء الثالث عن رؤيا العم يوسف مربى إبراهيم بيك المسن، ويشرح خلالها رحلته إلى الجنة والنار وهذه الرؤيا تشبه فى الحقيقة رسالة الغفران أو الكوميديا الإلهية، ولكن الجنة والنار فى كتاب السياحة إيرانيتان وأهلهما إيرانيون، ومن خلال أصواتهم المعبرة عن السرور والمواساة المتزامنة مع الصرخات المهيبة يتولد نقد سياسى ساخر.

فكتاب سياحة إبراهيم بيك نقد دقيق للتقاليد الإيرانية القديمة وأخلاق الإيرانيين وعادتهم المذمومة من خلال رسم لوحات حية ودقيقة وصادقة، وقد أثر هذا الكتاب كما نعلم تأثيرا كبيرا فى البناء الأدبى والاجتماعى المستقبلى فى إيران.

ويُعد الكتاب أول رواية اجتماعية فارسية تتميز بالأصالة على غرار الرواية الأوروبية، حيث تصور حياة الإيرانيين كما كانت، ومن هذا المنطلق فهى تشبه إلى حد كبير رواية "نفوس ميتة" لنيكول جوجول الكاتب الروسى العظيم. ولا يعقل أن المؤلف قد اطلع على عمل المؤلف الروسى غير المكتمل، ولكن من المؤكد أن الأعمال الكلاسيكية الروسية قد أثرت كثيرا فى تأليف هذا الكتاب، وأن المؤلف قد تعلم منها أسلوب نقد الحياة الاجتماعية والكشف عن عيوب المجتمع وتصوير الأوضاع فى عصره.

وتحتل سيرة البطل المرتبة الثانية فى هذا الكتاب من حيث الأهمية، فالهدف الأصلى للكاتب رسم وتصوير مشاهد عن الحياة فى الدولة والاعتراض على كل الأمور التى تستحق ذلك فى الواقع. ولم يتحقق هذا الهدف للمؤلف بسهولة ويسر فبطل القصة يسلم الروح من جراء آلامه الناتجة عن عشقه للوطن، ويصاب المؤلف نفسه تدريجيا بالحزن والأسى بعد أن كان قد بدأ عمله ساخرا، فخزى الشعب الإيرانى الناجم عن التعاسة والفقر يمزق قلبه، ورغم ذلك يكمل فى سبيل خدمة الوطن قصته المحزنة المفجعة التى كتب بعض أجزائها بدمائه.

وتفوق قيمة الكتاب السياسية والاجتماعية قيمته الأدبية، فهو يحتوى على

الكثير من العيوب الفنية والأدبية فتصاعد الأحداث بطئ وغير منطقى وخاصة فى الجزأين الثانى والثالث، ويبدو أحيانا فى صورة تقريرية، وعلى الرغم من أن الكتاب قد كُتب بأسلوب بسيط سلسل غير متكلف بشكل عام فإنه لا يقارن مطلقا بمؤلفات طالبوف التى كُتبت بأسلوب أدبى.

ويبدو جليا فى هذا الكتاب أيضا أسلوب الأتراك الناطقين بالفارسية مثلما نلحظ أيضا فى مؤلفات طالبوف كما أثرت إقامة المؤلف الطويلة فى روسيا وتركيا على أسلوب تحرير كتاب السياحة من حيث استخدام كلمات روسية وتركية عن لهجة أهالى إسطنبول.[١]

ولكن بالرغم من تلك المآخذ ورغم طول القصة فإن كتاب سياحة إبراهيم بيك يعد كتابا مهما ووثيقة فريدة للتعرف على أوضاع إيران فى ذلك الزمان.

وها هى نماذج من كتاب السياحة:

"قال سائق العربة: تلك الناحية تشير إلى إيران وهذه الناحية تشير إلى روسيا. فقلت له: يجب التوقف لبرهة. فأريد أن أفعل شيئا. فقال: اصبر؛ فالماء قريب فلتنزل هناك، ظنا منه أننى أريد شيئا آخر. فقلت: لست فى حاجة إلى الماء فأنا أرغب فى التراب. فأوقف العربة ونزلت، وحملت حفنة من ذاك التراب وقبلته وشممته ومسحت به على عينىَّ. وقلت: أيتها التربة الطاهرة يا كحل الجواهر للعين الدامعة؛ حمدا لله أن رأيتك وأنارت عينى برؤيتك. فأنت مأمن المحتاجين ومقبرة أجدادى. وأنت التى أوليتنا بالرعاية فى مهد نعمتك فنشأنا وكبرنا فى رفاه وعزة.

---

(١) مثل: قول كشيدن (امضا كردن- ويزا كردن)، دربند (كوچة بن بست)، عجبا (آيا)، معيت (ملتزمين ركاب)، كانتور (دفتر تجارتخانه)، عرض لشكرى (رژه ومانور نظامى)، مكاتب رشديه (مدارس متوسطه يا دبير ستان)، واپور (كشتى بخار)، پساپورت (پاسپورت، گذرنامه) سيغار (سيگار)، سرخك (ساس)، فوطه (لنگ)، بيع من يزيد (مزايده- حراج)، باتاريه (عرادۀ توپ)، زاكون (قانون)، الوقات (آوكا، آدوكات، وكيل دعاوى)، وبرگو (ماليات).

ونحن لا نملك إلا محبتك، ويالها من محبة سامية ورفيعة فها هو مشرع الإسلام المقدس عليه وعلى آله أفضل الصلوات وأكمل التحيات جعل حبك مساويا للإيمان إذا ما وزن بميزان الولاء. فأى قول أقوله فى وصفك ليليق بمكانتك السامية!!.... الخلاصة أجهشت بالبكاء وسال الدمع من عينى بعفوية على ذلك التراب الطاهر. وبكيت فرحا لتحقق مراد قلبى الحزين، وأعلم أن لذة ذلك البكاء ستظل قابعة فى شغاف قلبى حتى النفس الأخير. وفى النهاية نظر إلى سائق العربة حائرا. وقال مندهشا فى النهاية: أحسنت يا سيدى، فمنذ سنوات وأنا أتردد على هذا الطريق وأنت أول من أراه يقدس تراب الوطن. لقد تأثرت بذلك للغاية. فأنا من أهالى كنجه، ومولع مثلك بتراب الوطن. لقد أصيبت مملكتنا بالتعاسة من جراء لا مبالاة أسلافنا. فكما تعلم "يعلو صوت الناقوس بدلا من صوت المؤذن". ما العمل؟ لو كانت حكومة إيران حكومة بحق لسنت القوانين وأرست النظم وحققت المساواة، ولما باعت الرعية للحكام بثمن الحيوانات، ولما فرضت علينا قطعا تدخل الأجانب الذين يعارضون كل مصلحة لنا، ولهاجرنا إلى إيران.....". (١)

"... وفجأة ارتفع من ناحية أخرى صوت يقول ابتعد. كانوا يصيحون من كل ناحية: تقدم، قف، ارتد العباءة! نظرت إلى تلك الناحية فى حيرة تامة، فرأيت شابا فارع القامة طويل الشارب يتقدم ممتطيا جواده، ويسير على جانبيه ثلاثون أو أربعون شخصا فى طابور عسكرى حاملين عصى طويلة، وفى مقدمتهم رجل ذو رداء أحمر؛ قبيح الوجه، وخلفه فرقة من عشرة أو عشرين فارسا.

فسألت السيد رضا ما الأمر؟ فقال: حاكم المدينة ذاهب للصيد. ثم قال لى قف منتصبا وعند مروره أد له مراسم التحية والتبجيل مثلما يفعل الآخرون. وعندما نظرت بإمعان رأيت الناس فى كل الجهات يسجدون، دون أن يلتفت لهم كبيرهم حيث يفتل شاربه عن اليمين وعن الشمال. فقلت: ماذا لو لم أؤد التحية؟ قال: إن من يصطفون حوله من الخدم يعرفون ماذا يفعلون بعصيهم. هل مللت الحياة؟! قلت: لا،

---

(١) سياحتنامه: ج١، طهران ١٣٤٤ ش، ص ٣٣.

فعندى آلاف الأمنيات. فوقفنا منتصبين فى أدب جم وانحنينا فى تواضع شديد عند اقتراب الحاكم. كاد أن يحل بنا البلاء ولكن الأمر مضى على خير وتعجبت بشدة لأنه لم يكن قد مر بى موقف كهذا حتى ذلك الوقت. فقلت: أهذا حاكم مدينة فى إيران! إن حاكم مدينة لندن التى يسكنها سبعة ملايين نسمة، يمشى فى كل مكان بمفرده ولا يعيره أحد اهتماما. ما شاء الله أيتمتع حاكم مدينة صغيرة عندنا بهذا القدر من الإجلال ولديه كل هؤلاء الحراس! أهذا حال المملكة! وأضفت: يا سيد رضا، من أين يأتى الحاكم برواتب كل هؤلاء الحراس؟ فقال: ليس لهم رواتب. فسألته: إذن ماذا يأكلون؟ فأجاب: يطوفون بالشوارع والأسواق من الصباح حتى المساء وكلما وجدوا اثنين يتعاركان يحملونهما إلى كبيرهم. فإذا كان العراك لسبب تافه يأخذون تومانين لكبير الحراس وخمسة قرانات لنائبه وقرانين أو ثلاثة لأنفسهم، ثم يأذنون لهما بالذهاب. وكلما جاء من يتقدم بعريضة من القرى، يُكلف واحد أو اثنان من هؤلاء الفرسان بالسلب والنهب. فإذا تطور العراك إلى حد ما، يُكلف بإنهاء الأمر واحد من رؤساء الخدم أو من متعهدى الخيول الملكية أو من المسلحين بالبنادق أو واحد من متعهدى سقاية الأمير، فيأخذ مائة أو خمسين تومان غرامة للأمير وعشرة أو عشرين تومان لنفسه إكرامية.. فتسمرت مكانى لسماع هذا الكلام وعزفت عن السياحة. وقلت لنفسى: ليتنى كنت أعمى أصم ولم أر هذا المشهد ولم أسمع هذا الكلام! فقد تحملت المشقة وأنفقت المال لأصيب نفسى ببلاء عظيم".(١)

"فى اليوم التالى ذهبت فى الظهر إلى مسجد صلاة الجمعة الواقع على مقربة من رباط القوافل الذى ننزل فيه كى نصلى. ومساحة هذا المسجد من الداخل عبارة عن مدرسة للطلاب وفى وسط صحنه عين من الماء الصافى. توضأت من جديد ودخلت المسجد، فرأيت كما كبيرا من البطيخ قد وضع فى جانب من ذلك المسجد العظيم. فحزنت لهذا المشهد. ونظرت إلى الناحية الأخرى فرأيت شخصين جالسين. تقدمت وسألت أحدهما: سيدى، لمن هذا البطيخ؟ أجاب: لى. فسألته: من

(١) سياحتنامه: ج١، ص٤٣.

صاحب هذا الدكان؟ فأجاب: يا مؤمن ألا ترى أن هذا مسجد وليس دكانا، وعدا ذلك؛ هل رأيت دكانا كبيرا إلى هذه الدرجة؟! فقلت: إذن من صاحب المسجد؟ فأجاب: لا يمكن أن يكون للمسجد صاحب؛ فهو بيت الله. فقلت: كم تدفع للإيجار؟ قال: لا شئ. فقلت: وهل يرضى الله أن تتخذ من هذا المكان الطاهر مخزنا مجانيا للبطيخ كى تبيعه؟ فأجاب: وما علمى! فقلت: سيدى، ألا تخشى الله لأنك اتخذت مخزنا للبطيخ من المكان الذى جعله الله لعبادته فرض احترامه على الجميع وألزم كل مسلم اتباع شروط معينة عند دخوله والخروج منه!! فعملك هذا انتهاك لحرمة المسجد والدين والشريعة. هل رأيت المسيحيين يبيعون البطيخ فى كنائسهم أو سمعت عن هذا؟! ألا تخجل أمام الله ورسوله!.

لقد شيد هذا المكان رجل مسلم كى يجتمع فيه سائر المسلمين ويذكروا اسم الله ويقدموا الوعظ والنصيحة للناس ويعلموهم المسائل الشرعية الضرورية ويسألوا الله المغفرة لأموات المسلمين، والرفعة للإسلام والنصر على أعداء الدين لسلطان المسلمين، والاتحاد للمسلمين فى سبيل إعلاء كلمة التوحيد، ورفع الشقاق والخلاف عنهم "ألا يوجد فى مدينتك علماء يخشون الله؟ لماذا لا يحظرون ارتكاب هذه الأفعال المشينة التى تنتهك حرمة الإسلام وتخالف الشريعة الإسلامية؟ ماذا سيقولون يوم القيامة وعند السؤال؟ يا الله، أين أبحث لهذه الآلام المبرحة عن دواء!! لا أعرف أى ذنب عظيم ارتكبته لأعاقب عليه بوقوعى فريسة لهذا البلاء؛ فمع كل خطوة أخطوها يسرع لاستقبالى بلاء جديد! كيف يكون هؤلاء مسلمين؟! آه ألا لهذا اليوم من غدٍ يعقبه!"[1]

٣- ميرزا ملكم خان:

كان البرنس ملكم خان ناظم الدولة من أرمن حى جلفا بأصفهان. ولد عام ١٢٤٣ هـ.ق لأب يعمل فى النحت يسمى يعقوب. ويقال إن السيد يعقوب قد أسلم فى شبابه، ولأنه كان يجيد اللغتين الروسية والفرنسية فقد عمل مترجما فى السفارة

---

(١) سياحتنامه ج١، ص١٤٢.

الروسية بطهران وكان على علاقة وثيقة بصدر إيران الأعظم ميـرزا آقـا خـان نورى.

سافر ملكم إلى فرنسا فى العاشرة من عمـره[١] وبعـد اجتيـاز مرحلتـى الدراسة الابتدائية والثانوية التحق بمدرسة العلوم السياسية، ودرس أيضا الإلهيـات والهندسة وعمل كذلك فى مجال الحقوق السياسية وعـاد عـام ١٢٦٨ هـ.ق إلـى إيران.

واكبت عودة ملكم إلى إيران افتتاح دار الفنون، ونظرا لأنه ترعـرع فـى أحضان الآداب الإسلامية ودرس اللغة الفارسية دراسة وافية فقـد عُـين مترجمـا للمعلمين الوافدين من النمسا، كما عين مترجما لناصر الـدين شـاه ومستـشارا للصدر الأعظم ميرزا آقا خان نورى.

وفى عام ١٢٧٣ هـ.ق صار مهندسا بدرجة أركان حرب ومترجما خاصـا لسفير الدولة العلية الإيرانية فى إسطنبول. [٢]

وفى نفس العام بُعث إلى بلاط نابليون الثالث مترجما ومستشارا للوفد الممثل لإيران عندما دب الخلاف بين إيران وإنجلترا حول هراة واحتلال بوشهر، وتوجه فرح خان أمين الملك غفارى إلى باريس لإبرام اتفاقية الصلح.

أعد ملكم بعد عودته من تلك الرحلة رسالة تسمى "كتابـچـۀ عينبى يا دفتر تنظيمات" أى "الكتيب الغيبى أو دفتر التنظيمات" وتضم موضوعات عـن أصـول الحكم، وقدمها إلى البلاط. وفى العام الأخير من صدارة ميرزا آقا خـان نـورى ١٢٧٤ هـ.ق أسس فى طهران محفلا سمى بـ "بيت النسيان" الذى كان يُعتقد فـى البداية أنه فرع للتنظيم الماسونى الفرنسى.[٣] وكان المحفل المذكور يعقـد بـشكل

---

(١) من الرسالة التى كتبها ملكم إلى ميرزا نصر الله خان مشير الدولة والمؤرخة بالثلاثين مـن صفر ١٣٢١ هـ.ق. فريدون آدميت، فكر آزادى ص ٩٤.

(٢) سالنامـۀ منتظم ناصرى.

(٣) عُرف بعد ذلك أن ملكم لم يحصل مطلقا منذ البداية على تصريح من قبل محافـل الـشرق

سرى فى منزل الأمير جلال الدين ميرزا بن فتحعلى شاه مؤلف "تـاريخ جلالـى: التاريخ الجلالى" و "نامـة خسروان: رسالة الأكاسرة" فى حى من أحيـاء جنـوب طهران وهو "مسجد حوض". وكما ذكرنا كان يسمى هذا المحفل بـ "بيت النسيان" لأنه كان على أعضائه أن ينسوا كليةً خلال حياتهم العادية كل ما رأوه أو سـمعوه فى المحفل. وكان ملكم قد حصل على تصريح بتأسيس "بيت النسيان" مـن الـشاه، وشاركه فى هذا العمل بعض رجالات إيران مثل ميرزا على خان أمـين الدولـة وميرزا يحيى خان مشير الدولة شقيق سـپـهالار وميرزا محـسن خـان مـشير الدولة، ومن كبار رجال الدين الحاج ميرزا هادى نجم آبادى وجمع مـن رجـال الديوان والأمراء وخريجى دار الفنون والطلاب الذين سـافروا لأوروبـا. وبهـذا اللفيف الذى كان يشكل الأقلية المستنيرة تكونت حول ملكم مدرسة من المـستنيرين الأحرار. وكان الشعار الأصلى للمحفل المذكور الذى كان يعقده ملكم تحـت اسـم "جامعـة آدميت: مجتمع الإنسانية" هو "إصلاح البشرية عامة والـشعب الإيرانـى خاصة". وتعرف أعضاء "بيت النسيان" تدريجيا على الروح الأوروبية وألفوها عن طريق الرسائل التى كان يكتبها ملكم منتقدا الأوضاع والتى كان يقدمها لهم ولسائر الناس، وكانت بالتأكيد تُعرض على الشاه، ووصلوا أخيرا إلى نتيجة وهى ضرورة بذل كافة المساعى لإقرار النظام الدستورى فى إيران.

ومن الواضح أنه لم يكن من الممكن أن يستمر مثل هذا التنظيم فـى عهـد الاستبداد. وحامت الشبهات حول ملكم بأنه يروج للفكر الجمهورى، و "ثار عدد من الأمراء على الحكومة وتسببوا فى إثارة مخاوف شديدة لـدى الـشاه. فأصـدرت الحكومة أمرا بالقبض على فريق من أصحابه. وفر فريق آخر، واحتمـى فريـق

=العظمى واسكتلندا لاتخاذ هذا الإجراء، وفى الحقيقة أنه استغل مـن تلقـاء نفـسه كلمـة الماسونية فى إطار "بيت النسيان" لتأسيس المحافل السياسية، بعبارة أخرى كان هذا العمـل غير مصرح به. وقد أُسس أول محفل ماسونى فى إيران فى ١٧ صـفر ١٣٢١ هـ.ق باسـم "محفل الحرية" وكان شعبة للتنظيم الماسونى فى فرنسا.

بالمزارات المقدسة. [١] "وفى يوم الخميس ١٢ ربيع الثانى ١٢٧٨ هـ.ق نشر بيـــان فى "روزنامـــهٔ دولتى: الصحيفة الحكومية" يفيد حظر لفظ "بيت النـسيان" وبهـــذا انتهت أنشطة المنظمة المذكورة فى إيران.

ومن المعروف أن وزير روسيا المفوض المقيم فى طهران أرســل تقريــرا إلى بطرسبورج يشرح فيه تأسيس هذه التنظيم وأعماله وكتب القيــصر الروســى ألكساندر الثانى بخط يده إلى ناصر الدين شاه أن "المحفل السرى معاد لـــك ولـــى، والقضاء عليه فى صالح الدولتين. "على كل حُظر نشاط المحفل المذكور وفر إلـــى آسيا الوسطى ميرزا يعقوب خان الذى كان قد اعتبر المؤسس والمحرك الأصــلى له.[٢] وحُمل ملكم بعد فترة إلى خانقين تحت الحراسة بسبب مواصــلته الأعمـــال المنادية بالحرية ومعارضته سياسة ميرزا محمد خان ســـپـــهالار، وهناك أطلـــق سراحه. [٣]

ذهب ميرزا ملكم بدايةً إلى بغداد ومنها إلى إسطنبول، وعمـــل فـــى وزارة الخارجية التركية براتب شهرى أربعين ليرة. ولكن لم تمض فترة طويلة حتى عُين ميرزا حسين خان مشير الدولة سفيرا لإيران فى إسطنبول، فجعله مستـــشارا لـــه وأرسله فى جمادى الآخرة عام ١٢٨٠ هـ.ق قنصلا عاما لإيران فى مـــصر، ثـــم استدعاه ثانية إلى إسطنبول.

تردد ملكم فى تلك الفترة التى أمضاها بإسطنبول علـــى المحافـــل الأدبيـــة والاجتماعية الجديدة فى تركيا، وانضم إلى الحركات الإصلاحية التى كان يـــدعمها الباشوات الأتراك كامل باشا وعالى باشا وفؤاد باشا، وألف رسالتى "مبـــدأ ترقـــى: أساس التقدم" و "الشيخ والوزير".

---

(١) ميرزا إبراهيم خان نواب بدايع نـــگار: رسالة عبرة الناظرين (نقلا عن خان ملك ساســـانى: سياستـــگران دورهٔ قاجار).

(٢) عاش عدة سنوات فى إسطنبول ومات عام ١٢٩٨ هـ.ق ق فى تلك المدينة.

(٣) فى ذلك الوقت أبعد ميرزا محمد خان ســـپـــهالار عن إيران جماعة مـــن أصـــدقاء ملكـــم والمستنيرين المعارضين بتهمة الإلحاد، كان من بينهم ميرزا حبيب الأصفهانى المتخلص بـــ "دستان".

وفى عام ١٢٨٨ هـ.ق غادر ميرزا حسين خان مشير الدولة إسطنبول وعـاد إلى إيران، وبعد توليه الصدارة بأربعين يوما استدعى فى التاسـع والعـشرين مـن شعبان من ذلك العام ملكم من إسطنبول، وعينه مستشارا للصدر الأعظم وحصل له من الشاه على لقب "ناظم الملك" ووسام وتمثال ملكى من الدرجة الأولى.

وفى جمادى الأولى عام ١٢٨٩ هـ.ق تم توقيع امتياز رويتر الشهير الـذى يعد وفقا لقول اللورد كرزن "أعجب امتياز تقدم بموجبه الحكومة كافة ثرواتها إلـى رجل أجنبى"، وبعد عشرة شهور تقريبا أى فى صفر فى عام ١٢٩٠ هـ.ق توجـه ناصر الدين شاه لأول مرة إلى أوروبا، وقبيل بداية الرحلة أُرسل ملكم إلـى لنـدن تقديرا لخدماته المهمة التى كان قد قدمها فى سبيل إعداد وثيقة امتياز رويتر، وذلك من أجل عمل الترتيبات لرحلة الشاه إلى أوروبا فضلا عن تسليم نسخة من الامتياز للبارون رويتر والتمهيد لتنفيذه.

وفى عام ١٢٩٥ هـ.ق عين وزير إيران المفوض فى بـلاط لنـدن وفيينـا وبرلين، وفى رحلة الشاه الثانية إلى أوروبا عُين نائبا مفوضا لإيران فـى مـؤتمر برلين، وبعد إنجاز هذه المهمة عُين سفيرا وحصل على لقـب "الـسيد الأشـرف" وتصريح على أن يخاطب بلقب "البرنس".(١)

وبعد موت ميرزا حسين خان وتعيين مستوفى الممالك، دُبرت مكائد لعزله، ولكنه بادر بإخبار الشاه عام ١٢٩٩ هـ.ق، وبعد فترة عُين سفيرا فى ألمانيا وهولندا فضلا عن كونه سفيرا لإيران فى بلاط انجلترا، ومُـنح لقـب "نـاظم الدولـة"(٢). وتروى عنه خلال هذه الرحلة حكايات وقصص عجيبة.

---

(١) يقول معتمد الدولة فرهاد ميرزا –الذى كان من المرافقين للشاه– فى رسالة أرسلها من لندن إلى طهران: "إن هذا الحقير الأرمنى يدعى أمام الأوروبيين فى وقاحة تامة أنه مـن أحفـاد الملوك الأشكانيين، ولقب لنفسه بلقب برنس"، نقلا عن خـان ملـك ساسـانى فـى كتابـه سياستـگران دورة قاجار.

(٢) اعتماد السلطنة، منتظم ناصرى، أحداث عام ١٢٩٩ هـ.ق.

استمرت إقامة ملكم فى لندن سنوات طويلة. وفى عام ١٣٠٦ هـ.ق عندما سافر ناصر الدين شاه لأوروبا للمرة الثالثة حصل ملكم -الذى كان على كل حال غير مريح ومقامرا -على امتياز الياناصيب فى إيران من الشاه عن طريق التملق وتقديم هدية بلغت ألف ليرة من الذهب، ولكن الصدر الأعظم ميرزا على أصغر خان اعترض على ذلك بعد عودة الشاه لإيران وحرص رجال الدين على تحريم الياناصيب وتكفير ملكم، واضطر إلى إرسال برقية للندن بإلغاء الامتياز إلا أن ملكم لم يعلن قرار الحكومة وباع وثيقة الامتياز إلى شركة إنجليزية فى مقابل أربعين ألف ليرة، ونظرا لأنه عزل من جراء هذا العمل من منصب السفير الإيرانى فى لندن وكافة مناصبه الأخرى وحجبت عنه كافة ألقابه فقد رد على قرار الحكومة فى الصحف البريطانية بأسلوب مثير للضجة، وافتتح مكتبا فى "لمبارد ستريت" بلندن وبدأ فى إصدار صحيفة "القانون" بالفارسية، وانتقد من خلالها الحكم الاستبدادى فى إيران. ولم يتوان عن سب ميرزا على أصغر خان أمين السلطان بل والشاه نفسه فى صحيفته وذلك بالتنسيق مع السيد جمال الدين الأفغانى الذى كان قد انضم لملكم خان. وظلت هذه الصحيفة تصدر حتى موت ناصر الدين شاه بمساندة المناضلين فى سبيل الحرية فى ذلك الزمان، وكانت تصل إلى إيران وتوزع بين الناس بالرغم من الحظر الشديد المفروض على دخولها، ولم يكن لدى الحكومة البريطانية رد على احتجاج إيران سوى أن الصحافة تتمتع بحرية كاملة فى بريطانيا.

ولكن بعد مقتل ناصر الدين شاه وتعيين أمين الدولة، سافر مظفر الدين شاه عام ١٣١٧ هـ.ق لأوروبا لزيارة معرض باريس وقام بتنصيب ملكم وزيرا مفوضا لإيران فى روما، وظل فى هذا المنصب إلى أن توفى فى صيف عام ١٣٢٦ هـ.ق فى مدينة لوزان بسويسرا بعد حياة مشحونة بالمغامرة.

إن حياة ميرزا ملكم خان كلها مليئة بالأسرار، ويعتبره ناظم الإسلام الكرمانى "موقظ إيران ومن قادة ثورة الحرية" ويقول بشأنه "إن مكانة البرنس ملكم خان فى إيران تعادل مكانة فولتير وجان جاك روسو و فيكتور هوجو عند الشعب

الفرنسي."[١] ويعتبر "ظل السلطان" ملكم الذى كان يعلمـــه الفرنـــسية "الفيلـــسوف والمعلم الأول ونظيرا لأرسطاطاليس وأفلاطون بل أسمى منهمـــا."[٢] أمـــا الـــسيد ويلفرد بلنت[٣] الذى التقى بملكم فى يونية عام ١٨٨٠م (١٢٩٧ هـ.ق) فيعتبره أكثر رجال الشرق اطلاعا ويؤمن به ثلاثون ألفا فى إيران. ولكـــن هنـــاك أيـــضا مـــن يطلقون عليه ألقاب "جاسوس وخائن وطمـــاع وعابـــد للمـــال ومحتـــال وجاهـــل وغشاش".[٤] ومنهم محمد حسن خان اعتماد السلطنة.

يُقال إن ملكم كان يسب إيران والإيرانيين أثناء إقامته فى إســـطنبول وإنـــه تجنس بالجنسية التركية وعمل فى وزارة الخارجية بتلـــك الدولـــة، وأنـــه اعتنـــق المسيحية فى ليلة الأحد ٢٩ جمادى الأول ١٢٨١ هـ.ق فى كنيسة (أيا اســـتفانوس) من أجل الزواج من هانريت بنت آراكل المعروف بـــ "توپـــچـــى باشـــى"، كمـــا كتب إلى الحكومة الإيرانية بعد عودته من مصر إلى إسطنبول وهدد بأنـــه ســـيبيع أسرار الحكومة التى يعرفها إلى العثمانيين ولن يبقى على شيء مـــن مـــاء وجـــه الإيرانيين إن لم يعين وزيرا مفوضا لإيران فى لندن. [٥]

فضلا عن كل هذا كان يتحالف مع الشركات الأجنبية طوال الفتـــرة التـــى تولى فيها مناصب رسمية فى الجهاز الحكومى أثناء عهد ناصر الدين شاه، وكـــان يسعى لحصول البريطانيين على امتيازات فى إيران وكان من أهمها امتياز البارون جوليوس دو رويتر الذى لم يدخل حيز التنفيذ وأسفر عن عواقب وخيمة وترك بقعة سوداء فى حياة ملكم السياسية وصار سيفا مسلولا فى أيدى معارضيه حتـــى أنهـــم أظهروا خدماته فى سبيل اليقظة ونشر أسس الحرية بأنها بلا قيمة.

---

(١) تاريخ بيدارى إيرانيان، ص ١١٧.

(٢) تاريخ مسعودى، نقلا عن تاريخ بيدارى إيرانيان.

(3) Wilfrid Blunt.

(٤) خوابنامه.

(٥) خان ملك ساساني: سياستـــگران دورة قاجار، ص ١٢٩، وإبراهيم تيمورى: عـــصر بـــى خبرى، ص ٦٤.

ويقول اعتماد السلطنة فى المقال الذى حثه الصدر الأعظم أمين السلطان على كتابته والذى عرض على الشاه أيضا:-

"أولاً: ما القدرات التى يمتلكها هؤلاء الزعماء القابعون فى لندن بحيث يصير من الواجب اعتبار أقوالهم بمثابة الوحى المنزل من السماء؟ ثانيا: ما الأعمال التى صدرت عنه بحسن نية فى سبيل المملكة والسلطنة بحيث يمكن تصديق ادعاءاته؟ فحينا يؤسس فى إيران بيت النسيان، ويهيئ المناخ فى إيران للحكم الجمهورى الذى يعد من ضروريات الماسونية، ويهدد لفترات طويلة الشاه والحكومة وعدة آلاف من العاملين بها وأفراد الأمة. وحينا يذهب إلى مصر فى مهمة رسمية للعمل قنصلا، فينتهك شرف الحكومة ويتكدى من الخديوى إسماعيل عشرة آلاف تومان على سبيل الإنعام، وحينا يضع على رأسه الطربوش العثمانى ويصير من مواطنى تلك الدولة... وبعد ذلك موضوع رويتر الذى لم يدخل حيز التنفيذ.... ولا أعلم لماذا تُدفع هذا العام إتاوة قيمتها عشرون ألف تومان لذلك الشخص المحتال الناكر للجميل الذى صدرت عنه تلك الأعمال، لماذا يُعين سفيرا للحكومة فى بلاط الحكومة البريطانية ونحن لدينا حاليا ألف مشكلة مع تلك الدولة؟! فلو أن الحكومة تخشى أن يكتب فى الصحف عن أخطائها بعد عزله، فإنى أجيب على ذلك بسؤال؛ ما الأخطاء التى لم يكتب عنها بنفسه صراحة أو حرص هو والمردة أتباعه على كتابتها بحيث يمكن أن يُكتب عنها بعد ذلك؟... وإذا افترضنا هذا، فمن السهل إحضاره من أوروبا تحت الحراسة ومعاقبته والأفضل عدم الاكتراث به مطلقا. فهذا الشخص المحتال كلما أراد إعاقة إجراء مفيد أو غير مفيد من المنتظر أن يُنفذ فى إيران، أو إثبات وجوده بتأليف رسالة "كتابچۀ غيبى: الكتيب الغيبى" فإنه يهدد حكومتنا ويترصد الأخطاء لزلزلة مكانة الشاه ورجال الحكومة. يجب أن يوجه إليه سؤال: أيها السيد الراهب المحظوظ المقيم بلندن، لقد تحدثت عن الأخطاء، فلو كنت عاقلا وعالما؛ افصح عن الحلول. يكتب مثلا عن أن إيران ستضطر إلى سن القانون شاءت أم أبت. فيجب الرد عليه: ألا نملك قانونا؟ وما العيب فيه؟..."

الخلاصة إن ما يتضح من خلال دراسة حياة ملكم أنه كان رجلا محبا للمال باحثا عن السلطة، شديد الجرأة، عنيدا، منتقما وفى نفس الوقت مطلعا ثاقب الرؤية لدرجة أن ناصر الدين شاه كان يخشاه –ويراقب تصرفاته دائما. فكتب نظر آقا سفير إيران فى باريس فى تقرير له: "والآن لقد ترك ملكم خان مكانه فى لندن، وقدم إلى باريس، ويجب تقديم تقرير كل يوم عن أحواله؛ وماذا يفعل وغلبى من يتردد وهل يمارس الاحتيال أم أنه مشغول بأمر آخر".[1]

مؤلفات ملكم:

أراد من هم على خلاف مع ملكم أن يشككوا حتى فى مكانته العلمية والأدبية. ولقد طالعنا رأى اعتماد السلطنة عنه سالفا. ويعتبر السيد إبراهيم بدايع نگار أنه كان محروما من "اللطائف العلمية والأدبية"[2] ويعتقد مخبر السلطنة هدايت أن "ما كان يكتبه موجودا بألفاظ مختلفة فى الجلستان والبستان"[3] ولكننا نعلم أن ملكم قد درس فى باريس الإلهيات وعمل فى مجال الحقوق السياسية، وهناك اطلع أيضا على أعمال كبار الفلاسفة وزعماء الثورة الفرنسية، كما قرأ خلال فترة إقامته الطويلة بلندن مؤلفات الأدباء والعلماء البريطانيين، وكان مولعا بأفكار وآراء المفكر البريطانى الشهير جان ستيوارت ميل،[4] وترجم مقتطفات من كتابه الشهير "فى الحرية" إلى اللغة الفارسية. وقد انعكست محصلة هذه القراءات التى امتدت لعدة سنوات على كتاباته فى صحيفة القانون ورسائله المتعددة مثل "أصول آدميت: أسس الإنسانية" و"نداء العدالة" و"توفيق الأمانة" و"الحجة" و"المفتاح" و"كلمات خيالية" و"الكتيب الغيبى أو دفتر التنظيمات" و"الرفيق والوزير" و"النوم واليقظة" و"أسس التقدم" و"مذهب رجال الديوان"[5] و"إنشاء الله وما شاء الله" و"الشيخ

(١) إبراهيم تيمورى: عصر بيخبرى، ص ٦٦.
(٢) رسالة عبرة الناظرين: نقلا عن سياستگران دورة قاجار، ص ١٤٦.
(٣) القسم الثالث منذ العصر الصفوى حتى العصر الدستورى، ص ١٥٥
(٤) Stuart Mill (١٨٠٦– ١٨٧٣م).
(٥) ورد نقد لاذع لسلوك رجال البلاط بقلم ملكم فى مقال "أسس مذهب رجال الديوان"، وخلال =

والوزير" و"فرقية كجبينان: جماعة الحول" و "كتيب السياسة" وكذلك انعكست على التقارير والرسائل الرسمية وغير الرسمية التى كان يكتبها للحكومة ورجالات إيران. وقد تحدث فى هذه الكتابات عن كافة القضايا والمشاكل الاجتماعية والسياسية فى إيران تقريبا مثل الحرية والقانون والحقوق الأساسية للمواطن ومكافحة الظلم والجور وأسس السياسية الخارجية، وإصلاح الحكومة، وسن قوانين المملكة، والأخذ بالمدنية الأوروبية، وتنشيط الشئون الاقتصادية بالدولة وجذب رءوس الأموال الأجنبية، ومحاربة الفساد والخرافات والأوهام و إصلاح الخط وأسلوب الكتابة وغير ذلك.(١)

ومع ذلك فمن قمة الإجحاف وقصر النظر أن نعتبره محروما من حلية العلم والأدب وأن نبحث فى كتابين مثل الجلستان والبوستان عن الموضوعات والمفاهيم التى تناولها والتى كانت خلاصة لجهود وحكماء وعلماء الغرب المتواصلة.

والحقيقة إن ملكم كان من رجال إيران اليقظين الواعين بالرغم من كل المؤامرات والمغامرات ورغم النقد الهادف الموجه إلى بعض كتاباته، وكان يدرك أكثر من كافة أعدائه ومناوئيه أوضاع عصره ومشاكل بلده وسياسة الدول الأوروبية فيما يتعلق بآسيا، فمساعيه فى سبيل إيقاظ الإيرانيين أمر مسلم به ولا جدال حوله.

ولكن فيما يتعلق بأسلوب ملكم فى الكتابة فيجب أن نؤكد على أنه تولى منذ البداية ترجمة دروس معلمى دار الفنون الأجانب من الفرنسية إلى الفارسية وكذلك الترجمة للوزارة والبلاط الملكى، ونظرا لقلة درايته بالعبارات الحكومية المتكلفة

هذه الرسالة التى كتبها فى فترة إقالته أفصح ملكم عما فى قلبه حتى أنه خرج فى بعض المواضع عن اللياقة. وقد ورد متن هذا المقال فى كتاب "فكر آزادى" تأليف فريدون آدميت.

(١) جمع بعض هذه المقالات هاشم ربيع زاده وطبعها تحت عنوان "كليات ملكم" عام ١٣٢٥ فى طهران. وعلى الرغم من أن هذه الطبعة تضم الكثير من الأخطاء فقد كانت واسعة الانتشار فى صدر المرحلة الدستورية. وبعد ذلك طبع أيضا محمد محيط طباطبائى الجزء الأول من "مجموعة أعمال ملكم" ووضع لها مقدمة وحواشى وذلك عام ١٣٢٧ هـ.ش فى طهران.

والمصنعة فقد كان مضطرا للتدقيق بشدة عند نقل النصوص الأساسية إلى اللغة الفارسية ومراعاة اختيار الكلمات وانسجام العبارات وسلامة البيان. وعلى هذا النحو ابتكر أسلوبا فى الكتابة يتميز بالبساطة والسلاسة ويراعى الفصاحة والبلاغة وحسن البيان. إن كتابات ملكم المتمثلة فى اثنين وأربعين عددا من صحيفة القانون ورسائله الاجتماعية والسياسية الهادفة والتى كانت تطبع أحيانا بلا توقيع وأحيانا أخرى موقعة؛ على الرغم من أنها لا تخلو من الأخطاء اللغوية والنحوية فقد أثرت بالقطع فى إيقاظ الشعب نظرا لبساطتها واقترابها من لغة الحوار، كما أنها حظيت باستحسان أصحاب الصحف في مرحلة صدر الدستور، وكانت لفترة من الوقت مثلا يحتذى به الأحرار والكتاب فى إيران.

وها هو نموذج من مؤلفات ملكم:

"جماعة الحول":

"... اصطحبنى رفيقى إلى عدد من الفرق الغريبة كانوا جميعهم من جماعة الحول، ولكن كل واحدة منهم كانت تتميز بضرب من الجنون. كان البعض يريد معالجة أمراض الجسد باستخدام قواعد علم الجفر، والبعض يكرس حياته لفترات طويلة لمعرفة مصير الناس من اقتران الكواكب... ويعتقد البعض أيضا أن اللغة تم ابتكارها من أجل السجع وإهدار الوقت لا من أجل أداء الغرض منها.

وهؤلاء المجانين من الفئة الأخيرة الذين عرفوا بين الناس بالهزليين أى الشعراء لم يبحثوا عن المعنى مطلقا سواء فى كلامهم أو كتاباتهم من منطلق المعتقد الذى يؤمنون به. وجعلوا غموض الكلام أعلى درجات الفن و كانوا يقضون أكثر أوقاتهم فى جمع الألفاظ الغامضة. وعندما كانوا يستمعون لكلام شخص ما كانوا ينصتون لما يقول بل يترصدون أى لفظ غامض جديد ينطق به.

ونظرا لأنهم كانوا يعتبرون السجع من أفضل فنون الكتابة فلم يهتموا فى مراسلاتهم سوى بالقافية، وكانوا يمضون أغلب أوقاتهم لتلفيق عدة سطور من كلام

مقفى لا معنى له، وكلما ورد لفظ "واصل" فى كتاباتهم فبالقطع يعقبه لفظ "حاصل"، ولفظ "وجود" يعقبه "ذى جود" و "مزاح" يعقبه "وهاج". ولم أقرأ لفظ "ضمير" غير مقرون بكلمة "منير" من أجل السجع.

وكلما أضيفت كلمة "بدبختى" إلى الصفة "قرين" كان لابد وأن تضاف إلى الصفة "همنشين". ولم تكن كلمة "دروغ" تستخدم دون "فروغ"، وكلمة "خدمت" دون "رفعت". وكل شخص "عالى" الجاه لم يكن من الممكن ألا يكون "متعالى" المقام. وكل من "كان "رفيعا"، يربط فى ذيله "منيعا" ويجره خلفه.

وتوارثوا عدة كلمات من هذا القبيل وكان يدونها كل الهزليين ويستخدمونها فى جميع مراسلاتهم دون أدنى اختلاف. حتى أنهم كانوا يكتبون وقت انتشار وباء الطاعون: "وصل الخطاب الكريم فى أفضل الأوقات". ألا يسأله أحد ويقول أيها الهزلى المجحف هل يكون أفضل الأوقات وقت انتشار الطاعون؟ إذن فمتى يكون أسوأها؟ ومنذ أن انتشر لفظ "المراسلات" وحتى الآن يُكتب فى كافة المراسلات أن "الغرض الأساسى سلامة المزاج الوهاج". وإذا وصل المقام للسؤال عن الأحوال يُعربون عن التنعم بالصحة ويتفننون فى الدعاء ولا يتضررون من شىء سوى الحرمان من فيض الصحبة، فهذا كل ما يأملون أن يتحقق بسرعة.

ألفوا كتبا يقرأها الإنسان عشر مرات ويظل متحيرا لإدراك المعنى وكأنه يقرأها للمرة الأولى قرأت مئات الكتب من مؤلفاتهم لم أجد بها موضوعا جديدا. وكلما كانت العين تقع على صفحة كان يوسف يضل فى بئر غمازة الذقن، وفراشة القلب هى التى كانت تذوب فى نار العشق. والحية هى التى كانت تطوق وجنتى المعشوق. وفى بداية كل سطر يُكتَب فيه كأس جمشيد تتأهب سهام الأهداب على قوس الحاجب وتخطف كرة قلوب العاشقين بصولجان الجدائل. ورأيت ألف قصيدة تبدأ كلها بنهج واحد بذكر الربيع، ثم تقفز من الجبل إلى اليابسة ومن الأرض إلى السماء حتى تصل بعد ألف معركة إلى شخصية الممدوح. وعندئذ تتحدث عن أهداب "رب الأرض والزمان" وتُراعى القافية حتى الوصول إلى ذيل جواده. وبعد

مبالغات لا حد لها والوقوع فى أسر القافية تناشد القصيدة الفلك كى يختفى العالم فى الزمان ليصير عمر الممدوح خالدا!. ومن مكارم عدل كل ظالم يُمْدَح يؤاخى الذئب الحمل، ولسطوة قهره لا يتطاول، الكهرمان على التبن الضعيف. وفى مدح كل خسيس تُحاك أكاذيب ومبالغات لا يجرؤ أمى مجنون على ترديدها.

قفز شاب هزلى مجنون من أحد الأركان، ومزق حجاب الحياء ببلطة مخيفة وقال: أيها الرجل الأحمق الهزلى، ماذا تفهم من هذا اللغو؟ لماذا تبالغ إلى هذا الحد لتضيع وقتك وتزعج الآخرين؟ هل أنت عدو نفسك؟ إلى متى تقيد الخيال البشرى بألفاظ لا معنى لها؟ كم يعانى الناس فى سبيل فهم اللغو، الذى تريد أن تقوله؟ من هو "الصقر الملكى الموهوب بالتحليق فى الأجواء العليا"؟ وما معنى "آنسة الكلام"؟ لماذا لا تعبر عن الموضوع بأسلوب تفهم به شيئا مما تقول، وتضيف به شيئا على ما يعلمه المستمعون؟ ما الجمال فى غموض الألفاظ وكثرة السجع لدرجة أنك تجاهد وتفاخر به؟ فكل أحمق يتتبع الكلمات قليلا يستطيع أن يقول كلاما غامضا مبهما لا يقدر أى عقل على فهمه، ولكن فصاحة الكلام تبتعد عن غموض الألفاظ، وجمال الإنشاء يكمن فى وضوح الأفكار وسهولة فهم الموضوع لا فى زيادة غموض العبارات".

الفصل الخامس

الكتابة المسرحية

١- تمثيليات التعزية والعروض التمثيلية:-

ليس للمسرح والكتابة المسرحية وفقا للمفهوم الأوروبى سابقة فى إيران، وانحصر فن المسرح منذ فترات طويلة ماضية فى تمثيليات التعزية التى كانت تُعرض فى العشر الأوائل من محرم. وتمثيليات التعزية عبارة عن تجسيد وتمثيل الاستشهاد المفجع لحضرة الحسين سيد الشهداء وأصحابه، أو أحد الأحداث المتعلقة بواقعة كربلاء، وهذه المأساة الدينية تشبه إلى حد كبير المسرحيات الدينية أو الأخلاقية التى كانت تُعرض فى أوروبا فى القرون الوسطى.

ويبدو أن تمثيليات التعزية لها جذور أكثر قدما. فكان الديالمة ملوك إيران الشيعة يمثلون مظالم الخلفاء وقصة كربلاء المفلة للروح. ولكن هذه العروض كانت صامتة، وكان المشاركون فى العرض يظهرون بزى الفرسان والمشاه وبعد ذلك تقدم تمثيلية التعزية شعرا، وكانت فى الواقع نوعا من الميلودراما.

وظهرت تمثيليات التعزية الناطقة فى إيران فى عصر ناصر الدين شاه على ما يبدو؛ وإن كانت قد ظهرت قبل ذلك فإنها ازدهرت فى عصر ناصر الدين شاه وظهر ممثلون بارعون فى التعزية.[١] ويبدو أن مشاهدة الشاه للمسارح الأوروبية أثناء رحلاته قد أثرت فى ازدهار تمثيليات التعزية.[٢]

---

(١) مثل ملا حسين وميرزا غلامحسين وجهانجير.

(٢) عندما سافر ناصر الدين شاه لأول مرة إلى أوروبا شاهد المسارح الأوروبية، وبعد عودته إلى إيران عام ١٢٩٥ هـ شيد التكية الحكومية لهذا الغرض على الطراز المعمارى لقاعة ألبرت المشيدة فى لندن. ولكن نظرا لاعتراض رجال الدين على العروض المسرحية تحول المسرح إلى تكية ومكان لعروض التعزية. (شُيدت تكايا أخرى بعد ذلك وهى تكية ولى العهد، تكية عضد الملك، تكية صاحب الديوان، تكية سيد إسماعيل، تكية خلجها وتكية منوچهر خان). وكانت أقوى عروض التعزية تُقام فى التكية الحكومية. وكانت هذه القاعة الواسعة تتكون من طابقين، وقسم الطابق العلوى إلى حجرات، وخصصت للشاه والأميرات=

وقد أُعدت متون تمثيليات التعزية فى وقت متأخر إلى حد مـا. ولـم تكـن موضوعاتها تدون عادة، بل كانت تدون الأشعار والمجالس (أى دور ومشاهد كـل فرد) على ورقة ليستعين بها المشاركون فى مشاهد التعزية، ولهذا فنحن نجهل فى الغالب أسماء من قاموا بتأليفها. (١)

وكانت العروض كما ذكرنا تتميز بطابع التعزية، ولكن كانت هنـاك أيـضا عروض تمثيلية فكاهية من بينها "عرس قريش" و"سليمان وبلقيس" و"الأمير تيمـور ووالى الشام" والتى كانت تُعرض فى مجالس الرجال ومجالس النساء أيضا. (٢)

ومضمون هذه العروض ساذج جدا وبدائي. فخلاصة الموضوع فى تمثيليـة "عرس قريش" كالتالى:-

عرس قريش: أقامت نساء قريش الوثنيات مجلس عرس واحتفال فى مكـة،

=ورجال البلاط. وأعد فى صحن التكية مكان كبير للمشاركين فى العرض، وشُيد فى وسطه مسرح من الجص والطوب كان يعتليه المشاركون فى العرض ليأدوا دورهم. وبينما يخفـى كل واحد ممن ينشدون الشعر واحدا من الممثلين أسفل شاله كان "مدير مجلس التعزيـة" أو "المُبكى" يدخل ويعطى الإشارة ببدء التعزية مع أنغام الموسيقى الملكية. وكانت تُقـدم فـى عروض التعزية شخصيات الشهداء والرسل والملوك والملائكة والجن وأحيانا كانـت تُقـدم شخصية أجنبى يسمى "السلطان قيس" وأيضا أسد يسمى "فضة"، وتوضح هـذه المـشاهد أن ليس الشيعة وحدهم بل الجن والأنس والكفار والحيوانات فى حداد لهذه المصيبة ويـشعرون بالخزى لهذه الجريمة المأساوية.

(١) وقد جمع العلماء الأوروبيون نصوص بعض هذه التعازى وترجموها ونشروها. ومن بينهـا مجموعة خاصة بفتحعلى شاه القاجارى وتتكون من ثلاثة وثلاثين مجلـسا وقـام بترجمتهـا الكساندر خودسكو (A. Chodzko) وشارل فيرollo (Ch. Virolleaud) وروبير هنـرى دو جنره (R. H. DeGenert) ونشرت. وقام الكولونيل ويليام ليتن (W. Litten) بتصوير مجموعة أخرى مكونة من خمسة عشر مجلسا ونشرها دون ترجمة، وهناك مجموعة أخرى مكونة من سبعة وثلاثين مجلسا ترجمها الكولونيل لويس بيلى (L. Pelly) إلى الإنجليزيـة ونشرت فى مجلدين. وهناك آخرون قدموا أعمالا عن التعزية فى إيـران مثـل كريمـسكى (Krimski)، وبرتلس (E. Berthel's) و ويليام بنجامين (W. Benjamin).

(٢) كان الملوك القاجاريون يمتلكون دورا للتمثيل، فقد أنشأ فتحعلى شاه اثنين أحـدهما للنـساء والآخر للرجال، وكان جميع الممثلين تابعين للبلاط ويحصلون على رواتب من الدولة.

ودعون أيضا حضرة فاطمة الزهراء بنت الرسول لتحضر العرس. وفـــى البدايـــة تمتنع حضرة فاطمة عن حضور الاحتفال، ولكنها تقبل الدعوة نتيجـــة إصـــرارهن وأمر حضرة الرسول، وحين خروجها يصل حور من الجنة ويقدمن لها الملابـــس الفاخرة.

وعندما ترى العروس ابنة الرسول على هذا النحو من الجاه والجلال تغيـــب عن الوعى، ولكنها بفضل دعاء حضرة الزهراء تعود إلى وعيها، فتسلم العـــروس ونساء قريش الأخريات اللائى كن وثنيات كافرات.(١)

الأمير تيمور ووالى الشام:-

أما قصة الأمير تيمور ووالى الشام فهى قصة جذابة توضح أن ملكا ســفاحا مثل تيمورلنك لم يستطع أيضا أن يعفو عن أهل الشام بسبب واقعة كربلاء.

فيذهب الأمير تيمور إلى العراق للثأر لحضرة الحسين، ويقسم فى النجــف عند المزار المطهر لأمير المؤمنين ثم فى كربلاء أمام مرقد حضرة سيد الــشهداء بأنه لن يهدأ حتى ينتقم لواقعة كربلاء ويدمر مدينة حلب. ويتحـــرك تيمـــور مـــع جيوشه صوب الشام، ويقرر والى الشام أن يُهدى ابنته لتيمور لينقذ نفـــسه، ولكـــن تيمور يأمر بنزع الغطاء عن رأس الفتاة والملابس الفاخرة عن جـــسدها. وتقييـــد الوالى وحبسه.

والمشاركون فى العرض عبارة عن الأمير تيمور، ووزيـــره، والـــدرويش، ووالى الشام، ووزيرين من وزراء والى الشام وابنته. ويبدأ العرض علـــى النحـــو التالى:-

---

(١) كان يُعرض هذا العرض التمثيلى فى التكايا وخاصة التكية الحكومية على نحو مهيب. كمـــا كانت أميرات البلاط أيضا تقمن هذا العرض ومنهن مهد عليا الأولى، ووالدهما فتحعلى شاه، ومهد عليا الثانية، وملك جهان خانم والدة ناصر الدين شاه والسيدة منير الـــسلطنة، ووالـــدة كاهران ميرزا ولى العهد، وغيرهن.

الأمير تيمور: يا وزير، يا له من مكان جميل مبهج، ينبعث النور من أرضه إلى السماء السابعة، وجوه منعش للروح كروضة إرم، وسماؤه هواؤها طيب كجنة الخلد العليا!......

أصدر الأوامر بمد موائد النعم كي أتمتع برغد السلطان.

الوزير: أيها الخدم، مدوا الموائد وزيدوا من نعم الحق.

الأمير تيمور: اجلس، أيها الوزير أفلاطوني الضمير، كُلْ هنيئا بإذن الأمير.

الوزير: (بعد تناول الطعام ومدح ملك الأزمنة) ما السبب في مناجاتك للحق؟ فالحق يضمن لك تلبية حاجاتك.

الأمير تيمور: اعلم يا وزيرى، أيها اللبيب أن هذه اللحظة قرينة الإقبال والسعادة فبعد فتح بغداد أم البلاد سأجعل تراب مُلك حلب يضيع مع أدراج الرياح وسأجعل أعالى بلاد الشام أسفلها حتى لا يبقى لها أثر عدا اسمها.

وتنتهى على النحو التالى:

الوزير الأول: لم أرتكب أى جرم أيها الأمير

الوزير الثانى: إذن من الذى ارتكب المظالم التى لا حد لها أيها الوزير؟

الوزير الأول: هذا التعيس هو الذى فعلها.

الوزير الثانى: هذا الظالم هو الذى فعلها.

الوزير الأول: هذا الوزير يستحق الجلد

الوزير الثانى: فلتأمر بحبسه أيها الأمير

الأمير تيمور: يجب جلد كليهما بشدة. أحضروا العصا والفلقة للجلاد وقيدوا كليهما لتأديبهما(١)

---

(١) عن "بنياد نمايش در إيران" تأليف د. أبو القاسم جنتى عطائى.

٢- العروض الفكاهية:-

وظهر فى إيران منذ العصور السالفة نوع من العروض الشعبية المشابهة لعروض السيرك إلى جوار العروض التمثيلية.و كانت عبارة عن مشاهد تضم العروض واللطائف التى يقدمها مهرجو البلاط والأسواق (الفتوات والمطربون).(١) وكان القائمون بتأدية هذه المشاهد يسخرون من أعدائهم من خلال تأدية بعض اللعب على الحبال والرقص والغناء، وكانوا فى الغالب ينتقدون الحكام وحتى رجال الدين من خلال عبارات منمقة مزدوجة المعنى. ولم تكن نصوص هذه العروض الفكاهية مدونة، فارتبط اختيار مضمونها برغبة من يقومون بتأديتها ومكانة المشاهدين وما تقتضيه الظروف، وبشكل عام لا يمكن إدراجها فى عداد الأعمال الأدبية والفنية.

وأشهر هذه العروض، عرض "الحاج الماس". والحاج الماس غلام أسود يعشق ابنة صاحبه. ويعلم والدا الفتاة بالأمر فيعاقبان الحاج الماس. فيقوم الحاج الماس بدوره بإخبار سيدته بخيانة زوجها، ويخبر سيده بخيانة زوجته ويوقع بينهما وينتقم لنفسه.

ومن العروض الفكاهية عرض "السيدة راكبة الحمار" وحظى كل عرض فى وقته بالإقبال كما تضمن مسائل أخلاقية.

وتحتل كل هذه الأعمال مساحة ما بين الأدب الشعبى والأدب الفصيح، ولا تحظى بأهمية كبيرة من الناحية الأدبية.

---

(١) فى عهد ناصر الدين شاه كان يقدمها أحد المسئولين عن كوشك الموسيقى (النقارة) يسمى كريم شيره أى وصديقه وزميله فى العمل إسماعيل البزاز، وكانا من المهرجين الماهرين أو بالمفهوم المعاصر من الفنانين الكوميديين وذلك فى البلاط ومجالس الأعيان والأشراف وخاصة أثناء مراسم عزف السلام فى عيد النيروز التى كانت تعقد فى بناية سردر. ومن المهرجين الآخرين أيضا شغال الملك. وحسين دودى والشيخ شيپور والشيخ كرنا وحسن جربه وغيرهم وكانوا يضحكون الناس باللطائف ويجذبون اهتمامهم.

"بقال بازى در حضور: عرض البقال فى البلاط"

ولكن نتيجة تنامى علاقات إيران بالغرب وانتشار الثقافة والعلوم الأوروبية تطورت تدريجيا العروض، وبقدر ما أصاب العروض التمثيلية وعروض التعزية من أفول بقدر ما ازداد الإقبال على عروض السوق المضحكة، أما الممثلون المقلدون الذين انحصر عملهم فى التقليد والسخرية وأداء الحركات وإضحاك الشاه ورجال البلاط فقد عملوا على إدخال مشاهد فى لطائفهم لنقد الشخصيات والأوضاع.

وأكثر هذه العروض تكاملا "عرض البقال فى البلاط" ومؤلف هذا العرض غير معلوم وكذا تاريخ تأليفه ويقول الدكتور أبو القاسم جنتى عطائى مؤلف كتاب "بنياد نمايش در إيران: جذور المسرح فى إيران"، قدم هذا العرض سيد على نصر لأول مرة عام ١٣١٧، وكتب فى الكتيب الدراسى عن تاريخ المسرح فى الفصل المتعلق بإيران حيث يرد ذكر المهرجين فى بلاط ناصر الدين شاه: "أشهرهم كريم شيره اى، وكان يقدم أيضا نقدا فى عروضه وسننقل فيما يلى مشهدا من العرض الذى كان يقدمه". ثم يضيف بعد نقل مشهد "كريم ويوشان خان":-

"هذا العرض المعروف بعرض البقال، كان يقدم ليلة عيد النيروز فى القصر الملكى." وبناء على قول مؤلف "جذور المسرح" فإن الأمير معز طبع عام ١٣٢٣ هـ.ش نص العرض فى مجلة هوليود العدد ١٨، ووصف مؤلفه بأنه أحد المشاهير، ونظرا لعدم إصدار المجلة (لاحقا) ظل المشهد الأخير من العرض ناقصا، ولا يمكن التكهن بنهاية الأحداث أو معرفة من ذلك الرجل؟

وأراد المؤلف المشار إليه بالقطع أن يبرز فى هذا العرض ملامح العصر الذى أُلفت فيه أعمال ملكم، فإن لم يكن هذا النص قد كتب قبيل تأليف أعمال ملكم خان المسرحية بفترة قليلة، يكون قد كُتب فى الفترة ذاتها.

إننى أدرك تماما استنتاج مؤلف "جذور المسرح"، واستنادا لقول الأمير مغر

الذى اعتبر المؤلف أحد مشاهير إيران وبالنظر إلـى أسـلوب الكتابـة "وملامـح العصر" التى تتجلى من خلاله؛ فإننى أعتقد بـشكل يكـاد يكـون يقينيـا أن هـذه المسرحية قد أُلفت قبيل ظهور أعمال ملكم المسرحية بفترة وجيزة، ولا يمكـن أن يكون مؤلفها سوى محمد حسن خان اعتماد السلطنة، ومقارنة هذا العمـل بكتـاب "خوابنامه" لاعتماد السلطنة –الذى لم يكن من الممكن أن يُطبع ويُنشر فـى حيـاة المؤلف تؤيد هذا الرأى إلى حد كبير.

ولكن سيد على نصر يعتقد أن هذا العرض كان يقدم فى القصر الملكى ليلة عيد النيروز، وهو أمر غير مبرر وأعتقد أنه قبيل كتابة "عرض البقال فى الـبلاط" على النحو الموجود بين أيدينا والذى نعتقد أنه كُتب بقلم اعتماد السلطنة، كان يقـدم مهرجو البلاط من أمثال جماعة كريم شيره اى وغيـرهم مـشاهد بـنفس الاسـم "عرض البقال" وكانت عبارة عن لطائف مناسبة للعرض فى بلاط الشاه. وهنا نقدم مشهدين من مسرحية "عرض البقال فى البلاط".

المشهد الأول

قبل يومين من عيد الميلاد يجلس الشاه على العرش فى إحدى غرف البلاط، ويقف الموظفون مصطفين.

الشاه: (إلى وزير البلاط) بعد غد عيد ميلادنا.

وزير البلاط: نعم؛ جُعلت فداك. إن الألعاب النارية والاحتفالات والمصابيح كلها مُعدة. وكافة أهالى إيران، وخاصة الجنود، يترقبون الاحتفالات والمسرات حمدا لسلامتكم ودوام دولتكم وعيد الميلاد الملكى السعيد، ونأمل أن نعيش ونفاخر إن شاء الله لسنوات مديدة فى ظل رأفة ورحمة سيادة صاحب الجلالة الملكية القوى المقدس بالدعاء فى نفس هذا العيد السعيد لملك الملوك ذى جاه جمشيد بطول العمر والإقبال.

الحاضرون فى البلاط: (بصوت عال) آمين يا رب العالمين

الشاه: (يجلس على العرش، يمسح بيده على شاربه ناظرا إلى ملابسه، ويقول فى اتزان شديد لوزير البلاط) نعم إن رغبة الشاه المباركة أن يتم الاحتفال بعيدنا هذا العام على نحو أفضل من الأعوام الماضية. أعدوا، أعدوا كل ما يلزم، حسن حسن حسن. جميل جميل جميل.

...الدولة: نعم، جُعلت فداك، جعلت فداء لرأس قبلة العالم المباركة.

الشاه: (إلى..... الدولة) اخرج، واجلس وأصدر مباشرة أمرا ليَشْرُف كافة العاملين بالبلاط بحضور مراسم الاحتفال الملكى (يخرج... الدولة والآخرون ويجلسون فى أحد ممرات الحديقة وبعد تهيئة لوازم

الاحتفال، يدون الأوامر بخصوص حضور الأهالى مراسم الاحتفال، يسلمها لرئيس الحرس، فيذهب ليخبر الناس، ويصل للجميع نسخة من الأوامر وإلى كريم قاجار آقا)

كريم خان: (بعد قراءة نسخة من الأوامر يعطيها لأخيه نوروزخان) نوروزخان؛ تعال لترى ما حل بنا، ولتنظر المصيبة التى حطت علينا، فبعد غد عيد ميلاد الشاه وأعلنوا عن الاحتفالات العامة. لا يعلمون بحالة العاملين بالحكومة، الله يحرق الناس، فالجراية مقطوعة تماما ولم أحصل على دينار من راتبى عن نصف العام الماضى، واقترضت عشرة تومانات بفائدة عشر عملات من الشاهى، ففوائد القروض فاقت الحد، ممتلكاتى إما بعتها وإما رهنتها، بعد خمسين عاما من العمل بالحكومة لم يبق لى سيف كى أضعه على خصرى وأذهب لحضور الاحتفال. ولنفترض وجود سيف من أين أجد جوادا، ماذا أقول للناس، أأقول لم أحصل على راتبى. يا له من إجحاف...

نوروزخان: يا أخى، لقد وصلك خمس أو ست قطع من السيوف والخناجر، وخاصة ذلك السيف المطعم مقبضه بالذهب الخاص بالمرحوم خان آقا، ماذا فعلت به؟ ألم يكن من المفترض أن ترهنه أو تبيعه.

كريم خان: الله يعطيك العمر، أمع هذا العمل الحكومى وظلم ولاة الدولة، هل تطيب الأحوال أو تبقى هذه الأشياء! لقد بعتها كلها وولت. لقد احتفظت بالسيف المطعم مقبضه بالذهب بطلوع الروح، وأول أمس أتى دائن وأصر على المطالبة بدينه وطلب رهنا فأعطيته له.

نوروزخان: لقد تأزمت الأمور. لا أعلم ماذا سيحدث بعد ذلك! بالأمس كانت هذه الشكوى تتردد فى بيت قبيلة القاجاريين.. والمشكلة أنه لن يستطيع الذهاب للاحتفال أكثر من خمسة أو ستة أفراد.

كريم خان: ليكن ما يكون فأنا لا أستطيع الذهاب. فلا عندى جواد ولا عندى خدم. لا عندى سُتره. ليأتى حانوتى ويحمل هذا العمل الحكومى وهذه الحياة، أين أولئك الذين كانوا يشتكون من عهد المرحوم محمد شاه؟ ليأتوا الآن ويروا هذا الحشر. (فى هذا الوقت يدخل بابا خان آقا، كبير القاجاريين وهو معمر محنك ومحترم وبرفقته عدد من أشراف القاجاريين).

بابا خان آقا: السلام عليكم.

كريم خان: عليكم السلام يا عمى العزيز. مرحبا لقد أتيت فى الوقت المناسب، مرحبا، الآن كنا نتحدث عن الأوقات العصيبة التى تمر بالقبيلة المبجلة.

بابا خان آقا: يا بنى، أية قبيلة وأى تبجيل! لقد ذهبت قبيلتك لحال سبيلها، لقد ضاعت الرعية والعاملون بالبلاط، وصارت الحكومة مفتضحة تماما. فمولانا هذا ابن الحلاق[1] أنزل بلاءً على رأس الإيرانيين بالتدليس والنفاق بحيث إن إيران ستظل خربة ولن يشعر الإيرانيون بآدميتهم لمائة عام.

كريم خان: يا عمى العزيز، لقد فاقت أحوال إيران هذا، والألم يعتصرنى. ألا يسأل أحد ماذا فعل هذا الصدر الأعظم الإيرانى السياسى ابن الحلاق منذ أن رأس الوزارة، وما التنظيمات التى قام بها، وما الاختلاف الذى حل بالدولة! لقد جعل التدليس المملكة خربة والرعية

---

(١) المراد ميرزا حسين خان مشير الدولة سپهسالار الأعظم. والده ميرزا بنى خان أمير الديوان القزوينى وجده عابدين الدلاك كبير الحلاقين لدى علينقى ميرزا ركن الدولة بن فتحعلى شاه.

موتى والأمور مختلة، وحرم الناس من الحياة. لتنظر ما آلت إليه إيران آخرا! لا يهتم أحد سوى بنفسه.

بابا خان آقا: نعم، الأمر أسوأ من هذا بكثير؛ لقد فقد مولانا غيرته على الأمة، وألزم نفسه بالتغاضي تماما عن مراعاة واجباته باعتباره إيرانيا، فيحاكي ويقلد أمما أخرى. فهو يراعي حق العشرة مع العثمانيين وينفذ إصلاحاتهم ويكتب باستمرار في الرسائل:

"باب عالى[1]: الباب العالى، نظميه: قسم البوليس، ضبطيه: الشرطة، جزاى نقدى: غرامة مالية" حسن يا عبد الله، [موجها الخطاب للصدر الأعظم سپهسالار] ما العيب فى "در بارهمايون: البلاط الملكى" وما العيب فى لفظ "جريمه" بحيث تستخدم مصطلحات "باب عالى وجزاى نقدى" وتترك مصطلحات أمتك رغم وضاعة تلك الألفاظ، وتتمسح بذيل الآخرين. فلو لدى العثمانيين قواعد طيبة، حسن جدا فلنقبلها. إذن فلتنفذها كلها واعمل بها كلها. لماذا تنفذ الأشياء التى فيها مصلحة شخصية لك ولا تنفذ ما ليس فيه مصلحة لنفسك المنحوسة النجسة؟ سيدى العزيز فى تلك الدولة التى تشيع فيها هذه الإجراءات وتلك الألفاظ، يقدمون حقا للجندى طعاما للعشاء والغذاء وأدوية، لكنهم: أولا يقدمونها لكل الجنود لا لفرقة أو فرقتين، ثانيا: يدفعون للعاملين فى الحكومة راتبا بشكل منتظم ووفقا لنظام معين وقيمة محددة، فهم ليسوا مثلك؛ لم تدفع لستة شهور من السنة دينارا للعاملين بالحكومة، بل إن الناس لا يعتبرون أن لهم راتبا؛ أليس كذلك؟! كثيرا ما منعت الرواتب لسوء سريرتك ولم تدفعها يوما بالتزوير ولوضاعة أصلك. إذًا فى هذه الأمور أنت لا تُنفذ التنظيمات العثمانية، والحق معك طالما أنك ستدفع الأموال.

---

(١) المقصود البلاط العثمانى.

ثالثا فى تلك الدولة يبذل الوزير أو الصدر الأعظم كل جهده لتستقيم الأمور، ولا يهملون شئون الرجال المساكين ولا يتركون مثلك العاملين الفقراء مشردين، فهم لا يحتالون ولا يزورون، ويفرقون بين الصديق والعدو. يا مولانا، لو تريد أن تعلم حقيقةً مدى أصالتك فلتلاحظ وتدرك الألاعيب التى قمت بها فى دار العدل والأفكار الشيطانية التى ابتكرتها. أقول لك إن مجلس التحقيق للمماطلة فقط، ومجلس الجرائم والجنايات كله تابع بك، وفى حجرة الاستجواب أصيب كافة القائمين بهذا العمل بالخرس من الجوع، وفى حجرة الدعاوى لا يفرق أحد بين المدعى والمدعى عليه، وفى حجرة التنفيذ تسيل الدماء من قلب المدعى والمدعى عليه من الانتظار. الخلاصة؛ فى كل وزارة فرشت خمسين غرفة وفقا للطراز العثمانى بالأبسطة وعلقت بها الستائر الأوروبية وكلفت عددا من الرجال الأعزاء المحترمين الأكفاء بأعمال تافهة ولم ينجزوا شيئا، حققت هدفك وهو التقليد. فالحكومة متضررة والأمة حائرة مشردة، وأنت رأيت العاقبة. إن كفاءتك ولياقتك لا تكفى، فالقول ليس كالعمل، تركت هذا... وفكرت فى لعبة أخرى. ولأن ملكنا يميل بفطرته إلى هذا النوع من التسلية والألعاب الطفولية، فقد أحب كل هذه التفاهات وتلك المظاهر، وقام بتنفيذها وهذه المرة حصل مولانا على لقب (سپهسالار: قائد الجيش) حسن حسن حسن !

هل أحسنت صنعا بشئون الأرض   كنت تتولى أيضا شئون السماء !!

[مخاطبا كريم خان] فلتكن بالله منصفا؛ ما إمكانياته وما مهاراته؟! هل ذلك الوجه الشبيه بالقرد، أم ذلك التمكين والوقار، أم إخلاص النية للحكومة على هذا النحو؟! بما يتميز من بين هذه الأمور؟ بالله إن كل من يتحلى بقليل من الحكمة والمعرفة، ولديه اطلاع على تاريخ الدول الأجنبية فى الماضى وأوضاعها الحالية

سيقر بأنه لم ترتكب أية دولة أو أية أمة منذ بداية خلق آدم والعالم مثل هذه الحماقة وذلك الخطأ من تعيين شخص تافه كريه متآمر فى مثل هذا المنصب كى تبدو تلك الأمة أمام الأنظار فى الداخل والخارج على هذا النحو الهزلى الساخر.

نوروزخان: عمى العزيز، إن هذا كله من سوء حظ وصبر أهـالى إيـران على المشاق، وإلا فأين وجه المقارنة بين أولئك الرؤساء وقادة الجيـوش القـدامى وابن الحلاق هذا!

بابا خان آقا: وهذا الأمر أيضا لطيف: تُعطـى سـترة عـسكرية قـصيرة وخنجرا وقلنسوة لكل فتوة وديوث وسوقى مشرد ممن كانوا لصوصا ومخنثين منذ طفولتهم؛ ويُطلق عليهم مصطلح "فرقة من الشرطة". آخرا يا من لا مرؤة عنـدك، [مخاطبا سـپهسالار] أيها الظالم إلى متى يلحق هذا القدر مـن الـضرر بالدولـة وممتلكات الأهالى المساكين وأنفسهم من جراء استخدام لفظ الشرطة الذى يعد تقليدا أعمى، وإلى متى تسمى جماعة من اللصوص فرقة من الشرطة، ليتحكمـوا فـى الرعية؟!

كريم خان: الحمد لله ببركة هذه الفرقة سوف تنزل البغى بعد ذلك فى بيوت الدعارة تحت حماية ذوى الخناجر والقلنسوات ذات النياشين وسوف تطلب أضعافا، وذلك ببركة رأس مولانا.

بابا خان آقا: لا سيدى، هذه الفرقة سيتم تسريحها أيضا. علمت بـالأمس أن واحدا منهم كان يصطحب واحدة إلى مكان ما، فأمسكه الفتوات، وتجمـع رجـال الشرطة، وصارت مشاجرة، وأصابوا الاثنين بجراح، وندموا عندما افتضح الأمر. وسوف تُسَرَّح هذه الفرقة. فهذه الفرقة من الـشرطة سـتمثل أمـام دار العـدل. واحسرتاه على الخناجر، واأسفاه على البنادق والقلنسوات ذات النياشين! ما الفائدة، ألا يقول أحد لك [مخاطبا سـپهسالار] إنك تستقطع رواتب ومقـررات العـاملين القدامى والناس المساكين من الأشراف، وتسمى ذلك عوائد للدولة، وإنك لا تلحـظ هذه الأضرار التى تلحق بالدولة مطلقا. حسن تذكرت أن أقول هذا الموضوع: يـا

سيدى ما هذا القيشانى الذى يُلصق فى الممرات والمنازل؟ أعطيت لأسرة ولم تعط لعشرة آخرين. لو كان لهذا الأمر فائدة، لماذا لـم تتمـه، لمـاذا تركتـه ناقـصا؟ الخلاصة ما يُشترى بقران واحد تم شراؤه بعشرة قرانات، لماذا تتسبب فى خسارة الدولة، ولماذا تعمل عملا مبهما غير مبرر؟ وتلحق الضرر بالدولة؟ أيها المحـب للخير غير السوى!!! إلى متى تبتكر تلك الحيل؟ أواه من هذا التـدليس والتحايـل! رحم الله أهالى إيران! لقد مضى الوقت ويجب الذهاب، حفظك الله عمى العزيز

كريم خان: زاد لطفك، هل ستذهب للاحتفال أم لا؟

بابا خان آقا: لا عمى العزيز. أين لى بجواد؟ أين لى بخادم؟ أين الـصحة؟ حفظتك السلامة! إلى اللقاء.

المجلس الثالث:

يضع شوردكى على رأسه قبعة جلدية مرتفعة جدا، ويرتدى قباءً فـضفاضا مرقعا طويل الأكمام موشى بالقصب، ويلبس جبة من الجوخ قديمـة رثـة باهتـة اللون، وسروالا داخليا يبدو لونه الأبيض من خلال بعض الثقوب. ويلـبس فـردة حذاء نسائى خضراء ذات كعب عالى، ويضع على خصره شـريطا مـن الـورق ويمسك فى يده عصا... يدخل ريشكى مرتديا زى عامل بالبلاط وماستى فـى زى حارس. ويقف شوردكى وريشكى إلى جوار بعضهما. ويتقدم ماستى إلـى دكـان البقال، وينادى "آها آها" ويمسك بذقن كريم ويشدها قائلا: آها آها تيقظ، تيقظ"

كريم: (بخوف) يا رجل، ماذا تفعل يا وضيع الأصل، لقد خلعت ذقنى، مـا الخبر، ماذا حدث؟

ماسـتى: لقد أمر سيدى رئيس المحتسبين(١) أن يُحمل كل من يطفـف فـى الميزان أو يخلط الزبادى بالماء إلى غرفة الجـرائم والجنايـات فـى دار العـدل للاستجواب، ويُجرم إذا كان غشاشا(٢) وتُمزق طاقيته التى يرتديها تحـت العمامـة

---

(١)، (٢) الكاتب يضمن عبارات تركية داخل العبارات الفارسية (المترجمة).

وتوضع على رأسه، ويدفع غرامة مالية مائة وخمسين قرشا.

كريم: (متعجبا) يا سيدى من أين جئت؟ وما هذه اللغة؟ من رئيس المحتسبين؟ وأين حجرة الجرائم والجنايات؟ وما الغرامة المالية؟ وما تمزيق الطاقية التى يرتديها تحت العمامة؟ نعم لقد كثر عدد الحلاقين والخياطين؛ لهذه تزداد هذه التصرفات.

ماستى: يا الله، اذهب يا ديوث. أنا هو أنا.

كريم: حسن حسن، الآن يجب أن نترك علمنا، ونتعلم الألفاظ المستحدثة: حجرة الجرائم والجنايات، الغرامة المالية، كبير المحتسبين !... ليتك ما ذهبت إلى إسطنبول. أواه، لو أن إيران هى التى أراها الآن فسوف أسمع الكثير من هذه الأحاجى (فى تلك اللحظة يصل للدكان شوردكى وخلفه ريشكى).

شوردكى: (يقول لكريم) سيدى البقال السلام عليكم.

كريم: (متعجبا) فى كل لحظة يفد علينا جن من تلك الحديقة؛ عليكم السلام.

شوردكى: سيدى البقال ما عندك لنشتريه؟

كريم: بفضل الله كل شيء، ماذا تريد؟

شوردكى: حسن أشعل النرجيلة، لأدخن. وبعدها ندخل فى الموضوع.

كريم: هل تأمرنى بإشعال النرجيلة. (يعلم كريم من صوت شوردكى أنه من أصحابنا ممن يقومون بالنهب ولكنه كان يعتقد أنهم بلحية ويرتدون زيا مهندما، فيلتبس عليه الأمر، يشعل النرجيلة ويعطيها لشوردكى ويجلس أمامه قائلا). سيدى العزيز، عفوا، ما اسم سيادتك؟ ومن أين أتيت؟ وفى أية إدارة تعمل؟

شوردكى: أنا شاعر من بهبهان وقد درست فى أصفهان. نظمت قصيدة لعيد

الميلاد وسأحملها لأنشدها فى مجلس الشاه، ولكن نظرا لأننى أراك رجلا اجتماعيا وأصيلا، فليس من المستبعد أن أمنحك نصف إنعام الشاه، وآخذ منك متطلبات الأولاد.

كريم: طال عمرك. هكذا بالطبع يكون الإنسان الأصيل الشهم. ما اسم سيادتك؟

شوردكى: اسمى سوشان خان ولقبى "عقب الشعراء"

كريم: (مندهشا) ميرزا يوشان خان؛ ما معنى "عقب الشعراء"؟

شوردكى: نعم سيدى، نعم.

كريم: ما هذا اللقب الذى تُلقب به؟

ميرزا يوشان خان (شوردكى): الذنب ليس ذنبى. فالألقاب فى هذا العهد سوقية. فمن كثرة ما منحت الحكومة الألقاب لكل من يستحق ومن لا يستحق، لكل بالغ وصبى لم يبق لقب. فى عيد النيروز كنت قد نظمت قصيدة أعجب بها الشاه جدا، وشملنى بلطفه، وكان يريد أن يمنحنى لقبا، فكرنا كثيرا ولم نجد لقبا لم يمنح لأحد. فى النهاية أنعم علىّ بلقب "عقب الشعراء" بسبب التأخير. الدنيا مليئة بالأشياء، لا تهتم، فالشاه لا يحب الأسماء. فالألقاب لطيفة حتى وإن كانت لكلب أو قطة.

كريم: سيدى ميرزا يوشان خان، ألا تأبه حقا، أليس فى هذا تدنٍ للألقاب!

ميرزا يوشان خان: بارك الله فيك، أنا لا أهتم؟! سأعقد معك رهانا، لو أننى أحصيت جميع الألقاب جميعها، يكون من نصيبى علبة السمن هذه، وإذا فاتنى شىء من ذكرها سأعطيك كل ما أنعم علىَّ به الشاه.

كريم: أوافق، أعطنى يدك للقسم لو أنك ملتزم برهانك.

ميرزا يوشان خان: لا؛ اطمئن، فأنا لست مجد الملك لاتراجع عن كلامى

وأتحدث فى اللحظة الواحدة بألف طريقة. بسم الله، أحمل القلم وأكتب.

كريم: (يحمل القلم ويقول) بسم الله، قل لى ماذا أكتب.

ميرزا يوشان خان: اكتب: ظل السلطان، حسام السلطنة، نائب السلطنة، اعتضاد السلطنة، شجاع السلطنة، أمين السلطنة، شعاع السلطنة، مؤتمن السلطنة(١).

كريم: كفى ! أكل هذه ألقاب؟ لقد تعبت.

ميرزا يوشان خان: تمهل، تمهل ! إلى أين وصلنا؟ لم أكمل النصف بعد، اسمع واكتب. شجاع الملك، معين الملك، ضياء الملك، نصير الملك، ناصر الملك؟(٢)...

كريم: يا سيدى لقد اختنقت، كفانى بالله، لقد فزت. هذا السمن لك، خذه واكفنى شرك. ألم تكتفى من تلك اللعبة؟

ميرزا يوشان خان: وروح جدتك ! لقد انهمكت أخيرا. لن أتوقف لو أعطيتنى عشر علب. لقد أمعنت التفكير وتعبت. ماذا تظن؟ أتظن أنك لن تخسر، أكتب، بسرعة: شكوه السلطنة، فروغ السلطنة، ضياء السلطنة... (٣)

كريم: تعيش الدولة ! كل هؤلاء من ذوى الألقاب إذًا كم عدد من ليسوا من ذوى الألقاب؟ سيدى اتركنى، أتريد المزاح إلى هذا الحد؟

ميرزا يوشان خان: أى مزاح يا وضيع، إن هذا جاد جدا. فالألقاب المميزة لا تزال فى الخاتمة. اسمع: صدر العلماء، نظام العلماء، سلطان الذاكرين، لسان الذاكرين... ملك التجار، مشير التجار، أمين التجار(٤)...

---

(١) ويذكر على هذا النحو مائة لقب.
(٢) يذكر اثنين وأربعين لقبا آخر.
(٣) يحصى اثنين وعشرين لقبا.
(٤) يحصى خمسة عشر لقبا.

كريم: جُعلت الحكومة فداءً لجدتك، يا وضيع؛ من كل هؤلاء؛ ملك ومعتمد ورئيس مَنْ من التجار؟ وما نوع هذه التجارة؟ اذهب إلى مسجد الأمير عبد العظيم وانظر لترى أن خدام المسجد قد ضاقوا من جراء التجار المفلسين؛ لا يوجد مكان أفضل من مسجد الأمير عبد العظيم.

ميرزا يوشان خان: انظر، لا طائل من كلامك. لو صعدت للسماء ونزلت للأرض لن أتراجع عن إتمام ذكر الألقاب. اكتب.

كريم: الآن قل بسرعة لقد مللت. يا إلهى؛ يا لها من لعبة؟ قل يا سيدى؛ تحت أمرك.

ميرزا يوشان خان: محقق الملك، أمين الشورى، أمين المجلس، أمين الخلوة... كاتب الوقائع، معين البكاء (المبكى)[1]....

كريم: عجبا ثم عجبا ! لطفك يا رب. سيدى من هو معين البكاء؟

ميرزا يوشان خان: والله، أنا أيضا أشعر بالخجل. المفترض أن "معين البكاء" هو ميرزا تقى مدير عروض التعزية.

كريم: (يضرب رأسه بيديه) أواه أواه، هل وصل الأمر فى منح الألقاب إلى هذا الحد؟ تف على لحية من يريد لقبا.

ميرزا يو شان خان: ماذا تقول لو علمت أن الأوسمة والنياشين لها درجات؟

كريم: أقول الله يلعن... الذين يتفاخرون فى هذه الدولة بالألقاب والأوسمة.

ميرزا يوشان خان: اسمع هذين اللقبين، ولن أوذيك بعد ذلك.

كريم: يا للعجب. لتحتبس أنفاسك، قل وخلصنى

ميرزا يوشان خان: "قنداق الملك: قماط الملك "

(١) يحصى اثنى عشر لقبا.

كريم: لقد ضقت ذرعا. يا رجل اتركنى، بالله سأقتل نفسى. من قماط الملك؟

ميرزا يوشان خان: قماط الملك هذا ابن عزة الدولة، وقد ولد منذ يومين ولم يُسمى بعد. فاللقب جاء على وجه السرعة.

كريم: حسن؛ وما اللقب الثانى؟

ميرزا يوشان خان: (يضع يديه على عينيه خجلا ويقول) الثـانى، الثـانى؛ مرحاض الملك، مرحاض الملك.

كريم: ماذا، ماذا؟ أيوجد لقب "مرحاض الملك" فى دولـة بهـا كـل تلـك المناصب؟ إذن فلتقل يا رجل: غائط السلطنة، بول الدولة، مؤخرة الدولة، ضـراط السلطنة، ريح الملك، فساء الدولة. (هنا يبدأ الشاه فى الضحك ها ها هـا... فـأمر بوضع قطعة من القماش العربى فى صرة من الحرير الكشميرى الفاخر أمام كريم. فيظن كريم أنهم أحضروا له هبة فيفتح بغبطة الصرة، فيقع نظره على قطعة مـن القماش، فيحملها بسرعة، وينهض قائلاً) حسن حسن. رداء مبـارك! فليجعـل الله سيف الشاه مسلولا (وعندها يضع القماش على كتفه ويتقدم قائلاً) جُعلت فداك، لـى أمل فى إنعام آخر، ألتمس لقبا.

الشاه: أى لقب، أى لقب؟ فلتختاره أنت وسأمنحك إياه.

كريم: جُعلت فداك، اسمى كريم شيراه (أى: كريم صانع العصير) فيناسـبنى "عصير الملك"

الشاه: ها ها ها، حسن جدا لو أنك شرحت الموضوع تفصيلا وبينت وظيفة القائمين على الخلوة على نحو سليم فسوف أمنحك هذا اللقب (فيطأطئ كريم رأسـه ويتراجع للوراء) (١).

---

(١) نقلا عن "بنياد نمايش درايرن " الدكتور جنتى عطائى.

٣- التأليف المسرحى الحديث:

بدأ التأليف المسرحى وفقا للمفهوم الأوروبى فى إيران مع إنشاء دار الفنون وترجمة مسرحيات موليير. وضع حجر الأساس لدار الفنون عام ١٢٦٦هـ.ق فى الأرض الواقعة شمال شرق الديوان الملكى بطهران بناء على أمر من ناصر الدين شاه، وأسس فى جانب منها قاعة ضخمة تتسع لثلاثمائة شخص على غرار المسارح الأوروبية، ولكن ظلت مغلقة لفترة طويلة بسبب اعتراض رجال الدين، ثم قدمت بها عروض خاصة قام بها معلم الموسيقى بدار الفنون لومر، وميرزا على أكبر خان مزين الدولة كبير المصورين لدى الشاه وعدد آخر، وحضر تلك العروض الشاه والأسرة الملكية فقط. والواضح أن مؤسسى المسرح فى تلك الفترة المشحونة بالرعب والاستبداد لم يستطيعوا تقديم مسرحيات نقدية واجتماعية أمام سلطان متسلط مثل ناصر الدين شاه، ولهذا اضطروا لتقديم أعمال مضحكة بلا مضمون هادف قدر الإمكان لتوافق ذوق الشاه.

كان كبير المصورين من الدارسين الذين أوفدوا إلى أوروبا حيث أسس هذه القاعة فى دار الفنون بعد عودته إلى إيران بأمر من الشاه وعرض بها إحدى مسرحيات موليير تسمى "قصة الهارب"(١).

الهارب: قصة الهارب هى ترجمة شعرية لمسرحية موليير التى تحمل نفس الاسم(٢) على وزن مفاعلن فاعلاتن مفاعلن فعلن، وقد طبعت فى البداية فى صحيفة اختر ثم طبعت فى الخامس والعشرين من ربيع الأول عام ١٢٨٦هـ.ق طبعة مستقلة فى مطبعة "تصوير أفكار" فى إسطنبول. ويبدو أن ميرزا حبيب الأصفهانى(٣) قد ألبسها ثوبا جديدا (ثوبا ذا طابع تركى واضح) وغيَّر العادات

---

(١) من كلمة حسن مقدم التى ألقاها عام ١٣٠٠ ش فى نفس القاعة.

(٢)Misanthrope

(٣)انظر حواشى مقدمة سيد محمد على جمال زاده على ترجمة كوميديا "الخسيس" لموليير، طهران ١٣٣٦ ش. والنسخة التى أملكها فقدت منها الصفحة الأولى للكتاب والتى من=

والأوضاع والصفات وأسماء الأشخاص، يستخدم أحيانا بدلا من العبارات الفرنسية عبارات مرادفة لها بالفارسية فعلى سبيل المثال النموذج التالى ترجمة لنشيد قـديم ورد فى المشهد الثانى من الفصل الأول من مسرحية موليير على لسان آلسست(١).

Si le roi m'avait donne

Paris, sa grand ville,

Et qu'il me fallût quitter

L'amour de ma mie,

Je dirai au roi Henri:

"Reprenez votre Paris:

J'aime mieux ma mie au gué !

J'aime mieux ma mie…

وجاءت ترجمتها الفارسية على لسان "مؤنس" كما يلى:

لو منحنى الشاه شيراز فى مقابل شعرة من عذراء شيرازية

لقلت له أيها الشاه، على الرغم من إن مدينة شيراز لا مثيل لها

فإن العذراء الشيرازية تكفينى. خذ مدينة شيراز لنفسك

وتتضمن الترجمة فى بعض المواضع الأمثال والأشعار الفارسية الـشهيرة لكبار الشعراء الفرس.

ولكن على الرغم من المحاولات المضنية لتقديم ترجمة أدبيـة بليغـة فـإن

المحتمل أنها تضم العنوان والمقدمة واسم المترجم.

(١) Alceste

الكثير من العبارات غامضة وغير سليمة بحيث إن الموضوع لا يُفهم بسهولة، وكما ذكرنا ورد بها الكثير من العبارات التركية الشائعة:

على الرغم من أن زعمك، يا مؤنس، أننى مذنب.

ولكننى أظن أن هذا العمل لا يستوجب الشنق (فاستخدم كلمة "واجب دار" بدلا من "مستلزم جوبهء دار)

لو أننى انتظرت العربة لما أصبت بالوجد (استخدم كلمة "عرابه" بمعنى "كالسكه" أو "درشكه").

قد سمعت أنه عاشق لجميلة....

وكذلك ("به جميله دوست" بدلا من "باجميله دوست")

يتضح أن المترجم أيا كان (ميرزا حبيب الأصفهانى أو غيره) من الناطقين بالفارسية المقيمين فى تركيا، وأنه قام بالترجمة متأثرا بالمشاهد المسرحية التركية فى ذلك العصر، ويتضح هذا الأمر حتى من اختيار أسماء الأشخاص مثل (مؤنس بدلا من Alceste) و (ناصح بدلا من Philinte) و(فتينه بدلا من Célimène) و(نعمان بيك بدلا من clitandre)، و(نعيم بيك بدلا من Acaste) و(شاه بداق بدلا من Dubois)، وإذا أخذنا فى الاعتبار أن الأتراك العثمانيين كانوا قد ترجموا أعمالا لموليير مثل "جورج داندن[1] وطبيب رغم أنفه[2] وغير ذلك سنتمسك بهذا الرأى.

وعلى الرغم من كل المآخذ التى ذكرناها فإن الترجمة تقترب من الأصل جدا، وأحيانا نطالع بها نماذج بديعة.

وللتعرف على الكتاب أكثر سنقدم عدة سطور من المشهد الثانى من الفصل

---

(١) George Dandin, Ou Le Mare Confondu

(٢) Le Médecin, Malgre'lui

الخامس. وفيه يتقابل العاشقان وجها لوجه ويطلبان من المحبوبةَ أن تفصح عن رأيها النهائى فى رفض أو قبول كل منهما:

اميدى: إنك لا تذكرين سيدتى ميعاد الوفاء بالعهد. لقد انقطعت أنفاسى ولم تفصحى عن مرادك. لو كانت نار عشقى تؤثر فيك لماذا لا تنطقين بلفظ صريح !! إن الغرض من سؤالى لك أن أعلم إن كنت ترغبين (مؤنسا) ولو إنك ترغبيننى بالفعل، فلتجعليه فداءً لى، واطرديه اليوم من هنا.

فتينة: ما الذى حدث وجعلك غاضبا هكذا من مؤنس؟ ألم تكن تتفنن فى الحديث عن فضله؟!

اميدى: الحقيقة أنه لا داع لمزيد من الشرح، الموضوع يدور حول رأيك سيدتى، فلتفصحى عمن يرغبه قلبك، ولتطردى من لا يرغبه. أعتقد أن اليوم؛ الكلمة كلمتك.

مؤنس: (يتخلى عن كبره) إن السيد محق فى هذا الموضوع سيدتى فقلبى يوافقه الرأى

على كل حال، لمَ المماطلة أكثر من ذلك

فالوقت وقت الإفصاح، فى الحقيقة، نعم أو لا؟

اميدى: سيدى؛ أنا لا أريد أن أطلب منك بوقاحة فأمامك للسعادة عشرون طريقا ممتدا.

مؤنس: سيدى لا أرغب أن يرافقك حسود أو غير حسود فى الطريق إلى قلبها.

اميدى: لو لك رغبة أكثر منى.

مؤنس: لو لك وجه مشتاق بسبب العشق

اميدى: بالله لن أبحث لها عن أثر مطلقا.

مؤنس: بالله لن أنطق باسمها ثانية مطلقا.

اميدى: افصحى سيدتى، فلن يجبرك أحد.

مؤنس: افصحى سيدتى، فلك العذر فيما تفصحين به.

اميدى: فلتقولى؛ من منا ينتسب إليك؟

مؤنس: فلتقولى؛ من منا فائز بك؟

اميدى: أهكذا؟ ألا تستطيعين أن تستدعى إليك واحدا؟

مؤنس: أهكذا؟ ألا تستطيعين أن تُبعدى عنك واحدا؟

فتينة: تبارك الله فيما يطلبه هذان الشخصان المباغتان، ماذا يُسمى هذا غير جنون!

إننى أعلم لمن أعطى قلبى، ومن أختار.

فليس عندى الكثير من التردد.

....

ولكن أقولها صراحة من الصعب علىَّ

أن أعترف بهذا الحديث وجها لوجه

فواحد يريد أن يسمع مالا يحبه أحد

وأنا أعتقد لا يجوز قوله أمام الناس

ولأن القلب يُعبر يقينا عما يحبه

فلماذا يخطئ بعد ذلك على نحو آخر؟

وما الحاجة للصراحة طالما كانت الكناية تكفى

فما الحاجة للأسنان طالما أن العقدة تُحل بالأصابع !!

تكفى العاشق العاقل إشارة

وهى إجابة شافية لغير المرغوب فيه.

اميدى: لا، لا، افصحى، فهذا ما أريده، وأنا لا أخشى الرد....

مؤنس:... ولكن هذه رغبتى، أريد منك لفظا صريحا بجرأة تامة، فأنا مصر على عدم سماع كلمات ملتوية هذه المرة فأعظم فنونك؛ مراعاة خاطر الجميع. فلا محل ثانية للتلاعب والتردد أكثر من ذلك.

اميدى: يجب عليك التحدث بوضوح فى هذا الموضوع.

مؤنس: وإلا سأعتبر السكوت علامة الرضا وسأتقبل ردك فرحا، فليكن الرد بالكلمات، وليكن ما يكون.

اميدى: سيدى، أعطيك الحق فيما شعرت به من قلق وأنا لا أقول لها إلا نفس ما قلت.

فتينة: لقد تألمت بشدة من هذا التردد فهل من العدل ما تطلبان؟ لتكونا منصفين! ألم أقل لكما إن الأمر ليس بيدى "تقول لليلى". حسن أتيت ليلى، فلتحكمى بيننا !

الترجمات الأخرى: ترجمت أيضا فى نفس الفترة أو بعدها بقليل بعض مسرحيات موليير الأخرى إلى الفارسية، وأكسب المترجمون هذه الترجمات ملامح إيرانية وفقا لذوقهم الشخصى، وغيروا الأسماء والأزياء والأشخاص. ومن بينها كوميديا "طبيب رغم أنفه " و"المغفل" والنسخ المتاحة منهما نادرة، ولدى نسخة من طبيب رغم أنفه التى ترجمها واقتبسها محمد حسن خان اعتماد السلطنة وقد طبعت عام ١٣٢٢هـ.ق فى طهران، ولكننا لا نعلم إن كانت هذه النسخة هى الترجمة

الأولى أم أنها الترجمة الثانية لهذا العمل. أما مسرحية "المغفل" التى سُميت مسرحية الحمار فربما تكون هى نفسها الترجمة التى قدمت فيما بعد عام ١٣٣١ هـ.ق فى قاعة "جراند هُتِل" بطهران من قبل القائمين على "المسرح القومى".

ومسرحية "المغفل" التى أطلق عليها كاتبها الفرنسى أيضا "أحداث غير متوقعة" لا تعد من أفضل مؤلفات موليير، وهى أول كوميديا كتبها بينما كان مسافرا وكان يبلغ من العمر إحدى وثلاثين سنة، وبعد سبع سنوات أمضاها فى الترحال عُرضت المسرحية بعد عودته إلى ليون عام ١٦٥٣م وقد خلت هذه المسرحية خلال الترجمة النثرية الفارسية من اللطائف الشعرية الفرنسية والسحر الخاص الذى أبدعه قلم موليير الساحر. وقد تم تغيير الأسماء والشخصيات فى الترجمة الفارسية وكذلك مكان وقوع أحداث القصة فقد جعلها المترجم مدينة بغداد فى حين كان موليير قد اختار مدينة مسين(١).

وتدور القصة فى الترجمة الفارسية على النحو التالى تقريبا: يقوم نسيم خادم ميرزا هوشيار بالتآمر والاحتيال كى يصل سيده إلى "جميلة" جارية الحاج سليم، ولكن سيده المغفل لا يعلم شيئا عن خططه فيتسبب فى إفشالها. ولا تبدو مؤامرات نسيم طبيعية، ولا تبدو تصرفات ميرزا هوشيار أيضا ناتجة عن غبائه. ونظرا لأن مكان الحدث، كما ذكر كان بغداد فإن غالبية المشاهد بدت غير منطقية ولا معنى لها لكونها تحدث فى تلك المدينة الإسلامية، مثل ذهاب نسيم متخفيا إلى منزل الحاج سليم من أجل مساعدة الفتاة على الهرب، وتناول الحاج سليم وجميلة الطعام مع تاجر أرمنى (هو ميرزا هوشيار نفسه) على مائدة واحدة وهو الأمر الذى لا يتناسب مع التقاليد الشرقية.

وجدير بالقول هنا أن المترجمين فى العهد الناصرى وما بعده أيضا كانوا يميلون إلى اقتباس مضامين مسرحيات موليير والآخرين، وكتابتها بشيء من الحرية

Messine(١)

لتوافق ذوق القراء والمشاهدين الإيرانيين. ومن ذلك ترجمة الأمير محمد طاهر ميرزا (عرس السيد ميرزا ١٢٨١ش) وترجمة محمد حسن خان اعتماد السلطنة (طبيب رغم أنفه ١٢٩١ش) وترجمة حسينقلى ميرزا عماد السلطنة (عـرس بـالإكراه ١٢٩٠ش) وترجـمة ميرزا أحمد خان كمال الوزارة محمودى (الحاج المرائى خان أو تـارتوف الشرقى ١٢٩٥ش) وتقريبا كافة ترجمات سيد على خان نصر (خادع العوام المرائـى، ثلاثة أعراس فى ليلة واحدة، الدائن والمدين، وميرزا البطل ١٣١٨ش).

٤- آخوندزاده:

تعد أعمال ميرزا فتحعلى آخوند زاده أقدم المسرحيات التـى ألفـت وفقـا للأسلوب الأوروبى، وترجمها من الآذرية للفارسية ميرزا جعفر القراجـه داغـى، وقد أثرت هذه الترجمات فى الأدب المسرحى الوليد فى إيران مثـل المـسرحيات المقتبسة عن موليير. ولد ميرزا فتحعلى آخوندزاده (المعـروف بعـد ذلـك بـ آخوندوف) عام ١٨١٢م (١٢٢٨هـ.ن) فى مدينة نوخا[١]. ويعد طليعة كتاب المسرح الآذريين ورائدهم. ووالده ميرزا محمد تقى من أهالى قصبة خامنه، وهى من توابع أرونق وانزاب بآذربيجان، وكان قد ترك منزله وزوجته وأولاده فى خامنه بـسبب الظلم الذى لاقاه من رجال الدولة، وتوجه إلى مدينة نوخا، وهناك تزوج من نعناع خانم ابنة شقيق آخوند ملا على أصغر والذى كان من كبار علماء تلـك المدينـة، ورزق منها بميرزا فتحعلى[٢].

قدم ميرزا محمد تقى عام ١٨١٤م (١٢٣٠هـ.ق) إلى مركز خا منه، وعاش بها ميرزا فتحعلى لعدة سنوات مع أمه. ولكن نظرا لأن ميرزا محمد تقى كان لديه زوجة وابن آخر فى مركز خامنه ولم تستقر الأمور بين نعنـاع خـانم وزوجتـه الأخرى فقد حصلت على الطلاق وعادت مع ابنها ميرزا فتحعلى إلى عمها آخوند

---

(١) نوخا أو نخو هى نفسها مدينة شكى القديمة وتقع على مسافة ثمانين كيلو مترا مـن محطـة يولاخ للسكة الحديد، وهى من مراكز صناعة الحرير فى آذربيجان الروسية.

(٢) سرگذشت ميرزا فتحعلى آخوندزاده به قلم خوداو، الفباى جديد ومكتوبات، باكو ١٩٦٣.

ملا على أصغر الذى كان يعيش آنذاك فى مشكين بأردبيل. وعلـــى هـــذا النحـــو انفصل ميرزا فتحعلى للأبد عن والده وظل ملازما لعم والدته بداية فى مشكين ثـــم فى قرية هوراند قراداغ (ارسباران) وأمضى فترة من الوقت بين قبيلة انكوت فـــى مخيمات ولى بيكلو. واعتنى آخوندملا على أصغر بتعليمه وتربيته، وقـــام ميـــرزا فتحعلى الذى عُرف بعد ذلك باسم آخوند زاده بدراسة القـــرآن ومبـــادئ اللغتـــين الفارسية والعربية، واطلع إلى حد ما على العلوم الإسلامية.

وفى عام ١٨٢٥م (١٢٤١هـ.ق) ذهب آخوندملا على أصغر مع أسرته إلـــى كنجه وظل يسعى لتأهيل ميرزا فتحعلى للحصول على مناصـــب دينيـــة، ولكنـــه اضطر بعد عام للعودة إلى وطنه الأصلى نوخا نتيجة الحروب التى نـــشبت بـــين إيران وروسيا وتدمير مدينة كنجه وتدهور أوضاعه المادية، وهناك أكمل ميـــرزا فتحعلى دراسته.

وفى عام ١٨٣٢م (نهاية ١٢٤٧هـ.ق) توجه ملا على أصغر لزيـــارة بيـــت الله، ونظرا لرغبته فى انخراط ابنه بالتبنى وحفيد أخيه فى سلك علماء الدين؛ حمله إلى كنجه، وسلمه إلى أحد أصدقائه يسمى آخوند ملا حسين الـــذى علمـــه النحـــو والصرف والمنطق والفقه. وفى نفس الوقت التقى ميرزا فتحعلى مع ميرزا شـــفيع الحكيم والشاعر الكنجوى.

وهذا الشاعر الذى حظيت غزلياته بشهرة واسعة فى أوروبـــا كـــان رجـــلا عالما بناء على بعض المصادر القديمة[1] قدم من إيران (تبريز أو شـــيراز) إلـــى كنجه، وهناك عمل بالأعمال الكتابية وتعليم فـــن الخـــط. ولكـــن كتـــاب التـــذاكر بآذربيجان الروسية يعتبرون كنجه مسقط رأسه.

وقد اشتهر ميرزا شفيع منذ عام ١٨٣٠م وما بعدها فى مدينة كنجه باعتباره

---

(١) منها رسالة نشرها فريدون بيك كوچرلو فى تفليس بمناسبة العيد المئوى لميلاد آخوندزاده فى ١٩١١م (١٣٢٩هـ.ق) أى بعد ثلاثة وثلاثين عاما من وفاته.

شاعرا وعالما. وكان آخوندزاده يتدرب على يديه على فن الخط فى نفس العام وذكره فى كتاباته بأنه رجل ورع وعالم.

انصرف ميرزا فتحعلى عن اتجاهاته الدينية التى كانت تعتمل فى رأسه فى البداية وذلك بعد لقائه بميرزا شفيع ونتيجة لإرشاده له وأخذ يفكر فى ممارسة الأعمال الحكومية والأخذ بالعلوم والمدنية الحديثة.

وفى عام ١٨٣٣ م (١٢٤٩هـ.ق) عاد الحاج على أصغر من مكة وحمل معه ثانية ميرزا فتحعلى من كنجه إلى نوخا، وهناك التحق بالمدرسة الابتدائية الحكومية التى كانت قد أنشئت مؤخرا، ودرس اللغة الروسية، ولكنه لم يبق فيها أكثر من عام واحد بناء على قوله. وفى الفاتح من نوفمبر عام ١٨٣٢م (١٢٥٠هـ.ق) ذهب إلى تفليس، وهناك قُدم إلى البارون روزن الحاكم الروسى فى ولاية الكرج (جورجيا) والتحق بالعمل لدى الحكومة الروسية مترجما للغات الشرقية. وكان عمر ميرزا فتحعلى آنذاك ثلاثة وعشرين عاما. ويذكر فى سيرته الذاتية بامتنان محبة البارون روزن له.

ظل ميرزا فتحعلى حتى وفاته فى هذا المنصب، وأدى المهام المكلف بها بكل دقة، واعترافا بخدماته الجليلة حصل على درجة أمير الجيش والعديد من الأوسمة. وكان يشارك فى البعثات المختلفة، والمباحثات الدبلوماسية ومراسم الاستقبال والمحاكمات: فى عام ١٨٣٧م أوفد مترجما إلى الأبخاز لتحديد الحدود الساحلية للبحر الأسود ضمن الوفد الذى رأسه الجنرال روزن. وفى عام ١٨٤٠م شارك فى اللجنة المكلفة بتحديد الحدود الروسية التركية بصفته مترجما للقائد العام للأركان المسلحة "تميرفيتش دانتشنكوه" وفى عام ١٨٤٨م وبصفته مترجما رافق الوفد الذى أرسله بلاط القيصر برئاسة الجنرال شيلينج للتهنئة بتتويج ناصر الدين شاه، وشارك فى مفاوضات عام ١٨٥٥م فى تركية وفى لجنة التحقيق الإدارية فى إيروان والكثير من المهام الأخرى.

وكانت تفليس في ذلك الوقت مقرا للحاكم وحاضرة بلاد القوقاز وتتميز على سائر المدن الأخرى فى القوقاز لكونها مدينة الثقافة والأدب. ونتيجة لسفر آخوند زاده إلى تفليس وإقامته بها بدأت مرحلة جديدة في حياته وخاصة في مجال نشاطه الأدبي. فقد كان مطلعا على تاريخ إيران وأدبها ونجح في فترة وجيزة في دراسة اللغة والأدب الروسى واطلع عن طريق اللغة الروسية على الآداب والفلسفة الغربية، وقرأ مؤلفات كتاب القرن الثامن عشر الأوروبيين مثل هلباخ، وديدرو، وهلوسيوس، وفولتير وغيرهم، وتعرف كذلك على علماء عصره والمنادين بالحرية مثل خاتشاتور آبوويان الكاتب الأرمني الشهير وبستوجوف مارلينسكي الكاتب الروسى الذى كان قد نفى إلى القوقاز.

وفى مطلع عام ١٨٣٧م قتل الكاتب والشاعر الروسى الكبير بوشكين نتيجة مؤامرة سياسية في دويل. وكان ميرزا فتحعلى قد اطلع فى تفليس على روائعه وروائع الكتاب الروس الآخرين منذ ثلاث سنوات وكان ينظم الشعر أحيانا ويتخلص بـ (صبوحى)، فنظم قصيدة فى رثائه وأطلق أول صيحاته المطالبة بالحرية في مواجهة مفاسد ولاة الأمور وسفكهم للدماء(١).

لم يكن آخوندزاده يعلم شيئا عن المسرح قبيل سفره إلى تفليس، وتعرف على فن المسرح للمرة الأولى في العقد الخامس من القرن التاسع عشر. وفى تلك الفترة كانت تقام حفلات موسيقية فى صالونات أمراء ولاية الكرج (جورجيا) الأثرياء وأحيانا فى الهواء الطلق وتعرض مشاهد قصيرة من أعمال الكتاب الروس والكرجيين. وفى عام ١٨٥٠م أسس كنيازفارانسوف نائب قيصر روسيا فى القوقاز مسرحا ضخما فى تفليس، وأخذ الممثلون الروس يقدمون فيه مسرحيات تحت إشراف سالكوب الكاتب الروسى، وكذلك الممثلون الكرجيين تحت إشراف كيناز اريستوف (وهو نفس القائد الذى فتح تبريز عام ١٢٤٣هـ.ق) ومن ذلك "بورژواى

---

(١) ترجم مارلينسكى قصيدة (مرگ بوشكين: موت بوشكين) إلى الروسية. ونُشرت فى صحيفة (روسكايا استارنيا) الصادرة فى بطرسبورج.

اصلزاده[1]: البرجوازى النبيل" لموليير و"آفة العقل" لجريبايدوف وغيرهـا، وقـد شاهد آخوندزاده هذه المسرحيات. واطلع على أكثر المؤلفات المسرحية الروسـية ومن بينها ما كتبه جوجول وآستروفسكي، كما تأثر بشكسبير وموليير. أثرت كـل هذه الأمور فى مجملها تأثيرا كبيرا على كتاباته لدرجة أنه صار مولعـا بالتـأليف المسرحى، فصور ما بين عامى ١٨٥٠-١٨٥٦م مشاهد حية للواقع المعيش لأهالى آذربيجان، وانتقد الجوانب المظلمة بصراحة.

ويقول ميرزا فتحعلى فى سيرته الذاتية: "... وأخـص بالـشكر المرحـوم الجنرال كنيا زفارانسوف الذى كان ولى نعمتى الثانى بعد البارون روزين ونتيجـة لرعاية هذا الأمير المحنك الحكيم برزت مـوهبتى فـى التـأليف، فألفـت سـت مسرحيات كوميدية باللغة التركية الآذرية وعرضتها، فنالت إعجابًا شديدًا وشملتنى إنعامات وفيرة، وعرضت مسرحياتى فى مسرح تفليس الذى أنـشأه هـذا الأميـر السخى. وسمعت من مشاهدى العروض المسرحية كلمات الإعجاب والإطراء"[2].

وسنتحدث تفصيلا عن مسرحيات آخوندزاده التى تعد أهم مؤلفاته ثم سنشير بعد ذلك إلى مؤلفاته الأخرى:-

حكاية يوسف شـاه: إن قصـة (ستارگان فريب خورده لنجوم المخدوعة) أو (حكايات يوسف شاه السراج) التى ألفها عام ١٨٥٧م (١٢٧٣هـ.ق) من أعمـال آخوندزاده الجديرة بالاهتمام[3].

تتزامن القصة مع فترة حكم الشاه عباس الكبير الصفوى واُقتبس موضوعها من حادثة تاريخية متعلقة برجل يعمل سروجيا يصبح ملكا لفترة مؤقتة. ففى العـام

---

(١) Boureois gentilhomme

(٢) صحيفة "كشكول" طبعة تفليس ١٨٧٧م الأعداد ٤٣ -٤٥، و(الغباى جديد ومكتوبات، بـاكو ١٩٦٣ص ٢٥٢.

(٣) ترجمت حكاية يوسف شاه للروسية للمرة الثانية بقلم فريدون بيك كوتـشرلو ونـشرت فـى صحيفة بيك قفقاز (وستنيك كافكازا) العدد الخامس عام ١٩٠١م.

السابق من عهد الشاه عباس، ظهر فى السماء نجم مذنب، وتنبأ المنجمون بأن ظهور هذا النجم يعد إشارة إلى تغيير سلطان من سلاطين الزمان أو موته. وأشار كبير المنجمين جلال الدين محمد اليزدى باعتزال الشاه للسلطة لعدة أيام، على أن يجلس محله واحد من المحكوم عليهم بالإعدام. فألبسوا زى السلطان وتاجه لرجل يعمل سروجيا يدعى يوسفى وهو أحد أتباع فرقة إسلامية ضالة تؤمن بالتناسخ وغيرها من الأفكار الملحدة وتسمى النقطوية. وأجلسوا يوسفى على هذا العرش ووقف الشاه أمامه تحت إمرته. وعلى هذا النحو حكم لثلاثة أيام (منذ الخميس السابع إلى فجر يوم الأحد العاشر من ذى القعدة عام ١٠٠١). وفى اليوم العاشر من ذى القعدة أعدم وعاد الشاه إلى عرش السلطنة[١].

يهدف المؤلف من هذه القصة إلى توضيح ظلم الشاه واستبداده وجهل الوزراء ورجال الدولة والدين والبلاط وتملقهم، والكشف عن أن هؤلاء من رؤساء الوزارات والعلماء الأجلاء والوزراء المبجلين هم السبب وراء الخراب الذى حل بإيران المقتدرة والعجز الذى أصاب "الدولة العلية". ويسعى الوزراء ورجال الدين فى مجلس الشاه للإشادة بأعمالهم الوضيعة التافهة كى تبدو وكأنها أفضال عظيمة وخدمات جليلة. ووزراء الشاه رغم ما تضفيه عليهم مناصبهم من وقار ومهابة يتحدثون عن ضرورة درء بلاء النجوم العظيم. فوزير الحرب "سردار زمان خان" يسمى نفسه "الكلب العجوز للحضرة العلية"، ويتحدث عن هجوم الجنود العثمانيين على الأراضى الإيرانية – وهو الأمر البعيد عن الموضوع – من أجل استعراض حكمته وتدبيره غير العادى أمام الشاه ورجال البلاط يقول: "على الرغم من أن عدد جنودنا لم يكن أقل من عدد العثمانيين فقد خشيت أن ألقى بجنود الفرقة الناجية إلى التهلكة فى مقابل الفرقة الضالة. لهذا أمرت بتخريب الأراضى الزراعية بداية من الحدود العثمانية وحتى نهاية أراضى آذربيجان وإعدام الدواب وتدمير الجسور والطرقات وعندما عبر "بكر باشا" قائد الجيش العثمانى الحدود، لم ير أمامه أحدا

(١) تاريخ عالم آراى عباسى، تأليف إسكندر بيك المنشى وغيره من كتب التاريخ المعروفة.

منا ولكنه وجد الطرق مدمرة لدرجة أنه لم يستطع نقل المدفعية فدخل تبريز بدونها مع حفنة من الفرسان والمشاة بصعوبة شديدة، وحاول الحصول على المؤن بكل الوسائل فلم يجد حبة قمح ولا بقرة أو شاة. فاضطر للرحيل بعد ثلاثة أيام قضاها هائما على وجهه جائعا وغادر تبريز. وبهذه الحيلة حميت إيران من شر العدو الأجنبى. لقد كان تدمير الطرق والجسور فعالا لدرجة أن الدولة العلية رأت بعد فرار بكر باشا أن المصلحة تقتضى ترك الطرق والجسور على حالها حتى تحول دون تطاول هذه الطائفة الأجنبية على الدولة. وعلى هذا لم تسل قطرة واحدة من دماء جنودنا وظلت كافة العساكر المنصورة مصونة من الأذى كيدا فى العدو المتاخم لنا حقا، إن كلب بلاط الدولة العلية لا يعجز عن استخدام الكياسة والتدبير فى مثل هذه الأمور، ولكن عقل خادمكم عاجز وقاصر عن دفع بلاء النجوم".

لا تقدر "العساكر المنصورة" على الصمود أمام "الفرقة الضالة" فتولى وجهها للفرار، ويعبر العدو الحدود، وفى سبيل حماية الوطن لا تسيل قطرة من الدماء ويستعرض فى تفاخر، تدمير الجسور والطرق، تدمير مزارع الفلاحين وإعدام الدواب. يستعرض كل هذا بكبر ومباهاة باعتباره سياسة حربية وتدبيرا لشئون المُلك، ولا يشعر صاحب الجلالة بالاستياء حيال كلام "كلب الحضرة العجوز"، وهذا الدمار الذى كان قد ارتكب باسم المصلحة، يبقى على حاله كى تأمن المملكة من الاعتداء الأجنبى!

ووزير المالية ميرزا محسن الذى يسمى نفسه "بساط الخزانة العامرة" يقطع رواتب الموظفين ليملأ الخزانة ويعتبر هذا التصرف عملا جليلا من أعماله. أما الفقيه صمد كبير رجال الدين؛ لا يختلف عن الوزراء ورجال المملكة فى التملق والنفاق، فيدعو للملك ويمتدحه، ويثنى بمبالغة على جهوده للتصدى للمذهب السنى ونشر المذهب الشيعى. وفى مقابل هذه الفئة الطفيلية يتمتع يوسف السراج بشخصية إيجابية. فما إن يصل يوسف إلى السلطة حتى يُحدث تغييرات شاملة فى الجهاز الحكومى وقبل كل شىء يُطهر الإدارات ويُقيل الوزراء الجهلاء المتملقين، ويعين

فى أماكنهم رجالا أكفاء عقلاء.. ثم يلغى تماما منصب كبير المنجمين وكذلك العقوبات وأساليب القتل الوحشية مثل الشنق والتوسيط "شق الإنسان بالسيف نصفين" وبتر الأذن والأنف وقلع العين، ويأمر بعدم إنزال العقاب على أحد دون محاكمة وتحقيق. ويقيم محاكم منصفة فى أرجاء الدولة، ويصدر أوامر للحكام والولاة بإحسان معاملة الأهالى، وجاء فى الفرمان:- "بلغوا عن لسانى كل حكام الولايات أن يخشوا الله وألا يرتكبوا المظالم، وأن يكفوا عن سلب الأهالى ونهبهم، وألا يتقاضوا الرشوة، وليتيقنوا من أن هذه الأعمال والتصرفات ستعود عليهم فى النهاية بالبلاء والتعاسة".

ويسن يوسف شاه قوانين جديدة للضرائب لتحسين أوضاع أهالى إيران الذين يحتضرون تحت وطأة الضرائب المجحفة، فينخفض قيمتها ويجعلها لسكان المدن عشرة بالمائة وللقرويين خمسة بالمائة. ويلغى الإكراميات والإتاوات والهدايا والرسوم الأخرى والخُمس والزكاة ومخصصات الإمام وما إلى ذلك، ويسلم أشخاصا من أهل الثقة الشئون المالية. ويعبد الطرق ويعمر الجسور، وينشيء أربطة القوافل، ويشق الترع حيث تقل المياه، ويشيد المكتبات والمستشفيات فى الأقاليم.

فيوسف شاه فى هذه القصة فى المجمل رجل سياسى مصلح عظيم ينفذ خطة شاملة، وقد صنع منه المؤلف نموذجا للشخصية المثالية للإصلاح الاجتماعى والثقافى من وجهة نظره.

وفى هذه القصة تبدو صفات كل الشخصيات بارزة وواضحة وهيئتهم طبيعية مفعمة بالحياة، ويمثل كل فرد من الأبطال نموذجا حقيقيا للشخصية الواقعية. أما أحداث القصة فهى مترابطة على نحو جيد، فكل حدث يرتبط بالآخر، واستخدم الكاتب أسلوب السخرية والنقد اللاذع ولم يستثن أحدا من ذلك.

ويمكن أن ندرك بوضوح من خلال مطالعة هذا الكتاب السبب وراء بُغض ميرزا حسين خان سبهسالار سفير إيران فى إسطنبول لميرزا فتحعلى ووضعه العراقيل فى سبيل تغيير الأبجدية الإسلامية.

مؤلفات آخوندزاده الأخرى: من مؤلفات آخوندزاده المهمة كتاب معنون بعنوان طويل "سه مكتوب شاهزادهء هندى كمال الدولة به شاهزادهء إيران جلال الدولة وجواب اين به آن: رسالة الأمير الهندى كمال الدولة إلى الأمير الإيرانى جلال الدولة ورد هذا على ذاك" وقد ألفه عامى ١٢٨٠-١٢٨١هـ ق باللغة التركية وزينه بأشعار فارسية وآيات قرآنية وأحاديث وأمثال عربية، وترجم المؤلف نفسه تلك النسخة إلى اللغة الفارسية، ومنح حق طبع النسختين الفارسية والتركية والترجمة للغات الأخرى والنشر لميرزا يوسف خان مستشار الدولة بموجب عقد مبرم. وقد اقتبس ميرزا آقا خان الكرمانى الأسلوب الذى حرر به كتاب "صد خطابه: مائة خطبة" من نفس هذا الكتاب.

وقد طرح المؤلف فى هذا الكتاب آراءه السياسية والفلسفية. وأخفى اسمه فى البداية كى يستطيع الإعراب عن رأيه صراحة فى الإقطاع وظلم الحكام واستبدادهم ورجعية بعض معتقدات أهالى الشرق وأسباب تخلفهم، وأوصى خلال إهداءاته للناشرين وأصدقائه الإيرانيين بإخفاء نسخة كمال الدولة عن الجميع وعدم إتاحة الفرصة لأحد لقراءتها وعدم نسخها لأحد وإخفاء اسم المؤلف إلا على الأشخاص موضع الثقة، وفى خطابه المؤرخ بأواخر محرم ١٣٨٣هـ. ق الذى كتبه لميرزا عبد الوهاب خان نائب الوزارة (آصف الدولة ونصير الدولة الشيرازى) أعرب عن تألمه وشكواه من الشيخ محسن خان وزير إيران المفوض بلندن لأنه أخبر ميرزا عبد الوهاب خان بشأن تأليف هذا الكتاب بقوله "بالرغم من أننى مشتاق لتقبيل عينيه، ولكننى سأتشبث بأذياله فى الآخرة وأشكوه لأنه نسب إلىَّ بهتانا عظيما، فجعلنى أنا المسكين مصنفا لذلك الكتاب، بالرغم من أن الأمير الهندى إقبال الدولة بن أورنج زيب، والأمير الإيرانى شجاع الدولة بن على شاه ظل السلطان كلاهما يعيش فى بغداد وتجمع بينهما صداقة، وهما مؤلفا هذا الكتاب. فما ذنبى إن كانا قد بدلا اسميهما فسمى واحد نفسه كمال الدولة وسمى الآخر نفسه جلال الدولة[1]".

---

(١) نامه هاى كمال الدولة: رسائل كمال الدولة، باكو ١٩٢٤، ص ٣٠٤

- الفباى جديد ومكتوبات، باكو، ١٩٦٤، ص ٨٨.

ولكن آخوندزاده صرح فى الترجمة الحالية التى كتبها بنفسه عــام ١٨٧٤م أنه هو نفسه مؤلف الكتاب.

تبدأ رسالة كمال الدولة الأولى بشرح سجل القوانين الإيرانية القديمــة فــى عهد جمشيد وكشتاسب، ثم تتناول بالتحليل أوضاع إيران المــضطربة فــى عهــد المؤلف من وعورة الطرق وبوار الأراضى وخراب المدن وقذارة الحمامات العامة واضطراب الشئون المالية والاستبداد والظلم فى المحاكم، والــنقص الــشديد فــى المطبوعات والكتب، الجهل والخرافات، وضاعة ومراء رجال البلاط والدين، ظلم الحكام. ويدعو الكاتب أهالى إيران المظلومين – الذين يفوقون الظالمين من حيــث العدد والاستعداد – للسعى بكل ما لديهم من قوة فى سبيل الوحدة والتآلف وتحصيل العلوم والفنون ويحثهم على النهوض للإطاحة بجذور الظلم، والتحرر مــن قيــود العبودية.

وخلال حديث الكاتب عن مغتصبى حقوق الشعب الإيرانى زيَّــن مــشاعره الوطنية بأشعار للفردوسى العظيم.

ومن مؤلفات آخوندزاده "رسالهء ايراد: رسالة الجدل" فى نقد ملحق تــاريخ روضة الصفا لرضا قلى خان هدايت الذى ألفها عام ١٢٧٩ هـ.ق، وكذلك تحليــل لشكل ومضمون إحدى قصائد شمس الشعراء سروش الأصفهانى والذى أرسله إلى أحد معارفه فى طهران. وله أيضا مقالة كتبها عام ١٢٨٣هـ.ق فى نقــد صــحيفة "روزنامهء ملتى" وشمل هــذا النقــد شــعار الــصحيفة وافتتاحيتهــا وعنوانهــا وموضوعاتها. وله أيضا "تلقين نامه عربى: رسالة التلقين العربية" الشهيرة وهــى من كتابات آخوندزاده السياسية وقد ألفها فى أخريات حياته ونُشرت فى تبريز فــى مطلع القرن الرابع عشر الهجرى بخط اليد ثم نُشرت بعد ذلك نــسخة منهــا بهــا أخطاء فى القسم الفارسى من صحيفة "إرشاد" الصادرة فى بــاكو ومطلعهــا " يــا

عبدالله وابن عبدالله، اسمع، افهم، إذا جاءك الرسولان المقربان من عند روس وإنگليس وآل عثمان وسألاك عن مدارسك وجندك وطرقك وصنايعك وتجارتك ومعارفك... فلا تخف ولا تحزن وقل فى جوابهما... الخ"(١).

إن "رسائل كمال الدولة" وسائر مؤلفات آخوندزاده الاجتماعية والسياسية والفلسفية مثل "پاسخ به فيلسوف يوم: الرد على فيلسوف اليوم" و"عقيدهء جان استوارت دربارهء آزادى: رأى جان استوارت بخصوص الحرية" "ملاى رومى ومثنوى او: مولانا الرومى ومثنويته" و"يا داشتهاى انتقادى: مذكرات نقدية" وغيرها؛ جميعها من نتاج العقد السابع وبداية العقد الثامن من القرن التاسع عشر الميلادى. وهذه الأعمال فضلا عن رسائله المطولة تعد دليلا بارزا على ثراء النشاط الأدبى للكاتب فى تلك الفترة ومرآة تعكس نضج آرائه الاجتماعية والسياسية والفلسفية وحداثتها.

أمضى آخوندزاده أوقات فراغه على مدى حياته فى مطالعة الآداب والفلسفة والعلوم السياسية والاقتصادية وتأثر فى كتاباته بجوجول وراديشتشوف وبوشكين على وجه الخصوص واقتدى فى القضايا الاجتماعية بآراء بلينسكى وتشرنيشفسكى ودابروليوبوف. وبذل جهودا متواصلة فى سبيل حقوق المرأة وتحريرها ونشر الثقافة والعلوم وتغيير الأبجدية الإسلامية والقضاء على الخرافات والتعصب الأعمى، وقد أثرت بشكل رئيسى فى شعوب الشرق الأدنى.

توفى آخوندزاده فى ٢٨ فبراير عام ١٨٧٨م (أواخر صفر ١٢٩٥هـ.ق) فى السابعة والستين من العمر بمدينة تفليس، ودفن فى مقابر المسلمين بتلك المدينة(٢).

---

(١) ورد هذا النموذج باللغة العربية كما هو وارد فى المتن (المترجمة).

(٢) التقى الأمير فرهاد ميرزا فى شوال عام ١٢٩٢هـ.ق بآخوندزاده فى تفليس وتحدث إليه، ويقول عنه: "هو رجل فاضل، يجيد اللغة الروسية ويجيد الترجمة كما يعرف العربية والتركية والفارسية وينظم الشعر، وهو شيعى ولكن أحد عشرى المذهب وأشعرى المعتقد،= =فيؤمن بالجبر، ولا يؤمن بولادة الإمام الغائب عجل الله فرجه، ويقرأ هذا الحديث "سيولد

وهذا الرجل المناضل المطالب بالحرية الذى كتب بجرأة غير عادية مناهضا الظلم فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الهجرى يعد أول مَنْ أسس الواقعية الكاملة فى الأدب الأذرى واعتبره كتاب الكوميديا الآذربيجانيون رائدا ومعلما لهم مثل جوجول فى الأدب الروسى وموليير فى الأدب الفرنسى. وظهر بعد ذلك فى القوقاز مؤلفون وكتاب دراما بارزون فى ظل رعايته متأثرين بكتاباته مثل نجف بيك وزيرواف وعبد الرحيم يردوف وميرزا جليل محمد قلى زاده، وفى إيران بادر البعض مثل ميرزا آقا التبريزى بتقديم مؤلفات مسرحية محاكاة له.

يتميز برنامج آخوندزاده الأدبى بالطابع الإصلاحى والثورى وهدفه خلق أسلوب بسيط وصادق، وربط الفن بالحياة، وتقديم النصح عن طريق السخرية والفكاهة والنقد كى يستفيد الناس من "الأمور الحسنة ويتحاشوا "الأمور السيئة" ويتحلوا "بالصفات الطيبة".

إن موضوع الواقعية النقدية والساخرة فى فن آخوندزاده يعد من الموضوعات المهمة والبارزة، وعلى حد قوله فإن وضعه القائم دفعه للكتابة بأسلوب ساخر. فهو يعتقد أنه لا يوجد سلاح أفضل من النقد لاقتلاع جذور الفساد فى الزمن الذى ألف فيه الناس الأعمال القبيحة وساد الظلم والجور والتخلف والخرافات كل مكان، ولا توجد وسيلة أسمى من الأدب الساخر لرفع معنويات الشعب وخلق إحساس بالأمل والتفاؤل، ولا يجوز مطلقا التوجس والمواربة والمرونة والمداهنة فى المكان الذى يعج بالفساد.

ويقول لمرضى الجهل والتعصب: كفى النظر إلى الدنيا من وراء ستار من الدموع والآهات، هلموا نفعل شيئا يزيل الغم، هلموا نضع جانبا الأفكار والمشاغل

من ولد فاطمة مهدى يملاء الأرض قسطا وعدلا بعد ما ملئت ظملا وجورا" فيقول لم يولد بعد، وينشد دائما هذا الشعر الذى نظمه الشيخ محمود الشبسترى فى "گلشن راز: روضة الأسرار": "كل من قال أنه لا يؤمن بالجبر فهو كالملحد" هداية السبل، ص٣٩.

التى اغتالت فى كياننا الرغبة فى الحياة والمقاومة، ونتمسك بشدة بالحياة والـــدنيا، ونقتنص النعم الإلهية من مخالب "الذئاب والكلاب" المخضبة بالدماء.

قدم آخوندزاده الكوميديا بهذه الآراء والمعتقدات التـــى ذكرناهـــا، وتجـــرع المخطئون والظالمون والنفعيون فى ذلك الزمان سم قلمه الساخر.

مسرحيات آخوندزاده: مسرحيات آخوندزاده الست التى ألفها بالآذرية مـــا بين عامى ١٨٥٠-١٨٥٥م (١٢٦٧-١٢٧٢هـ.ق) كالتالى:

١- "حكايت ملا إبراهيم خليل كيمياگر: حكاية الملا إبراهيم خليل الكيميائى" وتقع فى أربعة فصول، وألفت عام ١٢٦٧.

وهذه المسرحية أولى أعمال آخوندزاده وطليعة كتاباتـــه الدراميـــة، ومـــن خلالها يصور المؤلف رجلا أفاقا مغامرا يدعى القدرة على تحويل المعـــادن إلـــى ذهب، وأهالى مدينة نوخا من الأعيان؛ وهم أناس جهلاء طماعون نفعيون ومظهر للقبح والسوء. وفى المقابل صور شخصية الشاعر الحاج نورى الإيجابية. ويقـــوم الحاج نورى بتقديم النصح وتوجيه اللوم للأشخاص الذين انخـــدعوا بكـــلام المـــلا إبراهيم خليل وصدقوا أنه يستطيع بالفعل تحويل النحاس إلـــى ذهـــب. وينـــصحهم بالبحث عن هذا الإكسير فى قدرات الإنسان وعلمه: "نعم، إن علمى إكسير بالفعل، ولكن كما تقولون لابد للإكسير من معدن يتأثر به، لذا فينبغـــى لإدراك علمـــى أن يتواجد أرباب الذوق والمعرفة ليدركوا قيمة كلماتى. والآن ولسوء حظى، أنتم أيها السادة من سكان المدينة لاتملكون عقلا ولا معرفة ولا تتمتعون بالقدرة على الفهـــم أو الإحساس، فما ستكون فائدة علمى، ومن ذلك الذى سيفهم أشعارى؟" ولكن تجار المدينة لا يعجبون بهذا الكلام الرصين، فيبعدونه عنهم، فيقول أثنـــاء طـــرده مـــن المجلس "سأذهب ولكن اعلموا أن الكلام الصادق مر."

ويختلف الحاج نورى الشاعر عن أمثاله – مثلا آلسست فى "مردم گريـــز: الهارب" لموليير وتشاتسكى فى "آفة العقل" لجريبا يدوف – فهو رجل عالم متفائـــل

يحدوه الأمل فيما يتعلق بمستقبل أمته. وقد صور هذا العمل خصائص الحياة الاجتماعية والحياة المعيشية فى آذربيجان من خلال شخصية الملا إبراهيم خليل الكيميائى وأهالى مدينة نوخا من العامة المساكين، كما صور طليعة المستنيرين بآذربيجان فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر من خلال شخصية الحاج نورى، وقد رسمت الشخصيات فى هذه المسرحية بأسلوب سطحى ودون تدقيق.

٢- "مكاتب مسيو ژوردان حكيم نباتات ودرويش مستعلى شاه جادوگر معروف: حكاية السيد جوردان عالم النباتات والدرويش مستعلى شاه الساحر الشهير". وهى حكاية عجيبة، تقع فى أربعة فصول، وألفت عام ١٢٦٧هـ.ق ويقارن المؤلف فى هذه المسرحية بين عالم الشرق المظلم المعتم وعالم الغرب المنير. وتعبر شخصية مستعلى شاه الساحر عن مكر الدراويش واحتيالهم على العوام، وتصور المعممين المرائين الذين يستغلون جهل الناس، وتعبر شخصية السيد جوردان عالم النباتات عن الأفكار التقدمية للحضارة الغربية، أما شخصية شاهباز بيك المولع بالسفر إلى باريس وتحصيل العلوم الحديثة نتيجة لتشجيع السيد جوردان فهى تعكس ضرورة الأخذ بالحضارة الأوروبية ورغبة الدارسين فى ذلك الزمان فى تعلم الفنون والعلوم الحديثة.

ويحتل دور مستعلى شاه فى هذه الكوميديا الدرجة الثانية من حيث الأهمية، ويتحرر الشاب شهباز بيك من مستنقع البطالة متأثرا بالعالم الفرنسى ويسافر إلى حيث الحرية والثقافة ويصارع القوى المتمسكة بالأوضاع القديمة والعراقيل التى تحول دون تنفيذ آماله.

ويشير الكاتب إلى إمكانية انتقال ثورة ١٨٤٨ فى فرنسا إلى أماكن أخرى من العالم وذلك على لسان خان پرى: "إن كارثة تخريب مدينة باريس تجعلنى أخشى أن تخرُب مدن أخرى".

٣- (حكايت خرس قولدور باسان (دزدافكن): حكاية الدب صارع اللص). وتقع فى ثلاثة فصول، وألفت عام ١٢٦٨هـ.ق.

وهو عمل واقعى يجسد حياة القرويين الأذربيجانيين فى بداية النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى. وتصور هذه المسرحية تنطع وبلطجة الرجال، وانغلاق النساء وتعاستهن وجوانب أخرى من الحياة الاجتماعية.

٤- "سرگذشت وزيرخان سراب(١): حكاية وزير خان السرابى" وهى حكاية عجيبة وتقع فى أربعة فصول ألفت عام ١٢٦٧هـ.ق.

وقد هاجم الكاتب فى هذه الحكاية الإقطاع وصور بحبكة ومهارة تصرفات الخان البلهاء ونفاق وزير خان وتملقه. ولكن بعد أن يتولى تيمور آقا زمام الحكم يعزل الوزراء المنافقين المتملقين الذين لا يستحقون ألقابهم ومناصبهم، ويعين بدلا منهم رجالا محنكين من ذوى السمعة الطيبة. فهو شاب أدرك جيدا بذكائه الفطرى الفساد الضارب فى بلاطه ولكنه لايزال يفتقد إلى الحنكة التى تمكنه من تنفيذ الإصلاحات الأساسية فى الشئون الإدارية.

٥- "سرگذست مرد خسيس يا حاجى قرا: حكاية الرجل البخيل أو الحاج قرا" وهى حكاية غريبة تقع فى خمسة فصول، وقد ألفت عام ١٢٦٩هـ.ق.

٦- "حكايت وكلاى مرافعه درشهر تبريز: حكاية محاميِّ الدفاع فى مدينة تبريز: وهى حكاية غريبة، تقع فى ثلاثة فصول، ألفت عام ١٢٧٢هـ.ق.

ومحامو الدفاع هى آخر مسرحيات آخوندزاده، وانتقد المؤلف فى هذه المسرحية بشدة فساد الجهاز القضائى واحتيال المحامين، وقد تعمد جعل مدينة تبريز مسرحا للأحداث كى لا يلفت أنظار القائمين على رقابة المطبوعات فى الحكومة الروسية الاستبدادية.

و"آقا مردان" محامى اشتهر فى مدينة تبريز بالدسائس والاحتيال، يطعن فى

(١) قام المؤلف نفسه (وليس مترجم المسرحية للفارسية كما يظن البعض) بتغيير اسمها إلى "وزيرخان اللنكرانى") بسبب أن المؤلف أدرك أن سراب تقع فى الأراضى الإيرانية وربما يكون من غير اللائق نشر الكتاب بهذا الاسم.

حكم المحكمة كى لا تحصل سكينة خانم على ميراثها من أخيه المتوفى الحاج غفور، وقيمته ستون ألف تومان. ويحيك مؤامرة ويُحضر شهود الزور ويسعى لكسب القاضى ومعاونيه إلى صفه. ولكن على عكس المتوقع يقوم الشهود الذين أحضرهم بإفشاء السر فينتصر الحق والعدل ويُفتضح الرجل المحتال.

وقبيل نشر المتون الآذرية للمسرحيات نُشرت الترجمة الروسية لها، بداية فى صحيفة "قفقاز" بقلم المؤلف نفسه (ما عدا حكاية محامىّ الدفاع) ثم طبعت ترجمة الخمس مسرحيات فى مجلد واحد تحت عنوان "كمديهاى ميرزا فتحعلى آخوندواف" وذلك فى تفليس عام ١٨٥٣م (١٢٦٩هـ.ق). وذاعت شهرتها فى الآفاق وكُتبت عنها مقالات عديدة فى الصحف والمجلات الروسية والألمانية، وعرضت فى نفس الوقت بعض هذه المسرحيات فى مسرح تفليس الذى أنشأه كنيازفارانسوف راعى آخوندزاده، وحازت الإعجاب(١).

وفى عام ١٢٧٧ (١٨٥٩م) نُشرت المتون الآذرية للمسرحيات بالإضافة إلى حكاية يوسف شاه السراج لأول مرة تحت عنوان "تمثيلات: المسرحيات".

---

(١) عرضت مسرحية "السيد جوردن" فى البداية فى مارس ١٨٥١م فى أحد مسارح بطرسبورج الخاصة (طبقا لما نشر فى "التقويم الأدبى" المؤرخ فى ٣١ يناير ١٨٥٢م) ثم عرضت مسرحية "الدب صارع اللص" عام ١٨٥٢م فى مسرح تفليس تقديرا لأكتريس آرنولد (صحيفة "قفقاز" العدد ٧ عام ١٨٥٢م). ولكن فيما يتعلق بعرض المسرحيات باللغة الأصلية فيمكننا القول بناء على إعلان مسرحى وجد بين أوراق آخوندزاده الشخصية أن مسرحية "وزير خان السرابى" قد عرضت لأول مرة عام ١٨٧٣م فى باكو، وبهذه المناسبة أُعد ملف فى مكتب نائب قيصر روسيا فى القوقاز، وهو محفوظ الآن فى أرشيف الكنيسة الحكومية بجورجيا. وهذا الملف يحمل رقم ٢٣٨١ وعنوانه "التصريح بعرض وزيرخان السرابى وغيره باللغة التركية من قبل سكان باكو من المسلمين" ويتصدر هذا الملف الخطاب رقم ٢٦٠ المؤرخ فى ٢ مارس ١٨٧٣ م من د. استارفسلسكى حاكم باكو إلى البارون نيقولاى. وبموجب هذا الخطاب يطلب حاكم باكو السماح للمسلمين فى باكو بعرض مسرحية وزيرخان السرابى" تأليف آخوندزاده بمناسبة عيد النيروز. وفى الثامن من مارس من نفس العام أُرسلت برقية بالموافقة كما يتضح من الإعلان، وعرضت مسرحية "وزير خان السرابى"، فى ١٠ مارس ١٨٧٣م ثم عرضت بعدها مسرحية "الحاج قرا" فى نفس السنة.

ولم تمض فترة طويلة حيث اشتهرت المسرحيات فى إيران أيضا، وفى البداية ترجم ميرزا جعفر القراجه داغى(١) مسرحيتين إلى الفارسية بأسلوب بسيط، وأرسل نسخة منها لميرزا فتحعلى آخوندزاده، وأبدى آخوندزاده رأيه فى سلامة الترجمة.

نشر ميرزا جعفر المسرحيتين عامى ١٢٨٨ و ١٢٩٠ هـ.ق ونظرا لأنهما حازتا القبول نشر عام ١٢٩١هـ.ق المجموعة كاملة التى تضم خمس مسرحيات فى مجلد واحد ومقدمة عن الفوائد التعليمية للمسرح، وصدرت فى طبعة حجر بطهران، ثم صدرت منها طبعات أخرى لبعض المسرحيات فى طهران ولاهور ومدرس، وصارت المسرحيات المذكورة على هذا النحو جزءا من الميراث الأدبى الإيرانى(٢).

قدم آخوندزاده فى المقدمة التى كتبها للمسرحيات تعريفا لفن المسرح أولا ثم تعريفا للكوميديا ووضح أهميتها العظيمة لتهذيب الأخلاق والسلوك الإنسانى، وقسم

---

(١) لم أحصل على معلومات وافية عن ميرزا جعفر القراجة داغى، عدا أنه كان موظفا فى وزارة العدل وكاتبا للأمير جلال الدين ميرزا وكان يعمل فى أخريات حياته مترجما للغة التركية فى "دار الترجمة الحكومية المباركة" ووفقا لما ورد فى التقويم الملحق بالمجلد الثالث من "درر التيجان" لاعتماد السلطنة ظل فى هذا العمل إلى أن توفى عام ١٣١٠ هـ.ق.

(٢) ترجمت بعض مسرحيات آخوندزاده عن الترجمة الفارسية لميرزا جعفر إلى لغات أوروبية أخرى. من ذلك نشر د.هـ. هكرد، وج. لواسترنج عام ١٨٨٢م فى لندن "وزير خان اللنكرانى" مع ترجمتها الإنجليزية والنص الفارسى المترجم لميرزا جعفر وقائمة للكلمات وبعض الملحقات. وفى عام ١٨٨٣ ترجم الأديب الفرنسى ث. باربيه دومى نار "حكاية محامىٍ الدفاع" إلى الفرنسية ونشرها. وفى عام ١٨٨٦م نشر المحقق المذكور ترجمة "حكاية الملا إبراهيم خليل الكيميائى" فى "جورنال آسياتيك". وفى عام ١٨٨٩م نشرت "حكاية الدب صارع اللص" فى مجلة جمعية علماء اللغة باستكهولم، وفى نفس العام نشر آلفونس جوى يار "وزير خان اللنكرانى" و"محامىٍ الدفاع" باللغة الفارسية، وفى نفس العام أيضا نشر البرفسور أ. وارموند الترجمة الفارسية لـ "السيد جوردان عالم النباتات" مع ترجمتها وفهرسا للكلمات وملحقات وذلك فى فيينا ولا يبتزيك. كما ترجم أيضا بريكتو الأستاذ بجامعة ليبج مسرحية "البخيل" وهى من أعمال آخوندزاده الجيدة وكذلك عدة مسرحيات تنسب إلى ميرزا ملكم خان. ولكن حكاية "يوسف شاه السراج" فهى لم تترجم حتى الآن إلى اللغات الأوروبية عدا الروسية على حد علمى.

فن الكتابة المسرحية إلى قسمين (التراجيديا) أى التعبير عن المصائب و(الكوميديا) أى التعبير عن البهجة، ويؤكد وجهة النظر التالية فى رسالته التى أرسلها إلى ميرزاملكم خان "الفن عندى يهدف إلى تهذيب الأخلاق الإنسانية وتقديم العبرة للقراء والمستمعين". ومن هذا المنطلق يعتبر نقل البهجة أى الكوميديا أكثر تأثيرا فى تهذيب أخلاق البشر وهداية الناس إلى الطريق القويم ومكافحة الفساد. وقد انتخب لنفسه هذا اللون من الكتابة وسعى للكشف عن العيوب والمفاسد الاجتماعية فى عصره عن طريق السخرية والفكاهة والضحك.

وفى هذه المقدمة يعتبر آخوندزاده نفسه مؤسس هذا الفن العجيب ويقول "لما كان الأمير الأعظم كنياز فارانسوف حاكم ولاية القوقاز قد أنشأ عام ١٢٦٦هـ.ق بناية فخمة تسمى المسرح فى مدينة تفليس وأنفق مبالغ ضخمة لتحقيق المصلحة العامة التى ذكرتها سالفا، لهذا ألفت على سبيل التجربة ست مسرحيات وحكاية واحدة كى أُعرف الأمة الإسلامية على هذا الأمر الغريب، وها أنا أقدمها كلها فى مجلد واحد لأهل المعرفة، ولا أنتظر كغيرى من المؤلفين أن يصدروا أحكاما على مواطن الضعف والقوة فيها، ولكنى أتمنى أن يطلعوا على هذا الفن الجديد ويبادروا بالتأليف على غرارها حسب قدرتهم على الإبداع، كى ينتشر هذا الفن العجيب بفضل رعايتهم على وجه السرعة فى العالم الإسلامى. فوظيفتى تنحصر فقط فى تقديم نموذج ومثال ومخطط لبنية الموضوع".

تعلم ميرزا فتحعلى كما ذكرنا سالفا رموز وأسس تخطيط هذه البنية الحديثة من كتاب المسرح الغربيين، وقد أثرت مسرحيات موليير الكاتب الفرنسى المتميز فى القرن السابع عشر على وجه الخصوص فى مؤلفاته. فأحيانا نلحظ فى أبطال مسرحيات فتحعلى السخرية اللاذعة، والذكاء والفطنة، الردود الحاضرة وغيرها من الخصائص التى تميز بها أبطال موليير. لكن آخوندزاده لم يقيد نفسه بالإطار الضيق للأسلوب الكلاسيكى الذى كان يعتبره موليير بمثابة قواعد وشروط أدبية لا يمكن تجاوزها فى عهده، وبنفس الحرية التى تظهر فى أعمال شكسبير رسم أبطال

مسرحياته بصفات إنسانية طبيعية. وهو لا يلتزم بوحدة الزمان والمكان، فمكان وقوع الحدث يتغير سريعا، والفترة الزمنية بين الفصول أحيانا تمتد لشهور وسنوات ويجذب انتباه المشاهدين بمهارة من مكان إلى آخر، ويخلق بنفس القدرة والحرفية صورا طبيعية ومشاهد حية ومقنعة. ويتجنب الصور الأحادية السطحية غير المتروية فى تصوير الجوانب الإنسانية السلبية، وفى المجمل تعد البساطة وتناغم الحوار مع طبيعة الأشخاص، ووضوح المضمون والتنامى التدريجى والمستمر للمناقشات وسرعة الوصول إلى نتائج من خصائص مسرحيات آخوندزاده.

ولا يحتل الأشخاص ذوو الصفات السلبية وحدهم مكانة خاصة فى مسرحيات آخوندزاده ولكن أيضا شخصيات ذلك العصر البارزة والإيجابية. فيجعل الكاتب فى مقابل "الملا إبراهيم خليل" المحتال والمغامر وأهالى نوخا الطماعين شاعرا ورعا مثل الحاج "نورى"، وفى مقابل "حسن آقا" و"الدرويش "مستعلى" يجعل "السيد جوردان" و"شاهباز بيك"، وفى مقابل "الخان" الجاهل يصور شابا واعدا مثل "تيمور آقا" كى يستطيع إبراز الصفات السلبية بصورة أفضل وأكثر وضوحا.

إن مسرحيات آخوندزاده التى كتبت بلغة آذرية سهلة وبسيطة تعد مرآة صادقة لأخلاق أهالى آذربيجان الناطقين بالتركية وعاداتهم وتقاليدهم. فالكاتب عليم بالطبائع البشرية وقادر على التعبير عما يدركه. وفى كل مسرحية من هذه المسرحيات نجد أنفسنا فى زمن كتابة القصة وبين الأوضاع والظروف التى صورت من خلالها، ويمر أبطال المسرحية أمامنا واحدا واحدا بأخلاقهم وصفاتهم وملابسهم، ونفهم بوضوح حديثهم وتصرفاتهم ونضحك معهم، ونبكى معهم.

يظهر الجميع من القروى إلى الشاه بهيئتهم وصفاتهم الواقعية فى مشاهد المسرحية، ويقدمون أعمالهم وأفعالهم القبيحة غير اللائقة، يتحدثون بلغة واصطلاحات طبقتهم وبيئتهم، وكأن الكاتب قد عايش كل هؤلاء الناس وسجل أفعالهم وأحاديثهم فى ذاكرته.

ومثلما اشتهر أبطال مسرحيات موليير "اسجاندرل" و"هارباجون" و"تارتوف" باعتبارهم نماذج للفئة المنتمين إليها، وكذلك "خلستاكف" و"دُبتشينسكى" و"بيتشينسكى" أبطال جوجول المشهورون؛ فإن أبطال مسرحيات أخوندزاده "حاتم خان آقا" و"الحاج قرا" و"زليخا" و"بيرام" و"آقاكريم ميانجى" و"ملا إبراهيم خليل" لازالوا أحياء، ويمارسون أعمالهم غير اللائقة.

مضى أكثر من مائة عام منذ ألف ميرزا فتحعلى مسرحياته، ومع هذا لم تتغير عاداتنا وتقاليدنا وأسلوب معيشتنا. ولا تزال أخلاق وصفات ذلك الزمان الذميمة مسيطرة علينا وعلى مجتمعنا برغم اختيار مظاهر الحضارة الغربية، فلا زلنا نرث غفلتهم وكسلهم وميلهم للراحة وضيق أفقهم. وبالنظر إلى هذه الأمور تبدو لنا أهمية أعمال آخوندزاده الحقيقية وقيمتها، وبعد مرور مائة عام لا زلنا نستطيع أن نشاهد شخصيات أعماله حية وجلية فى مجتمعنا. فلازال أهالى القرى عندنا غارقين فى الجهل والأمية والفقر، ويعرض أمثال "الحاج قرا" فى الأسواق للمشترين البضائع الكاسدة فى محلاتهم وسقط المتاع، ويقسمون لهم كذبا على أنها بضائع رائجة ويخسرون دينهم وإيمانهم، ولا تزال شبيهات "شهربانوخانم" و"خان برى ننه" يخدعن أزواجهن التعساء بالسحر والدجل، كما يعتبر أمثال "حاتم خان آقا" أن محاكاتهم للغربيين تكون بعدم إطلاق اللحية وعدم حلاقة الشعر أو التخضب بالحناء وخلع غطاء الرأس وتناول الطعام بالملعقة والشوكة، ولا زال أمثال "الملا إبراهيم خليل" يسلبون الناس البسطاء السذج أموالهم وممتلكاتهم بالشعوذة والخزعبلات، كما يرتكب المعاصرون من أمثال "آقامردان حلواچى زاده" "آقا سلمان الكچى زاده" كل يوم مئات الأعمال المخالفة للشرع والأعراف باعتبارهم محامين بارزين فى المحاكم، ويضيعون هباء ممتلكات مئات النفوس الطاهرة عن طريق إثارة الفتنة وارتكاب المفاسد باسم القانون.

حكاية الرجل البخيل: تعد حكاية الرجل البخيل أقوى مسرحيات آخوندزاده ومثالا راقيا وكوميديا كلاسيكية فى الأدب الآذرى[١]. وقد صورت فى هذا العمل الواقعى مشاهد جذابة من الحياة الاجتماعية لأهالى أذربيجان فى أواسط القرن التاسع عشر الميلادى، وتتميز بأهمية تاريخية لما تكشف عنه من ظلم واستبداد واستغلال وخسة وغيرها من الصفات الذميمة.

و"الحاج قرا" بطل المسرحية الرئيسى رجل بخيل يستولى عليه مرض أو شهوة "البخل" مما يجعله شخصية فكاهية. وقد قدمت شخصية البخيل مرارا فى الآداب العالمية. ولكن "الحاج قرا" يعد شخصية كاملة الملامح وأصيلة مقارنة بشخصيات البخلاء مثل "هارباجون" عند موليير، و"بارن" عند بوشكين، و"بليوشكين" عند جوجول.

ويقول الناقد الروسى الكبير بلينسكى عند حديثه عن "البخيل" بطل مسرحية بوشكين: "إن البخل والوضاعة ليسا بالأمر الجديد، ولكن النبوغ والإبداع يمكن أن يكسبا كل قديم جدة. ففكرة البخيل واحدة، ولكن أشكالها مختلفة تماما".

فالرجل الذى يدعى "هارباجون" الذى يوصف بالبخل فى مسرحية موليير هو "مجرد بخيل"[٢] وفقا لتصريح بوشكين، على عكس "الحاج قرا"؛ ففضلا عن أنه شديد البخل وجبان وكاذب إلا أنه يتحلى ببعض الصفات الإنسانية الحميدة مثل الحكمة والفراسة والذكاء والاستنارة والتدبير. فهذا الشخص يفهم الحياة جيدا ولا يكف عن السعى لتحقيق أهدافه. [٣]

---

(١) يقال إن صديق آخوندزاده قاسم بيك الشاعر القراباغى المتخلص بـ "ذاكر" والذى كان يتبادل معه الرسائل كان قد قدم لآخوندزاده مضمون المسرحية وقام آخوندزاده بتهذيب الفكرة وألف كوميديا "الرجل البخيل".

(٢) يقصد الكاتب الروسى أن أبطال المسرحية موليير ومن بينهم البخيل يتميز كل منهم بسمات محددة أحادية الطابع.

(٣) حكاية الرجل البخيل ليست ترجمة لمسرحية L'Avare لموليير عن الترجمة الروسية كما يعتقد الدكتور أبو القاسم جنتى عطائى (نگاهى به دراما تورژى در ايران، بيام نوين، العام=

و"حيدر بيك" من الشخصيات الجذابة فى هذه الكوميديا، وهو من نسل أسرة عريقة، أو بعبارة أخرى نموذج لإفلاس الطبقة الإقطاعية القديمة. فحيدر بيك بالرغم من أنه قاطع طريق ومهرب إلا أنه شخص من النجباء غيور يكره الخيانة والكذب والرياء. فهو يمتلك قوة داخلية هائلة ولكنه عاجز عن توظيفها توظيفا مناسبا والاستفادة منها لأنه عازف عن الكسب والعمل والتجارة، وينظر دائما إلى الماضى البائد، وهو لا يعرف كيفية الحصول على المال والثروة على النقيض من "الحاج قرا" الذى يفكر دائما فى زيادة رأس ماله وثروته، ولكن على كل حال يعبر كل منهما من منطلقين مختلفين بالطبع عن مبادئ غير سامية تتسم بالخيلاء وتناهض المجتمع. فهذا فتوة قاطع طريق وذاك اتخذ من اللصوصية والغش فى البيت والسوق، والتعامل بالبيع والشراء فى البضائع المهربة مبدأ لحياته، والنتيجة أن كليهما يمارس أعمالا وضيعة. وفى مقابل هاتين الشخصيتين وحفنة من موظفى البلاط القيصرى الظالمين الذين تضامنوا مع الإقطاعيين وذوى المنفعة وتحالفوا معهم توجد نساء عاقلات يتميزن بالجرأة مثل "صونا" و"تكذ" والقرويون المساكين مثل "مجرديتش" و"آراكل" والخادم "كرمعلى" الذى انحنى ظهره نتيجة الاستغلال فى ظروف مجحفة وقاسية، وبشكل عام يوجد أفراد شرفاء مسالمون يمارسون أعمالا شاقة مفيدة للمجتمع.

٥- ميرزا آقا التبريزى:

إن أولى المسرحيات التى ألفت بقلم الإيرانيين أنفسهم بعد مسرحيات آخوندزاده الكوميدية التى كتبت أصلا باللغة التركية الآذرية هى ثلاث مسرحيات قصيرة تنسب إلى ميرزا ملكم خان طبعت أجزاء منها فى حواشى صحيفة "اتحاد"[١] خلال أعداد متفرقة، ولكن قبل أن يكتمل نشرها وقعت حادثة ٢٣ جمادى

=الثالث، العدد ١٠)، بل هى عمل مستقل ولا يوجد وجه للشبه بين العملين سوى أن بطليهما بخيلان.

(١) صدرت فى تبريز منذ أوائل صفر حتى نهاية جمادى الأولى ١٣٢٦هـ.ق.

الأولى ١٣٢٦هـ.ق (انقلاب محمد على شاه وقصف المجلس) ولم يكتمل هذا الأمر نتيجة توقف كافة الصحف المنادية بالدستور. ثم وجدت نسخة كاملة للمسرحيات الثلاثة في مكتبة "جراف فن روزن" الدبلوماسي والمستشرق الألماني الشهير، وفي عام ١٣٤٠ هـ.ق طبعت في برلين تحت عنوان "مجموعه مشتمل برسه قطعه تئاتر منسوب به ميرزا ملكم خان ناظم الدولة: مجموعة تضم ثلاث مسرحيات تنسب إلى ميرزا ملكم خان ناظم الدولة".

يتضح وفقا للوثيقة التي توفرت لدينا مؤخرا أن ميرزا ملكم خان لم يكتب مسرحية مطلقا، وأن المسرحيات التي نسبت له هي من تأليف ميرزا آقا التبريزى السكرتير الأول بسفارة فرنسا المقيم في طهران.

وليس لدينا معلومات كثيرة عن هذا الشخص. ويقدم نفسه في الخطاب الذي كتبه إلى ميرزا فتحعلى آخوندزاده قائلا: "أسمي ميرزا آقا، ومن أهالي تبريز. كنت مهتما منذ طفولتي بدراسة اللغتين الفرنسية والروسية، وقد درست اللغة الفرنسية بالقدر الذي يمكنني من الكتابة والترجمة والحديث، كما أعرف قدرا أيضا من اللغة الروسية. وبعد عملي لعدة سنوات في المدرسة الملكية وأداء مهمتي في بغداد وإسطنبول والحصول على أربعة أوسمة من الدرجة الأولى والثانية والثالثة من تلك المدرسة ووسام التفوق، أعمل منذ سبع سنوات بإذن من أولياء الدولة في سفارة دولة فرنسا الجليلة بطهران في منصب السكرتير الأول"(١).

أراد ميرزا آقا في البداية أن يترجم مسرحيات آخوندزاده إلى الفارسية بناء على رغبته لكنه عدل عن هذه الفكرة بعد ذلك، وقام بهذا العمل كما رأينا سابقا ميرزا جعفر القراجه داغي. أرسل ميرزا آقا المسرحيات الثلاث التي كان قد ألفها إلى آخوندزاده لإبداء رأيه فيها، ووضح السبب وراء عدوله عن ترجمة المسرحيات وإقباله على تأليف أعمال مستقلة فيقول: "لقد حالفني الحظ منذ قراءتي

---

(١) ميرزا فتحعلى آخوندوف: الفباى جديد ومكتوبات، باكو ١٩٦٣، ص ٣٨٩.

للكتاب التركى من تأليف ذلك السيد الجليل، وشغفت بالتدريج بالكتابات الباعثة للسرور، واستبصرت من موضوعاتها الجميلة وعباراتها الجذابة التى تحوى أنواع العبر والآداب، فاعتبرت من واجبى أن أقلد ذلك السيد الجليل المعظم وأحاكيه فى هذا الأسلوب الميمون وهذا السياق المحمود، وأكون مريدا له. فأردت فى البداية أن أترجم إلى اللغة الفارسية كتاب المسرح كما طلبتم، فرأيت أن الترجمة اللفظية تقضى على جمال الألفاظ وتفقد الكلام بلاغته. فشعرت حقيقة بالأسف وتوقفت عن الترجمة ولما كان هدفى المحاكاة؛ لهذا كتبت شيئا يسيرا بنفس الأسلوب باللغة الفارسية، وتركت هذا التقليد الجديد بين القوم نموذجا ليسعى العقلاء إن شاء الله لإكماله وتهذيبه"[1].

وقد كُتبت هذه المسرحيات بالتأكيد فى حدود عام ١٢٨٧ هـ.ق لا قبل ذلك التاريخ ولا بعده بكثير[2]. وجعل لها المؤلف عناوين مفصلة وطويلة على النحو التالى:

١- "سركذشت أشرف خان حاكم عربستان در ايام توقف او در طهران كه در سنهء ١٣٢٢ به پايتخت احضار مى شود وحساب سه سالهء ولايت را پرداخته مفاصا مى گيرد وبعد از ترجمات زياد دوباره خلعت حكومت پوشيده مى رود: حكاية أشرف خان حاكم بلاد العرب فى أيام توقفه فى طهران حيث يستدعى

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٩٢.

(٢) أرسل ميرزا فتحعلى آخوند زاده فى هذا العام نسخة من المسرحيات للأمير جلال الدين ميرزا ابن فتحعلى شاه، وسأله "لو قام شخص من فضلاء طهران متحدثا بالفارسية – ويفهم اللغة التركية جيدا بترجمة هذه المسرحيات من اللغة التركية إلى اللغة الفارسية بنفس القواعد والشروط التى أشرت إليها فى الكتاب دون نقص أو زيادة وبدون تكلف أو قافية، ووفقا للمتداول لدى الناطقين بالفارسية فى إطار لغة الحوار وليس فى إطار الإنشاء، ويقوم بطبعه ونشره؛ فبالقطع سوف يؤدى خدمة جليلة للأمة". وتولى ميرزا جعفر القراجه داغى مهمة ترجمة المسرحيات، وكتب ميرزا آقا مسرحياته الثلاث تقليدا لهذه المسرحيات، وأرسل نسخة منها لآخوندزاده لإبداء رأيه فيها. ويتضح من الرسالة التى كتبها آخوندزاده إلى ميرزا آقا فى ٢٨ يونيه ١٢٨٨ أنه كان قد انتهى من كتابة تلك المسرحيات فى ذلك التاريخ.

عام ١٣٢٢ إلى العاصمة ويسدد حساب ثلاث سنوات من الولاية ويحصل على إيصال بالسداد، ثم يُمنح الحكم بعد مشقة كبيرة ويمضي" وتقع في أربعة فصول.

٢- "طريقة حكومت زمانخان بروجردى وسر گذشت آن أيام: أسلوب حكم زمان خان البروجرى وحكاية تلك الأيام" وتقع في أربعة فصول.

٣- "حكايت كربلا رفتن شاهقلى ميرزا وسرگذشت آن أيام وتوقف جندروزه در كرمانشاه نزد شاهمراد ميرزا حاكم آنجا: حكاية ذهاب شاه قلى ميرزا إلى كربلاء وحكاية تلك الأيام وتوقفه عدة أيام في كرمانشاه لدى حاكم تلك الديار شاهمراد ميرزا".

وقد صورت في تلك المسرحيات مشاهد قاتمة ومخيفة عن الاستبداد وغياب القانون في العهد الناصرى والأوضاع السيئة في ذلك العصر فضلا عن الكثير من الأحداث المثيرة للضحك، وقدمت بأسلوب نثرى ساخر يجبر القارئ المعاصر على الضحك عفويا. ولكن بالطبع أهالى ذلك الزمان الذين ضاقوا من الظلم والاستبداد وكانوا متعطشين للحرية والثقافة الأوروبية قد تأثروا لقراءة هذه الهزليات المريرة الساخرة التي تبعد عن المبالغات وتمثل الحقيقة.

والمسرحيات الثلاث هي في الواقع قطع كتبت بأسلوب الحوار ولم يُراع في كتابتها الأصول والقواعد الفنية للمسرح الأوروبى حيث وحدة الزمان والمكان وغير ذلك، ولهذا صار تقريبا من غير الممكن عرضها. فعلى سبيل المثال في الفصل الأول من حكاية أسلوب حكم زمان خان... يرسل كبير الخدم في قاعة إحدى الدوائر الحكومية أحد الخدم ليحضر "قارطانوس" بائع الشراب. فيذهب الخادم، ويطرق باب منزل "قارطانوس" ويحدثه، ويعود الاثنان سويا إلى الإدارة الحكومية بينما يتحاوران، ثم يجلس هذه المرة الخان الحاكم في وسط حديقة (لا في نفس القاعة بالإدارة الحكومية) ويتحدث مع ميرزا جهانجير. وعلى هذا النحو يدور الفصل أو المشهد الأول في أربعة أماكن مختلفة (قاعة الإدارة الحكومية، أمام باب

منزل فارطانوس، الطريق، حديقة المبنى الحكومى)، ويتضح من سياق الكلام أن هذه الأحداث لا تقع فى يوم واحد ولكن فى عدة أيام ربما منذ يوم الخميس حتى يوم السبت.

ويدور الفصل الثالث على نفس النسق، "آقاباجى" تحمل الرسائل من "كوكب خانم" للحاج رجب ورئيس الخدم، وتحضر الرد.

وفى الفصل الثانى من حكاية ذهاب شاهقلى ميرزا إلى كربلاء... يركب الأمير مع الخدم والجند فى المقدمة، وخلفهم أثاث المنزل والسقاية، ويتبعهم الغلمان وعدد كبير من الخيول الاحتياطية، ويخرج خلفهم من المدينة "ايرج ميرزا" ابن الحاكم وأتباعه، وخلال الطريق يتحدث "شاهقلى ميرزا" مع ابنه. وعلى مسافة فرسخ من مدينة سنقر يظهر فارس ويصل رئيس المخفر والعمدة وبرفقتهما مائتان من الجنود ويصطفون على الجانبين. وعلى مقربة من القرية، يقدم الرعية على الجانبين الأضاحى من الغنم. وفى اليوم الثانى يجلس "شاهقلى ميرزا" على عرش مطعم بالذهب فى قاعة ذات سبعة أبواب، ويصطف الجنود فى الطريق إلى البلاط الملكى وكذلك النجباء والأعيان عن اليمين وعن اليسار. ويذهب الأشخاص الذين يعملون لدى الأمير إلى ابنه "ايرج ميرزا" ثم يعودون.... يضم فصل واحد كل هذه الوقائع والأحداث المتسمة بالحشمة والجلال والتى تحدث على مدى الطريق الممتد من بداية خروج الأمير إلى نهاية رحلته وعلى مدى عدة أيام.

ونشعر أن الكاتب لم يطلع على المسرحيات الأوروبية، أو أنه ألف مسرحياته لتقديم العبرة للمواطنين من أهل بلده فقط وليس من أجل عرضها، لدرجة أنه لم يطلق عليها لفظ مسرحية أو عرض بل أسماها حكاية.

لم تخف المسائل المطروحة سابقا عن آخوندزاده، فأبدى وجهة نظره حول كل مسرحية على حدة فى الرسالة التى كتبها إلى المؤلف فى نقد المسرحيات، ويستهل الرسالة بقوله: "أخى العطوف ميرزا آقا، أطال الله عمركم. وصلتنى

رسالتك اللطيفة. قرأت مؤلفك عن آخره، وأرسل لك ألف ثناء وإطراء، وأشعر بالسعادة لحميتك وموهبتك، وأتمنى أن تقضى أوقاتك على الدوام فى هذا الفن الراقى الذى يسميه الأوروبيون "الدراما" وأن تحرز المزيد من النجاح"(١).

ثم يضيف "ولكن طالما أن هذا العمل طليعة أعمالكم وجب علىَّ أن أقدم لكم بعض المآخذ عليه"(٢).

ثم يقوم بتعريف المسرح ونقد المسرحيات وبعض الأجزاء التى لا يمكن عرضها ويوجهه إلى كيفية عرضها، كما يلفت نظره إلى نقاط تتعلق بالشخصيات والمشاهد فى حكاية زمانخان... وينصحه بتغيير المشاهد وغير ذلك.

وقد استحسن آخوندزاده من بين مسرحيات ميرزا آقا الثلاث "أسلوب حكم زمانخان" عن غيرها، وأوصى المؤلف أن يسميها "سرگذشت دهياشتى قاسم وكوكب: حكاية قاسم رئيس الخدم وكوكب "لأن دور زمانخان فى هذه الحكاية صغير. ولكنه لم يعجب مطلقا بحكاية ذهاب شاهقلى ميرزا إلى كربلاء... وكتب: إن حكاية شاهقلى ميرزا سيئة تماما، فلتحرقها. فلا يجدر بأصحاب القلم أن يكتبوا مثل هذه الأشياء"(٣).

وها نحن نستشهد فيما يلى بالفصل الثانى من مسرحية "أسلوب حكم زمانخان..." للتعرف على أسلوب الكاتب:

---

(١) ميرزا فتحعلى آخوندزاده، من الرسالة المؤرخة بالثامن والعشرين من يونية عام ١٨٧١ (ربيع الأول ١٢٨٨).
(٢)المصدر السابق.
(٣) ميرزا فتحعلى آخوندزاده، من الرسالة المؤرخة بالثامن والعشرين من يونيه عام ١٨٧١.

أسلوب حكم زمانخان...

المشهد الثانى

ميرزاجهانجيرخان: (يقول للخان الحاكم) أيها الخان العزيز، هذا ذنبك، وزير البلاط يقول الحق. فالأسلوب الذى تحكم به لا يصلح. لا رشوة، لا شئ. فأمثالك يحصلون على رشوة مائة تومان يوميا، فهل أنت مغسل وضامن الجنة أو النار للميت!. أنت حاكم لعدة أيام، فعليك أن تجمع من الرشاوى أربع عملات من الشاهى وتذهب فليُقبر أبو الرعية ! فالمسئول عن الرعية نفسه لا يفكر فيهم، إلى أين سيرسلونك ثانية؟ فهذه الحكومات لا قيمة لها، فغدا سيظهر واحد ويقدم الهدايا ويصبح الحاكم، فلتبق أنت ولتبق طهران ولتظل حبيسا بركن المنزل. وحتى لا يحدث هذا فعليك بالغش والإجحاف، واقبض على التقى وقيد الطاهر البرى، وكن مرتشيا واحصل على الرشوة... فإلى متى تظل أبلها؟

الخان الحاكم: (بهدوء) وهل رجال الحاشية يدعون الإنسان يتصرف على نحو صحيح؟ أنت تقول الحق، فكل هذا ذنب كبير الخدم...

كبير الخدم: لماذا سيدى الخان، ما ذنبى؟، وما التقصير الذى حدث؟

الخان الحاكم: ما التعهدات التى التزمت بها معى؟ وما أساليب تلقى الرشاوى التى عرضتها علىّ؟ فمنذ فترة لم تقبض على سكير، ولا تعلم شيئا عن من يمارسون البغاء، ولا عن أى عربيد، ولم تحصل على رشوة تومان أو اثنين... ألا تعرف عملك، أم إنك لا تصدقنى القول؟ أيهما الصحيح؟

كبير الخدم: (يتقدم ويقول) بالتأكيد إن ذاكرة الخان قد خانته. فأول أمس كنت تنصحنى بغير ذلك، والآن تتحدث بأسلوب مغاير، لا أعلم ماذا تقصد بهذه الأوامر؟

الخان الحاكم: لقد صرتُ هذه الأيام مفلسا. ولم أسدد القسط المقرر على الولاية، ابحث عن سكير، بغى، أحضر رشوة من الهواء، فالأمر لا يسير على هذا النحو.

كبيرالخدم: عليك أن تأمر وعليَّ التنفيذ، أول أمس أمرتنى على عكس ذلــك (يخرج وينادى) يا أولاد، لينادى أحد "قاسم" رئيس الخدم (يأتى قاسم رئيس الخــدم ويؤدى التحية) رئيس الخدم !

رئيس الخدم: نعم سيدى !

كبير الخدم: إن الحاكم مفلس هذه الأيام، ولا يملك النفقات اليومية للمعيشة.

رئيس الخدم: سيدى إذًا ماذا علىّ فعله؟

كبير الخدم: فلتبحث عن بغى معروفة واقبض عليها، وخذ منها أربعــين أو خمسين تومانا.

رئيس الخدم: أى بغى؟ وكيف؟

كبير الخدم: أين السيدة كاشى؟

رئيس الخدم: لقد تابت وتزوجت.

كبير الخدم: وماذا تفعل السيدة الشيرازية؟

رئيس الخدم: أصيبت بداء الزهرى ولا تعمل.

كبير الخدم: وماذا عن سكينة صانعة الطواقى؟

رئيس الخدم: لقد كبرت فى السن، وهى الآن قوادة.

كبير الخدم: وماذا عن "زيور" ذات الجدائل الطويلة؟

رئيس الخدم: لقد علا شأنها هذه الأيام، فقد رافقت الأمير المتعهد بــالخيول الملكية، ولا يستطيع حتى الفيل أن يتحدث معها.

كبير الخدم: لقد علا شأن "صاحب جان " هذه الأيام جدا، فالكل يتكلم عنها.

رئيس الخدم: لا يمكن الحديث عن "صاحب جان"، حــصلت مــن الــوزير

ميرزا عيسى على وثيقة الطلاق، وتحملها تحت إبطها، وتنعم بعوائد الإقطاع من أرض الخاصة الملكية.

كبير الخدم: آه ها تذكرت. لا أحسن من كوكب الشاهورديخانية: فهي صارعة العشاق ولصة ومحتالة وتعرف كل الأساليب. اضغط عليها بالطبع، لتوقع واحدا من هؤلاء التجار الأثرياء فى الفخ. وأمسكوه لنحصل منه على مائتين أو ثلاثمائة تومان.

رئيس الخدم: نعم نعم. أحسنت القول، فكرة جديدة. سأبحث عنها ونتفق معها. بالطبع ستوقع واحدا فى الفخ، وفى النهاية نعطى لها شيئا.

كبير الخدم: أف، اذهب وتدبر الأمر. ورأس أخى سأحصل لك على منصب نائب رئيس الخدم.

رئيس الخدم: دام فضلك علينا، أنا رئيس الخدم بالفعل، ولكن العمل بالديوان شئ آخر. أدام الله فضلك. سأذهب لإنهاء ما طلبت(يأتى، و يرسل أحد الفتوات إلى كوكب ويدق الفتوة بابها).

الوكيل: (يتقدم وكيل كوكب عند الباب) ماذا تقول؟

الفتوة: قل للسيدة إن قاسم رئيس الخدم يريد أن يقابلك ويدخن النرجيلة ثم يذهب.

الوكيل: توقف حتى أحضر الرد (يذهب لكوكب ويخبرها) لقد أرسل قاسم رئيس الخدم رجلا، يريد أن يأتى ليقابلك.

كوكب: بسم الله الرحمن الرحيم، ليجعل الله الأمر خيرا، ما الموضوع؟! أول أمس أرسلت السكر والشاى وعباءة من أجل رئيس الخدم، ماذا حدث ثانية! اللعنة على هذا العمل، فزوجة السيد كبير الخدم تتفاخر بفضلى فى الحمامات بأنها تملك بساطا من الحرير الكشميرى وكوزا وإبريقا. لتحترق يا وكيل، فكل هذا من

جرائك. العام الماضى أردت أن أتزوج "كاظم قشنج" ولكنك لم تتركنى أرتاح لعدة أيام، حسن، اذهب الآن وادعه ليأتى، لأرى ما الحلم الذى رآه لى.

الوكيل: (يذهب عند الباب ويقول للفتوة) تسمح السيدة لكم بالدخول، البيت بيتكم.

الفتوة: يأتى مسرعا ويقول لرئيس الخدم: تفضل، باسم الله، كوكب خانم بالمنزل.

رئيس الخدم: الحمد لله يكاد الأمر أن يتحقق وستفلح الحيلة تماما (يأتى ويدخل فناء منزل كوكب. ويسأل الوكيل) هل السيدة كوكب قادمة؟

الوكيل: هى فى تلك الحجرة ذات الأبواب الخمسة أمامك.

رئيس الخدم: (يدخل الحجرة) سيدتى السلام عليك.

كوكب: عليك السلام عزيزى رئيس الخدم، جعلت فداءً لطلتك التى تشبه القمر، يا للعجب، حللت أهلا ونزلت سهلا. كيف تذكرت الفقراء؟ وحياة أختى بينما كنت ذاهبة للحمام بالأمس وقع نظرى عليك، فخفق قلبى، وأردت أن أذهب للحديث معك، فخجلت لوجود الناس.

رئيس الخدم: سيدتى العزيزة، وحياتك الغالية، أنا لا أرغب فى واحدة غيرك من بينهن جميعا. أقول دائما ماذا يمنع الإنسان حَسن السلوك والعارف بالأصول عن بعض الـ....

كوكب: بالطبع، بالطبع، عزيزى رئيس الخدم، من القلب للقلب رسول. (تنادى) يا وكيل، تعال اجلس هنا. يا وكيل أستحلفك بامرأتك العجوز، ألم أمتدح رئيس الخدم وأتحدث عنه كثيرا فى تلك الليلة التى كان الوزير هنا، حسن سيدى رئيس الخدم، لندع هذا جانبا، لو أنك لم تشملنى برعايتك أكنت أترك أملاكى وأحضر وأحصل على إذن بالسكن فى حيك؟ إذن لتعلم أن كل هذا من أجلك.

رئيس الخدم: حسن فلتخبريني الآن عن عملك، كيف تسير الأمــور معــك؟ هل حصلت على صيد ثمين أم لا؟

كوكب: سيدى العزيز، لا أعلم ما بال هذا العام؟ وكأن جميع الناس قد مــاتوا، لا أجد رجلا مغرما، لا تفوح رائحة العشق من أحد مطلقا، وكأن الشبان قد أصــيبوا بالشيخوخة ! الوكيل يعلم أننى رهنت كل متاعى لدى زوجة خــسروخان بــسبب الكساد، ولا أملك نفقاتى اليومية.

رئيس الخدم: لا، لا ينبغى أن تقلقى على هذه الأمور، فالحياة فانية، يجــب العيش فى سرور وكفى.

كوكب: حقا، ولكن السرور يتطلب قلبا خاليا وكذلك المال، فالسرور لا يأتى مجانا.

رئيس الخدم: عندى فكرة. لو أحسنت التدبير ولم تتركى شــيئا للمــصادفة، سينتهى كل هذا، ونتخلص من ضيق ذات اليد.

كوكب: ها، قل؛ لأعرف، خيرًا إن شاء الله.

رئيس الخدم: سيدتى، انظرى، عليك توثيق علاقتك بــصديقك عــن العــام الماضى الحاج "رجب خوش ابرو"، واستضيفيه ليلة من الليــالى، ليحــضر هنــا ونقبض عليه، فتكونى قدمت خدمة للحاكم وقدمت خدمة لنفسك أيضا.

كوكب: (تلطم وجهها وتقول) يا ويلى، يا ويلى، يا عارى، دعك بــالله مــن هذا، هل وصل الأمر لذلك؟

رئيس الخدم: أرأيت؛ النسوة أحيانا بلا عقل. ألم يكذب عليك محــروق الأب هذا كثيرا العام الماضى، وفى النهاية زاول العشق أمامك مع "طاوس" ذات الخال، فأحرق قلبك. ألا زلت تقولين هل وصل الأمر لذلك؟!

كوكب: (تحث نفسها على البكاء) آه آه، ماذا أفعل، حظى سيىء، عزيـزى رئيس الخدم لتحكم بالله عليك، هذه التى تتبول دون إرادة، محروقة الأب، أتساوى إصبعى الصغير!! وذاك الخسيس تركنى وأخذ تلك العفنة التى تتبول دون إرادة.

رئيس الخدم: دعينى أقول لك، هيا تداركى الأمر الآن.

كوكب: أخشى أن تلوكنى الألسن ويقولون كوكب شؤم لا تصون العشرة، أترون حبست صديقها !

رئيس الخدم: ها ها ها. هذا كله أوهام. الكل يعلم أن الحاج رجب قد أساء إليك كثيرا.

كوكب: أخشى شيئا آخر، أخشى لو حدث هذا أن يحبسنى الخان الحاكم ولا يطلق سراحى، ستكون مصيبة على رأسى !!!

رئيس الخدم: وحياة أولادى وحياتى، والملح الذى أكلناه سويا، لن يحدث هذا. فكرى جيدا. أنا لا أقدم على عمل لم أدرسه جيدا. (يضرب على ركبته)، لو فكرت فى هذه الأوهام لن يبقى رئيس الخدم قاسم إنشاء الله على وجه الأرض...

كوكب: لا تقل هذا، لا تقل هذا، لا أراد الله، فلنمت أنا والحاج رجب، الحاج رجب فداء لشعرة من شاربك الشهم. كنت أتحدث فقط، وأفهم كل ما تقول. دعهم يقولون إن كوكب قد قُتلت فى سبيل قاسم رئيس الخدم، الآن قل لى ماذا أفعل!!

رئيس الخدم: دورك الآن كالتالى: تكتبين ورقة وتعطينها للوكيل فيحملها ويسلمها للحاج رجب، وتأخذين منه موعدا ذات ليلة ليحضر إليك: وما إن يأتى ويجلس عليك بمشاغلته. وبعد مرور أربع ساعات من الليل سندخل أنا واثنان أو ثلاثة إلى المنزل، وسنلقى القبض عليك وعليه، ألن يشترى الحاج رجب كرامته بألف تومان!! فسنأخذ منه دون مشاحنة فى ذات الليلة مائتين أو ثلاثمائة تومان، ونتركه، وأنت تجلسين مكانك هنا فى أمان.

كوكب: حسن جدا. اتفقنا. لتحضر كى أعلمك بالأمر.

رئيس الخدم: (ينهض ويذهب) فى حفظ الله.

كوكب: مع السلامة يا عزيزى رئيس الخدم. الله معكِ.

(يُسدل الستار)

الفصل السادس: السيد جمال الدين

ارتكزت مساعى جماعة من المجاهدين فى سبيل الحرية والمستنيرين المقيمين خارج إيران وتعاليم وجهود السيد جمال الدين الأفغانى حامل لواء الوحدة الإسلامية وزعيم الجبهة الإسلامية الحرة على مكافحة الاستعمار.

ولد هذا الرجل الجليل فى حدود عام ١٢٥٤هـ.ق (على كل حال ليس قبل هذا التاريخ أو بعده بكثير)[١]. ويعتبره الأفغان وكتاب الدول الإسلامية الأخرى مثل مصر والشام ولبنان أفغانيا وينسبونه إلى السيد على الترمذى عالم الحديث الشهير، ولكن الكثير من الإيرانيين يعتقدون أنه قد ولد فى "أسد آباد" الواقعة على مسافة ثمانية فراسخ من مدينة همدان التاريخية.

وجدير بالذكر أن الحكومة الأفغانية طلبت من الحكومة التركية السماح لها بنقل رفات السيد جمال الدين إلى كابل، وعلى الرغم من أن بعض الصحف الإيرانية قد احتجت على هذا الموضوع فإن تركيا وافقت على الأمر ونقلت رفاته إلى كابل فى مراسم مهيبة[٢].

---

(١) يؤكد هذا الرأى طلب الانضمام إلى المحفل الماسونى المؤرخ فى الثانى والعشرين من ربيع الثانى عام ١٢٩٢هـ.ق وقد ذكر فيه أنه يبلغ من العمر السابعة والثلاثين (مجموعه اسناد چاپ نشده، لوحة رقم ٤٠).

(٢) للبحث عن موضوع مسقط رأسه انظر: الشيخ محمد عبده، مقدمة على رسالة "الرد على الدهريين"؛ جورجى زيدان: مشاهير الشرق؛ أديب اسحق: كتاب الدرر، سليم العنحورى: شرح قصيدة سحر هاروت، ميرزا لطف الله الأسد آبادى: شرح حال وآثار سيد جمال الدين أسد آبادى، برلين ١٣٠٤ش، صفات الله جمالى الأسد آبادى: "اسناد ومدارك دربارهء ايرانى الأصل بودن سيد جمال الدين اسد آبادى، طهران، بدون تاريخ؛ ناظم الإسلام: "تاريخ بيدارى إيرانيان"، تقى زاده: كاوه، العام الثانى، الأعداد ٣، ٩ و"مردان خود ساخته"؛ ميرزا على خان امين الدولة: "خاطرات سياسى"؛ إدوارد براون: "تاريخ انقلاب إيران"؛ سيد هادى خسرو شاهى: "دفاع از سيد جمال الدين آسد آبادى" طهران، مرداد ١٣٤٣ش؛ محمد قزوينى: "يا داشتها" مجلة يادگار، العام الثالث، العدد الرابع، " مجموعهء اسناد ومدارك چاپ نشده دربارهء سيد جمال الدين" طهران ١٣٤٢ش.

ولا توجد لدينا معلومات كافية عن مرحلة طفولته وبداياته الأولى، وتفيد المصادر الإيرانية أنه ذهب فى أول شبابه إلى همدان لقسوة أبيه وانتقل منها إلى تبريز، ودرس لفترة من الوقت فى قزوين وأصفهان ومشهد وتبحر فى العلوم الإسلامية، وفى الثامنة عشر من عمره سافر إلى الهند عن طريق شيراز وبوشهر. أما الروايات العربية فتفيد أن أسرة السيد كانت تمتلك بعض الأراضى فى أفغانستان ثم استولى عليها الأمير دوست محمد خان، فانتقل والد السيد جمال الدين وجمع من أعمامه إلى مدينة كابل. وكان عمره فى ذلك الوقت ثمانى سنوات وقام فى العاشرة بدراسة العلوم الإسلامية كالأدب العربى والتاريخ والتفسير والحديث والفقه وأصول الدين وعلم الكلام والعلوم العقلية كالمنطق والفلسفة. وفى الثامنة عشرة فرغ من دراسته وسافر إلى الهند.

والخلافات حول المرحلة اللاحقة من حياة السيد قليلة. وأشمل ما يتوفر لدينا عن سيرة السيد جمال والذى اقتبس عنه كافة الكتاب الآخرين[1] السيرة التى أوردها الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية – الذى كان أكثر المقربين إليه وأعلمهم بأحواله – فى مقدمة الترجمة العربية لرسالة الرد على الدهريين، ويبدو أنه سمع أغلب هذه الأحداث على لسان السيد نفسه أو عاصرها بنفسه. وبناء على هذه السيرة والمعلومات التى أتيحت لنا من المصادر الأخرى فقد أقام السيد لمدة عام وبضعة شهور فى الهند، وأكمل دراسته ثم سافر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وقام بالتجوال والإقامة فى بلاد العرب لمدة سنة تقريبا، وأخذ يتقصى عن الأحوال الاجتماعية والسياسية فى العالم العربى إلى أن أدى فريضة الحج عام ١٢٧٣هـ.ق وعاد عام ١٢٧٥ هـ.ق إلى أفغانستان التى كانت فى ذلك الوقت فريسة للفتن الداخلية، وانضم فى كابل إلى رجال الأمير دوست محمد خان.

وعلا شأن السيد جمال الدين أيضا أثناء تولى محمد أعظم خان الإمارة، وكان الأمير يستشيره فى كافة الأمور المهمة. ثم فر محمد أعظم خان إلى إيران

(١) تقى زاده، براون، محمود محمود وآخرون

نظرا لاستيلاء "شير على" على قندهار وانتصاره عليه، ثم توفى فى نيسابور بعد عدة شهور. ولم يتعرض شير على خان لأسرة السيد وعشيرته نظرا لاهتمام محمد أعظم خان به، وأعرب عن احترامه له ظاهريا، ولكن السيد كان يعلم أنه يكن له الضغينة، فطلب السماح له بالسفر للحج، فوافق الأمير على طلبه شريطة ألا يمر بإيران نظرا لأن الأمير محمد أعظم خان كان لا يزال يعيش فى نيسابور فى ذلك الوقت، وكان شير على خان يخشى لقاء السيد به. فسافر السيد فى الشهور الأخيرة من عام ١٢٨٥هـ.ق إلى الحج عن طريق الهند بعد هزيمة محمد أعظم خان بثلاثة شهور(١).

واستقبل فى الهند استقبالا حافلا ولكنه لم يحصل على تصريح بالإقامة لفترة طويلة، ولم يسمح للعلماء الهنود بملاقاته فى عدم حضور رجال الدولة. ولم يبق السيد فى الهند أكثر من شهر وذهب إلى إسطنبول عن طريق السويس وظل فى إسطنبول حتى شوال ١٢٨٦هـ.ق على أقل تقدير، وذهب إلى مصر خلال شهر من الشهرين الأخيرين من ذلك العام، وظل بها لفترة وجيزة، وفى تلك الفترة تردد على الجامع الأزهر، وأخذ يلتقى ويتباحث مع علماء مصر وطلاب العلم الذين كان أكثرهم من السوريين(٢)، إلى أن عاد مرة أخرى إلى إسطنبول، فاستقبل باحترام من قبل الصدر الأعظم العثمانى أمين عالى باشا، والسياسى العثمانى فؤاد باشا.

---

(١) وفقا لـ "إسناد جديد" غادر قندهار فى ٢٥ شعبان وظل فى بومباى حتى ١٤ محرم ١٢٨٦هـ.ق.

(٢) خلال رحلته الأولى هذه إلى مصر التقى الشيخ محمد عبده به وأفاد منه. ويقول بنفسه جاء السيد جمال الدين فى أواخر عام ١٢٨٦، ورافقته منذ مطلع محرم عام ١٢٨٧. وأول من أخبرنا بقدومه كان أحد المجاورين فى "رواق الشوام" حيث قال لقد جاء مصر عالم أفغانى عظيم، وأقام فى خان الخليلى، فذهبت لزيارته، وتلقيت عنه بعض العلوم الرياضية والفلسفية والكلامية، ودعوت الآخرين للاستفادة منه، ولكن مشايخ الأزهر قالوا بعض الأقاويل المناهضة له، وظنوا أن هذه العلوم تضل الإنسان. ولما عدت إلى مدينتى تحدثت عن هذا الموضوع مع الشيخ درويش فقال: إن الجاهل أكبر عدو للعالم، والسفيه أكبر عدو للحكيم، وكل من زاد علمه صار أقرب إلى الله. فلا يوجد علم مكروه عند الله، ولا يوجد جهل محبوب عنده، عدا ما يظن أنه علم وهو فى الحقيقة ليس علما مثل السحر والشعوذة ما شابه ذلك.

كان السيد فى تلك الفترة يرتدى وفقا لتقليد الأفغان قباءً على صدره. وعباءة على كتفه وعمامة عجراء على رأسه[1]، ولم يكن على علم بتقاليد الشعب التركـي وعاداته ولغته. وبالرغم من ذلك فتن الأمراء والوزراء العثمانيون بفضله وعلمـه، وأخذت شهرته تزداد يوما بعد يوم. وانتخب بعد ستة شهور من إقامته عضوا فـي مجلس المعارف الأعلى، وفتح الطريق فى هذا المجلس لتقدم المعارف ونـشرها، ولكن الآخرين عزفوا عن هذا الطريق، ونظرا لبعض آراء السيد اعتملت الكراهية فى قلب شيخ الإسلام حسن فهمى أفندى الذى كان له نفوذ كبير فى الدولة العثمانية وكانت اقتراحات السيد تهدد مصالحه المالية. وفى رمضان من عام ١٢٨٧ طلـب تحسين أفندى مدير دار الفنون من السيد أن يلقى كلمة عن الصناعات والحرف فى دار الفنون، وبالرغم من أنه اعتذر فى البداية لعدم تمكنه من اللغة التركية إلا أنـه أعد خطبة مطولة نتيجة إصرار تحسين أفندى. وشبه فى هـذا الخطـاب الحيـاة الإنسانية بجسم الإنسان وجعل وظيفة كل فئة من فئات المجتمع المختلفة كوظيفـة عضو من أعضاء جسم الإنسان وقال إن جسم الإنسان يحيا بالروح، وروح الكيان الاجتماعى إما النبوة أو الحكمة، والفرق بين النبوة والحكمة أن الأولى هبة سماوية يهبها الله لكل عبد اختصه من عباده، أما الحكمة فيمكن إدراكها بـالتفكير وتأمـل المعلومات لذا فالأنبياء معصومون من الخطأ ولكن العلماء ليس من المحتمل فقـط أن يقعوا فى الخطأ ولكنهم يقعون فيه بالفعل.

الخلاصة هذا هو ما قاله السيد عن النبوة، ولكن فهمى أفنـدى فـسَّر ذلـك الكلام الحق الذى يتفق عليه كافة علماء الشريعة الإسلامية على أنه باطل بغـرض إيذاء السيد، وأشاع بتلك الذريعة أن الخطيب ربما كان يقصد أن النبوة إحدى المهن

---

(١) يقول ويلفريد بلنت السياسى والكاتب البريطانى الشهير الذى استقبل السيد فى منزله فى غرة ذى القعدة ١٣٠٠ هـ.ق "عندما كان فى لندن منذ عدة شهور كان لا يزال يرتدى زى الشيوخ ولكنه الآن يرتدى زى أهالى إسطنبول ويبدو عليه طيبا".

والحرف أى أنها من صنيعة البشر، وحث الوعاظ على توصيل هذا المفهوم للناس والخوض فيه. وهب السيد جمال الدين مدافعا وأدان شيخ الإسلام.

وانقسمت الصحف والمطبوعات فريقين، فريقًا يناصر السيد وفريقًا يؤيد شيخ الإسلام. ولم يستمع السيد لنصح أصحابه وأبدى تشدده وتأججت الفتنة إلى أن قرر السلطان عبد العزيز أن يغادر السيد إسطنبول لعدة شهور لتهدأ الأمور ثم يعود إليها بعد ذلك وقتما يريد. فغادر السيد إسطنبول مهزوما مظلوما ووصل إلى مصر فى المتمم لشهر ذى الحجة ١٢٨٧ هـ.ق الذى واكب عيد النيروز عام ١٢٥٠ش.

وكان أهالى مصر بعيدين كل البعد عن العلم والمعرفة يوم وطأ السيد جمال الدين أرض مصر، حقا إن عددا كبيرا قد سافر إلى أوروبا فى عهد محمد على باشا الكبير وإبراهيم باشا، وعادوا إلى وطنهم بعد أن تلقوا العلم بها، ولكن السياسة الخارجية لم تكن تسمح أن يجنى أحد ثمار هذه البعثات أو تستفيد الدولة من هذه العلوم والمعارف.

قام إسماعيل باشا الذى صار خديو مصر عام ١٢٨٠ هـ.ق بإجراء إصلاحات، وفى السنوات الأولى من عهده شُقت الترع ومُدت السكة الحديد وخطوط التلغراف، وشُيد ميناء الدلتا الشهير فى وادى النيل وحُفرت قناة السويس واتخذت خطوات مفيدة فى مجال العلوم والمعارف. وفى عام ١٢٨٣هـ.ق أسس فى مصر المجلس النيابى، ولكن لم يكن للشعب ولا لأعضاء المجلس نفسه الحق فى التدخل أو القدرة على إبداء الرأى فى شئون المملكة. ومن جانب آخر اضطر الخديو إلى مد يده للأجانب نتيجة إسرافه فى العطاء ولسوء تصرفه فى الشئون الاقتصادية بالدولة، وباع أسهم قناة السويس للإنجليز فى مقابل مبلغ زهيد، واستقدم إلى مصر مستشارين من بريطانيا لإصلاح الشئون الاقتصادية المتردية، وأرسل الفرنسيون أيضا وفدا إلى مصر نظرا لأنهم كانوا يشعرون بالخطر على مصالحهم

منذ سنوات طويلة. ولكنهم تحالفوا مع البريطانيين لعجزهم عن تحقيق مصالحهم في مقابل السياسيين البريطانيين، وهُيئ المناخ لتحقيق أهداف الاستعمار الأوروبي.

وخلال تلك الأوضاع وفي ذلك الوقت الذي أصيبت فيه شئون الدولة بالشلل كلية وضاق الناس ذرعا بالفقر والفاقة، قدم إلى تلك الديار رجل شجاع وخطيب يدعى السيد جمال الدين الذي كان مطلعا على الشئون الدينية والاجتماعية.

ولم يكن يعتزم الإقامة في مصر ولكن الوزير رياض باشا المعجب بعلمه شجعه على الإقامة في مصر، وحددت له الحكومة المصرية راتبا شهريا قيمته ألف قرش مصري (عشرة جنيهات) ومنذ بداية وصول السيد إلى الأراضي المصرية بدأ نشاطه السياسي والعلمي الواسع، ونشر أفكاره التي كانت تخالف الآراء الشائعة بين الناس، والتف حوله طلاب العلم أملا في تلقي العلم، ففتح بيته (في حارة اليهود) للدروس العلمية[1] وعكف على تأهيلهم فكريا وسياسيا. كان السيد يتحدث صراحة بلامواربة، ولم يسأم في دروسه واجتماعاته بالناس الحديث فيما يلفت الفكر إلى النظر في الشئون العامة ومصالح الدولة ويزيل عن أعينهم أستار الغفلة. وأخذت أحاديثه تنتشر تدريجيا وعلى مهل في أنحاء مصر إلى أن نشبت الحرب الروسية التركية عام ١٢٩٤هـ.ق[2].

---

(١) ورد في بعض المصادر ومن بينها كتابات تقي زاده (في صحيفة كاوه، ومردان خودساخته) أن السيد كان يدرس بعد ذلك العلوم الإسلامية المختلفة والفقه الحنفي وسائر المذاهب الأربعة في الأزهر، وهذا خطأ. فيقول الشيخ محمد عبده أقرب المقربين له في سيرة السيد (مقدمة الترجمة العربية لرسالة الرد على الدهريين) إنه لم يدرس في الجامع الأزهر ليوم واحد، بل كان يذهب أحيانا وفي أغلب أيام الجمعة فقط لزيارته. ويقول سليم العنحوري أيضا في شرح ديوان "سحر هاروت" ضمن الحديث عن سيرة السيد إنه اعتاد قضاء النهار في البيت والذهاب في الليل متكئا على عصاه إلى مكان في الأزبكية يسمى "مقهى البوسطة"، وكان يلتف حوله في نصف دائرة جماعة منهم عالم اللغة والشاعر وعالم المنطق والطبيب والمؤرخ وعلماء الكيمياء والجغرافيا، وكان يجلس في وسطهم ويطرحون مسائل دقيقة فيشرحها لهم السيد باللغة العربية واحدة تلو الأخرى، وكان يغادر المقهى قرب الصبح ويعود إلى بيته.

(٢)٢٤ أبريل ١٨٧٧ م.

وجد الناس فى أنفسهم لذة فى الاطلاع على ما يكون من شأن الدولة العثمانية صاحبة السيادة عليهم فى الحرب مع روسيا. وأتاح تردد الأجانب على مصر واختلاط الأهالى بهم ووصول الصحف والمجلات الأوروبية إلى الدولة المجال للوقوف على العلوم الجديدة. وسرى هذا الشعور إلى بعض الجرائد العربية التى ظلت إلى هذا العهد مقصورة على ما لا يهم، كما ظهرت صحف جديدة ذات اهتمامات خاصة. (١)

وحدث بين العامة وفى الجرائد نوع من الجدال لم يكن معروفا من قبل، وصارت الصحف المصرية تنشر الأحداث وتعلق عليها بحرية، ولم يكن ما ينشر فى الجرائد محصورا فى حوادث الحرب، بل اجترأ الكثير منها على نشر ما عليه سائر الأمم فى سيرتها السياسية والاجتماعية، وزادوا على ذلك نشر ما كان قد بدأ فى الحكومة المصرية من سوء الأحوال المالية إلى حد لا يمكن منعه. الخلاصة قضى سلطان الوقت على سلطان "الإرادة القاهرة"....! وفى نفس الوقت أخذ السيد جمال الدين فى حمل من يحضر مجلسه من أهل العلم وأرباب الأقلام على التحرير وإنشاء الفصول الأدبية والعلمية فى موضوعات مختلفة. كما أنه ارتقى بالتأليف والترجمة خلال فترة إقامته بمصر التى دامت لعشر سنوات وأسس أسلوبا جديدا فى الكتابة باللغة العربية، وقام على رعاية طلاب نابهين مثل الشيخ ذائع الصيت محمد عبده مفتى الديار المصرية، وخلق جيلاً جديدا من الكتاب والأدباء.

وعلى هذا النحو عرف السيد الشعب بالطريق إلى حياة جديدة ونشر بذور الثورة الفكرية والاجتماعية فى الأرض المصرية، وروى هذه البذور بإرشاده، ودعم أصحاب الصحف وتلاميذه، وخلق من هذا الحزب الأدبى حزبا سياسيا عظيما.

---

(١) من الصحف المهمة في ذلك الوقت نذكر جريدة مصر، جريدة التجارة، جريدة مرآة الشرق، الأهرام و صوت مصر.

رافق السيد المطالبين بالحرية يوم مطالبتهم بعزل إسماعيل باشا، وتوجه لفيف من المصريين يرافقهم السيد جمال الدين إلى السيد تريكو مندوب الحكومة الفرنسية ومراسل صحيفة التايمز وطالبوا بتأسيس حزب وطنى كبير فى مصر وطالبوا بإجراء إصلاحات وأعربوا أن هذه الإصلاحات لن تتحقق إلا على يد ولى العهد توفيق باشا. ونقلت الصحف هذا الموضوع وشاع فى القاهرة وسائر المدن، وكانت هذه هى المرة الأولى التى يدور فيها الحديث عن "الحزب الوطنى الحر"، إلى أن يرسل السلطان العثمانى قرارا بعزل إسماعيل باشا تلغرافيا، خلال الأيام الأولى من رجب ١٢٩٦ هـ.ق، وأدرك الخديو أن المقاومة لن تفيد فاستقال وخلف توفيق باشا والده.

كان الخديو الجديد شابا عفيفا وعطوفا عزوفا عن الإسراف والتبذير، وعقد أهالى مصر آمالهم على إصلاحاته حيث إنهم كانوا قد رصدوا فى ظل إرشاد السيد جمال الدين وتعاليم الحزب الوطنى مؤامرات وفتن الدول الأجنبية. وفى اليوم الثانى من حكمه أصدر أمرا لشريف باشا بتشكيل الوزارة وأبلغه برغبته فى تنفيذ المطالب الشعبية وإصلاح الشئون المالية والاقتصادية وتنظيم الشئون الإدارية والقضائية. وفى يوم الخامس من حكمه (١٤ رجب) أمر بتأسيس المجلس النيابى، وسن الدستور. ولكن مندوبى فرنسا وإنجلترا أسسا فى الإسكندرية حزبا يسمى "مصر الفتاة" حيث كانا يدركان أن هذه الإصلاحات ستعود عليهما بالضرر ولم يكن فى استطاعتهما معارضة تلك الإصلاحات. وكان أكثر أعضاء هذا الحزب من الشباب اليهود بل لم يكن بينهم مصرى خالص بالفعل. وتحدثوا عن الإصلاحات فى اللائحة التى أرسلوها للخديو والمقالات التى كتبوها فى صحيفتهم وتظاهروا بالدفاع عن الحرية والقانون. ولكن بصرف النظر عما إذا كان هذا الأمر حقيقيا أم غير حقيقى فإن المسلم به أن المندوبين السياسيين الأجانب حين أدركوا هدف الخديو ورغبته فى الإصلاح وتأثره بالمشاعر الوطنية افتعلوا الكثير من المشاكل والعراقيل وأظهروا على خلاف الواقع أن الإصرار على إجراء تعديلات جديدة

سيضر بالدولة فى تلك الظروف التى تعانى فيها من تدهور الشئون الاقتصادية. وتأثر الخديو الشاب غير المحنك بتلك الوساوس والادعاءات لدرجة أنه عدل عن التفكير فى الإصلاحات والوعود التى قطعها على نفسه أمام الناس، وفى مساء المتمم لشهر شعبان استدعى الوزراء وأجبر شريف باشا على الاستقالة لإصراره التصديق على لائحة الإصلاحات، وشكل حكومة جديدة تحت إشرافه.

كان قد اتفق على إخفاء سبب استقالة الوزارة، ولكن تم الكشف عن الحقيقة ووقع جدل واسع مما جعل مندوبى الدول الأجنبية ذوى النفوذ يعتقدون أن السيد جمال الدين هو محرك الشعب للمناداة بالحرية وسن القوانين الجديدة، وأوغل الجنرال فيويان القنصل البريطانى صدر الخديو تجاهه، فألقى القبض على السيد وأحد طلابه وخادمه أبى تراب بينما كان عائدا إلى بيته آخر الليل فى السادس من رمضان ١٢٩٦هـ.ق وحمل إلى قسم الشرطة ووضع خالى الوفاض فى عربة مغلقة دون السماح له بحمل ملابسه وحُمل إلى السكة الحديد[1] وأُرسل إلى السويس تحت رقابة مشددة.

ذهب السيد جمال الدين إلى الهند وأقام فى حيدر آباد بالدكن وهناك ألف "رسالهء نيجيريه: رسالة الرد على الدهريين" بالفارسية فى رد معتقدات الطبيعيين[2]. استدعت حكومة الهند السيد من الدكن إلى كلكتا قبيل حملة إنجلترا على مصر، وأبقت عليه طوال فترة الثورة، لحين تسوية موضوع مصر، ثم أطلق سراحه ليذهب أينما شاء. فتوجه السيد إلى أوروبا عن طريق البحر الأحمر ولما

---

(١) كتب أديب إسحق فى "كتاب الدرر" أنه بينما كان سيركب السفينة لم يكن فى جيبه قرش، فلما أدرك القنصل الإيرانى وعدد من التجار الإيرانيين هذا الأمر عرضوا على السيد مبلغا كبيرا من المال باعتباره قرضا أو هدية، ولكنه لم يأخذ منه شيئا وقال احتفظوا بأموالكم، لأنكم ستحتاجونها أكثر منى. فالأسد سيبحث عن قوته أينما ذهب.

(٢) طبع هذا الكتاب فى محرم عام ١٢٩٨ هـ.ق فى بومباى، ثم نشرت ترجمته الهندية فى كلكتا وترجمته العربية مصر بقلم الشيخ محمد عبده تحت عنوان (الرد على الدهريين) مع مقدمة عن سيرة السيد جمال الدين وقد طبع النص الفارسى فى طهران عام ١٣٠٣ ش وطبع مرة أخرى فى تبريز عام ١٣٢٧.

وصل إلى بورسعيد كتب خطابات إلى رياض باشا وبعض مشاهير مصر، وحدثهم تفصيلا عن حقيقة الحزب الوطنى وأسباب ما أصابه من فساد وتحريض عثمان باشا للخديو بقوله إن هذا المحفل الذى يرأسه يهدف إلى هدم الدين والدنيا معا، وأخبرهم كذلك بقرار الخديو المتسرع بإبعاده عن مصر، وسعى لإبراء ساحته[1] وبعث من طرفه أبا تراب عارف إلى رياض باشا ليحمل أمواله وكتبه التى كانت فى مصر وسائر مستحقاته الشهرية، كما أرسل رسالة فى ٢٣ سبتمبر ١٨٨٢م (العشر الأوائل من ذى القعدة ١٢٩٩هـ.ق) إلى الشيخ محمد عبده وأخبره أنه سيسافر إلى لندن وطلب منه إرسال الرد على الخطاب إلى إدارة "جريدة الشرق والغرب" أو إلى السيد بلنت فى لندن.

وفى تلك الفترة كان عبده مبعدا عن وطنه بسبب المشاركة فى ثورة الشعب المصرى وكان يعيش فى سوريا. ولا نعلم شيئا عن المراسلات التى تبادلها الأستاذ وتلميذه بعد وصول السيد جمال الدين إلى لندن إلا أن السيد ذهب إلى باريس بعد إقامته لفترة وجيزة فى لندن، كما توجه الشيخ محمد عبده من منفاه سوريا إلى باريس، وأسس كلاهما جمعية تسمى "العروة الوثقى" وصحيفة بنفس الاسم.

وفى نفس الفترة كان الإنجليز منشغلين بثورة محمد أحمد المهدى فى السودان. وكان السيد وخلفه عبده على علاقة بالمهدى، وكانا السبب وراء علو شأنه عند الإنجليز، وعملا على توصيل أخبار مصر والسودان إلى بريطانيا إلى الحد الذى أقنعا فيه الحكومة البريطانية بالجلاء عن السودان وتوقيع اتفاقية مع محمد أحمد. [2]

كان مدير العروة الوثقى للشئون السياسية السيد جمال الدين ومحررها الشيخ محمد عبده أى أن السيد كان يُملى كافة الموضوعات ويحررها عبده بقلمه.

---

(١) مجموعة اسناد ومدارك چاپ نشده دربارهٔ سيد جمال الدين: طهران، ١٣٤٢ ش، لوحة رقم ٣٢- ٣٨.
(٢) لم توقع هذه الاتفاقية بسبب موت المهدى.

ولكن كما ذكرنا كان السيد قد عُرف لدى السياسيين البريطانين فى أواخر عهد إسماعيل باشا بسبب نشاطه، وأجبر قنصلهم الخديو الجديد على طرد السيد من مصر رغم إيمانه التام به. وكما شاهدنا أن الحكومة الهندية كانت قد تحفظت عليه أثناء ثورة عرابى باشا فى كلكتا لم تسمح بوصول أخبار الحرب إليه. ونظرا لأن الإنجليز كانوا يحسبون حسابا لموضوعات العروة الوثقى فقد حاولوا فى البداية الحيلولة دون إصدارها، ولكن لما صدرت أوصدوا أمامها أبواب الهند ومصر، ومنعوا الناس من قراءتها، واختلقوا الأسباب والعراقيل كى لا يصدر منها أكثر من ثمانية عشر عددا.(١)

تعلم السيد أثناء إقامته فى باريس شيئا من الفرنسية، ونشر مقالات عن سياسة الشرق، واقتبست الصحف الإنجليزية موضوعاتها ونقلتها. وحظت المقالة التى كتبها فى "صحيفة دودبا"(٢) فى الرد على خطاب العالم الفرنسى رينان بأهمية وشهرة واسعة. (٣)

بعد إغلاق العروة الوثقى ظل السيد فى باريس لعدة شهور. وفى ٢٥ شعبان ١٣٠٢ هـ.ق استقال جلادستون من الوزارة البريطانية، وعين راندلف تشرشل وزيرا للهند. ودعى ويلفريد بلنت السيد فى تلك الفترة إلى لندن ليتباحث مع تشرشل عن الوحدة بين العالم الإسلامى وإنجلترا، فوصل إلى لندن فى ١٠ شوال

---

(١) منذ ١٥ جمادى الأولى حتى ٢٦ ذى الحجة ١٣٥١ هـ.ق.

(٢) Journal de Débats.

(٣) ألقى أرنست رينان محاضرة فى قاعة جامعة السربون بباريس فى ٢٩ مارس ١٨٨٣، وقال خلالها إن الدين الإسلامى يتعارض مع العلم. ونشر نص محاضرته فى صحيفة "دودبا" بتاريخ ٣٠ مارس، وممن ردوا عليها العالم الثورى التركى كمال نامق، وإمام مسجد لينينجراد بايزيداوف، والأستاذ ماسينيون الفرنسى. كما كتب السيد جمال الدين أيضا رسالة باللغة العربية لمدير الصحيفة ولكن هذه الرسالة لم تطبع حتى الثامن عشر من شهر مايو من ذلك العام، ثم نشرت فى ذلك التاريخ محرفة فى الغالب حيث لم تكن ترجمة رسالته صحيحة. على كل حال رد رينان فى العدد الصادر فى التاسع عشر من مايو لتلك الصحيفة على الرسالة وكتب أنه يتفق مع السيد فى بعض النقاط التى وردت فى رسالته.

ونزل بمنزل بلنت، وظل ضيفا عليه أكثر من ثلاثة شهور، وتباحث فى منزله مع تشرشل والسير درامونديولف[1] الذى صار بعد عدة سنوات وزير إنجلترا المفوض فى إيران واللورد سالسبورى[2] رئيس وزراء إنجلترا.[3] وعاد إلى باريس فى بداية عام ١٣٠٣ هـ.ق وعاش بها حتى مطلع جمادى الأولى.

وتعود شهرة السيد جمال الدين الكبيرة فى المجال السياسى إلى تلك الفترة التى أمضاها فى باريس، لأنها كانت بالنسبة له فرصة مناسبة لبذل مساعيه فى سبيل الوحدة الإسلامية، ولفت إليه أنظار محافل الدول الأوروبية المهمة عن طريق تأسيس محفل من رفاقه وأتباعه ونشر المقالات فى العروة الوثقى وصحف باريس وعقد مناظرات مع العلماء والسياسيين.

ومن باريس انطلق إلى الشرق وسافر إلى نجد وفى السادس عشر من شعبان ١٣٠٣ هـ.ق وصل إلى بوشهر ونزل فى منزل العقيد الحاج أحمد خان المسقطى، وبقى فى بوشهر قرابة ثلاثة شهور. والتقى فى تلك الفترة بميرزا نصر الله الأصفهانى (ملك المتكلمين) وميرزا آقا فرصة الدولة الشيرازى حيث كانا فى بوشهر آنذاك، وفى شهر ذى القعدة وصلت برقية إلى طهران تفيد وصوله، وكان محمد حسن خان اعتماد السلطنة يتولى إدارة تحرير الصحف والتقويم، فرأى أنه سيستفيد من السيد جمال الدين فى إدارته، ودعاه إلى طهران باسم الشاه، فتوجه من

---

(١) السير هنرى درامادولف Sir Henry Drumond Wolff هو ابن الدكتور ولف الذى كان قد سافر إلى إيران فى بداية العصرر القاجارى للسياحة وبعض المهام السياسية.

(٢) اللورد روبارت سيسيل سالسبورى (١٨٣٠- ١٩٠٣م) Lord Robert Cicil Salsbury

(٣) عُين درامودولف فى منصب المندوب البريطانى فى مصر، وكان مكلفا بالذهاب إلى إسطنبول قبيل توجهه إلى مصر والتباحث مع السلطان العثمانى بخصوص مصر، ووعد السلطان بجلاء القوات البريطانية عن مصر خلال مباحثاته، وتهيئة المجال لعقد اتحاد بين الدول الإسلامية تركيا وإيران وأفغانستان للتصدى للنفوذ الروسى. وتمسك ولف باصطحاب السيد جمال الدين معه إلى إسطنبول بسبب تأثيره على رجال البلاط العثمانى الذين كانوا يؤيدون الوحدة الإسلامية ورأى أن وجوده سيعود بالفائدة، ولكنه عدل عن اصطحابه فى اللحظة الأخيرة وسافر بمفرده.

طهران إلى شيراز، وفى صفر ١٣٠٤ هـ.ق وصل إلى أصفهان وأحسن الأمير ظل السلطان حاكم أصفهان وفادته. وفى ٢٢ ربيع الأول من ذلك العـام وصـل إلـى طهران وأقام فى منزل الحاج محمد حسن أمين الضرب، والتقى عدة مرات بناصر الدين شاه، ولم يسر الشاه بلقائه نظرا لأنه تحدث دون مواربة عن تدهور الأوضاع بإيران وضرورة إجراء تنظيمات وإصلاحات فلم يطلبه أو يقابله ثانية. ولكن السيد كان أكثر بصيرة بالفساد و أكثر إدراكا لأوضاع الرعية فأخذ يتحدث عـن أهميـة القانون ومعرفة الحقوق وحرية الفكر والتعبير وصيانة الـنفس والمـال. واعتبـر معارضوه أن الأمر يفوق الاحتمال وأخبروا الشاه فى السر والعلانية بمـا يقولـه السيد للناس. وجعله الأسى أكثر إصرارا. فتفتحت عيون وآذان المـوتى الغـافلين والمحبطين البائسين، وتصاعد الدخان من الرماد. وسرد ولى العهـد القـصة فـى مجلس الشاه مع إضافة بعض التفاصيل بالرغم من أن السيد كان ضيفا على الحاج أمين الضرب وفى حماية أمين السلطان، واضطر أمين السلطان إلى تكليف أمـين الضرب بطرده من إيران وإرساله إلى روسيا عن طريق شمال إيـران، وأُخـرج السيد من ناحية مازندران حزينا بائسا.

غادر السيد جمال الدين طهران إلى محمود آباد فى التاسـع مـن شـعبان، وتوجه منها إلى روسيا. ونزل ضيفا على محمـد علـى خـان الكاشـى فـى ولاديففقاز. وظل بها حتى وصل أمين الضرب من طهران، وذهب برفقتـه إلـى موسكو فى شهر رمضان وأقاما لمدة أسـبوعين فـى منـزل ميـرزا نعمـة الله الأصفهانى (الذى صار قنصل إيران فى تلك المدينة فيما بعد). ثـم ذهـب أمـين الضرب إلى باريس وظل السيد فى موسكو لفترة من الوقت والتقى بمدير صـحيفة (مسكوى) كاتكوف، ونشر سيرته فى صحف موسكو وبطرسبورج، ويبدو أنه اتخذ بعض الخطوات فى سبيل عقد تحالف بين روسيا والدول الإسلامية ضـد إنجلتـرا وحث الروس للهجوم على الهند وفى ذى القعدة ١٣٠٤ هـ.ق توفى كاتكوف ومضى السيد فى ٢٥ من نفس الشهر إلى بطرسبورج وظل بها حوالى سـنتين، وتعـرف

على بعض رجال السياسة الروس (من بينهم بابافانوف وزير الشئون الدينية ومخزن أسرار القيصر) وحظى باحترام القيصر وأقنع رجال القيصر بحسن معاملة المسلمين وطبع المصحف الشريف وبعض الكتب الدينية.

وعندما ذهب ناصر الدين شاه إلى بطرسبورج خلال رحلته الثانية لأوروبا كان السيد فى تلك المدينة، وأبدى رغبته فى لقاء السيد، ولكنه لم يقابله. وأراد السيد بعد ذلك "القيام بجولات من الغرب للشرق ومن الشرق للغرب لفترة من الوقت، ولكن بعض رجال الحكومة الروسية طلبوا منه أن ينتظر لفترة إلى أن تتضح نتائج رحلة الشاه إلى لندن".[1] فظل لفترة أخرى فى تلك المدينة، ثم سافر إلى ألمانيا، والتقى يوم ٢١ أو ٢٢ ذى الحجة ١٣٠٦ هـ.ق فى ميونخ عاصمة بافاريا مع الشاه وأمين السلطان، ودعاه الشاه إلى إيران اعتذارا عما مضى. ورافق السيد موكبه حتى فيينا عاصمة النمسا ثم عاد ثانية إلى بطرسبورج لإنجاز بعض الأمور مع الروس لصالح أمين السلطان. والتقى بالمسئولين الروس وتباحث معهم، وبعد عامين من الإقامة فى بطرسبورج توجه برغبته إلى إيران ووصل يوم السادس من ربيع الثانى عام ١٣٠٧ هـ.ق إلى دار السكة أى بعد فترة وجيزة من (عودة الشاه من أوروبا)، وفى اليوم السابع ذهب إلى طهران ونزل ثانية فى منزل الحاج محمد حسن أمين الضرب، واستقبل فى مجلس الشاه بعد شهر (يوم الثلاثاء ١٥ جمادى الأولى).

وفى طهران أخذ كل مظلوم محبط يلجأ إلى السيد، وأخذ السيد يحدث كل ناضج وساذج عن فساد الأوضاع وتدهورها وسوء تدبير الوزير وغفلة الشاه دون مواربة، حتى ذهب سيرا على الأقدام إلى مسجد الشاه عبد العظيم وهناك راجت تجارته والتف الناس حوله، واعتكف بمسجد الشاه عبد العظيم لمدة سبعة شهور واعتصم به، "وأخذ ينثر فى هذه الأرض القاحلة بذور الثورة" وفى شهر جمادى

---

(١) مجموعة إسناد ومدارك چاپ نشده، لوحة رقم ١٨٦.

الأولى من عام ١٣٠٨ أُخرج فجأة من المسجد وتعالت الصيحات بأن "هذا الرجــل ليس من السادة بل إنه متسيب، كما أن إسلامه غير مؤكد أو حقيقى... وألحقوا بــه الأذى فى السوق وقيدوه عاريا مكشوف العورة إلى جواد وكُلف عدد من الفرســان بحمله على هذا النحو إلى خانقين والحدود التركية فى الشتاء القارص".(١)

وفى ختام رسالة السيد جمال الدين التى كتبها إلى الحاج محمد حسن أمــين الضرب من كرمنشاه فى ٢٣ جمادى الآخرة ١٣٠٨ هـ.ق ذكر عقب سرد القــصة المحزنة لإبعاده عن طهران وسوء تصرف المسئولين معه عبــارات تعبــر عــن الرغبة فى الانتقام والتصميم أكثر من ذى قبل على مواصــلة المــسيرة لتحقيــق أهدافه: "... كتبت كل هذا كى تعلم أن كل هذه المصائب حلــت بجــسدى، ولكــن كانت روحى تشعر بالسرور فى كل هذه الأحوال ولا تزال وستظل، وسوف يدرك بعض الإيرانيين بلا شك مدى صمودى من أجــل إصــلاح أوضــاعهم الماديــة والمعنوية. فما كنت أقوله لم يكن لتمضية الوقت والتــسلية، أرجــو الله تعــالى أن يجعل هذه الحادثة المهيبة سببا من أسباب نصرى وأن يبلغنى هدفى الــسامى وأن يُسعد القلوب العامرة بالإيمان. آمين... أتمنى ألا يصيب عزيمتكم الــوهن أو قــوة إيمانكم النقصان، ولكن عليكم بعد هذه الحادثة المهيبة أن تنتظــروا علــى الــدوام مشاهدة عجائب القدرة الإلهية فى أعداء الدين والدولة وأن تتمسكوا بإيمانكم أكثــر وأن ترقبوا العدل الإلهى بعين اليقين".(٢)

على كل حال حمل السيد إلى بغداد ومنها إلى البصرة، والتقى فيها بالــسيد على أكبر فال اسيرى الشيرازى الذى كان قد انتقد الحكومة على المنبر وأُبعد مــن شيراز، وكتب رسالته العربية الشهيرة للحاج ميرزا حسن المجتهد الشيرازى المقيم فى سامراء، وحثه على التدخل فى الشئون السياسية والثورة ضد النفــوذ الأجنبــى

---

(١) خاطرات سياسى ميرزا على خان أمين الدولة، ص ١٥٠.
(٢) مجموعــة اسناد ومدارك چــاپ نشده، لوحة رقم ص ١٨٩، ١٩١.

واحتكار التبغ. ولكن نظرا لوصول تقرير إلى الحكومة الإيرانية يفيد بأن السيد يخطب في البصرة ويوزع رسائل معادية للشاه؛ كلفت طهران سفير إيران في البلاط العثمانى أسد الله خان ديبا ناظم الدولة بأن يطلب من حكومة السلطان إبعاده عن البصرة.

ولكن السيد توجه إلى أوروبا قبيل وصول حكم إبعاده من البلاط العثمانى، ذهب بداية إلى برلين عاصمة ألمانيا، وألقى كلمات فى مجلس بيسمارك، ونظرا لعدم الاكتراث بكلماته(١) ذهب إلى لندن للمرة الثالثة وهناك التقى فكريا مع ملكم وطبع فى مطبعة "القانون" الرسالة التى كان قد أرسلها من البصرة للحاج ميرزا حسن المجتهد الشيرازى ونشرها.

وأخذ يتحدث بكل صراحة فى محافل لندن عن أوضاع إيران المتدهورة وسوء إدارة ناصر الدين شاه والخراب الذى حل بإيران فى عهده، وأخذ يحث الإنجليز على خلعه، وظل يكتب فى هذا الموضوع مقالات فى الصحف الإنجليزية، إلى أن افتتح بنفسه فى شهر رجب ١٣٠٩ هـ.ق مجلة شهرية باللغتين العربية والإنجليزية باسم "ضياء الخافقين" وخصص مقالة فى كل عدد من النسختين عن إيران بتوقيع "السيد الحسينى"، وهاجم الشاه والحكومة. ومن ذلك كتب فى العدد الثانى بتاريخ الفاتح من مارس ١٨٩٢م (شعبان ١٣٠٩ هـ.ق) مقالة خاطب فيها علماء الشيعة وطالب بخلع ناصر الدين شاه من السلطة. (٢)

وقد وضعت الحكومة البريطانية عراقيل كثيرة أمام طبع هذه الصحيفة إلى أن توقفت. (٣)

---

(١) الرسالة المؤرخة بالثالث من جمادى الآخرة ١٣٠٩ هـ.ق الموجهة من آقا محمد الأصفهانى من باريس إلى الحاج محمد حسن أمين الضرب (مجموعة اسناد ومدارك چاپ نشده، لوحة رقم ١١٤).

(٢) لقد نقل محمد رشيد رضا متن المقالتين فى المجلد الأول من تاريخ الشيخ محمد عبده.

(٣) يقول عبده إن سفير إيران فى لندن طلب منه الامتناع عن الكتابة والحديث ضد الشاه، وعرض عليه مبلغا كبيرا من المال؛ ولكنه رفض وقال: "لا أرضى إلا بأن يقتل الشاه ويبقر=

وفى تلك الفترة وجه السلطان عبد الحميد دعوة للسيد على يد سفيره رستم باشا للذهاب إلى إسطنبول. ورفض فى البداية، ولكن أرسل إليه بعض الأشخاص رسائل ومنهم الشيخ أبى الهدى أفندى قاضى قضاة إسطنبول وأقنعوه بالذهاب إلى إسطنبول، وفى أواخر عام ١٣٠٩ هـ.ق ذهب إلى تلك المدينة.

وبعد قدوم السيد جمال الدين إلى الأراضى التركية، خصص له السلطان بناية فى حى "نشان طاش" بالقرب من قصر يلديز أملا فى الاستفادة من نشاطه ونفوذه فى الدول الإسلامية، وحدد له راتبا خمسة وسبعين ليرة وشمله برعايته.

وبعد فترة أرسل سفير إيران ناظم الدولة رسالة إلى السلطان العثمانى مفادها إنك جلبته مما يتعارض مع مصالح إيران كما يعتقد الشاه ورد السلطان: "إن رأيى فى السيد جمال الدين هو نفس رأى الشاه، ولكننى دعوته وأحضرته إلى هنا من أجل الحيلولة دون تحريض العرب، ونشر الفساد بينهم الأمر الذى كان الإنجليز يدفعونه إليه. فلتكونوا على يقين من أننى لن أدعه يتحدث أو يكتب شيئا ضد مصالح إيران".(١)

وعلى هذا أبقى السلطان العثمانى السيد فى إسطنبول، فجمع حوله عددا من الإيرانيين المشهورين مثل ميرزا آقا خان الكرمانى، والشيخ أحمد روحى، والحاج ميرزا حسن خان خبير الكرمانى، وكتب هؤلاء رسائل معادية للشاه والأتابك لعلماء الشيعة بتوجيه من السيد، ولصقوا منشورات على أبواب بغداد وجدرانها، وأرسل بعض علماء العراق هذه الرسائل والمنشورات للشاه، وطلب الشاه فى رجب عام ١٣١٣ هـ.ق تسليم السيد وأصحابه. فأبعد السلطان العثمانى ميرزا آقا خان والاثنين الآخرين -كما سيرد ذكره فى سيرتهم- إلى طرابوزن ثم سلموا إلى ممثلى إيران عند الحدود، ولكنه امتنع عن تسليم السيد نفسه. ومع كل هذا كان

=بطنه ويوضع فى القبر". وقيل إنه أُشيع بعد اغتيال ناصر الدين شاه بأن اغتياله ربما كان بأمر من السيد.

(١) خان ملك ساسانى: سياستگران دورة قاجار، رسالة سفير إيران المؤرخة بالثامن من شهر صفر ١٣١٠.

السلطان على الدوام يشعر بالقلق تجاهه، كما أن رجال الدين وسائر رجال الحاشية الملتفين حوله أخذوا يثيرون ريبة السلطان وخاصة الشيخ أبي الهدى أى نفس الشخص الذى كان يتظاهر فى البداية بصداقته للسيد والذى كتب له خطابات يحثه على الذهاب لإسطنبول، مما زاد من شكوك السلطان فعين جواسيس عليه وراقب أعماله وتصرفاته.

وبعد مقتل ناصر الدين شاه على يد ميرزا الكرمانى واعترافه بأن السيد عاتبه لاستسلامه للظلم؛ أصرت الحكومة الإيرانية بشدة على تسليم الحكومة التركية له، ولكنها امتنعت عن تسليمه رغم كل المحاولات التى بذلت سواء فى طهران وسواء بواسطة علاء الملك سفير إيران المقيم فى إسطنبول، حيث كانت الحكومة العثمانية تقدم حججا مثل عدم ثبوت أن السيد إيرانى أو عدم ثبوت تورطه فى اغتيال الشاه أو ضرورة التأنى إلى حين الكشف عن أتباع السيد وأصدقائه فى الأراضى العثمانية وأخيرا وجود بعض المسائل التى يجب التحقق منها ! إلى أن أُشيع فى شهر رجب ١٣١٤ هـ.ق أن السيد قد أصيب بسرطان فى اللسان وأن جزءا من ذقنه وأسنانه قد استؤصلت[١] وبالرغم من ذلك كان على قيد الحياة لعدة شهور بعد ذلك، وعانى الفقر نظرا لأن السلطان كان قد أوقف راتبه، ولكن رجال البلاط كانوا قد أشاعوا أن السلطان يشمله بنعمته وإحسانه. ولم يكن يزوره فى تلك الفترة سوى عدد قليل من أصدقائه إلى أن توفى بنفس المرض أو التسمم بعد العملية الجراحية فى الساعة السابعة وثلاث عشرة دقيقة يوم الثلاثاء الخامس من شوال ١٣١٤ هـ.ق، وحمل جثمانه على أكتاف أربعة من الحمالين دون مراسم ودفن فى حى "بك أوغلى" فى مقبرة تسمى "شيخلر مزار لقى"، وتم تفتيش منزله بعد وفاته بأمر السلطان وحصر تركته[٢] وصدرت أوامر للصحف التركية بعدم كتابة كلمة عنه.

---

(١) خان ملك ساسانى: سياستگران دورة قاجار، التقارير الرسمية لسفير إيران علاء الدولة.

(٢) خان ملك ساسانى: سياستگران دورة قاجار تقرير سفير إيران رقم ٧٨ المؤرخ فى ٢٥ رجب ١٣١٤.

على هذا النحو انتهت حياة حافلة لرجل من عظماء التاريخ، كان عمر السيد عند وفاته حوالى ستين عاما. ودارت الشبهات فيما يتعلق بموته حول الشيخ أبى الهدى وقيل إنه أصيب بألم بسيط فى الحنجرة فزاره طبيب السلطان واشتد به المرض وخلال بضع ساعات تورم فم السيد وحنجرته ومات.

نعلم أن أبا الهدى كان عدوا لدودا وخائنا للسيد، ووصل حقده وعداؤه إلى أنه كان يؤذى من يحسن إليه. مع كل هذا لم يكن أبو الهدى يستطيع أن يدس السم خلف أسوار قصر ييلديز لرجل مثل السيد جمال الدين دون إملاء من السلطان. والحقيقة كما يقول مؤلف "سياستگران دورة قاجار: السياسيون فى العصر القاجارى" أن السلطان كان قد تعرض لضغط نفسى كبير بعد اغتيال ناصر الدين شاه، فمن ناحية لم يكن يريد أن يسلم السيد كى تظل الأسرار كامنة، ومن ناحية أخرى كان هو نفسه رجلا جبانا سئ الظن يخشى السيد، فلم يكن يسمح له بمغادرة إسطنبول بل منعه من الخروج من منزله أيضا، فكان كما يقول رجل ألمانى "فى سجن من الذهب"، لدرجة أنه فى وقت ما أراد القضاء عليه بيد الإيرانيين أنفسهم ولكن مظفر الدين شاه لم ير صلاحا فى هذا،(1) إلى أن شاع أمر مرضه. ولو أخذنا فى الاعتبار أن خبر مرض السيد قد انتشر فى رجب ١٣١٤ هـ.ق، وأن بعض الأشخاص قد زاروا السيد بعد ثلاثة شهور فى يومى الثالث والرابع من شوال (قبل يومين من موته) ووجدوه معافى صحيحا،(2) أفلا يمكن الاقتناع بأن اغتيال السيد كان أفضل وسيلة لتخليص البلاط العثمانى من الصراعات السياسية وتحرير السلطان من آلامه النفسية؟!

كما رأينا أن السيد أمضى حياته الحافلة فى الترحال وقضاها فى ألم ومرارة وحرمان كبير. لقد تعرض لصعاب جمة من قبل الإنجليز وطرد وأُبعد بتحريض منهم عدة مرات من الهند وإسطنبول ومصر وإيران.

---

(١) سياستگران دورة قاجار: تقرير محمود خان علاء الملك سفير إيران فى إسطنبول المؤرخ بالمتمم من محرم ١٣١٤ هـ.ق، ومذكرات مظفر الدين شاه.
(٢) المرجع السابق.

ومنذ بداية أمره كان يسمى نفسه "الغريب فى البلدان والطريد عن الأوطان" وعندما لم يكن قد تجاوز الثلاثين ويعيش بكابل كان يشكو من زمانه ومن أن الجميع يولون عنه الأدبار.

ونقرأ فى مذكراته التى توضح قيمة كتاباته الأدبية: "يعلم الخلان الأعزاء أن طائفة الإنجليز يعتبروننى روسيا وتعتبرنى طائفة المسلمين مجوسيا. ويظن السنة أنى رافضى والشيعة أنى ناصبى ويظن بعض أخيار المذاهب الأربعة أنى وهابى، ويعتقد البعض أنى إمامى بابى. ويعتبرنى الإلهيون دهريا؛ والمتقون فاسقا بريئا من التقوى؛ والعلماء جاهلا والمؤمنون فاجرا غير مؤمن. لا ينسبنى كافر لنفسه ولا يعتبرنى مسلم من المسلمين. فأنا طريد من المسجد ومبعد من الدير. صرت حائرا، فبأيهما أتشبث وأيهما أجادل. فلكى أرفض واحدا منهما لا بد من تأييد الآخر، وكى أؤيد معتقدا من معتقدات الأخيار لابد أن أجزم برفض ما هو مغاير له. فلا سبيل للفرار من أيدى هذه الطائفة ولا مجال للقرار كى أنازع تلك الفرقة... جلست فى مدينة كابل فى أعلى الحصن مكبل اليدين مكسور القدم منتظرا ما سيأتى خلف ستار الغيب وما سيأتى به الفلك راعى السفلة! فى يوم الجمعة ١٣ رجب ١٢٨٥".(١)

ذكر كتاب التذاكر وأكثرهم من أهالى الدول العربية شمائله وأحواله على النحو التالى: قوى البنية، قمحى اللون كبير الرأس ذو جبهة عريضة ذو عينين واسعتين جذابتين، عريض الصدر مهيب النظرة يشبه بهيئته وقيافته رجلا من عرب الحجاز، كأنه قد احتفظ بهيئة أجداده الأوائل. كان قصير النظر ولكنه لم يكن يستخدم نظارة، فكان يقرب الورقة من عينه عند القراءة والكتابة.

شعره أسود طويل ومجعد. كان يرتدى قباء وسروالا أسود، وفى الدول العربية كان يلبس عمامة صغيرة بيضاء على غرار علماء إسطنبول وفى إيران كان

---

(١) إسناد ومدارك چاپ نشده، لوحة رقم ٣.

يلبس عمامة خضراء أو سوداء. كان قليل النوم مقلا فى الطعام، يكره الجلوس ويشرب الشاى كثيرا ويدخن التبغ. لم يكن متصلبا أو مقلدا أو متعصبا فى أفكاره الدينية، ولكنه كان يؤدى الفرائض ويراعى أصول الدين وفروعه رعاية تامة.

تحلى السيد بقلب سليم وصفات طيبة فكان فى العادة حليما صبورا، ولكنه كان شديد الغضب إذا ما تطاول أحد على شرفه أو دينه وعقيدته فلم يكن يهدأ حتى ينتقم. لم يأبه لمال الدنيا وكان يهب الآخرين كل ما يحصل عليه، ودودا عطوفا مع أصدقائه، متشددا بلا أمان مع أعدائه. يتسرع فى الأمور السياسية وغالبا ما كان يندم بسبب هذا التسرع. لم يمارس الأعمال البسيطة المتدنية، وكان يمارس فى الغالب الأعمال الجليلة. كان شجاعا للغاية ومقداما، لم يكن يخشى الموت ولم يكن يعرفه بالأساس. يتحدث بصراحة مع الجميع حتى وإن لم يكونوا أهلا لذلك، ولم يكن يهتم بقدرات المستمع. وكان يقول دائما: "أنا أعادى الظالم والمظلوم كليهما، أعادى الظالم لظلمه والمظلوم لرضوخه للظلم وتسببه فى جرأة الظالم وتطاوله". كان يتحدث مع ملوك العالم بلا كلفة كالأقران والمقربين، بل إنه كان يهدد بعضهم، ويمن على بعض. قال له السلطان عبد الحميد ذات يوم إن وزير إيران المفوض قد قدم ثلاث مرات للبلاط وتحدث بخصوصه فاعتذر عن التدخل فى هذه القضية مرتين ولكن فى المرة الثالثة وعد بأن يستخدم نفوذه ويطلب من السيد أن يمتنع عن سب شاه إيران. فأجابه السيد إننى عفوت عن شاه إيران امتثالا لأمر الخليفة. عندئذ قال السلطان حقيقة إن الشاه يخشاك كثيرا.[١]

وكان هدف السيد جمال الدين السياسى الذى لاقى فى سبيل تحقيقه الكثير من المصاعب وتحمل آلاما مبرحة هو دعوة المسلمين للوحدة وهدايتهم لأحكام القرآن والصحوة الإسلامية وإنقاذ الدولة الإسلامية الشرقية من النفوذ الغربى وتدخل الاستعمار.[٢]

---

(١) محمد رشيد رضا: تاريخ الشيخ محمد عبده نقلا عن سليم العنحورى.

(٢) أشك فيما قيل عن أن السيد كان يريد أن يقيم الخلافة الإسلامية وأن يجمع كافة المسلمين=

كان يكره الأوروبيين وخاصة الإنجليز الذين ألحقوا به الأذى، وكان متعصبا فى عدائه لهم. ففى عام ١٢٨٨ هـ.ق عندما وصل إلى مصر نشر مقالات تحت عنوان "البيان فى الإنجليز والأفغان" فى جريدة مصر التى كان يتولى إدارتها بعض مريديه من السوريين، وكتب بعد مدح الأمة الأفغانية: كفى هذه الأمة فى عزة النفس وشدة اليأس أنها لم ترغب فى أن تشملها حماية شره واسع البطن مصاب بنهم البقر ومرض الاستسقاء، لم يكفه ابتلاع مائتى مليون نفس وتجرع مياه نهر الكنج والتايمز فهو فاتح فمه لابتلاع بقية العالم وتجرع مياه نهرى النيل وجيحون.(١)

ويقال أيضا إنه قال ذات يوم للشيخ عبد الرشيد التتارى يا بنى، قريبا سوف تصلى صلاة الميت على الإمبراطورية الروسية القيصرية، وقريبا سوف تحضر تشييع جثمان الإمبراطورية البريطانية فى الهند. (٢) وكما رأينا فبشارتا السيد تحققتا.

كان السيد جمال الدين ذا تأثير عجيب على الناس وكان المستمعون إليه وأصحابه يفتنون به لهيئته الجذابة واستقلاله الفكرى وشخصيته القوية وبلاغة لسانه وفصاحة قلمه وذاكرته القوية وعلمه واطلاعه الواسع على العلوم الإسلامية وإجادة اللغة العربية إجادة تامة، وصار يتسبب فى كل دولة إسلامية يذهب إليها فى ثورة سياسية وأدبية إلى الحد الذى "يمكننا أن نعتبره فى الواقع نابغة بمعنى الكلمة".(٣)

=تحت لواء واحد على غرار عهد الخلفاء الراشدين. يقول رشيد رضا لم أطالع مثل هذا الشيء لا فى العروة الوثقى ولا فى مكان آخر، ولم أسمع عنه من لسان الشيخ محمد عبده الذى كان أقرب الناس إليه. كان السيد يدرك أن هذا الأمر مستحيل، وكان هدفه أن يكون سلطان كل المسلمين القرآن وأساس وحدتهم الدين الإسلامى، وأن يسعى كل حاكم فى دولته لحمايتها من الآخرين، لأن موت وحياة كافة المسلمين مرتبط بعضه ببعض.

-انظر أيضا مقالة "الوحدة الإسلامية" المنشورة فى العدد التاسع من صحيفة العروة الوثقى.

(١) سيد محمد رشيد رضا: تاريخ الشيخ محمد عبده.

(٢) المرجع السابق

(٣) تقى زاده: صحيفة كاوه، العام الثانى العدد الثالث.

ويقول عنه حسين دانش الأصفهانى المقيم فى إسطنبول الذى رآه عن قـرب وتعرف عليه: "إن أعجوبة الدهر هذا كان تجليا استثنائيا للقدرة على الخلق حيـث أنار للعالم شعلة من البرق بين إعصار، ومضى. ولكن فيما يتعلق بأن التطلع إلـى الشهرة والغرور كان له تأثير كبير فى هذه الأمور؛ فلا شك مطلقا فـى أن الـسيد كان يسعد بمهاجمة من هو أعظم منه ومناصبة من هو أقوى منه العداء...".

أما الحاج محمد حسن أمين الضرب الذى استضاف السيد فى رحلتـه إلـى إيران وتعامل معه عن قرب فيعتبره "أمير المؤمنين أو ابن أمير المـؤمنين وأنـه مالك الرقاب"(١) ويعتقد أن السيد "يبعث الروح فى الموتى.. وأنه رأى عنه أشـياءً عدة مرات لا يمكن التغاضى عنها"(٢) ويستحلفه بحق المريـدين والمقـربين إلـى الحضرة الإلهية أن يصفح ويعفو عن روحه الضالة.(٣)

ويعتقد أحمد كسروى أن "أعمال السيد جمال الدين فى إيران ومصر وتركيا لم تحقق نتيجة إيجابية وأن تلاميذه بالغوا فى الحديث عنه. لقد نهض السيد لإنجـاز عمل كبير ولكنه لم يكن يدرك الطريق إلى ذلك، وفى نفس الوقت لم يكـن ينـسى نفسه. فلبذل مثل هذه الجهود يكون نكران الذات هو الخطوة الأولى. فلو كان السيد عمل على بث روح اليقظة فى الناس وتهذيب أفكارهم بدلا من التنقـل مـن هـذا البلاط إلى ذلك البلاط لحقق نتيجة أفضل".

وفى اعتقادنا أن ذلك "العمل الجليل" أى اتحاد َمسلمى العالم كان أمنية تعتمد غالبا على المشاعر، ولم يستطع السيد ولم يكن ليستطيع بالطبع أن يحققها، ولكـن من الأمور التى لا مجال لنكرانها دوره العظيم فى إيقاظ العالم الشرقى وفى الثورة الدستورية فى إيران ونشر بذور الحرية بين الناس. وتجلت نتائج جهـوده وجهـود رفاقه فيما يتعلق بإيران فى ثورة الشعب ضد احتكار التبغ (١٣٠٨- ١٣١٠ هـ.ق)

---

(١) أخذا عن رسالته للسيد المؤرخة بغرة محرم ١٣١٠، اسناد ومدارك چـاپ، لوحة رقم ١٣٦.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.

واغتيال ناصر الدين شاه على يد ميرزا رضا الكرمانى (١٣١٣ هـ.ق) وأخيرا قيام الثورة الدستورية فى إيران التى طالبت بالحرية.

لقد اعترف بمكانة السيد العلمية والأدبية الكتاب والعلماء العرب الذين كانوا فى الغالب من تلاميذه مثل الشيخ محمد عبده، وأديب إسحاق، والشيخ إبراهيم اليازجى، وجورجى زيدان، ومحمد رشيد رضا، وسليم العنجورى الدمشقى وغيرهم، وأطلقوا عليه زعيما مصلحا، وحكيما مجددا، وقطب دائرة العلوم، وقاضى الدنيا والدين، ونادر الزمان و"آية من آيات الله" وقد اعترف الدكتور شلبى صاموئيل ناشر نظرية داروين فى العالم العربى بفضل السيد وعلمه وفصاحته المتميزة وكان قد استمع لخطب السيد فى الإسكندرية، وقال الشيخ محمد عبده فى رثائه لقد منحنى أبى حياة شاركنى فيها شقيقاى على ومحروس، ولكن السيد منحنى حياة أشارك فيها محمد وإبراهيم وموسى وعيسى والأولياء والقديسين. كما أورد الشيخ محمد عبده نفسه بعد ذكر محاسن السيد تلك العبارة ونصها: "فإنى لو قلت إن ما آتاه الله من قوة الذهن وسعة العقل ونفوذ البصيرة هو أقصى ما قدر لغير الأنبياء لكنت غير مبالغ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم". وهذا الكلام صدر عن رجلٍ هو مفتى الديار المصرية وأستاذ بجامعة الأزهر، وذو مقام رفيع فى الفضل والعلم والأدب العربى. ويضيف مدير مجلة الهلال بعد أن عدد صفاته الأخرى بأنه لم يكن فى الشرق أحد أكثر بلاغة منه. ومن فضلاء إيران صرح ذكاء الملك فروغى عنه قائلا "دخلت على السيد فوجدته بحرا من العلم والفضل وإن من البيان لسحرا وكان واضحا فى كلام السيد..... لم أر عالما مثل السيد قبله أو بعده".(١)

كان السيد ضليعا فى الكتابة بالعربية، وفى الواقع تذكرنا مقالاته بخطب صدر الإسلام،(٢) ومع كل ذلك لم يستطع الشيخ محمد عبده أن يمتنع عن ذكر هذه

---

(١) ناظم الإسلام: تاريخ بيدارى ايرانيان.
(٢) تقى زاده: صحيفة كاوه، العام الثانى، العدد الثالث.

الحقيقة وهى أن عبارات السيد، على الرغم من كل الرصانة والبلاغة، لم تخل من اللكنة الأعجمية، ولم تتميز بتناغم العربية الخالصة. [١]

كان السيد جمال الدين عامة قليل الكتابة كثير الكلام. ومؤلفاته عبارة عن "رسالة نيچريه: رسالة على الدهريين" بالفارسية ثم ترجمها محمد عبده للعربية وما نعرفه من مؤلفاته العربية المقالات التى كانت تنشر فى جريدة مصر أحيانا بتوقيعه وأحيانا أخرى باسم مستعار وهو "مزهر بن وضاح"، ومقالات صحيفة العروة الوثقى التى كان يعد السيد موضوعاتها ويكتبها محمد عبده، ورسالتان بليغتان إلى ميرزا محمد حسن المجتهد الشيرازى وسائر علماء الشيعة، وأيضا مقالات فى ضياء الخافقين بتوقيع "السيد" أو "السيد الحسينى".

وفيما يتعلق باللغة الفارسية فكان يكتب ويتحدث بلكنة عربية وربما أفغانية، وتكاد كتاباته الفارسية خاصة تجعل الإنسان يشك فى إيرانيته.[٢]

إن الرسالة التى وجهها لناصر الدين شاه والتى نقل نصها ناظم الإسلام فى كتاب (تاريخ بيدارى إيرانيان) من الصعب أن تكون نتاج قلب إيرانى أو شخص قضى الثمانية عشر عاما الأوائل من شبابه فى إيران ودرس بالفارسية فى قزوين وأصفهان ومشهد أو فى مكان آخر من إيران.

إن الرسالة المنسوبة إليه والموجهة لأحد أصدقائه والتى وردت فى نفس الكتاب وتتميز بفصاحة لغتها الفارسية عن سائر رسائله؛ تبدو غير أصلية وربما تكون موضوعة وهو الأمر الذى لفت نظر تقى زاده أيضا.

وكتب رسالة موجزة أخرى من لندن للأمير محمد تقى ميرزا ركن الدولة وأوردها هدايت فى "خاطرات وخطرات" ويبدو التأثر فيها باللغة العربية أقل.

لم أطالع "رسالة نيچريه: رسالة الرد على الدهريين" التى ألفها

---

(١) محمد رشيد رضا: تاريخ الشيخ محمد عبده.
(٢) تقى زاده: صحيفة كاوه، العام الثانى، العدد الثالث.

بالفارسية، ولكن لا تتساوى واحدة من رسائله الفارسية التى ذكرتها وبعض المقالات التى قرأتها له مع مؤلفاته العربية الفصيحة والبليغة.

وتعتمد كتاباتى عن حياة السيد جمال الدين على الوثائق والمصادر التى نشرتها جامعة طهران عام ١٣٤٢ وهى مجموعة من الوثائق غير المنشورة التى أهداها الدكتور أصغر مهدوى حفيد الحاج محمد حسن أمين الضرب للجامعة.

ويتضح من متن الكتاب والمقدمة التى حررها ايرج أفشار له أن جزءا مهما من هذه الوثائق هى الخطابات والأوراق والدفاتر والمذكرات والكتب التى كانت تخص السيد جمال الدين والتى تركها فى منزل الحاج أمين الضرب خلال رحلتيه إلى إيران عامى ١٣٠٤ و ١٣٠٧ هـ.ق.

ويبدو أنه لا يوجد مجال للشك فى صحة هذه الوثائق، ونظرا لعلمنا بأن السيد قد طُرد من إيران عام ١٣٠٨ هـ.ق شبه عار فمن الواضح أنه لم يحمل معه شيئا، ويمكن القول إن الوثائق والكتب التى كان يحتفظ بها حتى ذلك التاريخ تنحصر فى نفس الوثائق والكتب التى قُدمت فى المجموعة موضع البحث.

بالطبع سوف يدقق الباحثون والعلماء فى هذه الوثائق، وسيدونون سيرة هذا الرجل العظيم وحياته المكتظة بالأحداث بأسلوب أكثر دقة وشمولا كما يتمنى من قاموا على نشرها؛ وذلك عن طريق الاستعانة بتلك الوثائق ومقارنتها بالمصادر التى كانت متاحة سابقا والأسانيد التى سيتم الحصول عليها من المحفوظات الأجنبية.

وفى عجالة؛ على الرغم من أن الوثائق التى قدمت فى هذه المجموعة تؤكد بعض الموضوعات التى طُرحت فى المصادر السابقة عن حياة السيد فإنها للأسف لا توضح كافة تفاصيل حياته وهو الأمر الذى لفت أيضا اهتمام الناشرين.

على سبيل المثال فيما يتعلق بانتماء السيد للحزب الماسونى فكان أديب إسحاق وجورجى زيدان وبعض الكتاب العرب الآخرين قد صرحوا أنه انضم فى

مصر إلى حزب إخوان الماسونية وأحرز تقدما فى ذلـك الحـزب وصـار مـن رؤسائه، ثم أسس جمعية وطنية تابعة للمحفل الفرنسى ودعا مريديـه إلـى ذلـك الحزب وبلغ عدد أعضائه ثلاثمائة.

وقيل أيضا إن السيد دخل ذات يوم الجمعية وقال متحدث خلال الحوار نحن لن نتدخل فى السياسة فثار السيد جمال الدين لهذا الكلام وقال كيف لا يرفع شخص صوته للحصول على حريته وحقوقه المغتصبة فى محفل تم تدوين حـق الحريـة والمساواة والأخوة فى برنامجه، فإن كان الأمر كذلك فلن أعمل فى هذا المحفـل، ولهذا السبب سحب عضويته. (١)

لم يكن قد تم التأكد من هذا الموضوع، ومع نشر هذه الوثيقـة يتـضح أنـه طلب فى الثانى والعشرين مـن ربيـع الآخـر ١٢٩٢ هـ.ق (٢٨ مـايو ١٨٧٥م) الانضمام إلى المحفل الماسونى فى القاهرة(٢) وأنه انتخب لرئاسـة فـرع المحفـل (كوكب الشرق) فى جلسة ٢٥ جمادى الأولى ١٢٩٥ هـ.ق (٢٨ مـايو ١٨٧٨م)(٣) كما أنه لم يكن قد قطع صلته بالحزب المذكور حتـى شـهر صـفر ١٢٩٦ هـ.ق (فبراير ١٨٧٩م) على الأقل أى حتى شهر قبيل طرده وإبعاده عن مصر.(٤) وحتى فى عام ١٣٠١ هـ.ق (أوائل ١٨٨٤م) أى قرابة خمس سنوات بعد طرده من مصر عندما كان يعيش فى باريس تقدم بطلب عضوية وانضمام لمحفل بـاريس وتمـت دعوته إلى تلك المدينة للتشاور.

والآن لو فُرض أن السيد خلال الشهور الأخيرة من إقامته فى مصر (صفر حتى رمضان ١٢٩٦ هـ.ق) قد أُجبر على ترك المحفل، فيبدو من المـستبعد أنـه يكون قد طلب مجددا بعد عدة سنوات الانضمام إلى نفس الحزب فى باريس. (٥)

---

(١) خاطرات السيد جمال الدين، ترجمة سيد غلام رضا سعيدى، عن "فيض الخاطر، طهـران، ص ٢٨.
(٢) إسناد چـاپ نشده، الوثيقة ٥٧.
(٣) المصدر السابق الوثيقة ٦٢.
(٤) المصدر السابق الوثيقة ٦٣، ٦٩.
(٥) إسناد چـاپ نشده، الوثيقة ٧١.

إن هذه الوثائق لم توضح بعد بجلاء إن كان إيرانيا أم أفغانيا ولد فى إيـران أو أفغانستان، وإن كان إيرانيا لماذا كان يقدم نفسه على أنه أفغانى وكان يصر على ذلك. وفضلا عن هذا لم توضح تلك الوثائق أيضا محل ميلاده والعالم الـذى درس على يده حتى حقق تلك المكانة فى اللغة العربية بحيث إن علماء الـدول العربيـة العظماء اعتبروه معلما لهم ومؤسس العربية الحديثة، كما أن هذه المجموعـة مـن الوثائق لا ترشدنا بشكل يقينى إلى حقيقة الأحداث المتعلقة بنشاطه الـسياسى فـى أفغانستان والهند و مصر ورحلته الأولى إلى تركيا.

ولا يوجد فى هذه الوثائق أخبار مطلقا عن حياة السيد حتـى عـام ١٢٨٢ هـ.ق، ونحن لا نعلم كذلك على وجه اليقين أين وكيف أمضى ثمانية وعشرين عاما من عمره حتى ذلك العام.

كان هذا ما استطعت التوصل إليه من المطالعـة والبحـث فـى المـصادر المتاحة عن حياة السيد جمال الدين والأمور السياسية المتعلقة بسيرته. وأعترف أنه لا تزال هناك نقاط غامضة تماما فى حياته وأتمنى أن يقدم ذو الهمة والباحثون عن الحقيقة سيرة عن هذا الرجل العظيم بصورة أكثر دقة وشمولا عن طريق البحـث الوافى فى الوثائق المتاحة وغيرها التى ربما تظهر فى المستقبل. (١)

رسالة السيد جمال الدين التى كتبها من لندن للأمير محمد تقى ميرزا ركـن الدولة:- (٢)

صاحب السمو مُد ظله على رءوس الأنام كافة. أين أبحـث عـن الفكـرة الطاهرة والهمة العالية والرأى السديد وحب العدل سوى فـى وجـودكم الـسامى

---

(١) أفاد إيرج أفشار فى المقالة التى نشرها فى مجلة مهر (العـام العاشـر العـدد الثالـث) أن "مجموعة من الأوروبيين يجرون الآن أبحاثا متخصصة فيما يتعلق بأحوال الـسيد وأفكـاره وتأثيره على المجتمع الإسلامى من الأراضى الأفريقية (مصر والسودان) حتى سواحل نهر الكنج (سوريا وتركيا وإيران وأفغانستان والهند)، ويريدون توضيح علاقة الـسيد الـسياسية بالحكومة البريطانية على وجه الخصوص".

(٢) مهد يقلى هدايت: خاطرات وخطرات، ص٤٣٩.

الشريف؟ لقد تداخلت الأفكار المتوهجة والأنفس الموهوبة معا ووقف العلماء العظام مستعدين ممسكين بالأقلام. لذلك لم يكن هناك وقت أفضل من هذا ولن يكون. لو رغبتم في تفصيل ذلك فسوف أقدمه. إن السعادة عقدت ناظرها على الطريق. لو ضاعت هذه الفرصة، سيكون الندم أكثر مما يمكن تصوره. وصاحب السمو مخير.

لقد أديت ما يمليه على الوفاء لكم والسلام على حضرتكم العلية. جمال الدين الحسينى.

اكتب هذا العنوان على المظروف وسيصلنى أينما كنت 24 Portland Road Notting Hill W.، London

من رسالة السيد إلى الحاج محمد حسن أمين الضرب بتاريخ ٢٧ مارس:

"سيادة الحاج، إن ما قلته وما أقوله وما فعلته وما أفعله كان جميعه لخير الأمة المحمدية فقط وسيكون لهذا الغرض، وليس للأنانية من طرفى دخل فيه، ولو أنكر الإيرانيون أمام العميان والصم الذين لا يرون شيئا ولا يسمعون؛ أتمنى أن تعترف مع نفسك أننى أقول الحقيقة لأن الله تعالى مطلع على سريرتى وتصرفاتى. لهذا قطع أذن وأنف الدولة العثمانية عقابا لها بعد ستة شهور من عدائها لى، وقصم ظهرها، ووضع أقدام الإنجليز الثقيلة على حلق الخديوية المصرية بعد أن قسم مملكتها فكادت أنفاسها تنقطع، وقضى على شير على خان وأسرته.

وأقول الآن لو أصرت إيران على جرمها ولم تتراجع عنه، فإن الله تعالى الذى قطع أذنها وأنفها بسبب ذنوبها السالفة سوف يقطع الآن رأسها ويلقى لحمها طعما للنسور والجوارح ولن تبقى لفترة طويلة. إن الله تعالى غير راض عن أعمال الجاهلية والعادات البدائية هذه التى تنسبوها إلى عمامة الإسلام والدين.

وها أنا أقولها جهارا وسيشهد العالم أيضا على هذا قريبا. كنت قد كتبت لى أن كل شىء كان مهيأ ومعدا بعد وصولى إلى طهران. سيدى العزيز، ما الشىء

الذى صار مهيأ ومعدا؟ أنا لا أريد أن أصبح رئيسا للوزراء، لا أريد أن أصبح وزيرا، لا أريد أن أكون من أركان الدولة، لا أريد راتبا، لا أريد عملا، فليس عندى أبناء، ليس عندى أملاك، ولا أريد أن يكون عندى. إذن ما الشيء الذى كان مهيأ ومعداً؟ سيدى العزيز؛ إن العديد من الأشخاص حصلوا على رتبة بيك وباشا عن طريقى، وحصل الكثير من الأشخاص على رواتب كبيرة بسببى، ولكننى كنت على الحال دائما وسأظل على هذا ليس عندى سوى النصح والإصلاح، ويعلم الله تعالى أفضل من الجميع؛ مَنْ ذلك الذى أوغر قلب الشاه وإن كان صوفيا أصفهانيا أو طهرانيا غير صوفى، ومَنْ ذلك الزنيم الذى ارتضى وذلك العُتُل الذى تهاون. وطالما أن الإنسان لا يستطيع كشف الحقائق بجلاء؛ فإن جزاء كل شيء فى يد الله. كنت قد كتبت لى أن صاحب الجلالة الأجل الأفخم قد حقق غاية القدرة، فلو أن فى ذلك منفعة للخلق فهذا مبعث للسرور والرضا.

فإن لم أكن أتطلع بعينى إلى خير كافة عباد الله فالأفضل أن تفقد عينى البصر، ولتُشل يدى إن لم تسع فى سبيل سعادة المخلوق، ولتكسر قدمى إن لم تسر فى سبيل نجاة الأمة المحمدية. هذا مذهبى، وهذا مشربى، ولا يحدونى الأمل فى أن يسعى صاحب الجلالة الأجل فى سبيل تحقيق الخير للإيرانيين المساكين البائسين قدر ما حققه من سلطة".(١)

من رسالة السيد إلى الحاج محمد حسين أمين. بطرسبورج ٣ يوليه.

".... حقا إن هذه الممالك تلوث الملابس والفم والمعدة بالنجس، ولكن تلك البلاد تلوث عقل وروح ونفس الإنسان الناطقة؛ فبسبب تضارب الآراء الفاسدة وتلاطم الأطماع الفاسدة وفتنة الأخلاق الرذيلة عند الأبالسة يضطر المساكين للكذب والتدليس والتزوير والمكر والخداع وينحرفون عن الطريق المستقيم ويتصرفون على عكس فطرتهم الطاهرة، وإذا نظر السيد الحاج إلى نفسه سيجد

(١) مجموعة إسناد چاپ نشده، اللوحتان، ١٨٢، ١٨٣.

هذه الأمور بالرغم من أنه يطلب الصلاح والفلاح وعلى فطرته أكثر من كافة الإيرانيين الذين رأيتهم.

فلا مفر، ماذا يجب أن نفعل! ولكن من الممكن أن يلتبس على الإنسان نفسه حقيقة الأمر شيئا فشيئا ويعتبر القبح جمالا، نعوذ بالله....كنت قد كتبت لي كي أذهب إلى مشهد وأعلم الناس، حسن جدا ولكن من الصعب جدا الحديث عن الحق وتدريس حقيقة العلم وخاصنة لجاهل يعتبر نفسه عليما وأعمى يعد نفسه بصيرا وذلك في مملكة تعتبر قول الزور فضلا والكذب حكمة والنميمة حرفتها؛ وتتباهى بهذه الصفات الشيطانية في المحافل والمجامع وتمتدح نفسها لذكائها. ومع كل هذا أشك أنك تكون قد عرفتني بعض المعرفة في تلك الشهور التي تلازمنا فيها في كل لحظة ليل نهار بالفطنة الفكرية ونور الإيمان وتكون قد أدركت أن ليس لي مقصد في هذا العالم سواء كنت في الغرب أو الشرق سوى السعي لإصلاح دنيا المسلمين وآخرتهم، وغاية أملي أن يراق دمي في هذه السبيل كالشهداء والصالحين، ولكنني مجبر على تصرفاتي ولن أحيد عن الإرادة الإلهية. لنترك تلك المسألة.... عند وصول الموكب الملكي أرسلت بطاقتي إلى كل معارفي على غرار المعمول به في أوروبا والتقيت كما تعلمون بأمين الدولة ومخبر الدولة واعتماد السلطنة، في الوقت الذي حددوه. وكتبت رسالة إلى أمين السلطان وطلبت فيها أن يحدد موعدا للقاء ووضحت خلال الرسالة أنني أريد أن أنتهز هذه الفرصة لأكشف عن كذب الكذابين بالبرهان الواضح. فأبقى حامل الرسالة ثلاث ساعات، وكان يخرج كل نصف ساعة من حجرته لأمر ما، ويقول لحامل الرسالة سأكتب الآن ردا. وعاد حاملها أخيرا بعد أن أعياه اليأس، وسواء كان السبب كثرة المشاغل أو وساوس الشيطان فلا ينبغي ذكره مهما كان. فيد الله فوق أيدي الجميع! كنتُ قد كتبتُ إنني سأقوم بجولة من الغرب للشرق ومن الشرق للغرب، ولكن طلب مني بعض رجال الحكومة الروسية البقاء لفترة حتى تتضح نتيجة سفر الشاه إلى لندن ولهذا سأبقى لفترة أخرى في تلك المدينة....

كان الحاج السياح قد كتب خطابا مجملا ولا أعرف ماذا فعل معـــك ومـــاذا قال. ومن المؤكد أن الأمر يتطلب علم الجفر الجامع لفك حروفه والوصـــول إلـــى مجملها ليتضح ماذا يريد أن يقول ! لو كان عمر الإنسان ألف ســـنة لا يجـــب أن يخاف إلى هذا الحد للحفاظ عليه، فما بالك بما لا يزيد عن سبعٍ وستين سنة، كمـــا أن كله قد مضى.

أواه على حالنا والحياة على هذه الشاكلة! ولكن أتمنى ألا تكون علـــى هـــذه الحال وتذكر دائما أن الله قد جعل تمنى الموت علامة على صدق الإيمان".(١)

---

(١) مجموعـــة اسناد ومدارك چـــاپ نشده، اللوحات ١٨٠، ١٨٦، ١٨٧.

الفصل السابع -المستنيرون الآخرون فى مرحلة اليقظة

١- ميرزا آقا خان الكرمانى:-

نفى عن إيران شخصان من المنادين بالحرية والمستنيرين الإيرانيين بسبب اتهامهما بالبابية، وقد تأثرا بآراء السيد جمال الدين الأفغانى، وهما الشيخ أحمد روحى وميرزا آقا خان الكرمانى اللذان أثرت جهودهما فى يقظة الإيرانيين إلى حد كبير وخاصة كتابات ميرزا آقا خان.

ولد ميرزا عبد الحسين الشهير بميرز آقا خان عام ١٢٧٠ هـ.ق، والده ميرزا عبد الرحيم من خانات بردسير بكرمان. تعلم فى كرمان ودرس الرياضيات والعلوم الطبيعية والفلسفة وتعلم قليلا من الإنجليزية والفرنسية وفى عام ١٣٠٢ هـ.ق وبينما كان عمره اثنين وثلاثين عاما هاجر برفقة الشيخ أحمد روحى بسبب مظالم السلطان عبد الحميد ميرزا ناصر الدولة حاكم كرمان، وتوجه إلى أصفهان ومنها إلى طهران وقام بتدريس القرآن وتفسيره فى تلك المدينة لفترة من الوقت. وتعرف على الحاج ميرزا يحيى الدولت آبادى والشيخ مهدى شريف الكاشانى. ثم سافر إلى الرشت مع رفيق سفره روحى وتوجه منها إلى إسطنبول ١٣٠٥ هـ.ق.

وتعرف الاثنان فى إسطنبول على الحاج ميرزا حسن خان خبير الملك الذى عمل لفترة قنصلا لإيران فى بلاد الشام، ونهض الثلاثة يؤيدون السيد الذى كان قد قدم آنذاك إلى إسطنبول بدعوة من السلطان عبد الحميد، وحرروا الكثير من الرسائل إلى علماء النجف وسامراء وإيران ورجال وأهالى العاصمة والمدن الإيرانية تحوى آراء وأفكار السيد، ودعوهم للوحدة الإسلامية، وسبوا حكومة ناصر الدين شاه الاستبدادية وتصرفات الصدر الأعظم ميرزا على أصغر خان. فهب ميرزا على أصغر خان لاعتقالهم وإلحاق الأذى بهم، وأرسل التعليمات اللازمة إلى ميرزا محمود خان دبيا علاء الملك سفير إيران فى تركيا، وأظهر علاء الملك للبلاط العثمانى على خلاف الواقع أن هؤلاء الثلاثة متورطون فى

ثورة الأرمن التى كانت قد وقعت خلال العامين الماضيين، وبناء على ذلك أبعدتهم الحكومة العثمانية فى أواسط رجب عام ١٣١٣ هـ.ق إلى طرابوزان تحت الحراسة وألقت بهم فى السجن هناك وظلوا على هذه الحال إلى أن اغتال ميرزا رضا الكرمانى ناصر الدين شاه بإطلاق الرصاص عليه عند مسجد الشاه عبد العظيم قبيل أيام من إقامة مراسم الاحتفال بمضى خمسين عاما على حكمه، وكان ميرزا رضا الكرمانى قد قدم من إسطنبول إلى إيران برفقة الشيخ أبى القاسم شقيق روحى باعتباره خادما له.

كان ميرزا رضا هو نفس الرجل الذى تعرض للظلم والإهانة على يد رجال الحكومة فى شيراز، وعندما قدم إلى طهران لم يجد من ينصفه فاضطر للسفر إلى إسطنبول، ويقال إن السيد وجه إليه اللوم ودفعه للانتقام. (١)

وبعد حادثة اغتيال ناصر الدين شاه ازدادت شكوك الحكومة بخصوص هؤلاء الثلاثة وسلمتهم الحكومة العثمانية عند الحدود إلى المسئولين الإيرانيين بناء على طلب السفير الإيرانى. وكان ميرزا رضا قاتل ناصر الدين شاه لا يزال على قيد الحياة فى طهران بسبب فترة الحداد التى دامت لمدة شهر وذلك حين قطعت رءوس ثلاثتهم فى "باغ شمال" ويقال بمنزل ولى العهد نفسه فى "ششجلان" عصر يوم الرابع أو السادس من شهر صفر ١٣١٤ هـ.ق وذلك بأمر ولى العهد محمد على ميرزا، وأرسلت رءوسهم إلى طهران.

مؤلفات ميرزا آقا خان:-

كان ميرزا آقا خان يشارك فى صحيفة اختر بإسطنبول التى كانت تقرأ فى إيران والهند وكان مديرها السيد محمد طاهر التبريزى، وشارك آقا خان بمقالات كثيرة فى تلك الصحيفة.

---

(١) خرج فى ٢٦ رجب ١٣١٣ هـ.ق إلى طهران بتوجيه من السيد والتقى فى طريقه بسجناء طرابوزان ووصل طهران فى الثانى من شوال.

ومن مؤلفاته المنشورة "جنــگ هفتادودو ملت: اقتتال اثنتين وسبعين فرقة"، إنشاء الله وماشاء الله، وعملان فى التاريخ: "نامــهٔ باســتان: الرســالة القديمــة" و"آينيــهٔ سكندرى: مرآة الإسكندر".

وقد ألف تاريخ مرآة الإسكندر فى إسطنبول، وتجشم الكثير من المـصاعب لتصحيح هذه النسخة ميرزا جهانجير خان الــشيرازى الــذى تــولى بعــدها إدارة صحيفة "صور إسرافيل" وقتل بأمر محمد على شاه فى "باغشاه" فى اليــوم الثــانى لقصف المجلس، ويقع هذا الكتاب فى مجلدين وطبع عــامى ١٣٢٤- ١٣٢٦ فــى طهران بفضل علاء الملك الذى تحمل نفقات طبعه.

ويقلل من قيمة هذا الكتاب وأهمية الأبحاث غير الدقيقة فى فقه اللغــة التــى طرحها المؤلف خلاله.

والرسالة القديمة هى تاريخ منظوم على وزن الــشاهنامه وعلــى غرارهــا وأتمها عام ١٣١٣ هـ.ق فى السجن بطرابوزان.

وبعد عامين من اغتيال ميرزا آقا خان (١٣١٦ هـ.ق) نظم الشيخ أحمد أديب الكرمانى (المتوفى ١٣٢٩ هـ.ق) ابن الملا حافظ العقيلى تاريخ ظهور الإسلام حتى جلوس مظفر الدين شاه على وزن الشاهنامه وأضافها إلى الرسالة وذلك بأمر مــن والى كرمان قائد الجيش، وطبعت تحت عنوان "سالارنامه: رسالة القائد" مع حذف بعض الأشعار التى كان نشرها فى ذلك الوقت يعد أمرا خطيرا. [1]

وأشهر أعمال ميرزا آقا خان "اقتتال اثنتين وسبعين فرقــة" وتعتمــد هــذه الرسالة على "قهوة سورة"[2] من تأليف المؤلف الفرنسى برناردن دوســن پــيير، حيث طبق موضوعها على الإسلام.

---

(١) فى مجلدين، شيراز ١٣١٦.
(٢) ترجم هذا الكتاب البديع ليون تولستوى إلى الروسية ومحمد جمال على زاده إلــى الفارســية (برلين، ١٣٠٤ ش) ونقله للفارسية محمد خان بهادر بن الملا أحمد عن الترجمة الروســية لتولستوى ونشره بالإضافة إلى "اقتتال اثنتين وسبعين فرقة" لميرزا آقا خان عام ١٣٤٣ هـ.ق فى برلين كما ترجمه السيد أحمد كسروى إلى العربية عن ترجمة الكتاب بلغــة الاســبرنتو وأطلق عليه عنوان "قهوة سورة" ونشره فى صيدا.

ولميرزا آقا خان مؤلفات أخرى أيضا لم تطبع، منها رسالة "صد خطابه: مائة خطبة" ولا يوجد منها سوى اثنتين وأربعين خطبة، وليس لهذه الرسالة قيمة علمية ولكنها كتبت بشغف ومشاعر طاغية وهى لطيفة جدا وشيقة وتعبر عن وطنية المؤلف وكرهه الشديد للعرب.

وهنا ندرج فيما يلى جزءا من المقالة التى وردت فى نهاية الرسالة القديمة والمحذوفة من "سالارنامه: رسالة القائد" والتى حصل عليها ناظم الإسلام الكرمانى ونشرها فى كتاب تاريخ يقظة الإيرانيين، وذلك بغرض إطلاع القراء على منحى تفكيره وأسلوبه فى الكتابة النثرية:

مقالة مفيدة فى خاتمة الكتاب: -

"..... ربما يعترض بعض أرباب العلم وأدباء إيران ذوى الإقبال قائلين ما هذا الأسلوب فى النظم والشعر الذى يخرج عن دائرة الأدب والتأدب الضرورى للمتملقين على خلاف جمهور شعراء إيران، ويضع جانبا الطريق المستقيم للسلامة أى المداهنة والتملق، إنك تتحدث هكذا بصدق وجد؛ فلتسلك الدرب الذى سلكه السائرون!

أجيب؛ يجب أن نفرق بين الأشجار والثمار، والأحداث والنتائج. فلا يوجد شك فى تأثير وإبداع كلام الفصحاء والبلغاء الإيرانيين المتقدمين أو طراوة ولطف أشعارهم. كما أن الحديث عن سخرية ولطف أشعار المتأخرين هو قول يتفق عليه الجميع. ولكن يجب النظر إلى ماهية تأثير أعمال الأدباء والشعراء حتى الآن وإلى ثمار النبتة التى غرسوها فى بستان الشعر وإلى محصول البذور التى نثروها! فما قالوه من مبالغات وإغراقات كان نتيجته استقرار الكذب فى طبائع الناس. وما نظموه من مدح ومداهنة صارت نتيجته تشجيع الوزراء والملوك على أنواع الرذائل والسفه، وما نظموه فى التصوف والعرفان لم يثمر سوى الكسل والتكدى والدروشة. وما قالوه من غزل فى الزهرة والبلبل، لم يفرز سوى فساد الأخلاق

وحملهم إلى السذاجة والخمر. وما نظموه من هزل ومطايبات لم يسفر إلا عن انتشار الفسق والفجور ورواج الفحشاء. ولو نظرنا في تاريخ الشعراء المسلمين وممدوحيهم سنقول إن أشعار ومدائح أبى نواس وأمثاله هى التى دفعت الخلفاء العباسيين للامتناع عن احتساء القهوة والنوم فى الضحى وإلى مفاسد أخرى. وقصائد العنصرى، والرود كى وفرخى وأمثالهم هى التى أفسدت السامانيين والغزنويين وأدت إلى فنائهم، وعرفان وتصوف الشيخ العراقى والمغربى وأمثالهما هى التى أفرزت كل هؤلاء الشحاذين المتخاذلين والكسالى الذين لا يستحون. ومداهنة الأنورى وظهير ورشيد وكمال أدت إلى ظهور مثل هؤلاء السلاطين الظالمين غير الأكفاء المغرورين. وأبيات سعدى فى العشق وهمام وأمثالهما هى التى أفسدت أخلاق الشباب. وهزليات ومطايبات سوزنى وسنائى وغيرهما هى التى أدت إلى انتشار الفسق والفجور إلى هذه الدرجة. وطلاسم الخاقانى المملة وأمثاله هى التى دفعت ميرزا مهديخان وصاحب الوصاف إلى الضلال. وثرثرة صبا ورقة شهاب وقاآنى هى التى محت اليوم حب الفضيلة وبغض الرذيلة كلية من طبائع عظماء إيران ودفعتهم إلى الرذيلة والدناءة إلى حد بعيد. يقول تعالى:والشعراء يتبعهم الغاوون".[1]

الشعراء الأوروبيون ينظمون هذه الأجناس الشعرية ولكنهم جعلوا الشعر يخضع لقواعد صحيحة، وجعلوا أشعارهم هذه مسايرة للمنطق. فلم يترتب على شعرهم تأثير عدا تنوير الفكر والقضاء على الخرافات وتبصير الضمائر وتنبيه الغافلين وتربية السفهاء وتأديب الجهلاء وحث النفوس على الفضائل وكف القلوب عن الرذائل والاهتمام بالوطن والأمة. وهذا معنى "إن من الشعر لحكمة". نعم إن النتيجة الحقيقية للشعر هى إثارة القلوب وترقيق النفوس وتشجيع عقول الناس، ولكن يجب أن يدفعهم إلى الفضائل والتقوى والاعتدال لا إلى ارتكاب الأعمال القبيحة والرذائل وما إلى ذلك. إن من يمدحه الأدباء الأوروبيون هو الفردوسى

(١) سورة الشعراء الآية ٢٢٤.

الطوسى فقط فأشعار الشاهنامه على الرغم مما نراه فيها من مبالغات أحيانا فإنها تلقى فى نفوس الإيرانيين إلى حد ما حب الانتماء والأمة والشهامة والشجاعة، وتهدف أحيانا إلى تهذيب الأخلاق. أتمنى أن تتضح نتائج الأشعار المتواضعة للعبد الحقير (إشارة إلى نفسه تواضعا) عما قريب أيضا فى المجتمع البشرى، ويتخذها الفصحاء والبلغاء نموذجا بعد ذلك للاقتداء بشعراء أوروبا، ويعلموا أن الشعر الذى لا يقدم فائدة فلسفية سيكون من قبيل اللغو ويعد من الخرافات والخزعبلات، والسلام.

٢- روحى:

الشيخ أحمد روحى من زعماء الثورة الفكرية فى إيران، وهو الابن الثانى لشيخ العلماء الملا محمد جعفر پيشنماز الكرمانى ولد عام ١٢٧٢ هـ.ق فى كرمان. تعلم على يد والده فى تلك المدينة العربية وشيئا من الفقه وأصول الدين والحديث، وكان إمام صلاة الجماعة فى مسجدى "ميدان القلعة" و"ميرزا جبار" لفترة من الوقت، وكان يعظ الناس ويخطب فيهم.

وفى عام ١٣٠٢ هـ.ق ذهب برفقة ميرزا آقا خان الكرمانى إلى أصفهان ومنها إلى طهران ثم الرشت ثم هاجر منها إلى إسطنبول عام ١٣٠٥ هـ.ق، وبعد إقامته بها لفترة سافر لأداء فريضة الحج، وعند عودته أقام لبعض الوقت فى حلب ثم عاد إلى إسطنبول وفى تلك الفترة تزوج هو وميرزا آقا خان كريمتى ميرزا يحيى نور (صبح أزل). وانضم روحى إلى السيد جمال الدين الأفغانى بعد عودته إلى إسطنبول وسعى مع رفاقه الآخرين فى سبيل يقظة الإيرانيين ونشر فكرة الوحدة الإسلامية[1] وقد أُسر كما قرأنا بأمر من الحكومة العثمانية وأُبعد إلى طرابوزان ثم حُمل بعد مقتل ناصر الدين شاه إلى تبريز برفقة ميرزا آقا خان

---

(١) يقال إنه جعل شعاره:

واسمى أحمد روحى   أنا داعية للوحدة الإسلامية

الكرمانى وميرزا حسن خان خبير الملك بناء على طلب الصدر الأعظم الإيرانـــى، وقتل ثلاثتهم هناك. وقال قبيل قتله بساعات لميرزا صالح خان وزير أكرم نائـــب حكومة أذربيجان: "أتعلم ما هذا القيد الذى ضُرب حول أعناقنا؟ لو كنـــتم تعلمـــون لصنعتم هذا القيد من الذهب ولأتيتم لزيارته مرة كل يوم!". [1]

أعماله:-

كان الشيخ أحمد روحى رجلا فاضلا مطلعا وفنانا موهوبا ويـــنظم الـــشعر أيضا. ومن أهم مؤلفاته "هشت بهشت: ثمانى جنان"؛ وهذا الكتاب المفـــصل فـــى شرح عقائد الأزليين -وهم من فرق البابية- وسبب انقسامهم إلى الأزليين والبهائيين وفلسفة البابية. وفضلا عما يحتويه من قضايا دينية وجدلية يضم معلومات مفيـــدة عن تاريخ المرحلة الأولى من البابية وتراجم عدد من القدماء المنسوبين إليها. ويعد كتاب "هشت بهشت" من المصادر الرئيسة التى اعتمد عليها المستشرق البريطـــانى إدوارد براون.

٣- ميرزا حبيب الأصفهانى:-

يعد ميرزا حبيب الأصفهانى واحدا من الإيرانيين المـــستنيرين الموهـــوبين وكان حسن البيان وواحدا من رجالات القرن الثالث عشر ومطلع القـــرن الرابـــع عشر الهجريين الذين انتهجوا أسلوبا جديدا إلى حد ما ورصينا فى البحث الأدبى.

"وهو من أهالى قرية بن چهار محال من توابع أصفهان. وقام بتحصيل العلم فى أصفهان وطهران، كما درس الأدب والفقه وأصول الدين فى بغداد لمدة أربـــع سنوات، ثم عاد إلى طهران، وهناك تعرض للإيذاء والاعتقال بزعم أنه قـــد نظـــم هجاءً فى حق الصدر الأعظم ســـپهسالار محمد خان. فهرب عام ١٢٨٣ هـ.ق إلى تركيا[2] واحتمى بالحكومة العثمانية فى دار السعادة إسطنبول. وأخذ يقضى وقتـــه

---

(١) تاريخ بيدارى ايرانيان، ص١٥٥.

(٢) نفى فى ذلك العام عدد من الأفراد بتهمة الإلحاد وكان منهم ميرزا حبيب الـــذى فـــر إلـــى=

فى المدارس وصار لفترة من الوقت من أعضاء مجلس المعارف ولكنه عزل من هذا العمل نتيجة كيد الأعداء، ثم حظى بعد عام ونصف باهتمام السلطان وعاد إلى عمله. كان ينظم الشعر أحيانا، ولكنه لم يكن يطمع فى العطاء كغيره من الشعراء. وفى بداية أمره كان يتخلص بـ "دستان" ولكنه نظم أكثر أشعاره بعد ذلك بلا تخلص ولم يهتم بهذا الأمر".[1]

وانضم ميرزا حبيب للشيخ أحمد روحى ورفاقه، وتكاتف مع أولئك الساعين لإيقاظ الإيرانيين فى إطار الثورة فى سبيل الحرية.

وفى عام ١٣١١ مرض قبيل أن يبلغ الستين وتوجه إلى بروسا للعلاج بالمياه المعدنية ثم توفى بعد فترة عام ١٣١٥ ودفن فى مقبرة تشكركه عند سفح جبل "اولوداغ".[2]

مؤلفاته:

كان ميرزا حبيب أديبا يجيد العربية ويعرف التركية وتعلم الفرنسية أيضا فى إسطنبول أثناء تدريسه للفارسية فى تلك المدينة، واستفاد من هذه اللغات الثلاث فى تدوين قواعد اللغة الفارسية وكان أول من أطلق كلمة "دستور" على قواعد اللغة بدلا من الصرف والنحو.

وفيما يتعلق بكتاب "حاجى بابا" فقد توصل جمال زاده مؤخرا فى أبحاثه إلى أن ميرزا حبيب الأصفهانى قام بترجمة هذا الكتاب بتلك العبارات اللطيفة البليغة

=إسطنبول وآثر البقاء بها. وفى تلك الفترة تولى ميرزا حسين خان سپهسالار السفارة الإيرانية ومنع معاملة ميزرا حبيب باحترام أو تقدير.

(كتاب رحلات حاجي پير زاده: سفرنامهٔ حاجي پير زاده، مخطوط محفوظ بمكتبة المجلس، تحت رقم ٦٩٥، نقلا عن إيرج افشار، مجلة يغما، العام الثالث عشر، العدد العاشر).

(١) مقدمة ديوان ميرزا حبيب بقلمه، مكتبة بايزيد، إسطنبول، نقلا عن خان ملك الساسانى (إيرج افشار، ميرزا حبيب أصفهانى، مجلة يغما، العام الثالث عشر، العدد ١٠).

(٢) ياداشت صباح الدين شمس، مجلة يغما العام الرابع عشر، العدد ٤.

المشحونة باللطائف الأدبية، ثم أحضر الأستاذ مجتبى مينوى عند عودته من رحلته إلى تركيا صورة ضوئية لمخطوطات ميرزا حبيب غير المطبوعة الموجودة في مكتبة جامعة إسطنبول وبينها ترجمة حاجى بابا الأصفهانى. ومع ظهور الترجمة نفسها بخط ميرزا حبيب وخاصة المقدمة الموجزة التى حررها المترجم للترجمة والتى سننقلها بنصها لم يعد هناك شك فى أن هذا الكتاب قد ترجمه ميرزا حبيب نفسه إلى الفارسية عن الترجمة الفرنسية.(١)

وها هى المقدمة:

"لقد تُرجم كتاب "حاجىْ باب فى أصفهان" إلى الفرنسية عن اللغة الإنجليزية وقام العبد الحقير حبيب الأصفهانى بنقله إلى الفارسية عن الفرنسية بلغة يفهمها العامة ويعجب بها الخاصة ومصطلحات مشهورة وسائدة، ويعود على المؤلف ما بالكتاب من حسن وقبح وفائدة وضرر، ونسخة "حاجى بابا فى لندن" هى نسخة أخرى، تعبر عن تدليس الإنجليز، كما أن الإيرانيين على نفس الحال، بل إن التدليس لدى المسلمين عامة، وإن شاء الله سيترجم هو الآخر، ولن يعاقب المترجم سواء من جانب الشرع أو العرف.

لم أقل هذا من عندى ... فقد قلت ما قاله القائل(٢)

موريه وكتاب حاجى بابا:

ألف جيمس موريه كتاب حاجى بابا بهدف نقد الإيرانيين وكشف أوجه القبح فى العادات والتقاليد الإيرانية. وكان جيمس موريه أصلا من أهالى فرنسا وحاصل على الجنسية البريطانية. ولد عام ١١٩٤ هـ.ق (١٧٨٠م) فى أزمير واطلع بها على الآداب الشرقية واللغتين التركية والفارسية. وألحقه والده القنصل البريطانى فى إسطنبول بالعمل فى وزارة الخارجية.

---

(١) إيرج أفشار: ميرزا حبيب أصفهانى، مجلة يغما، العام الثالث عشر، العدد العاشر.
(٢) ايرج افشار: آثار ميرزا حبيب أصفهانى، مجلة يغما، العام السادس عشر، العدد الثانى.

وفى عام ١٢٢٣ هـ.ق موريه مع السير هارفورد جونس السفير البريطـانى إلى إيران للعمل سكرتيرا للسفارة، فوصل إلى طهران فى الثامن والعشرين من ذى الحجة من نفس العام.

وظل سكرتيرا للسفارة البريطانية فى إيران لمدة ست سنوات على فتـرتين (المرة الأولى منذ ذى الحجة ١٢٢٣ حتى ربيع الأول ١٢٢٤ هـ.ق، والمرة الثانيـة منذ جمادى الآخرة ١٢٢٥ هـ.ق حتى ذى القعدة ١٢٣٠ هـ.ق).

وعمل نائبا للسفير فى الفترة التى كان يغيب فيها الأخيـر عـن طهـران، وتورط فى عقد معاهدة جلستان المشئومة وتحديد الحـدود الجديـدة بـين إيـران وروسيا وكذلك توقيع المعاهدة الأكثر شؤما بين إيران وإنجلترا.

واطلع موريه خلال إقامته فى إيران علـى أخـلاق الإيـرانيين وعـاداتهم وخاصة القادة ورجال الحكومة، وكذلك خلال رحلته الثانية مع السيد جور أوزلـى السفير البريطانى، فقد رافقه ممثل إيران ميرزا أبو الحسن خان وسبعة إيرانيين من الطبقات المختلفة –المشرف والطاهى والحارس والخادم– واختلط بهم عـن قـرب وتعرف على أحوالهم وأفكارهم عن طريق الحوار والسخرية والجـدل مـع هـذه المجموعة، فهيأت هذه الرحلة له الفرصة لجمع موضوعات كثيرة لكتابه وحكاياته.

صدر كتاب حاجى بابا الأصفهانى فى لندن عام ١٨٢٤م (١٢٣٩ هـ.ق) بعد عشر سنوات تقريبا من عودته الأخيرة من إيران، وأثار نشره جدلا فى الأوسـاط الأدبية: ورأى أكثر من انتقدوا الكتاب أنه كتاب ممل بشكل عـام وغيـر متـرابط ومشحون بتكرار مبتذل بالرغم من أنه كتاب جدير بالقراءة ويضم أجـزاءً طيبـة. ولكن فريقا آخر من الأدباء والمفكرين من بيـنهم الروائـى الاسـكتلندى الـشهير والترسكوت يعتبرون الكتاب قطعة أدبية جميلة مـشحونة بـالفولكلور ورأوا أنهـا تستحق أن تصنف فى مرتبة واحدة مع قصة "جيل بلاس" للاساج.

والحقيقة أن موريه قد حاكى "جيل بلاس"فى بناء القصة وتفاصيلها. فحاجى

بابا يخرج من طبقة العامة مثل بطل قصة لاساج، وتفوق على أقرانه من نفس الطبقة ثقافيا ووقع مثله فريسة اللصوص وقطاع الطرق وشاركهم أعمالهم جبرا وتعلم الطب على يد رجل مشعوذ ومارس الطب بمهارة، وعشق النساء وسعى لجمع المال وأخيرا وصل إلى مكانة رفيعة بعد حياة مشحونة بالمتناقضات. كما أن المشاهد وتصاعد الأحداث وأسلوب الكتابة تكاد أن تكون واحدة كما أن أسماء الشخصيات فى العملين وصفية ومتشابهة.

على كل حال يعد كتاب حاجى بابا الكتاب الوحيد من بين مؤلفات موريه الذى لفت أنظار القراء ولا يعادله من حيث أسلوب الإنشاء والمهارة فى عرض الموضوع أى من كتابيه فى الرحلات اللذين طبع الأول منهما عام ١٨١٢ م والثانى بعد ست سنوات والذى يضم شرحا لرحلاته إلى إيران وأرمينية وآسيا الصغرى؛ وينطبق هذا الأمر كذلك على قصته الأخرى المسماة حاجى بابا فى لندن التى صدرت بعد أربع سنوات من حاجى بابا الأصفهانى (١٨٢٨م) وتعد فى الحقيقة متمما للكتاب الأول أو الجزء الثانى فيه. وبسبب هذا الاختلاف الكبير ظن البعض أنه قد ألف الكتاب الأول بمساعدة أحد الإيرانيين وألف الثانى بدون مساعدة، أو ظنوا أن الكتاب كان قد ألف بالفارسية ثم ترجم إلى الإنجليزية.

كُتب حاجى بابا على هيئة قصة ونجح المؤلف إلى حد كبير فى رسم الشخصيات وحياتهم. وقد وصف الكتاب بمهارة وفن فتحعلى شاه ذلك الأمير "الذى يبطن التصوف والوجد ويُظهر أنه من أهل الشريعة والكلام، وكذلك وصف الوزير الأعظم (ميرزا شفيع) بهيئته النحيفة وأخلاقه الدنيئة وطمعه وخسته وحب التجمل واهتمامه الشديد بالنساء وحبه لسماع كلمات الإطراء الكاذبة من قبل رجال البلاط وحذره من العلماء، ورسم كذلك صورة لابن بائع الخضر الأصفهانى (الحاجى محمد حسين أمين الدولة) بقبح شكله وغلظة تصرفاته "حيث كان يملأ صناديق الشاه بالذهب دون أن ينسى نفسه" وصور السفير الفرنسى (الجنرال جاردان مبعوث نابليون) وميرزا الأحمق (ميرزا أحمد كبير أطباء الشاه) وملك الشعراء

(فتحعلى خاب صبا الكاشانى)[1] وميرزا فيروز (ميرزا أبا الحسن خان، كبير موفدى إيران إلى البلاط البريطانى وهو ابن أخت الحاج إبراهيم خان كلانتر الشيرازى وصهره). وعرض بأسلوب شيق يطابق الواقع تفاصيل ذهاب الشاه سيرا إلى قُم، ومعسكره الصيفى فى روضة سلطانية وإجراء مراسم احتفالات عيد النيروز وغير ذلك من المشاهد. وحكاية يوسفى الأرمنى وتخليصه خطيبته مريم من قصر حاكم إيروان قصة حقيقية، وقد ذكر هذا الموضوع صاحب الديوان ميرزا تقى العلى آبادى شرحا وتفصيلا فى نص أدبى كما ذكرها موريه ببعض الاختلافات فى المجلد الثانى من كتابه للرحلات.

ومن الناحية الموضوعية لم يرغب المؤلف بالطبع أن يتحدث فى كتابه عن محاسن وفضائل الإيرانيين ومآثر إيران القديمة، ولكن كان هدفه الأصلى عرض مشاهد محلية واستعراض أخلاق الإيرانيين وعاداتهم من خلال القصة، وبناء على هذا لا يضيرنا أن الكاتب تعرض لمسائل مثيرة للنقد خلال استعراضه لحياة الإيرانيين السياسية والاجتماعية فى كتابيه للرحلات وقصتيه. ولا ننكر أن الدخل غير المشروع والرشوة "كانت من آفات قادة إيران وكبار رجالها" فقد كان فى إيران ولا يزال عظماء "لا يقلون مطلقا عن يزيد" يرتدون لباس الإيمان الظاهرى كما رأى وشاهد المؤلف.

أما الأمر الجدير بالذكر أن المؤلف لم يكن منصفا وغير مغرض إلى أقصى درجة فى تصوير هذه العيوب والمفاسد، وعبر عن تردى أخلاق بعض الطبقات من الشعب الإيرانى بمبالغة كبيرة عن الواقع. نشر متن حاجى بابا الأصلى عدة مرات فى إنجلترا وترجم لمعظم اللغات، وقد عرفت موضوعاته لا باعتبارها قصة

---

(١) يسمى ملك الشعراء هذا فى النص الإنجليزى وفى ترجمة شوكة الوزراء "عسكر"، ولد فى كرمان ولكنه يسمى فى ترجمة ميرزا حبيب "فتحعلى" وولد فى كاشان، وبيَّن المترجم أن "المؤلف ربما لم يرغب فى سرد قصة ذلك الرجل فتحعلى خان صبا الكاشانى باسمه صراحة".

لطيفة ولكن باعتبارها دليلا لأخلاق الإيرانيين وعاداتهم.و ظـل لـسنوات طويلـة مرشدا للأوروبيين لصفات الشعب الإيرانى وأخلاقه. وكم من الأشخاص الـذين – على حد قول براون– غرر بهم لقراءة الكتاب وظنوا أن كافة الإيرانيين يتـصفون بتلك الصفات التى طرحها موريه.

وبالطبع لم يكن من الفطنة الطعن فى أمة بأسرها بالأخطاء الناتجـة عـن سذاجة الناس وأسلوب الإدارة المعوج وفقدان وسائل التربية والتعليم وليدة الظروف المحلية والسياسية بشكل عام والتى تتعلق غالبا بالطبقات المتميزة المحدودة، وكذلك اعتبار كافة الأهالى فاسدين وجعلهم محطا للسخرية.

وماذا عسانا أن نقول عن السياسيين والموفـدين الرسـميين لتلـك الـدول المتحضرة والمتمدنة الذين دعموا فى رجال هذه الأمـة الجهـلاء الغـافلين تلـك الصفات الرذيلة عن طريق تقديم الهدايا والوعود الصادقة والكاذبة من أجل تحقيق أهدافهم، والذين جعلوا مصير الأمة معتما عن طريق الخلق المتعمد للفـساد فـى الجهاز الحاكم والحصول على الامتيازات غير المشروعة والمشئومة.

وفيما يتعلق بسبب تسمية الكتاب يجب القول إن السير هارفورد جونس بينما كان يغادر إيران متوجها إلى بريطانيا (عام ١٢٢٦ هـ.ق) طلب منه ولـى العهـد الأمير عباس ميرزا أن يصطحب معه شابين إيرانيين إلى إنجلترا لإتمام الدراسات العليا، كان أحدهما ميرزا بابا أفشار نجل واحد من رجالات عباس ميرزا، والـذى أتم دراسته عام ١٢٣٤ هـ.ق فى الطب والكيمياء، وعاد إلى تبريز فـى صـفر أو ربيع الأول عام ١٢٣٥ هـ.ق وعمل طبيبا فى بلاط ولى العهد وبعدها لدى محمـد شاه باسم ميرزا بابا كبير الأطباء.[1]

ويقال إن الدارسين الإيرانيين لم يشعرا بالرضا بسبب تقصير موريـه فيمـا

---

(١) ويسمى الآخر محمد كاظم وهو نجل كبير الرسامين لدى ولى العهد، والذى أوفد إلى إنجلترا لدراسة فن التصوير. ومات هذا الشاب بعد ثمانية عشر شهرا من الإقامة فى لندن بمـرض السل.

يتعلق بشئونهما الدراسية فى إنجلترا، وكان ميرزا بابا على وجه الخصوص يحول دون استيلاء موريه على نفقات تعليمهما، لذا كن له العداء، وربما لهذا السبب أطلق اسمه على كتابه أو ربما لأن اسم حاجى بابا يبدو مضحكا من وجهة نظره من حيث التركيب اللفظى.

وكان موريه قد كتب فى رسالته التى بعثها من لندن فى ديسمبر ١٨٢٣ م (ربيع الأول ١٢٣٩ هـ.ق) أى قبيل نشر حاجى بابا إلى أحد أصدقائه المقيم فى إسطنبول شرحا للقصة من قبيل أصلها ومصدرها والسبب فى تسميتها، فقال إن أحد موظفى فتحعلى شاه يسمى حاجى بابا قد قدم له هذه المذكرات تذكارا وتقديرا له بينما كان عائدا من إسطنبول، حيث كان قد مرض فى مدينة توقات من مدن أرمينية العثمانية فعالجه موريه، وقام بترجمتها إلى الإنجليزية، ومع ذلك فهذا الموضوع مفتعل والواضح أن موريه قد اقتبس عنوان كتابه من اسم حاجى بابا أفشار كما ذكرنا وأن ميزا بابا كبير الأطباء ظل غاضبا بسبب أنه أطلق اسمه بجرأة على كتابه وسخر من العادات الإيرانية. (١)

حاجى بابا فى ترجمة ميرزا حبيب:

يعد الأسلوب النثرى الذى كتب به ترجمة ميرزا حبيب من أفضل أساليب النثر فى المرحلة الأخيرة فالكتاب عن آخره مكتظ ومزين بأشعار مناسبة للمترجم نفسه وأساتذة الشعر الفارسى وكذلك بالآيات والأحاديث والأمثال والمصطلحات وكأنه قد ألف فى الأصل بالفارسية، ووفقا لقول ملك الشعراء بهار "إنه يقلد حينا الجلستان من حيث الرصانة والانسجام واللطف والنصح ويحاكى أحيانا النثر الأوروبى خلال سرد القصص وإثارة النفوس وخلق الفضول لدى القارئ. فهو بسيط وفنى أيضا، يوافق الأسلوب القديم لأساتذة النثر ويساير كذلك الأسلوب الحديث لمؤلف الرواية، وهو فى المجمل أحد روائع القرن الثالث عشر

---

(١) Stuart, Journey etc., p.169؛ (نقلا عن عباس اقبال، مجلة يادگار، العام الأول، العدد الخامس)

الهجرى."[1] وقد طبع كتاب حاجى بابا الذى ترجمه ميرزا حبيب الأصفهانى عـدة مرات فى كلكتا ولاهور وطهران.

كتابان فى قواعد اللغة:

نشر ميرزا حبيب أثناء إقامته فى إسطنبول عدة كتب أخرى من أعماله ومن المتون القديمة، ومن بينها كتاب فى قواعد اللغة الفارسية الذى سبقت الإشارة إليه. وأعد هذا الكتاب خلال تدريسه اللغة الفارسية والنحو والصرف للألمانى فارمونـد وطبعه تحت عنوان "دستور سخن: نحو المقال" عام ١٢٨٩ هـ.ق.[2] وصار هـذا الكتاب فيما بعد مصدرا ودليلا للآخرين، وكتب عبد العظيم الجرجـانى المـدرس بالمدرسة العلمية ثلاث مجموعات فى قواعد الفارسية مستعينا به.[3]

ويقول المؤلف فى مقدمة "نحو المقال": "لقد عملت لفترة من الوقـت معلمـا للغتين الفارسية والعربية فى الأوقات التى ابتعدت فيها أنا العبد حبيب الأصـفهانى عن مقامى بمقتضى القدر السماوى وأقمت فيها بالأستانة العلية إسطنبول. وعلمـت من خلال التدريس أن المثقفين والأدباء فى تلك الديار مقبلون على اللغة الفارسـية بشدة، ولكن لا توجد قواعد ولا نظام سليم لتعلمها. ونظرا لأن المتحدثين بالفارسية لم يقعدوا للغتهم الأم كما أن الدارسين للفارسية لم يفهموا ما قيل فى أصول وقواعد تلك اللغة، فحدثت نفسى فى هذا الموقف قائلا كيف تظل لغة بهذا القدم واللطف كما أرى بلا تنظيم أو ترتيب؟! فمن هذا المنطلق يعجز الإنسان الذى يرغب فى الكتابة والقراءة. وأعددت كتيبا أولاً: لا يضم قواعد الفارسية فقط بل يشتمل على الأسـس الأصلية للفارسية وطريقة استخدام الكلمات المأخوذة عن اللغة العربية. ثانياً: أكثـر

---

(١) سبك شنساسى، ج٣، ط٢، ص ٣٦٦

(٢) يقول مخبر السلطنة فى (خاطرات وخطرات) ص ١١ " حصلت على نسخة منـه تطـابق النسخة الألمانية" ويقصد هدايت كتاب فارموند المسمى

Praktisches Handbuch der Neupersischen, Giessen, 1845.

(٣) مخبر السلطنة هدايت: خاطرات وخطرات ص ١١.

الشواهد التى قدمتها لموضوعاته من الأشعار الشهيرة، فكل منها يعد فى مقام مثل، ويمكن قولها أثناء الحوار فى الوقت المناسب. ثالثا: قدمت فى بعض الموضوعات أمثلة كثيرة لتيسير القراءة السليمة إلى جوار معرفة القواعد السليمة أيضا. رابعـا: وضحت التغييرات المشهورة والمعروفة فى الكلمات العربية التى يستخدمها الناطقون بالفارسية سواء فى الحوار أو الكتابة حتى لا يعتقد القراء أن تلك التغييرات خطأ عند الإيرانيين فى لغتهم الأم. خامسا: كتبت الموضوعات الفارسية والعربية المرتبطة بذلك معا، لأن هذه الموضوعات لا يمكن قولها فى موضع آخر بالعربية حيث لم يبق من المعنى العربى لهذه التغييرات وجود. سادسا: التزمت فى المصطلحات والتعبيرات الصرفية والنحوية بما هو شائع ومعمول به، حتى لا يحدث خلط فى هذه القواعد".

ونشر ميرزا حبيب تحت رعاية حسنعلى خان أمير نظام جروسى بعد عدة سنوات من تأليف "نحو المقال" "دبستان پارسى: مدرسة الفارسية" عام ١٣٠٨ هـ.ق وهو خلاصة واختصار لنحو المقال. وكتب فى مقدمته:

"أنا العبد الخجول حبيب الأصفهانى عندما أدركت بعد كتابه كتاب نحو المقال وطباعته أن تلك الطبعة تكاد تنفذ، وأن هذه النسخة تبدو مفصلة إلى حد ما فى اعتقاد البعض أردت أن أعد كتيبا بنفس اللغة ثانية ليستفيد منه الناطقون بالفارسية عامة ويتعلم منه أطفال الكتاتيب والمدارس الابتدائية قواعد لغتهم. فكتبته مختصرا عن النسخة السابقة ولكنه أكثر شمولا من حيث المعنى وجعلت به قسما عربيا، وسميت هذا العمل الذى استغرق منى عدة سنوات باسم "مدرسة الفارسية".[١]

بعض أعمال ميرزا حبيب الأخرى:

ومن أعمال ميرزا حبيب الأخرى "غرايب عوايد ملل: غرائب عادات

---

(١) مقدمة المؤلف على "دبستان پارسى" إسطنبول، ١٣٠٨هـ.ق.

الشعوب[١]" و "بررگ سبز: الورقة الخضراء"[٢] فى أسس تعليم اللغة الفارسية، "خط وخطاطان: الخط وخطاطون"[٣] باللغة التركية، "خلاصة رهنماى فارسى: خلاصة المرشد للفارسية"[٤]، و "رهبر فارسي: المرشد للفارسية"[٥]، وطباعة ديوان "الأطعمة" لأبى إسحاق الحلاج الشيرازى مع شرح للكلمات فى نهاية الكتاب[٦] وكذلك "ديوان البسه: ديوان الملابس" لنظام الدين محمود القارئ اليزدى[٧] ومنتخبات لعبيد زاكانى مع مقدمة بالفرنسية لفرته.[٨]

وقد ترك ميرزا حبيب فضلا عن مؤلفاته المطبوعة المشار إليها الكثير من الأشعار والحكايات والأمثال والترجمات والمذكرات غير المطبوعة، وقد أحضر الأستاذ مجتبى مينوى كما ذكرنا صورة ضوئية منها عند عودته من رحلته إلى تركيا، ومن بينها ترجمة "جيل بلاس" التى طبعها باسمه الدكتور محمد خان الكرمنشاهى المعروف بـ (كفرى) وأدرك الأستاذ مينوى هذا الأمر بمطابقة النسختين.[٩]

كما ترجم هذا الرجل العالم مسرحية Misantbrope لموليير بعنوان "مردم گريز: الهارب" ونشرها بداية فى صحيفة اختر ثم نشرها بشكل مستقل بعد ذلك.[١٠]

---

(١) طبعة إسطنبول، ١٣٠٣ هـ.ق.
(٢) طبعة إسطنبول، ١٣٠٤ هـ.ق.
(٣) طبعة إسطنبول، ١٣٠٥ هـ.ق.
(٤) طبعة إسطنبول، ١٣٠٩ هـ.ق.
(٥) طبعة إسطنبول، ١٣١٠ هـ.ق.
(٦) طبعة إسطنبول، ١٣٠٢ هـ.ق.
(٧) طبعة إسطنبول، ١٣٠٣ هـ.ق.
(٨) طبعة إسطنبول، ١٣٠٣ هـ.ق.
(٩) إن مجتبى مينوى ثقة وقوله حجة، وإن كانت ترجمة جيل بلاس (ط ١٣٢٢ هـ.ق) أكثر جمودا من ترجمة حاجي بابا إلى حد ما إلا أنها تشبه أسلوب ميرزا حبيب النثرى ومع كل هذا لا أستطيع أن أقنع نفسى أن رجلا فاضلا وعالما مثل الدكتور محمد الكرمنشاهى يسرق محصلة مجهود الآخرين دون أى سبب وينسبه إلى نفسه.
(١٠) لقد أشرت إلى هذه الترجمة قبل ذلك تفصيلا عند الحديث عن كتابة المسرحية، وعندى نسخة منها، فقدت منها الصفحة الأولى ولا تحتوى تلك النسخة على اسم المؤلف والمترجم، ومعلوماتى أنها ترجمة ميرزا حبيب الأصفهانى استنادا إلى قول إيرج أفشار (مجلة يغما، العام الثالث عشر، العدد العاشر).

الحديث التاسع:

سقاية حاجى بابا من باب الاضطرار

"قال حَمَّار ناصحا: بنى، أنت شاب موهوب وقوى، فصيح وحسن الصوت، بشوش، ساخر. تستطيع أن تشجع الناس على شرب الماء بالصوت الجميل، وتأسر القلوب بالاستهزاء والسخرية. يأتى زوار مشهد للحصول على الأجر والثواب، وهم لا يقصرون فى شىء فى سبيل النجاة من النار وإدراك الجنة. فمن يخرج عليهم من باب الخيرات والمبرات يفز بعطاياهم وصدقاتهم. هيا؛ بع الماء فى ذكرى شفاه كربلاء الظمآنة. وعليك أن تتظاهر بالعمل فى سبيل الله، وفى الواقع إن لم تأخذ المال لا تعطى رشفة ماء لأى شخص.

فبعد ما يشرب الإنسان، قل برياء عبارات ندية؛ هنيئا، العافية، هنيئا مريئا، بالهناء، لتسقيك شفاة كربلاء الظمآنة بالشفاعة، لتشرب كأس الشفاعة من يد العباس ابن على المبتورة! ومنهم بمثل هذه الكلمات فالأمل يؤثر كثيرا على المحزونين، واجعل صوتك عاليا كى يسمعه الجميع، وقل كثيرا من اللطائف حتى يضحك الجميع وانشد كثيرا من الأشعار التى تعجب الجميع وانظر إلى حمق الزوار وسذاجتهم؛ فهم يتكبدون نفقات باهظة من ديارهم البعيدة مع كل هذا الخوف من التراكمة ويأتون للزيارة. فما الأمر الذى لا يمكن فعله مع هؤلاء؟! يمكن خداعهم بسهولة. عقولهم فى عيونهم، وقد غطى عيونهم حجاب قلة العقل، فهم لا يرون ولا يفهمون.

اجعل كل ما تقوله باسم الله والرسول، ولا تفعل غير ذلك. لقد قمت منذ فترة سابقة فى نفس المكان بنفس العمل واشتريت من مال السقاية قافلة البغال التى تراها الآن.

اشتريت قربة جديدة عملا بقول الحَمَّار وزماما من السلاسل وحزاما من الجلد وعقدت على خصرى عددا من الخطافات الصينية وعلقت بها عددا من آنية الشرب منقوشة بـ "قل هو إلهى"، وعددا من الأجراس والجلاجل. ووضعت القربة ليومين أو ثلاثة فى الماء ثم ملأتها، ودخلت إلى صحن مرقد الإمام الرضا وجاء دور عرض موهبتى، وكان مطلع كلامى: سلام الله على الحسين ولعنة الله على قاتل الحسين.

اشرب الماء وقل لعنة الله على يزيد   واجعل الروح فداءً لمرقد ملك الشهداء

عجبا عندى ماء هنئ، يشفى القلب الظمآن؛ يسقط الأسنان، يروى الظمآن ويجعل المرتوى ظمآنا، تُروى به رياض الجنة، وتُطفأ به نار جهنم... ولما عملت يومين على النحو الذى نصحنى به الحَمَّار صار أستاذا لى. فالمعروف فى هذه الأمور أن العلم يأتى من الممارسة والعمل.

ما إن وقع ناظر سقاة مشهد علىَّ، جف الماء فى أفواهم فهبوا متنافسين وأرادوا سد نبع فنى بحجة أنه ليس من حقى السقاية هناك، بمعنى ألا يمنحونى الماء من الخزان للسقاية. ولكن وجدوا أن منافسهم ليس ضعيفا فمن الممكن أن يضرب ويمزق قربهم جميعا، فغضوا طرفهم عنى. وكأن الله كان قد خلقنى للسقاية.

كنت أبيع ماء الخزان ودور السقاية المختلط بالطين كريه الرائحة على أنه ماء زلال من عينى تسنيم والكوثر. ولا تعلمون كم كنت أحصل من الظمآنين. كنت أحصل على ثمن القربة من عشرة أشخاص ثم أبيعها ثانية. كنت أعقد ناظرى دائما على وفود الزوار حديثى الوصول توا والغبار على وجوههم، فكنت أدفع إناء الماء إلى يدهم قائلا بسم الله، فى سبيل الله، حمدا على السلامة من الأمراض والبلاء، ارشفوا جرعة ماء فى ذكرى شفاه صحراء كربلاء الظمآنة. عطروا رءوسكم ووجوهكم بماء ورد مشهد المنورة واجعلوا قربة ماء فى سبيل الله. وكنت أنشد أحيانا أشعارا لميرزا أحمد أيضا بصوت جميل:

شعر

رطــب حلقــك يـــا ظمـــآن للرحمـــة	**وتـــذكر فــوران حــوض الكــوثر**
واصـــقل بالمـــاء مـــرآة القلـــب	**ثم اذكر بقلبك العبـاس بــن علــى**
هذا ليس ماءً بل هو قطرة من الكوثر	**هذه ليست قربة، فهذه بئر زمــزم**
وكــانت عينه عــينـــا سلــسبيلاً	**وكــان مــزاجــه مــزاجا زنجبيلاً**

كنت أعرض على الزوار بهذا النحو المفصل من الكــلام والــشعر أن أول ثواب هو ثواب شرب الماء، وماء مشهد، الماء الخاص بى وكان إحسان الــزوار وإنعامهم علىَّ لا حد له. لم تكن قطرة من الماء تذهب هباءً ولا كلمة من أشعارى.

ولما هلت أيام عاشوراء التى تجعل الإيرانيين حمقى بسبب المصيبة والعزاء والبدع التى لا أصل لها، وأردت أن أستعرض فنى فى التجــوال بالقربـــة، وأقــيم العزاء فى يوم عاشوراء فى ميدان الديوان الذى يعد مسرحا للعرض فى أيام محرم وذلك فى حضور الأمير والى خراسان.

فى العام الماضى كان أحد السقاة يسمى "جاوميش" قد فاز على الجميع فــى سباق التجوال بالقربة. قالوا يجب الحذر من "جاوميش" فلديه آلة جارحة ولا يملــك قلبا. فلم أهتم. وحان الوقت. جلس الأمير فى شرفة عند بداية الديوان ووقف حوله الأكابر والأعيان. دخلت ملطخا بالدماء عن أخرى من جراح السيوف؛ عاريا حتى خصرى، على كتفى قربة ضخمة للغاية مليئة بالماء، ووصلت أسفل الغرفة لاهثــا وعلى كتفى حمل ضخم، وبدأت أنشد الرثاء واستهللته بمدح الأمير. فــسر الأميــر وأنعم على بعملة ذهبية وتعجب الناس لإحسانه وتحيروا لما أنـــا عليــه. ولإثبـــات فضلى، طلبت طفلا صغيرا وأجلسته على القربة، وقدمت مــشهدا آخــر، فتعالــت صيحات الناس أحسنت أحسنت.

ومن صيحات الاستحسان جرى فى عروقى الكبر وطلبت طفلا آخر لأجلسه على القربة. فانتهز جاوميش الفرصة. وقفز هو نفسه على القربـــة وجلــس مـــع

الأطفال. ولم ألتفت إلى ثقل ما أحمله وتماسكت قليلا، ولكن صــدر صــوت مــن فقرات ظهرى. انحنى خصرى وتحول كتفى إلــى اللــون الأزرق مــن صــلابة السلاسل، وتمزق جسدى عن آخره.

وضعت القربة على الأرض ولم أشعر بالألم فى حينها ولكن بعد عدة دقائق علمت أن جاوميش قد فعل فعلته، ولم أعد قادرا على حمل القربة. لهذا السبب بعت مستلزمات السقاية وكنت أفضل حالا من وقت قدومى إلى مشهد بــالأموال التــى جمعتها من السقاية.

كان مستشارى على الحَمَّار قد ذهب إلى طهران للحصول على أجره ولــم أكن أستطيع أن أسأله النصح. أردت مقاضاة جاوميش وآخذ دية. قالوا لى لا فائدة: إن حادثتك تبدو فى الظاهر خدشا ولا يوجد فى الشريعة نــص صــريح للخــدش. أردت اللجوء إلى محامى للمرافعة؛ قالوا إياك أن تلجأ إلى محامى حيــث ســيبطل ذلك دعواك وسيسلبك أيضا ما تملك. وأرادوا أن يضيعوا حقى هباءً، ولــم أقبــل. على كل حال كُسر ظهرى، وبُح صوتى.

المراجع والمصادر

١-آدميت، فريدون:

١) اميركبيروإيران، چاپ دوم، تهران، ١٣٣٣ش.

٢) فكرآزادى ومقدمة نهضت مشروطيت إيران، تهران، ١٣٣٥ش

امين الدولة، ميرزا على خان: خاطرات سياسى- به كوشش حافظ فرمانفرمائيان، تهران، ١٣٤١ش

براون، ادوارد: انقلاب إيران، ترجمهء احمد پژوه، چاپدوم، تهران، ١٣٣٨ش.

پاولولچ، ترايا- ابرانسكى: انقلاب مشروطيت إيران وريشه هاى اجتماعى واقتصادى آن، ترجمهء م. هوشيار، تهران، ١٣٣٠ش.

تيمورى، إبراهيم: عصر بى خبرى باتاريخ امتيازات درإيران، تهران ١٣٣٢ش.

خان ملك ساسانى، أحمد: سياستگران دورهء قاجار، تهران، ١٣٣٨ش.

سايكس، ژنرال سرپرسى: تاريخ إيران، ترجمهء سيد محمد تقى فخرداعى، تهران، ١٣٣٥ش.

فرهاد معتمد، محمود: تاريخ روابط سياسى إيران وعثمانى، جلد دوم، تهران.

فوريه دكتر: سه سال دردربار إيران (١٣٠٦ - ١٣٠٩) ترجمهء عباس اقبال، تهران، ١٣٢٦ش.

كسروى، احمد: تاريخ مشروطة إيران، چاپ چهارم، بخش يكم.

مكی، حسین: زندگانی میروا تقی خـــان امیركبیـــر، چاپسـوم، تهـــران، ۱۳۳۷ش.

ملك آرا، عباس میرزا: شرح حال-، به اهتمام عبد الحسین نوائی، تهران، ۱۳۲۵ش

ناظم الإسلام، محمد: تاریخ بیداری ایرانیان، تهران، ۱۳۳۲ش.

هدایت، مهدیقلی، خاطرات وخطرات، تهران، ۱۳۲۹ش.

۲- چاپ وچاپخانه

اقبال، عباس: نخستین روزنامهء چاپی درایران، یادگار، سال ۱، شماهء ۳، صفحات ۳۹-۵۲.

براون، أدوارد: تاریخ مطبوعات وادبیات ایران، ترجمهء محمد عباســی، جلد دوم، تهران ۱۳۳۷ش.

برتلس، ی. أ: تاریخ مختصر ادبیات إیران، لنین گراد، ۱۹۲۸م (روسی).

تربیت، محمد علی:

۱) مبدأ تاریخ ایرانشناسی در اروپ، مجلة ارمغان، سال ۱۲، شمارهء ۷، صفحات ٤٤٨-٤٥٦.

۲) تاریخ مطبعه ومطبوعات إیران، مجلة تعلیم وتربیت، سال ٤، صفحات ٦٥٧-٦٦٤ و ۷۲۱-۷۲٤.

۳) تأسیس مطبعه وآغاز روزنامه نگاری در إیـــران، بـــاختر، ســـال ۲، صفحات ۱۹۳-۱۹۸.

تقی زاده، سید حسن: چاپخانه وروزنامه در إیران، "روزنامهء كاوه، ســال دوم دورهء جدید، شمارهء ٥، صفحات ۱۱-۱٤.

جواهر کلام، علی: چاپخانه درایــران، نامـــهء راه (راه نــو)، ســال ٤، صفحات ٢٤٣-٢٤٤.

دهخدا، علی اکبر: لغت نامه، ذیل چاپ، صفحات ٣-١٥

مینوی، مجتبی، کاروان معرفت، مجلهء یغما، سال ٦، شمارهء ٨.

٣- روزنامه و روزنامه نویسی

آدمیت، فریدون: امیر کبیر وایران، چاپ دوم، تهران، ١٣٣٤ش.

اعتماد السلطنة، محمد حسن خان:

١) المآثر والآثار، تهران، ١٣٠٦-١٣٠٧، باب ٨، ص ١٥٩.

٢) منتظم ناصری، جلد سوم، تهران، ١٣٠٠.

اقبال، عباس:

١) نخشین روزنامهء فارسی چاپی درایران، مجلهء یا دگار، ســال ١، شمارهء ٣، صفحات ٤٩-٥٤.

٢) تاریخ رزنامه نگاری در ایران، مجلة یادگار، سال ١، شـــماره ٧، صفحات ٦-١٧.

٣) براون، ادوارد: تاریخ مطبوعـــات وادبیـــات ایـــران در دورهء مشروطیت، ترجمهء محمد عباسی، جلد دوم، تهران ١٣٧٧ ش.

برلتس، ی.أ: تاریخ مختصرادبیات ایران، لینگراد، ١٩٢٨ (روسی).

تقی زاده، سید حسن: روزنامـــه نگـــاری در ایـــران درقـــرن ســـیزدهم، روزنامهء کاوه، سال ٢ دورهء جدید، شمارهء ٦ صفحات ١٣-١٦.

صدر هاشمی، محمد:

۱)	چندروزنامهء مهم در زمان ناصر الدين شاه، مجلهء يادگار،سال ۲، شماره ۳ صفحات ۵۱-۶۱ شمارهء ٤، صفحات ۵۱-۵۷.

۲)	تاريخ جرايد ومجلات إيـران در ٤ جلـد، اصـفهان، ۱۳۲۷-۱۳۳۲ش.

صفى نيا، رضا: راجع به تاريخ روزنامه نگارى در إيران، مجلهء يادگار، سال ۲، شمارهء ۱، صفحات ۳۱-۳۷.

كسروى، احمد: تاريخ مشروطهء إيران، چاپ چهارم، بخش يكم، تهران.

مشيرى، على: اولين روزنامهء ايرانى، مجلهء سخن، سال ١٤، شـمارهء ۷، صفحات ٦٠٩-٦١١.

مينوى، مجتبى: كاروان معرفت، مجلهء يغما، سال ٦، شمارهء ۸.

٤- دار الفنون

آدميت، فريدون: اميركبير وايران، چاپ دوم، تهران، ١٣٣٤ش.

اعتماد السلطنة، محمد حسن خان: مرآت البلدان، جلد سوم، ١٢٩٦ه.ق.

اقبال، عباس: بعد ازصدسال، مجلهء يادگار، سال ٥، شماره هاى ٤-٥.

براون، ادوارد: تاريخ مطبوعات وادبيات ايـران در دورهء مـشروطيت، ترجمهء محمد عباس، جلد سوم، تهران، ١٣٤١ش.

برتلس، ى.أ: تاريخ مختصر ادبيات ايران، لنين گراد، ١٩٢٨ (روسى).

روزنامهء وقايع اتفاقيه، نمرة ٢٩ و ٣٣ مورخ ٤ شوال ١٢٦٧.

و٣ سفر ١٢٦٨ هـ ق.

سپهر، ميرزا محمد تقى: ناسخ التواريخ، جلـد قاجاريـه، وقـايع سـال ١٢٦٨هـ ق.

هدایت، مهدیقلی، خاطرات وخطرات، تهران ۱۳۲۹ ش.

٥- رضاقلی هدایت:

اعتماد السلطنه، محمد حسن خان: مـرآت البلـدان، جلـد دوم، تهـران، ۱۲۹٥هـق.

اقبال، عباس:

۱) امیر کبیر ومرحوم هدایت، نـشریهء وزارات امـور خارجـه، دورهء ۲، شمارهء ۱، صفحات ٤١-٤٦.

۲) امیر کبیر ومرحوم هدایت، مجلهء یادگار، سال ٤، شـمارهء ٤، صفحات ۹-١٤.

برتلس، ی.أ: تاریخ مختصر ادبیات ایران، لنین گراد، ۱۹۲۸ (روسی).

بیانی، دکتر مهدی: احوال وآثار رضاقلی هدایت معروف بـه لله باشـی، مجلهء پیام نو، دورهء ٦، شمارهء ۱۲، صفحات ۲۷-۳۳.

دهخدا، علی اکبر: لغت نامه، ذیل هدایت

هدایت، رضاقلی خان، مجمع الفصحاء، چاپ دوم، جلـد شـشم، تهـران ۱۳٤۰ ش

هدایت، مهدیلقی: خاطرات وخطرات: تهران، ۱۳۲۹ ش

Churchill, Sidnay: a modern contributor to Perian

Literature, Rezá Kuli Khan and his works. JRAs 18, 1886, 196-296; v.ibid 19, 1887, 163-4.

Relation de l'Ambassade au kbarezm (khiv), pub. Trad, ch Schefer. 2 vol.

٦- اعتماد السلطنة

اعتماد السلطنة، محمد حسن خان: يك پرده از اسرار انحطاط ايـران يـا خوابنامه بامقدمهء شهيد نورائى، مشهد، ١٣٢٤ش.

اقبال، عباس: بعداز صد سال، مجلهء يادگار سال ٥، شمارهء هاى ٤-٥.

برتلس، ى.أ: تاريخ مختصر ادبيات إيران، لنين گراد، ١٩٢٨ (روسى).

تربيت، محمد على " دانمشندان آذربايجان، تهـران، ١٣١٤ش، صـفحات ٤٣-٤٥.

خان ملك ساسانى، احمد: سياستگران دورهء قاجار، تهران، ١٣٣٨ش.

قزوينى، محمد: وفيات معاصرين، مجلهء يادگار، سـال ٣، شـمارهء ٣، ص٣٦.

٧- محمد طاهر ميرزا

جنتى عطائى، ابو القاسم: بنياد نمايش در إيران، تهران ١٣٣٣ش.

نادر ميرزا: تاريخ تبريز، ١٣٢٣، صفحات ٢٢٩-٢٣٠.

٨- امين الدوله

امين الدوله، ميرزا على خان: خاطرات سياسى، تهران، ١٣٤١ش.

براون، ادوارد: انقلاب إيران، ترجمـهء احمـد پژوه، چاپ دوم، تهـران، ١٣٣٨ش

خان ملك ساسانى، احمد: سياستگران دورهء قاجار، تهران ١٣٣٨ش

فتحى، نصرت الله: يك سند منتشر نشده مربوط بـه تـاريخ مـشروطيت، مجلهء يغما، سال ١٥، شمارهء ٤، صفحات ١٧٦-١٨٠.

قرزینی، محمد: وفیات معاصرین - امین الدوله، مجلهء یادگار، سال ۳، شمارهء۳.

کسروی، احمد: تاریخ مشروطهء ایران، چاپ چهارم، بخش یکم، تهران.

ملك زاده، دکتر مهدی: تاریخ انقلاب مشروطیت ایران، جلد اول، تهران، ۱۳۲۷ش

ناظم الاسلام، محمد: تاریخ بیداری ایرانیان، چاپ دوم، تهران، ۱۳۳۲ش

۹- مستشار الدوله

آدمیت، فریدون: فکر آزادی ومقدمهء نهضت مشروطیت، تهران، ۱۳۳۵ش، صفحات ۱۸۲-۱۹۸.

تربیت، محمد علی: دانشمندان آذربایجان، تهران، ۱۳۱۳ش، صفحات ۳۳۱-۳۳۲.

ملك زاده، دکتر مهدی: تاریخ انقلاب مشروطیت ایران، جلد یکم، تهران.

ناظم الاسلام، محمد: تاریخ بیداری ایرانیان، چاپ دوم، تهران، ۱۳۳۲ ش، صفحات ۱۷۷-۲۰۴.

۱۰-کوشندگان

طابوف

اعتصام الملك، یوسف: طالبوف. مجلهء بهار، سال یکم، شماره های ۹ و ۱۰، ۱۳۲۹.

افشار، ایرج: شرح حال طالبوف وتألیفات او، مجلهء یغما، سال ٤، شمارهء ٥ ۱۳۳۰ش

برتلس، ی.أ: تاریخ مختصر ادبیات ایران، لنینگراد، ۱۹۲۸ م (روسی).

دولت آبادی، یحیی: حیات یحیی، جلد سوم، تهرا، ۱۳۳۰ش.

دهخدا، علی اکبر: لغت نامه، ذیل طالبوف.

شاه حسینی: ناصر الدین: طالبوف ومشروطیت ایران، اطلاعات ماهانـــه، سال ٤، شمارهء ٦، ۱۳۳۰ش.

دهخدا، علی اکبر: لغت نامه، ذیل طالبوف.

شاه حسینی، ناصر الدین: طالبوف ومشروطیت ایران، اطلاعات ماهانـــه، سال ٤، شمارهء ٦، ۱۳۳۰ش.

صفوت، محمد علی: داستان دوستان یا تذکرهء ادبا وشعرای "آذربایجـــان، قم، ۱۳۱۸ش.

فتحی، نصرت الله: یك سندمنتشر نشده مربوط بـــه تـــاریخ مـــشروطت..، مجلهء یغما، سال ۱۵، شمارهء ٤، ۱۳٤۱ش.

قزوینی، محمد: وفیات معاصرین، مجلهء یا دگار، سال ٥، شماره های٤ – ٦، ص ۸٦.

کسروی: احمد: تاریخ مشروطهء إیران، پچاهارم، بخش یکم.

یاسمی، غلا مرضا: طالبوف وکتاب احمد، مجلهء ایرانشهر، برلن، سال۲ شماره های، ٥–٦.

۱۱–حاجی زین العابدین مراغه ای

برتلس، ی.أ: تاریخ مختصر أدبیات ایران، لنینگراد، ۱۹۲۸ (روسی).

حاجی زین العابدین مراغی: ترجمهء حال مؤلف، سیاحتنامه ابراهیم بیگ، جلد سوم، کلکته، ۱۹۰۹م.

صدر هاشمی، محمد: تاریخ جراید ومجلات ایران، جلد اول، ص ٦٤.

کسروی، احمد: تاریخ مشروطهء ایران، چاپ چهارم، بخش یکم.

۱۲-میرزا ملکم خان

آدمیت، فریدون: فکر آزادی، تهران، ۱۳٤۰ش.

اعتماد السلطنة: محمد حسن خان: خوابنامه، مشهد، ۱۳۲٤ش.

افشار، ایرج: نثر فارسی معاصر، تهران، ۱۳۳۰ش

اینگورن،.ی.ا: سرگذشت أشرف خان حاکم عربستان، کمدی میرزا ملکم خان بولتن اونیورسیتهء دولتی آسیای میانه، شمارهء ۱٦، ۱۹۲۷.

برتلس، ی.أ: تاریخ مختصر أدبیات إیران، لنینگراد، ۱۹۲۸ (روسی).

تیموری، إبراهیم: عصر بی خبری یا تاریخ امتیازات در ایران، تهران، ۱۳۳۲

جنتی عطائی أبو القاسم: بنیاد نمایش در إیران، تهران، ۱۳۳۳ش.

خان ملك ساسانی، احمد:

۱) سیاستگران دورهء قاجار، تهران، ۱۳۳۸ش

۲) میرزا ملکم خان کیست؟ روزنامهء شهباز، سال ۱، شمار ۱-۲، ۱۳۲۲ش

ربیع زاده، هاشم: کلیات ملکم، تهران ۱۳۲۵.

محیط طباطبائی، محمد: مجموعهء آثار ملکم، قسمت أول، تهران، ۱۳۲۷ش.

ملکم، برنس ناظم الدوله: مجموعهء تئاتر، برلین، ۱۳۰۰ش

ناظم الاسلام، محمد: تاریخ بیداری ایرانیان، چاپ دوم، تهران، ۱۳۳۲ش

۱۳-آخوند زاده – میرزا آقا تبریزی

اقبال، عباس: راجع به تاریخ روزنامه نگاری در ایران، مجلهء یادگار، سال ۲، شماره (ذیل مقالهء رضا قلی صفی نیا).

آخوند زاده، میرزا فتحعلی: الفابی جدید ومکتوبات، ۱۹٦۳، باکو.

تربیت محمد علی: دانشمندان آذربایجان، تهران، ۱۳۱٤ش، صفحات ۲-۷.

جعفر، م: تنقید وموعظه، مجموعهء ادبیات، جلد دوم، باکو، ۱۹٤۷ (آذربایجانی).

دهخدا، علی اکبر: لغت نامه، ذیل آخوند زاده.

شریف، آ. آ: مقاله به مناسبت هفتاد وپنجمین سال درگذشت میرزا فتحعلی آخوندوف، خلاصهء أخبار دانشکده خاورشناسی، شمارهء ۹، مسکو، ۱۹۵۳م. (روسی).

شویتوف، آ.م ك نقش آخوندوف در پیشرفت ادبیات مترقی ایران، خلاصهء اخبار دانشکدهء خاورشناسی، شمارهء ۹ مسکو ۱۹۵۳م (روسی).

صفی نیا، رضا: میرزا فتحعلی آخوندزاده، پیام نو، سال ۱، شمارهء ۵، صفحات ۱-۱٤.

کوچرلو: فریدون بیگ: رساله به مناسبت صدمین سال تولد میرزا فتحعلی آخوندوف، تفلیس، ۱۹۲۱م (آذربایجانی).

نفیسی، سعید:

۱) میرزا فتحعلی آخوندروف، مجلهء پیام نوین، سال ۵، شمارهء ۲.

۲) جشن صد وپنجاه سالگی ولادت میرزا فتحعلی آخوندوف، مجلهء پیام

نوین، سال ٥، شماره‌ء ٣.

ینی کولوبف، ای: از تاریخ نخشین نمایش ترکی نمایشنامه هـــای میـــرزا فتحعلی آخوند زاده، مجله‌ء فرهنگ وخـــط شـــرق، مجلـــد دوم، بـــاکو، ١٩٢٨م (روسی).

ــــــــــ، شرح حال آخوندوف به قلم خـــود او، روزنامـــه‌ء کـــشکول، شماره‌ء های ٤٣-٤٥، تفلیس، ١٨٧٧م.

قاسم زاده، ف. وعارف، م. ومیر جلال: تاریخ مختصر ادبیات آذربایجان، جلد دوم، باکو ١٩٤٤م. (آذربایجانی).

ــــــــــ، یادی ازآخوندازاده، مجله‌ء راهنمای کتاب، سال ٥، شماره های ٨-٩.

ــــــــــ، آخوندوف، فرهنگ دایره المعارف روسی تحت نظر وودنسکی، مسکو.

ــــــــــ، تالیفات میرزا فتحعلی آخوندوف، ٣ جلـــد، بـــاکو ١٩٥٠-١٩٥٥ (آذربایجانی).

ــــــــــ، مشخصات آثار میـــزا فتحعلـــی آخونـــدوف، بـــاکو، ١٩١٥م. (روسی).

ــــــــــ، آثار فلسفی وسیاسی میـــرزا فتحعلـــی آخونـــدوف، بـــاکو، ١٩٤٠م. (روسی).

١٤-میرزا شفیع - بودنشتدت

آکادمی علوم آذربایجان: تاریخ مختصر ادبیات آذربایجان، جلد دوم، باکو، ١٩٤٤ (آذربایجانی).

سید زاده، ا.ا. میرزا شفیع یا بودنشتدت؟ باکو، ۱۹٤۰م. (روسی).

قاسم زاده، ف. وجعفر اوف، ج: کتاب ادبیات برای کلاس نهم، باکو ۱۹٥٤ (آذرباجانی).

وکوجرلو، فریدون بیگ: رساله به مناسبت صدمین سال تولد میرزا فتحعلی آخوندزا تفلیس، ۱۹۲۱م، (آذربایجانی).

میرزا شفیع:

۱) غزلیات، متن ألمانی، برلن.

۲) غزلیات، ترجمهء ك.س. پرودان، ۱۹۰۳م (روسی).

۳) اشعار، ترجمهء م. سید زاده، مجلهء ادبیات، شماره های ۳٦: دسامبر ۱۹٥۲م (آذربایجانی).

ینی کولویف، ای. ك: شاعر میرزا شفیع، باکو، ۱۹۳۸ (روسی باخلاصه ای زبان فرانسه).

Biodenstedt, Friedrich. Tausend und ein tag in Orient, Berlin, 1850.

Bodenstedt, Friedrich, Die Lieder des Mirza Schaffy mit einem prolog von Friedrich von Bodenstedt. Berlin, 1851.

Dr. Kurt Sundermeyer, Friedrich Bodenstedt und die "Lieder des Mirza Schaffy", Disserlation, Kiel 1930.

۱٥- سید جمال الدین

آسد آبادی، میرزا لطف الله:

۱) شرح حال وآثار سید جمال الدین آسدآبادی مشهور به افغانی، جلداول، برلین ۱۳۰٤ش.

٢) مقالات جمالیه، تهران، ١٣١٢ش

اعتماد السلطنه، محمد حسن خان: المآثر والآثار، تهـران، ١٣٠٦، ص ٢٢٤.

افشار، ایرج: اسناد جدید دربارهء سید جمال الدین مجلهء مهر. سـال ١٠، شمارهء ٣، ٤ صفحات ٣٣٢ -٣٣٧.

امین الدوله، میرزا علی خان: خاطرات سیاسی، تهران، ١٣٤١ ش.

براون، ادوارد: تاریخ انقلاب ایران، ترجمهء احمد پژوه. چاپ دوم، تهران، ١٣٣٧ش.

تقی زاده، سید حسن:

١) سید جمال الدین افغانی (در مردان خود ساخته)، تهران ١٣٣٠ش.

٢) سید جمال الدین. روزنامهء کاوه، سال ٢، شماره های، ٣ و ٩.

جمالی اسد آبادی، صفات الله: اسناد ومدارك دربارهء ایرانـی الاصـل بودن سید جمال الدین اسد آبادی، تهران، بی تاریخ.

خان ملك ساسانی، احمد: سیاستگران دورهء قاجار، تهران، ١٣٣٨ش.

خسروشاهی، سید هادی: دفاع از سید جمال الدین حسینی اسد آبادی، چاپ دوم، تهران، ١٣٤٣ش.

دانشگاه تهران: مجموعهء اسناد ومدارك چاپ نشده دربارهء سید جمال الدین مشهور به- افغانی، تهران، ١٣٣٢ ش.

رضا، محمد رشید: تاریخ أستاذ الإمام الشیخ محمد عبده، مـصر، ١٣٥٠ هـق.

زیدان، إبراهیم: تعلیم القرائة، جلد خامس.

زيدان، جرجی: مشاهير الشرق، جلددوم، قاهره، ۱۹۰۳.

صفائی ملايری، ابراهيم: رهبران مشروطه، جزوهء أول، سيد جمال الدين افغانی، تهران، ۱۳٤۳ش.

عبد الغفار، قاضی: آثار جمال الدين افغانی. دهلی، ۱۹٤۰م.

قزوينی، محمد: وفيات معاصرين، مجلهء يادگار، سال ۳، شمارهء ٤.

کسروی، أحمد: تاريخ مشروطهء إيران، چاپ چهارم، بخش يکم، تهران.

لوشانی، پرويز: سيد جمال الدين أسد آبادی مغز متفکر انقلاب ومشروطيت إيران، مجلهء روشنفکر، شماره مای، ٥٤۸-٥٦۰ (فروردين – تير ۱۳٤۳ش)

محمود، محمود: تاريخ روابط سياسی إيران وانگليس، جلدهای چهارم وپنجهم، تهران، ۱۳۳۱ش.

مدرس، محمد علی: ريحان الادب، جلد يکم، چاپ دوم، تهران، ۱۳۳٥ش.

مدرسی، چهاردهی، مرتضی: سيد جمال الدين اسد آبادی، تهران، ۱۳٤۳ ش.

ملك زاده، دكتر مهدی: تاريخ انقلاب مشروطيت إيران، جلداول، تهران، ۱۳۲۷ش.

هدايت، مهديقلی: خاطرات وخطرات، تهران، ۱۳۲۹ش.،

۱٦- روشنفكران ديگر

میرزا آقاخان کرمانی

اسدآبادی، ميرزا لطف الله: شرح حال وآثار سيد جمال الدين اسد آبادی معروف به افغانی جلد اول، برلين، ۱۳۰٤ش.

براون، ادوارد: انقلاب ایران، ترجمهء احمد پژوده، چاپ دوم، صفحات ۹۲-۹٤ و ٤۰۷-٤۱۱

کسروی، احمد: تاریخ مشروطهء ایران، چاپ چهارم، بخش یکم.

ناظم الإسلام، احمد: تاریخ بیداری ایرانیان، چاپ دوم، تهران، ۱۳۳۲ش

روحی

اسد آبادی، میرزا لطف الله: شرح حال وآثار سید جمال الدین اسد آبادی معروف به افغانی، برلین، ۱۳۰٤ش.

براون ادوارد: انقلاب ایران، ترجمهء احمد پژوه، چاپ دوم، تهران ۱۳۳۷ش، صفحات ۹۲-۹٤ و ٤۱۰-٤۱۱.

قزوینی، محمد روحی، مجلهء یادگار، سال ۳، شمارهء ۱۰، صفحات ۱۷-۲۱.

کسروی، احمد: تاریخ مشروطهء ایران، چاپ چهارم، بخش یکم.

ناظم الاسلام، محمد: تاریخ بیداری ایرانیان، چاپ دوم، تهران، ۱۳۳۲ش

۱۷- میرزا حبیب اصفهانی

استوارت، ت.و: مقدمة برکتاب حاجی بابا اصفهانی، لندن، ۱۹٥٤م

اقبال، عباس: کتاب حاجی بابا وداستان نخستین محصلین ایرانی در فرنگ، مجلهء یادگار، سال ۱، شمارهء ٥، صفحات ۲۸-٥۰.

افشار: ایرج:

۱) مترجم حاجی باباکیست؟ مجلهء جهان نو، سال ۳، ۱۳۳٤ ش.

۲) میرزا حبیب اصفهانی، مجلهء یغما، سال ۳، شمارهء ۱۰، ۱۳۳۹ش.

۳) آثار میرزا حبیب اصفهانی، مجلـــهء یغمـــا، ســـال ۱٦، شـــمارهء ۲، ۱۳٤۲ش.

بهار، محمد تقی ملك الشعراء: سبك شناســـی، جلـــد ســـوم، چاپ دوم، ص ۳٦٦.

خان ملك ساسانی، احمد: میرزا حبیب اصفهانی، مجلهء ارمغان، سال ۱۰، صفحات ۱۱۰-۱۲۰ و ۲٦۸ - ۲۷۲.

شمس، صباح الدین: احتجاجات وسؤالات، مجلهء یغما، سال ۱٤، شمارهء ٤، صفحات ۱۹۰-۱۹۲.

فیلوت: ماژرد:ت: مقدمه بر ترجمهء کتاب حاجی بابا اصـــفهانی، کلکتـــه، ۱۹۰٥م.

مشیری، علی: مطالب جالب ومهم در بارهء کتاب حاجی بابا (قسمت دوم)، مجلهء وحید سال ۲، شمارهء ۱.

نفیسی، سعید: مترجم کتاب حاجی بابـــا، مجلـــهء جهـــان نـــو، ســـال ۳، ۱۳۳٤ش.

تواريخ وأحداث

١٣ صفر ١١٩٣	وفاة كريم خان الزندى فى شيراز. ظهور آغا محمد خان.
ربيع الأول ١٢١٠	حملة آغا محمد خان على بلاد الكرج وفتح مدينة تفليس.
النيروز عام ١٢١٠	تتويج آغا محمد خان القاجارى
غرة محرم ١٢١١	حملة آقا محمد خان الثانية على بلاد الكرج
ذو القعدة ١٢١١	حملة آغا محمد خان على قلعة شوشى والسيطرة عليها.
٢١ ذو الحجة ١٢١١	مقتل آغا محمد خان عند قلعة شوشى.
شوال ١٢١٢	جلوس فتحعلى شاه.
محرم ١٢١٤	وصول ولى العهد عباس ميرزا إلى تبريز للإقامة بها والقضاء على متمردى أذربيجان.
أواخر ربيع الأول ١٢١٤	وصول مهدى عليخان حشمت جنگ مبعوث الحاكم البريطانى فى الهند.
جمادى الآخرة ١٢١٥	وصول السير جان ملكم السفير الرسمى لحاكم الهند اللورد ولسلى والوفد الممثل لإنجلترا إلى طهران.
١٢ شعبان ١٢١٥، ٥ يناير ١٨٠١م	عقد اتفاقية تجارية وسياسية بين إيران وإنجلترا بتمثيل السير جان ملكم والحاج إبراهيم كلانتر اعتماد الدولة الصدر الأعظم الإيرانى.
شوال ١٢١٥	إرسال الحاج محمد خليل خان القزوينى التاجر

	البوشهرى إلى الهند سفيرا برفقة ملكم (قتل فى بومباى فى أواسط ربيع الأول ١٢١٧- ٢٠ يولية ١٨٠٢).
غرة ذى الحجة ١٢١٥	سمل عينى الحاج إبراهيم خان اعتماد الدولة الصدر الأعظم الإيرانى بأمر فتحعلى شاه (وكان قد تقلد الصدارة فى شعبان ١٢٠٩).
رمضان ١٢١٨	محاصرة الجنرال سيسيانوف لمدينة كنجة وبداية الحرب الإيرانية- الروسية.
غرة شوال ١٢١٨	سيطرة سيسيانوف على كنجة وضمها لروسيا
١٤ صفر ١٢١٩	تحرك ولى العهد من تبريز عازما قتال الروس.
ذو الحجة ١٢١٩	مقتل الجنرال سيسيانوف على يد الإيرانيين فى كنجة.
١١ربيع الأول ١٢٧٣، أول نوفمبر ١٨٥٦	احتجاج حاكم الهند على غزو إيران لهراة وإعلان الحرب على إيران من طرف بريطانيا وقطع العلاقات بين الدولتين.
٢٤ ربيع الأول ١٢٧٣	توجه أمين الملك من إسطنبول إلى باريس.
٥ ربيع الثانى ١٢٧٣	نزول القوات البريطانية فى بوشهر والاستيلاء على جزيرة خارك.
٧رجب ١٢٧٣، ٤ مارس ١٨٥٧	توقيع اتفاقية الصلح بين إيران وإنجلترا فى باريس بنيابة فرخ خان أمين الملك مبعوث ناصر الدين شاه، والتعهد بالانسحاب من هراة وفقدان إيران حق السيادة على أفغانستان.

٢٧ ذو القعدة ١٢٧٣	رفع العلم البريطانى فى طهران مجددا.
٢٥ محرم ١٢٧٤	وفاة ميرزا عباس فروغى البسطامى.
- ربيع الأول ١٢٧٤	الانتهاء من تأليف (روضة الصفاى ناصرى: روضة الصفاء الناصرية).
٢٠ محرم ١٢٧٥	عزل ميرزا آقا خان نـورى اعتمـاد الدولـة مـن الصدارة.
- ١٢٧٥	تأسيس ما يسمى مجلس الوزارة على نسق الـدول الأوروبية. تأسيس دار الشورى الحكوميـة الكبـرى برئاسة ميرزا جعفر خان مشير الدولة. تعيين الأمير عليلقى ميرزا وزيرا للعلوم.
٦ ربيع الثانى ١٢٧٦	وفاة ميرزا أبى الحسن يغما الجندقى.
٥ صفر ١٢٧٧	إصدار أول عدد من "روزنامـة دولت عليه إيران"
أواخر عام ١٢٧٨	وفاة سيد جعفر خان مشير الدولة.
جمادى الآخرة ١٢٧٩	إعداد كتيب أسس إدارة دار العدل على يـد ميـرزا حسن خان سـپهسالار.
- - ١٢٧٩	بداية دعوة ميرزا حسينعلى بهاء الله فى بغداد.
- - ١٢٨٠	تشغيل أول خطوط التلغراف من خانقين إلى طهران ومن طهران إلى بوشهر (بواسطة الإنجليز).
١٢ شوال ١٢٨١	وفاة ميرزا آقا خان نورى وصدارة ميرزا محمد خان سـپهسالار بن أمير خان سردار.
- - ١٢٨٤	وفاة ميرزا محمد خان سـپهسالار وصدارة ميـرزا يوسف خان مستوفى الممالك.

-- ١٢٨٥	وفاة ميرزا محمد على سروش الأصفهانى.
٢٩ رمضان ١٢٨٧	تعيين ميرزا حسين خان مشير الدولة سپهسالار وزيرا لوزارة العدل والعمل والأوقاف.
-- ١٢٨٧	مد خطوط التلغراف من الهند لأوروبا عن طريق بوشهر وبندر عباس.
١٠ ربيع الآخر ١٢٨٨	وفاة رضا قلى خان الله باشى.
٢٩ شعبان ١٢٨٨	صدارة الحاج ميرزا حسين خان مشير الدولة سپهسالار.
-- ١٢٨٨	قحط شديد بإيران.
١٨ جمادى الأولى ١٢٨٩، ٢٥ يوليه ١٨٧٢	منح امتياز استغلال كافة المرافق الحيوية فى إيران للبارون جوليوس دو رويتر (ألغى هذا الامتياز فى رمضان عام ١٢٩٠).
١٢- ٢٠ شعبان ١٢٨٩	إعداد لائحة إنشاء "البلاط الأعظم" المقترحة من قبل ميرزا حسين خان سپهسالار وتصديق ناصر الدين شاه عليها.
٢ شوال ١٢٨٩	افتتاح مجلس شورى الوزراء (نُشر ذلك الخبر للأهالى فى العدد الرابع من ذى القعدة فى الصحيفة الإيرانية الرسمية).
-- ١٢٨٩	اقتطاع جزء من سيستان وبلوشستان من إيران بقرار السير فردريك جولد سميث.
العشر الأواخر من ذى الحجة ١٢٨٩	وفاة الحاج ملاهادى السبزوارى.

٩ صفر ١٢٩٠، ٦ أبريل ١٨٧٣	الاقتراض من البارون جوليوس دو رويتر لنفقات رحلة ناصر الدين شاه الأولى إلى أوروبا.
٢١ صفر ١٢٩٠	رحلة ناصر الدين شاه الأولى إلى أوروبا برفقة ميرزا حسين خان سپهسالار.
١٤ رجب ١٢٩٠	عودة ناصر الدين شاه من أوروبا وعزل سپهسالار من الصدارة.
٢٠ شوال ١٢٩٠	تعيين سپهسالار وزيرا للشئون الخارجية (ولكن ظلت مقاليد الأمور فى الواقع فى يده حتى عام ١٢٩٧هـ.ق).
- - ١٢٩١	وفاة ميرزا نصر الله شهاب الأصفهانى.
١٦ ذى الحجة ١٢٩٢	إصدار صحيفة (اختر) الفارسية فى إسطنبول وتولى آقا محمد طاهر التبريزى إدارتها
- جمادى الآخرة ١٢٩٣	تفويض ميرزا حسين خان سپهسالار لتأجير مصايد الأسماك فى بحر قزوين لاستيفان ليانازوف الروسى (ألغيت الاتفاقية بعد ثورة أكتوبر فى ٢١ شعبان ١٣٣٦ هـ.ق من طرف وزير الاقتصاد مشاور الممالك).
- - ١٢٩٤	تشكيل لجنة علمية لإعداد "نامۀ دانشوران" تحت إشراف عليقلى ميرزا اعتضاد السلطنة، الاستعانة ببعثة عسكرية من النمسا.
٢٥- صفر ١٢٩٥، ٢٨ فبراير ١٨٧٨	وفاة ميرزا فتحعلى آخوزندزاده فى مدينة تفليس.

– ربيع الأول ١٢٩٥	رحلة ناصر الدين شاه الثانية لأوروبا.
– رجب ١٢٩٥	عودة ناصر الدين شاه من رحلته الثانية لأوروبا.
– محرم ١٢٩٦	توقيع اتفاقية تأسيس فرقة القوزاق تحت إشراف المسئولين الروس ورئاسة الكولنيل دومانتويتش.
– – ١٢٩٦	وصول المسئولين النمساويين إلى إيران.
– ربيع الآخر ١٢٩٧	وفاة ميرزا محمد تقى لسان الملك مؤلف ناسخ التواريخ.
– – ١٢٩٧	بداية فتنة الشيخ عبيد الله كرد.
أوائل شوال ١٢٩٧	عزل سپهسالار من الصدارة وإبعاده إلى قزوين.
٢٤ شوال ١٢٩٧	وصول الأكراد المتمردين إلى ساوجبلاغ والسيطرة على تلك المدينة.
١٦ ذى الحجة ١٢٩٧	وصول سپهسالار إلى ساوجبلاغ للقضاء على الشيخ عبيد الله وأتباعه.
٢١ ذى الحجة ١٢٩٧	فرار الشيخ عبيد الله للأراضى العثمانية.
٩ محرم ١٢٩٨	وفاة عليقلى ميرزا اعتضاد السلطنة. تكليف محمد حسن خان اعتماد السلطنة بإدارة (نامهء دانشوران).
١١ ذى الحجة ١٢٩٨	وفاة ميرزا حسن خان سپهسالار فى خراسان. صدارة ميرزا يوسف خان مستوفى الممالك.
٢٢ محرم ١٢٩٩	عقد اتفاقية بين إيران وروسيا بشأن ترسيم الحدود بين الدولتين فى الجهة الشرقية لبحر قزوين.
منتصف ربيع الأول ١٢٩٩	وفاة ميرزا محمد إبراهيم نواب بدايع نكار.

غرة محرم ١٣٠٠	إصدار صحيفة "شرف" (صدرت هذه الصحيفة مرة أخرى فى بداية عهد مظفر الدين شاه باسم "شرافت").
٢ جمادى الأولى ١٣٠٠	وفاة السلطان مراد ميرزا حسام السلطنة فاتح هراة.
١٥ جمادى الأولى ١٣٠١	إصدار صحيفة "العروة الوثقى" فى باريس والتى تولى إدارتها السيد جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده.
١٠ صفر ١٣٠٣	وفاة نادر ميرزا مؤلف تاريخ تبريز.
- - ١٣٠٣	وصول السيد جمال الدين الأفغانى إلى طهران.
- - ١٣٠٥	وفاة الأمير فرهاد ميرزا.
٢٤ صفر ١٣٠٦، ٣٠ أكتوبر ١٨٨٨	إصدار قرار بحرية الملاحة فى نهر كارون.
٢٧ جمادى الأولى ١٣٠٦، ٣٠ يناير ١٨٨٩	منح امتياز تأسيس البنك الشاهنشاهى للبارون جوليوس دو رويتر. اقتراض أربعين ألف ليرة من جورج رويتر من أجل نفقات رحلة الشاه الثالثة لأوروبا.
١٢ شعبان ١٣٠٦	الرحلة الثالثة لناصر الدين شاه إلى أوروبا بصحبة ميرزا على أصغر خان أمين السلطان.
٢٢ ذى القعدة ١٣٠٦	منح امتياز اليناصيب للسيد بوزيك كاردويل سكرتير السفارة الإيرانية فى لندن. (وكان ملكم نفسه صاحب الامتياز الفعلى، ثم منحه لشركتين بريطانيتين إلا أن هذا الامتياز ألغى فى ١١ربيع الأخر ١٣٠٧ بسبب صدور فتوى من العلماء بتحريمه ولأسباب أخرى.

٢١ ذى الحجة ١٣٠٦	لقاء ناصر الدين شاه بالسيد جمال الدين الأفغانى فى ميونخ ودعوة الشاه له للذهاب إلى إيران.
٢٤ صفر ١٣٠٧	عودة ناصر الدين شاه من الرحلة الثالثة لأوروبا ووصوله إلى طهران.
٧ ربيع الآخر ١٣٠٧	منح امتياز تعبيد الطريق من طهران إلى سواحل الخليج الفارسى ليحيى خان مشير الدولة شقيق ميرزا حسين خان سپهسالار (انتقل هذا الامتياز إلى مستثمرين بريطانيين فى الرابع عشر من جمادى الآخرة من نفس العام ثم انتقل منهم إلى البنك الملكى (الشاهى) ومنه إلى شركة "لينتش" إلى أن ألغى فى الثانى من ربيع الأول ١٣٤٠ المعادل الحادى عشر من آبان ١٣٠٠ش.
٧ ربيع الثانى ١٣٠٧	رحلة السيد جمال الدين الأفغانى الثانية إلى إيران.
٢٩ جمادى الآخرة ١٣٠٧، ٢٠ فبراير ١٨٩٠	إصدار صحيفة القانون فى لندن وتولى ميرزا ملكم خان إدارتها.
٢٤ رجب ١٣٠٧	عزل ملكم وإلغاء ألقابه ومناصبه.
- شعبان ١٣٠٧	منح امتياز الملاحة فى أعالى كارون للحاج آقا محمد معين التجار الدهدشتى.
١١ رمضان ١٣٠٧	منح امتياز تأسيس بنك الرهونات والقروض للروسى جاك بولياكوف ومنح للحكومة الإيرانية بعد ثورة أكتوبر بموجب الفصل التاسع من معاهدة الصداقة بين إيران والاتحاد السوفيتى المؤرخة عام ١٩٢١.
- جمادى الأولى ١٣٠٨	إبعاد السيد جمال الدين الأفغانى من إيران للمرة

	الثانية.
٢٠ رجب ١٣٠٨	وفاة أبى نصر فتح الله خان الشيبانى.
٢٨ رجب ١٣٠٨	منح امتياز احتكار التبغ إلى المايجور تالبوت (ألغى هذا الامتياز بسبب اعتراض العلماء والأهالى فى جمادى الأولى ١٣٠٩).
- رجب ١٣٠٩، - فبراير ١٨٩٢	إصدار السيد جمال الدين الأفغانى صحيفة "ضياء الخافقين" فى لندن.
٢٨ شوال ١٣٠٩، ١٥ مايو ١٨٩٢	الاقتراض من البنك الشاهنشاهى فى مقابل دخل جمارك الجنوب من أجل تسديد التعويض عن إلغاء امتياز التبغ.
٣ ذى القعدة ١٣٠٩	وفاة ميرزا حسينعلى بهاء الله.
- - ١٣١٠	صدارة ميرزا على أصغر خان أمين السلطان.
- - ١٣١٠	إصدار صحيفة "حكمت" فى القاهرة وتولى ميرزا مهديخان زعيم الدولة التبريزى إدارتها.
١٠ جمادى الآخرة ١٣١١	إصدار صحيفة حبل المتين فى كلكتا وتولى سيد جلال الدين الكاشانى مؤيد الإسلام إدارتها.
- - ١٣١١	وفاة محمود خان ملك الشعراء
١٨ شوال ١٣١٣	وفاة محمد حسن خان مقدم اعتماد السلطنة.
١٨ ذى القعدة ١٣١٣	اغتيال ناصر الدين شاه فى مسجد الشاه عبد العظيم على يد ميرزا رضا الكرمانى.
٢٤ ذى الحجة ١٣١٣	جلوس مظفر الدين شاه.

- - ١٣١٣	وفاة ميرزا يوسف خان مستشار الدولة.
٦ صفر ١٣١٤	إعدام ميرزا آقا خان الكرمانى والشيخ أحمد روحى وميرزا حسن خان خبير الملك بأمر محمد على ميرزا فى تبريز.
٣ ربيع الأول ١٣١٤	إعدام ميرزا رضا الكرمانى قاتل ناصر الدين شاه.
٥ شوال ١٣١٤	وفاة السيد جمال الدين الأفغانى فى إسطنبول.
- - ١٣١٥	وفاة ميرزا حبيب الأصفهانى.
- - ١٣١٦	وفاة محمد طاهر ميرزا مترجم أعمال الكساندر دوما.
٥ رمضان ١٣١٧	وفاة حسنعلى خان أمير نظام كروسى فى كرمان.

نهاية المجلد الأول

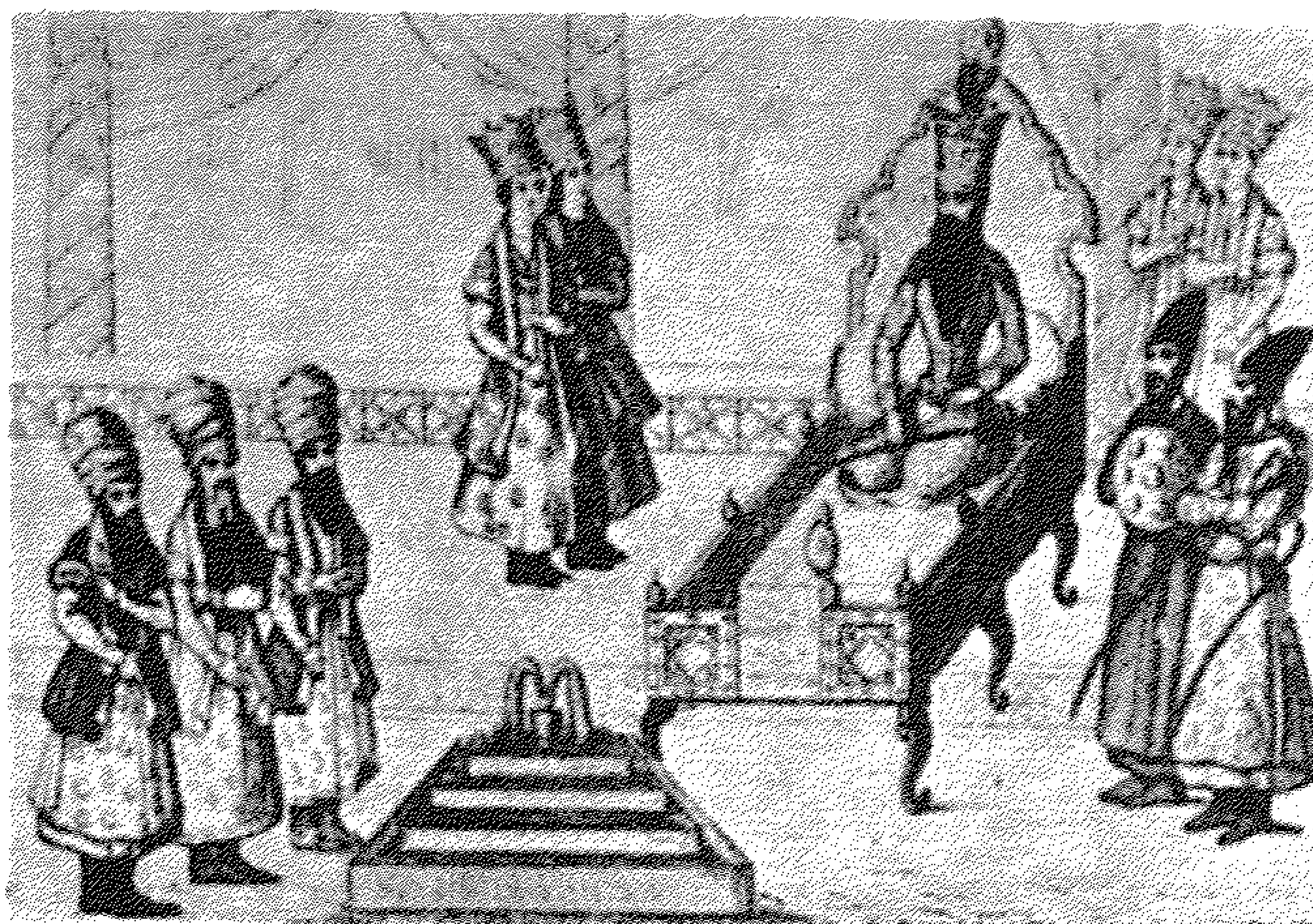
ملحق الصور



فتحعلی‌خان صبا

نمونهٔ خط نشاط اصفهانی





جلوس فتحعلی‌شاه

فتحعلی‌شاه



عباس میرزا





نشاط اصفهانی



وصال شیرازی



میرزا ابولقاسم قائم‌مقام



سروش اصفهانی

نمونهٔ خط یغما

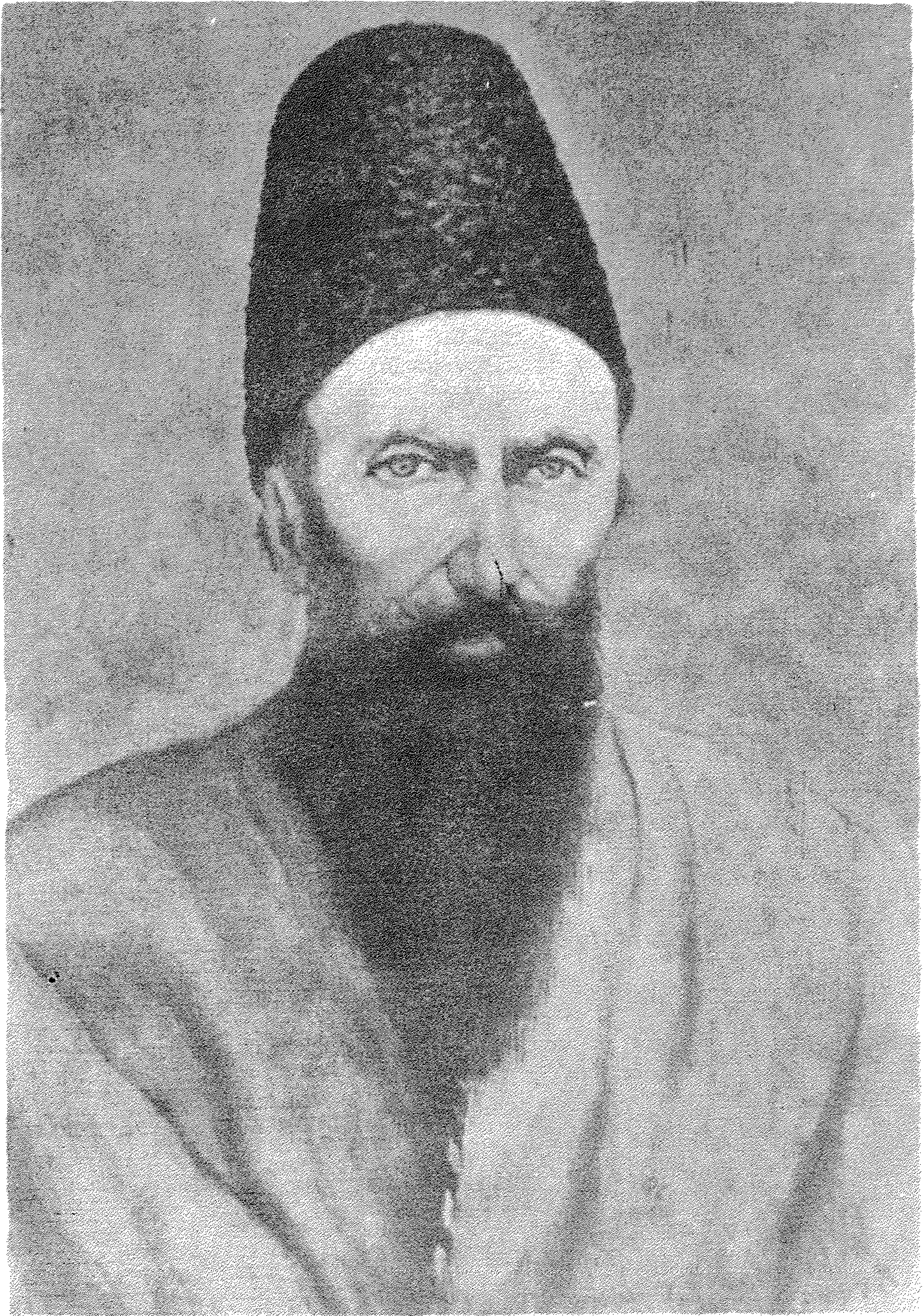
نمونهٔ خط یغما



یغما جندقی



قاآنی



محمود خان ملک‌الشعرا

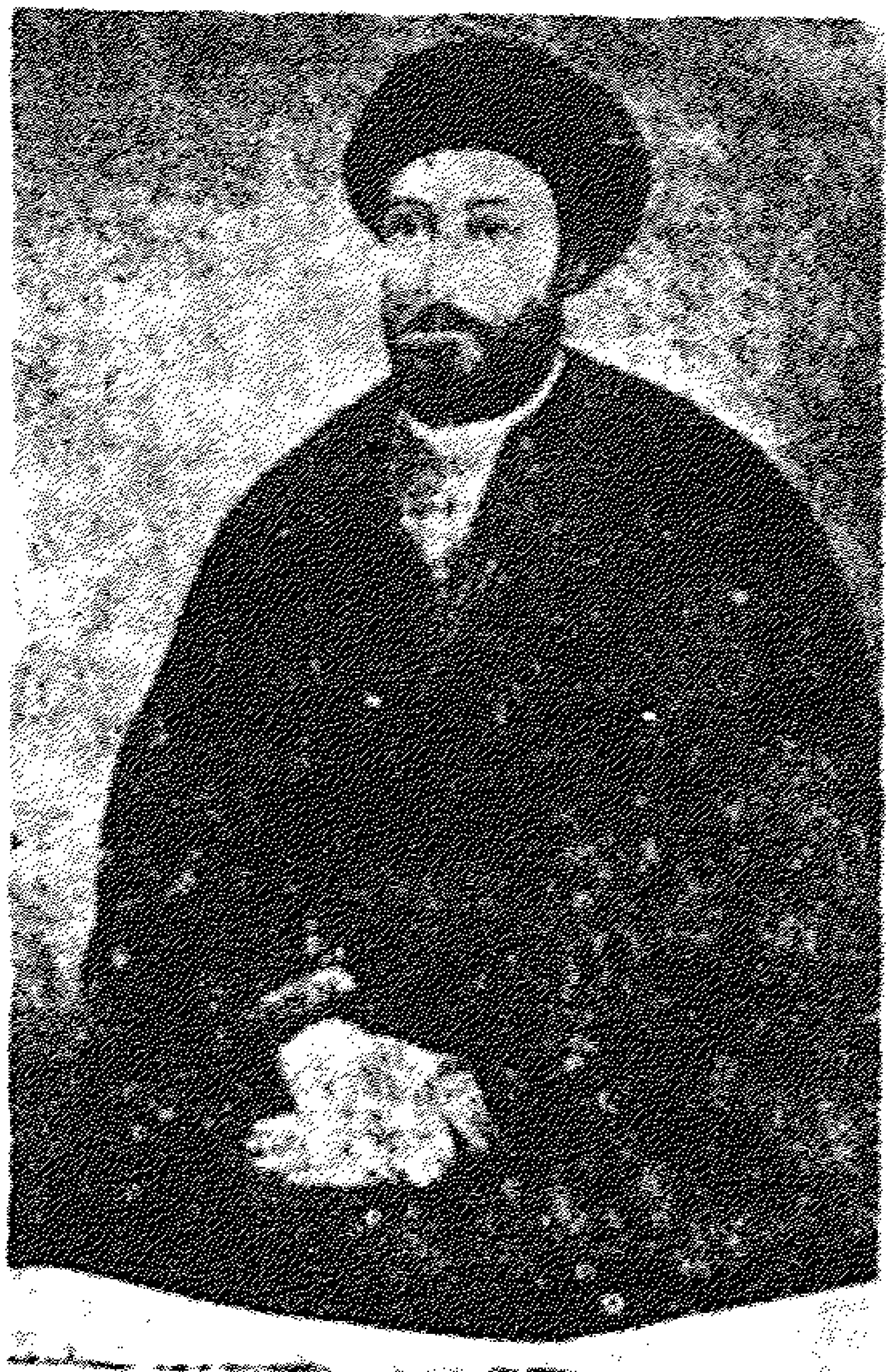
نمونهٔ خط محمودخان ملک‌الشعرا (متن نامه)



فتح‌الله خان شیبانی



سیدکاظم رشتی، استادباب



سیدعلی‌محمدباب



قرةالعين

عکسی است که مادام دیولافوا، سیاح فرانسوی، در سال ۱۸۸۱—۱۸۸۲م از متارالیها تهیه کرده.
نقل از مجلهٔ «نامهٔ لندن»، دورهٔ دوم، شمارهٔ ۴، ص ۱۷۳.



مجدالملک



لسان‌الملک سپهر

فرهاد میرزا معتمدالدوله





حسنعلی خان امیر نظام گروسی



حاج ملاهادی سبزواری



اخبار داخله ممالک محروسه پادشاهی

دارالخلافه طهران



میرزا صالح شیرازی



مآثر سلطانی

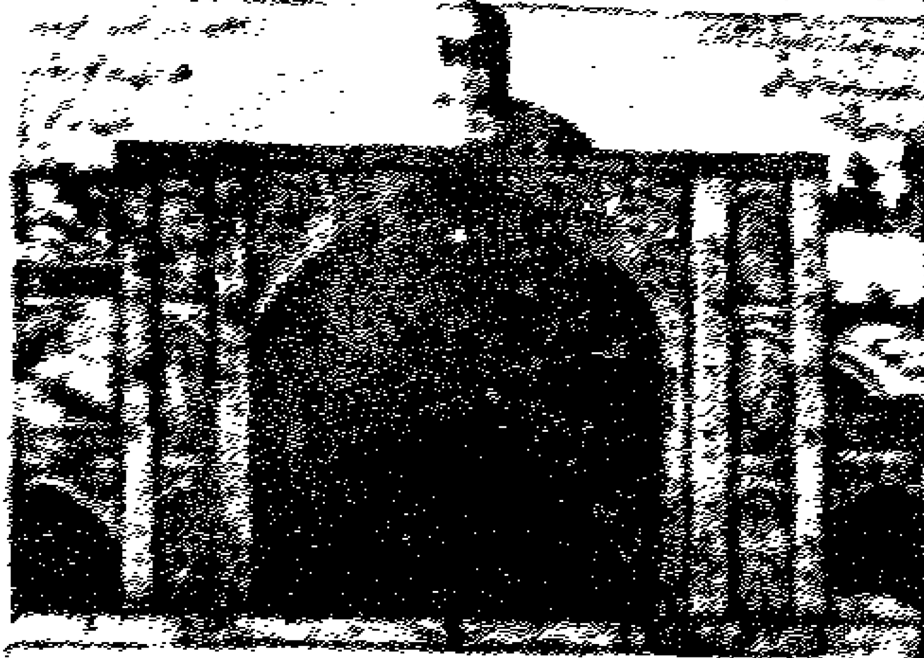
رسالهٔ تعلیم نامه درعمل آبله‌زدن

گلستان سعدی، اولین چاپ

رسالهٔ عملیه در بیان احکام

روزنامه ملتی

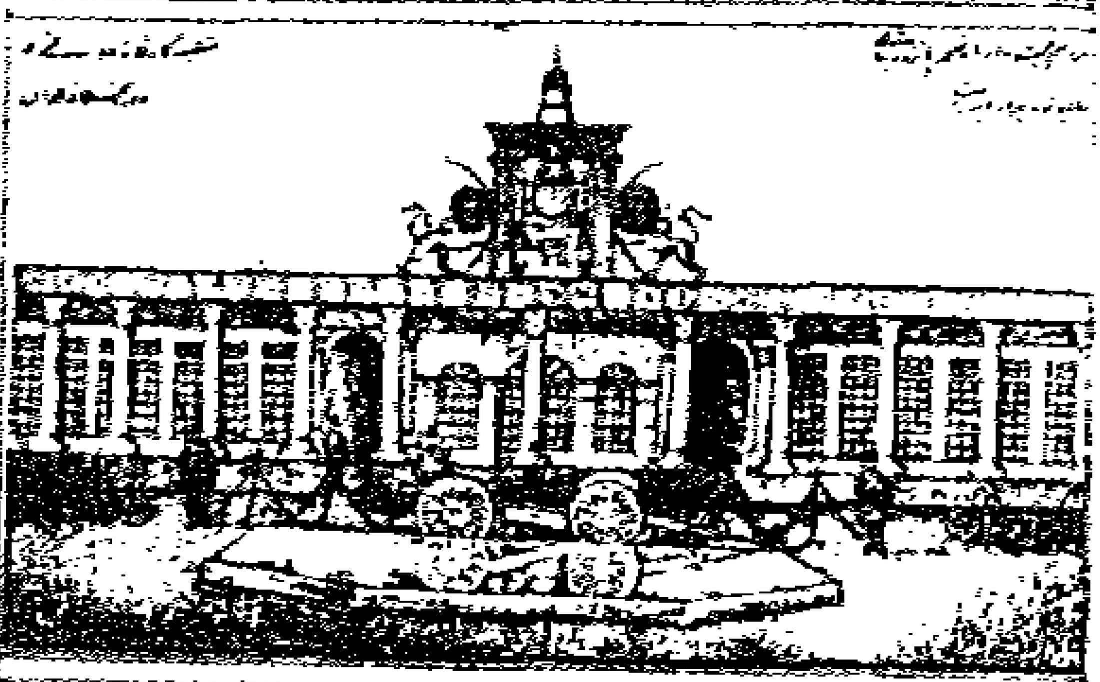
بتاریخ یوم جمعه بیست و دوم شهر ذی القعدة الحرام



کیفیت احوال ابو نصر شاعر

روزنامه علمیه دولت ایران

بتاریخ یکشنبه نوزدهم شهر ربیع مطابق پارس ئیل هشتصد و شصت و نه جلالی



روزنامه دولت علیه ایران

بتاریخ یوم پنجشنبه بیست و ششم شهر صفر المظفر مطابق سال ئیل



اخبار داخله ممالک محروسه

روزنامه دولتی

بتاریخ یوم پنجشنبه هشتم شهر شوال المکرم مطابق سال پارس ئیل

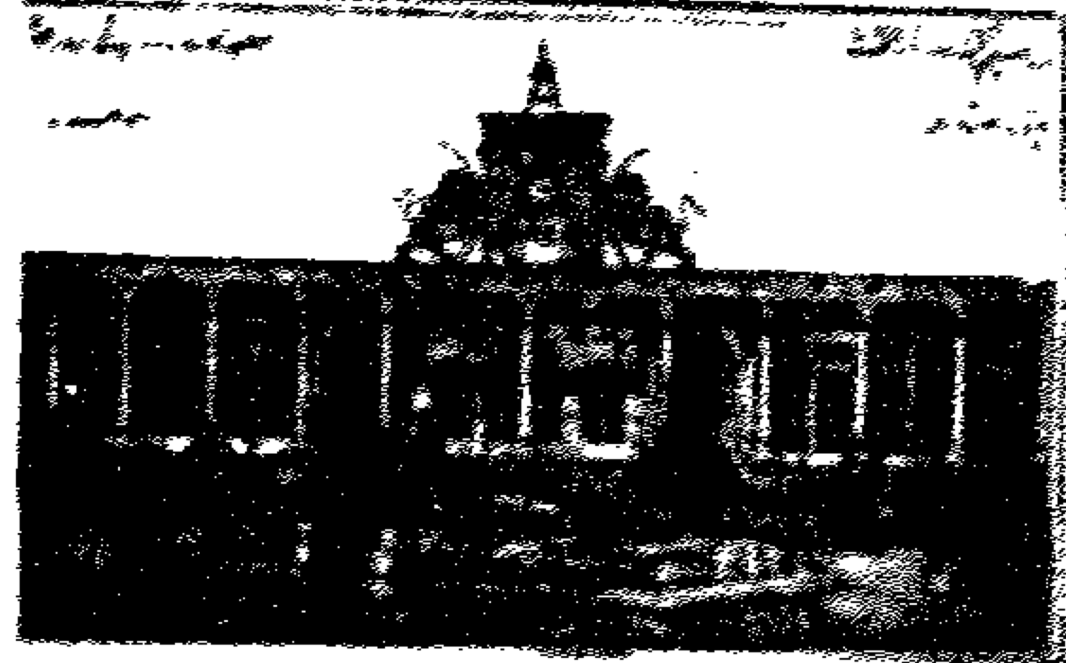


اخبار دربار

متعلق بوجود مسعود همایون

روزنامه علمیه دولت علیه ایران

[illegible]



[illegible]

N° 8 Tehran 8 Avril 1864 (1er Zilkade 1280)

[illegible]

صفحه‌ای از «روزنامه علمیه دولت علیه ایران» به زبان فرانسه

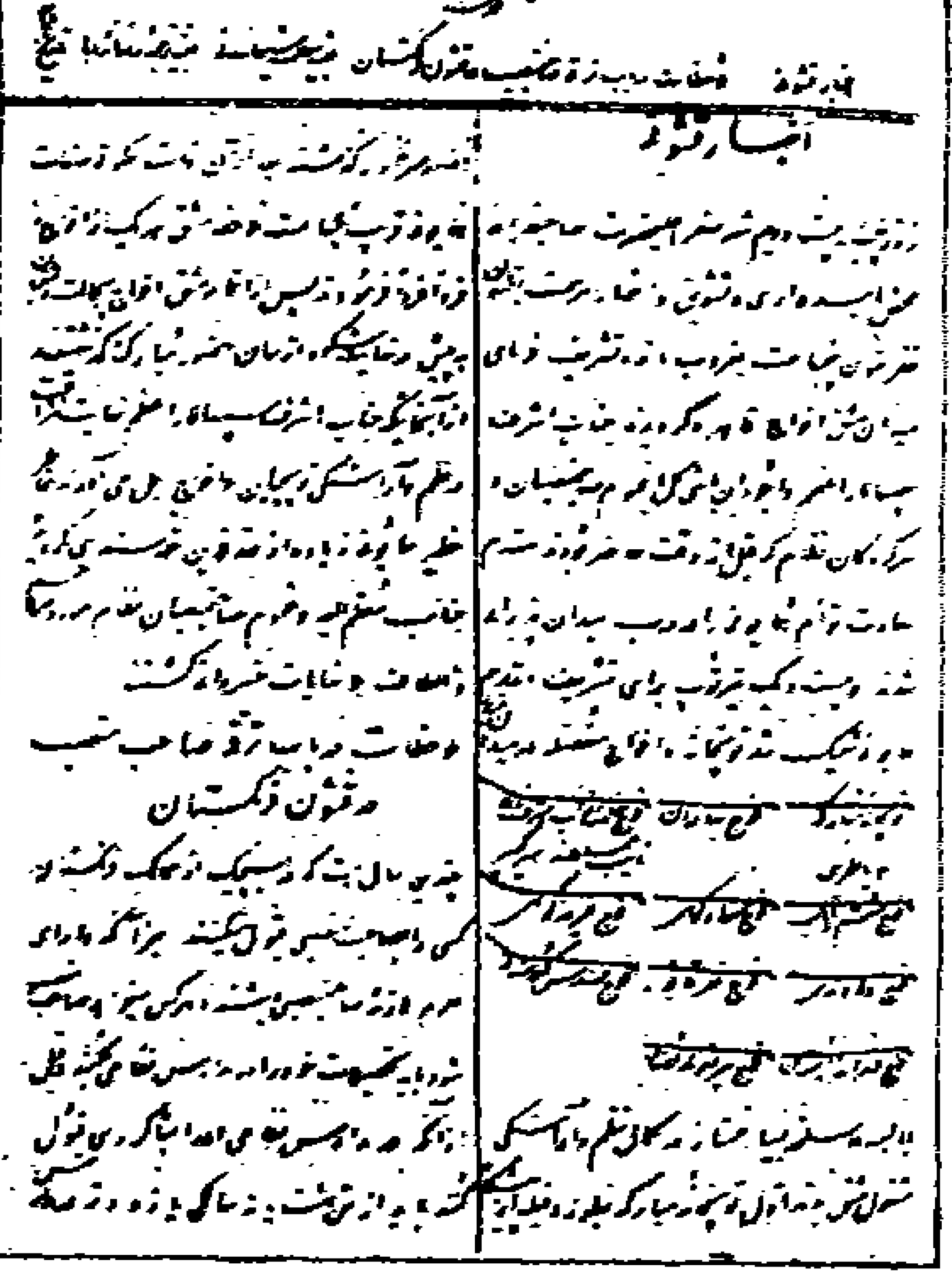
هو

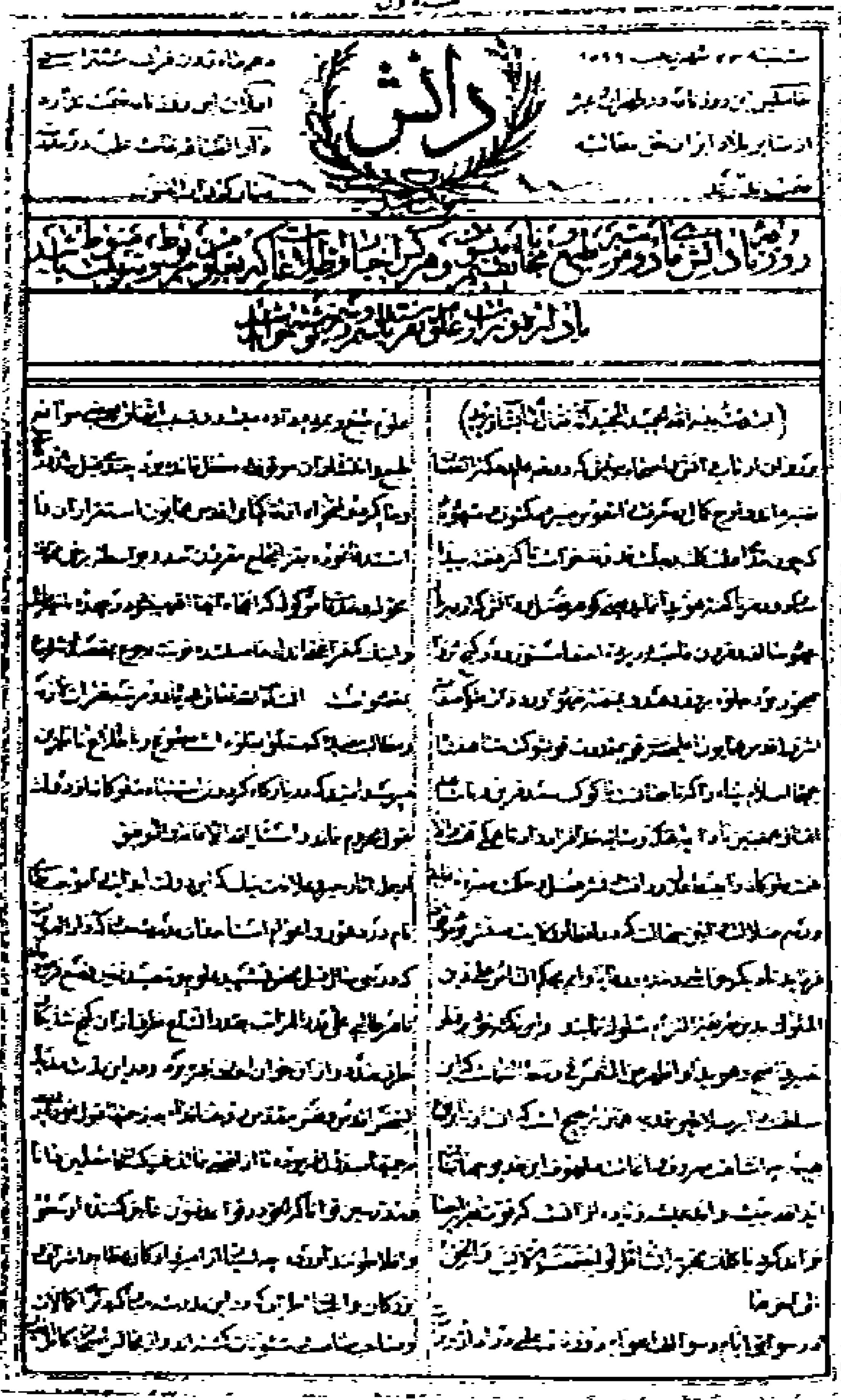
سالنامه ایران

۱۲۹۰

الایام	العربیه	[illegible]
یکشنبه	۱ [illegible]	۳۰
دوشنبه	۲	۳۱
سه‌شنبه	۳	۱ [illegible]
چهارشنبه	۴	۲
پنجشنبه	۵	۳
جمعه	۶ [illegible]	۴
شنبه	۷ [illegible]	۵
یکشنبه	۸	۶
دوشنبه	۹ [illegible]	۷ [illegible]
سه‌شنبه	۱۰ [illegible]	۸ [illegible]
چهارشنبه	۱۱ [illegible]	۹
پنجشنبه	۱۲	۱۰
جمعه	۱۳	۱۱
شنبه	۱۴	۱۲
یکشنبه	۱۵ [illegible]	۱۳
دوشنبه	۱۶ [illegible]	۱۴
سه‌شنبه	۱۷ شهادت [illegible]	۱۵
چهارشنبه	۱۸	۱۰
پنجشنبه	۱۹ [illegible]	۱۷
جمعه	۲۰	۱۸
شنبه	۲۱ [illegible]	۱۹ ساعت [illegible]
یکشنبه	۲۲ [illegible]	۲۰
دوشنبه	۲۳	۲۱
سه‌شنبه	۲۴	۲۲
چهارشنبه	۲۵ چهارشنبه سوری	۲۳
پنجشنبه	۲۶ [illegible]	۲۴
جمعه	۲۷	۲۵
شنبه	۲۸ شهادت امام حسن [illegible]	۲۶
یکشنبه	۲۹	۲۷
دوشنبه	۳۰	۲۸

صفحه‌ای از «سالنامه ایران»




نمرهٔ اول
دانش

مریخ

اختر

تلگرافها

قانون

العدد الثالث عشر

السنة الاولى

مدير السياسة

جمال الدين الحسيني الافغاني

Directeur Politique

GEMAL-ED-DIN EL-AFGHAN

المحرر الاول

الشيخ محمد عبده

Rédacteur en Chef

CHEICK MOHAMED ABDO

ادارة الجريدة بهذا العنوان

6, rue Martel, à Paris

العروة الوثقى

لا انفصام لها

جريدة سياسية ادبية

تصدر يوم الخميس

يوم الخميس في ١٥ رمضان سنة ١٣٠١

١٠ يوليه سنة ١٨٨٤

سه شنبه ... جمادی الثانی سنه ۱۳۰۳ هجری
ابتدای سال ...
... روزنامه ایران ...
قیمت اعلان
سطری یک هزار دینار

... ماه ...
... روزنامه ایران ...
روزنامه را ابونه شود ...
طهران قیمت سالیانه ... هزار دینار
... ولایات ... هزار ...

اطلاع

این روزنامه ... خارجه ... مفید ... اطلاع عامه باشد ... دولت ... اطلاع ...

فهرست اخبار مندرجه در روزنامه ...

سیاسی

چندی نابه بود که اکثر روزنامجات و ... سیاسیون ... میزدند که عنقریب آتش جدال و قتال در تمام فرنگستان مشتعل خواهد شد چنانکه تمام کرات اشاره باحوال ... مینمودیم ولی اکنون ... دیده میشود که سال ۱۸۸۶ ... ختم شد و سال ... آمد ... از ... جنگ ... شورش ... مشهود ... دول ... بلکه ... مستقبل ... جنگ ... مشهود ... صنایع ... فلان دولت ... فلان ... مجلس پارلمنت ... فلان دولت ... دول ... ولی ... جنگ و جدال ... این دول ... معلوم است ... سیاسیون ... دول ...

خود ... فایده ... منفعت ... که ... معلوم ... میکنند ... که فلان دولت ... دولت دیگر ... اقدام ... دولت ... حساب ... باشد ... نفع ... صنایع ... آن جنگ ... خواهد ... مخصوصا ... دول ... جنگ ... فلان ... جنگ ... ملک ... صنایع ... دولت ... این جنگ ... جنگ ... صنایع مستقبل ... جنگ ...

خواهند کرد

چندی از ... روزنامجات انگلیس ... دولت ... انگلیس ... اتحاد ... دولتین روس و ... انگلیس ... روزنامجات ... با انگلیس ... اسلامبول ... روزنامجات ... انگلیس ... مسئله مصریه ... دولت انگلیس ...

... از آنکه ... مصالح ... دولت ... انگلیس ... انگلیس ... مسئله مصر ... حالا است

... دولت ... انگلیس ... سلطان ... انگلیس ... دولت ... دولت ...



اعلان



تربیت

اعلان

نمره ۳ — سال اول — ۱

ثریا

۱۳۱۶ – ۱۸۹۸

عنوان مراسلات

میرزا علی محمد خان کاشانی صاحب امتیاز و نگارنده روزنامهٔ (ثریا) در مصر

Mr. Ali Mohamed Khan Kachani

Redacteur et proprietaire du Journal « Soreya »

Rue Aabdin Le Caire (Egypte)

قیمت آبونه سالیانه

روز شنبه پنجم جمادی الآخر سنة ۱۳۱۶ هجری مطابق ۵ شهر نوامبر سنة ۱۸۹۸ مسیحی

فهرست مندرجات

مولود مسعود اعلیحضرت همایون

جشن شاهنشاهی در مصر

حبل المتين

[illegible]

(عنوان مراسلات) جناب میرزا علی محمد (پرورش) صندوق المخصوص نمره ٤٣٩٠
Mirza Ali Mohamed Khan. Parvaresh La boite speciale N. 430 Caire (Egypte)

پرورش

١٩٠٠ — ١٣١٨

(قیمت آبونه سالیانه) در ایران چهار تومان قفقاز و روسیه [illegible] اسلامبول و سایر ممالک عثمانی چهار مجیدی اروپ ٢٥ فرانک هندوستان ١٢ روپیه مصر چهار ریال

پرورش روزنامه ایست آزاد که هفته یکروز منتشر میشود

(روز دوشنبه سوم شهر ربیع الثانی ١٣١٨ هجری — مطابق ٣٠ شهر ژوئیه ١٩٠٠ مسیحی)

سیاسی

مسئله چین هر روز لون جدید و رنگی نوین گیرد آنچه امروز تلگرافات تصدیق نمایند فردا تکذیب کنند جرائد و صحف اروپا نیز همه [illegible] تلگرافات یومیه و اقوال تلگرافی [illegible] چین خود هستند در هفته گذشته قتل سفرا و جمیع اجانب همه همداستان و یکزبان بودند حتی جرائد اخیره اروپ که بکار رسیده شرح وقایع اجانب و وضع کشته شدن آنرا بیان میکند در این هفته پی در پی از مصادر چینی و از طرف ولات کشور آسمانی خبر تکذیب قتل سفرا رسیده و میرسد و چنان میدهند که احدی از سفرا جز سفیر آلمان کشته نشده و همه در قید حیات اند و والی (نانکن) وعده داده که کابینه وزراء مختار را [illegible] تحت الحفظ بسلامت وارد تین تسین نماید باین همه تصریحات باز اروپائیان هنوز به بقای حیات سفرا [illegible] نیستند که این تلگرافات چینیان از روی خداع و حیل است باشخصوص تحقیقات

هم در این هفته هیچ از حرکات قشون متحده دول در حول و حوش تین تسین و جنگ آنها با چینیان خبری نیست و [illegible] ماند که در میانه هدنهٔ و صلحی واقع شده و طرفین چندی مشغول آرایش و آسایش گردیده اند لکن تلگرافات هیچ از [illegible] نبرده تحقیق نداشته و خبری ندادند که [illegible] سکوت را حق بدان کنیم

آنچه از این مسئله [illegible] در انظار سیاسیون اهمیت دارد تردید و تشکیک آراء ژاپونیون است که یکدفعه با آنهمه جنبش و جوشش برجای سرد شدند و [illegible]

[illegible]

خلاصة الحوادث

جزیره کرت

[illegible] از جنگ سال گذشته که بین دولت عثمانی و یونان در خصوص جزیره کرت اتفاق افتاد دول اروپ [illegible] جزیره [illegible] که جزیره کرت [illegible] مملکت یونان [illegible] از روزنامه های اروپ [illegible] نموده بودند.

چین

[illegible]

المان

[illegible]

مصر

[illegible]

هلند

[illegible]

انگلستان

[illegible]

حدید

(پنجشنبه ٩ جمادی الاول) (١٣٢٣)

[illegible]

اخبار تلگرافی

[illegible]

حسن سیاست

[illegible]

(نناه عمان)

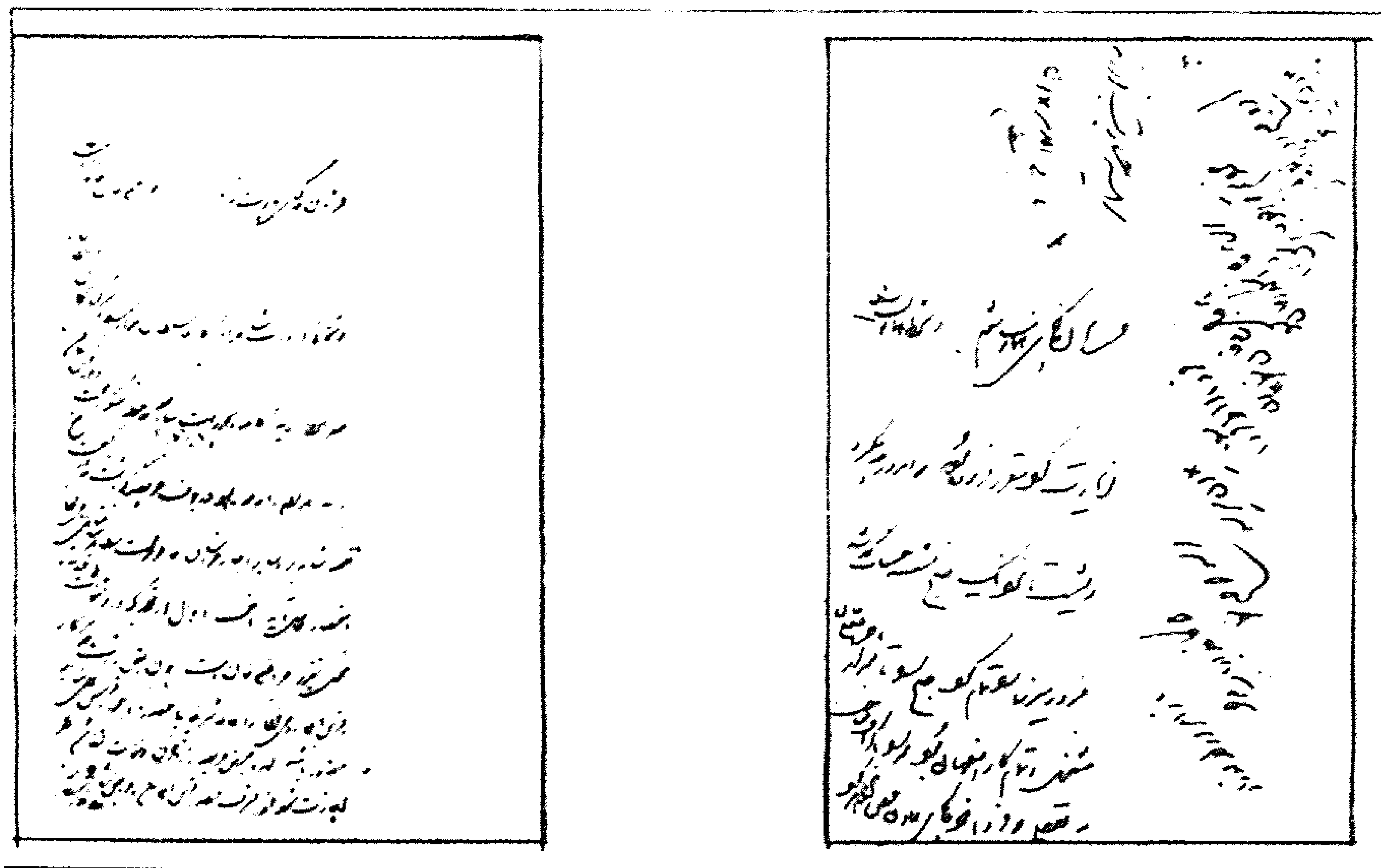
[illegible]



اعتضادالسلطنه



دو نامه به‌خط امیرکبیر به ناصرالدین شاه





میرزاتقی‌خان امیر کبیر



امین‌الدوله



رضاقلیخان هدایت

میرزا یوسف‌خان مستشارالدوله



اعتمادالسلطنه



کمال‌الملک



تکیهٔ دولت ، اثر کمال‌الملک


میرزا ملکم‌خان


میرزا فتحعلی آخوندزاده


میرزا عبدالرحیم طالبوف

سید جمال الدین

گذرنامهٔ سید جمال الدین

نمونهٔ خط سید جمال الدین

تبعیدنامهٔ سید جمال الدین

هوالله

کتاب ریحان بوستان افروز

در

حد و ترتیب ادبیات و نگارستان امروز

اثر

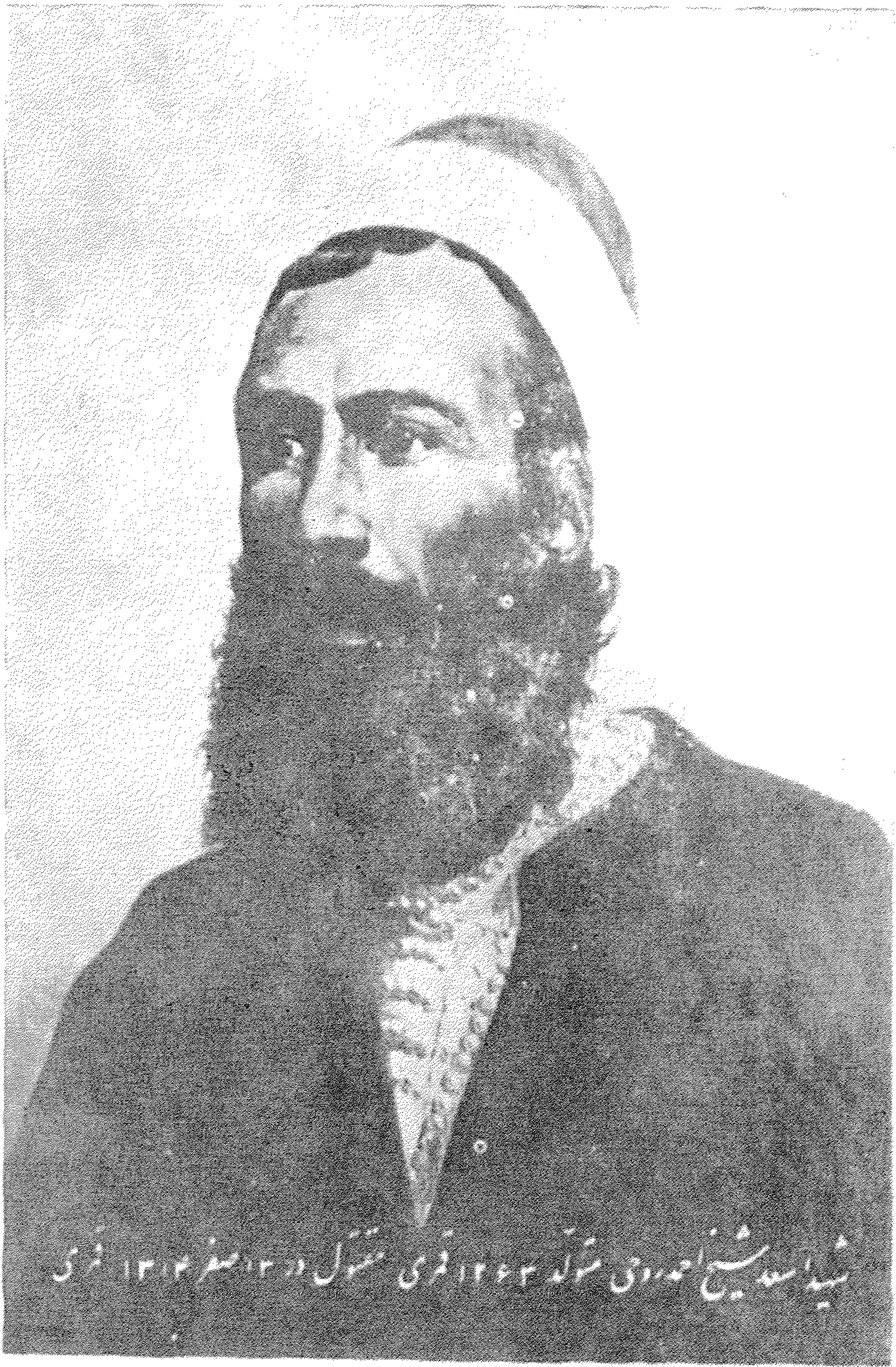
بنده ناچیز عبدالحسین الشهیر بمیرزا آقاخان کرمانی

بنگارم

در تحت طرازیدن طرز افزون شعر و قصیده نگارم

میرزا آقاخان کرمانی




شهید سعید شیخ احمد روحی متولد ۱۲۶۳ قمری مقتول در ۲ صفر ۱۳۱۴ قمری

نمونهٔ خط میرزا حبیب اصفهانی

میرزا حبیب اصفهانی

اصلش از قریهٔ بن چهارمحال از اعمال اصفهان است در
اصفهان و طهران بتحصیل علوم مشغول بود در بغداد نیز بعد چهار سال تحصیل
ادبیات و فقه و اصول پرداخت پس از آن بطهران مراجعت نمود
از آنجا بواسطهٔ اینکه در حق سپهسالار محمدخان صدراعظم هجو ساخته است
قصد گرفتن و اذیت وی کردند بخاک عثمانیه گریخت و در دارالسعادهٔ
اسلامبول [illegible] اوقات خود را در مکاتب [illegible]
بسر میبرد [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

از قصیدهٔ انگوری است

[illegible]



میرزا حبیب اصفهانی

المؤلف فى سطور:

يحيى آرين بور:

كاتب ومحقق إيرانى بارز وشاعر اتخذ لنفسه لقب (دانش) أى "العلم" كما هى العادة عند الشعراء الفرس والترك ثم أصحاب اللغة الأوروبية فيما بعد. يصل نسبه من ناحية أبيه إلى الأمير القاجارى البارز عباس ميرزا وينتمى من ناحية أمه إلى الحكيم والفيلسوف الإيرانى نصير الدين الطوسى المعروف لمنزلته الفكرية باسم حواجه نصير الدين الطوسى.

المترجمون فى سطور

إيمان محمد إبراهيم عرفة

أستاذ مساعد اللغة الفارسية وآدابها. عُينت معيدًا بقسم اللغات الشرقية ، ثم حصلت على درجة الماجستير فى موضوع "الحياة الثقافية فى بلاط السلطان "حسين بيقرا" ، ثم حصلت على درجة الدكتوراه فى فكرة القومية فى أدب عبد الرحيم طاليوف.

محمد السباعى محمد السباعى

حصل على الماجستير فى فكرة الجامعة الإسلامية وقضية الخلافة عند كل من محمد إقبال ومحمد عاكف.

وحصل على الدكتوراه فى موضوع "الحياة الفكرية فى عصر رضا شاه بهلوى".

عين بجامعة القاهرة كلية الآداب – بنى سويف ، ثم انتقل إلى كلية الآداب بجامعة حلوان.

أشرف محمد عبد الوهاب

حاصل على ليسانس الآداب من قسم اللغات الشرقية بآداب القاهرة .

عُين مترجمًا للغة الفارسية بمركز الدراسات الشرقية عن ١٩٥١.

المراجع فى سطور:

السباعى محمد السباعى

- ليسانس الآداب – جامعة القاهرة – قسم اللغات الشرقية – فرع لغات الأمم الإسلامية عام ١٩٦٣ بتقدير جيد جدًا مع مرتبة الشرف.
- الماجستير ١٩٦٦ ثم الدكتوراه ١٩٧٢م بمرتبة الشرف الأولى.
- شغل منصب رئيس قسم اللغات الشرقية من ١٩٨٣ إلى ١٩٨٩م
- عين خبيرًا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة للغتين الفارسية والتركية اعتبارًا من ١٩٩٢م
- رئيس تحرير مجلة "الدراسات الشرقية" التى تصدر جمعية خريجى أقسام اللغات الشرية لمدة ثلاث أعوام.
- رئيس تحرير مجلة "رسالة المشرق" التى تصدر عن مركز الدراسات الشرقية منذ ١٩٩٢ حتى ١٩٩٧م.

الإنتاج والأعمال العلمية:

أولاً الكتب:

١ – اللغة الفارسية (نحو وصرف وتعبير) ، ١٩٧٥م.

٢ – النثر الفارسى منذ نشأته حتى نهاية العصر القاجارىفى إيران ، ١٩٧٨م.

٣ – الثورة الإسلامية فى إيران من وجهة النظر الإيرانية ، ٢٠٠٠، الموسوعة العامة ، مقاتل من الصحراء (المملكة العربية السعودية).

٤ – عبد الوهاب عزام، رائدًا ومفكرًا، القاهرة الكتاب المصرى اللبنانى، يناير ٢٠٠٥م.

ثانيًا الترجمات :

١ – تاريخ إيران القديم "تأليف حسن بيريا والترجمة بالإشتراك مع د. محمد نور الدين عبدالمنعم ومراجعة د. يحيى الخشاب.

٢ – الإسلام فى إيران لمؤلفه الروسى بطرشوفسكى ترجمه عن الفارسية وقدم له، الطبعة الرابعة ، مارس ٢٠٠٥م

٣ – "من الفكر الصوفى الإيرانى المعاصر" تأليف صادق عنقا، وتقديم الترجمة بالاشتراك مع د. إبراهيم الدسوقى شتا.

٤ – ترجمات لمواد خاصة بإيران وتركيا وتاريخ آسيا الوسطى فى الدوريات المختلفة.

٥ – ترجمة عدد من أعلام الفكر والتاريخ الإسلامى ورواد الدراسات الشرقية لليونسكو.

٦ – مراجعة المعجم الذهنى "فرهنك طلائى" – المعجم الفارسى العربى – تأليف الدكتور النونجى، لونجمان ١٩٩٦م، القاهرة.

التصحيح اللغوى: **عايدى جمعة**

سهام عبد الوهاب

الإشـــراف الفنى: **حســـن كامل**

هذه ترجمة للمجلد الأول من كتاب "از صبا تانيما" أى "من صبا حتى نيما"، والذى يقع فى مجلدين يتناولان تاريخ الأدب الفارسى فى مائة وخمسين عامًا، أتبعهما المؤلف يحيى آرين بور بكتاب ثالث تحت عنوان "ازنيما تاروزچكا رما" أى "من نيما حتى عصرنا الحاضر".

وهذه المجلدات الثلاثة هى أهم ما خلَّف المؤلف، فضلاً عن ترجمة لكتاب "ناصر خسرو راسماعليان" أى ناصر خسرو والإسماعيلية، الذى ألفه المستشرق الروسى برتلس.

ويحيى آرين بور من كبار المفكرين والمحققين الإيرانيين والشعراء، والذى اتخذ لنفسه كلمة "دانش" أى العلم تخلصًا له كسائر الشعراء الفرس. ولد فى مدينة تبريز الإيرانية عام 1286هـ ش، وتوفى فى 1364هـ ش.

ذكر يحيى آرين بور أن كتابه هذا ليس من قبيل كتب تذاكر الشعراء ولا من قبيل منتخبات أشعار أو آثار السابقين ولا هو كتاب عادى مثل كتب تاريخ الأدب، وإنما هو تحقيق أدبى لحقبة تاريخية منذ عصر الإحياء أو "العودة الأدبية" حتى بداية الشعر الحديث، ويمثل الكتاب أهمية اجتماعية وأدبية غير عادية، نظرًا لقرب هذه الحقبة من عصرنا، وكذلك بسبب الوقائع الغريبة التى حدثت والتى تؤثر دون شك وبشكل كبير فى الأحداث الأدبية التالي وتلك محاولة غير مسبوقة، ولكن لا تخلو من النواقص وال وإيجابياتها كثيرة.